﴿سِلْسِلَةُ الرَّسَائِلِ المِقْدَادِيَّة فِي تَبْسِيْطِ العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّة﴾

﴿٩﴾

نَثْرُ الأَزْهَارِ

فِي التَّعْرِيْفِ بِعَالَمِ المَلَائِكَة الأَبْرَار

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِيْ مِقْدَادِي الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

﴿ المُقَدِّمَةُ ﴾

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يَهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ، قال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران : ١٠٢] ، وقال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾** [النساء:١] ، وقال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾** [الأحزاب: ٧٠-٧١] ، أمَّا بعد :

فالإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان السِّتَّة التي يجب الإيمان بها إجمالاً بالإجمالي وتفصيلاً بالتَّفصيلي ، قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِّ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِّ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾** [النساء:١٣٦] ، وهم عالم غيبي لا يعلمه بالتَّفصيل إلَّا الله تعالى ، فلا يستطيع العقل البشري ولوج بابه ، بل ولا الوقوف على أعتابه إلَّا بهدي الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة الصَّحيحة ، وهم خلقٌ من خلقِ الله تعالى مخلوقون من نور لا يعرف حقيقته إلَّا الله تعالى ، مفطورون على الطَّاعة المُطلقة له سبحانه ، فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولا يوصفون بذكورة ولا بأُنوثة ، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا يملُّون ولا يتعبون ، ولا يتناكحون ولا يتناسلون ، كلَّفهم الله تعالى بالعديد من الواجبات المتعلِّقة بالكون والإنسان والحياة ، وأعدادهم لا يعلمها ولا يحصيها إلَّا الله، وقد جاء وصفُهم في القرآن العظيم والسُّنَّة المطهَّرة بالعديد من الصِّفات الخُلقية والخَلْقِيَّة ، كما وردت العديد من أسمائهم، التي يجب على المؤمن أن يؤمن بها ؛ كجبريل الموكَّل بوحي السَّماء ، وميكائيل الموكل بالمطر، وملَك الموت الموكَّل بقبض الأرواح، ومالك خازن النَّار ... يسكنون السَّماء، متفاضلون فيما بينهم في الخلق والمقدار ، فمنهم من له جناحانِ، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، وقد ثبت أنَّ جبريل عليه السَّلام له ستُّمائة جناح، منحهم الله تعالى القُدرة على التَّشَكُّل بأشكالٍ جسمانيَّة ، وهم عند الله مقرَّبون ومُكرَمون ...

وممَّا يدعو للدَّهشة والاستغراب أنَّ هذا الرُّكن الإيماني لم يحض بالكتابة عنه من قِبل عُلماء الإسلام لا في السَّابق ولا في اللاحق ... وقد اعترف بذلك العديد من أهل العلم ... وبدليل أنَّ الكُتُب المُصنَّفة عنه لا تكاد تُذكر مقارنة مع الكُتُب المصنَّفة في غيره من أركان الإيمان ...

وقد راودتني الكتابة عن هذا الرُّكن الإيماني الكبير منذ زمن بعيد ، وكتبت مسودَّة لم يقدِّر الله تعالىٰ لها إلَّا الضَّياع مع جملة كبيرة من الأوراق التي كتبت في مواضيع مختلفة ... ثمَّ شاء المولىٰ سبحانه وتعالىٰ للعبد الفقير الكتابة في هذا العالم الرَّحيب العجيب ، فكان هذا الكتاب باكورة الكتابة في أركان الإيمان التي ارتأيت فيها ما أظنّه أيسر للفهم والحفظ ، فجاء الكتاب علىٰ شكل سؤال وجواب ... وهكذا ستكون الكتابة في بقيَّة أركان الإيمان ضمن سلسلة يتوقَّع لها أن تزيد علىٰ اثني عشر مجلَّدا علىٰ وجه التَّقريب ، بإذن الله تعالىٰ ...

وقد اشتمل الكتاب علىٰ أحد عشر فصلاً ، هي :

الفَصْلُ الأَوَّلُ : مَعْنَىٰ الإِيْمَانِ بِالَمَلائِكَةِ وَمُقتَضَياتُه وَآثَارِه .

الفَصْلُ الثَّانِي : صِفَاتُ المَلائِكَةِ الخَلْقِيَّة .

الفَصْلُ الثَّالِثُ : صِفَاتُ المَلائِكَةِ الخُلُقِيَّة .

الفَصْلُ الرَّابعُ : وَظِيْفَةُ المَلائِكَةِ المُتعَلِّقَةِ بِالكَوْن .

الفَصْلُ الخَامِسُ : وَظِيْفَةُ المَلائِكَة المُتعَلِّقَة بِالأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُل .

الفَصْلُ السَّادِسُ : وَظِيْفَةُ المَلائِكَةِ المتَعَلِّقَةِ بِالمُؤمِنِيْن .

الفَصْلُ السَّابِعُ : وَظِيْفَةُ المَلائِكَةِ المتَعَلِّقَةِ بِالكَافِرِيْن.

الفَصْلُ الثَّامِنُ : عِبَادَاتُ المَلائِكَة .

الفَصْلُ التَّاسِعُ : وَظِيْفَةُ المَلائِكَةِ المتَعَلِّقَةِ بِأُمُوْرِ الآخِرَة

الفَصْلُ العَاشِرُ : مَوْقِفُ الشِّيْعَةُ الإماميَّة منَ المَلائِكَة .

الفَصْلُ الحَادِيْ عَشَر : بَعْضٌ مِنْ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الكِتَابِ بِالمَلائِكَة .

والله تعالىٰ نسأل أن يُسهِّل ويُسدِّد ، وأن ينفع به وبغيرة من الكتب ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ...

وَسُبْحَانَكَ اللَهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوْبُ إِلَيْكَ ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن

﴾الفَصْلُ الأَوَّلُ﴿

✪✪✪ مَعْنَى الإيْمانِ بِالمَلائِكَةِ وَمُقتَضَيَاتُه وَآثَارِه ✪✪✪

الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان السِّتَّة ، قال تعالى : **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِّ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾** [البقرة: ٢٨٥] ، وقال سبحانه تعالى : **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِّ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيْدًا﴾** [النساء: ١٣٦] .

والإيمانُ بالملائكة يعني الإيمان بوجودهم، وبسائر ما أخبر الله تعالى عنهم ورسولُه إيماناً مُطلقاً إجمالاً بالإجمالي وتفصيلاً بالتَّفصيلي ... فمن أنكرهم أو أنكر ما ثبت عنهم بالقطعي فقد كفر ...

ومن أجل الإحاطة بما يتضمَّنه عنوان الفصل ، كانت الأسئلة التَّالية :

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا تَعْرِيْفُ المَلائِكَةِ لُغَةً وَاصْطِلاَحَاً ؟

الجواب : قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١/ ٢٦٢-٢٦٣) : " المَلَائِكَة وَاحِدُهَا مَلَكٌ. قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ وَغَيْرُهُ: وَزْنُ مَلَكٍ فَعَلٌ مِنَ الْمُلْكِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ، هُوَ مَفْعَلٌ مِنْ لَأَكَ إِذَا أَرْسَلَ. وَالْأَلُوكَةُ وَالْمَأْلَكَةُ وَالْمَأْلُكَةُ: الرِّسَالَةُ، قَالَ لَبِيدٌ:

وَغُلَامٍ أَرْسَلَتْهُ أُمُّهُ   بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنَا مَا سَأَلْ

وَقَالَ آخَرُ :

أَبلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلُكًا   إِنَّنِي قَدْ طَالَ حَبْسِي وانتظاري

وَيُقَالُ: أَلِكْنِي أَيْ أَرْسِلْنِي، فَأَصْلُهُ عَلَى هَذَا مَأْلَكٌ، الْهَمْزَةُ فَاءُ الْفِعْلِ فَإِنَّهُمْ قَلَبُوهَا إِلَى عَيْنِهِ فَقَالُوا: مَلْأَكٌ، ثُمَّ سَهَّلُوهُ فَقَالُوا مَلَكٌ. وَقِيلَ أَصْلُهُ مَلْأَكٌ مِنْ مَلَكَ يَمْلِكُ، نَحْوَ شَمْأَلٍ مِنْ شَمَلَ، فَالْهَمْزَةُ زَائِدَةٌ عَنِ ابْنِ كَيْسَانَ أَيْضًا، وَقَدْ تَأْتِي فِي الشِّعْرِ عَلَى الْأَصْلِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَسْتَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكٌ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ. لَا اشْتِقَاقَ لِلْمَلَكِ عِنْدَ الْعَرَبِ. وَالْهَاءُ فِي الْمَلَائِكَة تَأْكِيدٌ لِتَأْنِيثِ الْجَمْعِ، وَمِثْلُهُ الصَّلَادِمَةُ. وَالصَّلَادِمُ: الْخَيْلُ الشِّدَادُ، وَاحِدُهَا صِلْدِمٌ. وَقِيلَ: هِيَ لِلْمُبَالَغَةِ، كَعَلَّامَةٍ وَنَسَّابَةٍ" .

والحقّ أنَّ القول باشتقاقه ، وأنَّ أصله من الألوكة وهي الرِّسالة هو الأصوب من جهة اللغة والمعنى ...
قال الإمام الطَّبري في التَّفسير " (١/٤٧٢-٤٧٤) : " وَالْمَلَائِكَةُ جَمْعُ مَلَكٍ، غَيْرَ أَنَّ وَاحِدَهُمْ بِغَيْرِ الْهَمْزِ أَكْثَرُ وَأَشْهَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْهُ بِالْهَمْزِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي وَاحِدِهِمْ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَة ... وَقَدْ يُقَالُ فِي وَاحِدِهِمْ: مَأْلَكٌ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ: جَبَذَ وَجَذَبَ، وَشَأْمَلَ وَشَمْأَلَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَقْلُوبَةِ ... فَمَنْ قَالَ: مَلْأَكًا، فَهُوَ مَفْعَلٌ مِنْ لَأَكَ إِلَيْهِ يَلْأَكُ: إِذَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ رِسَالَةً مَلْأَكَةً. وَمَنْ قَالَ: مَأْلَكًا، فَهُوَ مَفْعَلٌ مِنْ أَلَكْتُ إِلَيْهِ آلِكُ: إِذَا أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ مَأْلَكَةً وَأَلُوكًا ... فَسُمِّيَتِ الْمَلَائِكَة مَلَائِكَةً بِالرِّسَالَةِ، لِأَنَّهَا رُسُلُ اللهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ وَمَنْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ" ، والله أعلم .

وعن معنى الْمَلَائِكَة في الاصطلاح قال الإمام ابن حجر في "الفتح" (٦/٣٠٦) : " قَالَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : الْمَلَائِكَة أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ ، أُعْطِيَتْ قُدْرَةً عَلَى التَّشَكُّل بأشكال مُخْتَلفَة، ومسكنها السَّمَاوَات " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (١/٣٩٨) : "الْمَلَائِكَةُ مَخْلُوقَاتٌ نُورَانِيَّةٌ سَمَاوِيَّةٌ مَجْبُولَةٌ عَلَى الْخَيْرِ قَادِرَةٌ عَلَى التَّشَكُّلِ فِي خَرْقِ الْعَادَةِ لِأَنَّ النُّورَ قَابِلٌ لِلتَّشَكُّلِ فِي كَيْفِيَّاتٍ وَلِأَنَّ أَجْزَاءَهُ لَا تَتَزَاحَمُ وَنُورُهَا لَا شُعَاعَ لَهُ فَلِذَلِكَ لَا تُضِيءُ إِذَا اتَّصَلَتْ بِالْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ وَإِنَّمَا تَتَشَكَّلُ إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَظْهَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ عَلَى وَجْهِ خَرْقِ الْعَادَةِ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لَهَا قُوَّةَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُرِيدُ اللهُ تَكْوِينَهَا فَتَتَوَلَّى التَّدْبِيرَ لَهَا " .

وقال الأُستاذ السيِّد سابق في " العقائد الإسلاميَّة " (ص١١١) : " الملأ الأعلى – أو الملائكة – عالم لطيف غيبي غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يُدرَك بالحواس، وهم من عوالم ما وراء الطَّبيعة، أو غير المنظورة التي لا يعلم حقيقتها إلَّا الله.

وهم مطهَّرون من الشَّهوات الحيوانيَّة، ومبرَّءون من الميول النَّفسيَّة، ومنزَّهون عن الآثام والخطايا.

والملائكة ليسوا كالبشر: يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتَّصفون بالذُّكورة أو الأنوثة؛ وإنَّما هم عالم آخر، قائم بنفسه، ومستقلٌّ بذاته، لا يتَّصفون بشيء ممَّا يتَّصف به البشر من الحالات المادِّيَّة، ولهم قدرة على أن يتمثَّلوا بصور بشريَّة، وغيرها من الصُّور الحسيَّة " ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا تُفِيْدُ التَّاءُ فِي قَوْلِنَا : " مَلَائِكَة " ؟

الجواب : قال بعض أهل العلم أنَّ التَّاء في " ملائكة للمبالغة، كقولنا : ثقَّابة ، علَّامة ، نسَّابة ، جذَّابة ، حبَّابة ، وليست للتَّأنيث ، وقال البعض هي لتأكيد معنىٰ الجمع ، لأنَّ أهل العلم يعتبرون التَّأنيث المعنوي في كلِّ جمع ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا يَتَضَمَّنُ الإيمَانُ بِالمَلَائِكَة ؟

الجواب : الإيمان المَلَائِكَة يتضمَّنُ الاعتقاد الجازم بأنَّ المَلَائِكَة خلقٌ من خلق الله تعالىٰ ، خلقهم الله تعالىٰ من نور ، وأنَّ خلقهم متقدِّمٌ علىٰ خلق آدم ، وأنَّهم مفطورون علىٰ الطَّاعة ، لا تصدر عنهم المعاصي ، وأنَّهم لا يفعلون أي فعل إلَّا إذا صدر الأمر الإلهيّ به إليهم ، وأنَّهم لا يضجرون ولا يملُّون ولا يستكبرون ، منزَّهون عن الخطايا والآثام ، يسبِّحون الليل والنَّهار لا يَفتُرُون ، ولا يأكلون ولا يشربون ، ولا يتغوَّطون ولا يتناسلون ، مطهَّرون من الشَّهوات الحيوانيَّة ...

وكذا يتضمَّنُ الإيمان بما علمنا من صفاتهم وأعمالهم التي يقومون بها ، وأنَّ منهم: المكلَّفون بتبليغ وحي الله تعالىٰ إلىٰ حيث أمَر الله تعالىٰ ... وخزنة الجنَّة ، وخزنة النَّار ، وسيِّدهم مالك ، وملائكة الأرواح ، وسيِّدهم ملك الموت ، وملائكة الأرزاق، وسيِّدهم ميكائيل، وهناك ملائكة مكلَّفون بحفظ السَّموات، وملائكة مكلَّفون بالرِّياح والسَّحاب، وملائكة مكلَّفون بالجبال ، وملائكة مكلَّفون بالنَّبات، وملائكة مكلَّفون بالبحار، وملائكة مكلَّفون بسائر الأمم والعوالم التي لا يحصيها إلَّا الله تعالىٰ ... وأنَّ من جحدهم أو أنكرهم أو أنكر من ثبت في القرآن ذكره منهم أو انتقصهم خرج من ربقة الإيمان ، قال تعالىٰ : **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** [البقرة:٢٨٥] ، وقال سبحانه : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾** [النساء:١٣٦] .

وجاء في حديث عمر الشَّهير الذي أخرجه مسلم (١/ ٣٦ برقم ٨) : " ... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» .

قال الإمام البيهقي في " شُعَب الإيمان " (١/ ٢٩٦) : " وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ يَنْتَظِمُ مَعَانِيَ :

أَحَدُهَا: التَّصْدِيقُ بِوُجُودِهِمْ.

وَالْآخَرُ: إِنْزَالُهُمْ مَنَازِلَهُمْ، وَإِثْبَاتُ أَنَّهُمْ عِبَادُ اللهِ، وَخَلْقُهُ كَالْإِنْسِ، وَالْجِنِّ مَأْمُورُونَ مُكَلَّفُونَ لَا يَقْدِرُونَ إِلَّا عَلَىٰ مَا قَدَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، وَالْمَوْتُ عَلَيْهِمْ جَائِزٌ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ لَهُمْ أَمَدًا بَعِيدًا، فَلَا يَتَوَفَّاهُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغُوهُ، وَلَا يُوصَفُونَ بِشَيْءٍ يُؤَدِّي وَصْفَهُمْ بِهِ إِلَىٰ إِشْرَاكِهِمْ بِاللهِ تَعَالَىٰ جَدُّهُ، وَلَا يَدَّعُونَ آلِهَةً كَمَا ادَّعَتْهُمُ الْأَوَائِلُ.

وَالثَّالِثُ : الِاعْتِرَافُ بِأَنَّ مِنْهُمْ رُسُلَ اللهِ يُرْسِلُهُمْ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْبَشَرِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُرْسِلَ بَعْضَهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَيَتْبَعَ ذَلِكَ الِاعْتِرَافُ بِأَنَّ مِنْهُمْ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، وَمِنْهُمُ الصَّافُّونَ، وَمِنْهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُمْ خَزَنَةُ النَّارِ، وَمِنْهُمْ كَتَبَةُ الْأَعْمَالِ، وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يَسُوقُونَ السَّحَابَ، وَقَدْ وَرَدَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، أَوْ بِأَكْثَرِهِ " .

فالإيمان بالملائكة لا يتمُّ إلَّا بالإيمان بوجودهم ، وبمن جاء اسمه منهم في القرآن العظيم ، وكذا بالإيمان بما عُلمَ من صفاتهم وأعمالهم التي يقومون بها ... وقد ثبت الإجماع علىٰ وجودهم ، قال الإمام ابن حزم في " مراتب الإجمـــاع في العبادات والمعاملات والاعتقادات" (ص١٧٤) : " وَاتَّفَقُوا أَنَّ الْمَلَائِكَة حقّ ، وأَنَّ جِبْرِيل وَمِيكَائِيل مَلَكَان رسولان لله عزَّ وَجلَّ مقرَّبان عظيمان عِنْد الله تَعَالَىٰ ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَة كلّهم مُؤمنُونَ فضلاً " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ صِفَةُ الإِيْمَانِ الوَاجِبِ بِالمَلَائِكَة ؟

الجواب : الواجب علىٰ كلِّ مكلَّف أن يعرف عن عالم الملائكة الأبرار، تفصيلاً في التَّفصيلي وإجمالاً في الإجمالي ، مع مراعاة أنَّ درجة الإيمان الإجمالي لا تنحط عن درجة الإيمان التَّفصيلي من حيث الخروج عن عهدة التَّكليف ، وإن كان الإيمان التَّفصيلي أتمّ وأكمل من الإيمان الإجمالي ...

فما أُجمل من الإيمان بهم نؤمن به علىٰ وجه الإجمال ، فنؤمن بعالم غيبيٍّ عظيم اسمه عالم المَلَائِكَة ... وما فُصِّل من متعلَّقات هذا العالم الغيبي نؤمن به تفصيلاً ..شريطة أن يثبت بدليل مُعتبر ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا أَهَمِيَّة الإِيْمَانِ بِالمَلَائِكَة ؟

الجَواب : الإيمانُ بالملائكة هو أحد أركان الإيمان السِّتَّة ، وهو مترتِّب علىٰ الإيمان بالله تعالىٰ ... فمن مقتضيات الإيمان بالله تعالىٰ : الإيمان بكلِّ ما طلب الله من العباد الإيمان به ، كما أنَّ من مقتضيات الإيمان بالرُّسل الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام : الإيمان بكلِّ ما أخبروا به ، قال الإمام ابن رجب الحنبلي في " جامعُ العُلوم والحِكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكَلِم " (١/١٠٢-١٠٣) : " وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَلْزَمُ

مِنْهُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْكِتَابِ وَالْبَعْثِ، وَالْقَدَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَفَاصِيلِ مَا أَخْبَرُوا بِهِ، مِنْ صِفَاتِ اللهِ وَصِفَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ كَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ " ، قال تعالىٰ : **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** [البقرة:١٨٥] .

وقال تعالىٰ مبيِّناً كُفرَ من أنكر أو كَفَرَ بعالم المَلَائِكَة الأبرار : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾** [النساء:١٣٦] .

ودلَّت الآيات الكريمة علىٰ أنَّ الإيمان بالملائكة هو لونٌ من ألوان البر ، قال تعالىٰ : **﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾** [البقرة: ١٧٧] .

كما وضَّحت أنَّ من كان عدوَّاً للملائكة أو أحدهم فهو كافر وعدوٌّ لله تعالىٰ ، قال تعالىٰ : **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** [البقرة: ٩٨] .

وجاء في حديث جبريل المشهور أنَّ جبريل عليه السَّلام جاء الصَّحابة علىٰ هيئة رجل أعرابيٍّ شديد بياض الثِّياب ، شديد سواد الشَّعر ... يعلِّمهم أمور دينهم ، فقد روىٰ مسلم في الصَّحيح (١/ ٣٦ برقم ٨) بسنده عَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ

الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١/١٥٨) في شرحه للحديث : " قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ : وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدِ اشْتَمَلَ عَلَىٰ شَرْحِ جَمِيعِ وَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مِنْ عُقُودِ الْإِيمَانِ ، وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ ، وَإِخْلَاصِ السَّرَائِرِ ، وَالتَّحَفُّظِ مِنْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ ، حَتَّىٰ إِنَّ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ كُلَّهَا راجعة إليه ومتشعبة مِنْهُ . قَالَ : وَعَلَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَقْسَامِهِ الثَّلَاثَةِ ، أَلَّفْنَا كِتَابَنَا الَّذِي سَمَّيْنَاهُ بِـ "الْمَقَاصِدِ الْحِسَانِ فِيمَا يَلْزَمُ الْإِنْسَانَ " ، إِذْ لَا يَشِذُّ شَيْءٌ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالسُّنَنِ وَالرَّغَائِبِ وَالْمَحْظُورَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ عَنْ أَقْسَامِهِ الثَّلَاثَةِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ قَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِّ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِّ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦] ، **فلِمَ ذكرَ فِي مَرَاتِبِ الإِيْمَان أُمُوْراً ثَلَاثَةً : الإيمانَ بالله وبالرَّسُوْلِ وَبِالكُتُبِ ، وَذَكَرَ فِي مَرَاتِبِ الكُفْرِ أُمُوْراً خَمْسَةً : الكُفْر بِاللهِ وَبِالمَلَائِكَةِ وَبِالكُتُبِ وَبِالرُّسُلِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ ؟**

الجواب : قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير " (١١/٢٤٣) : " الْإِيمَانَ باللهَّ وَبِالرُّسُلِ وَبِالْكُتُبِ مَتَىٰ حَصَلَ فَقَدْ حَصَلَ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لَا مَحَالَةَ، إِذْ رُبَّمَا ادَّعَىٰ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ باللهَّ وَبِالرُّسُلِ وَبِالْكُتُبِ، ثُمَّ إِنَّهُ يُنْكِرُ الْمَلَائِكَة وَيُنْكِرُ الْيَوْمَ الْآخِرَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَجْعَلُ الْآيَاتِ الْوَارِدَةَ فِي الْمَلَائِكَة وَفِي الْيَوْمِ الْآخِرِ مَحْمُولَةً عَلَىٰ التَّأْوِيلِ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا الِاحْتِمَالُ قَائِمًا لَا جَرَمَ نَصَّ أَنَّ مُنْكِرَ الْمَلَائِكَة وَمُنْكِرَ الْقِيَامَةِ كَافِرٌ باللهَّ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : كَمْ مرَّة وَرَدَ ذِكْرُ المَلائكَةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيْم ؟

الجواب : جاء ذكر الملائكة في القرآن العظيم وبصيغ مختلفة في تسعة وثمانين موضعاً ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا عَدَدُ المَلَائِكَة ؟

الجواب : المَلَائِكَة هم من الكثرة بحيث لا يُحصي ولا يعرف عددهم إلَّا الله تعالىٰ ، قال تعالىٰ : **﴿وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾** [المدثر :٣١] ...

فالبيت المعمور الذي في السَّماء يحجُّ إليه في كلِّ يوم سبعون ألفاً ولا يعودون إليه ... رَوىٰ البُخَاري (٤/١٠٩ برقم ٣٢٠٧) ، ومُسْلم (١/١٤٩ برقم ١٦٤) بسندهما عَنْ مَالك بن صَعْصَعَة رَضِي الله عَنه في حَدِيثِ

الإِسْرَاء ، قال : قال النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ ... " . ولو حسبنا العدد الذي يصلِّي في البيت المعمور في العام الواحد لكانت النَّتيجة هي : (٢٥،٥٥٠،٠٠٠) مَلَكاً ، وعددهم في عشرة أعوام (٢٥٥،٥٠٠،٠٠٠) ... فكم سيكون العدد في مائة عام أو ألف عام ، فسبحان الله العظيم ...

وَروىٰ مسلم (٤/ ٢١٨٤ برقم ٢٨٤٢) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» . فعلىٰ ما جاء في الحديث الشَّريف فإنَّ عدد المَلَائِكَة الذين يجرُّون جهنَّم ويأتون بها يوم القيامة هو : (٤،٩٠٠،٠٠٠،٠٠٠) أي : أربعة مليارت وتسع مئة مليون مَلَك ...

وروىٰ التِّرمذيُّ (٤/ ١٣٤ برقم ٢٣١٢) بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ اللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ " . قال التِّرمذي : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ " .

وروىٰ أحمد في " المسند " (١٦/ ٤٢٨ برقم ١٠٧٣٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: " إِنَّهَا لَيْلَةُ سَابِعَةٍ – أَوْ تَاسِعَةٍ – وَعِشْرِينَ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَىٰ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد" (٣/ ٢٥٢ برقم ٥٥٤٧) " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

وروىٰ ابن أبي عاصم في " الآحاد والمثاني " (١/ ٤٢٢ برقم ٥٩٧) ومحمَّد بن نصر بن الحجَّاج المَرْوَزِي في " تعظيم قدر الصَّلاة " (١/ ٢٥٨ برقم ٢٥٠) والطَّحاوي في " شرح مشكل الآثار " (٣/ ١٦٧برقم ١١٣٤) والطَّبراني في " المعجم الكبير" (٣/ ٢٠١ برقم ٣١٢٢) وأبو الشَّيخ في "العظمة" (٣/ ٩٨٦ برقم ٩٠٥) وأبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (٢/ ٢١٧) بسندهم عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» قَالُوا:

مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ» .

وروىٰ محمَّد بن نصر المروزي في " تعظيم قدر الصَّلاة " (١/ ٢٦٠ برقم ٢٥٤) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: " إِنَّ مِنَ السَّمَوَاتِ سَمَاءً مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ أَوْ قَدَمَاهُ قَائِمًا، ثُمَّ قَرَأَ **﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾** [الصافات: ١٦٦] " .

وهناك حملة العرش، وخزنة الجنَّة، وخزنة النَّار، والحفظة، والكتبة ... وغيرهم كثير ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا حُكْمُ مَنْ شَتَمَ مَلَكاً مِنَ المَلائِكَة ؟

الجواب : قال الإمام ابن حزم الظَّاهري في " الفصل في الملل والأهواء والنِّحل " (٣/ ١٤٢) : " وَصَحَّ بِالنَّصِّ أَنَّ كلَّ من اسْتَهْزَأَ بِاللهَّ تَعَالَىٰ أَو بِمَلَكٍ من المَلَائِكَة أَو بِنَبِي من الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام أَو بِآيَة من الْقُرْآن أَو بفريضة من فَرَائض الدِّين فَهِيَ كلهَا آيَات الله تَعَالَىٰ بعد بُلُوغ الْحجَّة إِلَيْهِ فَهُوَ كَافِر " .

وقال في " المحلَّىٰ بالآثار " (١٢/ ٤٣٨) : " فَصَحَّ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ كُلَّ مَنْ سَبَّ اللهَّ تَعَالَىٰ، أَوْ اسْتَهْزَأَ بِهِ، أَوْ سَبَّ مَلَكًا مِنْ المَلَائِكَة أَوْ اسْتَهْزَأَ بِهِ، أَوْ سَبَّ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ اسْتَهْزَأَ بِهِ، أَوْ سَبَّ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهَّ تَعَالَىٰ، أَوْ اسْتَهْزَأَ بِهَا، وَالشَّرَائِــعُ كُلُّهَا، وَالْقُرْآنُ مِنْ آيَـــاتِ اللهَّ تَعَالَىٰ فَهُوَ بِذَلِكَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ، لَهُ حُكْمُ الْمُرْتَدِّ، وَبِهَذَا نَقُولُ ".

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي المالكي في " لباب اللباب في بيان ما تضمَّنته أبواب الكتاب من الأركان والشُّروط والموانع والأسباب " (ص٣٣٨) : " ومن سبَّ مَلَكًا من الملائكة قُتل ، قاله سحنون وسعيد بن سليمان قاضي قرطبة، وقال ابن القاسم فيمن قال لرجل غضبان: كأنَّك وجه مَلَك إن عرف أنَّه قصد ذمّ المَلَك قُتل" .

وقال الإمام السُّيوطي في " الحبائك في أخبار الملائك " (ص٢٥٤-٢٥٥) : مسألة : قال القاضي عياض في الشِّفا: قال سحنون: مَنْ شتمَ مَلَكاً من المَلَائِكَة فعليه القتل، وقال أبا الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنَّه وجه مالك الغضبان: لو عرف أنَّه قصد ذمّ المَلَك قتل، قال القاضي عياض: وهذا فيمن تكلَّم فيهم بما قلناه علىٰ جملة المَلَائِكَة أو علىٰ معيَّن ممَّن حقَّقنا كونه من المَلَائِكَة ممَّن نصَّ الله عليه في كتاب أو حقَّقنا علمه بالخبر المتواتر، والمشتهر المتَّفق عليه بالإجماع القاطع، كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنَّة وجهنَّم

والزَّبانية وحملة العرش وعزرائيل وإسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير، فأمَّا من لم تثبت الأخبار بتعيينه، ولا وقع الإجماع على كونه من المَلَائِكَة كهاروت وماروت، فليس الحكم فيهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدَّمناه، إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة، وأمَّا إنكار كونهما من المَلَائِكَة فإن كان المتكلِّم في ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك، وإن كان من عوام النَّاس زجر عن الخوض في مثل هذا، فإن عاد أدِّب، إذ ليس لهم الكلام في مثل هذا، وقال القرافي: أعلم أنَّه يجب على كلِّ مكلَّف تعظيم الأنبياء بأسرهم، وكذلك المَلَائِكَة ومن نال من أعراضهم شيئاً فقد كفر، سواء كان بالتَّعريض أو بالتَّصريح، فمن قال في رجل يراه شديد البطش: هذا أقسى قلباً من مالك خازن النَّار، وقال في رجل رآه مشوَّه الخلق: هذا أوحش من منكر ونكير؛ فهو كافر إذا قال ذلك في معرض النَّقص بالوحاشة والقساوة، قلت: وما ذكر في هذه المسألة والتي قبلها من الأدلَّة القاطعة على تفضيل رسل المَلَائِكَة على الصَّحابة وأولياء البشر" .

قلت : وكلام الإمام السُّيوطي عن عزرائيل ورضوان ليس في محلِّه ... إذ ليس في الكتاب أو السُّنَّة ما يثبت ذلك ، على ما سيأتي عند الكلام عنهما ...

وقال الإمام ابن نجيم الحنفي في " البحر الرَّائق شرح كنز الدَّقائق " (٥/ ١٣١) : وَيَكْفُرُ بِقَوْلِهِ لِلْقَبِيحِ إنَّهُ حَسَنٌ وَبِقَوْلِهِ لِغَيْرِهِ : رُؤْيَتِي إيَّاكَ كَرُؤْيَةِ مَلَكِ الْمَوْتِ عِنْدَ الْبَعْضِ خِلَافًا لِلْأَكْثَرِ وَقِيلَ بِهِ إنْ قَالَهُ لِعَدَاوَتِهِ لَا لِكَرَاهَةِ الْمَوْتِ وَبِقَوْلِهِ لَا أَسْمَعُ شَهَادَةَ فُلَانٍ وَإِنْ كَانَ جِبْرِيلُ أَوْ مِيكَائِيلَ – عَلَيْهِمَا السَّلَامُ – وَبِعَيْبِهِ مَلَكًا مِنْ الْمَلَائِكَة أَوْ الِاسْتِخْفَافِ بِهِ " .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي في " الفتاوى الحديثيَّة " (١/ ٤٦-٤٧) : " فَمِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ أَنْ ... يُلْقِي وَرَقَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنْ قُرْآنٍ أَوْ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ أَوْ فِيهَا اسْمُ اللهِ تَعَالَى بَلْ أَوْ اسْمُ نَبِيٍّ أَوْ مَلَكٍ فِي نَجَاسَةٍ ... وَمِثْلُهُ غَيْرُهُ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ بَلْ وَالْمَلَائِكَةِ ..." .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد سالم المجلسي الشَّنقيطي في " لوامع الدُّرر في هتك أستار المختصر (شرح «مختصر خليل» للشَّيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي) " (١٣/ ٣٧٤-٣٧٦ باختصار) : " أنَّ المكلَّف إذا سبَّ مَلَكاً بفتح اللام مجمعاً على مَلَكيَّته فإنَّه يقتل ولا تقبل توبته بالنِّسبة للقتل، فإن تاب أو أنكر ما شهد به عليه قتل حدّاً وإلَّا قتل للردَّة. قال عبد الباقي: وإن سبَّ مكلَّفٌ نبيَّاً أو مَلَكاً مُجمعاً على نبوءته أو مَلَكيَّته بقرآن ونحوه بدليل ذكره بعد ذلك سبّ من لم يجمع على نبوءته أو ملكيَّته. انتهى.

وقال في التَّبصرة: ومن سبَّ مَلَكاً من الملائكة عليهم السَّلام قُتل. قاله سحنون وسعيد بن سليمان قاضي قرطبة ، ومن قال: إنَّ جبريل أخطأ بالوحي وإنَّما النبيُّ عليٌّ استتيب، فإن تاب وإلَّا قتل.

أو عرض يعني أنَّ المكلَّف إذا عرَّض بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السَّبِّ أو بغيره من الأنبياء أو بمَلَكٍ بأن لم يصرِّح بسبٍّ من ذُكر لكنَّه لوَّح به فإنَّه يُقتل ولا تُقبل توبته بالنِّسبة للقتل وتنفعه فيما بينه وبين اللهَّ تعالىٰ، وقد مرَّ أنَّ هذا من الأمور المجتمع علىٰ أنَّها مُوجبة لقتل صاحبها، وقد مرَّ عن ابن رشد الاتِّفاق علىٰ تكفير المستخفِّ بالنَّبي...

وقال الموَّاق: قال عياض: من أضاف إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكذب فيما بلَّغه أو أخبر به أو سبه إلىٰ آخر ما قدَّمته قريباً، ثمَّ قال: وحُكم من سبَّ سائر أنبياء اللهَّ وملائكته أو استخَفَّ بهم أو أكذبهم أو أنكرهم حكم نبيّنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ مساق ما قدَّمناه، وقال القابسي في الذي قال لآخر كأنَّه وجه مالك الغضبان: إن عرف أنَّه قصد ذمَّ المَلَك قُتل.

عياض: وهذا كلّه فيمن حقَّقت كونه من الملائكة والنَّبيئين، كجبريل ومالك والزَّبانية ورضوان ومنكر ونكير، فأمَّا من لم يثبت الإخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع علىٰ كونه من الملائكة أو الأنبياء، كهاروت وماروت من الملائكة ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان الذي قيل إنَّه بنىٰ أهل الرَّسِّ، وزرادست الذي ادَّعت المجوس نبوءته فليس الحكم فيهم ما ذكرنا؛ إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة لكن يؤدّب من تنقصهم، وأمَّا إنكار كونهم من الملائكة والنَّبيئين، فإن كان المتكلِّم من أهل العلم فلا حرج وإن كان من عوام النَّاس زجر عن الخوض في مثل هذا. انتهىٰ.

أو لعنه يعني أنَّ من لعن من المكلَّفين نبيًّا مجمعاً علىٰ نبوءته أو مَلَكاً مُجمعاً علىٰ ملكيَّته يقتل حدًّا إن تاب أو أنكر ما شهد به عليه وإلَّا قُتل كفراً، وقوله: "أو لعنه" سواء كان بصيغة الفعل أو غيرها كملعون أو لعين ونحوه كالدُّعاء عليه أو تمنَّىٰ مضرَّته، واللعن لغة: البعد والطَّرد. قال في القاموس: لعنه كجعله طرده وأبعده فهو لعين وملعون جمعه ملاعين، والُّلعْنَة بالضَّم مَنْ تلعنه النَّاسُ وكهُمَزَة الكثير اللعن لهم، جمعه لُعَن كَصُرد وامرأة لعين، فإذا لم تذكر الموصوفة فبالهاء، واللعين من يلعنه كلّ أحد والشَّيطان والممسوخ والمشتوم. انتهىٰ المراد منه.

أو عابه ، يعني : أنَّ من عاب من المكلَّفين نبيَّاً مُجمعاً على نبوءته أو مَلَكاً مُجمعاً على مَلَكيَّته يُقتل حدَّاً إن تاب أو أنكر ما شهد به عليه وإلَّا قتل كفراً، وقوله: " أو عابه" أي : نَسَبه للعيب وهو خلاف المستحسن. قاله غير واحد. وقد مرَّ أنَّ السَّبَّ هو الشَّتم، والشَّتم كلّ قول قبيح فأحدهما يغني عن الآخر، وإذا كان السَّبُّ يُطلق على كلِّ قول قبيح أغنى عن اللعن لكن تَبيينُ تفاريع الصّيغ هنا حسنٌ، وإن كان في ذكر بعضها ما يغني عن ذكر بعض، ولهذا قال البناني عند قوله: "وإن سبَّ نبيَّاً أو مَلَكاً " ما نصّه: اعلم أنَّ ما ذكر المصنِّف من هنا إلى آخر الباب زيادة على ابن الحاجب لخَّصه من "الشِّفا" ، ولو اختصره جملة لكان يكفيه أن يقول : وإن تنقَّص معصوماً وإن بتعريض أو باستخفافه بحقِّه قتل. واللهّ أعلم. انتهى " .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري في " الفقه على المذاهب الأربعة " (٥/ ٣٧٢) :" ويكفُرُ إذا ... سبَّ مَلَكاً من الملائكة يجمع على ملكيَّته، ويكفر أن عرَّض في كلامه بسبِّ نبي، أو مَلَك، بأن قال عند ذكره: أما أنا فلست بزان أو بساحر، أو ألحق بنبي، أو ملك نقصاً... ويكفر إذا ذكر الملائكة بالأوصاف القبيحة، أو طعن في وفور زهد نبي من الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا سَبَبُ نُزُوْل قَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهَّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٧] ؟

الجواب : أجمع أهل العلم على أنَّ هذه الآية نزلت جواباً لليهود في زعمهم أنَّ جبريل عدوّ لهم ، وأنَّ ميكائيل وليّ لهم ، ثمَّ اختلفوا في السَّبب الذي من أجله قالوا ذلك : فقال بعضهم : إنَّما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر نُبُوَّته .

روى أحمدُ في " المسند " (٤/ ٣١٢ برقم ٢٥١٤) بسنده عن ابْنُ عَبَّاسٍ: حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ، قَالَ: " سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، وَلَكِنِ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ الله، وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ، عَلَى بَنِيهِ: لَئِنْ أَنَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ، لَتُتَابِعُنِّي عَلَى الْإِسْلَامِ " قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ، قَالَ: " فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ " قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعِ خِلَالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ: أَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ، وَمَاءُ الرَّجُلِ؟ كَيْفَ يَكُونُ الذَّكَرُ مِنْهُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ؟ وَمَنْ وَلِيُّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ: " فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ الله وَمِيثَاقُهُ لَئِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ لَتُتَابِعُنِّي؟ " قَالَ: فَأَعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ

وَمِيثَاقٍ، قَالَ: " فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ، مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، وَطَالَ سَقَمُهُ، فَنَذَرَ للهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ سَقَمِهِ، لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟ " قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: " اللهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ، الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَبْيَضُ غَلِيظٌ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ، فَأَيُّهُمَا عَلا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشَّبَهُ بِإِذْنِ اللهِ؟ إِنْ عَلا مَاءُ الرَّجُلِ عَلَىٰ مَاءِ الْمَرْأَةِ كَانَ ذَكَرًا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِنْ عَلا مَاءُ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ مَاءِ الرَّجُلِ كَانَ أُنْثَىٰ بِإِذْنِ اللهِ؟ ". قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: " اللهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ؟ " قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: " اللهُمَّ اشْهَدْ " قَالُوا: وَأَنْتَ الْآنَ فَحَدِّثْنَا: مَنْ وَلِيُّكَ مِنَ الْمَلائِكَةِ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نُفَارِقُكَ؟ قَالَ: " فَإِنَّ وَلِيِّيَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلا وَهُوَ وَلِيُّهُ " قَالُوا: فَعِنْدَهَا نُفَارِقُكَ، لَوْ كَانَ وَلِيُّكَ سِوَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَة لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ، قَالَ: " فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟ " قَالُوا: إِنَّهُ عَدُوُّنَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ **﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾** [البقرة: ٩٧] إِلَىٰ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٠١] ، فَعِنْدَ ذَلِكَ: **﴿بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾** [البقرة: ٩٠] الْآيَةَ " . قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٨/ ٢٤٢ برقم ١٣٩٠٣) : " رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِاخْتِصَارٍ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُمَا ثِقَاتٌ" ، وحسَّنه الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند .

وقال آخرون : بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بين اليهود وبين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في أمر النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

روىٰ الطَّبري في " التَّفسير " (٢/ ٢٨٩) وابن كثير في " التَّفسير " (١/ ٣٤٠) : " عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، انْطَلَقَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَىٰ الْيَهُودِ، فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ رَحَّبُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ: " أَمَا وَاللهِ مَا جِئْتُ لِحُبِّكُمْ وَلَا لِلرَّغْبَةِ فِيكُمْ، وَلَكِنْ جِئْتُ لِأَسْمَعَ مِنْكُمْ. فَسَأَلَهُمْ وَسَأَلُوهُ، فَقَالُوا مِنْ صَاحِبُ صَاحِبِكُمْ؟ فَقَالَ لَهُمْ: جِبْرِيلُ. فَقَالُوا: ذَاكَ عَدُوُّنَا مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ يُطْلِعُ مُحَمَّدًا عَلَىٰ سِرِّنَا، وَإِذَا جَاءَ جَاءَ بِالْحَرْبِ وَالسَّنَةِ، وَلَكِنَّ صَاحِبَ صَاحِبِنَا مِيكَائِيلُ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ جَاءَ بِالْخَصْبِ وَبِالسِّلْمِ، فَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ: أَفَتَعْرِفُونَ جِبْرِيلَ وَتُنْكِرُونَ مُحَمَّدًا. فَفَارَقَهُمْ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُحَدِّثَهُ حَدِيثَهُمْ، فَوَجَدَهُ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: **﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾** [البقرة: ٩٧] " .

وقد شهد عبد الله بن سلَّام الذي كان يهوديَّاً فأَسْلمَ بأنَّ اليهود يعتقدون بأنَّ جبريل عليه السَّلام عدوّ لهم ، فقد روىٰ البخاري (٤/ ١٣٢ برقم ٣٣٢٩) بسنده عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلاَمٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَىٰ أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَىٰ أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ ... " الحديث .

﴿سُؤال﴾: مَا هِيَ أَسْمَاء المَلَائِكَة الوَارِدَة فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّة ؟

الجواب : ورد في الكتاب والسُّنَّة أسماء العديد من المَلَائِكَة ... مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ أسمائهم جاءت علىٰ وجهين : مجملة ومفصَّلة ... فمن الأسماء المُجملة :

(١) **المَلَك** : قال تعالىٰ : **﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾** [الحاقة: ١٧] ، يَعْنِي: المَلَائِكَة ...

(٢) **المَلَأُ الأَعْلَى** : قال تعالىٰ : **﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾** [الصافات: ٨] . فالملأ الأعلىٰ هم المَلَائِكَة ، قاله السدِّي . (انظر : تفسير النُّكت والعيون (٥/ ٣٩) .

+ويقال لهم : النَّديّ الأعلىٰ ، فقد روىٰ الطَّبراني في "مسند الشَّاميين" (١/ ٢٥٣ برقم٤٣٥) ، وابن السنِّي في" عمل اليوم والليلة " (ص٦٥٦ برقم ٧١٦) ، والحاكم في " المستدرك علىٰ الصَّحيحين" (١/ ٧٢٤ برقم ١٩٨٢) ، وأبو نعيم الأصفهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " (٦/٩٨) ، والبيهقي في " الدَّعوات الكبير"(١/ ٥١١ برقم ٣٩٦) بسندهم عَنْ أَبِي زُهَيْرٍ الْأَنْمَارِيِّ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَاخْسَأْ شَيْطَانِي وَفُكَّ رِهَانِي وَثَقِّلْ مِيزَانِي وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ الْأَعْلَىٰ» .

قال الإمام الخطَّابي في " معالم السُّنن" (٤/ ١٤٤) في شرحه للحديث : " النَّدي : القوم المجتمعون في مجلس ومثله النَّادي ويجمع علىٰ الأندية.

قال الرَّاجز: إنِّي إذا ما القوم كانوا أندية

يريد بالنَّدي الأعلىٰ : الملأ الأعلىٰ من الملائكة" .

وقال الإمام علي القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٤/ ١٦٧٢) : " وَالنَّدِيُّ بِفَتْحٍ ثُمَّ الْكَسْرِ ثُمَّ التَّشْدِيدِ هُوَ: النَّادِي وَهُوَ الْمَجْلِسُ الْمُجْتَمِعُ، قِيلَ: النَّدِيُّ أَصْلُهُ الْمَجْلِسُ، وَيُقَالُ لِلْقَوْمِ أَيْضًا،

وَيُرِيدُ بِالْأَعْلَىٰ الْمَلَأَ الْأَعْلَىٰ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، أَوْ أَهْلَ النَّدِيِّ إِذَا أَرَادَ الْمَجْلِسَ، وَقَالَ الطِّيبِيُّ: النَّدِيُّ يُطْلَقُ عَلَىٰ الْمَجْلِسِ إِذَا كَانَ فِيهِ الْقَوْمُ فَإِذَا تفرَّقُوا لَمْ يَكُنْ نَدِيًّا، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَىٰ الْقَوْمِ، وَأَرَادَ الْمَلَأَ الْأَعْلَىٰ، أَوْ مَجْلِسَهُمْ، وَالْمَعْنَىٰ: اجْعَلْنِي مِنَ الْمُجْتَمِعِينَ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالْمَقَامِ الْأَعْلَىٰ الدَّرَجَةُ الرَّفِيعَةُ وَمَقَامُ الْوَسِيلَةِ الَّذِي قَالَ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِعَبْدٍ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ) أَيْ: ذَلِكَ الْعَبْدُ، قَالَ الشَّيْخُ التُّورِبِشْتِيُّ: وَيُرْوَىٰ فِي النِّدَاءِ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْأَكْثَرُ، وَالنِّدَاءُ مَصْدَرُ نَادَيْتُهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنْ يُنَادَىٰ بِهِ لِلتَّنْوِيهِ وَالرَّفْعِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ نِدَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَهُمُ الْأَعْلَوْنَ رُتْبَةً وَمَكَانًا عَلَىٰ أَهْلِ النَّارِ كَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا**﴾ [الأعراف: ٤٤] . وَالنِّدَاءُ الْأَسْفَلُ هُوَ نِدَاءُ أَهْلِ النَّارِ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ، وَالْمَعْنَىٰ: اجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " .

ويقال لهم : الرَّفيق الأعلىٰ ، فقد روىٰ البخاري (٦/ ١٥ برقم ٤٤٦٣) ، مسلم (٤/ ١٨٩٤ برقم ٢٤٤٤) بسندهما عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرَ» فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ، وَرَأْسُهُ عَلَىٰ فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَىٰ سَقْفِ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَىٰ» . فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَىٰ» .

جاء فيما رواه النَّسائي في "السُّنن الكبرىٰ" (٦/ ٣٩١ برقم ٧٠٦٧) تفسير الرَّسـول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لـ : "الرَّفيق الأعلىٰ" ، فقد روىٰ بسنده عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أُغْمِيَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي حِجْرِي فَجَعَلْتُ أَمْسَحُهُ وَأَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ فَأَفَاقَ فَقَالَ: «بَلْ أَسْأَلُ اللهَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَىٰ الْأَسْعَدَ مَعَ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ» " .

(٣) **الأَشْهَاد** : قال تعالىٰ : ﴿**وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: ١٨] ، و ﴿**الْأَشْهَادُ**﴾ هم المَلَائِكَة ، قاله مجاهد . (انظر : تفسير الطَّبري (١٢/ ٣٦٧) .

(٤) **جُنُودُ الرَّب** : قال تعالىٰ : ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾ [المدثر: ٣١] . قال الواحدي في " الوسيط في تفسير القرآن المجيد" (٤/ ٣٨٥) : " قال عطاء: يعني: من المَلَائِكَة الذين خلقهم لتعذيب أهل النَّار، لا يعلم عدتهم إلَّا الله " .

(٥) **الرُّسُل** : قال تعالىٰ : **﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** [الحج:٧٥] .

وفي الكتاب العزيز وردت أسماء أفراد من المَلَائِكَة ، وهم :

(١) **جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَام** : قَال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٦/ ٣٠٧) : " أَمَّا جِبْرِيلُ ، فَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ رُوحُ الْقُدُسِ ، وَبِأَنَّهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، وَبِأَنَّهُ رَسُولٌ كَرِيمٌ ذُو قُوَّةٍ مَكِينٌ مُطَاعٌ أَمِينٌ ، وَسَيَأْتِي فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ مَعْنَاهُ : عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ سُرْيَانِيًّا لَكِنَّهُ وَقَعَ فِيهِ مُوَافَقَةٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَىٰ لِلُغَةِ الْعَرَبِ ، لِأَنَّ الْجَبْرَ هُوَ إِصْلَاحُ مَا وَهِيَ وَجِبْرِيلُ مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ الْإِصْلَاحُ الْعَامُّ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ عَرَبِيٌّ وَإِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ جَبَرُوتِ اللَّهِ ، وَاسْتُبْعِدَ لِلِاتِّفَاقِ عَلَىٰ مَنْعِ صَرْفِهِ .

وَفِي اللَّفْظَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لُغَةً :

أَوَّلُهَا : جِبْرِيلُ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ التَّحْتَانِيَّةِ بِغَيْرِ هَمْزٍ ثُمَّ لَامٍ خَفِيفَةٍ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرو وبن عَامِرٍ وَنَافِعٍ وَرِوَايَةٌ عَنْ عَاصِمٍ .

ثَانِيهَا : بِفَتْحِ الْجِيم قَرَأَهَا بن كَثِيرٍ .

ثَالِثُهَا : مِثْلُهُ لَكِنْ بِفَتْحِ الرَّاءِ ثُمَّ هَمْزَةٌ قَرَأَهَا حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ .

رَابِعُهَا : مِثْلُهُ بِحَذْفِ مَا بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَاللَّامِ قَرَأَهَا يَحْيَىٰ بْنُ يَعْمُرَ وَرُوِيَتْ عَنْ عَاصِمٍ .

خَامِسُهَا : بِتَشْدِيدِ اللَّامِ رويت عَنْ عَاصِمٍ .

سَادِسُهَا : بِزِيَادَةِ أَلِفٍ بَعْدَ الرَّاءِ ثُمَّ هَمْزَةٌ ثُمَّ يَاءٌ ثُمَّ لَامٌ خَفِيفَةٌ قَرَأَهَا عِكْرِمَةُ .

سَابِعُهَا : مِثْلُهَا بِغَيْرِ هَمْزٍ قَرَأَهَا الْأَعْمَشُ .

ثَامِنُهَا : مِثْلُ السَّادِسَةِ إِلَّا أَنَّهَا بِيَاءٍ قَبْلَ الْهَمْزِ .

تَاسِعُهَا : جَبْرَالُ بِفَتْحٍ ثُمَّ سُكُونٍ وَأَلِفٍ بَعْدَ الرَّاءِ وَلَامٍ خَفِيفَةٍ .

عَاشِرُهَا : مِثْلُهُ لَكِنْ بِيَاءٍ بَعْدَ الْأَلِفِ قَرَأَهَا طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ .

حَادِي عَشْرَهَا : جَرِينُ مِثْلُ كَثِيرٍ لَكِنْ بِنُونٍ .

ثَانِي عَشْرَهَا : مِثْلُهُ لَكِنْ بِكَسْرِ الْجِيم .

ثَالِثُ عَشْرَهَا : مِثْلُ حَمْزَةَ لَكِنْ بِنُونٍ بَدَلَ اللَّامِ لَخَّصْتُهُ مِنْ إِعْرَابِ السَّمِينِ .

وَرَوَىٰ الطَّبَرِيُّ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، قَالَ : جِبْرِيلُ مِنَ الْكُرُوبِيِّينَ ، وَهُمْ سَادَةُ الْمَلَائِكَةِ .

وَرَوَىٰ الطَّبَرَانِيُّ (المعجم الكبير (١١/ ٣٧٩ برقم ١٢٠٦١)) مِنْ حَدِيثِ بن عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ : " عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : عَلَىٰ الرِّيحِ وَالْجُنُودِ ، قَالَ وَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ مِيكَائِيلُ ؟ قَالَ : عَلَىٰ النَّبَاتِ وَالْقَطْرِ ، قَالَ : وَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ مَلَكُ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : عَلَىٰ قَبْضِ الْأَرْوَاحِ ، الْحَدِيث . وَفِي إِسْنَادِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ وَقَدْ ضُعِّفَ لِسُوءِ حِفْظِهِ وَلَمْ يُتْرَكْ .

وَرَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا وَزَيْدٍ : أَيْ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، الْحَدِيث .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي كَيْفِيَّةِ خَلْقِ آدَمَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ خَلْقَ جِبْرِيلَ كَانَ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ ، وَهُوَ مُقْتَضَىٰ عُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَةِ اسْجُدُوا لآدَم﴾** ، وَفِي التَّفْسِيرِ أَيْضًا : أَنَّهُ يَمُوتُ قَبْلَ مَوْتِ مَلَكِ الْمَوْتِ بَعْدَ فَنَاءِ الْعَالَمِ ، وَاللهُّ أَعْلَمُ " .

وقد ذُكِرَ جبريلُ في القرآن الكريم باسمه صراحة في ثلاثة مواضع، وهي :

قال تعالىٰ : **﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كانَ عَدُوًّا للهِّ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ فَإِنَّ اللهَّ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ﴾** [البقرة:٩٧-٩٨] .

وقال تعالىٰ : **﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللهِّ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَّ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ﴾** [التحريم:٤] .

كما أُشير إليه في العديد من الآيات الكريمه دون ذكر اسمه ... ومن تلك الآيات :

قوله تعالىٰ : **﴿وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾** [البقرة: ٢٥٣] ، قال الطَّبري في التَّفسير (٢/ ٢٢٢) : " ... عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: هُوَ جِبْرِيلُ " ، وقوله : **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى﴾** [النجم:٥-٦] ، وقوله : **﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾** [التكوير:٢٠] .. ، قال الطَّبري في " التَّفسير (٢٤/ ١٦٤) " ... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: يَعْنِي جِبْرِيلَ" ، وفي السُّنَّة المطهَّرة ورد اسم جبريل غير مرَّة ...

(٢) مِيْكَائِيْل عَلَيه السَّلام : قال تعالىٰ : **﴿مَنْ كانَ عَدُوًّا للهِّ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ فَإِنَّ اللهَّ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ﴾** [البقرة:٩٨] ، وهو المَلَك الموكَّل بالقَطْر وأرزاق العباد ...

(٣) مَالِك عَلَيْهِ السَّلَام : قـــال تعالىٰ : **﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾** [الزخرف:٧٧] .

وروى البخاري (٤/ ١١٦ برقم ٣٢٣٦) بسنده عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالاَ : الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ» .

(٤) **مَلَك المَوْت** : أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أنَّه وكل أمر قبض الأرواح لواحد من ملائكته سمَّاه بـ ملك الموت ، قال تعالى : **﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾** [السجدة:١١]

كما وكّل مَلَكاً بالرِّياح ، وآخر بالجبال ... وقد شاع بين الجميع أنَّ اسم ملك الموت هو عزرائيل ، وهذا كلام ليس صحيحاً البتَّة ... فاسم المَلَك الموكَّل بقبض الأرواح هو ملك الموت ، قال الحافظ ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (١/ ١٠٦) : " وَأَمَّا مَلَكُ الْمَوْتِ فَلَيْسَ بِمُصَرَّحٍ بِاسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا فِي الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، وَقَدْ جَاءَ تَسْمِيَتُهُ فِي بَعْضِ الْآثَارِ بِعِزْرَائِيلَ، وَاللهُ أَعْلَمُ ، وقد قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾** [السجدة: ١١] . وَلَهُ أَعْوَانٌ يَسْتَخْرِجُونَ رُوحَ الْعَبْدِ مِنْ جُثَّتِهِ حَتَّى تَبْلُغَ الْحُلْقُومَ فَيَتَنَاوَلُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ بِيَدِهِ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا مِنْ يَدِهِ فَيَلُفُّوهَا فِي أَكْفَانٍ تَلِيقُ بِهَا " .

وقال السُّيوطي في " حاشية السِّندي على سُنَنِ النَّسائي " (٤/ ١١٨) : " مَلَكُ الْمَوْتِ لَمْ يَرِدْ تَسْمِيَتُهُ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ ، وَوَرَدَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّ اسْمَهُ عِزْرَائِيلُ رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي الْعَظَمَةِ" .

وقال السُّيوطي أيضاً في " الدِّيباج على صحيح مسلم بن الحجَّاج" (٥/ ٣٥٦) : " ورد في أثر عن وهب : اسمه عزرائيل . قال الجزولي في " شرح الرسالة " : ومعناه : عبد الجبَّار " .

وقال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير " (٣/ ٢١) : " ... ولم أقف على تسميته بذلك في الخبر" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير «تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" (٢١/ ٢٢١) : " **﴿وَلَمْ يَرِدِ اسْمُ عِزْرَائِيلَ فِي الْقُرْآنِ. وَقِيلَ: إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُرَادٌ بِهِ الْجِنْسُ فَتَكُونُ كَقَوْلِهِ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾** [الأنعام: ٦١] " .

وقد سمَّاه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ مَلَك المَوْت ، ففي البخاري (٢/ ٩٠ برقم ١٣٣٩) ومسلم (٤/ ١٨٤٢ برقم ٢٣٧٢) ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: " أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ ... " الحديث .

ومع ذلك اشتهر في العديد من كُتُبِ أهل العلم أنَّ اسمه عزرائيل ... ، من ذلك :

قال الإمام الثَّعلبي في" الكشف والبيان عن تفسير القرآن " (٧/ ٣٢٨) : " وقال مقاتل والكلبي: بلغنا !!! أنَّ اسم ملك الموت عزرائيل " .

وقال الإمام البغوي في" معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٣/ ٥٩٥) : " قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ، يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ، مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ، أَيْ وُكِّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ وَهُوَ عِزْرَائِيلُ " .

وقال الإمام ابن عطيَّة الأندلسي في" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (٤/ ٤١٥) : " و " ملك الموت " اسمه عزرائيل وتصرفه كلّه بأمر الله وبخلقه واختراعه" .

وقال الإمام الرَّازي في" التَّفسير الكبير" (٢/ ٣٨٦) : " وَثَبَتَ بِالْخَبَرِ أَنَّ عِزْرَائِيلَ هُوَ مَلَكُ الْمَوْتِ " .

وقال الإمام أبوحيَّان الأندلسي في" البحر المحيط في التَّفسير" (٨/ ٤٣٤) : " ومَلَكُ الْمَوْتِ: اسْمُهُ عِزْرَائِيلُ، وَمَعْنَاهُ عَبْدُ اللَّهِ" .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي الدِّمشقي النُّعماني في" اللباب في علوم الكتاب" (٢/ ١٢٦) : " ... ومَلَكُ الموتِ واسمه عِزْرَائِيلُ" .

وقال الإمام السُّيوطي في " الدُّر المنثور " (٦/ ٥٤٢) : " مَلَك الْمَوْت واسْمه عزرائيل " .

وذكر هذه التَّسمية الإمام السّمَرقندي في " بحر العلوم " (٣/ ٣٣) ، ومكِّي بن أبي طالب في " الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره " (٩/ ٥٧٥٤) ، وأبو المظفَّر السَّمعاني في " تفسير القرآن " (٤/ ٢٤٥) ، والقرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٤/ ٩٣) ، وابن جزي الكلبي في " التَّسهيل لعلوم التَّنزيل" (٢/ ١٤٢) ، والخازن في لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل " " (٥/ ٢٢٢) ، والثَّعالبي في " الجواهر الحسان في تفسير القرآن " (٢/ ٥٣٢) ، والبقاعي في " نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور " (١/ ٢٠٣) ، والخطيب الشَّربيني في "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربِّنا الحكيم الخبير " (٣/ ٢٠٦) ، وإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي في " روح البيان" (٧/ ١١٤) ، وابن عجيبة الحسني في " البحر المديد في تفسير القرآن المجيد " (٤/ ٣٩٠) ، ومحمَّد ثناء الله المظهري في " التَّفسير المظهري " (٣/ ٢٤٨) ، والشَّوكاني في " فتح القدير " (٤/ ٢٨٩) ، والألوسي في " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني

" (١١/ ١٢٤) ، ومحمَّد صدِّيق خان القِنَّوجي" فتحُ البيان في مقاصد القرآن" (٧/ ٢٣٤) ، ومحمَّد بن عمر نووي الجاوي في " مراح لبيد لكشف معنىٰ القرآن المجيد" (٢/ ٥٩٩) ...

قلت: والحقُّ في هذه المسألة أنَّ تسمية المَلَك الموكَّل بقبض أرواح المُكلَّفين بـ " عزرائيل " لم تثبت بخبر صحيح ... ولذا فالأصل تسميته بما سمَّاه الله تعالىٰ به ، وقد عُلمَ من القرآن العظيم أنَّ الله تعالىٰ سمَّاه بـ "مَلَك المَوْت " ، والله أعلم ...

وفي السُّنَّة المطهَّرة وردت أسماء العديد من المَلائِكَة الأكرمين ، منهم :

(١) **إِسْرَافِيْلَ** : فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤ برقم ٧٧٠) . وروىٰ أحمد في المسند (٢/ ٤١١ برقم ١٢٥٧) بسنده عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْحَنَفِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: " قِيلَ لِعَلِيٍّ، وَلِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ: مَعَ أَحَدِكُمَا جِبْرِيلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ – أَوْ قَالَ: يَشْهَدُ الصَّفَّ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٩/ ٥٨ برقم ١٤٣٨٤) : " رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَالْبَزَّارُ، وَأَحْمَدُ بِنَحْوِهِ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ وَالْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ" ، وقال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشَّيخين غير أبي صالح الحنفي- واسمه عبد الرَّحمن بن قيس- فمن رجال مسلم" .

(٢) **مُنْكِرِ وَنَكِيْرِ** : روىٰ التِّرمذيُّ (٣/ ٣٧٥ برقم ١٠٧١) وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٤١٦ برقم ٨٦٤) والبزَّار في "المسند" (١٥/ ١٤٢ برقم ٨٤٦٢) وابن حبَّان في " الصَّحيح" (٧/ ٣٨٦ برقم ٣١١٧) والآجري في الشَّريعة (٣/ ١٢٨٨ برقم ٨٥٨) والبيهقي في " إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين " (ص٥٧ برقم ٥٦) بسندهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ – أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ – أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُّ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ

ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاعُهُ، فَلا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ " وَفِي البَاب عَنْ عَلِيٍّ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَالبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَأَبِي أَيُّوبَ، وَأَنَسٍ، وَجَابِرٍ، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، كُلُّهُمْ رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَذَابِ القَبْرِ.: «حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» ، وقال الأرنؤوط في تخريجه لصحيح ابن حبَّان : "إسناده قوي " ...

كما وردت في الكتاب العزيز أسماء العديد من طوائف المَلائِكَة الأكرمين ، منها :

(١) المُعَقِّبَات : قال تعالىٰ : ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الرعد: ١١] ، وروىٰ البخاري(١/ ١١٥ برقم ٥٥٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ " . و " المعقِّبات: المَلَائِكَة، والمعقِّبات المتداينات ، يَعْنِي: يذهب بَعْضهَا وَيَأْتِي الْبَعْض فِي عَقبهَا " انظر : تفسير القرآن للسَّمعاني (/ ٨١) .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (/١٣٣-١٣٤) : " وَمَعْنَىٰ " يَتَعَاقَبُونَ " تَأْتِي طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ وَمِنْهُ تَعَقُّبُ الْجُيُوشِ وَهُوَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ ثَغْرٍ قَوْمٍ وَيَجِيءَ آخَرُونَ وَأَمَّا اجْتِمَاعُهُمْ فِي الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ فَهُوَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْرِمَةٌ لَهُمْ أَنْ جَعَلَ اجْتِمَاعَ الْمَلَائِكَة عِنْدَهُمْ وَمُفَارَقَتُهُمْ لَهُمْ فِي أَوْقَاتِ عِبَادَاتِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ فَيَكُونُ شَهَادَتُهُمْ لَهُمْ بِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْخَيْرِ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَهَذَا السُّؤَالُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَهُوَ تَعَبُّدٌ مِنْهُ لِمَلَائِكَتِهِ كَمَا أَمَرَهُمْ بِكَتْبِ الْأَعْمَالِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْجَمِيعِ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ الْأَظْهَرُ وَقَوْلُ الْأَكْثَرِينَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَة هُمُ الْحَفَظَةُ الْكُتَّابُ قال : وَقِيلَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَائِكَة بِجُمْلَةِ النَّاسِ غَيْرِ الْحَفَظَةِ" .

قال الإمام أحمد بن محمَّد العدوي في " شرح الخريدة البهيَّة في علم التَّوحيد" (ص١٤٠) : " ولكلِّ يوم وليلة مَلَكَان يتعاقبون عند صلاة العصر وصلاة الصُّبح ، وقيل : بل هما مَلَكَان فقط لا يتغيَّران ما دام حيَّاً ، فإذا مات جلسا علي قبره يستغفران له ، أي : إن كان مؤمناً . ومحلّهما من الإنسان عاتقاه ، وقيل : ذقنه ،

وقيل : شفتاه ، وقيل : عنقه ، وقيل : النَّاجذان ، وقيل إنَّ الكتبة هم الحفظة . وبالجُملة : الواجب اعتقاده أنَّ على الإنسان حَفَظَةٌ وَكَتَبَةٌ على سبيل الإجمال " .

قلت: والكلام في مثل هذه المسألة لا يُقال بالرَّأي ... والأسلم فيها وفي غيرها ممَّا لا نصَّ عليه التَّوقُّف ، وتفويض الأمر إلى عالمه سبحانه وتعالى ، والله أعلم ...

(٢) الزَّبَانِيَة : قال تعالى : **﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾** [العلق: ١٨] ، قال الزَّجَاج في " معاني القرآن وإعرابه " (٥/ ٣٤٦) : " الزَّبانية الغِلاظ الشِّداد، وَاحِدُهم زِبْنية، وهم ههنا الملائك"

و " الزَّبانية أخذ من الزَّبْن، وهو الدَّفع وإنَّما سمُّوا الزَّبانية، لأنَّهم يدفعون الكفَّار إلى النَّار " (بحر العلوم (٣/ ٩٩) . وهم من الكثرة بحيث لا يُحصي عددهم إلَّا الله تعالى ، كما قال في سياق الآية: **﴿وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾** [المدثر:٣١] ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» (أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٤ برقم ٢٨٤٢) . فعلى ما جاء في الحديث الشَّريف فإنَّ عدد المَلَائِكَــــــــــة الذين يجرُّون جهنَّم ويأتــون بها يوم القيــامة هـــــو : (٤٩٠٠٠٠٠.٠٠٠) أي : أربعة مليارت وتسع مئة مليون ملك ...

(٣) الحَفَظَةُ : والحفظة على قسمين اثنين :

الأوَّلُ : الحَفَظَة الذين أمرهم الله تعالى بحفظ بني آدم من المكاره والشُّرور والشَّدائد وصروف الدَّهر ، قال تعالى : **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾** [الرعد: ١١] ، روى اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة " (٣/ ٦٠٤ برقم ٩٦٣) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾** [الرعد: ١١] قَالَ: فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلُّوا عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾** [الأنفال: ٢٤] .

قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (١٣/ ١٠٠-١٠١) : " و (المعقِّبات) جَمْعُ مُعَقِّبَةٍ... وَالْمُرَادُ: مَلَائِكَةٌ مُعَقِّبَاتٌ. وَالْوَاحِدُ مُعَقِّبٌ. وَإِنَّمَا جُمِعَ جَمْعَ مُؤَنَّثٍ بِتَأْوِيلِ الْجَمَاعَاتِ .

وَالْحِفْظُ: الْمُرَاقَبَةُ، وَمِنْهُ سُمِّي الرَّقِيبُ حَفِيظًا. وَالْمَعْنَى: يُرَاقِبُونَ كُلَّ أَحَدٍ فِي أَحْوَالِهِ مِنْ إِسْرَارٍ وَإِعْلَانٍ، وَسُكُونٍ وَحَرَكَةٍ، أَيْ فِي أَحْوَالِ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ﴾** [الانفطار: ١٠] .

و **﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾** مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَى الْإِحَاطَةِ مِنَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿**مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ صِفَةُ ﴿**مُعقِّباتٌ**﴾ ، أَيْ : جَمَاعَاتٌ مِنْ جُنْدِ اللهَّ وَأَمْرِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ [الْإِسْرَاء: ٨٥] وَقَوْلِهِ: ﴿**وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا**﴾ [الشورىٰ: ٥٢] يَعْنِي الْقُرْآنَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحِفْظُ علىٰ الْوَجْه الثَّانِي مرَادا بِهِ الْوِقَايَةُ وَالصِّيَانَةُ، أَيْ : يَحْفَظُونَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ، أَيْ : يَقُونَهُ أَضْرَارَ اللَّيْلِ مِنَ اللُّصُوصِ وَذَوَاتِ السُّمُومِ، وَأَضْرَارَ النَّهَارِ نَحْوَ الزِّحَامِ وَالْقِتَالِ، فَيَكُونُ ﴿**مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ جَارًّا وَمَجْرُورًا لَغْوًا مُتَعَلِّقًا بِـ ﴿**يَحْفَظُونَهُ**﴾ ، أَيْ : يَقُونَهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهَّ. وَهَذَا مِنَّةٌ عَلَىٰ الْعِبَادِ بِلُطْفِ اللهَّ بِهِمْ وَإِلَّا لَكَانَ أَدْنَىٰ شَيْءٍ يَضُرُّ بِهِمْ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ**﴾ [سُورَة الشورىٰ: ١٩] " . وقال سبحانه : ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**﴾ [الأنعام:٦١] . ومعنىٰ لَا يُفرِّطُوْن ، أي : لا يقصِّرون ...

وروىٰ الشَّيخان (البخاري(١/ ١١٥ برقم ٥٥٥) ، مسلم (١/ ٤٣٩ برقم) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ " .

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٢/ ٣٥) : " قَوْله : " فِيكُمْ " ، أَي : الْمُصَلِّينَ أَوْ مُطْلَقِ الْمُؤْمِنِينَ . قَوْله مَلَائِكَةٌ قِيلَ هُمُ الْحَفَظَةُ نَقَلَهُ عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ عَنِ الْجُمْهُور وَتردد بن بَزِيزَةَ . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الْأَظْهَرُ عِنْدِي أَنَّهُمْ غَيْرُهُمْ ، وَيُقَوِّيهِ أَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّ الْحَفَظَةَ يُفَارِقُونَ الْعَبْدَ وَلَا أَنَّ حَفَظَةَ اللَّيْلِ غَيْرُ حَفَظَةِ النَّهَارِ ، وَبِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا هُمُ الْحَفَظَةُ لَمْ يَقَعِ الِاكْتِفَاءُ فِي السُؤال مِنْهُمْ عَنْ حَالَةِ التَّرْكِ دُونَ غَيْرِهَا فِي قَوْلِهِ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي "

وأشار الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٢/ ٣٦) إلىٰ صورة تعاقب الْمَلَائِكَة في بني آدم ، فقال : " ... وَفِيهِ التَّعَاقُبُ ، وَصُورَتُهُ أَنْ تَنْزِلَ طَائِفَةٌ عِنْدَ الْعَصْرِ وَتَبِيتُ ثُمَّ تَنْزِلُ طَائِفَةٌ ثَانِيَةٌ عِنْدَ الْفَجْرِ فَيَجْتَمِعُ الطَّائِفَتَانِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فَقَطْ وَيَسْتَمِرُّ الَّذِينَ نَزَلُوا وَقْتَ الْفَجْرِ إِلَىٰ الْعَصْرِ فَتَنْزِلُ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَىٰ فَيَحْصُلُ اجْتِمَاعُهُمْ عِنْدَ الْعَصْرِ أَيْضًا ، وَلَا يَصْعَدُ مِنْهُمْ أَحَدٌ بَلْ تَبِيتُ الطَّائِفَتَانِ أَيْضًا ثُمَّ تَعْرُجُ إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ وَيَسْتَمِرُّ ذَلِكَ فَتَصِحُّ صُورَةُ التَّعَاقُبِ مَعَ اخْتِصَاصِ النُّزُولِ بِالْعَصْرِ وَالْعُرُوجِ بِالْفَجْرِ فَلِهَذَا خَصَّ السُؤال بِالَّذِينَ بَاتُوا ، وَاللهُّ أَعْلَمُ " .

الثَّانِي : الحَفَظَة الذين يحفظون على الإنسان أقواله وأفعاله وأعماله الحسِّيَّة والقلبيَّة ويكتبونها عليه ، قال تعالى : **﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** [ق:١٧-١٨] ، والقعيد هو المترصِّد، أمَّا الرَّقيب العتيد فهو المراقب لكلِّ ما يصدر عن العبد لا يغيب عنه منها شيء ، وكاتب الحسنات يكون على يمين المكلَّف وكاتب السَّيِّئات على شماله ، فقد روى البغوي في " التَّفسير (٤/ ٢٧٣) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَلَى يَمِينِ الرَّجُلِ وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَلَى يَسَارِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ الحسنات أمين عَلَى كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ ، فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا صَاحِبُ الْيَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ لِصَاحِبِ الشِّمَالِ: دَعْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ لَعَلَّهُ يُسَبِّحُ أَوْ يَسْتَغْفِرُ» .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٧/ ٣٩٩) : " قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْخَيْرَ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ، فَإِنْ أَصَابَ الْعَبْدُ خَطِيئَةً قَالَ لَهُ: أَمْسِكْ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللهَ تَعَالَى نَهَاهُ أَنْ يَكْتُبَهَا، وَإِنْ أَبَى كَتَبَهَا. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: **﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾** : يا ابن آدَمَ، بُسطت لَكَ صَحِيفَةٌ، وَوَكَلَ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمَانِ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، أَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ حَتَّى إِذَا مِتَّ طُوِيَتْ صَحِيفَتُكَ، وَجُعِلَتْ فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: **﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾** [الْإِسْرَاءِ: ١٣، ١٤] ثُمَّ يَقُولُ: عَدَلَ -وَاللهِ- فِيكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** قَالَ: يَكْتُبُ كُلَّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكْتُبُ قَوْلَهُ: "أَكَلْتُ، شَرِبْتُ، ذَهَبْتُ، جِئْتُ، رَأَيْتُ"، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عَرَضَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، فَأَقَرَّ مِنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَلْقَى سَائِرَهُ، وَذَلِكَ قَوْلِهِ: **﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾** [الرَّعْدِ: ٣٩] ، وَذُكِرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يَئِنُّ فِي مَرَضِهِ، فَبَلَغَهُ عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: يَكْتُبُ المَلَك كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَنِينَ. فَلَمْ يَئِنَّ أَحْمَدُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢٦/ ٣٠١-٣٠٢) : " وَالتَّلَقِّي: أَخْذُ الشَّيْءِ مِنْ يَدِ مُعْطِيهِ. اسْتُعِيرَ لِتَسْجِيلِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ حِينَ صُدُورِهَا مِنَ النَّاسِ.

وَحُذِفَ مَفْعُولُ **﴿يَتَلَقَّى﴾** لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** . وَالتَّقْدِير: إِذْ تُحْصَى أَقْوَالُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ. فَيُؤْخَذُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يُحْصِيَانِ أَعْمَالَهُ وَأَنَّ أَحَدَهُمَا يَكُونُ مِنْ جِهَةِ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ مِنْ جِهَةِ شِمَالِهِ. وَوَرَدَ فِي السُّنَّةِ بِأَسَانِيدَ مَقْبُولَةٍ: أَنَّ الَّذِي يكون عَنِ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ وَالَّذِي عَنِ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ ، وَوَرَدَ أَنَّهُمَا يُلَازِمَانِ الْإِنْسَانَ مِنْ وَقْتِ تَكْلِيفِهِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ.

وَقَوْلُهُ: **﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾** يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ **﴿قَعِيْدٌ﴾** بدَلًا مِنَ الْمُتَلَقِّيَانِ بَدَلَ بَعْضٍ، و**﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾** مُتَعَلِّقٌ بِـ **﴿قَعِيْدٌ﴾** ، وَقُدِّمَ عَلَى مُتَعَلِّقِهِ لِلِاهْتِمَامِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِحَاطَةِ بِجَانِبَيْهِ وَلِلرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ **﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾** خَبَرًا مُقَدَّمًا، و**﴿قَعِيْدٌ﴾** مُبْتَدَأً وَتَكُونُ الْجُمْلَةُ بيَانًا لِجُمْلَةِ **﴿يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ﴾** .

وَعُطِفَ قَوْلُهُ: **﴿وَعَنِ الشِّمَالِ﴾** عَلَى جُمْلَةِ **﴿يَتَلَقَّى﴾** وَلَيْسَ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: **﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾** لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ الْقَعِيدَ قَعِيدٌ فِي الْجِهَتَيْنِ، بَلْ كُلٌّ مِنَ الْجِهَتَيْنِ قَعِيدٌ مُسْتَقِلٌّ بِهَا. وَالتَّقْدِيرُ: عَنِ الْيَمِينِ قَعِيدٌ، وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ آخَرُ. وَالتَّعْرِيفُ فِي الْيَمِينِ والشِّمالِ تَعْرِيفُ الْعَهْدِ أَوِ اللَّامُ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَيْ عَنْ يَمِينِ الْإِنْسَانِ وَعَنْ شِمَالِهِ.

وَالْقَعِيدُ: الْمُقَاعِدُ مِثْلُ الْجَلِيسِ لِلْمُجَالِسِ، وَالْأَكِيلِ لِلْمُؤَاكِلِ، وَالشَّرِيبِ لِلْمُشَارِبِ، وَالْخَلِيطُ لِلْمُخَالِطِ. وَالْغَالِبُ فِي فَعِيلٍ أَنْ يَكُونَ إِمَّا بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَإِمَّا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْمُفَاعَلَةِ مَعْنَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مَعًا، جَازَ مَجِيءُ فَعِيلٍ مِنْهُ بِأَحَدِ الِاعْتِبَارَيْنِ تَعْوِيلًا عَلَى الْقَرِينَةِ، وَلِذَلِكَ قَالُوا لِامْرَأَةِ الرَّجُلِ قَعِيدَتُهُ. وَالْقَعِيدُ مُسْتَعَارٌ لِلْمُلَازِمِ الَّذِي لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ كَمَا أَطْلَقُوا الْقَعِيدَ عَلَى الْحَافِظِ لِأَنَّهُ يُلَازِمُ الشَّيْءَ الْمُوَكَّلَ بِحِفْظِهِ " .

وقال تعالى : **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** [الانفطار:١٠-١٢] . فالملائكة يكتبون ويسجِّلون ...أخرج البخاري (٤/ ١١١برقم ٣٢٠٨) بسنده عن عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً

مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ " .

كما أخرج البخاري (١/ ١٥٩ برقم ٧٩٩) بسنده عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، قَالَ: " كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ "، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ» .

والكاتبون دقيقون في كتابتهم لأعمال بني آدم ... فلا يغفلون عن شيء ممَّا يفعله المُكَلَّفون ، وهم يكتبون حتَّى الذَّرَّة ... قال تعالى : **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة:٧-٨] ، وقال تعالى : **﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا مالِ هذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** [الكهف:٤٩] .

وروى الطَّبراني في المعجم الأوسط (٦/ ١٨٣ برقم ٦١٣٣) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جِيءَ بِالْأَعْمَالِ فِي صُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اقْبَلُوا هَذَا وَدَعُوا هَذَا، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: وَعِزَّتِكَ مَا كَتَبْنَا إِلَّا مَا عَمِلَ قَالَ: صَدَقْتُمْ، إِنَّ عَمَلَهُ كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي، فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ إِلَّا مَا كَانَ لِوَجْهِي» . قال الهيثمي في "مجمع الزَّوائد" (١٠/ ٣٥٠) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادَيْنِ، وَرِجَالُ أَحَدِهِمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَرَوَاهُ الْبَزَّارُ .

قال الإمامُ اللقَّانيُّ في جوهرة التَّوحيد :

بِكلِّ عَبْدٍ حافظونَ وُكِّلُوا   وكاتِبونَ خِيَرَةٌ لَنْ يُهْمِلوا
مِنْ أَمْرِهِ شَيْئاً فَعَلْ ولو ذَهِلْ   حتى الأنِينَ في المرَضْ كما نُقِلْ

قال الإمام الباجوري في " شرح جوهرة التَّوحيد " (ص٣٤٥-٣٤٧) شارحاً هذين البيتين : " بكلِّ عبد حافظون وكِّلوا : وَكَلَ الله تعالى بكلِّ عبد ملائكة حافظين سوى المَلَائِكَة الكاتبين، فهم يحفظونه من المضارّ، فيلازمونه على كلِّ حال، بخلاف الكتبة، فإنَّهم يفارقونه عند ثلاث مواطن، عند قضاء الحاجة، وعند الجماع، وعند الغسل ولا يمنع ذلك من كتب ما يصدر من العبد في هذه المواطن، إذ يجعل الله تعالى أمارة على ما بدر منه قولاً كان أو فعلاً أو اعتقاداً وبخلاف ملائكة الرَّحمة فإنَّهم لا يدخلون البيت الذي فيه كلب أو جرس أو صورة. وللجنِّ حافظون كما للإنس، واختلف في عدد الحافظين ومكانهم، لكنَّه لَّما لم يرد

نصٌّ قاطع في هذا كان الإمساك أولىٰ . وحفظهم للعبد إنَّما هو من القضاء المعلَّق أمَّا المبرم فلا بدَّ من إنفاذه، فإنَّهم يتنحَّون عنه حتىٰ ينفذ أمر الله، قال سبحانه: **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾**

.

– وكاتبون خيرة لن يهملوا: تكلَّم ثمَّة عن الحافظين، وهنا يتكلَّم عن الكاتبين، وهما مَلَكان كلٌّ منهما رقيب وعتيد، لا يتغيَّران ما دام حيَّاً ، فإذا ما مات قاما علىٰ قبره يسبِّحان ويهلِّلان ويكبِّران ويكتبان ثوابه إلىٰ يوم القيامة إن كان مؤمناً، ويلعنانه إن كان كافراً ، وقيل: هم أربعة، مَلَكَان في اليوم، ومَلَكَان في الليلة، يؤرِّخون ما يكتبون من أعمال العباد في الزَّمان والمكان، ومَلَك الحسنات من ناحية اليمين والسَّيِّئات من ناحية اليسار والكتابة حق يكفر منكرها، ودليلها قوله تعالىٰ: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِين، كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** ، وهي بأدوات لا يعلمها إلَّا الله تعالىٰ حملاً للنُّصوص علىٰ ظواهرها خلافاً لمن أوَّل بأنَّ الكتابة كناية عن الحفظ والعلم، والتَّفويض في هذا المقام أولىٰ. وقد اعتمد بعضهم أنَّ المباح لا يكتب وهذه الكتابة لا تقع علىٰ حاجة دعت إليها، وإنَّما فائدتها أنَّ العبد إذا علم بها استحيىٰ وترك المعصية، والله أعلم. وقد اختلف في مكانهما، والحاصل من الخلاف أنَّهما لا يلزمان محلاً واحداً .

مِنْ أَمْرِهِ شَيْئَاً فَعَلْ ولو ذَهِلْ حتىٰ الأَنِينَ في المَرَضْ كما نُقِلْ

من أمره شيئاً فعل: أي لم يهمل المَلَائِكَة الكاتبون من أمر العبد شيئاً ، والأمر يشمل القول وغيره.

– ولو ذهل: الذُّهول عن الشَّيء نسيانه والغفلة عنه فيكتب ما فعله العبد ناسياً وإن كان لا يؤاخذ به لأنَّه ليس الغرض من الكتابة المعاقبة ولا الإثابة كما سلف.

– حتىٰ الأنين في المرض كما نقل: أي فيكتبون حتىٰ الأنين الصَّادر منه في حال المرض... وقد نقل أئمَّة الدِّين وعلماء المسلمين ومن أعظمهم الإمام مالك أنَّ المَلَائِكَة تكتب كلَّ شيء حتىٰ الأنين في المرض متمسِّكين بقوله تعالىٰ: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** فلفظة **﴿قَوْلٍ﴾** جاءت نكره في سياق النَّفي لذا اقتضت العموم " .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن سالم السَّفاريني الحنبلي في " لوامع الأنوار البهيَّة وسواطع الأسرار الأثريَّة لشرح الدرَّة المضيَّة في عقد الفرقة المرضيَّة " (١/ ٤٥٠) : " اخْتُلِفَ فِيمَا يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَا

يَكْتُبَانِ إِلَّا مَا يُؤْجَرُ عَلَيْهِ، أَوْ يُوزَرُ عَلَيْهِ. انْتَهَى. وَظَاهِرُ النَّصِّ أَنَّهُمَا يَكْتُبَانِ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ، أَوْ شَرٍّ، أَوْ غَيْرِهِمَا، قَوْلًا كَانَ أَوْ عَمَلًا أَوِ اعْتِقَادًا، هَمًّا كَانَتْ أَوْ عَزْمًا أَوْ تَقْرِيرًا، فَلَا يُهْمِلَانِ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ شَيْئًا فِي كُلِّ حَالٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: يَكْتُبَانِ عَلَيْهِ حَتَّى أَنِينَهُ فِي مَرَضِهِ. فَقَوْلُهُ تَعَالَى : **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾** [ق: ١٨] أَيْ عِنْدَهُ رَقِيبٌ أَيْ حَافِظٌ يَرْقُبُ أَعْمَالَهُ وَيَحْفَظُهَا عَتِيدٌ أَيْ حَاضِرٌ مَعَهُ أَيْنَ مَا كَانَ. قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: يَكْتُبَانِ عَلَى الْعَبْدِ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَنِينَهُ فِي مَرَضِهِ - كَقَوْلِ مُجَاهِدٍ - مُحْتَجًّا بِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾** [ق: ١٨] فَإِفَادَةُ الْعُمُومِ بِطَرِيقِ وُقُوعِ النَّكِرَةِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ ..." .

وأضاف الإمام السَّفاريني (١/ ٤٥٢) قائلاً : " قَوْلُهُ فِي الْخَبَرِ: حَتَّى أَنِينَهُ فِي مَرَضِهِ، رُبَّمَا أَشْعَرَ بِأَنَّهُ مِمَّا يَكْتُبُهُ كَاتِبُ السَّيِّئَاتِ ؛ لِأَنَّهُ يَكْتُبُ كُلَّ مَا أَهْمَلَ كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ، وَيَدُلُّ لَهُ قَوْلُ عُلَمَائِنَا يُكْرَهُ الْأَنِينُ، قَالَ فِي الْفُرُوعِ: عَلَى الْأَصَحِّ لِأَنَّهُ يُتَرْجِمُ عَنِ الشَّكْوَى، مَا لَمْ يَغْلِبْهُ، مَعَ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ " «الْمَرِيضُ أَنِينُهُ تَسْبِيحٌ وَصِيَاحُهُ تَكْبِيرٌ، وَنَفَسُهُ صَدَقَةٌ، وَنَوْمُهُ عِبَادَةٌ، وَتَقَلُّبٌ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» " لَكِنْ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: إِنَّهُ لَيْسَ بِثَابِتٍ. وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الزُّهْدِ عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَنِينُ الْمَرِيضِ شَكْوَى. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ: وَقَدْ جَزَمَ أَبُو الطَّيِّبِ ابْنُ الصَّبَّاغِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّ أَنِينَ الْمَرِيضِ مَكْرُوهٌ، وَتَأَوُّهَهُ مَكْرُوهٌ. وَتَعَقَّبَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فَقَالَ: هَذَا ضَعِيفٌ، أَوْ بَاطِلٌ، فَإِنَّ الْمَكْرُوهَ مَا ثَبَتَ فِيهِ نَهْيٌ مَقْصُودٌ، وَهَذَا لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: فَلَعَلَّهُمْ أَرَادُوا بِالْكَرَاهِيَةِ خِلَافَ الْأَوْلَى، فَإِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ اشْتِغَالَهُ بِالذِّكْرِ أَوْلَى. انْتَهَى.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: وَلَعَلَّهُمْ أَخَذُوهُ بِالْمَعْنَى مِنْ كَوْنِ كَثْرَةِ الشَّكْوَى تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْيَقِينِ، وَتُشْعِرُ بِالتَّسَخُّطِ لِلْقَضَاءِ وَتُورِثُ شَمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ. انْتَهَى" .

(٤) **السَّفَرَة** : قال تعالى : **﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾** [عبس: ١٦] قال الطَّبري في التَّفسير (٢٤/ ١٠٩) : " قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: **﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾** [عبس: ١٦] قَالَ: السَّفَرَةُ: الَّذِينَ يُحْصُونَ الْأَعْمَالَ وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَسْفِرُونَ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ بِالْوَحْيِ. وَسَفِيرُ الْقَوْمِ: الَّذِي يَسْعَى بَيْنَهُمْ بِالصُّلْحِ، يُقَالُ: سَفَرْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ: إِذَا أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي ... وَمَا أَمْشِي بِغِشٍّ إِذْ مَشَيْتُ

وَإِذَا وُجِّهَ ٱلتَّأْوِيلِ إِلَىٰ مَا قُلْنَا، احْتَمَلَ ٱلْوَجْهُ ٱلَّذِي قَالَهُ ٱلْقَائِلُونَ هُمُ ٱلْكَتَبَةُ، وَالَّذِي قَالَهُ ٱلْقَائِلُونَ هُمُ ٱلْقُرَّاءُ، لِأَنَّ المَلَائِكَة هِيَ الَّتِي تَقْرَأُ ٱلْكُتُبَ، وَتَسْفِرُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ رُسُلِهِ " .

(٥) السَّيَّارَةُ السَّيَّاحُوْن : الذي يطوفون في الطُّرقات يلتمسون أهل الذِّكر ... فقد ثبت في الأحاديث الصَّحيحة عن الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المَلَائِكَة تحضر مجالس الذِّكر ويحفُّونهم بأجنحتهم ... روىٰ البخاري (٨/ ٨٦ برقم ٦٤٠٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ للهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ " قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ: " يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ: " فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ " قَالَ: " يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَجُوْزُ تَسْمِيَةُ المَلَائِكَةِ بِالرُّوْحَانِيِّيْن ؟

الجواب : روىٰ الآجري في "الشَّريعة" (٤/ ١٧٧٩ برقم ١٢٣٨) ، والبيهقي في " شُعب الإيمان" (٥/ ٢٧٨ برقم ٣٤٢٢) ، "فضائل الأوقات" (ص٢٥٣ برقم ١١٠) ، وابن بطَّة في "الإبانة الكبرىٰ" (٨/ ٤٠٢ برقم٨٤) بسندهم عَن الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " لَأَنَا حَرَّضْتُ عُمَرَ رَحِمَهُ اللهُ ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، أَخْبَرْتُهُ أَنَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَظِيرَةً؛ يُقَالُ لَهَا: حَظِيرَةُ الْقُدُسِ ، فِيهَا قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ: الرُّوحُ ، فَإِذَا جَاءَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي النُّزُولِ إِلَىٰ الدُّنْيَا ، فَلَا يَمُرُّونَ بِأَحَدٍ يُصَلِّي ، أَوْ

يَسْتَقْبِلُونَهُ فِي طَرِيقٍ إِلَّا أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ بَرَكَةٌ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِذَنْ ، وَاللهِ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، نَعْرِضُ النَّاسَ لِلْبَرَكَةِ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ " .

وجاء في رواية أخرىٰ عند البيهقي في " الشُّعب " (٥/ ٢٧٩ برقم ٣٤٢٣) عَنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: " أَنَا وَاللهِ، حَرَّضْتُ عُمَرَ عَلَىٰ قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ " فَقِيلَ: وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: " أَخْبَرْتُهُ أَنَّ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَظِيرَةً، يُقَالُ: لَهَا حَظِيرَةُ الْقُدُسِ، فِيهَا مَلَائِكَةٌ يُقَالُ لَهُمْ: الرَّوحَانِيُّونَ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ اسْتَأْذَنُوا الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ النُّزُولَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَيَأْذَنُ لَهُمْ فَلَا يَمُرُّونَ بِمَسْجِدٍ يُصَلَّىٰ فِيهِ، وَلَا يَسْتَقْبِلُونَ أَحَدًا فِي طَرِيقٍ إِلَّا دَعَوْا لَهُ فَأَصَابَهُ مِنْهُمْ " قَالَ عُمَرُ: أَفَلَا نُعَرِّفُ النَّاسَ بِالْخَيْرِ فَأَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: " هَذَا حَدِيثٌ فِيهِ عُبَيْدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعَطَّارُ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، وَهُوَ إِنْ صَحَّ مَعَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ فَفِيهِمَا إِخْبَارٌ عَنْ نُزُولِ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْلِيمِهِمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَدُعَائِهِمْ لَهُمْ وَفِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ بَيَانُ نُزُولِهِمْ وَتَسْلِيمِهِمْ، جَعَلَنَا اللهُ مِمَّنْ يُصِيبُهُ بَرَكَاتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، وَدَعَوَاتِ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْلِيمِهِمْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَجُوزُ التَّسْمِيَةُ بِأَسْمَاءِ المَلَائِكَة ؟

الجواب : قال الإمام أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي في " البيان والتَّحصيل والشَّرح والتَّوجيه والتَّعليل لمسائل المستخرجة" (١٨/ ٥٩-٦٠) : " في التَّسمِّي بجبريل : وسُئل مالك عن الرَّجل يسمّىٰ جبريل، فكره ذلك ولم يعجبه وقال: **﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾** [آل عمران: ٦٨] وهذه الأمَّة الذين اتَّبعوه .

قال محمَّد بن رشد: إنَّما كره أن يسمّىٰ الرَّجل جبريل لأنَّ جبريل هو الرُّوح الأمين الرَّسول من عند الله بالوحي إلىٰ الأنبياء - عَلَيْهِمْ السَّلَامُ - فإذا تسمَّىٰ الرَّجل بجبريل كان سبباً إلىٰ أن يقول الرَّجل: جاءني جبريل ورأيت جبريل وأشار عليَّ جبريل برأي كذا في كذا، وهذا من الكلام الذي يستشنع سماعه" .

وقال الإمام النَّووي في " المجموع " (٨/ ٤٣٦) : " مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ جَوَازُ التَّسْمِيَةِ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَلَمْ يُنْقَلْ فِيهِ خِلَافٌ إِلَّا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَهَىٰ عَنْ التَّسْمِيَةِ بِأَسْمَاءِ الأنبياء وعن الحرد بن مسكن أَنَّهُ كَرِهَ التَّسْمِيَةَ بِأَسْمَاءِ المَلَائِكَة وَعَنْ مَالِكٍ كَرَاهَةُ التَّسْمِيَةِ بِجِبْرِيلَ وَيَاسِينَ . دَلِيلُنَا تَسْمِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ وَسَمَّىٰ خَلَائِقُ مِنْ أَصْحَابِهِ

بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَهُ مَعَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَلَمْ يَثْبُتْ نَهْيٌ فِي ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُكْرَهْ" .

وقال الإمام الفتُّوحي الحنبلي في " معونة أولي النُّهى شرح المنتهى " (٤/٣١٣) : " و (لا) يكره أن يسمَّى (بأسماء الأنبياء والملائكة). قال ابن عبد البر: قال ابن قاسم: قال مالك: سمعت أهل مكَّة يقولون: ما من أهل بيت فيهم اسم محمَّد إلَّا رُزقوا، ورزق خيراً . أمَّا أسماء الأنبياء؛ فلا يُكره أن يسمَّى بها وفاقاً . وأمَّا أسماء المَلَائِكَة فكَرِه مالك أن يسمَّى بجبريل وياسين . والمذهب: لا يُكره أن يسمَّى بمثل ذلك " .

وقال الإمام البهوتي الحنبلي في " كشاف القناع عن متن الإقناع " (٣/٢٧) : " (وَلَا يُكْرَهُ) أَنْ يُسَمَّى (بِجِبْرِيلَ) وَنَحْوِهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَلَائِكَة (وَيَاسِين) قُلْت: وَمِثْلُهُ طَه، خِلَافًا لِمَالِكٍ فَقَدْ كَرِهَ التَّسْمِيَةَ بِهِمَا " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " تحفة المودود بأحكام المولود " (ص١١٩-١٢٠) : " ... وَمِنْهَا كأسماء الْمَلَائِكَة كجبرائيل وَمِيكَائِيل وإسرافيل ، فَإِنَّهُ يكره تَسْمِيَة الْآدَمِيّين بهَا . قَالَ أَشهب : سُئِلَ مَالك عَن التَّسمِّي بِجِبْرِيل فكره ذَلِك وَلم يُعجبهُ . وَقَالَ القَاضِي عِيَاض : قد استظهر بعض الْعلمَاء التَّسمِّي بأسماء الْمَلَائِكَة ، وَهُوَ قَول الْحَارِث بن مِسْكين ، قَالَ : وَكره مَالك التَّسمِّي بِجِبْرِيل وَيَاسِين وأباح ذَلِك غَيره ، قَالَ عبد الرَّزَّاق فِي الْجَامِع عَن معمر قَالَ : قلت لحمَّاد بن أبي سُلَيْمَان : كَيفَ تَقول فِي رجل تسمَّى بِجِبْرِيل وَمِيكَائِيل ، فَقَالَ : لَا بَأْس بِهِ .

قَالَ البُخَارِيّ فِي تَارِيخه (٥/ ٣٥) : قَالَ أَحْمد بن الْحَارِث : حَدثنَا أَبُو قَتَادَة الشَّامي لَيْسَ بالحراني مَاتَ سنة أَربع وَسِتِّينَ وَمِائَة : حَدثنَا عبد الله بن جَراد ، قَالَ : صحبني رجل من مزينة فَأتى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنا مَعَه ، فَقَالَ : يَا رَسُول الله وُلد لي مَوْلُود فَمَا خير الْأَسْمَاء ؟ قَالَ : إِنَّ خير الْأَسْمَاء لكم الْحَارِث وَهَمَّام وَنعم الِاسْم عبد الله وَعبد الرَّحْمَن ، وتسمّوا بأسماء الْأَنْبِيَاء وَلَا تسمّوا بأسماء الْمَلَائِكَة ، قَالَ : وباسمك ، قَالَ : وباسمي ، وَلَا تكنوا بكنيتي . وَقَالَ الْبَيْهَقِيّ : قَالَ البُخَارِيّ فِي غير هَذِه الرِّوَايَة : فِي إِسْنَاده نظر " .

قلت : والرِّواية ذكرها الإمام في ابن عساكر في" تاريخ دمشق " (٢٧/ ٢٤٢) ...

وقال الإمام الخطيب الشَّربيني في " مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج" (٦/ ١٤١) : " وَلَا تُكْرَهُ التَّسْمِيَةُ بِأَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَيس وَطَه" .

وجاء في " الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة " (١١/ ٣٣٤-٣٣٥) : " التَّسْمِيَةُ بِأَسْمَاءِ الْمَلاَئِكَةِ :

ذَهَبَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ التَّسْمِيَةَ بِأَسْمَاءِ الْمَلاَئِكَةِ كَجِبْرِيل وَمِيكَائِيل لاَ تُكْرَهُ.

وَذَهَبَ مَالِكٌ إِلَى كَرَاهَةِ التَّسْمِيَةِ بِذَلِكَ، قَال أَشْهَبُ: سُئِل مَالِكٌ عَنِ التَّسَمِّي بِجِبْرِيل، فَكَرِهَ ذَلِكَ وَلَمْ يُعْجِبْهُ. وَقَال الْقَاضِي عِيَاضٌ: قَدِ اسْتَظْهَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ التَّسَمِّيَ بِأَسْمَاءِ الْمَلاَئِكَةِ، وَهُوَ قَوْل الْحَارِثِ بْنِ مِسْكِينٍ، وَأَبَاحَ ذَلِكَ غَيْرُهُ " .

والخلاصة ... أنَّه يجوز التَّسمِّي بأسماء الملائكة ، ولا شيء في ذلك ، فالأصلُ في الأشياء وفي الأفعال الإباحة، ولا دليل يمنع من التَّسمِّي بأسماء الملائكة، والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلائِكَةُ يُرَوْن ؟

الجواب : من المعلوم أنَّ الله تعالى أعطى الملائكة القدرة على التَّشَكُّل بغير صورتهم الملائكيَّة الحقيقيَّة ... وقد ذكر القرآن العظيم أنَّ الملائكة الأبرار تشكَّلوا بالصُّورة البشريَّة غير مرَّة ...

قال تعالى : **﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾** [هود:٧٧] .

وقال تعالى : **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾** [مريم:١٦-١٩] .

وقال تعالى : **﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ . فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾** [الذاريات:٢٤-٢٨] .

وروى مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٦ برقم ٢٧٥٠) بسنده عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ الله فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَمَا

ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

ومن الأدلَّة على جواز رؤيتهم ما رواه مسلم (١/٥٤٨ برقم ٧٩٦) بسنده عَنْ يَزِيدُ بْنُ الْهَادِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ خَبَّابٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ» .

كما جاء في السُّنَّة المُطهَّرة أنَّ الملائكة تشكَّلوا في الصُّورة البشريَّة في حديث عمر المشهور ، وكذا في قصَّة المَلَك اختبر الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل ، ورأى الثَّلاثةُ المَلَكَ بصورته البشريَّة ... وغير ذلك ، وسيأتي ...

فالملائكة إذا كانوا على الصُّورة البشريَّة أمكن رؤيتهم ، ورؤيتهم غير مقصورة على المؤمنين بل يراهم غيرهم من الكفَّار والمنافقين ، كما حدث مع قوم لوط ...

أمَّا في الصُّورة الملائكيَّة فمن المستحيل رؤيتهم لغير الأنبياء ... وقد ثبت في الصَّحيح – كما سيأتي – أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشاهد جبريل بصورته الملكيَّة سوى مرَّتين اثنتين فقط...

قال الإمام ابن تيمية في " منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة القدريَّة " (٢/٣٣٣) : " ... وَلِهَذَا كَانَ الْبَشَرُ يَعْجِزُونَ عَنْ رُؤْيَةِ الْمَلَكِ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَنْ أَيَّدَهُ اللهُ، كَمَا أَيَّدَ نَبِيَّنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ – وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [سُورَةُ : ٨-٩] ، قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: هُمْ لَا يُطِيقُونَ أَنْ يَرَوُا المَلَك فِي صُورَتِهِ، فَلَوْ أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ فِي صُورَةِ بَشَرٍ، وَحِينَئِذٍ كَانَ يُشْتَبَهُ عَلَيْهِمْ هَلْ هُوَ مَلَكٌ أَوْ بَشَرٌ، فَمَا كَانُوا يَنْتَفِعُونَ بِإِرْسَالِ المَلَك إِلَيْهِمْ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ بَشَرًا مِنْ جِنْسِهِمْ يُمْكِنُهُمْ رُؤْيَتُهُ وَالتَّلَقِّي عَنْهُ، وَكَانَ هَذَا مِنْ تَمَامِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ وَالرَّحْمَ " .

وقال الدُّكتور عمر الأشقر وهو يتكلَّم عن بشريَّة الرُّسل في كتابه " الرُّسل والرِّسالات " (٧٢ - ٧٣) : " الرَّابع : صعوبة رؤية الملائكة ، فالكفَّار عندما يقترحون رؤية الملائكة ، وأن يكون الرُّسل إليهم ملائكة ، لا يدركون طبيعة الملائكة ، ولا يعلمون مدىٰ المشقَّة والعناء الذي سيلحق بهم من جرَّاء ذلك .

فالاتِّصال بالملائكة ورؤيتهم أمر ليس بسهل ، فالرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كونه أفضل الخلق ، وهو علىٰ جانب عظيم من القوَّة الجسميَّة والنَّفسيَّة عندما رأىٰ جبريل علىٰ صورته أصابه هول عظيم ورجع إلىٰ منزله يرجف فؤاده ، وقد كان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعاني من اتِّصال الوحي به شدَّة ، ولذلك قال في الرَّدِّ عليهم : **﴿يومَ يروْنَ الملائكةَ لا بُشرى يومئذٍ للمُجرمين﴾** [الفرقان:٢٢] ، ذلك أنَّ الكفَّار لا يرون الملائكة إلَّا حين الموت أو حين نزول العذاب ، فلو قُدِّر أنَّهم رأوا الملائكة لكان ذلك اليوم يوم هلاكهم .

فكان إرسال الرُّسل من البشر ضروريَّاً كي يتمكَّنوا من مخاطبتهم ، والفقه عنهم ، والفهم منهم ، ولو بعث الله رسله إليهم من الملائكة لما أمكنهم ذلك **﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلاَّ أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً * قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾**

[الإسراء:٩٤- ٩٥] ، فلو كان سكَّان الأرض ملائكة لأرسل الله إليهم رسولاً من جنسهم ، أما وأنَّ الذين يسكنون الأرض بشر فرحمة الله وحكمته تقتضي أن يكون رسولهم من جنسهم **﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** [آل عمران:١٦٤] .

وإذا كان البشر لا يستطيعون رؤية الملائكة والتَّلقِّي عنهم بيسر وسهولة فيقتضي هذا – لو شاء الله أن يرسل مَلكاً رسولاً إلىٰ البشر – أن يجعله رجلاً **﴿وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾**

[الأنعام:٩] . فالله يُخبر أنَّه لو بعث رسولاً ملكيَّاً ، لكان على هيئة رجل ، ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس الأمر عليهم .

والتباس الأمر عليهم بسبب كونه في صورة رجل ، فلا يستطيعون أن يتحقَّقوا من كونه ملكاً ، وإذا كان الأمر كذلك فلا فائدة من إرسال الرُّسل من الملائكة على هذا النَّحو ، بل إرسالهم من الملائكة على هذا النَّحو لا يحقِّق الغرض المطلوب ، لكون الرَّسول المَلَك لا يستطيع أن يحسّ بإحساس البشر وعواطفهم وانفعالاتهم وإن تشكَّل بأشكالهم " .

وقال الدُّكتور نوح القضاة مفتي المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة في "فتاوى الحياة العامَّة" (فتوى رقم/ ٦٩) : " السُّؤال : هل يُمكن رؤية أو سبق رؤية الملائكة على صورتهم الأصليَّة لغير الرُّسل عليهم السَّلام؟

الجواب : الملائكة مخلوقون من نور، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ﴾** رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ فَقُلْتُ ، وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لاَ أَرَى" متَّفق عليه، وقال الله تعالى عن مريم عليها السلام: **﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾** [مريم:١٧] ، وفي الأحاديث الصَّحيحة أنَّ جبريل عليه السَّلام كان يأتي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هيئة دحية الكلبي، وعلى هيئة رجل لا يعرفه أحد.

كلُّ هذا يدلُّ على أنَّ الملائكة لا يستطيع البشر رؤيتهم على صورتهم التي خُلقوا عليها، فإذا ادَّعى إنسان أنَّه رآهم على صورتهم الحقيقيَّة وكان إنساناً صالحاً صادقاً فوَّضنا أمره إلى الله تعالى؛ لأنَّ هذا لا يتعلَّق به حكم شرعي " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُمْكِنُ رُؤيَةَ المَلَائِكَةِ فِي المَنَام ؟

الجواب : نعم ... لكن بصورتهم البشريَّة ... روى البخاري (٢/ ٤٩ برقم ١١٢١) بسنده عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا، فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي المَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهَّ

مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا " .

فالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرَّ عبد الله بن عمر على رؤيته للمَلَكَيْن في المنام ، وعبَّر رؤياه بما عاد بالخير عليه حيث تنبَّه أنَّ قيام الليل مِمَّا يُتَّقى به النَّار ، قال الإمام أحمد بن عمر القرطبي في " المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١٣٦/٢٠) : " وإنَّما فَهِمَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رؤية عبدالله للنَّار ، أنَّه ممدوحٌ ؛ لأنَّه عُرض على النَّار ، ثمَّ عُفي منها ، وقيل له : لا روع عليك ، وهذا إنَّما هو لصلاحه ، وما هو عليه من الخير ، غير أنَّه لم يكن يقوم من الليل ؛ إذ لو كان ذلك ما عرض على النَّار ولا رآها ، ثمَّ إنَّه حصل لعبدالله رضي الله عنه من تلك الرُّؤية يقين مشاهدة النَّار والاحتراز منها ، والتَّنبيه على أنَّ قيام الليل مِمَّا يُتَّقى به النَّار ، ولذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك ، رضي الله عنه " .

قال الإمام عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النَّابلسي في " تعطير الأنام في تعبير المنام " (٣١٨/١) : " (ومن رأى) الملائكة يسلِّمون عليه آتاه الله بصيرة في حياته ، وختم له بخير ، وإذا رأى الكافر أنَّ الملائكة يصلُّون عليه ويستغفرون له أسلم . وربَّما دلَّت رؤية الملائكة على الشُّهود ، وربَّما دلَّت رؤيتهم على الأمناء وأصحاب الشّرط ورُسل أُولي الأمر ، وملائكة العذاب إذا رآهم دخلوا على الميِّت ولم يخف منهم دلَّ على الأمن من حيث يخاف خصوصاً إن كان مسافراً ، فإنَّه يأمن من قطَّاع الطَّريق ، فإن سلَّموا عليه أو لقَّنوه حجَّته أو وعدوه بخير فبشارة له ببلوغ أمله وأمنه وعزّه وغناه وفرحه وطيبة قلبه ، وإن رآهم مفزعين له غضاباً وضربوه بالمقامع أو أزعجوه ربَّما ارتدَّ عن دينه أو عاد إلى معصية أو أسخط والديه أو ترك ما أوجبه الله عليه . وتدلُّ رؤيتهم على رُسل المَلَك أو نائبه أو الحاكم ، فإن أخبر الميت أنَّهم لم يدخلوا عليه دلَّ ذلك على حُسن سيرته وقبول طاعته وحسن عاقبته ، وإن كان عليه دَّين برئت ذمَّته منه ، وربَّما دلَّت رؤيتهم على عافية المريض ، وربَّما دلَّت رؤيتهم على التَّراجمة العرَّافين بلغات النَّاس ، فإنَّهم يسألون كلَّ أحد على حسبه بلغته ... " .

﴿سُؤال﴾ : أَيْنَ تَسْكُنِ المَلاَئِكَة ؟

الجواب : الملائكة تسكن السَّماء ولا تنزلُ منها إلَّا بأمر الله تبارك وتعالى ... فإذا صدر إليهم الأمر الإلهي بالنُّزول إلى الأرض نزلوا لتنفيذ ما أُمروا به ، ويدلُّ عليه قول الله تعالى: **﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾**

[النجم:٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل:٢] ، وقوله تعالى : ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر:٨] ، وقوله تعالى : ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء:٩٥] .

وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٦-١٧] ، قال الإمام النَّسفي في " مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل " (٤/ ٢٢٤) : " لأنَّها إذا انشقَّت وهي مسكن الملائكة فيلجؤن إلى أطرافها " .

وقال الإمام أبو حيَّان في " البحر المحيط في التَّفسير " (١٠/ ٢٥٩) : " وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: يَعْنِي أَنَّهَا تَنْشَقُّ، وَهِيَ مَسْكَنُ الْمَلَائِكَةِ، فَيَنْضَوُونَ إِلَى أَطْرَافِهَا وَمَا حَوْلَهَا مِنْ حَافَّاتِها " .

وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦-١٧] ، قال الإمام القشيري في " لطائف الإشارات" (٣/ ٦١٤) : " ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أراد بهم الملائكة الذين يسكنون السَّماء، فهم موكَّلون بالعذاب" .

قال الإمام الزَّمخشري في " الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل" (٤/ ٥٨٥) : " ﴿مَن فِي السَّمَاء﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من ملكوته في السَّماء ؛ لأنَّها مسكن ملائكته وثمَّ عرشه وكرسيّه واللوح المحفوظ ، ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه .

والثَّاني : أنَّهم كانوا يعتقدون التَّشبيه ، وأنَّه في السَّماء ، وأنَّ الرَّحمة والعذاب ينزلان منه ، وكانوا يدعونه من جهتها ، فقيل لهم على حسب اعتقادهم : أأمنتم من تزعمون أنَّه في السَّماء ، وهو متعال عن المكان أن يعذِّبكم بخسف أو بحاصب " .

وقال الإمام أبو حيَّان الأندلسي في " البحر المحيط في التَّفسير " (١٠/ ٢٢٦-٢٢٧) : " ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ : هَذَا مَجَازٌ، وَقَدْ قَامَ الْبُرْهَانُ الْعَقْلِيُّ على أن تَعَالَى لَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ فِي جِهَةٍ، وَمَجَازُهُ أَنَّ مَلَكُوتَهُ فِي السَّمَاءِ لِأَنَّ فِي السَّمَاءِ هُوَ صِلَةُ مَنْ، فَفِيهِ الضَّمِيرُ الَّذِي كَانَ فِي الْعَامِلِ فِيهِ، وَهُوَ اسْتَقَرَّ، أَيْ مَنْ فِي السَّمَاءِ هُوَ، أَيْ مَلَكُوتُهُ، فَهُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَمَلَكُوتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. لَكِنْ خَصَّ السَّمَاءَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا مَسْكَنُ مَلَائِكَتِهِ وَثَمَّ عَرْشُهُ وَكُرْسِيُّهُ وَاللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَمِنْهَا تَنْزِلُ قَضَايَاهُ وَكُتُبُهُ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، أَوْ جَاءَ هَذَا عَلَى طَرِيقِ اعْتِقَادِهِمْ، إِذْ

كَانُوا مُشَبِّهَةً، فَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ: أَأَمِنْتُمْ مَنْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ؟ وَهُوَ الْمُتَعَالِي عَنِ الْمَكَانِ. وَقِيلَ: مَنْ عَلَىٰ حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ خَالِقُ مَنْ فِي السَّمَاءِ.

وَقِيلَ: مَنْ هُمُ الْمَلَائِكَةُ. وَقِيلَ: جِبْرِيلُ، وَهُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْخَسْفِ وَغَيْرِهُ. وَقِيلَ: مَنْ بِمَعْنَىٰ عَلَىٰ، وَيُرَادُ بِالْعُلُوِّ الْقَهْرُ وَالْقُدْرَةُ لَا بِالْمَكَانِ، وَفِي التَّحْرِيرِ: الْإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَىٰ الِاسْتِقْرَارِ، لِأَنَّ مَنْ قَالَ مِنَ الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ أَنَّهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ لَا يَقُولُ بِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ" .

وقال الإيجي الإمام في " تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن " (٤/ ٣٦٣) : " **﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾** : جوانبها جمع رجا بالقصر يعني أنها تنشق، وهي مسكن الملائكة، فيأوون إلىٰ ما حولها من حافاتها " .

فالملائكة هم سُكَّان السَّماء ... وقد روىٰ البخاري (٤/ ١١٢ برقم ٣٢١٨) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ: «أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟» ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: **﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾** [مريم: ٦٤] الآيَةَ .

وروىٰ البخاريُّ أيضاً (١/ ١٥٦ برقم ٧٨١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتِ المَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

وروىٰ محمَّد بن نصر المروزي في " تعظيم قدر الصَّلاة " (١/ ٢٦٠ برقم ٢٥٤) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: " إِنَّ مِنَ السَّمَوَاتِ سَمَاءً مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ أَوْ قَدَمَاهُ قَائِمًا، ثُمَّ قَرَأَ **﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾** [الصافات: ١٦٦] " .

وروىٰ التِّرمذيُّ (٤/ ١٣٤ برقم ٢٣١٢) بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ اللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ " . قال التِّرمذي : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ " .

وروىٰ ابن أبي عاصم في " الآحاد والمثاني " (١/ ٤٢٢ برقم ٥٩٧) ومحمَّد بن نصر بن الحجَّاج المَرْوَزِي " تعظيم قدر الصَّلاة" (١/ ٢٥٨ برقم ٢٥٠) والطَّحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٣/ ١٦٧برقم ١١٣٤) والطَّبراني

في "المعجم الكبير" (٣/ ٢٠١ برقم ٣١٢٢) وأبو الشَّيخ في " العظمة" (٣/ ٩٨٦ برقم ٩٠٥) وأبو نعيم الأصبهاني في " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (٢/ ٢١٧) بسندهم عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ» " .

﴿سُؤالٌ ﴾ : مَاذَا عَنْ نُزُوْلِ المَلَائِكَةِ فِيْ لَيْلَةِ القَدْرِ ؟

الجواب : ذكرنا في جواب السُّؤال السَّابق أنَّ السَّماء مسكن الملائكة الأكرمين ... وفي ليلة القدْر المباركة تنزل الملائكة بشكل كبير من السَّماء إلى الأرض من مبدئها إلى طلوع الفجر ، قال تعالى : **﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَما أَدْراكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾** [القدر:١-٤] .

قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير الكبير " (٣٢/ ٢٣٣-٢٣٤) : " **الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ**: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ﴾** يَقْتَضِي ظَاهِرُهُ نُزُولَ كُلِّ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ كَثْرَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تَحْتَمِلُ كُلَّهُمُ الْأَرْضُ، فَلِهَذَا السَّبَبِ اخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهَا تَنْزِلُ بِأَسْرِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنْ قِيلَ الْإِشْكَالُ بَعْدُ بَاقٍ لِأَنَّ السَّمَاءَ مَمْلُوءَةٌ بِحَيْثُ لَا يوجد فِيهَا مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ، فَكَيْفَ تَسَعُ الْجَمِيعَ سَمَاءٌ وَاحِدَةٌ؟ قُلْنَا: يُقْضَى بِعُمُومِ الْكِتَابِ عَلَى خَبَرِ الْوَاحِدِ، كَيْفَ وَالْمَرْوِيُّ أَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ فَوْجًا فَوْجًا فَمِنْ نَازِلٍ وَصَاعِدٍ كَأَهْلِ الْحَجِّ فَإِنَّهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ يَدْخُلُونَ الْكَعْبَةَ بِالْكُلِّيَّةِ لَكِنَّ النَّاسَ بَيْنَ دَاخِلٍ وَخَارِجٍ، وَلِهَذَا السَّبَبِ مُدَّتْ إِلَى غَايَةِ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَلِذَلِكَ ذُكِرَ بِلَفْظِ: تَنَزَّلُ الَّذِي يُفِيدُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: وَهُوَ اخْتِيَارُ الْأَكْثَرِينَ أَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ الْأَوْجَهُ، لِأَنَّ الْغَرَضَ هُوَ التَّرْغِيبُ فِي إِحْيَاءِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَلِأَنَّهُ دَلَّتِ الْأَحَادِيثُ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَنْزِلُونَ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ إِلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالدِّينِ، فَلِأَنْ يَحْصُلَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَعَ عُلُوِّ شَأْنِهَا أَوْلَى، وَلِأَنَّ النُّزُولَ الْمُطْلَقَ لَا يُفِيدُ إِلَّا النُّزُولَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ اخْتَلَفَ مَنْ قَالَ: يَنْزِلُونَ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: قَالَ بَعْضُهُمْ: يَنْزِلُونَ لِيَرَوْا عِبَادَةَ الْبَشَرِ وَجِدَّهُمْ وَاجْتِهَادَهُمْ فِي الطَّاعَةِ .

وَثَانِيهَا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالُوا: **﴿وَما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾** [مَرْيَم: ٦٤] فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِذَلِكَ النُّزول فلا يدلُّ علىٰ غاية المحبَّة.

وَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ وَهُوَ قَوْلُهُ: **﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾** فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمُ اسْتَأْذَنُوا أَوَّلًا فَأُذِنُوا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ غَايَةِ الْمَحَبَّةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْغَبُونَ إِلَيْنَا وَيَتَمَنَّوْنَ لِقَاءَنَا لَكِنْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ الْإِذْنَ، فَإِنْ قِيلَ قَوْلُهُ: **﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾** [الصَّافَّات: ١٦٥] يُنَافِي قَوْلَهُ: تَنَزُّلُ الْمَلَائِكَةُ قُلْنَا نَصْرِفُ الْحَالَتَيْنِ إِلَىٰ زَمَانَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ .

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ تَعَالَىٰ وَعَدَ فِي الْآخِرَةِ أَنَّ الْمَلَائِكَةُ: **﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾** [الرَّعْد: ٢٣-٢٤] فَهَهُنَا فِي الدُّنْيَا إِنِ اشْتَغَلْتَ بِعِبَادَتِي نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْكَ حَتَّىٰ يَدْخُلُوا عَلَيْكَ لِلتَّسَلُّمِ وَالزِّيَارَةِ.

رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ لِيُسَلِّمُوا عَلَيْنَا وَلِيَشْفَعُوا لَنَا فَمَنْ أَصَابَتْهُ التَّسْلِيمَةُ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ».

وَرَابِعُهَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ فَضِيلَةَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي الِاشْتِغَالِ بِطَاعَتِهِ فِي الْأَرْضِ فَهُمْ يَنْزِلُونَ إِلَىٰ الْأَرْضِ لِتَصِيرَ طَاعَاتُهُمْ أَكْثَرَ ثَوَابًا، كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ يَذْهَبُ إِلَىٰ مَكَّةَ لِتَصِيرَ طَاعَتُهُ هُنَاكَ أَكْثَرَ ثَوَابًا، وَكُلُّ ذَلِكَ تَرْغِيبٌ لِلْإِنْسَانِ فِي الطَّاعَةِ .

وَخَامِسُهَا: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْتِي بِالطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ عِنْدَ حُضُورِ الْأَكَابِرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالزُّهَّادِ أَحْسَنَ مِمَّا يَكُونُ فِي الْخَلْوَةِ، فَاللهُ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ حَتَّىٰ أَنَّ الْمُكَلَّفَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَأْتِي بِالطَّاعَاتِ فِي حُضُورِ أُولَئِكَ الْعُلَمَاءِ الْعُبَّادِ الزُّهَّادِ فَيَكُونُ أَتَمَّ وَعَنِ النُّقْصَانِ أَبْعَدَ .

وَسَادِسُهَا: أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ خَصَّ لَفْظَ الْمَلَائِكَةِ بِبَعْضِ فِرَقِ الْمَلَائِكَةِ، عَنْ كَعْبٍ أَنَّ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ عَلَىٰ حَدِّ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِمَّا يَلِي الْجَنَّةَ، فَهِيَ عَلَىٰ حَدِّ هَوَاءِ الدُّنْيَا وَهَوَاءِ الْآخِرَةِ، وَسَاقُهَا فِي الْجَنَّةِ وَأَغْصَانُهَا تَحْتَ الْكُرْسِيِّ فِيهَا مَلَائِكَةٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ يَعْبُدُونَ اللهَ وَمَقَامُ جِبْرِيلَ فِي وَسَطِهَا، لَيْسَ فِيهَا مَلَكٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْزِلُونَ مَعَ جِبْرِيلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَلَا تَبْقَىٰ بُقْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَعَلَيْهَا مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ يَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَجِبْرِيلُ لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا صَافَحَهُمْ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ مَنِ اقْشَعَرَّ جِلْدُهُ وَرَقَّ قَلْبُهُ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ مُصَافَحَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَنْ قَالَ فِيهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ غُفِرَ لَهُ بِوَاحِدَةٍ، وَنَجَّاهُ مِنَ النَّارِ بِوَاحِدَةٍ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِوَاحِدَةٍ، وَأَوَّلُ مَنْ يَصْعَدُ جِبْرِيلُ حَتَّىٰ يَصِيرَ أَمَامَ الشَّمْسِ فَيَبْسُطُ جَنَاحَيْنِ أَخْضَرَيْنِ لَا يَنْشُرُهُمَا إِلَّا تلك السَّاعة من يوم تِلْكَ اللَّيْلَةِ ثُمَّ يَدْعُو مَلَكًا مَلَكًا، فَيَصْعَدُ الْكُلُّ وَيَجْتَمِعُ نُورُ الْمَلَائِكَةِ وَنُورُ جَنَاحِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُقِيمُ جِبْرِيلُ وَمَنْ

مَعَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَسَمَاءِ الدُّنْيَا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ مَشْغُولِينَ بِالدُّعَاءِ وَالرَّحْمَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلِمَنْ صَامَ رَمَضَانَ احْتِسَابًا، فَإِذَا أَمْسَوْا دَخَلُوا سَمَاءَ الدُّنْيَا فَيَجْلِسُونَ حِلَقًا حِلَقًا فَتُجْمَعُ إِلَيْهِمْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ فَيَسْأَلُونَهُمْ عَنْ رَجُلٍ رَجُلٍ وَعَنِ امْرَأَةٍ امْرَأَةٍ، حَتَّى يَقُولُوا: مَا فَعَلَ فُلَانٌ وَكَيْفَ وَجَدْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: وَجَدْنَاهُ عَامَ أَوَّلٍ مُتَعَبِّدًا، وَفِي هَذَا الْعَامِ مُبْتَدِعًا، وَفُلَانٌ كَانَ عَامَ أَوَّلٍ مُبْتَدِعًا، وَهَذَا الْعَامَ مُتَعَبِّدًا، فَيَكُفُّونَ عَنِ الدُّعَاءِ لِلْأَوَّلِ، وَيَشْتَغِلُونَ بِالدُّعَاءِ لِلثَّانِي، وَوَجَدْنَا فُلَانًا تَالِيًا، وَفُلَانًا رَاكِعًا، وَفُلَانًا سَاجِدًا، فَهُمْ كَذَلِكَ يَوْمَهُمْ وَلَيْلَتَهُمْ حَتَّى يَصْعَدُوا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ وَهَكَذَا يَفْعَلُونَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى السِّدْرَةِ فَتَقُولُ لَهُمُ السِّدْرَةُ: يَا سُكَّانِي حَدِّثُونِي عَنِ النَّاسِ فَإِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَإِنِّي أُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، فَذَكَرَ كَعْبٌ أَنَّهُمْ يَعُدُّونَ لَهَا الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، ثُمَّ يَصِلُ ذَلِكَ الْخَبَرُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَتَقُولُ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ عَجِّلْهُمْ إِلَيَّ، وَالْمَلَائِكَةُ، وَأَهْلُ السِّدْرَةِ يَقُولُونَ: آمِينَ آمِينَ، إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ، كُلَّمَا كَانَ الْجَمْعُ أَعْظَمَ، كَانَ نُزُولُ الرَّحْمَةِ هُنَاكَ أَكْثَرَ، ولذلك فإنَّ أعظم الجموع في موقف الْحَجِّ، لَا جَرَمَ كَانَ نُزُولُ الرَّحْمَةِ هُنَاكَ أَكْثَرَ، فَكَذَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَحْصُلُ مَجْمَعُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فَلَا جَرَمَ كَانَ نُزُولُ الرَّحْمَةِ أَكْثَرَ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: ذَكَرُوا فِي الرُّوحِ أَقْوَالًا :

أحدها: أنَّه مَلَكٌ عظيم، لو التقم السَّموات وَالْأَرَضِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ لُقْمَةً وَاحِدَةً .

وَثَانِيهَا: طَائِفَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَرَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، كَالزُّهَّادِ الَّذِينَ لَا نَرَاهُمْ إِلَّا يَوْمَ الْعِيدِ .

وَثَالِثُهَا: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَأْكُلُونَ وَيَلْبَسُونَ لَيْسُوا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَا مِنَ الْإِنْسِ، وَلَعَلَّهُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ

وَرَابِعُهَا: يُحْتَمَلُ أَنَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ اسْمُهُ، ثُمَّ إِنَّهُ يَنْزِلُ فِي مُوَافَقَةِ الْمَلَائِكَةِ لِيَطَّلِعَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ الْقُرْآنِ: **﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا﴾** [الشُّورَىٰ: ٥٢] .

وَسَادِسُهَا: الرَّحْمَةُ قرئ: **﴿لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾** [يُوسُفَ: ٨٧] بِالرَّفْعِ كَأَنَّهُ تعالى يقول: الملائكة ينزلون رحمتي تَنْزِلُ فِي أَثَرِهِمْ فَيَجِدُونَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَسَعَادَةَ الْآخِرَةِ .

وَسَابِعُهَا: الرُّوحُ أَشْرَفُ الْمَلَائِكَةِ .

وَثَامِنُهَا: عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الرُّوحُ هُمُ الْحَفَظَةُ وَالْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ فَصَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ إِتْيَانَهُ بِالْوَاجِبِ، وَصَاحِبُ الشِّمَالِ يكتب تركه للقبيح، والأصح أن الروح هاهنا جِبْرِيلُ وَتَخْصِيصُهُ بِالذِّكْرِ لِزِيَادَةِ شَرَفِهِ كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ فِي كِفَّةٍ وَالرُّوحُ فِي كِفَّةٍ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : ما هو أثر الإيمان بالملائكة على النَّاس ؟

الجواب : للإيمانِ بالملائكة العديد من الآثار الطيِّبة في حياة الإنسان ، منها :

أَوَّلاً: استشعار مراقبة العبد لجلال الله وعظمته ومراقبته في السِّرِّ والعلن ، لأَنَّه يعلم أنَّ الملائكة الملازمون له يكتبون ويحصون عليه أقواله وأفعاله وسائر أحواله ، فيعمل الإنسان على ضبط أقواله وأعماله الحسِّيَّة والقلبيَّة ، لأَنَّه يعلم أنَّ عليه حفظة يُحصون عليه كلَّ صغيرة وكبيرة .

ثَانِيَاً : تفعيل وتذكية خُلُق الحياء عند الإنسان ، لأَنَّه يعلم أنَّ معه من الخلق من يرىٰ فِعله ويسمع قَوله .

ثَالِثَاً : الشُّعور بعظيم فضل الله تعالىٰ علىٰ الإنسان ، حيث وكل به من الملائكة من يقوم علىٰ حفظه من المكاره والشُّرور والشَّدائد وصروف الدَّهر ... فيبتعد عن الذُّنوب وسائر ألوان الفسق والفجور والنفاق كي لا يتعرَّضَ لِبُغْضِهم ولعْنِهم ومَقتِهم ...

رَابِعَاً : دفع الإنسان للتَّخَلُّق بأخلاق الملائكة ... فلا يشعر بالتَّعب ولا بالملل والسَّآمة وهو يؤدِّي الطَّاعة ، بل يؤدِّيها بشوق ورغبة واندفاع طمعاً في نيل المغفرة والثَّواب .

خَامِسَاً : دفع الإنسان للنِّظام والانتظام في سائر أحواله، لأَنَّه قام عنده الاعتقاد الجازم بما يتمتَّع به الملائكة من نظام في حياتهم ... فهم في عباداتهم منظَّمون ، يُتمُّون الصَّفَّ الأوَّل فالأوَّل ويتراصُّون في الصَّف ، وهم دقيقون في تنفيذ الأوامر الإلهيَّة ، فينفِّذونها من دون تأخير، وقد أمرنا الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاقتداء بهم ...

سَادِسَاً : تعميق عبادة الخوف من الله تعالىٰ ، لأنَّ الملائكة دائماً علىٰ خوف ووجل وإشفاق منه تعالىٰ ، وخوفهم من الله تعالىٰ نابع من عظيم معرفتهم به سبحانه وتعالىٰ ، فهم مع قُربهم من الله تعالىٰ حذرون ووجِلَون ، وهذه مدعاة لأن يخافه سائر النَّاس ...

سَابِعَاً : إذكاء نداء الخير في الإنسان ، حيث الملائكة يحثُّون الإنسان ويشجِّعونه علىٰ طاعة ربِّه وعلىٰ أداء الطَّاعات ، فيحضرون صلاته ، ويدعون له بالرَّحمة والمغفرة ، ويستغفرون له ...

ثَامِنَاً : الحرص علىٰ طلب محبَّة الملائكة ، من خلال التزام كل ما يُحبُّون من صنوف الطَّاعة كطَلَبُ العلمِ ، والتَّبكير يوم الجمعة إلىٰ المسجد ، والحرص علىٰ صلاة الجماعة ، وحضور مجالس الذِّكر ، والتَّسبيح

والتَّحميد ، والتَّكبير ، والصَّلاة ، والسُّجود ...والتي من شأنها تهذيب وتربية النَّفس البشريَّة ، بلزوم الطَّاعة ، والابتعاد عن سائر المعاصي ...

تَاسِعَاً : الحرص علىٰ عداوة الشَّيطان من خلال لزوم ما تحبُّه الملائكة ، وعدم الاستجابة لأوامر الشَّياطين وتوجيهاتهم ووسوساتهم ، التي من شأنها أن توقع بين النَّاس العداوة والبغضاء ، وشيوع الفواحش ما ظهر منها وما بطن ...

﴿ الفَصْلُ الثَّانِي ﴾

✪✪✪ صِفَاتُ المَلَائِكَةِ الخَلْقِيَّة ✪✪✪

من الثَّابت أنَّ الله تعالىٰ خلق الملائكة قبل خلقِه لآدم عليه السَّلام ، قال تعالىٰ : **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** [البقرة: ٣٠] ، وقد وضَّحت آياتُ الكتاب العزيز وكذا السُّنَّة المطهَّرة العديد من صفات الملائكة الخَلْقيَّة ، كعِظَم خَلْقهم ، وأنَّ لهم أجنحة؛ ولا يوصفون بالذُّكورة ولا بالأنوثة، وأنَّهم لا يأكلون ولا يشربون؛ وهم قادرون علىٰ التَّشكُّل بغير أشكالهم الحقيقيَّة ... ومن أجل الوقوف علىٰ الثَّابت من صفات الملائكة الخَلقيَّة ، كانت الأسئلة التَّالية :

﴿سُؤال﴾ : مِمَّ خُلِقَتِ المَلَائِكَة ؟

الجواب : جاء في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٤ برقم ٢٩٩٦) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَة مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» .

والحديث ذكر أنَّ الملائكة خُلقت من نور ، وأنَّ الجانّ خلق من نار ، أمَّا آدم فلم يبين فيه المادَّة التي خُلق منها ، وما ذلك إلَّا للاختصار ، لأنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتي جوامع الكلم ، قال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير" (٣/ ٤٥٠) : " قال ابن عربي: قال : " مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ " ، ولم يقل كما قال فيما قبله طلباً للاختصار ، فإنَّه أُوتي جوامع الكلم ، وهذا منها ، إذ الملائكة لم يختلف أصل خلقتها ولا الجانّ ، وأمَّا الإنسان فاختلف خلقه علىٰ أربعة أنواع ، فخلقُ آدم لا يشبه خلق حواء ، وخلق حواء لا يشبه خلق آدم ، وخلق عيسىٰ لا يشبه خلق الكل ، فأحال علىٰ ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان " .

وحقيقة هذا النُّور الذي خُلقت منه المَلَائِكَة لا يعلمه إلَّا الله تعالىٰ ، فهو غيبٌ من الغيبِ الذي لا يعلمه إلَّا هو سبحانه ، فلا يلزمنا البحث عنه ، مع اعتقادنا أنَّ هذا النُّور مخلوقٌ من مخلوقات الله تعالىٰ ...

وقد جاء في بعض الرِّوايات المُنكرة ما يوضِّح صفة هذا النُّور ... فقد روىٰ عبد الله بن أحمد في " السنَّة " (٢/ ١٢٠برقم ١١٧٥) ، وابن منده في الرَّد علىٰ الجهميَّة (ص٤٩ برقم ٣٣) والبيهقي في الأسماء والصِّفات بسندهم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ المَلَائِكَة مِنْ نُورِ الذِّرَاعَيْنِ وَالصَّدْرِ» . قال البيهقي في " الأسماء والصِّفات " (٢/ ١٧٨) بعد روايته للأثر : " هَذَا مَوْقُوفٌ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمْرٍو وَرَاوِيهِ رَجُلٌ غَيْرُ مُسَمًّىٰ، فَهُوَ مُنْقَطِعٌ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عُيَيْنَةَ رَوَاهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو وَقَدْ كَانَ يَنْظُرُ فِي كُتُبِ الْأَوَائِلِ، فَمَا لَا يَرْفَعُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا رَآهُ فِيمَا وَقَعَ بِيَدِهِ مِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ، ثُمَّ لَا يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ الصَّدْرُ وَالذِّرَاعَانِ مِنْ أَسْمَاءِ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَقَدْ وُجِدَ فِي النُّجُومِ مَا سُمِّيَ ذِرَاعَيْنِ " .

ومن المعلوم أنَّ عبدالله بن عمرو كان مشهوراً بالرِّواية عن كتب أهل الكتاب ، ومن الرَّاجح أن يكون هذا ممَّا تلقاه منهم ، قال الإمام مغلطاي في " إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال " (٨/ ٩٣) : " وذكر ابن فورك في كتابه : أنَّ عبد الله بن عمرو أصاب وسقين من الكتب يوم اليرموك فكانوا يقولون له إذا حدَّثهم : حدِّثنا ما سمعت من النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تحدِّثنا من وَسَقَيْك يوم اليرموك " ...

﴿سُؤال﴾: مَتَى خُلِقَتِ المَلَائِكَة ؟

الجواب : من المؤكَّد أنَّ المَلَائِكَة خلقوا قبل خلق آدم عليه السَّلام ، بدليل إخبار الله تعالىٰ للملائكة أنَّه سيخلقه وسيجعله خليفة في الأرض ،قال تعالىٰ : **﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**

قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] . والآية نصٌّ محكم دالٌّ علىٰ أنَّ المَلَائِكَة مخلوقون قبل خلق آدم عليه السلام ... أمَّا عن تحديد الزَّمن الذي خُلقت فيه المَلَائِكَة فهذا ممَّا لا سبيل إليه لأحد من الخلق ، فهو من الغيب الذي لا يعلمه إلَّا الله تعالىٰ ، ولا يوجد في الكتاب العزيز ولا في السُّنَّة المطهَّرة ما يدلُّ عليه ... لكنَّا نعلم أنَّهم في الخلق سابقون لخلق الإنس يقيناً لنصِّ القرآن علىٰ ذلك ...

وقد تكون المَلَائِكَة خُلقت قبل الجِن ... والدَّليل هو ما يُفيده التَّرتيب الحاصل في الحديث الذي رواه مسلم (٤/ ٢٢٩٤ برقم ٢٩٩٦) بسنده عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ المَلَائِكَة مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» .

وثبت في الصَّحيح أنَّ المَلَائِكَة عليهم السَّلام خُلقوا قبل خلق الجَنَّة ... فقد روىٰ أبو داود (٤/ ٢٣٦ برقم ٤٧٤٤) والتِّرمذيُّ (٤/ ٢٧٥ برقم ٢٥٦٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) والنَّسائي في " السُّنن الكبرىٰ" (٤/ ٤٣١ برقم ٤٦٨٤) والحاكم في " المستدرك علىٰ الصَّحيحين " (١/ ٧٩ برقم ٧٢) بسندهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ " قَالَ: " فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ الجِنَّ سَكَنَتِ الأَرْضَ قَبْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام فَافسَدُوا فِيْهَا فَأَرسَلَ اللهُ تَعَالَى لَهُم المَلَائِكَة فَأَجْلَتهُمْ إِلَى جُزُرِ البِحَار ؟

الجواب : قال الإمام البقاعي في " نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور " (١/ ٩٦) : " وما يقال من أنَّه كان قبل آدم عليه السَّلام في الأرض خلق يعصون قاس عليهم المَلَائِكَة عليهم السَّلام حال آدم عليه السَّلام ، كلام لا أصل له ، والذي يدلُّ عليه حديث مسلم هذا كما ترىٰ أنَّه أوَّل ساكني الأرض ؛ والذي

يلوح من اسمه في بدئه بالهمزة التي هي أوَّل الحروف وختمه بالميم التي هي آخرها وختامها أنَّه أوَّل ساكنيها بنفسه ، كما أنَّه خاتمهم بأولاده ، عليهم تقوم السَّاعة " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (١/٣٩٩) : " ... إِذَا صَحَّ أَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ مَعْمُورَةً مِنْ قَبْلُ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ يُسَمَّوْنَ الْحِنَّ وَالْبِنَّ- بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ مَكْسُورَةٍ وَنُونٍ فِي الْأَوَّلِ، وَبِمُوَحَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ وَنُونٍ فِي الثَّانِي- وَقِيلَ اسْمُهُمُ الطَّمُّ وَالرَّمُّ- بِفَتْحِ أَوَّلِهِمَا-، وَأَحْسَبُهُ مِنَ الْمَزَاعِمِ، وَأَنَّ وَضْعَ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ مِنْ بَابِ قَوْلِ النَّاسِ: هَيَّانُ بْنُ بَيَّانٍ إِشَارَةً إِلَى غَيْرِ مَوْجُودٍ أَوْ غَيْرِ مَعْرُوفٍ. وَلَعَلَّ هَذَا أَنْجَزُ لِأَهْلِ الْقَصَصِ مِنْ خُرَافَاتِ الْفُرْسِ أَوِ الْيُونَانِ فَإِنَّ الْفُرْسَ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ جِنْسٌ اسْمُهُ الطَّمُّ وَالرَّمُّ كَانَ الْيُونَانُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ مَعْمُورَةً بِمَخْلُوقَاتٍ تُدْعَى التِيتَانَ وَأَنَّ زُفَسَ وَهُوَ الْمُشْتَرِي كَبِيرُ الْأَرْبَابِ فِي اعْتِقَادِهِمْ جَلَّاهُمْ مِنَ الْأَرْضِ لِفَسَادِهِمْ. وَكُلُّ هَذَا يُنَافِيهِ سِيَاقُ الْآيَةِ فَإِنَّ تَعْقِيبَ ذِكْرِ خَلْقِ الْأَرْضِ ثُمَّ السَّمَاوَاتِ بِذِكْرِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى جَعْلَ الْخَلِيفَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ جَعْلَ الْخَلِيفَةِ كَانَ أَوَّلَ الْأَحْوَالِ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ خَلْقِهَا فَالْخَلِيفَةُ هُنَا الَّذِي يَخْلُفُ صَاحِبَ الشَّيْءِ فِي التَّصَرُّفِ فِي مَمْلُوكَاتِهِ وَلَا يَلْزَمُ أَن يكون المخلوف مُسْتَقِرًّا فِي الْمَكَانِ مِنْ قَبْلُ، فَالْخَلِيفَةُ آدَمُ وَخَلَفِيَّتُهُ قِيَامُهُ بِتَنْفِيذِ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى مِنْ تَعْمِيرِ الْأَرْضِ بِالْإِلْهَامِ أَوْ بِالْوَحْيِ وَتَلْقِينِ ذُرِّيَّتِهِ مُرَادَ اللهِ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ ".

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ المَلائِكَة أَجْسَامٌ أَو هُمْ أَرْوَاحٌ مُجَرَّدَة ؟

الجواب : المَلَائِكَة أجسام ، وليسوا أرواحاً مُجَرَّدة ، لكن لا طاقة لنا لرؤيتهم ، فقد يكونون بيننا ومن حولنا وقريبين منَّا ولكنَّا لا نراهم ...

وقد جاء في الأحاديث الصَّحيحة أنَّ جبريل جاء للنَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في بيت عائشة ولم تَرَهُ ... فقد روى البخاريُّ (٤/ ١١٢ برقم ٣٢١٧) ومسلم (٤/ ١٨٩٦ برقم ٢٤٤٧) بسندهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ» ، فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى، تُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى البخاري (٨/ ٤٧ برقم ٦٢١٤) بسنده عَنْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الوَحْيُ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَك

الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» . ومعلوم أنَّ القعود على الكرسي لا يكون إلَّا من جسم يتطلَّبُ ما تتطلَّبه الأجسام ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ المَلائِكَةُ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَى ؟

الجواب : قال الإمام ابن حجر الهيتمي في " الفتاوى الحديثيَّة" (ص١٩-٢٠) : " ... وَمن ذَلِك رُؤْيَتهمْ لَهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ لَا نعيم فَوق ذَلِك، وَأمَّا مَا وَقع فِي كَلَام بعض الْأَئِمَّة من أَن رُؤْيَة الله خَاصَّة بِمُؤْمِن الْبشر، وَأَن المَلَائِكَة لَا يرونه وَاحْتج لَهُ بقوله تَعَالَى: **﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾** [الأَنعَام: ١٠٣] فَإِنَّهُ عَام خص بِالْآيَةِ وَالْأَحَادِيث فِي الْمُؤمنِينَ فَبَقيَ على عُمُومه فِي المَلَائِكَة فَهُوَ مَرْدُود. وَمِمَّنْ نصَّ على خِلَافه الإِمَام الْبَيْهَقِيّ فَقَالَ فِي كتاب الرُّؤْيَة: بَاب مَا جَاءَ فِي رُؤْيَة المَلَائِكَة رَبهم. ثمَّ أخرج عَن عبد الله بن عَمْرو بن الْعَاصِ رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَ: "خلق الله المَلَائِكَة لعبادته أصنافاً وَإِن مِنْهُم مَلَائِكَة قيَاما صافين من يَوْم خلقهمْ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، وملائكة رُكُوعًا خشوعاً من يَوْم خلقهمْ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، وملائكة سجوداً من يَوْم خلقهمْ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، فَإِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة تجلَّى لَهُم تبَارك وَتَعَالَى ونظروا إِلَى وَجهه الْكَرِيم، قَالُوا: سُبْحَانَك مَا عَبَدْنَاك حقَّ عبادتك" (أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى(٧/ ٤٤ برقم ٣٣) .

ثمَّ أخرج الْبَيْهَقِيّ من وَجه آخر عَن عدي بن أَرْطَاة عَن رجل من الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم أَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً تَرْعَدُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ مَخَافَتِهِ، مَا مِنْهُمْ مَلَكٌ تَقْطُرُ دَمْعَتُهُ مِنْ عَيْنِهِ إِلَّا وَقَعَتْ مَلَكًا يُسَبِّحُ اللهَ، قَالَ: وَمَلَائِكَةٌ سُجُودٌ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ، وَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَرُكُوعٌ لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ، وَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَصُفُوفٌ لَمْ يَنْصَرِفُوا عَنْ مَصَافِّهِمْ، وَلَا يَنْصَرِفُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ قَالُوا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ كَمَا يَنْبَغِي لَكَ" (أخرجه ابن بطة في الإبانة (٧/ ٤٦ برقم ٣٤) ، أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٩٣ برقم ٥١٥) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧٩ برقم ٨٨٦) .

وقال في موضع آخر من" الفتاوى الحديثيَّة" (ص١٥٣) : " وَسُئِلَ نفع الله بِهِ: هَل الْمَلَائِكَة يرَوْنَ الله تَعَالَى؟ فَأجَاب بقوله: ذكر الشَّيْخ عز الدّين بن عبد السَّلَام أَنهم لَا يرونه، وَأطَال فِي ذَلِك الِاسْتِدْلَال لَهُ، وَتَبعهُ جمَاعَة ورد بِنَصّ أَمَام أهل السّنة الشَّيْخ أبي الْحسن الْأَشْعَرِيّ رَضِي الله عَنهُ على أَنهم يرونه ذكره فِي كِتَابه الْإِبَانَة فِي أصُول الدّيانَة، وَتَبعهُ الْبَيْهَقِيّ وَأخرجه بِسَنَدِهِ عَن عبد الله بن عَمْرو بن الْعَاصِ وَعَن صَحَابِيّ

غيره، وَجرىٰ عَلَيْهِ ابْن الْقيم، والجلال البُلْقِينِيّ، وَفِي حَدِيث صَححهُ الْحَاكِم أَن جِبْرِيل مَا رأىٰ ربه قطّ قبل سُجُود النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَين يَدي رَبًّا فِي الْموقف، وَلَا يلْزم مِنْهُ عدم رُؤْيَته بعد ذَلِك، وَلَا عدم رُؤْيَة غَيره من بَقِيَّة الْمَلَائِكَة وَالْقَوْل بتخصيص رُؤْيَة جِبْرِيل سَاقِط. قَالَ الْجلَال البُلْقِينِيّ: وَإِذا قَالَ ابْن عبد السَّلَام أَن الْمَلَائِكَة لَا يرَوْنَ، فالجن أولىٰ، وَقد يتَوَقَّف فِي الْأَوْلَوِيَّة لِأَن الْإِيمَان فِي عرف الشَّرْع يَشْمَل مؤمني الثقلَيْن، ثمَّ قرر ثُبُوت الرُّؤْيَة للْمَلَائكَة، ثمَّ قَالَ: وعَلىٰ مُقْتَضىٰ اسْتِدْلَال الْأَئِمَّة ثُبُوت الرُّؤْيَة لمؤمني الْجِنّ "

.

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ لِلمَلَائِكَةِ آذَانٌ وَأَيْد وَقُلُوْب ؟

الجواب : لا شكَّ في أنَّ للملَك آذان... فعَن جابر بن عَبد الله، عن النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال: " أُذِنَ لي أنْ أُحدِّثَ عَن مَلَكٍ مِنْ مَلائكةِ الله من حَمَلة العَرش: إنَّ ما بين شَحمةِ أذُنِه إلىٰ عاتِقِه مَسيرةُ سَبع مئةِ عام" أخرجه أبو داود (٧/ ١٠٩ برقم ٤٧٢٧، قال الأرنؤوط : إسناده جيِّد، كما قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ٨/ ٢٣٩، وصحَّحه الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٨/ ٦٦٥، والسيوطي في" الدر المنثور" ٧/ ٢٧٤) .

وهم أيدٍ كما قال الله تعالىٰ : **﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾** [الأنعام: ٩٣] ، وروىٰ مسلم (٤/ ٢١٠٦ برقم ٢٧٥٠) بسنده عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ : قال رَسُولُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلائِكَة عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

وهم قلوب كما قال الله تعالىٰ : **﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾** [سبأ: ٢٣] ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلَائِكَةُ يَسْمَعُوْن ؟

الجواب : نعم يسمعون ... فقد روىٰ البخاري (٢/ ٣ برقم ٨٨١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» .

وروى ابن حبَّان في الصَّحيح (١/ ٢٢٤ برقم ٣٧) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا فَيُصْعَقُونَ فَلا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ فَإِذَا جَاءَهُمْ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ فَيَقُولُونَ يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ ربك فيقول الحق فينادون" الحقّ الحقّ " .

وروى أحمد في المسند (١٣/ ٢٦ برقم ٧٥٨٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ يَعْقُوبُ أَبَا سَلَمَةَ، [قَالَ عَبْدُ الله بْنُ أَحْمَدَ] : قَالَ أَبِي: حَدَّثَنَاهُ يُونُسُ، عَنِ الْأَغَرِّ، وَأَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وَجَاءُوا فَاسْتَمَعُوا الذِّكْرَ " . قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند : " أسانيده صحاح " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ المَلَائِكَةُ يَتَكَلَّمُوْن ؟

الجواب : الملائكة يتكلَّمون ... وقد اشتمل الكتاب العزيز وكذا السُّنَّة المطهَّرة على ألوان عديدة من كلام المَلَائِكَة ، من ذلك :

أَوَّلَاً : كَلَامُهُم مَعَ الحَقِّ جَلَّ جَلَالُه :

قال تعالى : **﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** [البقرة:٣٠-٣٢] .

ثَانِياً : كَلَامُهُم مَعَ الأَنْبِيَاء :

قال تعالى : **﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَراغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قالُوا كَذلِكَ قالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾** [الذاريات:٢٤-٣٤]

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ * قالَتْ يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِّ رَحْمَتُ اللهِّ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ * وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يَا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَّ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ * قالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها مَا أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٦٩-٨٢] .

وقال تعالى : ﴿وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ * قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ * وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ * إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت:٣١-٣٤] .

ثالِثاً : كَلامُهُم مَعَ عباد الله الصَّالِحِيْن :

قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا * قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا * قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكانَ أَمْراً مَقْضِيًّا﴾ [مريم:١٦-٢١] .

رَابِعاً : كَلامُهُم مَعَ أَهْلِ الجَنَّة :

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٢-٢٤] .

وروى أحمد في " المسند " (١١/ ١٣١ برقم ٦٥٧٠) ، الطَّبري في "التَّفسير" (١٣/ ٥١٢) ، البغوي في "معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٣/ ٢٠) ، ابن كثير في " تفسير القرآن العظيم " (٤/ ٤٥٢) بسندهم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟ " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: " أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي ، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ": ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] " . قال الأرنؤوط : إسناده جيد .

وروى ابن المبارك في " الزُّهد" (٢/ ٦٨) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، فَقَالَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَكُونُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَعِنْدَهُ سِمَاطَانِ مِنْ خَدَمٍ، وَعِنْدَ طَرَفِ السِّمَاطَيْنِ بَابٌ مُبَوَّبٌ، فَيُقْبِلُ الْمَلَكُ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ يَسْتَأْذِنُ، فَيَقُومُ أَدْنَى الْخَدَمِ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ بِالْمَلَكِ يَسْتَأْذِنُ، فَيَقُولُ لِلَّذِي يَلِيهِ: هَذَا مَلَكٌ يَسْتَأْذِنُ، وَيَقُولُ لِلَّذِي يَلِيهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَقْصَاهُ الْمُؤْمِنَ، فَيَقُولُ: ائْذَنُوا لَهُ، فَيَقُولُ أَقْرَبُهُمْ إِلَى الْمُؤْمِنِ: ائْذَنُوا لَهُ، فَيَقُولُ الَّذِي يَلِيهِ لِلَّذِي يَلِيهِ، وَكَذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ أَقْصَاهُمُ الَّذِي عِنْدَ الْبَابِ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَدْخُلُ ، فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ " .

خَامِسَاً : كَلامُهُم مَعَ أَهْلِ النَّار :

قال تعالىٰ : ﴿وَقالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ * قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [غافر:٤٩-٥٠] .

وقال تعالىٰ : إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٧] .

سَادِسَاً : كَلَامُهُم مَعَ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي الصُّورَةِ البَشَرِيَّة :

ككلام سيِّدنا جبريل عليه السَّلام مع السيِّدة مريم ، وكلام المَلَك الذي اختبر الأقرع والأبرص والأعمىٰ ، وكلام المَلَك الذي أُرصد علىٰ مدرجة من ذهب لزيارة أخيه في الله ...

سَابِعَاً : كَلَامُهُم مَعَ المُحْتَضرِين :

روىٰ الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٣/ ٦٦٤) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قَالَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ شَهِدَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَبَشَّرُوهُ بِالْجَنَّةِ، فَإِذَا مَاتَ مَشَوْا فِي جِنَازَتِهِ، ثُمَّ صَلَّوْا عَلَيْهِ مَعَ النَّاسِ، فَإِذَا دُفِنَ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَسُولُكَ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا شَهَادَتُكَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَيُوَسَّعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه : " الرُّوح في الكلام علىٰ أرواح الأموات والأحياء بالدَّلائل من الكتاب والسُّنَّة " (ص٦٤-٦٥) : " الْأَمر الرَّابِع أَنَّ الله سُبْحَانَهُ جعل أَمر الآخِرَة وَمَا كَانَ مُتَّصِلا بهَا غيباً وحجبها عَن إِدْرَاك الْمُكَلّفين فِي هَذِه الدَّار ، وَذَلِكَ من كَمَال حكمته ، وليتميَّز الْمُؤمنُونَ بِالْغَيْبِ من غَيرهم ، فَأَوَّل ذَلِك أَنَّ الْمَلَائِكَة تنزل علىٰ المحتضر ، وتجلس قَرِيباً مِنْهُ ، ويشاهدهم عيَانًا ، وَيَتَحَدَّثُونَ عِنْده وَمَعَهُمْ الأكفان والحنوط ، إِمَّا من الْجنَّة وَإِمَّا من النَّار ، ويؤمِّنون علىٰ دُعَاء الْحَاضِرين بِالْخَيرِ وَالشَّر ، وَقد يسلِّمُونَ علىٰ المحتضر وَيردُّ عَلَيْهِم تارة بِلَفْظِهِ وتَارَة بإشارته وتارة بِقَلْبِه ، حَيْثُ لَا يتَمَكَّن من نطق وَلَا إِشَارَة ، وَقد سُمع بعض المحتضرين يَقُول : أَهلاً وسهلاً ومرحباً بِهَذِهِ الْوُجُوه .

وَأَخْبرنِي شَيخنَا عَن بعض المحتضرين ، فَلَا ادرىٰ أشاهده وَأخْبر عَنهُ ؟ أَنَّه سمع وَهُوَ يَقُول عَلَيْك السَّلَام هَا هُنَا فاجلس وَعَلَيْك السَّلَام هَا هُنَا فاجلس...

وأبلغ وأكفىٰ من ذَلِك كُله قَول الله عزَّ وَجلَّ : **﴿فَلَوْلا إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾** [الواقعة:٨٣-٨٥] ، أي : أقرب إِلَيْهِ بملائكتنا وَرُسُلنَا وَلَكِنَّكُمْ لَا ترونهم ، فَهَذَا أوَّل الْأَمر ، وَهُوَ غير مرئيّ لنا ، وَلَا مشَاهد وَهُوَ فِي هَذِه الدَّار ، ثمَّ يمدُّ المَلَك يَده إِلَىٰ الرُّوح فيقبضها ويخاطبها ، والحاضرون لَا يرونه وَلَا يسمعونه ، ثمَّ تخرج فَيخرج لَهَا نور مثل شُعَاع الشَّمْس ورائحة أطيب من رَائِحَة الْمسك ، والحاضرون لَا يرَوْنَ ذَلِك وَلَا يشمونه ، ثمَّ تصعد بَين سماطين من الْمَلَائِكَة والحاضرون لَا يرونهم " .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (٢٥٢/١) : " وربَّما كُشف للميت عن الأمر الملكوتي قبل أن يغرغر، فعاين الملائكة علىٰ حقيقة عمله، علىٰ ما يتحيَّزون إليه من عالمهم، فإن كان لسانه منطلقاً حدَّث بوجودهم" .

روىٰ ابن الجوزي في " الثَّبات عند الممات " (ص١٥٠) بسنده عَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ حَسَّانَ ، قَالَ : لَمَّا احْتُضِرَ عمر بن عبد العزيز ، قَالَ :

اخْرُجُوا عَنِّي فَلا يَبْقَىٰ أَحَدٌ فَخَرَجُوا فَقَعَدُوا عَلَىٰ الْبَابِ فَسَمِعُوهُ يَقُولُ : مَرْحَبًا بِهَذِهِ الْوُجُوهِ لَيْسَتْ بِوُجُوهِ إِنْسٍ وَلا جَانٍّ ثُمَّ قَالَ : **﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتقين﴾** [القصص:٨٣] ثُمَّ هُدِيَ الصَّوْتُ ، فَقَالَ مَسْلَمَةُ لِفَاطِمَةَ : قَدْ قُبِضَ صَاحِبُكِ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُبِضَ وَغُمِّضَ وَسُوِّيَ" .

وروىٰ أيضاً (ص١٥٤) بسنده الْحَسَنُ بْنُ حَيٍّ قَالَ لِي أَخِي عَلِيٌّ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا : اسْقِنِي مَاء ، وَكُنْتُ قَائِمًا أُصَلِّي ، فَلَمَّا قَضَيْتُ صَلاتِي أَتَيْتُهُ بِمَاءٍ ، فَقُلْتُ : يَا أَخِي هَذَا مَاءٌ ، قَالَ : قَدْ شَرِبْتُ السَّاعَةَ ، قُلْتُ : وَمَنْ سَقَاكَ وَلَيْسَ فِي الْغُرْفَةِ غَيْرِي وَغَيْرُكَ ، قَالَ : أَتَانِي جِبْرِيلُ السَّاعَةَ بِمَاءٍ فَسَقَانِي ، وَقَالَ لِي : أَنْتَ وَأَخُوكَ وَأَبُوكَ مِنَ **﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾** [النساء:٦٩] ، وَخرجت روحه " .

فالميِّتُ يرىٰ صورة ملك الموت وأعوانه من الملائكة ، وذكر أنَّه يرىٰ الملكين الحافظين ، قال الإمام الغزالي في " الإحياء " (٤٦٤/٤) : " ... ومنها مشاهدة الملكين الحافظين ، قال وهيب : بلغنا أنَّه ما من ميِّت يموت حتىٰ يتراءىٰ له ملكاه الكاتبان عمله ، فإن كان مطيعاً قالا له : جزاك الله عنَّا خيراً ، فرُبَّ مجلس صدق

أجلستنا ، وعمل صالح أحضرتنا ، وإن كان فاجراً قالا له : لا جزاك الله عنَّا خيراً ، فرُبَّ مجلس سوء أجلستنا ، وعمل غير صالح أحضرتنا ، وكلام قبيح أسمعتنا ، فلا جزاك الله عنَّا خيراً ، فذلك شخوص بصر الميِّت إليهما " .

فالمحتضر يرىٰ الملائكة ، وقد يكلمهم ويكلِّموه ، ويبشِّروه إمَّا بروْحٍ وريْحان وربٍّ راض غير غضبان ، أو بسخط وغضب الجبَّار جلَّ جلاله عليه ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بالقُرْبِ الوَارِدِ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [] ؟

الجواب : ذهب العديد من أهل العلم إلىٰ أنَّ المقصود بالآية هُم رُسُل الموت من الملائكة الذين يحضرون المحتضر لنزع روحه من جسده ، قال الإمام مكِّي بن أبي طالب في " الهداية إلىٰ بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره " (١١/ ٧٢٩٥) عند تفسيره للآية الكريمة : " أي : ورسلنا أقرب إلىٰ الميِّت منكم يقبضون روحه ، ولكن لا تبصرونهم ، وهذا كلّه جواب لمن ادَّعىٰ أنَّه يمتنع من الموت ويدفعه " .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير "(٤/ ٢٣٠) : **﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾** فيه قولان : أحدهما : ملك الموت أدنىٰ إليه من أهله ، **﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُوْنَ﴾** الملائكة ، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس ... " .

وقال الإمام الثَّعالبي في " الجواهر الحسان في تفسير القرآن" (٥/ ٣٧٣) : " أي : بالقدرة والعلم ، ولا قدرةَ لكم علىٰ دفع شيء عنه ، وقيل : المعنىٰ: وملائكتنا أقربُ إليه منكم ، ولكن لا تبصرونهم ، وعلىٰ التَّأويل الأَوَّل من البصر بالقلب " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " الروُّح "(ص٦٥) : " أي : أقرب إِلَيْهِ بملائكتنا وَرُسُلنَا ، وَلَكِنَّكُمْ لَا ترونهم فَهَذَا أول الْأَمر وَهُوَ غير مرئي لنا وَلَا مشَاهد وَهُوَ فِي هَذِه الدَّار " .

وقال الإمام مرعي بن يوسف الكرمىٰ في "أقاويل الثِّقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات" (ص١٠١) : " ... الْمُرَاد بِهِ قرب أعوان ملك الْمَوْت من المحتضر بِدَلِيل سِيَاق الْآيَة ، وَهُوَ قَوْله تَعَالَىٰ : **﴿فلولا إِذا بلغت الْحُلْقُوم * وَأَنْتُم حِينَئِذٍ تنْظرُون﴾** [الْوَاقِعَة : ٨٣ -٨٤] ، وَنحن ، أَي : ملائكتنا ، وَعبَّر بهم عَنهُ سُبْحَانَهُ لأَنَّهم رسله ومأموروه ..." .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ لِلْمَلَائِكَةِ أَجْنِحَة ؟

الجواب : قال الله تعالىٰ : ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١] .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٦/ ٥٣٢) : " وَقَوْلُهُ: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلا﴾ ، أَيْ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ، ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ ، أَيْ: يَطِيرُونَ بِهَا لِيُبَلِّغُوا مَا أُمِرُوا بِهِ سَرِيعًا ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ ، أَيْ: مِنْهُمْ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَلَهُ ستمائة جَنَاحٍ، بَيْنَ كُلِّ جَنَاحَيْنِ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . قَالَ السُّدِّيُّ: يَزِيدُ فِي الْأَجْنِحَةِ وَخَلْقِهِمْ مَا يَشَاءُ " .

فالملائكة لهم أجنحة، بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة وبعضهم له أربعة، وبعضهم له أكثر من ذلك ... فقد روىٰ مسلم بسنده عَنْ زِرِّ بْنَ حُبَيْشٍ، عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ» .

وروىٰ أحمد في المسند (٤٣/ ١٣٣ برقم٢٥٩٩٣) بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ يَا أَبَا عَائِشَةَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ سَأَلَ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: " ذَلِكَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ فِيهَا، إِلَّا مَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ، مَا بَيْنَ السَّمَاءِ . وَالْأَرْضِ " قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم" .

وروىٰ البخاري (٦/ ٨٠ برقم ٤٧٠١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَة بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَىٰ صَفْوَانٍ – قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ – فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ... " .

وروىٰ البخاري (٢/ ٧٢ برقم ١٢٤٤) بِسَنَدِهِ عَنْ شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَنْهَانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبْكِينَ أَوْ لاَ تَبْكِينَ مَا زَالَتِ المَلاَئِكَة تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّىٰ رَفَعْتُمُوهُ» .

وروى أحمد في المسند (٦/ ٢٩٤ برقم٣٧٤٨) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: " رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ ". والحديث جوَّد إسناده الحافظ ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (١/ ٤٦).

والملائكة تطير من مكان لآخر بأجنحتها ...فقد روى الطَّبراني في " المعجم الكبير" (١١/ ٣٦٢ برقم ١٢٠٢٠) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَوَضَعَ عَبْدَ اللهِ وَمُحَمَّدًا ابْنِي جَعْفَرٍ عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَشْهَدَ جَعْفَرًا، وَأَنَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ» ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ» . قال الهيثمي في "مجمع الزَّوائد " (٩/ ٢٧٣ برقم ١٥٤٩٧) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عُمَرُ بْنُ هَارُونَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَدْ وُثِّقَ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ" .

وروى الطَّبراني في " المعجم الكبير" (١٣/ ٧٧ برقم ١٩٠) بسنده عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَنِيئًا لَكَ يَا عَبْدَ اللهِ، أَبُوكَ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ» . قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/ ٢٧٣ برقم ١٥٤٩٨) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيَنزِلُ عِيْسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى جَنَاحَيْ مَلَكَينِ مِنَ المَلَائِكَة ؟

الجواب : روى مسلم في الصَّحيح (٤/ ٢٢٥٠ برقم ٢٩٣٧) بسنده عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ... إلى أن قال : فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ " .

﴿سُؤال﴾ : مَاذَا عَنْ طَبِيْعَةِ خَلْقِ حَمَلَةِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ ؟

الجواب : قال الله تعالى : **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** [الحاقة:١٣-١٧] . قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير "(٨/ ٢١٢) : " وَقَوْلُهُ: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** ، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ الْعَرْشَ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَذَا الْعَرْشِ الْعَرْشَ الْعَظِيمَ، أَوِ: الْعَرْشَ الَّذِي يُوضَعُ فِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ...

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ يحيى بن سَعِيدٍ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنِي أَبُو السَّمْحِ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو قَبيل حُيَي بْنُ هَانِئٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثَمَانِيَةٌ، مَا بَيْنَ مُوق أَحَدِهِمْ إِلَى مُؤَخَّرِ عَيْنِهِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيُّ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أذنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلة الْعَرْشِ: بُعْدُ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعُنُقِهِ بِخَفْقِ الطَّيْرِ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ"، وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ " ...

وجاء في الأحاديث الصَّحيحة ما يُخبر عن عِظَمِ خلق حَمَلَةِ عرش الرَّحمن جلَّ جلاله ، من ذلك :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ» أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٢ برقم ٤٧٢٧) ، الطبراني في "المعجم الأوسط" (٢/ ١٩٩ برقم ١٧٠٩) ، أبو الشَّيخ في "العظمة" (٣/٩٤٨ برقم ٤٧٦) ، البيهقي في "الأسماء والصِّفات" (٢/ ٢٨٤ برقم ٨٤٦) ، وذكره الهيثمي في "المجمع" (١/ ٨٠ برقم ٢٥٦) ، وقال : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ" .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ، وَالْعَرْشُ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ؟ وَأَيْنَ تَكُونُ؟ " أخرجه أبو يعلى في "المسند" (١١/ ٤٩٦ برقم٦٦١٩) ، وذكره الهيثمي في "المجمع" (١/ ٨٠) ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ ... والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُوْصَفُ المَلائِكَةُ بِالجَمَالِ ؟

الجواب : ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ المَلائِكَة موصوفين بالحُسن والجمال ... قال الإمامُ ابن كثير في " التَّفسير " (٧/ ٤٤٤) عند تفسير قول الله تعالى : **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾** [النجم : ٥ -٦] : " **﴿ذُو مِرَّةٍ﴾** ، أَيْ: ذُو قُوَّةٍ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذُو مَنْظَرٍ حَسَنٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ذُو خَلْق طَوِيلٍ حَسَنٍ.وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ؛ فَإِنَّهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذُو مَنْظَرٍ حَسَنٍ، وَقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ " .

ومن المعلوم أنَّ النَّاس اعتادوا علىٰ وصف الإنسان الجميل الخِلقة بأنَّهُ مَلَك ، والأنثىٰ الجميلة بأنَّها مَلكة جمال ، كما اعتادوا علىٰ وصف الإنسان القبيح بنقيض المَلَك وهو الشَّيطان ... يدلُّ علىٰ ذلك ما قالته النِّسوة اللاتي دعتهنَّ امرأة العزيز عن سيِّدنا يوسف عليه السَّلام عندما رأينه، قال تعالىٰ: **﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾** [يوسف: ٣١] . قال الإمام أبو الليث السَّمرقندي في "بحر العلوم " (٢/ ١٩٠- ١٩١) : " فلمَّا خرج يوسف إلىٰ النِّسوة غطَّىٰ وجهه فنظرن إليه **﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾** يقول: أعظمنه، أي: أعظمن شأنه، وتحيَّرن، وبقين مدهوشات طائرة عقولهنَّ، وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ يقول: حززن، وخدشن أيديهنَّ بالسَّكين، ولم يشعرن بذلك وَقُلْنَ حاشَ للهِ يعني: معاذ الله مَا هذا بَشَراً ... ومعناه: مَا هذا بَشَراً يعني: مثل هذا لا يكون آدميَّاً إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ يعني: علىٰ ربِّه. فإن قيل: إنَّهنَّ لم يرين الملك، فكيف شبَّهنه بشيء لم يرينه؟ قيل له: لأنَّ المعروف عند النَّاس، أنَّهم إذا وصفوا أحداً بالحسن، يقولون: هذا يشبه المَلَك، كما أنَّهم إذا وصفوا أحداً بالقُبح، يقولون: هو كالشَّيطان، وإن لم يروا الشَّيطان " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُوْصَفُ المَلَائِكَة بالذُّكُوَرَةِ أَو الأُنُوْثَة ؟

الجواب : المَلَائِكَة خلقٌ عظيمٌ من خلق الله تعالىٰ ، لا تُوصف بالذُّكورة ولا بالأُنوثة ، لأنَّهم لم يُخلقوا للتَّكاثر أو التَّناسُل ... قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٦/ ٣٠٦) : " وَذَكَرَ فِي رَبِيعِ الْأَبْرَارِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : المَلَائِكَة لَيْسُوا ذُكُورًا وَلَا إِنَاثًا ، وَلَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ ، وَلَا يَتَنَاكَحُونَ وَلَا يَتَوَالَدُونَ" .

ولفظ المَلَائِكَة ورد في القرآن بلفظ المؤنَّث ، كما ورد بلفظ المُذكَّر ، قال تعالىٰ : **﴿وَإِذْ قالَتِ المَلَائِكَة يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَّ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ﴾** [آل عمران:٤٢] ، وقال سبحانه : **﴿لكِنِ اللهَّ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفى بِاللهَّ شَهِيْداً﴾** [النساء:١٦٦] . وقد ردَّ الله تعالىٰ علىٰ المشركين الذين وصفوا المَلَائِكَة بأنَّهم إناثٌ ، فقال سبحانه : **﴿وَجَعَلُوا المَلَائِكَة الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾** [الزخرف:١٩] ، وقوله تعالىٰ : **﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾** توبيخ لهم لأنَّهم خاضوا فيما لا علم لهم به ، والله تبارك وتعالىٰ يقول: **﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾** ...

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٧/ ٤١-٤٢) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ مُنْكِرًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَعْلِهِمْ للهَّ الْبَنَاتِ، سُبْحَانَهُ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ، أَيْ: مِنَ الذُّكُورِ، أَيْ: يودّون لِأَنْفُسِهِمُ الْجَيِّدَ . **﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ**

بالأنثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النَّحل:٥٨] ، أَيْ: يَسُوءُهُ ذَلِكَ، وَلَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلَّا الْبَنِينَ. يَقُولُ تَعَالَى: فكَيْفَ نَسَبُوا إِلَى الله تَعَالَى الْقِسْمَ الَّذِي لَا يَخْتَارُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ؟ وَلِهَذَا قَالَ: **﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾** ، أَيْ: سَلْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ: **﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾** ، كَقَوْلِهِ: **﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنثى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾** [النَّجْم:٢١، ٢٢] .

وَقَوْلُهُ: **﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾** ، أَيْ: كَيْفَ حَكَمُوا عَلَى الْمَلَائِكَة أَنَّهُمْ إِنَاثٌ وَمَا شَاهَدُوا خَلْقَهُمْ؟ كَقَوْلِهِ: **﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾** [الزُّخْرُف:١٩] أَيْ: يُسْأَلُونَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَوْلُهُ: **﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ﴾** ، أَيْ: مِنْ كَذِبِهِمْ **﴿لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللهُ﴾** ، أَيْ: صَدَرَ مِنْهُ الْوَلَدُ **﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾** ، فَذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي الْمَلَائِكَة ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ فِي غَايَةِ الْكُفْرِ وَالْكَذِبِ، فَأَوَّلًا جَعَلُوهُمْ بَنَاتِ اللهِ، فَجَعَلُوا للهِ وَلَدًا. وَجَعَلُوا ذَلِكَ الْوَلَدَ أُنْثَى، ثُمَّ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ. وَكُلٌّ مِنْهَا كَافٍ فِي التَّخْلِيدِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

ثُمَّ قَالَ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ: **﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾** ، أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُهُ عَنْ أَنْ يَخْتَارَ الْبَنَاتِ دُونَ الْبَنِينَ؟ كَقَوْلِهِ: **﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَة إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا﴾** [الْإِسْرَاءِ:٤٠] ؛ وَلِهَذَا قَالَ: **﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** ، أَيْ: مَا لَكُمْ عُقُولٌ تَتَدَبَّرُونَ بِهَا مَا تَقُولُونَ؟ .

﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ. أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ، أَيْ: حُجَّةٌ عَلَى مَا تَقُولُونَهُ.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أَيْ: هَاتُوا بُرْهَانًا عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ مُسْتَنِدًا إِلَى كِتَابٍ مُنزل مِنَ السَّمَاءِ عَنِ اللهِ: أَنَّهُ اتَّخَذَ مَا تَقُولُونَهُ، فَإِنَّ مَا تَقُولُونَهُ لَا يُمْكِنُ اسْتِنَادُهُ إِلَى عَقْلٍ، بَلْ لَا يُجَوِّزُه الْعَقْلُ بِالْكُلِّيَّةِ" .

فعالم المَلَائِكَة الأبرار عالم غيبي ، لا يجوز لنا أن نصفهم بصفة لم ترد ، ولذا فالأسلم أن لا نصفهم لا بذكورة ولا بأنوثة ، لأنَّ الله تعالى وبَّخ وأنكر على من وصفهم بصفة الأنوثة ... ومن ثمَّ نصَّ العديد من أهل العلم على كُفر من قال بأُنوثة المَلَائِكَة ، لأنَّه بكلامه عارض صريح منطوق القرآن العظيم ...

هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى فإنَّ كلمة " ملائكة " في لغة العرب جمع تكسير ، وهو جمعٌ يكسرُ الكلمة ويغيِّر أصلها، على عكس جمعي المذكَّر والمؤنَّث السَّالمين ... ومن المعلوم أنَّ العرب اعتادوا في جمع التَّكسير على تأنيث الفعل وتذكيره ، فيقولون : يتقدَّم الحفَّاظ في حفظهم لكتاب الله ، وتتقدَّم الحفَّاظ في

حفظهم لكتاب الله ، ويقولون : جاء الطُّلَّاب ، وجاءت الطُّلَّاب ... فالتَّأنيث على تضمين معنى الجماعة ، والتَّذكير على تضمين معنى الجمع ... والله أعلم .

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ الشَّيخ ابن باز – غفر الله له – أقحمَ نفسه في هذه المسألة فوصف المَلَائِكَة بأنَّهم ذكور ... فقد جاء في " مجموع فتاوى ابن باز " (٨/ ٤٢٣-٤٢٤) : " حكم وصف الممرِّضات بملائكة الرَّحمة : س: سُؤال من: أ. أ. ع – من الدَّمَّام يقول: نقرأ ونسمع كثيراً من عامَّة النَّاس وكُتَّابهم وشعرائهم من يصف في كتابه أو شعره الممرِّضات بأنَّهنَّ ملائكة الرَّحمة؟ فما رأي سماحتكم في مثل هذا الوصف؟ وهل يجوز ذلك؟ أفتونا جزاكم الله خيراً. والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ج: هذا الوصف لا يجوز إطلاقه على الممرِّضات؛ لأنَّ المَلَائِكَة ذكور وليسوا إناثاً، وقد أنكر الله سبحانه على المشركين وصفهم المَلَائِكَة بالأنوثيَّة، ولأنَّ ملائكة الرَّحمة لهم وصفٌ خاصٌّ لا ينطبق على الممرِّضات، ولأنَّ الممرِّضات فيهنَّ الطيِّب والخبيث ، فلا يجوز إطلاق هذا الوصف عليهنَّ. والله الموفِّق " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ المَلَائِكَة يَأكُلُوْنَ وَيَشْرَبُوْن ؟

الجواب : جاءت الإشارة في القرآن الكريم إلى أنَّ المَلَائِكَة لا يأكلون ولا يشربون ... جاء ذلك فيما حكاه الله تعالى عن ضيف إبراهيم عليه السَّلام ، قال تعالى : **﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾** [الذاريات:٢٦-٢٨] ، وقال سبحانه : **﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾** [هود:٧٠] ، قال الإمام الطَّبري في تفسيره (١٢/ ٤٧٠) : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمَ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَى الْعِجْلِ الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ وَالطَّعَامِ الَّذِي قَدَّمَ إِلَيْهِمْ نَكِرَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدَّمَ طَعَامَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فِيمَا ذُكِرَ كَفُّوا عَنْ أَكْلِهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَأْكُلُهُ " .

وجاء في تفسير الإمام الرَّازي (١/ ٨٥) : " الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَة لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَلَا يَنْكِحُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ" .

وقال الإمـــــام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٩/ ٦٨) : " قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَلَمْ يَأْكُلُوا لِأَنَّ الْمَلَائِكَة لَا تَأْكُلُ " .

وقال الإمام ابن كثير في التَّفسير (٤/ ٣٣٣) : " وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ تَنكرهم، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا هِمَّةَ لَهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَلَا يَشْتَهُونَهُ وَلَا يَأْكُلُونَهُ " .

فالملائكة لا يحتاجون إلىٰ الطَّعام والشَّراب ولا إلىٰ سائر ما يحتاجه البشر من قضاء الحاجة والجِماع والنَّوم ... وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ الْمَلَائِكَة يَنَامُوْن ؟

الجواب : قال الإمام السُّيوطي في "الحبائك" (ص٢٦٤) : " مسألة: سُئلت قديماً عن الْمَلَائِكَة هَلْ ينامون؟ فأجبت: بأنِّي لم أرَ فيه نقلاً ، وظاهر قوله تعالىٰ: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] أنَّهم لا ينامون ، ثمَّ رأيته منقولاً في كلام الإمام فخر الدِّين " .

وجاء في تفسير ابن كثير (٥/ ٩٨) : " وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ عَسَاكِرَ ... حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالُوا: رَبَّنَا، خَلَقْتَنَا وَخَلَقْتَ بَنِي آدَمَ، فَجَعَلْتَهُمْ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُونَ الشَّرَابَ، وَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ، وَيَتَزَوَّجُونَ النِّسَاءَ، وَيَرْكَبُونَ الدَّوَابَّ، يَنَامُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ، وَلَمْ تَجْعَلْ لَنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَاجْعَلْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةَ. فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا أَجْعَلُ مَنْ خَلَقْتُهُ بِيَدِي، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ" .

قلت : يستدلُّ من قوله تعالىٰ : ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] علىٰ أنَّ الْمَلَائِكَة لا ينامون ، بل لا تعترضهم سائر العوارض التي تنتاب البشر ، من الطَّعام والشَّراب والنِّكاح والنَّوم ... لأنَّ طاعتهم جبليَّة مستمرَّة وفطريَّة ، فمن لازم ذلك أنَّهم لا ينامون ، والله أعلم ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ الْمَلَائِكَةُ يَمُوْتُوْن ؟

الجواب : روىٰ البخاري في الصَّحيح (٩/ ١١٧ برقم ٧٣٨٣) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ» . وقد فهم البعض من الحديث أنَّ غير الجنِّ والإنس لا يموتون ، وقد ردَّ عليهم الحافظ ابن حجر في " الفتح " (١٣/ ٣٧٠) ، فقال : " قَوْلُهُ : " وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ " اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَىٰ أَنَّ الْمَلَائِكَة لَا تَمُوتُ وَلَا حُجَّةَ فِيهِ لِأَنَّهُ مَفْهُومُ لَقَبٍ وَلَا اعْتِبَارَ لَهُ وَعَلَىٰ تَقْدِيرِهِ فَيُعَارِضُهُ مَا هُوَ أَقْوَىٰ مِنْهُ وَهُوَ عُمُومُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ، مَعَ أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ دُخُولِهِمْ فِي مُسَمَّىٰ الْجِنِّ لِجَامِعِ مَا بَيْنَهُمْ مِنَ الِاسْتِتَارِ عَنْ عُيُونِ

الْإِنْسِ " . وفي كلامه على قول الله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ، قال الإمام ابن كثير في التَّفسير (٧/ ٤٩٤) : " يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ سَيَذْهَبُونَ وَيَمُوتُونَ أَجْمَعُونَ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ السموات، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ سِوَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ -تَعَالَى وَتَقَدَّسَ- لَا يَمُوتُ، بَلْ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٧/ ١٦٥) : " وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتِ الْمَلَائِكَة هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ فَنَزَلَتْ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فَأَيْقَنَتِ الْمَلَائِكَة بِالْهَلَاكِ، وَقَالَهُ مُقَاتِلٌ " ...

وذهب بعض العلماء إلى القول بأنَّ المَلَائِكَة لا يموتون ... قال الإمام ابن حزم في " الفِصَل" (٤/ ٢١) : " وَلَا نَصَّ وَلَا إِجْمَاع على أَنَّ المَلَائِكَة تَمُوت ، وَلَو جَاءَ بذلك نَصٌّ لقلنا بِهِ ، بل الْبُرْهَان مُوجبٌ أَن لَا يموتوا لِأَنَّ الْجنَّة دَار لَا موت فِيهَا وَالْمَلَائِكَة سكان الْجنان ، فِيهَا خلقُوا وفيهَا يخلَّدُونَ أبداً ، وَكَذَلِكَ الْحور الْعين ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَوْت إِنَّمَا هُوَ فِرَاق النَّفس للجسد الْمركَّب ، وَقد نَصَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أَنَّ المَلَائِكَة خلقُوا من نُور فَلَيْسَ فيهم شَيْء يُفَارق شَيْئاً فيسمَّى موتاً " .

ومن أبرز الأدلَّة التي استدلَّ بها من ذهبوا إلى عدم موت المَلَائِكَة قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨] ، حيث نقل عن بعض السَّلف أنَّهم فسَّروا الاستثناء الوارد في الآية الكريمة بالملائكة ...(انظر : تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٤-٢٥٥) ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٨) ، تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٤/ ٤٨١) .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/ ١١٦) في تفسير الآية الكريمة : " يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالزَّلَازِلِ الْهَائِلَةِ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ، هَذِهِ النَّفْخَةُ هِيَ الثَّانِيَةُ، وَهِيَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَهِيَ الَّتِي يموت بها الأحياء من أهل السموات وَالْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ كَمَا هُوَ مُصَرَّحٌ بِهِ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ. ثُمَّ يَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْبَاقِينَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ مَنْ يَمُوتُ مَلَكَ الْمَوْتِ، وَيَنْفَرِدُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا وَهُوَ الْبَاقِي آخِرًا بِالدَّيْمُومَةِ وَالْبَقَاءِ، وَيَقُولُ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غَافِرٍ:١٦] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ يُجِيبُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ فَيَقُولُ: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ، أَيِ: الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ وَقَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَحَكَمَ بِالْفَنَاءِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

ثُمَّ يُحْيِي أَوَّلَ مَنْ يُحْيِي إِسْرَافِيلَ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ أُخْرَىٰ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْبَعْثِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ، أَيْ: أَحْيَاءٌ بَعْدَ مَا كَانُوا عِظَامًا وَرُفَاتًا، صَارُوا أَحْيَاءً يَنْظُرُونَ إِلَىٰ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" .

قلتُ : ولو قلنا بأنَّ المَلَائِكَة داخلون في الاستثناء من الصَّعق ، فليس من شرط الاستثناء هنا أنَّهم لا يموتون بعده ، قال الطَّبري في التَّفسير (٢٠/٢٥٨) : " قَالَ الْحَسَنُ: يَسْتَثْنِي اللهُ وَمَا يَدَعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَلَا أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا أَذَاقَهُ الْمَوْتَ" ، قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/١١٦) : " فَقَوْلُهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ ، هَذِهِ النَّفْخَةُ هِيَ الثَّانِيَةُ، وَهِيَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَهِيَ الَّتِي يموت بها الأحياء من أهل السموات وَالْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ كَمَا هُوَ مُصَرَّحٌ بِهِ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ. ثُمَّ يَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْبَاقِينَ حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُ مَنْ يَمُوتُ مَلَكَ الْمَوْتِ، وَيَنْفَرِدُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا وَهُوَ الْبَاقِي آخِرًا بِالدَّيْمُومَةِ وَالْبَقَاءِ، وَيَقُولُ: ﴿لِمَنِ المُلْك الْيَوْمَ﴾ [غَافِر:١٦] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ يُجِيبُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ فَيَقُولُ: ﴿للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ " .

وحديث الصُّور الذي أشار إليه الإمام ابن كثير حديث طويل ... وهو حديث ضعيف ، ضعَّفه غير واحد من العلماء ، منهم : البيهقي في " شعب الإيمان " (١/ ٥٣٥) ، ابن كثير في التَّفسير (٣/ ٢٨٧-٢٨٨) .

والحقُّ في هذه المسألة – والله أعلم – أنَّ الموت متحقِّقٌ بكلِّ مخلوق ، فكلُّ شيء مخلوق لا بدَّ هالكٌ ، ولم يستثن الله تعالىٰ أحداً من خلقه ، ومن ضمنهم المَلَائِكَة ... فعموم قوله تعالىٰ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ هو الدَّليل الأبرز علىٰ هلاك جميع الخلق ، وما سوىٰ الآية من الأدلَّة علىٰ عدم موت الملائكة لا يصحُّ منها حديث ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ لِلْمَلَائِكَةِ قُدْرَةٌ عَلَى التَّشَكُّلِ ؟

الجواب : من خصائص المَلَائِكَة : القدرة علىٰ التَّشكُّل ... جاء ذلك في الكتاب العزيز ، وكذا في السُّنَّة المطهَّرة ...

فقد جاء سيِّدنا جبريل عليه السَّلام إلىٰ مريم العذراء بصورة بشريَّة ، قال تعالىٰ : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٦-١٩]

كما أخبر القرآن الكريم أنَّ المَلائِكَة جاءوا إبراهيم ولوطاً بالصُّورة البشريَّة ، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ * قالَتْ يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ * وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يَا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ * قالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها مَا أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾ [هود:٦٩-٨١] .

قال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (١/ ٤٢) : " فَذَكَرْنَا فِي التَّفْسِيرِ مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَنَّ المَلائِكَة تبدوا لَهُمْ فِي صُورَةِ شَبَابٍ حِسَانٍ امْتِحَانًا وَاخْتِبَارًا حَتَّى قَامَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ الْحُجَّةُ وَأَخَذَهُمُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ " .

وذكر القرآنُ قصَّة المَلَكَيْنِ اللذَين تسوَّرا المحراب على سيِّدنا داود عليه السَّلام في صورة رجُلين خصمين ، قال تعالى : ﴿**وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾ [ص:٢١-٢٢] .

وجاء في حديث جبريل المشهور أنَّ جبريل عليه السَّلام جاء الصَّحابة على هيئة رجل أعرابي شديد بياض الثِّياب ، شديد سواد الشَّعر ... يعلِّمهم أمور دينهم ، فقد روى مسلم في الصَّحيح (١/ ٣٦ برقم ٨) بسنده عَنْ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ

الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» .

وَأخرج البخاري في الصَّحيح (٤/ ١١٢ برقم ٣٢١٥) بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ قَالَ: «كُلُّ ذَاكَ يَأْتِينِي المَلَكُ أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، فَيَفْصِمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، وَيَتَمَثَّلُ لِي المَلَكُ أَحْيَانًا رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ» .

وروىٰ مسلمٌ (٤/ ١٩٨٨ برقم ٢٥٦٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ ".

وكان جبريل عليه السَّلام يأتي رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة الصَّحابي الجليل دِحْيَةَ الكَلْبِي ... فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِهِ، قَالَ: وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ " أخرجه أحمد في المسند (١٠/ ١٠٢ برقم ٥٨٥٧) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم، حماد بن سلمة وإسحاق بن سويد كلاهما من رجال مسلم، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين " .

وروىٰ مسلم (١/ ١٥٣ برقم ١٦٧) بسنده عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَىٰ ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا

صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ -، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: «دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ» .

ودحية الكلبي هو صحابيٌّ كان حَسَن الصُّورة ... قال الحافظ ابن حجر في " الإصابة في تمييز الصَّحابة " (٢/ ٣٢١-٣٢٢) : " وكان يُضرب به المثل في حسن الصُّورة، وكان جبريل عليه السَّلام ينزلُ على صورته، جاء ذلك من حديث أمِّ سلمة، ومن حديث عائشة.

وروى النَّسائيّ بإسناد صحيح، عن يحيى بن معمر، عن ابن عمر رضي اللهَّ عنهما: كان جبرائيل يأتي النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة دحية الكلبيّ.

وروى الطَّبرانيّ من حديث عفير بن معدان، عن قتادة، عن أنس أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم قال: «كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي» ، وكان دحية رجلاً جميلاً.

وروى العجليّ في تاريخه عن عوانة بن الحكم، قال: أجمل النَّاس من كان جبرائيل ينزل على صورته. قال ابن قتيبة في غريب الحديث: فأمَّا حديث ابن عبَّاس: كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلَّا خرجت تنظر إليه، فالمعنى بالمعصر العاتق. وقال ابن البرقيّ: له حديثان عن النَّبيِّ صلَّى اللهَّ عليه وآله وسلَّم" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نزلَ عَلَى صُوْرَةِ السَّيِّدَةَ عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ؟

الجواب : روى الطَّبراني في " المعجم الكبير " (٢٣/ ٣١ برقم ٧٧) بسنده عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «خِلَالٌ فِيَّ سَبْعٌ لَمْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا آتَى اللهُ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَاللهِ مَا أَقُولُ هَذَا فَخْرًا عَلَى أَحَدٍ مِنْ صَوَاحِبِي» ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ: وَمَا هُنَّ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَتْ: «نَزَلَ الْمَلَك بِصُورَتِي، وَتَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَأُهْدِيتُ إِلَيْهِ لِتِسْعِ سِنِينَ، وَتَزَوَّجَنِي بِكْرًا لَمْ يَشْرُكْهُ فِيَّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ الْوَحْيُ يَأْتِيهِ وَأَنَا وَهُوَ فِي لِحَافٍ وَاحِدٍ، وَكُنْتُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَبِنْتَ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَقَدْ نَزَلَ فِيَّ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَقَدْ كَادَتِ الْأُمَّةُ تَهْلِكُ فِيَّ وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي، وَقُبِضَ فِي بَيْتِي لَمْ يَلِهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَالْمَلَكُ» ، قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ٢٤١برقم ١٥٣٠٨) : " قُلْتُ: هُوَ فِي الصَّحِيحِ بِاخْتِصَارٍ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُ أَحَدِ أَسَانِيدِ الطَّبَرَانِيِّ رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا كَيْفِيَّةُ تَشَكُّلِ المَلَائِكَةِ مِنْ شَكْلٍ لآخَر ؟

الجواب : الأصوب في المسألة أنَّ ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلَّا الله تعالى ... ولا سبيل البتَّة للعلم به ، وإن كان البعض قد خاض فيه بنوع من التَّخرُّصَات التي لا تُسمن ولا تغني من جوع ... قال الحافظ ابن

حجر في " الفتح " (١/ ٢١) : " قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ : تَمَثُّل جِبْرِيل مَعْنَاهُ : أَنَّ اللهَّ أَفْنَى الزَّائِدَ مِنْ خَلْقِهِ أَوْ أَزَالَهُ عَنْهُ ثمَّ يُعِيدهُ إِلَيْهِ بعد وَجزم بن عَبْدِ السَّلَامِ بِالْإِزَالَةِ دُونَ الْفَنَاءِ ، وَقَرَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ انْتِقَالُهَا مُوجِبًا لِمَوْتِهِ بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَبْقَى الْجَسَدُ حَيًّا ، لِأَنَّ مَوْتَ الْجَسَدِ بِمُفَارَقَةِ الرُّوحِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَقْلًا بَلْ بِعَادَةٍ أَجْرَاهَا اللهَّ تَعَالَى فِي بَعْضِ خَلْقِهِ ، وَنَظِيرُهُ انْتِقَالُ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ إِلَى أَجْوَافِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ . وَقَالَ شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مَا ذَكَرَهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ لا ينحصر الْحَال فِيهِ بل يجوز أَن يكون الْآتِي هُوَ جِبْرِيل بِشَكْلِهِ الْأَصْلِيِّ إِلَّا أَنَّهُ انْضَمَّ فَصَارَ عَلَى قَدْرِ هَيْئَةِ الرَّجُلِ وَإِذَا تَرَكَ ذَلِكَ عَادَ إِلَى هَيْئَتِهِ . وَمِثَالُ ذَلِكَ الْقُطْنُ إِذَا جُمِعَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُنْتَفِشًا فَإِنَّهُ بِالنَّفْشِ يَحْصُلُ لَهُ صُورَةٌ كَبِيرَةٌ وَذَاتُهُ لَمْ تَتَغَيَّرْ ، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ ، وَالْحَقُّ أَنَّ تَمَثُّلَ الْمَلَك رَجُلًا لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ ذَاتَهُ انْقَلَبَتْ رَجُلًا بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ ظَهَرَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ تَأْنِيسًا لِمَنْ يُخَاطِبُهُ ، وَالظَّاهِرُ أَيْضًا أَنَّ الْقدر الزَّائِد لا يزول وَلَا يَفْنَى بَلْ يَخْفَى عَلَى الرَّائِي فَقَطْ وَاللهَّ أَعْلَمُ " ... والحقّ أنَّ الأصوب والأسلم في مثل هذه المسألة هو تفويض العلم فيها إلى الله جلَّ جلاله ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ قُدُرَاتِ المَلَائِكَة الأَبْرَار ؟

الجواب : لقد منح الله تعالى المَلَائِكَة الأكرمين قُدُراتٍ عظيمة خارقة ، جاءت الإشارة إليها في آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... من ذلك :

أَوّلاً : قطع المسافات البعيدة في زمن قياسيٍّ خاطف ، قال تعالى : **﴿تَعْرُجُ المَلَائِكَة وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة﴾** [المعارج:٤] . قال الإمام أبو حيَّان في " البحر المحيط في التَّفسير " (١٠/ ٢٧٢) : " وَالرُّوحُ، قَالَ الْجُمْهُورُ هُوَ جِبْرِيلُ، خُصَّ بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا، وَأُخِّرَ هُنَا بَعْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَقُدِّمَ فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾** ... وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ: رُوحُ الْمَيِّتِ حِينَ تُقْبَضُ إِلَيْهِ، الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى اللهَّ تَعَالَى، أَيْ إِلَى عَرْشِهِ وَحَيْثُ يَهْبِطُ مِنْهُ أَمْرُهُ تَعَالَى. وَقِيلَ: **﴿إِلَيْهِ﴾** ، أَيْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ مَحِلُّهُمْ وَهُوَ فِي السَّماءِ لِأَنَّهَا مَحِلُّ بِرِّهِ وَكَرَامَتِهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّهَا تَعْرُجُ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ هَذِهِ، وَمِقْدَارُ الْمَسَافَةِ أَنْ لَوْ عَرَجَهَا آدَمِيٌّ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةً، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ إِسْحَاقَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْحُذَّاقِ مِنْهُمُ الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ " .

ثَانِيَاً : حَمل الجبال والأشياء الثَّقيلة ، قال تعالى : **﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأعراف:١٧١] ، قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٣/ ٤٩٩) : " قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عباس قوله: **﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾** يَقُولُ: رَفَعْنَاهُ، وَهُوَ

قَوْلُهُ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾ [النِّساءِ:١٥٤] ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَفَعَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ " .

ثَالِثَاً : رفعُ قُرىٰ قوم لُوط إلىٰ السَّماء ثمَّ جعلهم عَالِيهَا سَافِلَهَا بسبب كُفرهم وعصيانهم وما كانوا يقترفوه من الفواحش والموبقات التي نهاهم عنها نبيَّهم لوطٌ عليه السَّلام ، قال تعالىٰ : ﴿فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٢-٨٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قالُوا بَلْ جِئْناكَ بِما كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْناكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ * وَجاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قالَ إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ * قالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ * قالَ هؤُلاءِ بَناتِي إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ * وَإِنْ كانَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ لَظالِمِينَ * فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:٦١-٧٩] . روىٰ الطَّبريُّ في " التَّفسير " (٥٣٦/١٢) بسنده عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: " لَمَّا أَصْبَحُوا يَعْنِي قَوْمُ لُوطٍ نَزَلَ جِبْرَئِيلُ، فَاقْتَلَعَ الْأَرْضَ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ، فَحَمَلَهَا حَتَّىٰ بَلَغَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا حَتَّىٰ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نُبَاحَ كِلَابِهِمْ وَأَصْوَاتَ دِيُوكِهِمْ، ثُمَّ قَلَبَهَا فَقَتَلَهُمْ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣] الْمُنْقَلِبَةُ حِينَ أَهْوَىٰ بِهَا جِبْرَئِيلُ الْأَرْضَ فَاقْتَلَعَهَا بِجَنَاحِهِ، فَمَنْ لَمْ يَمُتْ حِينَ أَسْقَطَ الْأَرْضَ أَمْطَرَ اللهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ تَحْتَ الْأَرْضِ الْحِجَارَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ شَاذًّا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ قَوْلُ اللهِ: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] ثُمَّ تَتَبَّعَهُمْ فِي الْقُرَىٰ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِيهِ الْحَجَرُ فَيَقْتُلُهُ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢] " .

رَابِعَاً : أنَّ مَلَكَ الجِبال استأذن الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُطبق علىٰ أهل مكَّة الأخشبين ، فقد روىٰ البخاري (١١٥/٤ برقم ٣٢٣١) ، ومسلم (١٤٢٠/٣ برقم ١٧٩٥) بسندهما عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ

العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهَّ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلاَئِكَةُ مُتَفَاضِلُوْنَ فِيْمَا بَيْنَهُم ؟

الجواب : المَلاَئِكَة متفاضلون فيما بينهم في أُمور عديدة ، منها :

أَوَّلاً : القُرْبُ مِنَ الله تَعَالَى : قال تعالىٰ : **﴿اللهُّ يَصْطَفِي مِنَ المَلاَئِكَة رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** [الحج: ٧٥] ، وقال: **﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِّ وَلَا المَلاَئِكَة المُقَرَّبُونَ﴾** [النساء: ١٧٢] ، قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " " (١١/ ٢٧٣) : " قوله : **﴿وَلَا المَلاَئِكَة المُقَرَّبُونَ﴾** يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ طَبَقَاتِ المَلاَئِكَة مُخْتَلِفَةٌ فِي الدَّرَجَةِ وَالْفَضِيلَةِ فَالْأَكَابِرُ مِنْهُمْ مِثْلَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَعِزْرَائِيلَ وَحَمَلَةِ الْعَرْشِ".

والملائكة المُقَرَّبون هم المسمُّون بالكروبيِّين ، قال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (١/ ٥٢) : " فَصْلٌ : ثُمَّ المَلاَئِكَة عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَا هَيَّأَهُمُ اللهُّ لَهُ أَقْسَامٌ : فَمِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَمِنْهُمُ الْكَرُوبِيُّونَ الَّذِينَ هُمْ حَوْلَ الْعَرْشِ وَهُمْ أَشْرَفُ المَلاَئِكَة مَعَ حَمَلَةِ الْعَرْشِ. وَهُمُ المَلاَئِكَة المُقَرَّبُونَ كَمَا قَالَ تعالىٰ: **﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عبد الله وَلَا المَلاَئِكَة المُقَرَّبُونَ﴾** [النساء:١٧٢] ، وَمِنْهُمْ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ " .

وأخرج مسلم (١/ ٥٣٤ برقم ٧٧٠) بسنده عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

قال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٣/٩١٦) : " تَخْصِيصُ هَؤُلَاءِ بِالْإِضَافَةِ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ لِتَشْرِيفِهِمْ وَتَفْضِيلِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: كَأَنَّهُ قَدَّمَ جِبْرِيلَ ؛ لِأَنَّهُ أَمِينُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، فَسَائِرُ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ، وَأَخَّرَ إِسْرَافِيلَ ؛ لِأَنَّهُ أَمِينُ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالصُّورِ، فَإِلَيْهِ أَمْرُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَوَسَّطَ مِيكَائِيلَ ؛ لِأَنَّهُ أَخَذَ بِطَرَفٍ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا ؛ لِأَنَّهُ أَمِينُ الْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ وَنَحْوِهِمَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَرْزَاقِ الْمُقَوِّمَةِ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُمَا أَفْضَلُ مِنْ مِيكَائِيلَ " .

وقال الإمام ابن القيِّم في " إغاثة اللهفان من مصائد الشَّيطان " (٢/١٢٨) : " فتوسَّل إليه سبحانه بربُوبيَّته العامَّة والخاصَّة لهؤلاء الأملاك الثَّلاثة الموكَّلين بالحياة .

فجبريل موكَّل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح ، وميكائيل موكَّل بالقَطْر الذي به حياة الأرض والنَّبات والحيوان ، وإسرافيل موكَّل بالنَّفخ في الصُّور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم .

فسأله رسوله بربوبيَّته لهؤلاء أن يهديه لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنه لما في ذلك من الحياة النَّافعة " .

وروىٰ أحمد في " المسند " (٤/ ٢٨٤ برقم ٢٤٨٣) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ، عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ بَنِيهِ، إِذْ قَالُوا: اللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، قَالَ: " هَاتُوا " قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ، قَالَ: " تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ " قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةُ، وَكَيْفَ تُذْكِرُ؟ قَالَ: " يَلْتَقِي الْمَاءَانِ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ " قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ؟ قَالَ: " كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلائِمُهُ إِلا أَلْبَانَ كَذَا وَكَذَا – قَالَ أَبِي: " قَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي الْإِبِلَ " – فَحَرَّمَ لُحُومَهَا "، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ قَالَ: " مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ – أَوْ فِي يَدِهِ – مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ " قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: " صَوْتُهُ " قَالُوا: صَدَقْتَ، إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: " جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ "، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ**﴾ [البقرة: ٩٧] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ " . قال الأرنؤوط " حديث حسن دونَ قصة الرَّعد، فقد تفرَّد بها بُكيرُ بنُ شهاب، وهو لم يرو عنه سوى اثنين، وقال أبو حاتم: شيخ،

وقال الذَّهبي في "الميزان": عراقي صدوق، وقد تُوبع علىٰ حديثه هذا -فيما سيأتي برقم (٢٥١٤) - سوىٰ قصَّة الرَّعد، فهي منكرة، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشَّيخين غيرَ عبد الله بن الوليد العجلي، فقد روىٰ له التِّرمذي والنَّسائي، وهو ثقة " .

قال الإمام ابن القيِّم في " زاد المعاد في هدي خير العباد " (١/ ٤٤) : " فَذَكَرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ مِنَ المَلَائِكَة لِكَمَالِ اخْتِصَاصِهِمْ، وَاصْطِفَائِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ غَيْرِهِمْ فِي السَّمَاوَاتِ، فَلَمْ يُسَمِّ إِلَّا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ. فَجِبْرِيلُ: صَاحِبُ الْوَحْيِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، وَمِيكَائِيلُ: صَاحِبُ الْقَطْرِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، وَإِسْرَافِيلُ: صَاحِبُ الصُّورِ الَّذِي إِذَا نَفَخَ فِيهِ أَحْيَتْ نَفْخَتُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ الْأَمْوَاتَ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ " .

وأفضل المَلَائِكَة هم الذين شهدوا معركة بدر ، فقد روىٰ البخاري (٥/ ٨٠ برقم ٣٩٩٢) بسنده عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلَائِكَة " . ومعلوم أنَّ جبريل عليه السَّلام كان علىٰ رأس المَلَائِكَة الذين شهدوا بدراً ، فقد روىٰ البخاري (٥/ ٨١ برقم ٣٩٩٥) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ» .

فالملائكة لهم عند ربِّهم مقامات متفاوتة ، قال تعالىٰ: **﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** [الصافات: ١٦٤] ، قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/ ٤٣) : " أَيْ: لَهُ مَوْضِعٌ مَخْصُوصٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَقَامَاتِ الْعِبَادَةِ لَا يَتَجَاوَزُهُ وَلَا يَتَعَدَّاهُ .

وَقَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجَمَتِهِ لِمُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ بِسَنَدِهِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ -وَكَانَ مِمَّنْ بَايَعَ يَوْمَ الْفَتْحِ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا لِجُلَسَائِهِ: "أَطَّت السَّمَاءُ وحُقّ لَهَا أَنْ تَئِطّ، لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعَ قَدَم إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ". ثُمَّ قَرَأَ: **﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾**

.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ فِي تَفْسِيرِهِ: **﴿وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** قَالَ: كَانَ مَسْرُوقٌ يَرْوِي عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ". فَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مَسْرُوقٍ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ لَسَمَاءٍ مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا عَلَيْهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ أو قدماه، ثم قرأ عبد اللهِّ: **﴿وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** ، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ" .

ثَانِياً : فِي طَبِيْعَةِ الخِلْقَة : فبعضهم له جناحان ، وبعضهم له ثلاثة وبعضهم له أربعة، وبعضهم له أكثر من ذلك ... فقد روىٰ مسلم بسنده عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: **﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾** [النجم: ٩] ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ» .

ثَالِثاً : فِي القُوَّةِ : قال تعالىٰ في صفة جبريل عليه السَّلام : **﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾** ، قال الإمام الزجَّاج في " معاني القرآن وإعرابه " (٥/ ٢٩٢) : " قيل إنَّه من قوَّة جبريل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَلَبَ مَدِينة قوم لُوطٍ بِقَوَادِمِ جناحه وهي قرىٰ أربع " .

وقال السَّمرقنديُّ في " بحر العلوم " (٣/ ٥٥٢) : ذِي قُوَّةٍ ، يعني: ذا شدَّة ، ويقال: أعطاه الله تعالىٰ القوَّة ، ومن قوَّته أنَّه قلع مدائن قوم لوط بجناحه ، ثمَّ قال عزَّ وجلَّ: **﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾** ، يعني: عند ربِّ العرش له منزلة مُطاعٍ ، يعني: يطيعه أهل السَّماوات ثَمَّ أَمِينٍ فيما استودعه الله من الرِّسالات ، ويقال: مُطاعٍ يعني: طاعته علىٰ أهل السَّموات واجبه كطاعة محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمين علىٰ أهل الأرض أَمِينٍ علىٰ الرِّسالة والوحي " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ سُرْعَةِ المَلَائِكَة ؟

الجواب : منح الله تعالىٰ ملائكته الكرام قدرة وسرعة عظيمة في تنفيذ أوامره المختلفة ... ومن الآيات التي دلَّلت علىٰ ذلك : قوله تعالىٰ : **﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّوْنَ﴾** [السجدة:٥] ، وقوله تعالىٰ : **﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** [المعارج:٤] .

وفي دراسة علىٰ الشَّبكة العنكبوتيَّة بعنوان : " سرعة الضّوء وملك الموت والملائكة في القرآن" ، قال صاحب الدِّراسة : :

[١] **الضَّوْءُ وَسُرْعَتُهُ فِي القُرآنِ** : في سنة ١٩٨٣م انعقد في باريس مؤتمر للقياسات ، وفي نهايته خرجوا لنا بسرعة الضّوء التي نعرفها اليوم والتي تقدر بـ : (٢٩٩٧٩٢.٤٥٨) كم / الثَّانية ، وهذه السُّرعة مذكورة

في القرآن على شكل مدَّة زمنيَّة قبل ١٤٠٠ سنة ، يعني أنَّ القرآن حدَّد سرعة الضّوء بدقة عالية والغريب أنَّ الكثير يجهل هذا الإعجاز العلمي لأنَّ الكثير يُخفيه لمصالحهم الشَّخصيَّة فدعونا نرىٰ أين ذكر القرآن ذلك :

القرآن ذكر سرعة الضّوء في الآية رقم (٥) من سورة السَّجدة والآية رقم (٢) من سورة سبأ ، كالتالي :

قال تعالىٰ : **﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّوْنَ﴾** [السجدة:٥] ، وقال تعالىٰ : **﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِيْ الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيْهَا وَهُوَ الرَّحِيْمُ الْغَفُوْرُ﴾** [سبأ:٢] .

[٢] في الآيتين الكريمتين كلمة **﴿يَعْرُج﴾** تعني العودة من الأرض نحو السَّماء ، وفي الآية الثَّانية يُنزل الله من السَّماء أشياء تذهب وتعود مثل أشعَّة الشَّمس والأضواء ، وفي الآية الأولىٰ أخبر أنَّها تعود في يوم مقداره ١٠٠٠ سنة ، يعني الضّوء يسلك في يوم واحد مقدار ألف سنة ممَّا يعدون ... لماذا قال : **﴿ تَعُدُّوْنَ﴾** ؟ والسَّبب أنَّه في زمن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يعتمدون في حساباتهم علىٰ القمر وليس علىٰ الشَّمس حيث أنَّهم كانوا يقيسون المسافات بالأزمنة ، فيقولون : المدينة المنوَّرة تبعد مسيرة يومين أو ثلاثة، يعني الضّوء يسلك في يوم واحد مقدار ١٠٠٠ سنة قمريَّة وليست شمسيَّة ، والكلُّ يعلم أنَّ اليوم القمري يختلف عن اليوم الشَّمسي الأرضي ، لأنَّ اليوم القمري الأرضي فيه ٢٣ ساعة و ٥٣ دقيقة و ٤،٠٩٠٦ ثانية .

[٣] لنَقُم ببعض الرِّياضيَّات :

السَّنة القمريَّة = ١٢ شهر أو دورة .

١٠٠٠ سنة قمريَّة = ١٢٠٠٠ شهر أو دورة .

سرعة الضّوء = المسافة / الزَّمن .

سرعة القمر في المدار الإهليليجي الأرضي: ٠.٨٩ كم/ ثانية

الزَّمن هو ٢٣ س و ٥٦ د و ٤،٠٩٠٦ث = ٨٦١٦٤،٠٦٠٩ ثانية

المسافة التي يقطعها القمر حول الأرض في ١٠٠٠ سنة = سرعة القمر × ١٢٠٠٠ شهر × شهر قمري بالثَّانية .

مسافة ألف سنة قمريَّة = ٢١٥٢٦١٢.٣٤ كم × ١٢٠٠٠ شهر .

مسافة ألف سنة قمرية = ٢٥٨٣١٣٤٨٠٨٠ كم

الآن : سرعة الضّوء = مسافة ألف سنة قمريَّة / زمن اليوم القمري الأرض بالثَّانية.

سرعة الضّوء = ٢٥٨٣١٣٤٨٠٨٠ كم / ٨٦١٦٤.٠٩٠٦ ثانية = ٢٩٩٧٩٢.٤٥٨ كم/ ثانية ، وهي نفسها سرعة الضّوء التي أُعلنَ عنها في مؤتمر القياسات في باريس سنة ١٩٨٣م ، يعني القرآن ذكرها بالتَّحديد ... أليس هذا إعجازاً كبيراً ... !!!

[٤] سرعة الملائكة وسرعة ملك الموت في قبض الأرواح الذين يموتون في وقت واحد:

من المعلوم أنَّ ملك الموت لا يقبض الأرواح وحده بل هو رئيس الملائكة التي تقبض الأرواح ، قال تعالى : **﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمُوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾** [السجدة:١١] ، وقال تعالى : **﴿إِنَّ الذين تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾** [النساء : ٩٧] ، وقال تعالى : **﴿حتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾** [الأنعام : ٦١] .

وفي الكلام عن سرعة الملائكة مقدَّرة بالكيلومتر ، نقول :

بحسب قول الله تعالى في الآية (٤) من سورة المعارج : **﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوْحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** ، يعني أنَّ الملائكة تعود من الأرض نحو السَّماء بسرعة قدرها ٥٠٠٠٠ سنة قمريَّة من يوم أرضي قمري ، يعني هي نفسها سرعة الضّوء التي حسبناها سابقا فقط مضاعفة ٥٠ مرَّة ، يعني : سرعة الملائكة هي سرعة الضوء × ٥٠ مرَّة .

سرعة الملائكة = ٢٩٩٧٩٢.٤٥٨ × ٥٠ و تساوي =١٤٩٨٩٦٢٢.٩ كم / ثانية بالتَّقريب ١٥ مليون كم / ثانية ، وهي سرعة كبيرة جداً .

حسنا كيف يستطيع ملك الموت وأعوانه من الملائكة قبض أرواح من يموت في العالم اليوم ، فهناك الآلاف ممَّن يموت في نفس اللحظة عبر العالم لعدَّة أسباب ... بالإضافة إلى أرواح الإنس والجن والحيوانات ...

لنفرض أنَّ سرعة ملك الموت وأتباعه هي ١٥ مليون كم/ ثانية كما حسبناها ... فمحيط الأرض هو ٤٠٠٧٥ كم ...

ومن خلال عمليَّة حسابيَّة :

١٥ مليون كم في الثَّانية / ٤٠٠٧٥ كم = ٣٧٤ مرَّة في الثَّانية ، أي : أنَّ ملك الموت أو أي ملك يستطيع قطع محيط الأرض ٣٧٤ مرَّة في ثانية واحدة فقط .

أيضاً المسافة بين البرازيل وروسيا عبر الخطِّ المباشر هي ١٤٠٨٥ كم . ١٥ مليون كم/ ثانية / ١٤٠٨٥ كم = ١٠٦٤ مرَّة .

يستطيع قطع هاته المسافة أو بعبارة أخرىٰ يستطيع التَّواجد في نفس المكان لثانية واحدة بين البرازيل وروسيا ١٠٦٤ مرَّة ، فما بالك في دقيقة (٦٣٨٥٣ مرَّة/ د) وتخيَّل في ساعة (٤ ملايين مرَّة بالتَّقريب) .

وأختم المقال بحديث النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قدرة ملك الموت في قبض أكثر من روح في آن واحد ، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن زُهَيْر بن مُحَمَّد رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قيل يَا رَسُول الله ملك الْمَوْت وَاحِد والزَّحفان يَلْتَقِيَانِ من الْمشرق وَالْمغْرب وَمَا بَينهمَا من السقط والهلاك ، فَقَالَ: إِنَّ الله حوىٰ الدُّنْيَا لملك الْمَوْت حَتَّىٰ جعلهَا كالطّست بَين يَدي أحدكُم ، فَهَل يفوتهُ مِنْهَا شَيْء" أخرجه ابن أبي حاتم في " التَّفسير " (٩/ ٣١٠٥ برقم ١٧٨٣٠) ، السُّيوطي في الدُّر المنثور (٦/ ٥٤١) .

﴿ الفَصْلُ الثَّالِثُ ﴾

✿✿✿ صِفَاتُ المَلَائِكَةِ الخُلُقِيَّة ✿✿✿

من الثَّابت أنَّ الله تعالىٰ خلق الملائكة الكرام ومنحهم العصمة حيث فطرهم علىٰ الطَّاعة المُطلقة لأوامره جلَّ جلاله ، فهم في عباداتهم دائمون لا يملُّون لا يضجرون ولا يفتُرون ، ولا يسأمون ... وهم في غاية التَّواضع والحياء ومحبَّة الخير ، وهم كرام بررة ، ومقرَّبون ، ومنظَّمون في جميع شؤونهم ...

ومن أجل الوقوف علىٰ الثَّابت من صفات الملائكة الخُلقيَّة ، كانت الأسئلة التَّالية :

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يتَّصِفُ المَلَائِكَةُ بالحَيَاء ؟

الجواب : قال الإمام الجرجاني في " كتاب التَّعريفات " (ص٩٤) : " الحياء: انقباض النَّفس من شيء وتركه حذرًا عن اللوم فيه، وهو نوعان: نفساني؛ وهو الذي خلقه الله تعالىٰ في النُّفوس، كلّها كالحياء من كشف العورة، والجماع بين النَّاس، وإيماني؛ وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفًا من الله تعالىٰ" .

والحياء خلقٌ من أخلاق المَلَائِكَة ، فقد روىٰ مسلم (٤/ ١٨٦٦ برقم ٢٤٠١) بسنده عَنْ عَطَاءٍ، وَسُلَيْمَانَ، ابْنَيْ يَسَارٍ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٥/ ١٦٩) : " أَهْلُ اللُّغَةِ يُقَالُ اسْتَحْيَىٰ يَسْتَحْيِي بِيَاءَيْنِ وَاسْتَحَىٰ يَسْتَحِي بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ لُغَتَانِ الْأُولَىٰ أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ وَبِهَا جَاءَ الْقُرْآنُ وَفِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعُثْمَانَ وَجَلَالَتِهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ وَأَنَّ الْحَيَاءَ صِفَةٌ جَمِيلَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ " .

وقال الإمام أحمد بن عمر القرطبي في " المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٢٠/ ١٧) : " ... أي : حياء التَّوقير والإجلال ، وتلك منقبة عظيمة ، وخصوصيَّة شريفة ليست لغيره ، أعرض قَتَلَةُ عثمان عنها ، ولم يُعرِّجوا عليها .

وفيه دليل علىٰ جواز معاشرة كلِّ واحد من الأصحاب بحسب حاله. ألا ترىٰ انبساطه، واسترساله مع العمرين علىٰ الحالة التي كان عليها مع أهله، لم يُغيِّر منها شيئًا، ثمَّ إنَّه لما دخل عثمان ـ رضي الله عنه ـ غيَّر تلك التي كان عليها، فغطَّىٰ فخذيه، وتهيَّأ له، ثمَّ لمَّا سُئل عن ذلك، قال: إنَّ عثمان رجل حيي وإنِّي خشيت إن أذنت له علىٰ تلك الحال ألا يَبلُغ إليَّ في حاجته " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ تَوَاضُعِ المَلَائِكَة ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] ، فالملائكة عليهم السَّلام في استجابتهم للأمر الإلهي بالسُّجود لآدم عليه السَّلام كانوا قدوةَ للمتواضعين ... قال الإمام السَّنوسي في " شرح صُغرى الصُّغرى " (ص٤٠) وهو يتكلَّم عن أخلاق الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام : " ... وأخلاقهم الكريمة في هذا نظير أخلاق الملائكة عليهم الصَّلاة والسَّلام في تواضعهم وسجودهم لآدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امتثالاً لأمر مولانا جلَّ وعلا وتعظيماً لمن عظَّم ، وتكريماً لمن كرَّم ، وحبَّاً من أحب ... " . فالملائكة عليهم السلام بالتَّواضع متحلُّون ، وللمتواضعين من الخلق مُحِبُّون ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ اخْتَبَرَت السَّيِّدَةُ خَدِيْجَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تُزُوْلَ الوَحْي عَلَى رَسُوْلِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِمَاطَةِ الخِمَارِ عَنْ رَأْسِهَا ؟

الجواب : روى الطَّبريُّ في " تاريخ الرُّسل والملوك " (٢/٣٠٢-٣٠٣) بسنده عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ خديجه انها قالت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يُثَبِّتُهُ فِيمَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ مِنْ نبوته: يا بن عَمِّ، أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَإِذَا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبرئيل عليه السَّلام كما كان يأتيه، ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخديجة: يا خديجه هذا جبرئيل قد جاءني، فقالت: نعم، فقم يا بن عَمٍّ، فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُسْرَى، فَقَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاقْعُدْ عَلَى فَخِذِي الْيُمْنَى، فَتَحَوَّلَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي، فَتَحَوَّلَ فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فتحسرت، فالقت خمارها ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا، ثُمَّ قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قال: لا، فقالت: يا بن عم، اثبت وابشر، فوالله إِنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُحِبُّ المَلَائِكَةُ المُؤمِنِيْن ؟

الجواب : روى البخاري (٩/١٤٢ برقم ٧٤٨٥) ومسلم (٤/ ٢٠٣٠ برقم ٢٦٣٧) إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ " .

وجاء في رواية التِّرمذي (٥/ ١٦٩ برقم ٣١٦١) : " إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنِّي قَدْ أَبْغَضْتُ فُلاَنًا، فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ" . قال التِّرمذي : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ " .

قال الإمام النَّووي في "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١٦/ ١٨٤) : " وَحُبُّ جِبْرِيلَ وَالْمَلَائِكَةِ يُحْتَمَلُ وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : اسْتِغْفَارُهُمْ لَهُ وَثَنَاؤُهُمْ عَلَيْهِ وَدُعَاؤُهُمْ ، وَالثَّانِي : أَنَّ مَحَبَّتَهُمْ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَهُوَ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ وَاشْتِيَاقُهُ إِلَىٰ لِقَائِهِ ، وَسَبَبُ حُبِّهِمْ إِيَّاهُ كَوْنُهُ مُطِيعًا للهِ تَعَالَىٰ مَحْبُوبًا لَهُ ، وَمَعْنَىٰ : " يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ " ، أَيِ : الْحُبُّ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَرِضَاهُمْ عَنْهُ ، فَتَمِيلُ إِلَيْهِ الْقُلُوبِ وَتَرْضَى عَنْهُ ، وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ : فَتُوضَعُ لَهُ الْمَحَبَّةُ" .

وقال الإمام علي بن سلطان القاري في" مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٨/ ٣١٣٢-٣١٣٣) في شرحه للحديث : " ... (فَأَحِبَّهُ) أَيْ: أَنْتَ أَيْضًا زِيَادَةً لِإِكْرَامِ الْعَبْدِ، وَإِلَّا فَكَفَىٰ بِاللهِ مُحِبًّا وَمَحْبُوبًا وَطَالِبًا وَمَطْلُوبًا وَحَامِدًا وَمَحْمُودًا.

(قَالَ) أَيْ: رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ) أَيْ: ضَرُورَةُ عَدَمِ عِصْيَانِهِ أَمْرَ رَبِّهِ فَيُحِبُّهُ لِحُبِّهِ، وَهَذَا مِنَ الْمَحَبَّةِ فِي اللهِ أَيْ: لَا يُحِبُّهُ لِغَرَضٍ سِوَىٰ مَرْضَاةِ مَوْلَاهُ، وَمَحَبَّةُ جِبْرِيلَ دُعَاؤُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ لَهُ، وَالْمَيْلُ إِلَىٰ الِاجْتِمَاعِ بِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ. (ثُمَّ يُنَادِي) أَيْ: جِبْرِيلُ بِأَمْرِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ (فِي السَّمَاءِ) أَيْ: فِي أَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا فِي قَرِينَتِهِ الْآتِيَةِ،وَالْمَعْنَىٰ بِحَيْثُ يَصِلُ بِسَمَاعِ كَلَامِهِ إِلَىٰ أَهْلِهَا كُلِّهَا («فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ») أَيْ: جَمِيعُهُمْ (ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ) : وَهُوَ مِنْ آثَارِ الْمَحَبَّةِ، ثُمَّ هَذَا الْوَضْعُ ابْتِدَاءً مِنْ جِبْرِيلَ أَوْ غَيْرِهِ. (فِي الْأَرْضِ) أَيْ: فِي قُلُوبِ أَهْلِهَا مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ، فَلَا يُرَدُّ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ لَيْسَ لَهُمْ قَبُولٌ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِخَوَاصِّ الْأَنَامِ لَا بِالْعَوَامِّ كَالْأَنْعَامِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُعْلِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَمَلَةَ العَرْشِ بِحُبِّهِ لِعَبْدِهِ ؟

الجواب : نعم ، فقد روىٰ أحمد في " المسند" (٣٧/ ٨٧ برقم ٢٢٤٠١) بسنده عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ الله فَلَا يَزَالُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ اللهُ لِجِبْرِيلَ: إِنَّ فُلَانًا عَبْدِي يَلْتَمِسُ

أَنْ يُرْضِيَنِي أَلَا وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ فُلَانٍ، وَيَقُولُهَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُهَا مَنْ حَوْلَهُمْ حَتَّىٰ يَقُولَهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ تَهْبِطُ لَهُ إِلَى الْأَرْضِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن " .

والحديث رواه الطَّبراني في " المعجم الأوسط "(٢/ ٥٧ برقم ١٢٤٠) بلفظ : "«إِنَّ الْعَبْدَ يَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ. فَيَقُولُ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّ عَبْدِي فُلَانًا يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِيَنِي، فَرِضَائِي عَلَيْهِ» . قَالَ: «فَيَقُولُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ فُلَانٍ، وَتَقُولُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّىٰ يَقُولَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾** [مريم: ٩٦] ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ سَخَطَ اللهِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّ فُلَانًا يُسْخِطُنِي. أَلَا وَإِنَّ غَضَبِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: غَضِبَ اللهُ عَلَىٰ فُلَانٍ، وَيَقُولُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُ مَنْ دُونَهُمْ، حَتَّىٰ يَقُولَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : أُذْكُرْ لَنَا بَعْضَ صِفَاتِ المَلَائِكَة ؟

الجواب : جاء في القرآن العظيم العديد من الأوصاف التي وصف الله تعالىٰ بها المَلَائِكَة بأوصاف أبانت عن منزلتهم وكرامتهم عنده سبحانه وتعالىٰ ، منها :

أَوَّلاً : وصفهم بأنّهم بررة : قال الله تعالىٰ في وصفهم : **﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾** [عبس: ١٦] .

وعن معنىٰ " البررة " قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٣٠/ ١١٩) : " الْبَرَرَةُ: جَمْعُ بَرٍّ، وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِكَثْرَةِ الْبُرُورِ. وَأَصْلُ بَرٍّ مَصْدَرُ بَرَّ يَبَرُّ مِنْ بَابِ فَرِحَ، وَمَصْدَرُهُ كَالْفَرَحِ، فَهَذَا مِنْ بَابِ الْوَصْفِ بِالْمَصْدَرِ مِثْلَ عَدْلٍ وَقَدِ اخْتُصَّ الْبَرَرَةُ بِجَمْعِ بَرٍّ وَلَا يَكُونُ جَمْعَ بَارٍّ. وَالْغَالِبُ فِي اصْطِلَاحِ الْقُرْآنِ أَنَّ الْبَرَرَةَ الْمَلَائِكَة وَالْأَبْرَارَ الْآدَمِيُّونَ. قَالَ الرَّاغِبُ: «لِأَنَّ بَرَرَةً أَبْلَغُ مِنْ أَبْرَارٍ إِذْ هُوَ جَمْعُ بَرٍّ، وَأَبْرَارٌ جَمْعُ بَارٍّ، وَبَرٌّ أَبْلَغُ مِنْ بَارٍّ كَمَا أَنَّ عَدْلًا أَبْلَغُ مِنْ عَادِلٍ» . وَهَذَا تَنْوِيهٌ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ لِأَنَّ التَّنْوِيهَ بِالْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا بَعْضُ الْقُرْآنِ فَأُثْنِيَ عَلَى الْقُرْآنِ بِفَضِيلَةِ أَثَرِهِ فِي التَّذْكِيرِ وَالْإِرْشَادِ، وَبِرِفْعَةِ مَكَانَتِهِ، وَقُدْسِ مَصْدَرِهِ، وَكَرَمِ قَرَارِهِ، وَطَهَارَتِهِ، وَفَضَائِلِ حَمَلَتِهِ وَمُبَلِّغِيهِ، فَإِنَّ تِلْكَ الْمَدَائِحَ عَائِدَةٌ إِلَى الْقُرْآنِ بطَرِيق الْكِنَايَة " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٨/ ٣٢١) : " وَقَوْلُهُ: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ ، أَيْ: خُلقهم كَرِيمٌ حَسَنٌ شَرِيفٌ، وَأَخْلَاقُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بَارَّةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ. وَمِنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالرَّشَادِ " .

وقال الإمام الألوسي في " روح المعاني " (١٥/ ٢٤٥) : " بَرَرَةٍ ، أي : أتقياء ، وقيل : مطيعين الله تعالى ، من قولهم : فلان يبرّ خالقه ، أي : يُطيعه ، وقيل : صادقين من بر في يمينه وهو جمع بر لا غير " .

ومن استعمال البررة في المَلَائِكَة ما أخرجه البخاري (٦/ ١٦٦ برقم ٤٩٣٧) ومسلم (١/ ٥٤٩ برقم ٧٩٨) بسندهما عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ» .

قال الإمام ابن الجوزي في " كشف المشكل من حديث الصَّحيحين" (٤/ ٣٦٥) : " والسَّفرة: الْمَلَائِكَة. وَفِي تسميتهم بالسَّفرة قَولَانِ:

أَحدُهمَا: أَنَّه مَأْخُوذ من الْبَيَان والإيضاح، فسمُّوا سفرة: أَي كتبة؛ لِأَنَّ الْكَاتِب يبين الشَّيْء ويوضحه، وَيُقَال لِلْكَاتِبِ سَافر.

وَالثَّانِي: مَأْخُوذ من السَّفارة، والسَّفير: الَّذِي يُصلح بَين الِاثْنَيْنِ.

يُقَال: سفرت بَين الْقَوْم: أَي أصلحت.

وَفِيمَا يُسفرون فِيهِ قَولَانِ: أَحدهمَا: أَنَّهم يُسفرون فِيمَا بَين الله وأنبيائه. وَالثَّانِي: فِي صَلَاح النَّاس، لأَنَّهم ينزلون بِالْوَحْي والتَّأديب المصلح.

وَقَوله: الْكِرَام البررة: أَي كرام على رَبِّهم، بررة: أَي مطيعون " .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٦/ ٨٤-٨٥) : " السَّفَرَةُ : جَمِيعُ سَافِرٍ كَكَاتِبٍ وَكَتَبَةٍ ، وَالسَّافِرُ : الرَّسُولُ ، وَالسَّفَرَةُ : الرُّسُلُ ، لِأَنَّهُمْ يُسْفِرُونَ إِلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِ اللَّهِ . وَقِيلَ : السَّفَرَةُ : الْكَتَبَةُ ، وَالْبَرَرَةُ الْمُطِيعُونَ مِنَ الْبِرِّ ، وَهُوَ الطَّاعَةُ ، وَالْمَاهِرُ الْحَاذِقُ الْكَامِلُ الْحِفْظِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ بِجَوْدَةِ حِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ . قَالَ الْقَاضِي : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى كَوْنِهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ أَنَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مَنَازِلَ يَكُونُ فِيهَا رَفِيقًا لِلْمَلَائِكَةِ السَّفَرَةِ لِاتِّصَافِهِ بِصِفَتِهِمْ مِنْ حَمْلِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ أَنَّهُ عامل بعملهم " ...

ثَانِياً : وَصفهم بأَنَّهم كِرَام : قال تعالىٰ : **﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾** . قال الإمام الألوسي في " روح المعاني " (١٥/ ٢٤٥) : " كِرَامٍ : أعزَّاء علىٰ الله تعالىٰ ، معظَّمين عنده عزَّ وجلَّ ، فهو من الكرامة بمعنىٰ التَّوقير أو متعطِّفين علىٰ المؤمنين ، يستغفرون لهم ويرشدونهم إلىٰ ما فيه الخير بالإلهام ، وينزِلون بما فيه تكميلهم من الشَّرائع ، فهو من الكرم ضدَ اللؤم " .

وقال تعالىٰ : **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾** [الأنبياء: ٢٧] ، قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٥/ ٣٣٨) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ رَدًّا عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ – تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ– وَلَدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَمَنْ قَالَ ذَلِكَ مِنَ الْعَرَبِ: إِنَّ المَلَائِكَة بَنَاتُ اللهَّ، فَقَالَ: **﴿سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾** ، أَيِ: المَلَائِكَة عِبَادُ اللهَّ مُكْرَمُونَ عِنْدَهُ، فِي مَنَازِلَ عَالِيَةٍ وَمَقَامَاتٍ سَامِيَةٍ، وَهُمْ لَهُ فِي غَايَةِ الطَّاعَةِ قَوْلًا وَفِعْلًا.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ، أَيْ: لَا يَتَقَدَّمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ، وَلَا يُخَالِفُونَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ بَلْ يُبَادِرُونَ إِلَىٰ فِعْلِهِ، وَهُوَ تَعَالَىٰ عِلْمه مُحِيطٌ بِهِمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ " . فالملائكة لا يتقدَّمون بين يدي الله بشيء ، بمعنىٰ أنَّهم يستسلمون لأمره ، فلا يعترضون علىٰ أيّ أمر من أوامره ، ولا يقدِّمون لديه مقترحات ، بل هم في غاية الاستجابة والانصياع لسائر أوامره ، ينفِّذونها بلا ملل ولا فتور ولا ضجر ...

ثَالِثَاً : وصفهم بأَنَّهم مُقَرَّبُوْن : قال تعالىٰ : **﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهَّ وَلَا المَلَائِكَة الْمُقَرَّبُونَ﴾** [النساء: ١٧٢] . والمُرادُ بِالْقربِ الوارد في الآية الكريمة هو قُرب الحظوة والمكانة والمنزلة والرُّتبة ... ولا يقصد به القُرب المكاني ، لأنَّ الله ليس في مكان ، وقد اتَّفق أهل الحقِّ علىٰ وجوب تنزيه الله تعالىٰ عن ما يقتضيه ظاهر معنىٰ جميع الألفاظ المُضافة إلىٰ الله تعالىٰ ... من إثبات الجوارح والأعضاء والمكان ... قال الإمام ابن جماعة في " إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التَّعطيل " (ص١٣٥-١٣٦) : " إِذا ثَبت تَنْزِيه الرب تَعَالَىٰ عَن الحيز والجهة والقرب الْحسي والبعد الْعرفِيّ وَجب تَأْوِيل ذَلِك علىٰ مَا يَلِيق بجلاله وَهُوَ قرب علمه وَرَحمته ولطفه ، وَيُؤَيّدهُ قَوْله تَعَالَىٰ إِن رحمت الله قريب من الْمُحْسِنِينَ أَو قرب الْمنزلَة عِنْده كَمَا يُقَال السُّلْطَان قريب من فلَان إِذا كَانَت لَهُ عِنْده منزله رفيعة وَالسَّيِّد قريب من غلمانه إِذا كَانَ يتنازل مَعَهم فِي مخاطبتهم وملاطفتهم وَلَيْسَ المُرَاد هَهُنَا قرب مَسَافَة وَلَا مَكَان . وَإِذا كَانَ ذَلِك مُسْتَعْملا فِي لِسَان الْعَرَب وَالْعرْف وَجب حمله عَلَيْهِ لِاسْتِحَالَة ظَاهر الْمسَافَة فِي حق الرب تَعَالَىٰ " .

رَابِعَاً : وَصفهم بأنَّهم الملأ الأعلى : قال تعالىٰ : **﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾** [الصافات: ٨] ، قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير " (١٩/ ٥٠٥) : " وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : **﴿إِلَى الْمَلَإِ﴾** [البقرة: ٢٤٦] : إِلَىٰ جَمَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي هُمْ أَعْلَىٰ مِمَّنْ هُمْ دُونَهُمْ " ، وقال تعالىٰ : **﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** [ص: ٧٠] ، قال الإمام الطَّبري في التَّفسير " (٢٠/ ١٤٢) : " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: **﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾** ، قَالَ: الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ: الْمَلَائِكَةُ حِينَ شُووِرُوا فِي خَلْقِ آدَمَ، فَاخْتَصَمُوا فِيهِ، وَقَالُوا: لَا تَجْعَلْ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... كما نقل عَنِ السُّدِّيِّ، **﴿بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾** ، هُوَ: **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** [البقرة: ٣٠] " .

خَامِسَاً : قرن الله تعالى شهادة المَلَائِكَة بشهادته : قال تعالىٰ : **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾** [آل عمران: ١٨] ، وقال : **﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾** [النساء: ١٦٦] ، وقال : **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٥٦] ... فقرنُ الله تعالىٰ لشهادة المَلَائِكَة بشهادته تعالىٰ شرفٌ عظيم ومحل لهم في الدِّين كبير ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَمَلُّ المَلَائِكَةُ أَوْ يَتْعَبُوْن ؟

الجواب : المَلَائِكَة مفطورون على الطَّاعة المُطلقة لله تعالىٰ ، ولذلك فهُم لا يحسُّون بالتَّعب ولا يشعُرون به كما يشعر البشر ، قال الله تعالىٰ في وصفهم: **﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾** [فصلت:٣٨] .

وقال تعالىٰ : **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾** [الأنبياء:١٩-٢٠] .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلَائِكَةُ مَعْصُوْمُوْن ؟

الجواب : من صفات المَلَائِكَة أنَّهم معصومون ، منزَّهون عن المعاصي والآثام والشَّهوات والنَّزوات ... فلا يصدرُ عنهم ذنب لا كبير ولا صغير ، بدليل قول الله تعالىٰ : **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [النحل:٥٠] ، وقوله تعالىٰ : **﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾** [الأنبياء: ١٩-٢٠] ، وقوله تعالىٰ : **﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم:٦] ...

قال الإمام القاضي عياض في " الشِّفا" (٢/ ٣٩٧-٣٩٩) : " الفصل السَّادس عشر : عصمة الملائكة :

فِي الْقَوْلِ فِي عِصْمَةِ الْمَلَائِكَةِ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مُؤْمِنُونَ فُضَلَاءُ، وَاتَّفَقَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ حُكْمَ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ حُكْمُ النَّبِيِّينَ سَوَاءً فِي الْعِصْمَةِ، مِمَّا ذَكَرْنَا عِصْمَتَهُمْ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ فِي حُقُوقِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالتَّبْلِيغِ إِلَيْهِمْ، كَالْأَنْبِيَاءِ مَعَ الْأُمَمِ..

وَاخْتَلَفُوا فِي غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ، فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى عِصْمَةِ جَمِيعِهِمْ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾** ، وبقوله: **﴿وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾** ، **﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾** .

وَبِقَوْلِهِ: **﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾** .

وَبِقَوْلِهِ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ﴾** الاية وبقوله: **﴿كِرامٍ بَرَرَةٍ﴾** و: **﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾** ، وَنَحْوِهِ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ .

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ: إِلَى أَنَّ هَذَا خُصُوصٌ لِلْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ وَالْمُقَرَّبِينَ وَاحْتَجُّوا بِأَشْيَاءَ ذَكَرَهَا أَهْلُ الْأَخْبَارِ وَالتَّفَاسِيرِ نَحْنُ نَذْكُرُهَا إِنْ إِشَاءَ اللَّهُ بَعْدُ، وَنُبَيِّنُ الْوَجْهَ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَالصَّوَابُ: عِصْمَةُ جَمِيعِهِمْ، وَتَنْزِيهُ نِصَابِهِمُ الرَّفِيعِ عَنْ جَمِيعِ مَا يَحُطُّ مِنْ رُتْبَتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ عَنْ جَلِيلِ مِقْدَارِهِمْ. وَرَأَيْتُ بَعْضَ شيوخنا أشار بأن لَا حَاجَةَ بِالْفَقِيهِ إِلَى الْكَلَامِ فِي عِصْمَتِهِمْ .

وَأَنَا أَقُولُ إِنَّ لِلْكَلَامِ فِي ذَلِكَ مَا لِلْكَلَامِ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سِوَى فَائِدَةِ الْكَلَامِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فهي ساقطة ههنا .

فَمِمَّا احْتَجَّ بِهِ مَنْ لَمْ يُوجِبْ عِصْمَةَ جَمِيعِهِمْ قِصَّةُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا ذَكَرَ فِيهَا أَهْلُ الْأَخْبَارِ وَنَقَلَةُ الْمُفَسِّرِينَ، وَمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ فِي خَبَرِهِمَا وَابْتِلَائِهِمَا.

فَاعْلَمْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ- أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ لَمْ يُرْوَ مِنْهَا شَيْءٌ لَا سَقِيمٌ وَلَا صَحِيحٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَلَيْسَ هُوَ شَيْئًا يُؤْخَذُ بِقِيَاسٍ.. وَالَّذِي مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ، وَأَنْكَرَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ كَمَا سنذكره" .

وقال الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٥٢) في معرض كلامه عن قصَّة هاروت وماروت : " هَذَا كُلُّهُ ضَعِيفٌ وَبَعِيدٌ عَنِ ابن عمر وغيره، لا يصحُّ منه شيء، فَإِنَّهُ قَوْلٌ تَدْفَعُهُ الْأُصُولُ فِي المَلَائِكَة الَّذِينَ هُمْ أُمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ، وَسُفَرَاؤُهُ إِلَى رُسُلِهِ" **﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** ، **﴿بَلْ عِبادٌ**

مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾. وَأَمَّا الْعَقْلُ فَلَا يُنْكِرُ وُقُوعَ الْمَعْصِيَةِ مِنَ الْمَلَائِكَة وَيُوجَدُ مِنْهُمْ خِلَافُ مَا كُلِّفُوهُ، وَيَخْلُقُ فِيهِمُ الشَّهَوَاتِ، إِذْ فِي قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ كُلُّ مَوْهُومٍ، وَمِنْ هَذَا خَوْفُ الأنبياء والأولياء الفضلاء العلماء، ولكن وُقُوعُ هَذَا الْجَائِزِ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالسَّمْعِ وَلَمْ يَصِحَّ" .

فالملائكة كلّهم معصومون ، وتركهم للمعصية لا يكلِّفهم أدنىٰ مشقَّة أو مجاهدة ، لأنَّهم لا شهوة لهم ، خُلقوا لعبادة الله وطاعته، والخضوع المطلق لأوامره وليس للاختبار والابتلاء ، فلا يفعلوا شيئاً إلَّا بأمر ، قال تعالىٰ : ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ...

وقال الإمام السُّيوطي في " الحبائك " (ص٢٥٢-٢٥٤) : " قال القاضي عياض: أجمع المسلمون أنَّ المَلَائِكَة مؤمنون فضلاء، واتَّفق أئمَّة المسلمين أنَّ حكم المرسلين منهم حكم النَّبيِّين سواء في العصمة ممَّا ذكرنا عصمتهم منه، وأنَّهم في حقوق الأنبياء والتَّبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم، واختلفوا في غير المرسلين منهم، فذهب طائفة إلىٰ عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجُّوا بقول الله تعالىٰ: ﴿لاَ يَعصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُم وَيَفعَلونَ ما يُؤمَرُون﴾ [التحريم: ٦] ، وبقوله: ﴿وَما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦] ، وبقوله: ﴿وَمَن عِندَهُ لا يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِهِ وَلا يَستَحْسِرونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] ، ونحوه من السَّمعيَّات، وذهبت طائفة إلىٰ أنَّ هذا خصوص للمرسلين منهم والمقرَّبين، واحتجُّوا بقصَّة هاروت وماروت، وقصَّة إبليس، والصَّواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرَّفيع عن جميع ما يحطّ من رتبهم وينزلهم عن جليل مقدارهم، قال: والجواب عن قصَّة هاروت وماروت أنَّها لم يرو فيها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وعن قصَّة إبليس أنَّ الأكثر ينفون أنَّه من المَلَائِكَة ويقولون إنَّه أبو الجن كما أنَّ آدم أبو الإنس. انتهىٰ.

وقال الصَّفوىٰ الأرموىٰ في رسالته: المَلَائِكَة معصومون ، والدَّليل عليه من وجوه:

أحدها: قوله تعالىٰ في وصفهم: ﴿وَيفعَلُوْنَ مَا يُؤمَرُون﴾ ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُم بِأَمرِهِ يَعْمَلُون﴾ [الأنبياء: ٢٧] ، وهما يتناولان فعل المأمورات وترك المنهيَّات؛ لأنَّ النَّهي أمر بالتَّرك، ولأنَّه سيق في معرض التَّمدُّح وهو إنَّما يحصل بمجموعها، وثانيها: قوله تعالىٰ: ﴿ يُسَبِّحُوْنَ اللَيلَ وَالنَّهارَ لاَ يَفتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ، وهو يفيد المبالغة التَّامَّة في الاشتغال بالعبادة وهو يفيد المطلوب، وثالثها: المَلَائِكَة رسل الله لقوله تعالىٰ : ﴿جَاعِلُ

المَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾ [فاطر: ١] ، والرُّسل معصومون لأنَّه تعالىٰ قال في تعظيمهم : **﴿اللهُ أَعلَمُ حَيْثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُ﴾** [الأنعام: ١٢٤] ، وهو يفيد المبالغة التَّامَّة في التَّعظيم، فيكونون أتقىٰ النَّاس، احتجَّ المخالف بقصَّة هاروت وماروت، وبقصَّة إبليس مع آدم وباعتراضهم علىٰ الله تعالىٰ في خلق آدم بقولهم: **﴿أَتَجعَلُ فِيها مَن يُفسِدُ فِيْهَا﴾** [البقرة: ٣٠] ، وجوابه علىٰ سبيل الإجمال: أنَّ جميع ما ذكرتم محتمل احتمالاً بعيداً وقريباً وعلىٰ التَّقديرين لا يعارض ما دلَّ علىٰ عصمتهم من الصَّرايح والظَّواهر، وهذا الجواب في قصَّة هاروت وماروت أقعد من الجواب الذي قبله لما تقدَّم عند ذكرهما من الأحاديث الصَّحيحة، وقال القرافي: ومن اعتقد في هاروت وماروت أنَّهما بأرض الهند يعذَّبان علىٰ خطيئتهما مع الزّهرة فهو كافر، بل هم رسل الله وخاصَّته يجب تعظيمهم وتوقيرهم تنزيههم عن كلِّ ما يخلّ بعظيم قدْرهم، ومن لم يفعل ذلك وجب إراقة دمه، وقال البلقيني في منهج الأصوليِّين: العصمة واجبة لصفة النُّبوَّة والملائكيَّة وجائزة لغيرهما، ومن وجبت له العصمة فلا يقع منه كبيرة ولا صغيرة ولذلك نعتقد عصمة المَلَائِكَة المرسلين منهم وغير المرسلين ، قال الله تعالىٰ: **﴿لا يَعْصُوْنَ اللهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ﴾** ، والآيات في هذه المعنىٰ كثيرة وإبليس لم يكن من المَلَائِكَة وإنَّما كان من الجن ففسق عن أمر ربِّه، وأمَّا هاروت وماروت فلم يصح فيهما خبر. انتهىٰ. وفي كتاب الجامع من " المحلَّىٰ " لابن حزم: أنَّ هاروت وماروت من الجنّ وليسا مَلَكين ، قلت: فإن صحَّ هذا لم يحتج إلىٰ الجواب عن قصَّتهما كما أنَّ إبليس لم يكن من الملائكة، وإنَّما كان بينهم وهو من الجنّ ثمَّ رأيت في عقيدة الإمام أبي منصور الماتريدي – وهو إمام الحنفيَّة في الاعتقاديَّات كما أنَّ الشَّيخ أبا الحسن الأشعري إمام الشَّافعيَّة في ذلك – ما نصّه: ثمَّ إنَّ المَلَائِكَة كلّهم معصومون خلقوا للطَّاعة إلَّا هاروت وماروت. هذا لفظه، وهذه العقيدة شرحها القاضي تاج الدِّين السُّبكي يشرح في مجلَّد لطيف سمَّاه " السَّيف المشهور عن شرح عقيدة الإمام أبي منصور " .

﴿سُؤالٌ﴾ :كَيْفَ جَازَ لَسَيِّدِنَا مُوْسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام أَنْ يَضْرِبَ مَلَكَ المَوْت حَتَّى فَقَأ عَيْنَه ؟

الجواب : روىٰ مسلم (١٨٤٣/٤ برقم ٢٣٧٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جَاءَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ قَالَ فَلَطَمَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ المَوْتِ فَفَقَأَهَا، قَالَ فَرَجَعَ المَلَك إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ المَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ عَبْدِي فَقُلْ:

الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ» .

والحديث رواه البخاري (٢/ ٩٠ برقم ١٣٣٩) بلفظ : " أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ "، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ» .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (١/ ٣١١-٣١٣) : " إن قال قائل: كيف جاز لموسى عليه السلام أن يقدم على ضرب ملك الموت حتى فقأ عينه؟ فالجواب من وجوه ستَّة:

الأوَّلُ : أنَّها كانت عيناً متخيَّلة، لا حقيقة لها، وهذا القول باطل ، لأنَّه يؤدِّي إلى أنَّ ما يراه الأنبياء من صور المَلَائِكَة لا حقيقة لها، وهذا مذهب السَّالميَّة .

الثَّانِي: أنَّها كانت عيناً معنويَّة فقأها بالحجَّة، وهذا مجاز لا حقيقة له.

الثَّالِثُ: أنَّه لم يعرفه، وظنَّه رجلاً دخل منزله بغير إذنه، يريد نفسه فدافع عنها، فلطمه: ففقأ عينه، وتجب المدافعة في مثل هذا بكلِّ ممكن، وهذا وجه حسن، لأنَّه حقيقة في العين والصَّكِّ، قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة إلَّا أنَّه اعترض بما في الحديث نفسه، وهو أنَّ ملك الموت عليه السَّلام لمَّا رجع إلى الله تعالى، قال: يا ربِّ أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فلو لم يعرفه موسى لما صدر هذا القول من ملك الموت.

الرَّابِعُ: أنَّ موسى عليه السَّلام كان سريع الغضب، وسرعة غضبه كانت سبباً لصكِّه ملك الموت، قاله ابن العربي في الأحكام، وهذا فاسد، لأنَّ الأنبياء معصومون أن يقع منهم ابتداء مثل هذا في الرِّضا والغضب.

الخَامِسُ: ما قاله ابن مهدي رحمه الله: أنَّ عينه المستعارة ذهبت لأجل أنَّه جعل له أن يتصوَّر بما شاء، فكأنَّ موسى عليه السَّلام لطمه وهو متصوِّر بصورة غيره بدلالة أنَّه رأى بعد ذلك معه عينه.

السَّادِسُ: وهو أصحُّها إن شاء الله، وذلك أنَّ موسىٰ عليه السَّلام كان عنده ما أخبر نبيُّنا عليه السَّلام من أنَّ الله تعالىٰ لا يقبض روحه حتىٰ يخيَّر- خرَّجه البخاري وغيره - فلمَّا جاءه ملك الموت علىٰ غير الوجه الذي أُعلم بادر بشهامته ، وقوة نفسه إلىٰ أدبه فلطمه ففقئت عينه امتحاناً لملك الموت إذ لم يصرِّح له بالتَّخيير، وممَّا يدلُّ علىٰ صحَّة هذا: أنَّه لَّما رجع إليه ملك الموت فخيَّره بين الحياة والموت ، اختار الموت واستسلم، والله بغيبه أعلم وأحكم، وذكره ابن العربي في قبسه بمعناه والحمد لله" .

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٦/ ٤٤٢-٤٤٣) : " قَالَ بن خُزَيْمَةَ : أَنْكَرَ بَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ هَذَا الْحَدِيثَ وَقَالُوا : إِنْ كَانَ مُوسَىٰ عَرَفَهُ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِهِ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ لَمْ يُقْتَصَّ لَهُ مِنْ فَقْءِ عَيْنِهِ ؟ وَالْجَوَابُ : أَنَّ اللهَّ لَمْ يَبْعَثْ مَلَكَ الْمَوْتِ لِمُوسَىٰ وَهُوَ يُرِيدُ قَبْضَ رُوحِهِ حِينَئِذٍ وَإِنَّمَا بَعَثَهُ إِلَيْهِ اخْتِبَارًا ، وَإِنَّمَا لَطَمَ مُوسَىٰ مَلَكَ الْمَوْتِ لِأَنَّهُ رَأَىٰ آدَمِيًّا دَخَلَ دَارَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّه ملك الْمَوْت ، وَقد أَبَاحَ الشَّارِع فقء عَيْنِ النَّاظِرِ فِي دَارِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ إِذْنٍ ، وَقَدْ جَاءَتِ الْمَلَائِكَة إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَىٰ لُوطٍ فِي صُورَةِ آدَمِيِّينَ فَلَمْ يَعْرِفَاهُم ابْتِدَاءً ، وَلَوْ عَرَفَهُمْ إِبْرَاهِيمُ لَمَا قَدَّمَ لَهُمُ الْمَأْكُولَ ، وَلَوْ عَرَفَهُمْ لُوطٌ لَمَا خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ ، وَعَلَىٰ تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ عَرَفَهُ فَمِنْ أَيْنَ لِهَذَا الْمُبْتَدِعِ مَشْرُوعِيَّةُ الْقِصَاصِ بَيْنَ الْمَلَائِكَة وَالْبَشَرِ ؟ ثُمَّ مِنْ أَيْنَ لَهُ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ طَلَبَ الْقِصَاصَ مِنْ مُوسَىٰ فَلَمْ يُقْتَصَّ لَهُ ؟ ولخَّص الْخطابِيّ كَلَام بن خُزَيْمَةَ وَزَادَ فِيهِ : أَنَّ مُوسَىٰ دَفَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ لِمَا رُكِّبَ فِيهِ مِنَ الْحِدَّةِ ، وَأَنَّ اللهَّ رَدَّ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ لِيَعْلَمَ مُوسَىٰ أَنَّهُ جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللهَّ ، فَلِهَذَا اسْتَسْلَمَ حِينَئِذٍ . وَقَالَ النَّوَوِيُّ : لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَأْذَنَ اللهَّ لِمُوسَىٰ فِي هَذِهِ اللَّطْمَةِ امْتِحَانًا لِلْمَلْطُومِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّمَا لَطَمَهُ لِأَنَّهُ جَاءَ لِقَبْضِ رُوحِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخَيِّرَهُ لِمَا ثَبَتَ أَنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّىٰ يُخَيَّرَ ، فَلِهَذَا لَمَّا خَيَّرَهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ أَذْعَنَ ، قِيلَ : وَهَذَا أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ ، وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّهُ يَعُودُ أَصْلُ السُّؤَالِ فَيُقَالُ لِمَ أَقْدَمَ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَىٰ قَبْضِ نَبِيِّ اللهَّ وَأَخَلَّ بِالشَّرْطِ فَيَعُودُ الْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ امْتِحَانًا ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ فَقَأَ عَيْنَهُ ، أَيْ : أَبْطَلَ حُجَّتَهُ ، وَهُوَ مَرْدُودٌ بِقَوْلِهِ فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ : " فَرَدَّ اللهَّ عَيْنَهُ " ، وَبِقَوْلِهِ " لَطَمَهُ وَصَكَّهُ " ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَرَائِنِ السِّيَاقِ . وَقَالَ بن قُتَيْبَةَ : إِنَّمَا فَقَأَ مُوسَىٰ الْعَيْنَ الَّتِي هِيَ تَخْيِيلٌ وَتَمْثِيلٌ وَلَيْسَتْ عَيْنًا حَقِيقَةً ، وَمَعْنَىٰ رَدَّ اللهَّ عَيْنَهُ ، أَيْ : أَعَادَهُ إِلَىٰ خِلْقَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَقِيلَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَرَدَّ اللهَّ إِلَىٰ مَلَكِ الْمَوْتِ عَيْنَهُ الْبَشَرِيَّةَ لِيَرْجِعَ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ كَمَالِ الصُّورَةِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَقْوَىٰ فِي اعْتِبَارِهِ ، وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمد . وَجوَّز بن عَقِيلٍ أَنْ يَكُونَ مُوسَىٰ أُذِنَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِمَلَكِ الْمَوْتِ وَأُمِرَ مَلَكُ الْمَوْتِ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ

ذَلِكَ ، كَمَا أُمِرَ مُوسَىٰ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَصْنَعُ الْخَضِرُ ، وَفِيهِ أَنَّ الْمَلَكَ يَتَمَثَّلُ بِصُورَةِ الْإِنْسَانِ ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ " .

وقال الدُّكتور محمَّد أبو شُهبة في " دفاع عن السُّنَّة ورد شبه الْمُسْتَشْرِقِينَ والكتَّاب المعاصرين" (ص١٨٧-١٨٨) : " فالحديث مرفوع لا محالة، أمَّا في رواية همام بن منبِّه فالأمر ظاهر، وأمَّا رواية طاووس فلها حكم الرَّفع لأنَّه لا مجال للرَّأي فيه، ويبعد كونه من الإسرائيليَّات وروده مرفوعًا صراحة من طريق صحيح.

ورواه الإمام أحمد في " مسنده ": وليس في الحديث ما يستشكل وإنَّما يكون مشكلاً لو أنَّ موسىٰ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - علم أنَّه ملك الموت، وأنَّه دافعه رغبة عن الموت، إذ مقام الأنبياء يتنزَّه عن ذلك.

وفي الحقِّ أنَّ موسىٰ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - ظنَّه عاديًا يريد أن يعتدي عليه، فدافع موسىٰ عن نفسه فأدَّت المدافعة إلىٰ فَقْءِ عَيْنِهِ، والدِّفاع عن النَّفس أمر مشروع في جميع الشَّرائع السَّماويَّة والقوانين الوضعيَّة.

وليس في الرِّواية ما يدلُّ علىٰ أنَّه كان يعرف أنَّه ملك الموت، وتشكُّل الْمَلاَئِكَة بالصُّور الإنسانيَّة أمر معروف مُسَلَّمٌ، وجاء به القرآن الصَّادق الذي لا يتطرَّق إليه الشَّكُّ والارتياب، وليس بلازم أنْ يعرف النَّبِيُّ أنَّ المتشكِّل مَلَكٌ، فقد جاءت الْمَلاَئِكَة إلىٰ إبراهيم ولوط - عَلَيْهِمَا الصَلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - كما قصَّ القرآن الكريم - في صورة آدميين ولم يعرفاهم، ولولا ذلك لما قدَّم لهم إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - اللحم المشوي وقال: ألا تأكلون، ولَمَا خاف عليهم لوط من قومه، وليس أدلّ علىٰ أنَّ سيِّدنا موسىٰ لم يكن يعرف ملك الموت أوَّلاً أنَّه لَمَّا جاءه المرَّة الثَّانية وعرف أنَّه مَلَك الموت وأنَّ اللهَ خَيَّرَهُ بين طول الحياة أو قبض الرُّوح - اختار قبض الرُّوح، والحديث صريح في هذا كلِّ الصَّراحة، وقد سبق إلىٰ هذا الإمام الكبير أبو بكر بن خزيمة وغيره من الْمُتَقَدِّمِينَ ، واختاره المازري والقاضي عياض وغيرهما من علماء الأُمَّة الذين جمعوا بين المعقول والمنقول.

وَمِمَّا ينبغي أن يعلم أنَّ الْمَلاَئِكَة تتشكَّل، وأنَّ الصُّورة لا تحكم علىٰ هيئتها الحقيقيَّة، فَفَقْءُ موسىٰ عين الْمَلَك لا يعود عليه بنقص في خلقته ولا في هيئته، وبما ذكرناه يزول عن الحديث أي إشكال" .

ومع صحَّة توجيه الحديث ... ذهب البعض إلىٰ إنكار الحديث والطَّعن فيه ... كالإمام محمَّد الغزالي الذي قال في كتابه " السُّنَّة النَّبويَّة بين أهل الفقه وأهل الحديث " (ص٢١-٢٣) : " وقد وقع لي وأنا بالجزائر أنَّ طالباً سألني : أصحيح أنَّ موسىٰ عليه السَّلام !!... فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه،

بعدما استوفى أجله؟ فقلت للطَّالب وأنا ضائق الصَّدر: وماذا يفيدك هذا الحديث؟ إنَّه لا يتَّصل بعقيدة؟ ولا يرتبط به عمل! والأمَّة الإسلاميَّة اليوم تدور عليها الرَّحى، وخصومها طامعون في إخماد أنفاسها! اشتغل بما هو أهم وأجدى . قال الطَّالب: أحببت أن أعرف هل الحديث صحيح أم لا؟ فقلت له متبرِّماً: الحديث مروي عن أبى هريرة، وقد جادل البعض في صحَّته. وعدت لنفسي أفكِّر: إنَّ الحديث صحيح السَّند، لكنَّ متنه يثير الرِّيبة، إذ يفيد أنَّ موسى يكره الموت، ولا يحبُّ لقاء الله بعدما انتهى أجله، وهذا المعنى مرفوض بالنِّسبة إلى الصَّالحين من عباد الله كما جاء في الحديث الآخر "من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه ". فكيف بأنبياء الله؟ وكيف بواحد من أولي العزم؟. إنَّ كراهيته للموت بعدما جاء ملكه أمر مستغرب! ثمَّ هل المَلَائِكَة تعرض لهم العاهات التي تعرض للبشر من عمى أو عور؟ ذاك بعيد. قلت: لعلَّ متن الحديث معلول، وأياً ما كان الأمر فليس لديَّ ما يدفعني إلى إطالة الفكر فيه ... فلمَّا رجعت إلى الحديث في أحد مصادره ساءني أنَّ الشَّارح جعل ردَّ الحديث إلحاداً ! وشرع يفنِّد الشُّبهات الموجَّهة إليه فلم يزدها إلَّا قوَّة... وهاك الحديث أوَّلاً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : " جاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ قَالَ فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، قَالَ فَرَجَعَ الْمَلَك إِلَى الله تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالله لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ» .

قال المازري : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوُّره، قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟. قال: وأجاب العلماء عن هذه الشُّبهة بأجوبة: أحدها: أنَّه لا يمتنع أن يكون موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، والله- سبحانه وتعالى- يفعل في خلقه ما شاء، ويمتحنهم بما أراد .

والثَّاني : أنَّ هذا على المجاز، والمراد أنَّ موسى ناظره وحاجَّه فغلبه بالحجَّة، ويقال: فقأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحجَّة، ويقال: عورت الشَّيء إذا أدخلت فيه نقصاً. وعلَّق المازري على الرَّأي الثَّاني بقوله: وفى

هذا ضعف لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فردَّ الله عينه، فإن قيل: أراد حجَّته كان بعيداً . والثَّالث: أنَّ موسىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعلم أنَّه ملك من عند الله، وظنَّ أنَّه رجل قصده يريد نفسه (أي يريد قتله) فدافعه عنها، فأدت المدافعة إلىٰ فقء عينه، لا أنَّه قصدها بالفقء، وهذا جواب الإمام أبىٰ بكر بن خزيمة وغيره من المتقدِّمين، واختاره المازري والقاضي عياض. قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنَّه تعمَّد فقء عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسىٰ حين جاءه ثانياً بأنَّه ملك الموت. فالجواب: أنَّه أتاه في المرَّة الثَّانية بعلامة علم بها أنَّه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرَّة الأولىٰ. نقول نحن: هذا الدِّفاع كلّه خفيف الوزن، وهو دفاع تافه لا يُساغ !! ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين. والحقّ: أنَّ في متنه علَّة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحَّة. ورفضه أو قبوله خلاف فكرىٰ، وليس خلافاً عقائديَّاً. والعلَّة في المتن يبصرها المحقِّقون، وتخفىٰ علىٰ أصحاب الفكر السَّطحي " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلَائِكَةُ هُمْ شُهَدَاءُ الله فِي السَّماء ؟

الجواب : روىٰ النَّسائي في " السُّنن الكبرىٰ " (٢/ ٤٢٥ برقم ٢٠٧١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَرُّوا بِجِنَازَةٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ» ، ثُمَّ مَرُّوا بِجِنَازَةٍ أُخْرَىٰ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ» فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله، قَوْلُكَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَجَبَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ الله فِي السَّماءِ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الْأَرْضِ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَصْدُرُ مِنَ المَلَائِكَة شرٌّ بِنَاءً عَلَى العُمُوْمِ فِي قَوِلِهِ تَعَالَى : ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢] ؟

الجواب : من المعلوم أنَّ المَلَائِكَة معصومون عن كلِّ الذُّنوب صغيرها وكبيرها ... وعن كلِّ ما من شأنه أن يحطّ من رتبتهم ومنزلتهم وجليل قَدْرِهم – كما أسلفنا – فالملائكة مفطورون علىٰ الطَّاعة والخضوع المطلق لأوامره الله سبحانه، قال الله تعالىٰ: **﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾** [الأنبياء:١٩] ، وقال: **﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾** [فصلت: ٣٨] ، وقال سبحانه : **﴿لا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم:٦] ...

وأمَّا آية الفلق فلا يُفهم من عمومها أنَّ في المَلَائِكَة شرًّاً ...قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " بدائع الفوائد " (٢/ ٢١٥) : " وقد دخل في قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ الاستعاذة من كلِّ شرٍّ في أيِّ مخلوق قام به الشَّر من حيوان أو غيره إنسيَّاً كان أو جنيَّاً أو هامة أو دابَّة أو ريحاً أو صاعقة ، أي نوع كان من أنواع البلاء .

فإن قلت: فهل في ما هاهنا عموم ؟ قلت : فيها عموم تقييدي وصفي لا عموم إطلاقي ، والمعنى من شرِّ كلِّ مخلوق فيه شرّ ، فعمومها من هذا الوجه وليس المراد الاستعاذة من شرِّ كلِّ ما خلقه الله تعالى ، فإنَّ الجنَّة وما فيها ليس فيها شرّ ، وكذلك المَلَائِكَة والأنبياء فإنَّهم خير محض والخير كله حصل على أيديهم فالاستعاذة من: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ تعمُّ شرّ كلّ مخلوق فيه شرّ وكلّ شرّ في الدُّنيا والآخرة ، وشرّ شياطين الإنس والجنّ ، وشرّ السِّباع والهوام ، وشرّ النَّار والهواء ، وغير ذلك" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ إِبْلِيْسُ مِنَ المَلَائِكَة ؟

الجواب : جاء ذكر إبليس في القرآن العظيم ، وأنَّه أبى السُّجود لآدم عليه السَّلام في العديد من الآيات ، منها قوله الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قالَ ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١١-١٣] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قالَ يا إِبْلِيسُ ما لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّين * قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٢٨-٣٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً * قالَ أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٦١-٦٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ

دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف:٥٠] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى﴾ [طه:١١٦] ، وقوله تعالى : ﴿إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ * قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ * قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّين * قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم﴾ [ص:٧١-٨١] .

ففي العديد من الآيات السَّابقة جاء استثناء إبليس من الملائكة ، حيث رفض الأمر الإلهي له بالسُّجود لآدم ... وقد اختلف العلماء في حقيقة الاستثناء الوارد في الآيات الكريمة : هل هو استثناء متَّصلٌ ؟ أم هو استثناء منقطع ؟ مع العلم أنَّه جاء التَّصريح بالجنس الذي منه إبليس في آية سورة الكهف ، وأنَّه من الجنّ ... ومع وضوح المسألة وجلائها رأينا العلماء يختلفون في حقيقة إبليس : هل هو من الملائكة أم من الجنّ ؟

والحق أنَّ إبليس من الجن بل هو أبوهم كما أنَّ آدم عليه السَّلام هو أبو البشر ، ولم يكن إبليس أبداً مَلَكاً من الملائكة ، فالملائكة خلقٌ كرام بررة ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ... وقد صرَّح بذلك العديد من أهل العلم ...

قال الإمام الطَّبري في التَّفسير (١/٥٣٩-٥٤١) : " ... وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ، مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ عَوْفٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَصْلُ الْإِنْسِ».

وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] إِلْجَاءٌ إِلَى نَسَبِهِ فَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠] الْآيَةُ. وَهُمْ يَتَوَالَدُونَ كَمَا يَتَوَالَدُ بَنُو آدَمَ ...

قَالَ: وَحَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «إِبْلِيسُ أَبُو الْجِنِّ، كَمَا آدَمُ أَبُو الْإِنْسِ» وَعِلَّةُ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ خَلَقَ إِبْلِيسَ مِنْ نَارِ السَّمُومِ وَمِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَلَمْ يُخْبِرْ عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُ خَلَقَهَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ. فَقَالُوا: فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى غَيْرِ مَا نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ. قَالُوا: وَلِإِبْلِيسَ نَسْلٌ وَذُرِّيَّةٌ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا تَتَنَاسَلُ وَلَا تَتَوَالَدُ ..." .

وقال الإمام الطَّبري في " تاريخ الأمم والملوك " (١/ ٦٠) : " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصَّواب أن يقال كما قال الله عزَّ وجلَّ : **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾** ، وجائز أن يكون فسوقه عن أمر ربِّه كان من أجل أنَّه كان من الجنِّ ، وجائز أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدَّة اجتهاده كان في عبادة ربِّه وكثرة علمه وما كان أوتي من ملك السَّماء الدُّنيا والأرض وخزن الجنان ، وجائز أن يكون كان لغير ذلك من الأمور ، ولا يدرك علم ذلك إلَّا بخبر تقوم به الحجَّة ، ولا خبر في ذلك عندنا كذلك ، والاختلاف في أمره على ما حكينا ورويناه " .

ونقل ابن أبي حاتم في " التَّفسير" (٧/ ٢٣٦٦) عَنِ الحَسَنِ قَالَ: قاتل الله أقواما يزعمون إنَّ إبليس كَانَ مِنْ ملائكة الله، والله تَعَالَى يَقُولُ: كَانَ مِنَ الجِنّ ... وَعَنِ ابْنِ شهاب فِي قَوْلِهِ: **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنّ﴾** قَالَ: إبليس أبو الجِنّ، كما إنَّ آدم أبو الإِنْس، وآدم مِنَ الإِنْس وهو أبوهم. وإبليس مِنَ الجِنّ وهو أبوهم، وقد تبين للناس ذَلِكَ حين قَالَ الله: **﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾** " .

وقال الإمام ابن أبي زمنين في " تفسير القرآن العزيز " (٣/ ٦٨) : **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنّ﴾** قَالَ الْحَسَنُ: وَهُوَ أَوَّلُ الْجِنِّ؛ كَمَا أَنَّ آدَمَ مِنَ الْإِنْسِ؛ وَهُوَ أَوَّلُ الْإِنْسِ" .

وقال الإمام لماوردي في "النُّكت والعيون " (٣/ ٣١٣) : " قوله عزَّ وجلَّ: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنّ﴾** فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنَّه كان من الجنِّ على ما ذكره الله تعالى. ومنع قائل هذا بعد ذلك أن يكون من الملائكة لأمرين: أحدهما: أنَّ له ذريَّة ، والملائكة لا ذريَّة لهم. الثَّاني: أنَّ الملائكة رسل الله سبحانه ولا يجوز عليهم الكفر ، وإبليس قد كفر ، قال الحسن: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنَّه لأصل الجنِّ كما أنَّ آدم أصل الإنس ..." .

وقال الإمام البغوي في " التَّفسير" (١/ ١٠٤) : " ... وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾** [الْكَهْفِ: ٥٠] ، فَهُوَ أَصْلُ الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَصْلُ الْإِنْسِ، وَلِأَنَّهُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَالْمَلَائِكَةَ خُلِقُوا مِنَ النُّورِ، وَلِأَنَّ لَهُ ذُرِّيَّةً وَلَا ذُرِّيَّةَ لِلْمَلَائِكَةِ ... " .

قال الإمام الزَّمخشري في " الكشَّاف" (٣/ ٩١) : " فإن قلت: إبليس كان جنيَّاً بدليل قوله تعالى : **﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾** ، فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصَّة؟ قلت : كان في صحبتهم، وكان يعبد الله تعالى عبادتهم، فلمَّا أُمروا بالسُّجود لآدم والتَّواضع له كرامة له، كان الجنِّي الذي معهم أجدر بأن

يتواضع، كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم، كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب، حتى إن لم يقم عنف. وقيل له: قد قام فلان وفلان، فمن أنت حتى تترفَّع عن القيام؟ فإن قلت: فكيف صحَّ استثناؤه وهو جنِّي عن الملائكة؟ قلت: عمل على حكم التَّغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه، فأخرج الاستثناء على ذلك، كقولك: خرجوا إلَّا فلانة، لامرأة بين الرِّجال **﴿أَبَى﴾** جملة مستأنفة، كأنَّه جواب قائل قال: لِمَ لَمْ يسجد ؟ والوجه أن لا يقدّر له مفعول، وهو السُّجود المدلول عليه بقوله **﴿فَسَجَدُوا﴾** ، وأن يكون معناه : أظهر الإباء وتوقَّف وتثبَّط" .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير" (٣/ ٩٠) : " وفي قوله: **﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** قولان: أحدهما: أنَّه من الجن حقيقة، لهذا النَّص واحتجَّ قائلو هذا بأنَّ له ذريَّةً- وليس للملائكة ذريَّةٌ- وأنَّه كَفَرَ، والملائكة رسل الله، فهم معصومون من الكفر " .

وقال الإمام القاضي عياض في" الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى " (٣/ ٤٠٣-٤٠٤) : " وقد وصفهم الله بأنَّهم «مطهَّرون » و **﴿كِرامٍ بَرَرَةٍ﴾** و **﴿لَا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ ﴾** . وَمِمَّا يَذْكُرُونَهُ: قِصَّةُ إِبْلِيسَ وَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَرَئِيسًا فِيهِمْ، وَمِنْ خُزَّانِ الْجَنَّةِ.. إِلَى آخِرِ مَا حَكَوْهُ وَأَنَّهُ اسْتَثْنَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِقَوْلِهِ: **﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾** . وَهَذَا أَيْضًا لَمْ يُتَّفَقْ عَلَيْهِ ... بَلِ الْأَكْثَرُ ينفون ذلك، وأنَّه أبو الجنّ كما آدَمَ أَبُو الْإِنْسِ ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ ، وَابْنِ زَيْدٍ ... وَالِاسْتِثْنَاءُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ شَائِعٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ سَائِغٌ» .

وَقَدْ قَالَ اللهَّ تعَالَى: **﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾** ، وممَّا رووه في الْأَخْبَارِ : «أَنَّ خَلْقًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَصَوُا اللهَّ فَحُرِّقُوا ، وَأُمِرُوا أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ فَأَبَوْا فَحُرِّقُوا، ثُمَّ آخَرُونَ كَذَلِكَ، حَتَّى سَجَدَ لَهُ مَنْ ذَكَرَ اللهَّ إِلَّا إِبْلِيسَ... فِي أَخْبَارٍ لَا أَصْلَ لَهَا تَرُدُّهَا صِحَاحُ الْأَخْبَارِ ... فَلَا يُشْتَغَلُ بها ، والله أعلم " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢/ ٤٢٨-٤٢٩) : " لَمَّا ثَبَتَ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَجَبَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ تعَالَى: **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾** [سَبَأٍ: ٤٠- ٤١] وَهَذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْمَلَكِ. فَإِنْ قِيلَ لَا نُسَلِّمُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ أَمَّا قَوْلُهُ تعالى: **﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** ، فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ كَانَ مِنَ الْجَنَّةِ عَلَى مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ مِنَ الْجِنِّ ، أَيْ : كان خازن الجنَّة سلمنا ذلك لكن لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: **﴿مِنَ الْجِنِّ﴾** ، أَيْ : صَارَ مِنَ الْجِنِّ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ : **﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** ، أَيْ : صَارَ

مِنَ الْكَافِرِينَ سَلَّمْنَا أَنَّ مَا ذَكَرْتَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ فَلِمَ قُلْتَ : إِنَّ كَوْنَهُ مِنَ الْجِنِّ يُنَافِي كَوْنَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْآيَةِ مُعَارَضٌ بِآيَةٍ أُخْرَىٰ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾** [الصَّافَّات: ١٥٨] وَذَلِكَ لِأَنَّ قُرَيْشًا قَالَتْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، فهذه الآية تدلُّ على أنَّ المَلَك يسمي جِنًّا؟

وَالْجَوَابُ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** أَنَّهُ كَانَ خَازِنَ الْجَنَّةِ لِأَنَّ قَوْلَهُ **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** يُشْعِرُ بِتَعْلِيلِ تَرْكِهِ لِلسُّجُودِ لِكَوْنِهِ جِنِّيًّا ، وَلَا يُمْكِنُ تَعْلِيلُ تَرْكِ السُّجُودِ بِكَوْنِهِ خَازِنًا لِلْجَنَّةِ فَيَبْطُلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : **﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** ، أَيْ : صَارَ مِنَ الْجِنِّ. قُلْنَا : هَذَا خِلَافُ الظَّاهِرِ فَلَا يُصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾** ، قُلْنَا : يُحْتَمَلُ أَنَّ بَعْضَ الْكُفَّارِ أَثْبَتَ ذَلِكَ النَّسَبَ فِي الْجِنِّ كَمَا أَثْبَتَهُ فِي الْمَلَائِكَةِ ، وَأَيْضًا فَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ المَلَك يُسَمَّىٰ جِنًّا بِحَسَبِ أَصْلِ اللُّغَةِ ، لَكِنَّ لَفْظَ الْجِنِّ بِحَسَبِ الْعُرْفِ اخْتَصَّ بِغَيْرِهِمْ ، كَمَا أَنَّ لَفْظَ الدَّابَّةِ وَإِنْ كَانَ بِحَسَبِ اللُّغَةِ الْأَصْلِيَّةِ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا يَدِبُّ لَكِنَّهُ بِحَسَبِ الْعُرْفِ اخْتَصَّ بِبَعْضِ مَا يَدِبُّ ، فَتُحْمَلُ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى اللُّغَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَالْآيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَلَىٰ الْعُرْفِ الْحَادِثِ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ إِبْلِيسَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ وَالْمَلَائِكَةُ لَا ذُرِّيَّةَ لَهُمْ، إِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ إِبْلِيسَ لَهُ ذَرِّيَّةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي صِفَتِهِ: **﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي﴾** [الْكَهْف: ٥٠] ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي إِثْبَاتِ الذُّرِّيَّةِ لَهُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا ذُرِّيَّةَ لَهُمْ لِأَنَّ الذُّرِّيَّةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ وَالْمَلَائِكَةُ لَا أُنْثَىٰ فِيهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ﴾** [الزُّخْرُف: ١٩] أَنْكَرَ عَلَىٰ مَنْ حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِالْأُنُوثَةِ فَإِذَا انْتَفَتِ الْأُنُوثَةُ انْتَفَىٰ التَّوَالُدُ لَا مَحَالَةَ فَانْتَفَتِ الذُّرِّيَّةُ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَعْصُومُونَ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ وَإِبْلِيسُ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَوَجَبَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ إِبْلِيسَ مَخْلُوقٌ مِنَ النَّارِ وَالْمَلَائِكَةُ لَيْسُوا كَذَلِكَ إِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ إِبْلِيسَ مَخْلُوقٌ مِنَ النَّارِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنْ إِبْلِيسَ : **﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ﴾** ، وَأَيْضًا فَلِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** ، وَالْجِنُّ مَخْلُوقُونَ مِنَ النَّارِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَالْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ﴾** [الْحِجْر: ٢٧] ، وَقَالَ: **﴿خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾** [الرَّحْمَن: ١٤- ١٥] ، وَأَمَّا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَيْسُوا مَخْلُوقِينَ مِنَ النَّارِ بَلْ مِنَ النُّورِ، فَلِمَا رَوَىٰ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ قَالَ : " خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ" ، ولأنَّ من المشهور الذي لا يَدْفَعُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ رُوحَانِيُّونَ، وَقِيلَ إِنَّمَا سُمُّوا بِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنَ الرِّيحِ أَوِ الرَّوْحِ.

وَخَامِسُهَا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ رُسُلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا﴾** [فَاطِرٍ: ١] ، وَرُسُلُ اللهَّ مَعْصُومُونَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾** [الأَنْعَامِ: ١٢٤] ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ إِبْلِيسُ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٢٩٤) : " وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ أَيْضًا: إِبْلِيسُ أَبُو الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَبُو الْبَشَرِ وَلَمْ يَكُنْ مَلَكًا، وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَالَ: اسْمُهُ الْحَارِثُ... وَالِاسْتِثْنَاءُ عَلَىٰ هَذَا مُنْقَطِعٌ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ﴾** [النساء: ١٥٧] ، وقوله: **﴿إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ﴾** [المائدة: ٣] فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطَشٌ وَلَا جُوعٌ   إِلَّا الرُّقَادَ وَالرُّقَادُ مَمْنُوعٌ

وَاحْتَجَّ بَعْضُ أَصْحَابِ هَذَا الْقَوْلِ بِأَنَّ اللهَّ عز وجل وَصَفَ الْمَلَائِكَةَ فَقَالَ: **﴿لا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم: ٦] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** [الكهف: ٥٠] ، وَالْجِنُّ غَيْرُ الْمَلَائِكَة" .

وقال الإمام البيضاوي في " أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل" (٢/ ٢٨٤) : " كَانَ مِنَ الْجِنِّ حال بإضمار قد أو استئناف للتَّعليل كأنَّه قيل: ما له لم يسجد ؟ فقيل **﴿كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾** فخرج عن أمره بترك السُّجود والفاء للسَّبب، وفيه دليل علىٰ أنَّ المَلَك لا يعصىٰ البتَّة وإنَّما عصىٰ إبليس لأنَّه كان جنيَّاً في أصله" .

وقال الإمام النَّسفي في " مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل" (٥٩/١) : " وقيل : الاستثناء منقطع لأنَّه لم يكن من الملائكة بل كان من الجنِّ بالنَّصِّ ، وهو قول الحسن وقتادة ، ولأنَّه خلق من نار والملائكة خلقوا من النُّور ، ولأنَّه أبىٰ وعصىٰ واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته. ولأنَّه قال : **﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُا أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾** [الكهف : ٥٠] ، ولا نسل للملائكة " .

وقال الإمام ابن جزي الكلبي في " التَّسهيل لعلوم التَّنزيل " (٤٦٧/١) : " **﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** كلام مستأنف جرىٰ مجرىٰ التَّعليل لأباية إبليس عن السُّجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أنَّ إبليس لم يكن من الملائكة، وأنَّ استثناءه منهم استثناء منقطع، فإنَّ الجنَّ صنف غير الملائكة ..." .

وقال الإمام الخازن في " لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل " (٤/٢١٦) : " وقال الحسن : كان من الجنِّ ولم يكن من الملائكة ، فهو أصل الجن ، كما أنَّ آدم أصل الإنس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن ، بدليل قوله سبحانه تعالى : **﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً﴾** [الصافات:١٥٢] ، وذلك أنَّ قريشاً قالت : الملائكة بنات الله ، فهذا يدلُّ على أنَّ المَلَك يسمَّى جنّاً ويعضده اللغة ، لأنَّ الجنَّ مأخوذ من الاجتنان ، وهو السِّتر ، فعلى هذا تدخل الملائكة فيه ، فكلُّ الملائكة جنّ لاستتارهم وليس كلّ جنّ ملائكة ، ووجه كونه من الملائكة أنَّ الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل ويصحُّ دخوله ، وذلك يوجب كونه من الملائكة . ووجه من قال إنَّه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله : **﴿كَانَ مِنَ الجِنِّ﴾** ، والجنّ جنس مخالف للملائكة .

قوله : **﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾** ، فأثبت له ذريَّة والملائكة لا ذريَّة لهم ، وأُجيب عن الاستثناء أنَّه استثناء منقطع ، وهو مشهور في كلام العرب ، قال الله سبحانه وتعالى : **﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾** [الزخرف:٢٦-٢٧] " .

وقال الإمام في " البحر المحيط في التَّفسير" (١/٢٤٨) : " ... وَقِيلَ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، وَأَنَّهُ أَبُو الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ أَبُو الْبَشَرِ، وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ مَلَكًا، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ وَالْحَسَنُ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَشَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ: أَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَرْضِ وَقَاتَلَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَبَوْهُ صَغِيرًا وَتَعَبَّدَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَخُوطِبَ مَعَهُمْ، وَاسْتُدِلَّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا﴾** فَعَمَّ، فَلَا يَجُوزُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْكُفْرُ وَلَا الْفِسْقُ، كَمَا لَا يَجُوزُ عَلَى رُسُلِهِ مِنَ الْبَشَرِ، وَبِقَوْلِهِ: **﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** ، وَبِقَوْلِهِ: **﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** ، وَبِأَنَّ لَهُ نَسْلًا، بِخِلَافِ الْمَلَائِكَةِ" .

قال الإمام ابن كثير في "التَّفسير" (٥/١٦٧) : " قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَط، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَصْلُ الْبَشَرِ. رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه " .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي في " اللباب في علوم الكتاب " (١/٥٤٠) : " اختلفوا في «إبليس» ، فقال أكثر المتكلِّمين والمعتزلة: إنَّه لم يكن من المَلاَئكة، وهو مرويّ عن ابن عَبَّاس، وابن زيد، والحسن، وقتادة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم – قالوا: «إبليس أبو الجِنّ كما أنَّ آدم أبو البَشَرِ، ولم يكن ملكاً فأشبه الحرف» ..." .

وقال في (٥٠٩/١٢) : " وقال الحسن: كان من الجنِّ، ولم يكن من الملائكةِ، فهو أصل الجنِّ، كما أنَّ آدم أصل الإنس.

وقيل: كان من الملائكة، فمسخ وغيِّر، وكما يدلُّ على أنه ليس من الملائكة قوله تعالى: ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي**﴾ ، والملائكة ليس لهم نسلٌ، ولا ذرِّيَّة " .

وقال الإمام نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمِّي النَّيسابوري في " غرائب القرآن ورغائب الفرقان " (٢٤١/١) : " واختلف في أنَّ إبليس من الملائكة أم لا. فقال أكثر المتكلِّمين لا سيَّما المعتزلة: إنَّه لم يكن منهم. وقال كثير من الفقهاء: إنَّه كان منهم . حجَّة الأوَّلين أنَّه من الجنّ ، لقوله تعالى في الكهف : ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾ [الكهف: ٥٠] ، فلا يكون من الملائكة.

وأيضاً قال : ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ**﴾ [سبأ: ٤٠] ، ورد الأوَّل بأنَّ الجنَّ قد يطلق على المَلَك لاستتاره عن العيون، وبأن كان يحتمل أن تكون بمعنى صار. والثَّاني بأنَّه لا يلزم من كون الجنّ في هذه الآية نوعاً مغايراً للملائكة أن يكون في الآية الأولى أيضاً مغايراً، لاحتمال كونه على مقتضى أصل اللغة وهو الاستتار. وقالوا: إنَّ إبليس له ذريَّة لقوله تعالى : ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي**﴾ [الكهف: ٥٠] ، والملائكة لا ذريَّة لها لأنَّها تحصل من الذَّكر والأنثى ولا إناث فيهم لقوله : ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً**﴾ [الزخرف: ١٩] منكراً عليهم ، وأيضاً الملائكة معصومون لما سلف، وإبليس لم يكن كذلك. وأيضاً إنَّه من النَّار ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ**﴾ [ص: ٧٦] ، وأنَّهم من نور لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خُلقت الملائكة من نور ، وخلق الجانّ من مارج من نار» رواه الزهري عن عروة عن عائشة.

ومن المشهور الذي لا يدفع أنَّ الملائكة روحانيُّون، فقيل : سُمُّوا بذلك لأنَّهم من الرِّيح أو من الرَّوح. وأيضاً الملائكة رسل ﴿**جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا**﴾ [فاطر: ١] ، ورسل الله معصومون ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٤] " .

وقال الإمام الثَّعالبي في " الجواهر الحسان في تفسير القرآن" (٢١٥/١-٢١٦) : "وقال ابن زيد والحسن: هو أبو الجِنِّ كما آدمُ أبو البشر، ولم يكُ قطُّ ملَكاً، وقد روي نحوه عن ابن عباس أيضا، قال: واسمه

الحارث وقال شَهْرُ بن حَوْشَبٍ: كان من الْجِنِّ الذين كانوا في الأرض، وقاتلتهم الملائكةُ فَسَبَوْهُ صغيراً، وتعبَّد مع الملائكة، وخُوطِبَ معها، وحكاه الطبريّ عن ابن مسعود .

والاستثناء على هذا الأقوال منقطعٌ ، واحتجَّ بعض أصحاب هذا القول بأنَّ اللهَّ تعالى قال في صفة الملائكة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللهَّ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ، ورجَّح الطبريُّ قَوْلَ من قال: إنَّ إبليسَ كان من الملائكَةِ، وقال: ليس في خلقه مِنْ نارٍ، ولا في تركيبِ الشَّهْوَةِ والنَّسلِ فيه حينَ غُضِبَ عليه ما يدْفَعُ أنه كان من الملائكة، وقوله تعالى: ﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] يتخرَّج على أنَّه عمل عملهم، فكان منهم في هذا، أو على أنَّ الملائكة قد تسمَّى جِنًّا لاستتارها ، قال اللهَّ تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾ [الصافات: ١٥٨] ، وقال الأعشى في ذكر سليمانَ عليه السَّلام:

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ المَلائِكِ تِسْعَةً قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلونَ بِلاَ أَجْرِ

أو على أن يكون نسبه إلى الجَنَّةِ كما ينسب إلى البَصْرَةِ بِصْرِيَّ.

قال عِيَاضٌ: وممَّا يذكرونه قصَّةُ إبليس، وأنَّه كان من الملائكة، ورئيساً فيهم، ومن خُزَّان الجَنَّة إلى ما حكَوْه، وهذا لم يتفقْ عليه، بل الأكثر ينفون ذلك، وأنَّه أبو الجن. انتهى من «الشِّفا» " .

وقال في (٣/ ٥٣٠) : "وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا إِبْلِيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ ، قالت فرقة: إبليسُ لم يكُنْ من الملائكَةِ، بل هو من الجِنِّ، وهم الشَّياطينُ المخلوقون من مَارِجٍ من نارٍ، وجميعُ الملائكة إنَّما خلقوا من نورٍ، واختلَفَتْ هذه الفرقةُ، فقال بعضهم: إبليس من الجنِّ، وهو أوَّلهم وبَدْأَتُهم، كآدمَ من الإنس، وقالت فرقة: بل كان إبليس وقبيلُهُ جِنًّا، لكن جميع الشَّياطين اليَوْمَ من ذريتَّه، فهو كُنوح في الإنس، واحتجُّوا بهذه الآية " .

وقال الإمام البقاعي في " نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور" (١٢/ ٧٥) : ﴿فَسَجَدُوا﴾ كلّهم ﴿إِلَّا إِبْلِيْسَ﴾ فكأنَّه قيل: ما له لم يسجد؟ فقيل: ﴿كَانَ﴾ ، أي : لأنَّه كان ﴿مِنَ الجِنِّ﴾ المخلوقين من نار، ولعلَّ النَّار لَّما كانت نيِّرة وإن كانت نورانيَّتها مشوبة بكدورة وإحراق، عُدَّ من الملائكة لاجتماع العنصرين في مطلق النُّور، مع ما كان غلب عليه من العبادة ... " .

وقال الإمام نعمة الله بن محمود النخجواني المعروف بالشَّيخ علوان في " الفواتح الإلهيَّة والمفاتح الغيبيَّة الموضِّحة للكلم القرآنيَّة والحكم الفرقانَّية " (١/ ٤٨٣) : " فَسَجَدُوا بعد ما سمعوا متذلِّلين امتثالاً للأمر الوجوبي ﴿إِلَّا إِبْلِيْسَ﴾ منهم قد أبى واستكبر ولم يسجد له بل قد علَّل بأنواع العلل العاطلة ، وجادل

بأصناف المجادلات الباطلة ، النَّاشئة من خباثة فطرته وفطنته على ما سمعت غير مرَّة ، وإنَّما امتنع وأبى لأنَّه قد **﴿كانَ مِنَ الجِنِّ﴾** في أصل خلقته ، فلحق بالملائكة لحكمة سابقة **﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾** حسب خلقته الأصليَّة وجبلَّته الفطريَّة" .

وقال الإمام الرَّملي في " فتاوى الرملي " (٤/٢٤٢-٢٤٣) : " وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** [الكهف: ٥٠] فَأُجِيبُ عَنْهُ بِأَجْوِبَةٍ مِنْهَا : أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْجِنِّ فِعْلًا وَمِنْ الْمَلَائِكَةِ نَوْعًا ، وَمِنْهَا : أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ رَوَيَا أَنَّ مِنْ الْمَلَائِكَةِ ضَرْبًا يُقَالُ لَهُمْ الْجِنُّ وَمِنْهُمْ إبْلِيسُ خُلِقَ مِنْ نَارِ السَّمُومِ وَخُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمَا: إنَّهُ أَبُو الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَبُو الْبَشَرِ وَلَمْ يَكُنْ مَلَكًا لَكِنْ لَمَّا نَشَأَ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمَلَائِكَةِ وَكَانَ مَأْمُورًا بالألون مِنْهُمْ فَغَلَّبُوا عَلَيْهِ، وَالْجِنُّ مَأْمُورُونَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ لَكِنَّهُ اسْتَغْنَى بِذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّهُ إذَا عُلِمَ أَنَّ الْأَكَابِرَ مَأْمُورُونَ بِالتَّذَلُّلِ لِأَحَدٍ وَالتَّوَسُّلِ بِهِ عُلِمَ أَنَّ الْأَصَاغِرَ أَيْضًا مَأْمُورُونَ بِهِ. وَقِيلَ إنَّهُ كَانَ مِنْ الْجِنِّ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَرْضِ وَقَاتَلَهُمْ الْمَلَائِكَةُ فَسَبَوْهُ صَغِيرًا وَتَعَبَّدَ مَعَهُمْ وَخُوطِبَ وَاحْتَجَّ لِكَوْنِهِ مِنْ الْجِنِّ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ الْمَلَائِكَةَ بِقَوْلِهِ : **﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم: ٦] ، وَبِقَوْلِهِ **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾** [الكهف: ٥٠] ، وَالْجِنُّ غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ".

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي في " الفتاوى الحديثيَّة " (١/٩١) : " وَاحْتج الْآخرُونَ بقوله: **﴿وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾** [الْكَهْف: ٥٠] ، وَأَجَابُوا عَن الِاسْتِثْنَاء بِأَنَّهُ مُنْقَطع، وَأجَاب الْأَولونَ عَن كَونه من الْجِنّ بِأَنَّهُ مِنْهُم فِي التَّمرُّد وَالْفساد والاستكبار والعناد، وَمن الْوَاضِح أَن دلَالَة كَانَ من الْجِنّ لِأَنَّ كَونه مِنْهُم أظهر من دلَالَة الِاسْتِثْنَاء على كَونه من الْمَلَائِكَة لِأَنَّهُ يَأْتِي مُنْقَطِعًا كثيرا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَاكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾** [النِّسَاء: ١٥٧] ، وَتَأْوِيل كَانَ من الْجِنّ بِمَا ذكر بعيد جدا. على أَنه يُمكن أَن يُقَال إِن الْجِنّ من جنس الْمَلَائِكَة من حَيْثُ لطافة الْجِسْم وَعدم رُؤْيَته للبشر فِي كل فَيكون الِاسْتِثْنَاء مُتَّصِلا مَعَ كَون إِبْلِيس من عنصر الْجِنّ حَقِيقَة وَقَوله: **﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾** [الْأَعْرَاف: ١٢] دَلِيل ظَاهر على أَنه من الْجِنّ حَقِيقَة. وَلَيْسَ من الْمَلَائِكَة" .

وقال الإمام الخطيب الشَّربيني في " السِّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير" (١/١٠٣) : " قوله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] ، وهو أصل الجنّ كما أنَّ آدم أصل الإنس ، ولأنَّه خُلق من النَّار والملائكة خلقوا من النُّور" .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة في " خاتم النَّبيِّين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم " (١/٤٠٧-٤٠٨) : " وبعد ذلك نتساءل: ما حقيقة الجن؟ والجواب عن ذلك أنَّنا نميل إلى ما يقرِّره المسلمون ، وهو أنَّ الجنَّ من نار، واعتمدوا في ذلك على نصِّ القران الكريم، لا على الأوهام، وذلك لأنَّ الله تعالى قال عن إبليس اللعين : ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ، ولمَّا أبى واستكبر ولم يسجد لآدم، قال فيما حكى الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ، وبالتقاء النَّصَّين الكريمين يثبت أنَّ إبليس بصريح اللفظ كان من الجنِّ، وأنَّ الجنَّ خلق من نار، هذا كما يدلُّ عليه صريح القران الكريم " .

وجاء في " فتاوي الخليلي على المذهب الشَّافعي " (٢/ ٢٩٩) : " (سُئل) في إبليس لعنه الله تعالى هل هو من الجنِّ أم من الملائكة؟ وما كان سبب طرده وبعده ولعنه؟

(أجاب) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في إبليس قيل: إنَّه من الجنِّ ، وهو قول أكثر المتكلِّمين وجماهير المعتزلة ، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيْسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ﴾ الآية. وقيل: إنَّه كان من الملائكة، وبه قال كثير من الفقهاء" .

والجدير بالذِّكر هنا أنَّ الكثير من العلماء الذين قالوا بأنَّ إبليس من الملائكة استشهدوا على مقالتهم بالعديد من الأدلَّة التي هي في معظمها من الإسرائيليَّات ، وأنَّ الكثير منها يُخالِف النَّصَّ القرآنيَّ المُحكم ... وقد ردَّ عليهم الإمام ابن كثير ، فقال في "التَّفسير" (١/ ٣١-٣٢) : " "وَقَدْ رُوِىَ فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ، وغالبُها مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي تُنقل ليُنْظَر فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهَا، وَمِنْهَا مَا قَدْ يُقْطَع بِكَذِبِهِ، لِمُخَالَفَتِهِ لِلْحَقِّ الَّذِي بأيدينا.

وَفِي الْقُرْآنِ غُنْيَةٌ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، وَقَدْ وُضِعَ فِيهَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ. وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحُفَّاظِ الْمُتْقِنِين الَّذِينَ يَنْفُون عَنْهَا تحريفَ الغَالِين وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، كَمَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالسَّادَةِ والأتقياء، والبررة وَالنُّجَبَاءِ، مِنَ الْجَهَابِذَةِ النُّقَّادِ، والحُفَّاظ

الْجِيَادِ، الَّذِينَ دَوَّنوا الْحَدِيثَ وحَرَّرُوه، وبيَّنوا صحيحَه مَنْ حَسَنه مِنْ ضَعِيفِهِ، مِنْ منكَره وَمَوْضُوعِهِ وَمَتْرُوكِهِ وَمَكْذُوبِهِ، وَعَرَفُوا الوضَّاعِين وَالْكَذَّابِينَ وَالْمَجْهُولِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الرِّجَالِ. كُلُّ ذَلِكَ صِيَانَةً لِلْجَنَابِ النَّبَوِيِّ والمقام المحمديّ، خاتم الرسل وسيد البشر، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَنْ يُنْسَب إِلَيْهِ كذبٌ أَوْ يُحَدَّثَ عَنْهُ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ. فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وجَعَل جنّاتِ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُمْ " .

وفي الختام نرىٰ أنَّ الصَّواب في هذه المسألة هو أنّ إبليس من الجنِّ للأدلَّة التَّالية :

أَوَّلاً : أنَّ التَّصريح بكونه من الجنِّ جاء صريحاً في القرآن العظيم .

ثَانِيَاً : أنَّ المادَّة التي خَلق الله تعالىٰ منها الجنَّ هي النَّار ، والمادَّة التي خلق الله منها الملائكة هي النُّور .

ثَالِثَاً : أنَّ القرآن نصَّ علىٰ أنَّ الجنَّ يتكاثرون ويتناسلون ، بمعنىٰ أنَّهم يُوصفون بالذُّكورة والأنوثة ولذلك يتناسلون ، بينما الملائكة لا يوصفون بأنوثة ولا بذكورة ، فلا يتناسلون .

رَابِعَاً : أنَّ الملائكة معصومون فلا يعصون البتَّة ، وأنَّهم لا يفتُرون عن الطَّاعة المطلقة لله تعالىٰ ، وأنَّهم لا يفعلون إلَّا ما يؤمرون ، أمَّا الجنّ فهم غير معصومين ، ولذلك عصىٰ أبوهم إبليس اللعين ...

وبناء علىٰ ما سبق بيانه فالاستثناء الوارد في الآية الكريمة استثناء منقطع ، بمعنىٰ أنَّه ليس من نفس جنس المستثنىٰ منه ، فإبليس اللعين من الجنِّ وليس من الملائكة ... والله أعلم .

﴿سُؤَالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ هَارُوْتَ وَمَارُوْتَ ؟ وَهَل هُمَا مِنَ الْمَلَائِكَة ؟

الجواب : جاءت قصَّةُ هاروت وماروت في سورة البقرة ، قال تعالىٰ : **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** [البقرة:١٠٢] .

والكلام في القصَّة له ذيولٌ طويلة ... وما أراه في هذه المسألة هو أنَّ جميع الرِّوايات التي ذكرها المفسِّرون في تفاسيرهم كلُّها ضعيفة لا يصحُّ منها شيء ولا تخلو من مقال ... سيَّما وأنَّها جميعاً تقدح في عصمة المَلَائِكَة الأكرمين ... والأَوْلَىٰ في هذه المسألة أن يكون ما تضمَّنته الآية الكريمة مجموعة من الرُّدود التي ردَّ بها القرآنُ الكريمُ علىٰ مزاعم كانت منتشرة بين النَّاس ... والمزاعمُ هي :

أَوَّلَاً : أنَّ سليمان كفر لاشتغاله بالسِّحر ، فردَّته الآية بـ : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ .

ثَانِيَاً : أنَّ السِّحر أُنزل علىٰ الملكين بباهل هاروت وماروت ، فردَّته الآية بـ : ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ .

ثَالِثَاً : أنَّ الملكين كانا يُعلِّمان النَّاس حتىٰ يقولا : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ .

رَابِعَاً : أنَّ الشَّياطين أضرَّت بالسِّحر ، فردَّته الآية بـ : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ .

ونُنبِّه هنا إلىٰ أنّ النَّفي الثَّاني لا يقتضي النَّفي الثَّالث ، لذا اضطرَّ إليه ، أي : نفي الإنزال لا يقتضي نفي التَّعليم ، لذا اضطرَّ إلىٰ نفي آخر ، وكذا نفي التَّعليم لا يقتضي نفي القول ، لذا اضطرَّ إلىٰ المجيء بالسِّياق كله لنفيه بكلِّه وأجزائه .

والآية كلُّها تتحدَّث عن ما تتلو به الشَّياطينُ علىٰ مُلك سُليمان ، فكان من تلاوتها : أنَّ سليمان تعامل بالسِّحر ، وأنَّ ملكين أُنزل عليهما السِّحر ، وأنَّهما كانا يُعلِّمان النَّاس بشرط ونتيجة .

فانتهت الآية إلىٰ أنَّ الشَّياطين لا يضرُّون ولا ينفعون بسحرهم ، وهذه مزاعمُ لا موضع لها من الصِّحَّة ، والله أعلم .

ومن جهة أُخرىٰ تكلم العديد من أهل العلم علىٰ القصَّة ... قال الإمام ابن حزم الأندلسي في " الفِصل في الملل والأهواء والنِّحل " (٤/ ٢٥-٢٦) : " قد ذكرنَا قبل أَمر هاروت وماروت ونزيدها هُنَا بَيَاناً فِي ذَلِك وَبِاللهَّ تَعَالَىٰ التَّوْفِيق . إِنَّ قوماً نسبوا إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ مَا لم يَأْتِ بِهِ قطّ أثر يجب أَن يشْتَغل بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ كذب مفترىٰ من أَنَّه تَعَالَىٰ أنزل إِلَىٰ الأَرْض ملكَيْنِ وهما :هاروت وماروت ، وأنَّهما عصيا الله تَعَالَىٰ ، وشربا الْخمر ، وَحكما بالزُّور ، وقتلا النَّفس ، وزنيا ، وعلَّما زَانِيَة اسْم الله الْأَعْظَم ، فطارت بِهِ إِلَىٰ السَّماء ، فمسخت كوكباً وَهِي الزُّهرة ، وأنَّهما عذِّبا فِي غَار بِبَابِل ، وأنَّهما يعلِّمانِ النَّاس السِّحر . وحجَّتهم علىٰ مَا فِي هَذَا الْبَاب خبر رويناهُ من طَرِيق عُمَيْر بن سعيد وَهُوَ مَجْهُول ، مرّة يُقَال لَهُ النَّخعىٰ ، وَمرَّة يُقَال لَهُ الْحَنَفِيّ ، مَا نعلم لَهُ رِوَايَة إِلَّا هَذِه الكذبة ، وَلَيْسَ أَيْضا عَن رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلكنَّه أوقفها عَن عَليّ بن أبي طَالب

رَضِي الله عَنهُ ، وكذبة أُخْرَىٰ فِي أَنَّ حدَّ الْخمر لَيْسَ سُنَّة رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْء فَعَلُوهُ وحاشا لَهُم رَضِي الله عَنْهُم من هَذَا .

(قَالَ أَبُو مُحَمَّد) : وَمن الْبُرْهَان علىٰ بطلَان هَذَا كُلِّه قَول الله تَعَالَىٰ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِل من بَين يَدَيْهِ وَلَا من خَلفه تَنْزِيل من حَكِيم حميد : **﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾** ، فَقطع الله عزَّ وَجلَّ أَنَّ الْمَلَائِكَة لَا تنزل إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَيْسَ شرب الْخمر ، وَلَا الزِّنَا ، وَلَا قتل النَّفس الْمُحرَّمَة ، وَلَا تَعْلِيم العواهر أسماءه عزَّ وَجلَّ الَّتِي يرْتَفع بهَا إِلَىٰ السَّمَاء ، وَلَا السِّحر من الْحَقِّ بل كُلُّ ذَلِك من الْبَاطِل ، وَنحن نشْهد أَنَّ الْمَلَائِكَة مَا نزلت قطّ بِشَيْء من هَذِه الْفَوَاحِش وَالْبَاطِل ، وَإِذا لم تنزل بِهِ فقد بَطل أَن تَفْعَلهُ لِأَنَّهَا لَو فعلته فِي الأَرْض لنزلت بِهِ وَهَذَا بَاطِل " .

وقال القاضي عياض في " الشِّفا " (٢/ ٣٩٩-٤٠٠) : " فَمِمَّا احْتَجَّ بِهِ مَنْ لَمْ يُوجِبْ عِصْمَةَ جَمِيعِهِمْ قِصَّةُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا ذَكَرَ فِيهَا أَهْلُ الْأَخْبَارِ وَنَقَلَةُ الْمُفَسِّرِينَ، وَمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ فِي خَبَرِهِمَا وَابْتِلَائِهِمَا.

فَاعْلَمْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ- أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ لَمْ يُرْوَ مِنْهَا شَيْءٌ لَا سَقِيمٌ وَلَا صَحِيحٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَلَيْسَ هُوَ شَيْئًا يُؤْخَذُ بِقِيَاسٍ.. وَالَّذِي مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ، وَأَنْكَرَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ كَمَا سنذكره.

وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ مِنْ كُتُبِ الْيَهُودِ وَافْتِرَائِهِمْ، كَمَا نَصَّهُ اللَّهُ أَوَّلَ الْآيَاتِ مِنَ افْتِرَائِهِمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ سُلَيْمَانَ وَتَكْفِيرِهِمْ إِيَّاهُ.

وَقَدِ انْطَوَتِ الْقِصَّةُ علىٰ شنع عظيمة... " . ثمَّ تكلَّم وأطال الكلام في ردِّ القصَّة وبيان بطلانها ...

وفي تفسيره (٣/ ٦٣١) قال الإمام الرَّازي : " وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ فَاسِدَةٌ مَرْدُودَةٌ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ، بَلْ فِيهِ مَا يُبْطِلُهَا مِنْ وجوه، الأوَّل: ما تقدم من الدَّلائل الدَّالَّةِ عَلَىٰ عِصْمَةِ الْمَلَائِكَة عَنْ كُلِّ الْمَعَاصِي، وَثَانِيهَا: أَنَّ قَوْلَهُمْ إِنَّهُمَا خُيِّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَاسِدٌ، بَلْ كَانَ الْأَوْلَىٰ أَنْ يُخَيَّرَا بَيْنَ التَّوْبَةِ وَالْعَذَابِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ خَيَّرَ بَيْنَهُمَا مَنْ أَشْرَكَ بِهِ طُولَ عُمُرِهِ، فَكَيْفَ يَبْخَلُ عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ؟ وَثَالِثُهَا: أَنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ قَوْلَهُمْ: إِنَّهُمَا يُعَلِّمَانِ السِّحْرَ فِي حَالِ كَوْنِهِمَا مُعَذَّبَيْنِ وَيَدْعُوَانِ إِلَيْهِ وَهُمَا يُعَاقَبَانِ " .

وقال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (١/ ٣٩) : " وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ كَثِيرٌ مِنَ المفسِّرين فِي قِصَّةِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ مِنْ أَنَّ الزُّهَرَةَ كَانَتِ امرأة فَرَاوَدَاهَا عَلَى نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ يُعَلِّمَاهَا الِاسْمَ الْأَعْظَمَ فَعَلَّمَاهَا فَقَالَتْهُ فَرُفِعَتْ كَوْكَبًا إِلَى السَّمَاءِ فَهَذَا أَظُنُّهُ مِنْ وَضْعِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ وَإِنْ كان قد أخرجه كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَتَلَقَّاهُ عَنْهُ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ فَذَكَرُوهُ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ وَالتَّحْدِيثِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ" .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (١/ ٣٢) : "وَقَدْ رُوِي فِي قِصَّةِ هاروتَ وماروتَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعَيْنِ، كَمُجَاهِدٍ والسُّدي وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَقَتَادَةَ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَالزُّهْرِيِّ والرَّبيع بْنِ أَنَسٍ ومقاتل ابن حَيَّانَ وَغَيْرِهِمْ، وقصَّها خلقٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ. وحاصلُها رَاجِعٌ فِي تَفْصِيلِهَا إِلَى أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ !!! إِذْ لَيْسَ فِيهَا حديثٌ مَرْفُوعٌ صَحِيحٌ متّصلُ الْإِسْنَادِ إِلَى الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ الْمَعْصُومِ الذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وظاهرُ سِيَاقِ الْقُرْآنِ إجمالُ الْقِصَّةِ مِنْ غَيْرِ بسْطٍ وَلَا إطنابٍ فِيهَا، فَنَحْنُ نؤمِن بِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى، والله أعلم بحقيقة الحال".

وقال الإمام أبو حيَّان في " البحر المحيط " (١/ ٥٢٨) : " ... وَهَذَا كُلُّهُ لَا يَصِحُّ مِنْهُ شَيْءٌ. وَالْمَلَائِكَةُ مَعْصُومُونَ، لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لَا يَفْتُرُونَ " .

وقال الإمام الألوسي في " روح المعاني" (١/ ٣٤٢) : " والإقدام على تكذيب مثل هذه الامرأة الدوجنديَّة أولى من اتِّهام العقل في قبول هذه الحكاية التي لم يصح فيها شيء عن رسول ربِّ البريَّة صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويا ليت كتب الإسلام لم تشتمل على هذه الخرافات التي لا يصدِّقها العاقل ولو كانت أضغاث أحلام " .

وقال الشَّيخ الألباني في " سلسلة الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة وأثرها السيِّئ في الأمَّة " (٢/ ٣١٥) : " وقد زعمت امرأة من أهل دومة الجندل أنَّها رأتهما معلَّقين بأرجلهما ببابل، وأنَّهما تعلَّمت منهم السِّحر، وهما في هذه الحالة، في قصَّة طويلة حكتها لعائشة رضي الله تعالى عنها، رواها ابن جرير في " تفسيره " (٢/ ٣٦٦-٣٦٧) بإسناد حسن عن عائشة، ولكنَّ المرأة مجهولة فلا يوثق بخبرها " ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُوْصَفُ المَلَائِكَةُ بِالْعِلْم ؟

الجواب : جاء وصفُ المَلائِكَة بالعلم في قوله تعالىٰ : ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] ، وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] ، وقوله تعالىٰ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] ، يعني: جبرائيل عليه السَّلام .

وثبت في الصَّحيح أنَّهم علَّموا آدم عليه السَّلام التَّحيَّة ، فقد روىٰ البخاري (٨/ ٥٠ برقم ٦٢٢٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ، النَّفَرِ مِنَ المَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّىٰ الآنَ " .

وفي تفسير قول الله تعالىٰ : ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ، قال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (١/ ١٠٣) : " قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَّمَ آدَمَ جَمِيعَ اللُّغَاتِ ثُمَّ تَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ بِلُغَةٍ فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ وَاخْتَصَّ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ بِلُغَةٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ الْمَلائِكَةِ، إِنَّمَا قَالَ: عَرَضَهُمْ، وَلَمْ يَقُلْ عَرَضَهَا، لِأَنَّ الْمُسَمَّيَاتِ إذا جمعت مَنْ يَعْقِلُ وَمَنْ لَا يَعْقِلُ يُكَنَّىٰ عَنْهَا بِلَفْظِ مَنْ يَعْقِلُ، كَمَا يُكَنَّىٰ عَنِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ بِلَفْظِ الذُّكُورِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: خَلَقَ الله كلَّ شيء من الْحَيَوَانَ وَالْجَمَادَ ثُمَّ عَرَضَ تِلْكَ الشُّخُوصَ عَلَىٰ الْمَلائِكَةِ، فَالْكِنَايَةُ رَاجِعَةٌ إِلَىٰ الشُّخُوصِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ عَرَضَهُمْ، فَقالَ أَنْبِئُونِي أَخْبِرُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ ، أي الموجودات إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فِي أَنِّي لا أخلق خلقا إلّا كنتم أفضل وأعلم منه، قالُوا المَلَائِكَة إِقْرَارًا بِالْعَجْزِ: قالُوا سُبْحانَكَ: تَنْزِيهًا لَكَ، لَا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا، معناه: إنك أَجَلُّ مِنْ أَنْ نُحِيطَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِكَ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِخَلْقِكَ" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (١/ ٤١٤) : " ... ثُمَّ إِنَّ كَلَامَهُمْ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ عُلُومَهُمْ مَحْدُودَةٌ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلزِّيَادَةِ فَهِيَ مَقْصُورَةٌ عَلَىٰ مَا أَلْهَمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ وَمَا يَأْمُرُهُمْ، فَلِلْمَلَائِكَةِ عِلْمُ قَبُولِ الْمَعَانِي لَا عِلْمُ اسْتِنْبَاطِهَا.

وَفِي تَصْدِيرِ كَلَامِهِمْ بِسُبْحَانَكَ إِيمَاءٌ إِلَىٰ الِاعْتِذَارِ عَنْ مُرَاجَعَتِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها﴾ [الْبَقَرَة: ٣٠] فَهُوَ افْتِتَاحٌ مِنْ قَبِيلِ بَرَاعَةِ الِاسْتِهْلَالِ عَنِ الِاعْتِذَارِ.

وَالِاعْتِذَارُ وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ بِقَوْلِهِمْ: ﴿لا عِلْمَ لنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا﴾ لَكِنَّ حُصُولَ ذَلِكَ مِنْهُ بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ دُونَ التَّصْرِيحِ وَيحصل آخراً لَا ابْتِدَاء ، فَكَانَ افْتِتَاحُ كَلَامِهِمْ بِالتَّنْزِيهِ تَعْجِيلًا بِمَا يَدُلُّ عَلَى مُلَازَمَةِ جَانِبِ الْأَدَبِ الْعَظِيمِ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ سَاقُوهُ مَسَاقَ التَّعْلِيلِ لِقَوْلِهِمْ : ﴿لا عِلْمَ لنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا﴾ لِأَنَّ الْمُحِيطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ الْمُحْكِمَ لِكُلِّ خَلْقٍ إِذَا لَمْ يَجْعَلْ لِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ سَبِيلًا إِلَى عِلْمِ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قِبَلٌ بِعِلْمِهِ إِذِ الْحُصُولُ بِقَدْرِ الْقَبُولِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، أَيْ : فَلَا مَطْمَعَ لَنَا فِي تَجَاوُزِ الْعِلْمِ إِلَى مَا لم تهيىء لَنَا عِلْمَهُ بِحَسَبِ فِطْرَتِنَا" .

وروى الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٣٠٦/٤ برقم ٤٢٧٨) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» ، قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(١٠/ ٢١٩ برقم ١٧٦٤٤) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ" ...

وهناك مئات من الأمثلة والأدلَّة على علم الملائكة عليهم السَّلام ...

وعلى كلِّ حال فالملائكةُ يعلمون ، وعلمهم حاصلٌ بالتَّلقِّي المباشر عن الله تعالى ... والعلم الذي منحهم الله إيَّاه أوسع بكثير ممَّا يعلمه ابن آدم ، لأنَّ علمه كسبي كان بعد أن لم يكن ، قال تعالى : ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨] ... ومن العلم الذي أُعطوه علم الكتابة الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] .

وروى الطَبراني في "المعجم الأوسط" (٧/ ١٤٤ برقم ٧١١٠) بسنده عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ مَا عَلَّمَنِي جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» ، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي، وَعَمْدِي، وَهَزْلِي، وَجَدِّي، وَلَا تَحْرِمْنِي بَرَكَةَ مَا أَعْطَيْتَنِي، وَلَا تَفْتِنِّي فِيمَا حَرَمْتَنِي»، قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(١٠/ ١٧٢ برقم ١٧٣٥٩) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عِصْمَةَ أَبِي حَكِيمَةَ، وَهُوَ ثِقَةٌ" ...

﴿سُؤالٌ﴾ : كَيْفَ عَرَفَتِ المَلَائِكَة أَنَّ البَشَرَ سَيُفْسِدُوْنَ فِي الأَرْضِ ؟

الجواب : قبل الجواب على السُؤال يجب أن نعتقد أنَّ سُؤال المَلَائِكَة الأبرار للحقِّ جلَّ جلاله عن خلق آدم عليه السَّلام ليس اعتراضاً على الحكمة ، أو معارضة لله سبحانه ، فإنَّهم معصومون منزَّهون عن ذلك ،

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (١/ ٢١٦-٢١٧) : " وَقَوْلُ الْمَلَائِكَة هَذَا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الِاعْتِرَاضِ عَلَى اللهِ، وَلَا عَلَى وَجْهِ الْحَسَدِ لِبَنِي آدَمَ، كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ ، وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ **﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾** ، أَيْ: لَا يَسْأَلُونَهُ شَيْئًا لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِيهِ وَهَاهُنَا لَمَّا أَعْلَمَهُمْ بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ فِي الْأَرْضِ خَلْقًا. قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ فِيهَا فَقَالُوا: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾** الْآيَةَ ، وَإِنَّمَا هُوَ سُؤال اسْتِعْلَامٍ وَاسْتِكْشَافٍ عَنِ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، يَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، مَا الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ هَؤُلَاءِ مَعَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ عِبَادَتُكَ، فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، أَيْ: نُصَلِّي لَكَ كَمَا سَيَأْتِي، أَيْ: وَلَا يَصْدُرُ مِنَّا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهَلَّا وَقَعَ الِاقْتِصَارُ عَلَيْنَا؟ قَالَ اللهُ تَعَالَى مُجِيبًا لَهُمْ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ: **﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** ، أَيْ: إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ فِي خَلْقِ هَذَا الصِّنْفِ عَلَى الْمَفَاسِدِ الَّتِي ذَكَرْتُمُوهَا مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ؛ فَإِنِّي سَأَجْعَلُ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ، وَأُرْسِلُ فِيهِمُ الرُّسُلَ، وَيُوجَدُ فِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ وَالْعُبَّادُ، وَالزُّهَّادُ وَالْأَوْلِيَاءُ، وَالْأَبْرَارُ وَالْمُقَرَّبُونَ، وَالْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ وَالْخَاشِعُونَ، وَالْمُحِبُّونَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُتَّبِعُونَ رُسُلَهُ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ " .

كما يجب علينا أن نعلم أنَّه لم يرد في القرآن الكريم ولا في السُّنَّة الْمُطهَّرة كيف عرفتِ الْمَلَائِكَة أنَّ بني آدمَ سيسفكون الدِّماءَ ... وما هو مسطَّر في كتب أهل العلم حول هذه المسألة ما هو إلَّا محض استنتاجات وترجيحات ...

قال الإمام الطَّبري في التَّفسير (١/ ٤٩٨) مُجملاً الكلام في المسألة : " قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَة مَا قَالَتْ: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾** [البقرة: ٣٠] لِأَنَّ اللهَ أَذِنَ لَهَا فِي السُّؤَالِ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ مَا أَخْبَرَهَا أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَسَأَلَتْهُ الْمَلَائِكَة فَقَالَتْ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْهَا: وَكَيْفَ يَعْصُونَكَ يَا رَبِّ وَأَنْتَ خَالِقُهُمْ. فَأَجَابَهُمْ رَبُّهُمْ: **﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٣٠] يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوهُ أَنْتُمْ، وَمِنْ بَعْضِ مَنْ تَرَوْنَهُ لِي طَائِعًا. يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ قُصُورَ عِلْمِهِمْ عَنْ عِلْمِهِ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾** [البقرة: ٣٠] عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْإِنْكَارِ مِنْهُمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَإِنَّمَا سَأَلُوهُ لِيَعْلَمُوا، وَأَخْبَرُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ. وَقَالَ: قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَرِهُوا أَنْ يُعْصَى اللهُ ... وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَة عَلَى وَجْهِ الِاسْتِرْشَادِ عَمَّا لَمْ يَعْلَمُوا مِنْ ذَلِكَ، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَبِّ خَبِّرْنَا؛ مَسْأَلَةَ اسْتِخْبَارٍ مِنْهُمْ للهِ لَا عَلَى وَجْهِ مَسْأَلَةِ التَّوْبِيخِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَوْلَى هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ

مُخْبِرًا عَنْ مَلَائِكَتِهِ قِيلَهَا لَهُ: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾** [البقرة: ٣٠] تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْهَا اسْتِخْبَارٌ لِرَبِّهَا؛ بِمَعْنَى: أَعْلِمْنَا يَا رَبَّنَا، أَجَاعِلٌ أَنْتَ فِي الْأَرْضِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَتَارِكٌ أَنْ تَجْعَلَ خُلَفَاءَكَ مِنَّا، **﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾** ؟ لَا إِنْكَارَ مِنْهَا لِمَا أَعْلَمَهَا رَبُّهَا أَنَّهُ فَاعِلٌ، وَإِنْ كَانَتْ قَدِ اسْتَعْظَمَتْ لَمَّا أُخْبِرَتْ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ للهِ خَلْقٌ يَعْصِيهِ.

وَأَمَّا دَعْوَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كَانَ أَذِنَ لَهَا بِالسُّؤالِ عَنْ ذَلِكَ فَسَأَلَتْهُ عَلَىٰ وَجْهِ التَّعَجُّبِ، فَدَعْوَىٰ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهَا فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ وَلَا خَبَرَ بِهَا مِنَ الْحُجَّةِ يَقْطَعُ الْعُذْرَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ اللهِ بِمَا لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ. وَأَمَّا وَصْفُ الْمَلَائِكَةِ مَنْ وَصَفَتْ فِي اسْتِخْبَارِهَا رَبَّهَا عَنْهُ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِيهِ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي رَوَاهُ السُّدِّيُّ وَوَافَقَهُمَا عَلَيْهِ قَتَادَةُ مِنَ التَّأْوِيلِ. وَهُوَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالُوا: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾** [البقرة: ٣٠] عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ مِنَ الِاسْتِخْبَارِ. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ اسْتِخْبَارِهَا وَالْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّهَا قَدْ أُخْبِرَتْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ؟ قِيلَ: وَجْهُ اسْتِخْبَارِهَا حِينَئِذٍ يَكُونُ عَنْ حَالِهِمْ عَنْ وُقُوعِ ذَلِكَ، وَهَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ؟ وَمَسْأَلَتُهُمْ رَبَّهُمْ أَنْ يَجْعَلَهُمُ الْخُلَفَاءُ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ لَا يَعْصُوهُ ... فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ كَانَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِالْآيَةِ هُوَ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ الْمَلَائِكَةَ بِأَنَّ ذُرِّيَّةَ خَلِيفَتِهِ فِي الْأَرْضِ يُفْسِدُونَ فِيهَا وَيَسْفِكُونَ فِيهَا الدِّمَاءَ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾** [البقرة: ٣٠] فَأَيْنَ ذِكْرُ إِخْبَارِ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي كِتَابِهِ بِذَلِكَ؟ قِيلَ لَهُ: اكْتَفَىٰ بِدَلَالَةِ مَا قَدْ ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ عَنْهُ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَا تَدْفِنُونِي إِنَّ دَفْنِيَ مُحَرَّمٌ   عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ

فَحَذَفَ قَوْلَهُ دَعُونِي لِلَّتِي يُقَالُ لَهَا عِنْدَ صَيْدِهَا خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ، إِذْ كَانَ فِيمَا أَظْهَرَ مِنْ كَلَامِهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ مَعْنَىٰ مُرَادِهِ. فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: **﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾** [البقرة: ٣٠] لَمَّا كَانَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ مَا تَرَكَ ذِكْرَهُ بَعْدَ قَوْلِهِ: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** [البقرة: ٣٠] مِنَ الْخَبَرِ عَمَّا يَكُونُ مِنْ إِفْسَادِ ذُرِّيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ اكْتَفَىٰ بِدَلَالَتِهِ وَحُذِفَ، فَتَرَكَ ذِكْرَهُ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ وَنَظَائِرُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَىٰ. فَلِمَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ اخْتَرْنَا مَا اخْتَرْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: **﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾** [البقرة: ٣٠] ".

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير" (١/ ٤٩) : " ... وهل علمت الملائكة أنَّهم يفسدون بتوقيف من الله تعالىٰ، أم قاسوا علىٰ حال من قبلهم؟ فيه قولان: أحدهما: أنَّه بتوقيف من الله تعالىٰ، قاله ابن مسعود وابن عبَّاس والحسن ومجاهد وقتادة، وابن زيد وابن قتيبة، وروىٰ السدِّي عن أشياخه: أنَّهم قالوا: ربَّنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذريَّة يفسدون في الأرض ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فقالوا: أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها" .

وقال الإمام ابن كثير في التَّفسير (١/ ٢١٩-٢٢٠ باختصار) : " قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: قَالَ اللهُ لِلْمَلَائِكَةِ: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** قَالَ لَهُمْ: إِنِّي فَاعِلٌ. فَآمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، فَعَلَّمَهُمْ عِلْمًا وَطَوَىٰ عَنْهُمْ عِلْمًا عَلِمَهُ وَلَمْ يَعْلَمُوهُ، فَقَالُوا بِالْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمَهُمْ: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾** ؟ **﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**...

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾** كَانَ اللهُ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ خَلْق أَفْسَدُوا فِيهَا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، فَذَلِكَ حِينَ قَالُوا: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾** ... قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّمَا تَكَلَّمُوا بِمَا أَعْلَمَهُمُ اللهُ أَنَّهُ كَائِنٌ مِنْ خَلْقِ آدَمَ، فَقَالُوا: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾** . وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَة مَا قَالَتْ: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾** ؛ لِأَنَّ اللهَ أَذِنَ لَهُمْ فِي السُؤال عَنْ ذَلِكَ، بَعْدَ مَا أَخْبَرَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَسَأَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ عَلَىٰ التَّعَجُّبِ مِنْهَا: وَكَيْفَ يَعْصُونَكَ يَا رَبِّ وَأَنْتَ خَالِقُهُمْ!؟ فَأَجَابَهُمْ رَبُّهُمْ: **﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** يَعْنِي: أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوهُ أَنْتُمْ وَمَنْ بَعْضُ مَنْ تَرَوْنَهُ لِي طَائِعًا.

قَالَ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَة عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِرْشَادِ عَمَّا لَمْ يَعْلَمُوا مِنْ ذَلِكَ، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَبِّ خَبِّرْنَا، مَسْأَلَةُ الْمَلَائِكَةِ اسْتِخْبَارٌ مِنْهُمْ، لَا عَلَىٰ وَجْهِ الْإِنْكَارِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ " .

فالْمَلَائِكَةُ لَمَّا تَوَهَّمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَقَامَهُمْ فِي مَقَامِ الْمُشُورَةِ بِأَنَّ لَهُمْ وَجْهَ الْمَصْلَحَةِ فِي بَقَاءِ الْخِلَافَةِ فِيمَنْ يُسَبِّحُ وَيُقَدِّسُ، وَأَنْ لَا يَنْقُلَهَا إِلَى مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ، فَعَرَضُوا ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ النُّصْحِ فِي الِاسْتِشَارَةِ، وَالنُّصْحُ فِي ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَىٰ الْمُسْتَشَارِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ الْحَكَمُ فِيمَا يَمْضِي مِنْ ذَلِكَ وَيَخْتَارُ" . قاله الإمام أبو حيَّان الأندلسي في " البحر المحيط " (١/ ٢٣١-٢٣٢) .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة " (١٢/١) : " وَالْمَلَائِكَة اتَّقىٰ لله من أن تَقول مَالا تعلم وهم الْقَائِلُونَ : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ، وَفِي هَذَا دلَالَة علىٰ أَنَّ الله قد كَانَ أعلمهم أَنَّ بني آدم سيفسدون فِي الأرض ، وإِلَّا فَكيف كَانُوا يَقُولُونَ مَالا يعلمُونَ ، وَالله تَعَالَىٰ يَقُول وَقَوله الْحق ﴿لَا يَسْبِقُوْنَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ والملائكة لَا تَقول وَلَا تعْمل إِلَّا بِمَا تُؤمر بِهِ لَا غير ، قَالَ الله تَعَالَىٰ : ﴿وَيَفعَلُوْنَ مَا يُؤمَرُوْن﴾ " .

وجاء في " التَّفسير الُميَسَّر " (ص٦) : " واذكر – أيُّها الرَّسول – للنَّاس حين قال ربُّك للملائكة: إنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ قومًا يخلُف بعضُهم بعضًا لعمارتها. قالت: يا ربَّنا علِّمنا وأَرْشِدْنا ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أنَّ من شأنهم الإفساد في الأرض وإراقة الدِّماء ظلماً وعدوانًا ونحن طوع أمرك، ننزِّهك التَّنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونمجِّدك بكلِّ صفات الكمال والجلال؟ قال الله لهم: إنِّي أعلم ما لا تعلمون من المصلحة الرَّاجحة في خلقهم" .

ومن المحتمل أنَّهم فهموا ذلك من الطَّبيعة البشريَّة غير المعصومة عن العصيان ... وفي ذلك قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير " (٤٠٢/١) : " وَإِنَّمَا ظَنُّوا هَذَا الظَّنَّ بِهَذَا الْمَخْلُوقِ مِنْ جِهَةِ مَا اسْتَشْعَرُوهُ مِنْ صِفَاتِ هَذَا الْمَخْلُوقِ الْمُسْتَخْلَفِ بِإِدْرَاكِهِمُ النُّورَانِيِّ لِهَيْئَةِ تَكْوِينِهِ الْجَسَدِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَالنُّطْقِيَّةِ إِمَّا بِوَصْفِ اللَّهِ لَهُمْ هَذَا الْخَلِيفَةَ أَوْ بِرُؤْيَتِهِمْ صُورَةَ تَرْكِيبِهِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ وَبَعْدَهُ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ فَعَلِمُوا أَنَّهُ تَرْكِيبٌ يَسْتَطِيعُ صَاحِبُهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنِ الْجِبِلَّةِ إِلَى الِاكْتِسَابِ وَعَنِ الِامْتِثَالِ إِلَى الْعِصْيَانِ ... وَمُجَرَّدُ مُشَاهَدَةِ الْمَلَائِكَةِ لِهَذَا الْمَخْلُوقِ الْعَجِيبِ الْمُرَادِ جَعْلُهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ كَافٍ فِي إِحَاطَتِهِمْ بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ عَجَائِبِ الصِّفَاتِ عَلَى نَحْوِ مَا سَيَظْهَرُ مِنْهَا فِي الْخَارِجِ لِأَنَّ مَدَارِكَهُمْ غَايَةٌ فِي السُّمُوِّ لِسَلَامَتِهَا مِنْ كُدَرَاتِ الْمَادَّةِ، وَإِذَا كَانَ أَفْرَادُ الْبَشَرِ يَتَفَاوَتُونَ فِي الشُّعُورِ بِالْخَفِيَّاتِ، وَفِي تَوَجُّهِ نُورَانِيَّةِ النُّفُوسِ إِلَى الْمَعْلُومَاتِ، وَفِي التَّوَسُّمِ وَالتَّفَرُّسِ فِي الذَّوَاتِ بِمِقْدَارِ تَفَاوُتِهِمْ فِي صِفَاتِ النَّفْسِ جِبِلِّيَّةً وَاكْتِسَابِيَّةً وَلَدُنِّيَّةً الَّتِي أَعْلَاهَا النُّبُوَّةُ، فَمَا ظَنُّكَ بِالنُّفُوسِ الْمَلَكِيَّةِ الْبَحْتَةِ؟ " .

وعلىٰ كلِّ حال فهذه أشهر الأوجه التي ذكرها المفسِّرون في كيفيّة معرفة الْمَلَائِكَة أنَّ البشر سيكون منهم الفساد والإفساد ... مع أنَّ ما نراه الصَّواب في هذه المسألة – والله أعلم – هو أنَّه لا مانع من أن يكون الله تعالىٰ قد أَطْلَعَ ملائكته المكرَّمين علىٰ أنَّ ذرِّيَّة آدم سيكون منهم الفساد وسفك الدِّماء ، فقالوا ما قالوا علىٰ

سبيل السُّؤال عن الحكمة ، أو على سبيل التَّعجُّب من عظيم رحمة الله تعالى وحلمه على من يعصيه ، ويُخالف أمره ... والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَل المَلَائِكَة مُنَظَّمُوْنَ فِي كلِّ شُؤُوْنِهِم ؟

الجواب : نعم المَلَائِكَة منظَّمون في سائر شؤونهم ... ففي يوم القيامة يأتون صفوفاً منظَّمة ، قال تعالى : **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾** [الفجر: ٢٢] ، وقال سبحانه: **﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾** [النبأ: ٣٨] .

وروى مسلمٌ (١/ ٣٢٢ برقم ٤٣٠) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلَائِكَة عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا يَا رَسُول اللهَّ وَكَيْفَ تَصُفُّ المَلَائِكَة عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ " .

وروى مسلم أيضاً (١/ ٣٧١ برقم ٥٢٢) بسنده عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ " وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى" .

فالملائكةُ في عباداتهم منظَّمون ، يتمُّون الصَّفَّ الأوَّل فالأوَّل ويتراصُّون في الصَّف ، وقد جاء في السُّنَّة المطهَّرة الأمر من الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاقتداء بهم ، فقد روى مسلم (١/ ٣٢٢ برقم ٤٣٠) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ» قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ: «مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ» قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلَائِكَة عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ تَصُفُّ المَلَائِكَة عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ» .

ومن أوجه التَّنظيم عندهم : دقَّتهم في تنفيذ الأوامر الإلهيَّة ، فينفِّذونها بحسب الأمر من دون تأخير، فهم محكومون بالأمر ، ومن أمثلة ذلك : ما رواه مسلم (١/ ١٨٨ برقم ١٩٧) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ " ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِالعِنْدِيَّةِ الوَارِدَة في قَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾** [الأعراف:٢٠٦] ؟

الجواب : المقصود بـ **﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾** هم الملائكة بالاتِّفاق ...قال الإمام أبو حيَّان في " البحر المحيط في التَّفسير " (٥/ ٢٦٤) : " **﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾** ، هُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَمَعْنَى الْعِنْدِيَّةِ : الزُّلْفَى وَالْقُرْبُ مِنْهُ تَعَالَى بِالْمَكَانَةِ لَا بِالْمَكَانِ ، وَذَلِكَ لِتَوَفُّرِهِمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَلَمَّا أَمَرَ تَعَالَى بِالذِّكْرِ وَرَغَّبَ فِي الْمُوَاظَبَةِ عَلَيْهِ ذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَخْبَارٍ ثَلَاثَةٍ، الْأَوَّلُ: نَفْيُ الِاسْتِكْبَارِ عَنْ عِبَادَتِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ إِظْهَارُ الْعُبُودِيَّةِ ، وَنَفْيُ الِاسْتِكْبَارِ هُوَ الْمُوجِبُ لِلطَّاعَاتِ ، كَمَا أَنَّ الِاسْتِكْبَارَ هُوَ الْمُوجِبُ لِلْعِصْيَانِ ، لِأَنَّ الْمُسْتَكْبِرَ يَرَى لِنَفْسِهِ شُفُوفًا وَمَزِيَّةً فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَةِ، الثَّانِي: إِثْبَاتُ التَّسْبِيحِ مِنْهُمْ لَهُ تَعَالَى ، وَهُوَ التَّنْزِيهُ وَالتَّطْهِيرُ عَنْ جَمِيعِ مَا لَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَالثَّالِثُ: السُّجُودُ لَهُ ، قِيلَ:

وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ يُؤْذِنُ بِالِاخْتِصَاصِ ، أَيْ : لَا يَسْجُدُونَ إِلَّا لَهُ ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَدَّمَ الْمَجْرُورَ لِيَقَعَ الْفِعْلُ فَاصِلَةً فَأَخَّرَهُ لِذَلِكَ لِيُنَاسِبَ مَا قَبْلَهُ مِنْ رؤوس الْآيِ ، وَلَمَّا كَانَتِ الْعِبَادَةُ نَاشِئَةً عَنِ انْتِفَاءِ الِاسْتِكْبَارِ ، وَكَانَتْ عَلَى قِسْمَيْنِ : عِبَادَةٍ قَلْبِيَّةٍ وَعِبَادَةٍ جُسْمَانِيَّةٍ ذَكَرَهُمَا، فَالْقَلْبِيَّةُ تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ سُوءٍ ، وَالْجُسْمَانِيَّةُ السُّجُودُ ، وَهُوَ الْحَالُ الَّتِي يَكُونُ الْعَبْدُ فِيهَا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى " .

وقال الإمام النَّيسابوري في " غرائب القرآن ورغائب الفرقان " (٣/ ٣٦٩) : " ... مدحهم الله بقوله " **﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾** ، ومعنى **﴿عِنْدَ﴾** دنوّ الشَّرف والقُرب من عنايته وألطافه **﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ﴾** فيداومون على ذلك **﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾** يبرِّئونه وينزِّهونه عن كلِّ سوء ، وهذا يرجع إلى المعارف والعلوم **﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾** بحضرته بغاية الخضوع والاستكانة، وهذا يعود إلى أعمال الجوارح. وفي هذا التَّرتيب دليل على أنَّ الأصل في الطَّاعة والعبوديَّة أعمال القلوب ويتفرَّع عليه أعمال الجوارح. والمقصود من الآية أنَّ الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشَّهوة والحسد والغضب ودواعي الحقد والحسد يواظبون على العبوديَّة والطَّاعة، فالإنسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطَّبيعة وكدورات الزلَّات البشريَّة أولى بأن يداوم على ذكر معبوده، وينجذب ما أمكن إلى العالم العقلي ومقرِّه الأصلي ، ويصفِّي مرآة قلبه عن أصداء الهواجس ، وينتقش بالجلايا القدسيَّة والمعارف الحقيَّة ، والله وليُّ التَّوفيق " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ أَقوَالُ أَهْلِ العِلْمِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠] ؟

الجواب : النَّاظر فيما قاله علماء الأمَّة في معنى الفوقيَّة الواردة في الآية الكريمة يجد أنَّ جمهورهم ذهب إلى ما يُخالف ما ذهب إليه المجسِّمة الذين ذهبوا إلى تفسير الفوقيَّة بالمكان والجهة ، والعياذ بالله تعالى ... فمن أشهر المعاني التي ذكرها العلماء للفوقيَّة الواردة في الآية الكريمة :

(١) قال بعضهم : يجب الإعراض عن التَّأويل والإيمان بها كما جاءت ، والإيمان بها صحيح وإن لم يعرف معناها ، وهذا ما ذهب له جمهور السَّلف ، وهو الأقرب إلى السَّلامة .

(٢) وقال بعضهم : يعني: يخافون قدرة ربِّهم أن يأتيهم بالعذاب من فوقهم ، والمقصود هم الملائكة .

(٣) وقال بعضهم : أنَّ الآية من باب حذف المضاف ، على تقدير : يخافون مِن عِقَاب ربِّهم من فوقهم ، لأنَّ أكثر ما يأتي العقاب المهلك إنَّما يأتي من فوق ، تعالى الله عن الجهة والمكان ، فالفوقيَّة التي يوصف بها الله تعالى هي فوقيَّة القَدْر والعَظَمَة والقَهْر والسُّلطان ...

وفيما يلي طائفة من أقوال علماء الأمَّة في تفسير الفوقيَّة الواردة في الآية الكريمة :

قال الإمام ابن فورك الأصبهاني في " مشكل الحديث وبيانه " (ص١٧٣-١٧٤) : " وَقَالَ : **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** ، وَأطلق الْمُسلمُونَ أَنَّ الله تَعَالَى فَوق خلقه كَانَ حمله على أولى وَعَلِيهِ يتَأَوَّل أَيْضا قَوْله : **﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ﴾** [الزخرف:٨٤] ، أَي : هُوَ فَوق السَّماء إِلَه وَفَوق الأَرْض إِلَه .

أنْشد بَعضهم : هم صلبوا العبدى فِي جذع نَخْلَة ، مَعْنَاهُ : على جذع نَخْلَة .

وَاعْلَم أَنَّا إِذا قُلْنَا : إِنَّ الله عزَّ وجلَّ فَوق مَا خلق لم يرجع بِهِ إِلى فوقيَّة الْمَكَان والارتفاع على الْأَمْكِنَة بالمسافة والإشراف عَلَيْهَا بالمماسة لشَيْء مِنْهَا ، بل قَوْلنَا أَنَّه فَوْقهَا يحْتَمل وَجْهَيْن :

أَحَدُهُمَا : أَنَّه يُرَاد بِهِ أَنَّه قاهر لَهَا مستول عَلَيْهَا إِثْبَاتًا لإحاطة قدرته بهَا وشمول قهره لَهَا وَكَونهَا تَحت تَدْبيره جَارِيَة على حسب علمه ومشيئته .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : أَن يُرَاد أَنَّه فَوْقهَا على معنى أَنَّه مباين لَهَا بِالصّفةِ والنَّعت ، وَأَنَّ مَا يجوز على المحدثات من الْعَيْب وَالنَّقْص وَالْعجز والآفة وَالْحَاجة لَا يَصح شَيْء من ذَلِك عَلَيْهِ ، ولا يجوز وَصفه بِهِ ، وَهَذَا أَيْضاً

مُتَعَارَف فِي اللُّغَة أَن يُقَال : فلَان فَوق فلَان ، وَيُرَاد بذلك رفْعَة الْمرتبَة والمنزلة ، وَالله عزَّ وجلَّ فَوق خلقه على الْوَجْهَيْنِ جَمِيعًا .

وَإِنَّمَا يمْتَنع الْوَجْه الثَّالِث ، وَهُوَ أَن يكون على معنى التَّحيُّز فِي جِهَة الاختصاص ببقعه دون بقْعَة ، وَإِذا قُلْنَا أَنَّه فَوق الْأَشْيَاء على هَذَا الْوَجْه قُلْنَا أَيْضاً فِي تَأْوِيل إِطْلَاق القَوْل بِأَنَّهُ فِيهَا على مثل هَذَا الْمَعْنى ، وَقد رَأينَا فِي اللُّغَة تعاقب هذَيْن الحرفين على الْوَجْه الَّذِي ذكرنَا شواهده من آي الْقُرْآن وَالشعر " .

وقال الإمام أبو إسحاق الزَّجَّاج في " معاني القرآن وإعرابه " (٣/ ٢٠٣) : **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾** ، أي : يخافون ربَّهم خوف مُخَلِدِين مُعظمين " .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد السَّمرقندي في " بحر العلوم " (٢/ ٢٧٦) : **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾** ، أي : يخافون الله تعالى. وروي عن النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قال : " إنَّ لله تَعَالَى مَلائِكَةً فِي السَّماء السَّابعة سجوداً مُنْذُ خَلَقَهُمُ الله تَعَالَى إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، تُرْعَدُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ مَخَافَةِ الله تَعَالَى ، فَإِذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَقَالُوا : ما عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ " . أخرجه محمد بن نصر المروزي في "تعظيم قدر الصَّلاة" (١/ ٢٦٧ برقم ٢٦٠) ، قال ابن كثير في " التَّفسير " (٨/ ٢٧٢) : " وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا بَأْس بِهِ " .

فَذَلِكَ قَوْلُهُ : **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** ، أي : يخافون خوفاً ، معظِّمين ، مجلِّين . ويقال : خوفهم بالقهر والغلبة والسُّلطان . ويقال : معناه : يخافون ربَّهم الذي على العرش كما وصف نفسه ، والطَّريق الأوَّل أصحّ كقوله : **﴿يَدُ اللهِّ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾** [الفتح: ١٠] ، أي : بالقَهْر والغَلَبة والسُّلطَان " .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثَّعلبي في " الكشف والبيان عن تفسير القرآن " (٦/ ٢١) : " يعني: يخافون قدرة ربِّهم أن يأتيهم بالعذاب من فوقهم ، ويدلُّ عليه قوله : **﴿وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾** [النحل: ٥٠] ، يعني الملائكة ، وقيل : معناه : يخافون ربَّهم الذي فوقهم بالقول والقدرة ، فلا يعجزه شيء ، ولا يغلبه أحد ، يدلُّ عليه قوله تعالى : **﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾** [الأنعام:١٨] ، وقوله إخباراً عن فرعون فرعون : **﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ﴾** [الأعراف: ١٢٧] .

وقال الإمام أبو محمَّد مكِّي بن أبي طالب القرطبي المالكي في " الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه " (٦/ ٤٠٠٩) : " أي : يخاف هؤلاء الملائكة التي في السَّموات والأرض والدَّواب ربَّهم أن يعذِّبهم إن عصَوا أمره " .

وقال الإمام أبو الحسن الماوردي في " النُّكت والعيون " (٣/ ١٩٢) : **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** ، فيه وجهان

: أحدهما : يعني عذاب ربِّهم من فوقهم ، لأنَّ العذاب ينزل من السَّماء . الثَّاني : يخافون قدرة الله التي هي فوق قدرتهم ، وهي في جميع الجهات " .

وقال الإمام القشيري في " لطائف الإشارات (تفسير القشيري) " (٢/ ٣٠٠) : **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾** : يخافون الله أن ينزل عليهم عذاباً من فوق رءوسهم " .

وقال الإمام الواحدي في " الوسيط في تفسير القرآن المجيد " (٣/ ٦٥) : " وفي هذه الآية قولان : أحدهما : أنَّ الآية من باب حذف المضاف ، على تقدير : يخافون من عقاب ربِّهم من فوقهم ، لأنَّ أكثر ما يأتي العقاب المهلك إنَّما يأتي من فوق ، والآخر : أنَّ الله تعالى لَمَّا كان موصوفاً بأنه عليٌّ متعال علوّ الرُّتبة في القدرة ، حسن أن يقال: **﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** ، ليدلَّ على أنَّه في أعلى مراتب القادرين ، وهذا معنى قول ابن عبَّاس في رواية مجاهد ، قال : ذلك مخافة الإجلال ، واختاره الزَّجَّاج ، فقال: يخافون ربَّهم خوف مجلِّين .

ويدلُّ على صحَّة هذا المعنى قوله : **﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾** [الأنعام: ١٨] ، وقوله إخباراً عن فرعون : **﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ﴾** [الأعراف: ١٢٧] ، وذهب بعض النَّاس إلى أنَّ قوله : **﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** من صفة الملائكة ، والمعنى : أنَّ الملائكة الذين هم فوق بني آدم ، وفوق ما في الأرض من دابَّة يخافون الله مع علوِّ رتبتهم ، فلأن يخاف من دونهم أولى " .

وقال أيضاً في " الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " (ص٦٠٩) : **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** يعني: الملائكة هم فوق ما في الأرض من دابَّة ومع ذلك يخافون الله فلأَنْ يخافَ مَنْ دونهم أولى " .

وقال الإمام أبو سعيد عبدالرَّحمن بن محمَّد المتولِّي في " الغنية في أصول الدِّين " (ص٧٥-٧٨ باختصار) : " فإن استدلُّوا بظواهر الكتاب والسُّنَّة مثل قوله سبحانه وتعالى ...**﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** ... فلأصحابنا في ذلك طريقان :

أحدهما : الإعراض عن التَّأويل والإيمان بها كما جاءت ، والإيمان بها صحيح وإن لم يعرف معناها ، كما أنَّ إيماننا بجميع الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم والكتب المنزلة من الله تبارك وتعالى صحيح وإن لم يعرف شيئاً في ذلك ، وإيماننا بالحروف المقطَّعة في أوائل السُّور صحيح وإن لم نعرف معناها ، وهذا الطَّريق أقرب إلى السَّلامة .

ومن أصحابنا من صار إلى التَّأويل ، والاختلاف صادر عن اختلاف القراءتين في قوله تعالى : ﴿مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران:٧] ، فمن صار إلى الوقف على قوله : ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾ أعرض عن التَّأويل ، وجعل قوله : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ كلاماً مبتدأ ، ومعناه : أنَّ العلماء يقولون آمنَّا به ، ومن صار إلى الوقف على قوله : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيكون معناه : أنَّ الله تعالى يعلم تأويله ، والرَّاسخون في العلم أيضاً يعلمون تأويله ، صار إلى التَّأويل .

ولكن الطَّريق في الجواب معهم أن نعارضهم بآيات تخالف ظواهرها ظواهر هذه الآيات ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كانُوا﴾ [المجادلة:٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:٤] ، وموجب الآيتين حلوله في كلِّ مكان وقال تعالى : ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت:٥٤] ، ومقتضى ظاهرها أنَّه محيط بالعالم ، فإن أعرضوا عن تأويل هذه الآيات مع الإيمان بظواهرها والاعتقاد بأنَّه لا يكون في كلِّ مكان وأنَّه غير محيط بالعالم أعرضنا نحن عن التَّأويل وصرنا إلى الإيمان بما ورد مع الاعتقاد بأنَّ الحقَّ تعالى منزَّه عن المكان ، وإن صاروا إلى التَّأويل ... وقوله : ﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ معناه يخافون ربَّهم أن ينزل عليهم عذاباً من فوقهم ، وإنَّما خصَّ جهة فوق لأنَّ الله تعالى أجرى سنَّته أن ينزل العذاب من فوق " .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد السَّمعاني التَّميمي في " تفسير القرآن " (٣/ ١٧٧) : " قَوْله تَعَالَى: ﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ قَالَ بَعضهم مَعْنَاهُ: يخَافُونَ عَذَاب رَبهم من فَوْقهم، وَالْقَوْل الثَّانِي - وَهُوَ الْأَصَح - أَنَّ هَذِه صفة الْعُلُوّ الَّتِي تفرَّد الله بهَا، وَهُوَ كَمَا وصف بِهِ نَفسه من غير تكييف " .

وقال الإمام الكرماني في " غرائب التَّفسير وعجائب التَّأويل (١/ ٦٠٦) : " قوله : ﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ، أي : يخافون ربَّهم أن ينزل عليهم عذاباً من فوقهم، وليس قوله : ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ حالًا من ربِّهم ، تعالى الله عن الجهة والمكان . وقيل : فوق علو لا فوق مكان " .

وقال الإمام ابن عطيَّة في " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (٣/ ٣٩٩) : " وقوله: ﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ﴾ عام لجميع الحيوان، وقوله : ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما الفوقيَّة التي يوصف بها الله تعالى ، فهي

فوقيَّة القدر والعظمة والقهر والسُّلطان، والآخر أن يتعلَّق قوله : **﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** بقوله **﴿يَخافُونَ﴾** ، أي يخافون عذاب ربِّهم من فوقهم، وذلك أنَّ عادة عذاب الأمم إنَّما أتى من جهة فوق " .

وقال الإمام محمود بن أبي الحسن بن الحسين النَّيسابوري في " إيجاز البيان عن معاني القرآن " (٢/ ٤٨٤) : **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** ، أي : عذابه وقضاءه ، إذ قدرته فوق ما أعارهم من القوى والقدر ، كقوله : **﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾** ، أو لَمَّا وصف الله بالتَّعالي على معنى لا قادر أقدر منه ، وأنَّ صفته في أعلى مراتب صفات القادرين حسن القول مِنْ فَوْقِهِمْ ليدلَّ على هذا المعنى " .

وقال أيضاً في " باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن" (٢/ ٨٠١) : **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** ، أي : عذابه وقضاءه . وقيل : معناه أنَّ قدرته فوق ما أعارهم من القوى والقدر ، على مجاز : **﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾** .

وقال الإمام أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أحمد السّهيلي في " الرَّوض الأُنُف في شرح السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام " (٦/ ٢٣٣) : " قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** [النّحل:٥٠] ، أَيْ يَخَافُونَ عِقَابًا يَنْزِلُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَهُوَ عِقَابُ رَبِّهِمْ " .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير " (٢/ ٥٦٤) : " وفي قوله: **﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** قولان، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنَّه ثناءٌ على الله تعالى، وتعظيم لشأنه، وتلخيصه: يخافون ربَّهم عالياً رفيعاً عظيماً. والثَّاني: أنَّه حال، وتلخيصه: يخافون ربَّهم معظِّمين له عالمين بعظيم سلطانه " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٢٠/ ٢١٨) : " المسألة الثَّانِيَةُ: قَالَتِ الْمُشَبِّهَةُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِلَهَ تَعَالَىٰ فَوْقَهُمْ بِالذَّاتِ.

وَاعْلَمْ أَنَّا بَالَغْنَا فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾** [الأنعام: ١٨] والذي نزيده هاهنا أَنَّ قَوْلَهُ: **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** مَعْنَاهُ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ مُحْتَمِلًا لِهَذَا الْمَعْنَىٰ سَقَطَ قَوْلُهُمْ، وَأَيْضًا يَجِبُ حَمْلُ هَذِهِ الْفَوْقِيَّةِ عَلَى الْفَوْقِيَّةِ بِالْقُدْرَةِ وَالْقَهْرِ ، كَقَوْلِهِ: **﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ﴾** [الأَعْرَافِ: ١٢٧] وَالَّذِي يُقَوِّي هَذَا الوجه أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا قَالَ: **﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُقْتَضَىٰ لِهَذَا الْخَوْفِ هُوَ كَوْنُ رَبِّهِمْ فَوْقَهُمْ لِمَا ثَبَتَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ أَنَّ الْحُكْمَ الْمُرَتَّبَ عَلَى الْوَصْفِ يُشْعِرُ بِكَوْنِ الْحُكْمِ مُعَلَّلًا بِذَلِكَ الْوَصْفِ.

إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: هَذَا التَّعْطِيلُ إِنَّمَا يَصِحُّ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْفَوْقِيَّةِ الْفَوْقِيَّةَ بِالْقَهْرِ وَالْقُدْرَةِ لِأَنَّهَا هِيَ الْمُوجِبَةُ لِلْخَوْفِ، أَمَّا الْفَوْقِيَّةُ بِالْجِهَةِ وَالْمَكَانِ فَهِيَ لَا تُوجِبُ الْخَوْفَ بِدَلِيلِ أَنَّ حَارِسَ الْبَيْتِ فَوْقَ الْمَلَك بِالْمَكَانِ وَالْجِهَةِ مَعَ أَنَّهُ أَخسُّ عَبِيدِهِ فَسَقَطَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٠/ ١١٣) : " وَمَعْنَى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ، أَيْ عِقَابَ رَبِّهِمْ وَعَذَابَهُ، لِأَنَّ الْعَذَابَ الْمُهْلِكَ إِنَّمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى يَخَافُونَ قُدْرَةَ رَبِّهِمُ الَّتِي هِيَ فَوْقَ قُدْرَتِهِمْ، فَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ. وَقِيلَ: مَعْنَى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ، يَعْنِي : الْمَلَائِكَةَ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ وَهِيَ مِنْ فَوْقِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَمَعَ ذَلِكَ يَخَافُونَ، فَلَأَنْ يَخَافَ مَنْ دُونَهُمْ أَوْلَى، دَلِيلُ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ يعني : الملائكة " .

وقال الإمام ابن جماعة الكناني الحموي في " إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التَّعطيل" (ص١٠٨-١٠٩) : " الْآيَة الثَّانِيَة : قَوْله تَعَالَى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه﴾ ، وَقَوله تَعَالَى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِم﴾

اعْلَم أَن لَفْظَة فَوق فِي كَلَام الْعَرَب تسْتَعْمل بِمَعْنى الحيِّز العالي ، وتستعمل بِمَعْنى الْقُدْرَة وَبِمَعْنى الرُّتْبَة الْعلية فَمن فوقية الْقُدْرَة ﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِم﴾ ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه﴾ فَإِنَّ قرينَة ذكر الْقَهْر يدلُّ على ذَلِك ، وَمن فوقيَّة الرُّتْبَة ﴿وَفَوْقَ كلِّ ذِيْ عِلْمٍ عَلِيْم﴾ لم يقل أحدٌ إِنَّ الْمُرَاد فوقيَّة الْمَكَان بل فوقيَّة الْقَهْر والقدرة والرُّتبة

وَإِذا بَطل بِمَا قدَّمْنَاهُ مَا سنذكر من إبطَال الْجِهَة فِي حقِّ الرَّبِّ تَعَالَى ، تعيَّن أَنَّ الْمُرَاد فوقيَّة الْقَهْر وَالْقُدْرَة والرُّتبة ، وَلذَلِك قَرَنه بِذكر الْقَهْر كَمَا قدَّمنَا .

وَيدلُّ على مَا قُلْنَاهُ أَنَّ فوقيَّة الْمَكَان من حَيْثُ هِيَ لَا تَقْتَضِي فَضِيلَة لَهُ ، فكم من غُلَام أَو عبد كَائِن فَوق مسكن سَيِّده ، وَلَا يُقَال الْغُلَام فَوق السُّلْطَان أَو السَّيِّد على وَجه الْمَدْح إِذا قصد الْمَكَان لم يكن فِيهِ مدحه بل الْفَوْقِيَّة الممدوحة فوقيَّة الْقَهْر وَالْغَلَبَة والرُّتبة ، وَلذَلِك قَالَ تَعَالَى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقهم﴾ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يخَاف الْخَائِف من هُوَ أَعلَى مِنْهُ رُتْبَة ومنزلة وأقدر عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَمَعْنَاه : يخَافُونَ رَبَّهم الْقَادِر عَلَيْهِم القاهر لَهُم ، وَحَقِيقَته : يخَافُونَ عَذَاب رَبِّهم لِأَنَّ حَقِيقَة الذَّات المقدَّسة لَا تخَاف وَإِنَّمَا الْمخوف فِي الْحَقِيقَة عَذَابه وبطشه وإنتقامه ، وَإِذا ثَبت ذَلِك فَلَا جِهَة .

وَله وَجه آخر وَهُوَ أَن يكون ﴿مِنْ فَوْقِهِم﴾ مُتَعَلِّقاً بِعَذَاب رَبِّهم الْمُقدر ، وَيُؤَيِّدهُ قَوْله تَعَالَىٰ : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُم عَذَاباً مِنْ فَوْقكُم﴾ الْآيَة .

فقد بَان بِمَا ذكرْنَاهُ أَن الْمُرَاد بالفوقيَّة فِي الْآيَات الْقَهْر وَالْقُدْرَة والرتبة أَو فوقيَّة جِهَة الْعَذَاب لَا فوقيَّة الْمَكَان لَهُ " .

وقال الإمام البيضاوي في " أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل" (٣/ ٢٢٩) : ﴿يخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِم﴾ يخافونه أن يرسل عذاباً من فوقهم، أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه﴾ " .

وقال الإمام ابن جزي الكلبي الغرناطي في " التَّسهيل لعلوم التَّنزيل(١/ ٤٢٨) : ﴿يخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقهم﴾ هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان نفي الاستكبار، ويحتمل أن يريد فوقيَّة القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها، وقيل: معناه يخافون أن يُرسل عليهم عذاباً من فوقهم " .

وقال الإمام تاج الدِّين السُّبكي في " طبقات الشَّافعيَّة الكبرىٰ" (٩/ ٤٧) : " ... وأردفه بقوله تَعَالَىٰ : ﴿يخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِم﴾ ، وَتلك أَيْضاً لَا دلَالَة لَهُ فِيهَا عَن سَمَاء وَلَا عرش وَلَا أَنَّه فِي شَيْء من ذَلِك حَقِيقَة .

ثمَّ الْفَوْقِيَّة تَرِدُ لمعنيين :

أَحدهمَا : نِسْبَة جسم إِلىٰ جسم بِأَن يكون أَحدهمَا أَعلَىٰ وَالْآخر أَسْفَل بِمَعْنىٰ أَنَّ أَسْفَل الْأَعْلَىٰ من جَانب رَأس الْأَسْفَل ، وَهَذَا لَا يَقُول بِهِ من لَا يجسِّم ، وَبِتَقْدِير أَن يكون هُوَ الْمُرَاد وَأَنَّه تَعَالَىٰ لَيْسَ بجسم فَلمَ لَا يجوز أَن يكون ﴿فَوْقهم﴾ صلَة لـ ﴿يخَافُونَ﴾ وَيكون تَقْدِير الْكَلَام يخَافُونَ من فَوْقهم رَبهم ، أَي أَن الْخَوْف من جِهَة الْعُلُوّ وَأَنَّ الْعَذَاب يَأْتِي من تِلْكَ الْجِهَة ، وَثَانِيهمَا : بِمَعْنىٰ الْمَرتبَة كَمَا يُقَال الْخَلِيفَة فَوق السُّلْطَان وَالسُّلْطَان فَوق الْأَمِير ، وكما يُقَال : جلس فلَان فَوق فلَان ، وَالْعلم فَوق الْعَمَل ، والصِّباغة فَوق الدِّباغة " .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي في " اللباب في علوم الكتاب" (١٢/ ٧٥) : " استدلَّ المشبِّهة بقوله تعالىٰ: ﴿يخَافُونَ رَبهم من فَوْقهم﴾ علىٰ أنَّه – تعالىٰ – فوقهم بالذَّات.

والجواب: أنَّ معناه: يخافون ربَّهم؛ من أن ينزل عليهم العذاب من فوقهم، وإذا احتمل اللفظ هذا المعنىٰ؛ سقط استدلالهم، وأيضاً يجب حمل هذه الفوقيَّة علىٰ الفوقيَّة بالقدرة، والقهر والغلبة؛ لقوله تعالىٰ: **﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾** [الأعراف: ١٢٧]

ويقوِّي هذا الوجه أنَّه تعالىٰ قال: **﴿يَخَافُونَ رَبهم من فَوْقهم﴾** فوجب أن يكون المقتضي لخوفهم هو كون ربِّهم فوقهم؛ لأنَّ الحكم المرتَّب علىٰ وصف يشعر بكون ذلك الحكم معلَّلاً بذلك الوصف، وهذا التَّعليل، إنَّما يصدح إذا كان المراد بالفوقيَّة، القهر والقدرة؛ لأنَّها هي الموجبة للخوف، وأمَّا الفوقيَّة بالجهة، والمكان، فلا توجب الخوف؛ لأنَّ حارس البيت فوق المَلِك بالمكان والجهة مع أنَّه أخسُّ عبيده " ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا الحِكْمَةُ فِي قَرْنِ الله تَعَالَى بَيْنَ جِبْرِيْلَ وَمِيْكَائِيْلَ فِي قَولِهِ تَعَالَى : ﴿مَنْ كانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨] ؟

الجواب : قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير " (٢/ ٣٠١) : " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** [البقرة: ٩٨] ، وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ﴾** [البقرة: ٩٨] مَنْ عَادَاهُ وَعَادَىٰ جَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ أَنَّ مَنَ عَادَىٰ جِبْرِيل فَقَدْ عَادَاهُ وَعَادَىٰ مِيكَائِيلَ وَعَادَىٰ جَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ، وَمَنْ عَادَىٰ للهِ وَلِيًّا فَقَدْ عَادَىٰ اللهَ وَبَارَزَهُ بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَنْ عَادَىٰ اللهَ فَقَدْ عَادَىٰ جَمِيعَ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَوِلَايَتِهِ؛ لِأَنَّ الْعَدُوَّ للهِ عَدُوٌّ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْعَدُوَّ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ عَدُوٌّ لَهُ. فَكَذَلِكَ قَالَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ جِبْرِيلَ عَدُوُّنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمِيكَائِيلَ وَلِيُّنَا مِنْهُمْ: **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** [البقرة: ٩٨] مِنْ أَجْلِ أَنَّ عَدُوَّ جِبْرِيلَ عَدُوُّ كُلِّ وَلِيٍّ للهِ. فَأَخْبَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَهُوَ لِكُلِّ مَنْ ذَكَرَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَمِيكَالَ عَدُوٌّ، وَكَذَلِكَ عَدُوٌّ بَعْضِ رُسُلِ اللهِ عَدُوٌّ للهِ وَلِكُلِّ وَلِيٍّ ... حُدِّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ، قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، قَالَ: إِنَّ يَهُودِيًّا لَقِيَ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ إِنَّ جِبْرِيلَ الَّذِي يَذْكُرُهُ صَاحِبُكَ هُوَ عَدُوٌّ لَنَا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: " **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** [البقرة: ٩٨] " قَالَ: فَنَزَلَتْ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَهَذَا الْخَبَرُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ تَوْبِيخًا لِلْيَهُودِ فِي كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِخْبَارًا مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِمُحَمَّدٍ فَاللهُ لَهُ عَدُوٌّ، وَأَنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ لَمِنَ

الْكَافِرِينَ بِاللهِ الْجَاحِدِينَ آيَاتِهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ قِيلَ: بَلَى. فَإِنْ قَالَ: فَمَا مَعْنَى تَكْرِيرُ ذِكْرِهِمَا بِأَسْمَائِهِمَا، وَقَدْ مَضَى ذِكْرُهُمَا فِي الْآيَةِ فِي جُمْلَةِ أَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ؟ قِيلَ: مَعْنَى إِفْرَادِ ذِكْرِهِمَا بِأَسْمَائِهِمَا أَنَّ الْيَهُودَ لَمَّا قَالَتْ: جِبْرِيلُ عَدُوُّنَا وَمِيكَائِيلُ وَلِيُّنَا، وَزَعَمَتْ أَنَّهَا كَفَرَتْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ جِبْرِيلَ صَاحِبُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَعْلَمَهُمُ اللهُ أَنَّ مَنْ كَانَ لِجِبْرِيلَ عَدُوًّا، فَإِنَّ اللهَ لَهُ عَدُوٌّ، وَأَنَّهُ مِنَ الْكَافِرِينَ. فَنَصَّ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ، وَعَلَى مِيكَائِيلَ بِاسْمِهِ، لِئَلَّا يَقُولَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنَّمَا قَالَ اللهُ مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَلَسْنَا للهِ وَلَا لِمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ أَعْدَاءً، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ اسْمٌ عَامٌّ مُحْتَمِلٌ خَاصًّا وَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ غَيْرُ دَاخِلَيْنِ فِيهِ ".

وقال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون " (١/١٦٣) : " فإن قيل: فَلِمَ قال: **﴿مَن كَانَ عَدُوّاً للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** ، وقد دخل جبريل وميكائيل في عموم الملائكة فلِمَ خصَّهما بالذِّكر؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنَّهما خُصَّا بالذِّكر تشريفاً لهما وتمييزاً. والثَّاني: أنَّ اليهود لما قالوا جبريل عدوّنا ، وميكائيل ولينا ، خُصَّا بالذِّكر ، لأنَّ اليهود تزعم أنَّهم ليسوا بأعداء الله وملائكته ، لأنَّ جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة ، فنصَّ عليهما لإبطال ما يتأوَّلونه من التَّخصيص" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٢/٣٦-٣٧) : " فَإِنْ قِيلَ: لِمَ خَصَّ اللهُ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ ذِكْرُ الْمَلَائِكَةِ قَدْ عَمَّهُمَا؟ قِيلَ لَهُ: خَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا لَهُمَا، كَمَا قَالَ:" فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ". وَقِيلَ: خُصَّا لِأَنَّ الْيَهُودَ ذَكَرُوهُمَا، وَنَزَلَتِ الْآيَةُ بِسَبَبِهِمَا، فَذِكْرُهُمَا وَاجِبٌ لِئَلَّا تَقُولَ الْيَهُودُ: إِنَّا لم نعاد اللهَ وَجَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ، فَنَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا لِإِبْطَالِ مَا يَتَأَوَّلُونَهُ مِنَ التَّخْصِيصِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ أَلْقَابُ سَيِّدِنَا جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَام ؟

الجواب : جاء في الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة عددٌ من الألقاب التي نُعت بها جبريل عليه السَّلام ، منها :

[١] **الرُّوْح**: جاء في تفسير قول الله تعالى: **﴿يُلْقِي الرُّوْحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾** [غافر:١٥] يعني: ينزل جبريل بالوحي عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، وهو النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، **﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾** ، يعني: ليخوِّف بالقرآن. انظر : بحر العلوم (٣/ ٢٠٠) ، تفسير الماوردي (٥/١٤٨) ، زاد المسير في علم التَّفسير (٤/ ٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٨) ، تفسير النَّسفي (٣/ ٢٠٤) ، فتح القدير (٤/ ٥٥٦) ...

[٢] **الرُّوْحُ الأَمِيْن**: جاء في تفسير قول الله تعالىٰ: **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾** [الشعراء: ١٩٣] ، معناه: نَزَّلَ الله تعالىٰ بالقرآن الرُّوح الأمين، يعني: جبريل عليه السَّلام، نصب الرُّوح لوقوع الفعل عليه، يعني: أنزل الله تعالىٰ جبريل بالقرآن . انظر : بحر العلوم (٢/ ٥٦٧) ، تفسير الطَّبري (١٧/ ٦٤٢) ، معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٠) ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٩/ ٢٨١٧) ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنِين (٣/ ٢٨٧) ، تفسير ابن فورك (١/ ٢٦٦) ، تفسير السّلمي (٢/ ٨١) ، الهداية إلىٰ بلوغ النِّهاية (٢/ ١٥٤١) ، تفسير الماوردي (٤/ ١٨٧) ، لطائف الإشارات (٣/ ١٨) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٣٦٢) ، تفسير القرآن للسَّمعاني (٤/ ٦٦) ، معالم التَّنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٤٧٨) ...

وعن سبب تسمية جبريل عليه السَّلام بالرُّوح الأمين قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (١٩/ ١٨٩) : " وَ (الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبرئيل وَهُوَ لَقَبُهُ فِي الْقُرْآنِ، سُمِّيَ رُوحًا لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ مِنْ عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَهِيَ الْمُجَرَّدَاتُ. وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَىٰ الرُّوحِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَتَقَدَّمَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي الْبَقَرَةِ . وَنُزُولُ جِبْرِيلَ إِذْنُ اللَّهِ تَعَالَىٰ، فَنُزُولُهُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَالْأَمِينُ صِفَةُ جِبْرِيلَ لِأَنَّ اللَّهَ أَمِنَهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ. وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: نَزَلَ بِهِ لِلْمُصَاحَبَةِ. وَالْقَلْبُ: يُطْلَقُ عَلَىٰ مَا بِهِ قَبُولُ الْمَعْلُومَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾** [ق: ٣٧] ، أَيْ إِدْرَاكٌ وَعَقْلٌ.

وَقَوْلُهُ: عَلىٰ قَلْبِكَ يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ نَزَلَ، وعَلىٰ لِلِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ لِأَنَّ النُّزُولَ وُصُولٌ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ فَهُوَ مُقْتَضٍ اسْتِقْرَارَ النَّازِلِ عَلَىٰ مَكَانٍ. وَمَعْنَىٰ نُزُولِ جِبْرِيلَ عَلَىٰ قَلْبِ النَّبِيءِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: اتِّصَالُهُ بِقُوَّةِ إِدْرَاكِ النَّبِيءِ لِإِلْقَاءِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ فِي قُوَّتِهِ الْمُتَلَقِّيَةِ لِلْكَلَامِ الْمُوحَىٰ بِأَلْفَاظِهِ، فَفِعْلُ (نَزَلَ) حَقِيقَةٌ. وَحَرْفُ عَلىٰ مُسْتَعَارٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ التَّمَكُّنِ مِمَّا سُمِّيَ بِقَلْبِ النَّبِيءِ مِثْلُ اسْتِعَارَتِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾** [الْبَقَرَة: ٥] .

وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِك كَمَا فِي حَدِيثِ «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» (اخرجه البخاري٤/ ١١٢ برقم ٣٢١٥) .

وَهَذَانَ الْوَصْفَانِ خاصَّانِ بِوَحْيِ نُزُولِ الْقُرْآنِ. وَثَمَّةَ وَحْيٌ مِنْ قَبِيلِ إِبْلَاغِ الْمَعْنَى وَسَمَّاهُ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ نَفْثًا. فَقَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ أَجَلَهَا» (أخرجه الطَّبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٦ برقم ٧٦٩٤) . ف

هَذَا اللَّفْظُ لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ وَحْيٌ بِالْمَعْنَى (وَالرُّوعُ: الْعَقْلُ) وَقَدْ يَكُونُ الْوَحْيُ فِي رُؤْيَا النَّوْمِ فَإِنَّ النَّبِيءَ لَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَيَكُونُ أَيْضًا بِسَمَاعِ كَلَامِ اللهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ" .

[٣] الرُّوْحُ الْقُدُس : قال الله تعالىٰ : **﴿وَآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾** [البقرة:٨٧] .

رَوَىٰ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي " التَّفْسِيْرِ" (١/ ١٦٨ برقم ٨٨٤) بسَنَدِهِ عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: رَوْحُ الْقُدُسِ جِبْرِيلُ. رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ وَقَتَادَةَ وَعَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ والسدي، والرَّبيع أَنَّ أَنَسٍ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ نَحْوُ ذَلِكَ.

وَرَوَىٰ أَيْضاً (٧/ ٢٣٤٣ برقم ١٣٣٧٢) بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يأذن الله تَعَالَى في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ، ثُمَّ يقوم إبراهيم خليل الله عليه الصَّلاة والسَّلام ثُمَّ يقوم عِيسَىٰ أو موسىٰ عليهما السَّلام ثُمَّ يَقُومُ نَبِيُّكُمْ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقفًا ليشفع لا يَشْفَعُ أحد بعده أكثر مما شفع، وهو المقام المحمود الّذِي قَالَ اللهُ عَسَىٰ إِنَّ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا .

وروىٰ الطَّبري في "التَّفسير" (٢/ ٢٢٢) بسنده عَنِ الضَّحَّاكِ: " فِي قَوْلِهِ: **﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾** [البقرة: ٨٧] قَالَ: رُوحُ الْقُدُسِ: جِبْرِيلُ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير الكبير " (٦/ ٥٢٨) : " قَالَ الْحَسَنُ: الْقُدُسُ هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَرُوحُهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ، وَالْمَعْنَىٰ أَعَنَّاهُ بِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَفِي وَسَطِهِ وَفِي آخِرِهِ، أَمَّا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فلقوله: **﴿فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا﴾** [التحريم: ١٢] ، وَأَمَّا فِي وَسَطِهِ فَلِأَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَّمَهُ الْعُلُومَ، وَحَفِظَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَأَمَّا فِي آخِرِ الْأَمْرِ فَحِينَ أَرَادَتِ الْيَهُودُ قَتْلَهُ أَعَانَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾** [النحل: ١٠٢] " .

وفي تفسير قول الله تعالىٰ : **﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾** [النحل:١٠٢] ، قال الإمام الواحدي في " الوسيط في تفسير القرآن المجيد " (٣/ ٨٤) : " **﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾** يعني نزل بالقرآن **﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾** جبريل " .

وقال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٣/ ٩٦) : " **﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾** ، يَعْنِي الْقُرْآنَ، **﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾** ، جبريل عليه السَّلام " .

[٤] **النَّامُوْس**: روىٰ البخاري (٤/ ١٥١ برقم ٣٣٩٢) بسنده عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، سَمِعْتُ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: " فَرَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَىٰ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ رَجُلًا تَنَصَّرَ، يَقْرَأُ الإِنْجِيلَ بِالعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ وَرَقَةُ: مَاذَا تَرَىٰ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، وَإِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا " النَّامُوسُ: صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي يُطْلِعُهُ بِمَا يَسْتُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ " .

قال الإمام ابن الأثير في " النِّهاية في غريب الحديث والأثر " (٥/ ١١٩) : " النَّامُوسُ: صاحبُ سرِّ المَلِك، هُوَ خاصُّه الَّذِي يُطْلِعُه عَلَىٰ مَا يَطْوِيه عَنْ غَيْرِهِ مِنْ سَرائِره .

وَقِيلَ: النَّامُوسُ: صاحبُ سرِّ الخَيْر، وَالجَاسُوسُ: صَاحِبُ سرِّ الشَّر، وَأَرَادَ بِهِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خصَّه بالوَحْي والغَيْب اللَّذين لَا يَطَّلع عَلَيْهِمَا غَيْرُه.

وَمِنْهُ حَدِيثُ وَرَقَة «لَئِنْ كَانَ مَا تَقُولِينَ حَقّاً لَيَأْتِيه النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يأتِي مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ صِفَاتُ سَيِّدِنَا جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَام ؟

الجواب : لجبريل عليه السَّلام العديد من الصِّفات ، أجملها الإمام الرَّازي في "التَّفسير" (٢/ ٤٣٩) ، فقال : " وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِستٍّ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ:

أَحَدُهَا: كَوْنُهُ رَسُولًا للهِ.

وَثَانِيهَا: كَوْنُهُ كَرِيمًا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَثَالِثُهَا: كَوْنُهُ ذَا قُوَّةٍ عِنْدَ اللهِ، وَقُوَّتُهُ عِنْدَ اللهِ لَا تَكُونُ إِلَّا قُوَّتَهُ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ بِحَيْثُ لَا يَقْوَىٰ عَلَيْهَا غَيْرُهُ.

وَرَابِعُهَا: كَوْنُهُ مَكِينًا عِنْدَ اللهِ.

وَخَامِسُهَا: كَوْنُهُ مطاعاً في عالم السموات.

وَسَادِسُهَا: كونه أميناً في كلِّ الطَّاعات مبرءاً عَنْ أَنْوَاعِ الْخِيَانَاتِ" . وقال في موطن آخر (٢/ ٣٨٦) : " ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَصَفَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأُمُورٍ .

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ صَاحِبُ الْوَحْيِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَىٰ : **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ﴾** [الشُّعَرَاءِ: ١٩٣- ١٩٤]

الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ قَبْلَ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقُرْآنِ **﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾** [الْبَقَرَة: ٩٧] ، وَلِأَنَّ جِبْرِيلَ صَاحِبُ الْوَحْيِ وَالْعِلْمِ، وَمِيكَائِيلَ صَاحِبُ الْأَرْزَاقِ وَالْأَغْذِيَةِ، وَالْعِلْمُ الَّذِي هُوَ الْغِذَاءُ الرُّوحَانِيُّ أَشْرَفُ مِنَ الْغِذَاءِ الْجُسْمَانِيِّ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْرَفَ مِنْ مِيكَائِيلَ .

الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ جَعَلَهُ ثَانِيَ نَفْسِهِ **﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [التَّحْرِيم: ٤] .

الرَّابِعُ: سَمَّاهُ رُوحَ الْقُدُسِ قَالَ فِي حَقِّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾** [الْمَائِدَة: ١١٠] .

الْخَامِسُ: يَنْصُرُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَيَقْهَرُ أَعْدَاءَهُ مَعَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ.

السَّادِسُ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ مَدَحَهُ بِصِفَاتٍ سِتٍّ فِي قَوْلِهِ: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾** [التَّكْوِير: ١٩-٢١] فَرِسَالَتُهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ أُمَّتُهُ وَكَرَمُهُ عَلَىٰ رَبِّهِ أَنَّهُ جَعَلَهُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَشْرَفِ عِبَادِهِ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَقُوَّتُهُ أَنَّهُ رَفَعَ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ إِلَى السَّمَاءِ وَقَلَبَهَا، وَمَكَانَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّهُ جَعَلَهُ ثَانِيَ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** وَكَوْنُهُ مُطَاعًا أَنَّهُ إِمَامُ الْمَلَائِكَةِ وَمُقْتَدَاهُمْ، وَأَمَّا كَوْنُهُ أَمِينًا فَهُوَ قَوْلُهُ: **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾** [الشُّعَرَاءِ: ١٩٣] " .

أمَّا عن صفاته عليه السَّلام مُفصَّلة ، فهي :

الصِّفَةُ الأُوْلَى : أنَّه أفضل الملائكة : روىٰ الطَّبرانيُّ في " المعجم الكبير " (١١/ ١٦٠ برقم ١١٣٦١) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ الْمَلَائِكَةِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ... " .

الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: الكرم ، قال تعالىٰ: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾** ، فقد روىٰ عبد الرزَّاق في " التَّفسير" (٣/ ٣٩٩برقم ٣٥١٩) بسنده عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾** قَالَ: «هُوَ جِبْرِيلُ» .

وقال الإمام الزَّجَّاج في " معاني القرآن وإعرابه " (٥/ ٢٩٢) : " **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾** يعني أنَّ القرآن نزل به جبريل عليه السَّلام " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٨/٣٣٨) : " وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لتبليغُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، أَيْ: مَلَكٌ شَرِيفٌ حَسَن الْخَلْقِ، بَهِيُّ الْمَنْظَرِ، وَهُوَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالشَّعْبِيُّ، وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْران، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُهُمْ" .

الصِّفَةُ الثالِثَةُ : أنَّه قوي : قال تعالىٰ: **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾** [النجم: ٥] . روىٰ الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٩) بسنده عَنْ قَتَادَةَ، **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾** «يَعْنِي جِبْرِيلَ» .

قال الإمام مكِّي بن ابي طالب في " الهداية إلىٰ بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره " (١١/ ٧١٤٢) : " **﴿عَلَّمَهُ شَدِيْدُ القُوَى﴾** ، أي: علَّم محمَّداً هذا القرآن مَلَكٌ شديدُ القوىٰ هو جبريل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال الفرَّاء وغيره: قالت قريش إنَّما يقول من تلقائه فنزل تكذيبهم في هذه الآية ، وعلىٰ هذا التَّفسير جميع المفسِّرين من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم في هذه الآية، والقُوىٰ جمع قوَّة، وقيل: شديد الأسباب " .

وقال الإمام البغوي في " عالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٤/ ٣٠١) : **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾** ، وهو جِبْرِيلُ، وَالْقُوَىٰ جَمْعُ الْقُوَّةِ" .

وقال الإمام الرَّازي في "التَّفسير" (٢٨/ ٢٣٧-٢٣٨) : " وَشَدِيدُ الْقُوَىٰ هُوَ جِبْرِيلُ، أَيْ قُوَاهُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ كُلُّهَا شَدِيدَةٌ فَيَعْلَمُ وَيَعْمَلُ، وَقَوْلُهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ فِيهِ فَوَائِدُ .

الْأُولَى: أَنَّ مَدْحَ الْمُعَلِّمِ مَدْحُ الْمُتَعَلِّمِ فَلَوْ قَالَ عَلَّمَهُ جِبْرِيلُ وَلَمْ يَصِفْهُ مَا كَانَ يَحْصُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ .

الثَّانِيَةُ: هِيَ أَنَّ فِيهِ رَدًّا عَلَيْهِمْ حَيْثُ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ سَمِعَهَا وَقْتَ سَفَرِهِ إِلَىٰ الشَّامِ، فَقَالَ لَمْ يُعَلِّمْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بَلْ مُعَلِّمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ، وَالْإِنْسَانُ خُلِقَ ضَعِيفًا وَمَا أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا .

الثَّالِثَةُ: فِيهِ وُثُوقٌ بِقَوْلِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ جَمَعَ مَا يوجب الوثوق لِأَنَّ قُوَّةَ الْإِدْرَاكِ شَرْطُ الْوُثُوقِ بِقَوْلِ الْقَائِلِ لِأَنَّا إِنْ ظَنَنَّا بِوَاحِدٍ فَسَادَ ذِهْنٍ ثُمَّ نَقَلَ إِلَيْنَا عَنْ بَعْضِ الْأَكَابِرِ مَسْأَلَةً مُشْكِلَةً لَا نَثِقُ بِقَوْلِهِ وَنَقُولُ هُوَ مَا فَهِمَ مَا قَالَ، وَكَذَلِكَ قُوَّةُ الْحِفْظِ حَتَّىٰ لَا نَقُولَ أَدْرَكَهَا لَكِنْ نَسِيَهَا وَكَذَلِكَ قُوَّةُ الْأَمَانَةِ حَتَّىٰ لَا نَقُولَ حَرَّفَهَا وَغَيَّرَهَا فَقَالَ: شَدِيدُ الْقُوىٰ لِيَجْمَعَ هَذِهِ الشَّرَائِطَ فَيَصِيرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾** إلىٰ أن قال: **﴿أَمِينٍ﴾** [التكوير: ٢٠، ٢١] .

الرَّابِعَةُ: فِي تَسْلِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ مِنْ حَيْثُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ مُخْتَصًّا بِمَكَانٍ فَنِسْبَتُهُ إِلَى جِبْرِيلَ كَنِسْبَتِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا عُلِّمَ بِوَاسِطَتِهِ يَكُونُ نَقْصًا عَنْ دَرَجَتِهِ فَقَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ شَدِيدُ الْقُوَى يَثْبُتُ لِمَكَانَتِنَا وَأَنْتَ بَعْدَ مَا اسْتَوَيْتَ فَتَكُونُ كَمُوسَى حَيْثُ خَرَّ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ عَلَّمَهُ بِوَاسِطَةٍ ثُمَّ عَلَّمَهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ " .

ومن قوّة روح جبريل عليه السَّلام ما جاء في قوله تعالى : **﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾** [طه:٩٥-٩٦] .

فقد روى محمَّد بن نصر المروزي في " " (٢/ ٧٤٠ برقم ٧٩٢) بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: " **﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾** [البقرة: ٥٤] قَالَ: كَانَ مُوسَى أَمَرَ قَوْمَهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْخَنَاجِرِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقْتُلُ أَبَاهُ وَيَقْتُلُ وَلَدَهُ فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَالَ: وَالْعِجْلُ حُلِيٌّ اسْتَعَارُوهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: أَحْرِقُوهُ فَأَحْرَقُوهُ، وَكَانَ السَّامِرِيُّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فَطَرَحَهَا فِيهِ فَانْسَبَكَ فَكَانَ لَهُ كَالْجَوْفِ تَهْوِي فِيهِ الرِّيحُ، فَقَالَ السَّامِرِيُّ: **﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾** ".

وجاء في تفسير ابن كثير (٥/ ٣١٣) : " وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عمار بْنِ الْحَارِثِ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا نَزَلَ فَصَعِدَ بِمُوسَى إِلَى السَّمَاءِ، بُصُرَ بِهِ السَّامِرِيُّ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الْفَرَسِ قَالَ: وَحَمَلَ جِبْرِيلُ مُوسَى خَلْفَهُ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ بَابِ السَّمَاءِ، صَعِدَ وَكَتَبَ اللهُ الْأَلْوَاحَ وَهُوَ يَسْمَعُ صَرِيرَ الْأَقْلَامِ فِي الْأَلْوَاحِ. فَلَمَّا أَخْبَرَهُ أَنَّ قَوْمَهُ قَدْ فُتِنُوا مِنْ بَعْدِهِ قَالَ: نَزَلَ مُوسَى، فَأَخَذَ الْعِجْلَ فَأَحْرَقَهُ. غَرِيبٌ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: **﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾** ، قَالَ: مِنْ تَحْتِ حَافِرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ، قَالَ: وَالْقَبْضَةُ مِلْءُ الْكَفِّ، وَالْقَبْضَةُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: نَبَذَ السَّامِرِيُّ، أَيْ: أَلْقَى مَا كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى حِلْيَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَانْسَبَكَ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوار حَفِيفُ الرِّيحِ فِيهِ، فَهُوَ خُوَارُهُ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يحيى، أخبرنا علي بن الْمَدِينِيِّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ؛ أَنَّ السَّامِرِيَّ رَأَى الرَّسُولَ، فَأُلْقِيَ فِي رَوْعِهِ أَنَّكَ إِنْ أَخَذْتَ مِنْ أَثَرِ هَذَا الْفَرَسِ قَبْضَةً فَأَلْقَيْتَهَا فِي شَيْءٍ، فَقُلْتَ لَهُ: "كُنْ فَكَانَ" فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ، فَيَبِسَتْ أَصَابِعُهُ عَلَى الْقَبْضَةِ، فَلَمَّا

ذَهَبَ مُوسَىٰ لِلْمِيقَاتِ وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ اسْتَعَارُوا حُلِيَّ آلِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ: إِنَّمَا أَصَابَكُمْ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْحُلِيِّ، فَاجْمَعُوهُ. فَجَمَعُوهُ، فَأَوْقَدُوا عَلَيْهِ، فَذَابَ، فَرَآهُ السَّامِرِيُّ فَأُلْقِيَ فِي رُوعِهِ أَنَّكَ لَوْ قَذَفْتَ هَذِهِ الْقَبْضَةَ فِي هَذِهِ فَقُلْتَ: "كُنْ" كَانَ. فَقَذَفَ الْقَبْضَةَ وَقَالَ: "كُنْ"، فَكَانَ عِجْلًا لَهُ خُوَارٌ، فَقَالَ: **﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾** " .

والذي حصل للسَّامري كان بسبب ما أملاه وألقاه الشَّيطان في قلبه ، فأطاعه وانصاع لما ألقىٰ به إليه ، فصنع ما حبَّبه وحسَّنه وزيَّنه له الشَّيطان ... فباء بالعقوبة والخسران .

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ : أنَّه صاحب رُتبة ومكانة عالية عند الله تعالىٰ ، قال تعالىٰ: **﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾** [التكوير: ٢٠] .

قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢٠/١٥٦) : " وَالْمَكِينُ: فَعِيلٌ، صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مِنْ مَكُنَ بِضَمِّ الْكَافِ مَكَانَةً، إِذَا عَلَتْ رُتْبَتُهُ عِنْدَ غَيْرِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ مَعَ الْمَلِكِ: **﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾** [يُوسُف: ٥٤] .

وَتَوْسِيطُ قَوْلِهِ: **﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾** بَيْنَ **﴿ذِي قُوَّةٍ﴾** و **﴿مَكِينٍ﴾** لِيَتَنَازَعَهُ كِلَا الْوَصْفَيْنِ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِيجَازِ، أَيْ : هُوَ ذُو قُوَّةٍ عِنْدَ اللَّهِ، أَيْ جَعَلَ اللَّهُ مَقْدِرَةَ جِبْرِيلَ تُخَوِّلُهُ أَنْ يَقُومَ بِعَظِيمِ مَا يُوَكِّلُهُ اللَّهُ بِهِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَىٰ قُوَّةِ الْقُدْرَةِ وَقُوَّةِ التَّدْبِيرِ، وَهُوَ ذُو مَكَانَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَزُلْفَىٰ.

وَوُصِفَ النَّبِيءُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ عَلَىٰ نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ.

وَالْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ تَعْظِيمٍ، وَعِنَايَةٍ، فَـ (عِنْدَ) لِلْمَكَانِ الْمَجَازِيِّ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الِاخْتِصَاصِ والزُّلفىٰ.

وَعدل عَن اسْمِ الْجَلَالَةِ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ جِبْرِيلَ لِتَمْثِيلِ حَالِ جِبْرِيلَ وَمَكَانَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ بِحَالَةِ الْأَمِيرِ الْمَاضِي فِي تَنْفِيذِ أَمْرِ الْمَلِكِ وَهُوَ بِمَحَلِّ الْكَرَامَةِ لَدَيْهِ.

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ النَّبِيءِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلِلْإِشَارَةِ إِلَىٰ عَظِيمِ شَأْنِهِ إِذْ كَانَ ذَا قُوَّةٍ عِنْدَ أَعْظَمِ مَوْجُودٍ شَأْنًا " .

الصِّفَةُ الخَامِسَةُ : أنَّه أمين ، قال تعالىٰ : **﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِيْنٍ﴾** ، والأمين هنا هو جبريل عليه السَّلام ، روىٰ ذلك الطَّبري في " التَّفسير" (٢٤/ ١٦٣-١٦٥) بسنده عن أَبِي صَالِحٍ ، مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ ، ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَتَادَةَ ، الضَّحَّاكَ .

وقال الإمام الماوردي في "النُّكت والعيون" (٦/ ٢١٨) : " **﴿مُطاعٍ ثَمَّ أمينٍ﴾** هو جبريل في أصحِّ القولين ، يعني مطاعاً فيمن نزل عليه من الأنبياء ، أميناً فيما نزل به من الكتب " .

والملائكة كلّهم أُمناء لأنّهم **﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم:٦] ... واختياره سبحانه وتعالى لجبريل من بينهم للسّفارة بينه وبين الأنبياء والرُّسل يدلُّ على أنَّه أفضلهم وأعظمهم ...

الصِّفَةُ السَّادِسَةُ : انَّ الملائكة يحترموه ويُطيعوه ، ودليلها قوله تعالى: **﴿مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾** [التكوير: ٢١] ، قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٤/ ١٦٣) : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ ، يَعْنِي : جِبْرِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُطَاعٍ فِي السَّمَاءِ تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ " .

وقال الإمام الواحدي في " الوسيط في تفسير القرآن المجيد" (٤/ ٤٣١) : " **﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾** ، أي: في السموات تطيعه الملائكة، قال المفسِّرون: من طاعة الملائكة لجبريل، أنَّه أمر خازن الجنَّة ليلة المعراج بمحمَّد، حتى فتح لمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبوابها فدخلها، ورأى ما فيها، وأمر خازن جهنَّم ففتح له عنها، حتى نظر إليها " .

الصِّفَةُ السَّابِعَةُ : الطَّهارة، قال تعالى: **﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾** ، قال الإمام الشَّريف الرَّضي في " تلخيص البيان في مجازات القرآن " (٢/ ١٩٤) : " وقوله سبحانه : **﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾** ، وهذه استعارة. لأنَّ المراد بذلك جبريل عليه السَّلام ، والتَّقديس : الطَّهارة . وإنَّما سُمِّي روح القُدس لأنَّ حياة الدِّين وطهارة المؤمنين إنَّما تكون بما يحمله إلى الأنبياء عليهم السَّلام من الأحكام والشَّرائع ، والآداب والمصالح" .

الصِّفَةُ الثَّامِنَةُ : صفة الحسن، ودليلها قوله تعالى: **﴿ذُو مِرَّةٍ﴾** ، والمرّة هي الحسن وكمال الخِلقة، وقيل: كمال العقل، فجممع الله الحسن من جميع الوجوه.

الصِّفَةُ التَّاسِعَةُ : هو معلِّم الأنبياء عليهم السَّلام؛ قال تعالى : **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾** [النجم: ٥] ، قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٨-٩) : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: عَلَّمَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْقُرْآنَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ " .

وقال الإمام مكّي بن أبي طالب في " الهداية إلى بلوغ النِّهـــاية في علم معاني القرآن وتفسيره " (١١/ ٧١٤٢) : " ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى﴾ ، أي: علَّم محمَّداً هذا القرآن مَلَكٌ شديد القُـــوى هو جبريل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال الإمام الرَّازي في "التَّفسير" (٢/ ٤٣٩) : " جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُعَلِّمًا لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى﴾ [النَّجم: ٥] ، وَالْمُعَلِّمُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ مِنَ الْمُتَعَلِّمِ، وَأَيْضًا فَالْعُلُومُ قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا: الْعُلُومُ الَّتِي يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا بِالْعُقُولِ كَالْعِلْمِ بِذَاتِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، فَلَا يَجُوزُ وُقُوعُ التَّقْصِيرِ فِيهَا لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ التَّقْصِيرَ فِي ذَلِكَ جَهْلٌ وَهُوَ قَادِحٌ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى. وَأَمَّا الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَعَالَى وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعِلْمُ بِأَحْوَالِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وطباق السَّموات وَأَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ وَأَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْمَغَاوِرِ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ فَلَا شَكَّ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْلَمُ بِهَا، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَطْوَلُ عُمْرًا وَأَكْثَرُ مُشَاهَدَةً لَهَا فَكَانَ عِلْمُهُ بِهَا أَكْثَرَ وَأَتَمَّ. وَثَانِيهَا: الْعُلُومُ الَّتِي لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْوَحْيِ لَا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَّا من جهة جبريل عليه السَّلام " .

﴿سُؤالٌ﴾ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ : المَلَائِكَةُ أَمْ صَالِحُو البَشَر ؟

الجواب : حاصل جواب هذا السُّؤال ينتظم في النِّقاط التَّالية "

أَوَّلاً : أجمع المسلمون على أنَّ سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل المخلوقات على الإطلاق علويَّة كانت أو سفليَّة ، قال الإمام محمَّد بن جعفر الكتَّاني في "جلاء القلوب" (٢/ ٢٤٠-٢٤١) بعد أن ذكر أنَّ الخلاف في المفاضلة بين الملائكة والنَّبيين مخصوص بغير نبيِّنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أمَّا هو – أي النَّبي – فالإجماع كما ذكره فخر الدِّين الرَّازي ، وأبو عبد الله الأُبِّي ، وغيرهما على أنَّه أفضل من المخلوقات على الإطلاق ، وأجلّهم عند الله ، وأكملهم بطريق العموم والاستغراق . وفي نظمٍ محصِّل المقاصد في كلامه على الأنبياء :

وإنَّهم أفضــــــــــل في الأصحِّ ... من الملائكـــــــــــــة دون قـدح

نبيّنـا ذا الخلق لا يشملـــــــــــه ... ومن يعمِّمــه يخصّ قولـــــــــــه

قلت كما يظهر في الأبكـــــــــار   للآمدي يـرد بالأقطـــــــــــار

نبيّنـا أفضـل بالإطبـــــــــاق   من كلِّ مخلـــــــوق على الإطلاق

وفي أرجوزة علم الكلام لسيِّدي حمدون بن الحاج السّلمي المرداسي :

الرُّســـــــل أفضل من والمصطفى أفضل من

الملائك أولئـــــك

هو أجلّ مـــــــا اختفى وظهر   انعقد الإجمـــــــاع فيه واشتهر

وقال الدُّكتور البوطي في " كبرى اليقينيَّات الكونيَّة" (ص١٩٩) : " لا ريب أنَّ أفضل الخلق على الإطلاق هو نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو ما أجمع عليه المسلمون قاطبة " .

وقد تناول هذا الأمر علماء الأمَّة في منظوماتهم وأشعارهم ...

قال الإمام اللقَّاني في جوهرته :

وأفضل الخلق على الإطلاق   نبيّنا فمِل عن الشِّقــاق

وقال صاحب الدرَّة المضيّة :

وأفضل العالم من غير امترا   نبيّنا المبعوث في أمِّ القرى

.. نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن سالم السَّفاريني الحنبلي في " غذاء الألباب شرح منظومة الآداب" (١/ ١٥) : " وَلا شَكَّ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الْخَلائِقِ تَفْصِيلا وَجُمْلا . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : مَا خَلَقَ خَلْقًا وَلا بَرَأَهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي أَبِي نُعَيْمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلامٍ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلا فَخْرَ . وَرَوَى الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا قَالَ : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ" ، وَنَحْوُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . وَالأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ" .

وقال الإمام سليمان البُجَيْرَمِيّ الشَّافعي في " تحفة الحبيب على شرح الخطيب " (١/ ٣٦) : " أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ نَبِيُّنَا إجْمَاعًا، ثُمَّ الْخَلِيلُ، ثُمَّ الْكَلِيمُ، ثُمَّ عِيسَى، ثُمَّ نُوحٌ، ثُمَّ بَاقِي الْمُرْسَلِينَ، ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ

الرُّسُلُ مِنَ الْمَلَائِكَـــةِ، ثُمَّ بَاقِيهِمْ، ثُمَّ صُلَحَاءُ الْمُؤْمِنِينَ. وَالتَّفْضِيلُ إِمَّا لِكَثْرَةِ الثَّوَابِ أَوْ كَثْرَةِ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ، فَنَبِيُّنَا أَفْضَـــلُ مِنْ جَمِيعِهِمْ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا بِمَعْنَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْعَالَمِ ... " .

وقال الإمام ابن تيمية في " منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة القدريَّة" (٢/ ٤١٧) : " وَالْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ الْخَلْقِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ" .

وجاء في فتاوى الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش (١/ ٤٠-٤١) : " (مَا تَقُولُ) فِي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ أَفْضَلُ مِنْهُ وَإِذَا قُلْتَ لَا مَخْلُوقَ أَفْضَلَ مِنْهُ فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ مَخْلُوقًا أَفْضَلُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا الْحُكْمُ فِيهِ ؟

فَأَجَبْتُ بِمَا نَصُّهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ بَاقِي الْمَخْلُوقِينَ مِنْ الْإِنْسِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَشَاعَتْ أَفْضَلِيَّتُهُ وَذَاعَتْ ، وَصَارَتْ كَالْمَعْلُومَاتِ الضَّرُورِيَّةِ حَتَّى عِنْدَ الْعَوَّام فَإِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يَصْرُخُونَ بِهَا عَلَى الْمَآذِنِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَصَبَاحًا وَمَسَاءً وَالْمَدَّاحِينَ كَذَلِكَ فِي الْأَزِقَّةِ وَالطُّرُقِ ، وَدَلَائِلُ الْخَيْرَاتِ مَشْحُونَةٌ بِذَلِكَ وَنُسَخُهَا كَثِيرَةٌ وَقِرَاءَتُهَا فِي مَسَاجِدِ الْجَمَاعَاتِ بِرَفْعِ الْأَصْوَاتِ شَهِيرَةٌ فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ اعْتِقَادُهَا وَمَنْ لَمْ يَعْتَقِدْهَا وَجَحَدَهَا بَعْدَ التَّعْلِيمِ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ فَيُسْتَتَابُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ تَابَ نَجَا وَإِلَّا قُتِلَ بِالسَّيْفِ قَالَ الْبُرْهَانُ اللَّقَانِيُّ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ فِي جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ : وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ نَبِيُّنَا فَمِلْ عَنْ الشِّقَاقِ أَفْضَلِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَأَقَامَ عَلَيْهِ قَوَاطِعَ الْأَدِلَّةِ الْمُحَقِّقُونَ قَالَ الْبَدْرُ الزَّرْكَشِيُّ وَهُوَ مُسْتَثْنًى مِنْ الْخِلَافِ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْمَلَكِ وَالْبَشَرِ ثُمَّ قَالَ اللَّقَانِيُّ صَرِيحُ كَلَامِهِمْ وَظَوَاهِرُهُ كَقَوْلِ النَّوَوِيِّ لَا بُدَّ مِنْ اعْتِقَادِ التَّفْضِيلِ مُفِيدَةٌ لِوُجُوبِهِ وَانْظُرْ مَا حُكْمُ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْهُ كَذَلِكَ فَإِنِّي لَا أَسْتَحْضِرُهُ الْآنَ وَلَا يَبْعُدُ تَفْسِيقُهُ وَتَبْدِيعُهُ إنْ أَصَرَّ عَلَيْهِ بَعْدَ الْعِلْمِ وَأَمَّا خَرْقُ الْإِجْمَاعِ فَفِيهِ مَا يَأْتِي انْتَهَى . وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ السَّلَامِ فِي هِدَايَةِ الْمُرِيدِ لِجَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ وَاجِبُ الِاعْتِقَادِ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ عَلَى مَا يُؤْخَذُ مِنْ ظَاهِرِ كَلَامِهِمْ ، وَصَرَّحَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَلَفْظُ النَّوَوِيِّ وَلَا بُدَّ مِنْ اعْتِقَادِ التَّفْضِيلِ انْتَهَى . وَلَا شَكَّ فِي عِصْيَانِ مُنْكِرِهِ وَتَبْدِيعِهِ وَتَأْدِيبِهِ" .

ثَانِياً : اخْتَلَفَ أَهْلُ العِلْمِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ عَلَى أَقْوَال :

قال الإمام البيهقي في "شُعب الإيمان" (١/٣٠٦) : " وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ قَدِيمًا، وَحَدِيثًا فِي الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْبَشَرِ فَذَهَبَ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ الرُّسُلَ مِنَ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ الرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْأَوْلِيَاءُ مِنَ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الْمَلَأَ الْأَعْلَى مُفَضَّلُونَ عَلَى سُكَّانِ الْأَرْضِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ وَجْهٌ " .

وقال الإمام ابن عادل في " اللباب "(١/٥٢٩-٥٣٠) : " فصل في بيان أنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة :

قال أكثر أهل السُّنَّة: الأنبياء أفضل من الملائكة. وقالت المعتزلة: الملائكة أَفْضَلُ من الأنبياء، وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقِلاني وأبي عبد الله الحليميّ " .

وقال الحافظ ابن حجر في " الفتح" (١٣/٣٨٦) : " الْمَعْرُوفَ عَنْ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ صَالِحِي بَنِي آدَمَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْأَجْنَاسِ ، وَالَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ الْفَلَاسِفَةُ ثُمَّ الْمُعْتَزِلَةُ وَقَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ وَبَعْضِ أَهْلِ الظَّاهِرِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَاضَلَ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ ، فَقَالُوا : حَقِيقَةُ الْمَلَكِ أَفْضَلُ مِنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ ، لِأَنَّهَا نُورَانِيَّةٌ وَخَيِّرَةٌ وَلَطِيفَةٌ مَعَ سَعَةِ الْعِلْمِ وَالْقُوَّةِ وَصَفَاءِ الْجَوْهَرِ " .

وقال الإمام السُّيوطي في " الحبائك في أخبار الملائك " (ص٢٠٣-٢٠٤) : " مسألة: في التَّفضيل بين الملائكة والبشر : اعلم أنَّ هنا ثلاث صور :

الأُوْلَى: التَّفضيل بين الأنبياء والملائكة، وفي هذه ثلاثة أقوال:

أَحَدُهَا: أنَّ الأنبياء أفضل وعليه جمهور أهل السُّنَّة واختاره الإمام فخر الدِّين في " الأربعين " وفي " المحصِّل " .

وَالثانِي : أنَّ الملائكة أفضل وعليه المعتزلة واختاره من أئمَّة السُّنَّة الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني والقاضي أبو بكر الباقلاني والحاكم والحليمي والإمام فخر الدِّين في العالم وأبو شامة.

وَالثَّالِثُ : الوقف ، واختاره الكيا الهراسي ومحلُّ الخلاف في غير نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أمَّا هو فأفضل الخلق بلا خلاف ، لا يفضل عليه مَلَكٌ مقرَّب ولا غيره، كذا ذكره الشَّيخ تاج الدِّين بن السُّبكي في " منع الموانع " ، والشَّيخ سراج الدِّين البلقيني في منهج الأصلين "، والشَّيخ بدر الدِّين الزّركشي في شرح " جمع الجوامع "، وقال: إنَّهم استثنوه، وإنَّ الإمام فخر الدِّين نقل في تفسيره الإجماع على ذلك.

الصُّورة الثَّانِيَةُ: التَّفضيل بين خواصِّ الملائكة، وأولياء البشر، وهم من عدا الأنبياء وهذه الصُّورة لا نعلم فيها خلافاً أنَّ خواصّ الملائكة أفضل، وقد نقل الشَّيخ سعد الدِّين التَّفتازاني في " شرح العقائد" الإجماع على ذلك، لكن رأيت عن طائفة من الحنابلة أنَّهم فضلوا أولياء البشر على خواصِّ الملائكة وخالفهم ابن عقيل من أئمَّتهم وقال: إنَّ في ذلك شناعة عظيمة عليهم.

الصُّوْرَةُ الثَّالِثَةُ: التَّفضيل بين أولياء البشر وغير الخواصّ من الملائكة، وفي هذه قولان:

أحدهما: تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر، وجزم به ابن السُّبكي في "جمع الجوامع" وفي منظومته، وذكر البلقيني في منهجه أنَّه قول أكثر العلماء.

والثَّاني: تفضيل أولياء البشر على أولياء الملائكة، وجزم به الصفَّار من الحنفيَّة في أسئلته، والنَّسفي منهم في عقائده، وذكر البلقيني أنَّه المختار عند الحنفيَّة، ومال إلى بعضه وهو أنَّه قد يوجد من أولياء البشر من هو أفضل من غير الخواصّ من الملائكة " .

ثَالِثَاً : أَدِلَّةُ القَائِلِيْنَ بِتَفْضِيْلِ صَالِحِي البَشَرِ عَلَى المَلَائِكَة :

استدلَّ القائلون بتفضيل صالحي البشر على الملائكة بالعديد من الأدلَّة ، منها :

الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ : قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** [البقرة:٣٠] .

قال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى" (٤/ ٣٦٧) : " قَوْلُهُ: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلَى تَفْضِيلِ الْخَلِيفَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَوَّلُهُمَا : أَنَّ الْخَلِيفَةَ يُفَضَّلُ عَلَى مَنْ هُوَ خَلِيفَةٌ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ وَهَذَا غَايَتُهُ أَنْ يُفَضَّلَ عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ.

وَثَانِيهُمَا : أَنَّ الْمَلَائِكَةَ طَلَبَتْ مِنْ اللهَّ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ الِاسْتِخْلَافُ فِيهِمْ وَالْخَلِيفَةُ مِنْهُمْ حَيْثُ قَالُوا: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾** الْآيَةَ. فَلَوْلَا أَنَّ الْخِلَافَةَ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ أَعْلَى مِنْ دَرَجَاتِهِمْ لَمَّا طَلَبُوهَا وَغَبَطُوا صَاحِبَهَا" .

الدَّلِيْلُ الثَّانِي: قوله تعالى : قوله تعالى : **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [البقرة:٣١] .

قال الإمام السَّمعاني في " تفسير القرآن "(١/ ٦٥) : " وَإِنَّمَا علمه ذَلِك تكريماً وتشريفاً لَهُ. وَذَلِكَ دَلِيل على أَنَّ الْأَنبِيَاء أفضل من الْمَلَائِكَة وَإِن كَانُوا رسلًا كَمَا ذهب إِلَيْهِ أهل السُّنَّة ".

وقال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (١/ ١٠٣) : " فَأَظْهَرَ اللهُ تَعَالَى فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ بِالْعِلْمِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنْ كَانُوا رُسُلًا كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ" .

وقال الإمام الخازن في " لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل " (١/ ٤٧) : " وفيه دليل لمذهب أهل السُّنَّة أنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلاً " .

وقال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى" (٤/ ٣٦٨) : " تَفْضِيلُ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِمْ بِالْعِلْمِ حِينَ سَأَلَهُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عِلْمِ الْأَسْمَاءِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ؛ وَاعْتَرَفُوا أَنَّهُمْ لَا يُحْسِنُونَهَا فَأَنْبَأَهُمْ آدَمَ بِذَلِكَ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: **﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** " .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي في " اللباب في علوم الكتاب " (١/ ٥٣٦) : " : " أنَّ آدم – عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ – كان أعلم، والأعلم أفضل، أما أنَّه أعلم فلأنَّه – تعالى – لمَّا طلب منهم علم الأسماء **﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ﴾** [البقرة: ٣٢] فعند ذلك قال الله: **﴿يَآءَادَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾** [البقرة: ٣٣] وذلك يدلُّ على أنَّ آدم – عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ – كان عالماً بما لم يكونوا عالمين به، والعالِم أَفْضَلُ لقوله تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذين يَعْلَمُونَ والذين لاَ يَعْلَمُونَ﴾** [الزمر: ٩] .

وقال الإمام السُّيوطي في " الحبائك في أخبار الملائك " (ص٢٠٨) : ضمن استدلاله على أنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة : " الحجَّة الثَّانية: أنَّ آدم عليه السَّلام كان أعلم من الملائكة، والأعلم أفضل، بيان الأوَّل قوله تعالى : **﴿وَعَلَمَ آدَمَ الأَسماءَ كُلَها﴾** إلى قوله : **﴿قالوا سُبحانَكَ لا عِلمَ لَنَا إلاّ ما عَلَمَتَنا إِنّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيم﴾** [البقرة: ٣١ – ٣٢] ، وبيان الثَّاني : **﴿هَل يَستَوي الَّذَينَ يَعلَمونَ وَالَّذَينَ لا يَعلَمُون﴾** [الزمر: ٩] " .

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾** [البقرة:٣٤] ، فقالوا بأنَّ الله تعالى أمر الملائكة بالسُّجود لآدم عليه السَّلام ، ولا شكَّ في أنَّ المسجود له أفضل من السَّاجد ...

ومن أقوال العلماء في ذلك :

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٢/ ٤٣٠) : " اعْلَمْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِنَا يَحْتَجُّونَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لِلْمَلَائِكَةِ بِسُجُودِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ أَنَّ آدَمَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَرَأَيْنَا أن نذكر هاهنا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَنَقُولُ: قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ السُّنَّةِ: الْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ بَلِ الْمَلَائِكَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الشِّيعَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَّا وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِيِّ مِنْ فُقَهَائِنَا" .

قال الإمام الخازن في " لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل " (١/ ٤٨) : " ... وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السُّنَّة في تفضيل الأنبياء على الملائكة".

قال الإمام ابن عادل الحنبلي في " اللباب في علوم الكتاب " (١/ ٥٣٦) : " أنَّ الله تعالىٰ أمر الملائكة بالسُّجود لآدم، وثبت أنَّ آدم لم يكن كالقِبْلَةِ، فوجب أن يكون آدم أفضل منهم؛ لأنَّ السُّجود نهايَةَ التَّواضُعِ، وتكليف الأشرف بنهاية التَّواضُعِ للأَدْوَنِ مُسْتَقْبَحٌ في العقول" .

وثانيها: أن آدم - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ - خليفةٌ له، والمراد منه خلافة الولاية لقوله: ﴿**يَا دَاوُوْدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض فاحكم بَيْنَ الناس بالحق**﴾ [ص: ٢٦] " .

وقال الإمام السُّيوطي في " الحبائك في أخبار الملائك " (ص٢٠٧-٢٠٨) : ضمن استدلاله على أنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة : " الحجَّة الأولى: أنَّ آدم عليه السَّلام كان مسجود الملائكة، والمسجود أفضل من السَّاجد، فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن يقال: السَّجدة كانت لله تعالى، وآدم كالقبلة؟ سلَّمنا أنَّ السَّجدة كانت لآدم، لكن لم يجوز أن يكون المراد من السَّجدة التَّواضع والتَّرحيب؟ قال الشَّاعر:

ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

سلَّمنا أنَّ السَّجدة عبارة عن وضع الجبهة على الأرض، لكن لا نسلِّم أنَّ هذا غاية التَّواضع، لأنَّ هذا قضيَّة عرفيَّة، والقضايا العرفيَّة يجوز أن تختلف باختلاف الأزمنة، فلعلَّ العرف في ذلك الوقت أنَّ من سلَّم على غيره وضع جبهته على الأرض، وتسليم الكامل على غيره أمر معتاد، والجواب عن الأسئلة الثَّلاثة: أنَّ ذلك السُّجود لو لم يكن دالًّا على زيادة منصب المسجود على السَّاجد، لما قال إبليس: ﴿**أَرَأَيْتُكَ هَذا الَّذِي كَرَمتَ عَلَيَّ**﴾ [الإسراء: ٦٢] ، فإنه لم يوجد شيء آخر يصرف هذا الكلام إليه سوى هذا السُّجود، فدلَّ ذلك على أنَّ ذلك السُّجود اقتضى ترجيح منصب المسجود له على السَّاجد" .

وقال الإمام القاسمي في " محاسن التَّأويل " (١/ ٢٩٠) : " فإنَّ أهل السُّنَّة قالوا: ... صالح البشر أفضل من الملائكة، واحتجُّوا بسجود الملائكة لآدم" .

وقال الإمام محمَّد سيِّد طنطاوي في " التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم " (١/ ٩٨) : " إن أهل السُّنَّة قالوا: ... الصَّالحون من البشر أفضل من الملائكة، واحتجُّوا بسجود الملائكة لآدم" .

الدَّليل الرَّابعُ : قوله تعالىٰ: **﴿إِنَّ الله اصطفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العالمين﴾** [آل عمران: ٣٣]

قال الإمام ابن عادل الحنبلي في " اللباب في علوم الكتاب " (١/ ٥٣٦) : " والعَالَمِ عبارة عن كلِّ ما سوىٰ الله – تعالىٰ – فمعناه أنَّ الله – تعالىٰ – اصطفاهم علىٰ المخلوقات.

فإن قيل: يُشْكل بقوله تعالىٰ: **﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذكروا نِعْمَتِي التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العالمين﴾** [البقرة: ٤٧] .

قلنا: الإشكال مدفوع؛ لأنَّ قوله: **﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾** خطاب مع الأنبياء الذين كانوا أسلاف اليهود، وحينما كانوا موجودين لم يكن محمَّد – عليه الصَّلاة والسَّلام – موجوداً في ذلك الزَّمان، والمعدوم لا يكون من العالمين؛ لأنَّ اشتقاق العالم من العَلَم فكلّ ما كان عَلَماً علىٰ الله ودليلاً عليه فهو عالم، وإذا كان كذلك لم يلزم اصْطِفاء الله إيَّاهم علىٰ العالمين في ذلك الوقت أن يكونوا أفضل من محمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ ، والملائكة كانوا موجودين، فيلزم أن يكون الله – تعالىٰ – قد اصطفىٰ هؤلاء علىٰ الملائكة، وأيضاً فهب أن تلك دَخَلَها التَّخصيص لقيام الدَّليل، وها هنا فلا دليل يوجب ترك الظَّاهر، فوجب إجراؤه علىٰ ظاهره في العموم" .

وقال الإمام السُّيوطي في " الحبائك في أخبار الملائك " (ص٢٠٩-٢١٠) : ضمن استدلاله علىٰ أنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة : " والعالم عبارة عن كلِّ ما سوىٰ الله، والآل: يُراد به الرَّجل نفسه فيبقىٰ معمولاً في حقِّ الأنبياء، فإن قيل : يشكل هذا بقوله تعالىٰ في بني إسرائيل : **﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾** [البقرة: ٤٧] " فإنَّه لو كان الأمر كما ذكرتم لزم تفضيل أنبياء بني إسرائيل علىٰ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الجواب: تحمل التَّخصيص في آية لا يوجب تحمله في سائر الآيات، وأيضاً شرط العالم أن يكون موجوداً، ومحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان موجوداً حال وجود أنبياء بني إسرائيل، أمَّا الملائكة فهم موجودون حال وجود محمَّد عليه السَّلام فظهر الفرق " .

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ : قوله تعالىٰ : **﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ﴾** [الأنعام:٨٣-٨٦] .

ففي كلامهم علىٰ قوله تعالىٰ : **﴿وَكُلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ﴾** ، ذكر أهل العلم أنَّ الآية دليل علىٰ تفضيل الأنبياء علىٰ الملائكة ...

قال الإمام الخازن في " لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل " (١٥٦/٢) : " يعني علىٰ عالمي زمانهم. ويستدلُّ بهذه الآية من يقول إنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة لأنَّ العالم اسم لكلِّ موجود سوىٰ الله تعالىٰ ، فيدخل فيه الملك ، فيقتضي أنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة" .

وقال الإمام في " البحر المحيط في التَّفسير " (٥٧٦/٤) : " فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِعُمُومِ الْعَالَمِينَ وَهُمُ الْمَوْجُودُونَ سِوَىٰ اللهَّ تَعَالَىٰ فَيَنْدَرِجُ فِي الْعُمُومِ الْمَلَائِكَةُ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: مَعْنَاهُ عَالَمِي زَمَانِهِمْ" .

الدَّلِيْلُ السَّادسُ : قوله تعالىٰ : **﴿قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ﴾** [ص:٧٥] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٣٧٥/٢١) : " وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ بَحْثَيْنِ:

الْبَحْثُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَفْضَلُ أَمِ الْمَلَائِكَةُ؟ وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِالِاسْتِقْصَاءِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾** [الْبَقَرَةِ: ٣٤] .

وَالْبَحْثُ الثَّانِي: أَنَّ عَوَامَّ الْمَلَائِكَةِ وَعَوَامَّ الْمُؤْمِنِينَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِتَفْضِيلِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِمَا رُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ رَبَّنَا إِنَّكَ أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَتَنَعَّمُونَ وَلَمْ تُعْطِنَا ذَلِكَ فَأَعْطِنَا ذَاكَ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كما قُلْتُ لَهُ كُنْ فَكَانَ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ: الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ عِنْدَهُ هَكَذَا أَوْرَدَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «الْبَسِيطِ» : وَأَمَّا الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْمَلَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْبَشَرِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ فَقَدْ عَوَّلُوا عَلَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُوَ فِي

الْحَقِيقَةِ تَمَسُّكٌ بِدَلِيلِ الْخِطَابِ لِأَنَّ تَقْرِيرَ الدَّلِيلِ أَنْ يُقَالَ: إنَّ تَخْصِيصَ الْكَثِيرِ بِالذِّكْرِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَالَ فِي الْقَلِيلِ بِالضِّدِّ، وَذَلِكَ تَمَسُّكٌ بِدَلِيلِ الْخِطَابِ والله أعلم ".

وجاء في فتاوى الإمام ابن تيمية (٤/ ٣٤٤) : " وَسُئِلَ: عَنْ " الْمُطِيعِينَ " مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ هُمْ أَفْضَلُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ؟

فَأَجَابَ: قَدْ ثَبَتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ:"إنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبِّ جَعَلْت بَنِي آدَمَ يَأْكُلُونَ فِي الدُّنْيَا وَيَشْرَبُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ كَمَا جَعَلْت لَهُمْ الدُّنْيَا قَالَ: لَا أَفْعَلُ ثُمَّ أَعَادُوا عَلَيْهِ قَالَ: لَا أَفْعَلُ ثُمَّ أَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ: وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْت بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْت لَهُ: كُنْ فَكَانَ" ذَكَرَهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدارمي وَرَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَد فِي كِتَابِ " السُّنَنِ " عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ فَقِيلَ لَهُ: وَلَا جِبْرِيلُ وَلَا ميكائيل فَقَالَ لِلسَّائِلِ: " أَتَدْرِي مَا جِبْرِيلُ وَمَا ميكائيل؟ إنَّمَا جِبْرِيلُ وميكائيل خَلْقٌ مُسَخَّرٌ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وَمَا عَلِمْت عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ. وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ أَفْضَلُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ. وَلَنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ " مُصَنَّفٌ " مُفْرَدٌ ذَكَرْنَا فِيهِ الْأَدِلَّةَ مِنْ الْجَانِبَيْنِ " .

وقال الإمام ابن كثير في التَّفسير" (٥/٩٧-٩٨) : " وَقَدِ استُدل بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ جِنْسِ الْبَشَرِ عَلَى جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، إِنَّكَ أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا، يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَتَنَعَّمُونَ، وَلَمْ تُعْطِنَا ذَلِكَ فَأَعْطِنَاهُ فِي الْآخِرَةِ. فَقَالَ اللَّهُ: "وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدِي، كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ" .

وَهَذَا الْحَدِيثُ مُرْسَلٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مُتَّصِلًا.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ محمد بن صَدَقَة البغدادي، حدثنا إبراهيم بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ الْمِصِّيصِيّ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّان مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيم، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا، يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَيَلْبَسُونَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَلَا نَأْكُلُ وَلَا نَشْرَبُ وَلَا

نَلْهُو، فَكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ. قَالَ: لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدِي، كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ" .

وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ الرَّازِيِّ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ الصَّيْدَلَانِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ حِصْنِ بْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ عَلَاق، سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ رُوَيْم اللَّخْمِيَّ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالُوا: رَبَّنَا، خَلَقْتَنَا وَخَلَقْتَ بَنِي آدَمَ، فَجَعَلْتَهُمْ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُونَ الشَّرَابَ، وَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ، وَيَتَزَوَّجُونَ النِّسَاءَ، وَيَرْكَبُونَ الدَّوَابَّ، يَنَامُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ، وَلَمْ تَجْعَلْ لَنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَاجْعَلْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةَ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا أَجْعَلُ مَنْ خَلَقْتُهُ بِيَدِي، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ".

الدَّلِيْلُ السَّابِعُ : قوله تعالىٰ: **﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧] .

قال الإمام ابن عادل الحنبلي في " اللباب في علوم الكتاب " (١/ ٥٣٧) : " والملائكة من جملة العالمين، فكان محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام رحمة لهم، فوجب أن يكون أفضل منهم"

الدَّلِيْلُ الثَّامِنُ : قوله تعالىٰ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾** [البينة:٧] .

قال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (١/ ٥٨) : " وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاس فِي تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ الْبَشَرِ عَلَىٰ أَقْوَالٍ: فَأَكْثَرُ مَا تُوجَدُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَالْخِلَافُ فِيهَا مَعَ الْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ ، وَأَقْدَمُ كَلَامٍ رَأَيْتُهُ في هذه المسألة ما ذكره الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ فِي تَرْجَمَةِ أُمَيَّةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ :مَا أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْ كَرِيمِ بَنِي آدَمَ.

وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : **﴿إِنْ الَّذِينَ آمنوا وعلموا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾** [البينة: ٧] ، وَوَافَقَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ أمية بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، فَقَالَ عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ : مَا أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْ مَلَائِكَتِهِ هُمْ خَدَمَةُ دَارَيْهِ وَرُسُلُهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ.

وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ **﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾** [الأعراف: ٢٠] ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ : مَا تَقُولُ أَنْتَ يَا أَبَا حَمْزَةَ ؟ فَقَالَ : قَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ آدَمَ ، فَخَلَقَهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَسْجَدَ لَهُ الْمَلَائِكَةَ ، وَجَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ وَمَنْ يَزُورُهُ الْمَلَائِكَةُ ، فَوَافَقَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْحُكْمِ وَاسْتَدَلَّ بِغَيْرِ دَلِيلِهِ " .

الدَّلِيْلُ التَّاسِعُ : روى البخاري (٩/ ١٢١ برقم ٧٤٠٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " .

وروى البيهقي في " شُعَب الإيمان " (٢/ ٨١ برقم ٥٤٧) ، البزّار في المسند" (١١/ ٣٢٥ برقم ٥١٣٨) بسندهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: " عَبْدِي إِذَا ذَكَرْتَنِي خَالِيًا، ذَكَرْتُكَ خَالِيًا، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَأَكْبَرَ " قَالَ: وَمِنْهَا الذِّكْرُ الْخَفِيُّ وَهُوَ ضَرْبَانِ، أَحَدُهُمَا الذِّكْرُ فِي النَّفْسِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً**﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وَالْآخَرُ مَا دَارَ بِهِ اللِّسَانُ وَلَمْ يَسْمَعْهُ إِلَّا صَاحِبُهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي " .

قال الإمام ابن حبَّان في " الصَّحيح" (٣/ ٩٤) : " اللهُ أَجَلُّ وَأَعْلَى مِنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهَذِهِ أَلْفَاظٌ خَرَجَتْ مِنْ أَلْفَاظِ التَّعَارُفِ عَلَى حَسَبِ مَا يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ مِمَّا بَيْنَهُمْ، وَمَنْ ذَكَرَ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي نَفْسِهِ بِنُطْقٍ أَوْ عَمَلٍ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ، ذَكَرَهُ اللهُ فِي مَلَكُوتِهِ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُ تَفَضُّلًا وَجُودًا، وَمَنْ ذَكَرَ رَبَّهُ فِي مَلَأٍ مِنْ عِبَادِهِ، ذَكَرَهُ اللهُ فِي مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُ، وَقَبُولِ مَا أَتَى عَبْدُهُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا بِقَدْرِ شِبْرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، كَانَ وُجُودُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ مِنَ الرَّبِّ مِنْهُ لَهُ أَقْرَبَ بِذِرَاعٍ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى مَوْلَاهُ جَلَّ وَعَلَا بِقَدْرِ ذِرَاعٍ مِنَ الطَّاعَاتِ كَانَتِ الْمَغْفِرَةُ مِنْهُ لَهُ أَقْرَبَ بِبَاعٍ، وَمَنْ أَتَى فِي أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ بِالسُّرْعَةِ كَالْمَشْيِ، أَتَتْهُ أَنْوَاعُ الْوَسَائِلِ وَوُجُودُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِالسُّرْعَةِ كَالْهَرْوَلَةِ، وَاللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ" .

وقال الحافظ ابن حجر (١٣/ ٣٨٧) : " وَأَمَّا أَدِلَّةُ الْآخَرِينَ فَقَدْ قِيلَ إِنَّ حَدِيثَ الْبَابِ أَقْوَى مَا اسْتُدِلَّ بِهِ لِذَلِكَ لِلتَّصْرِيحِ بِقَوْلِهِ فِيهِ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْغُلَاةِ فِي ذَلِكَ وَكَمْ مِنْ ذَاكِرٍ للهِ فِي مَلَإٍ فِيهِمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَجَابَ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَنَّ الْخَبَرَ الْمَذْكُورَ لَيْسَ نَصًّا وَلَا صَرِيحًا فِي الْمُرَادِ بَلْ يَطْرُقُهُ احْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَلَأِ الَّذِينَ هُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَأِ الذَّاكِرِ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ فَإِنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَلَمْ يَنْحَصِرْ ذَلِكَ فِي الْمَلَائِكَةِ وَأَجَابَ آخَرُ وَهُوَ أَقْوَى مِنَ

الْأَوَّلِ بِأَنَّ الْخَيْرِيَّةَ إِنَّمَا حَصَلَتْ بِالذَّاكِرِ وَالْمَلَأِ مَعًا فالجانب الَّذِي فِيهِ رب الْعِزَّة خيرا مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي لَيْسَ هُوَ فِيهِ بِلَا ارْتِيَابٍ فَالْخَيْرِيَّةُ حَصَلَتْ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَجْمُوعِ عَلَى الْمَجْمُوعِ ... " .

الدَّلِيلُ العَاشِرُ : " أَحَادِيثُ الْمُبَاهَاةِ ... فقد روى مسلم (٢/ ٩٨٢ برقم ١٣٤٨) بسنده عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟ " .

وروى أيضاً (٤/ ٢٠٧٥ برقم ٢٧٠١) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ» .

وروى أحمد في المسند (١٣/ ٤١٥ برقم ٨٠٤٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد" (٣/ ٢٥٢ برقم ٥٥٤٧) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ " ، وقال الأرنؤوط : " صحيح، وهذا إسناد حسن" .

قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٠) : " وَالْمُبَاهَاةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْأَفَاضِلِ. فَإِنْ قِيلَ هَذِهِ الْأَخْبَارُ رَوَاهَا آحَادٌ غَيْرُ مَشْهُورِينَ وَلَا هِيَ بِتِلْكَ الشُّهْرَةِ فَلَا تُوجِبُ عِلْمًا وَالْمَسْأَلَةُ عِلْمِيَّةٌ. قُلْنَا: أَوَّلًا : مَنْ قَالَ إِنَّ الْمُطْلَقَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْيَقِينُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ نَقِيضُهُ؟ بَلْ يَكْفِي فِيهَا الظَّنُّ الْغَالِبُ وَهُوَ حَاصِلٌ. ثُمَّ مَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: عِلْمِيَّةٌ؟ أَتُرِيدُ أَنَّهُ لَا عِلْمَ؟ فَهَذَا مُسْلِمٌ. وَلَكِنْ كُلُّ عَقْلٍ رَاجِحٌ يَسْتَنِدُ إلَى دَلِيلٍ فَإِنَّهُ عِلْمٌ وَإِنْ كَانَ فِرْقَةٌ مِنْ النَّاسِ لَا يُسَمَّوْنَ عِلْمًا إلَّا مَا كَانَ يَقِينًا لَا يَقْبَلُ الِانْتِقَاضَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: **﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾** ، وَقَدْ اسْتَوْفَى الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنْ أُرِيدَ عِلْمِيَّةٌ: لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ الِاسْتِيقَانُ؛ فَهَذَا لَغْوٌ مِنْ الْقَوْلِ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ حَقًّا لَوَجَبَ الْإِمْسَاكُ عَنْ الْكَلَامِ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ عِلْمِيٍّ إلَّا بِالْيَقِينِ وَهُوَ تَهَافُتٌ بَيِّنٌ. ثُمَّ نَقُولُ: هِيَ بِمَجْمُوعِهَا وَانْضِمَامِ بَعْضِهَا إلَى بَعْضٍ وَمَجِيئِهَا مِنْ طُرُقٍ مُتَبَايِنَةٍ قَدْ تُوجِبُ الْيَقِينَ لِأُولِي الْخِبْرَةِ بِعِلْمِ الْإِسْنَادِ وَذَوِي الْبَصِيرَةِ بِمَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَرِجَالِهِ فَإِنَّ هَذَا عِلْمٌ اخْتَصُّوا بِهِ كَمَا

اخْتَصَّ كُلُّ قَوْمٍ بِعِلْمٍ؛ وَلَيْسَ مِنْ لَوَازِمِ حُصُولِ الْعِلْمِ لَهُمْ حُصُولُهُ لِغَيْرِهِمْ إِلَّا أَنْ يَعْلَمُوا مَا عَلِمُوا مِمَّا بِهِ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ صَحِيحِ الْحَدِيثِ وَضَعِيفِهِ. وَالْعُلُومُ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَتَبَايُنِ صِفَاتِهَا لَا تُوجِبُ اشْتِرَاكَ الْعُقَلَاءِ فِيهَا لَا سِيَّمَا السَّمْعِيَّاتُ الْخَبَرِيَّاتُ وَإِنْ زَعَمَ فِرْقَةٌ مِنْ أُولِي الْجَدَلِ أَنَّ الضَّرُورِيَّاتِ يَجِبُ الِاشْتِرَاكُ فِيهَا فَإِنَّ هَذَا حَقٌّ فِي بَعْضِ الضَّرُورِيَّاتِ؛ لَا فِي جَمِيعِهَا مَعَ تَجْوِيزِنَا عَدَمَ الِاشْتِرَاكِ فِي شَيْءٍ مِنْ الضَّرُورِيَّاتِ لَكِنْ جَرَتْ سُنَّةُ الِاشْتِرَاكِ بِوُقُوعِ الِاشْتِرَاكِ فِي بَعْضِهَا فَغَلِطَ أَقْوَامٌ فَجَعَلُوا وُجُوبَ الِاشْتِرَاكِ فِي جَمِيعِهَا فَجَحَدُوا كَثِيرًا مِنْ الْعِلْمِ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ غَيْرُهُمْ. ثُمَّ نَقُولُ: لَوْ فَرَضْنَا أَنَّهَا لَا تُفِيدُ الْعِلْمَ وَإِنَّمَا تُفِيدُ ظَنًّا غَالِبًا؛ أَوْ أَنَّ الْمَطْلُوبَ هُوَ الِاسْتِيقَانُ؛ فَنَقُولُ: الْمَطْلُوبُ حَاصِلٌ بِغَيْرِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَإِنَّمَا هِيَ مُؤَكِّدَةٌ مُؤَيِّدَةٌ لِتَجْتَمِعَ أَجْنَاسُ الْأَدِلَّةِ عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ" .

الدَّلِيْلُ الحَادِيْ عَشَر : " أنَّ الله تعالىٰ خلق للملائكة عقولاً بلا شهوة، وخلق للبهائم شهوةً بلا عَقْلٍ، وخلق الآدمي وجمع فيه الأمرين، فصار الأدمي بسبب العَقْل فوق البهيمة بدرجة، فوجب أن يصير بسبب الشَّهوة دون المَلائكة، ثمَّ وجدنا الآدمي هَوَاهُ عقله، فإنَّه بصير دون البَهِيْمَةِ علىٰ ما قال: «أولئك كَالأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلُّ» فيجب أن يُقال: إذا غلب عقله هواه أن يكون فوق الملائكة اعتباراً لأحد الطَّرفين بالآخر ... البشر لهم أنواع كثيرة من الشَّهوات مثل شهوة البَطْنِ والفَرْجِ، وشهوة الرِّئاسة والملك ليس إلَّا شهوة واحدة، وهي شهوة الرِّئاسة، والمبتلىٰ بأنواع كثيرة من الشَّهوات تكون الطَّاعة عليه أشقّ ... وأيضاً الملائكة لا يعملون إلاَّ بالنَّص لقوله: ﴿**لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**﴾ [البقرة: ٣٢] ، وقوله: ﴿**لاَ يَسْبِقُونَهُ بالقول وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٧] ، والبشر لهم قوَّة الاسْتنباط والقياس، والعمل بالاسْتِنْبَاط أشق من العمل بالنَّص، وأيضاً فإنَّ الشُّبهات للبشر أكثر منها للملائكة؛ لأنَّ من جملة الشُّبهات القويَّة كون الأفلاك والأنجم السَّيَّارة أسباباً لحوادث هذا العالم، فالبَشَرُ احتاجوا إلىٰ دفع هذه الشُّبهة، والملائكة لا يحتاجون إليها، لأنَّهم ساكنون في عالم السَّماوات، فيشاهدون كيفية افتقارها إِلَىٰ المدبّر الصَّانع، وأيضاً فإنَّ الشَّيطان لا سَبِيلَ له إلىٰ وسوسة الملائكة، وهو مسلّط علىٰ البشر في الوَسْوَسَةِ، وذلك تفاوت عظيم. إذا ثبت أنَّ طاعتهم أشقّ، فوجب أن يكونوا أكثر ثواباً للنَّصِّ والقياس" . انظر : اللباب في علوم الكتاب " (١/ ٥٣٧) .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " طريق الهجرتين وباب السَّعادتين " (ص٢٢٧) : " ... صالح البشر أفضل من الملائكة ، لأنَّ الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب ودواعي النُّفوس والشَّهوات البشريَّة، فهي

صادرة عن غير معارضة ولا مانع ولا عائق، وهي كالنَّفس للحي، وأَمَّا عبادات البشر فمع منازعات النُّفوس وقمع الشَّهوات ومخالفة دواعي الطَّبع، فكانت أكمل، ولهذا كان أكثر النَّاس على تفضيلهم على الملائكة لهذا المعنى ولغيره، فمن لم يخلق له تلك الدَّواعي والشَّهوات فهو بمنزلة الملائكة، ومن خلقت له وأَعانه الله على دفعها وقهرها وعصيانها كان أكمل وأفضل " .

رَابِعَاً : أَدِلَّةُ القَائِلِيْنَ بِتَفْضِيْلِ المَلَائِكَة عَلَى صَالِحِي البَشَرِ :

ذكر الإمام ابن عادل الحنبلي في " " (١/ ٥٣٠-٥٣٦) أَدلَّة القائلين بتفضيل الملائكة على صالحي البشر ، وناقشها ، فقال : " وحجَّة المعتزلة أمور:

أَحَدُهَا: قوله تعالى: **﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾** [الأنبياء: ١٩] ، والمراد من هذه العِنْدِيَّة القرب، والشَّرف، وهذا حاصل لهم لا لغيرهم.

ولقائل أن يقول: إنَّه تعالى أثبت هذه الصِّفة في الآخرة لآحاد المؤمنين في قوله: **﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾** [القمر: ٥٥] ، وأمَّا في الدنيا فقال عليه الصَّلاة والسَّلام يقول الله سبحانه: «أَنا مَعَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ لأَجْلِي» .

وهذا أكثر إشعاراً بالتَّعظيم؛ لأنَّ كون الله – تعالى – عند العبد أدخل في التَّعظيم من كون العبد عند الله.

وَثَانِيْهَا: قالوا: عبادات الملائكة أشَقّ من عبادات البشر، فيكونون أكثر ثواباً من عبادات البشر، فإنَّ الملائكة سُكَّان السَّماوات، وهي جَنَّات، وهم آمنون من المَرضِ والفقر، ثم إنهم مع استكمال أسباب النِّعم لهم خاشعون وجِلُونَ كأنَّهم مَسْجُونون لا يلتفتون إلى نعيم الجنَّات، بل يقبلون على الطَّاعة الشَّاقَّة، ولا يقدر أحد من بني آدم أن يبقى كذلك يوماً واحداً فضلاً عن تلك الأعصار المُتَطَاولة، ويؤيِّده قصَّة آدم عليه الصَّلاة والسَّلام فإنَّه أطلق له الأكل في جميع مواضع الجنَّة، ثمَّ إنَّه منع من شجرة واحدة فلم يملك نفسه.

وَثَالِثُهَا: أنَّ انتقال المكلَّف من نوع عِبَادَةٍ إلى نوع آخر كالانتقال من بُسْتَان إلى بستان، أمَّا الإقامة على نَوْعٍ واحدٍ، فإنَّها تورث المَشَقَّة والمَلالَة، والملائكة كلّ واحد منهم مُوَاظب على عمل واحد لا يعدل عنه إلى غيره، فكانت عبادتهم أَشَقّ، فيكون أفضل لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ: «أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَحْمَزُهَا» أي: أَشَقُّهَا، وقوله لعائشة: «إِنَّمَا أَجْرُكِ على قَدْرِ نَصَبِكِ» .

ولقائل: أن يقول: في الوَجْه الأوَّل لا نسلِّم أنَّ عبادة الملائكة أشقّ.

أمَّا قولهم: السَّماوات جنَّات.

قلنا: نسلِّم، ولِمَ قلتم بأنَّ العبادة في المَوَاضع الطِّيِّبة أشقّ من العبادة في المواضع الرَّديئة؟ أكثر ما في الباب أنَّه تهيَّأ لهم أسباب النِّعم، فامتناعه عنها مع تهيئتها له أشقّ، ولكنَّه معارض بما أنَّ أسباب البلاء مجتمعةٌ علىٰ البشر، ومع هذا يرضون بقضاء الله، ولا تغيِّرهم تلك المِحَنُ عن المُوَاظبة علىٰ عبوديَّته، وهذا أعظم في العبوديَّة.

وأمَّا قولهم: المُوَاظبة علىٰ نَوْعٍ واحدٍ من العبادة أشقّ.

قلنا: لَمَّا اعتادوا نوعاً واحداً صاروا كالمَجْبُورين الذين لا يقدرون علىٰ خِلاَفِهِ؛ لأنَّ العادة طبيعة خامسة، ولذلك قال صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ كان يصوم يوماً ويُفْطر يوماً».

وَرَابِعُهَا: قالوا: عبادات المَلاَئكة أَدْوَم؛ لأنَّ أَعمارهم أطول، فكانت أفضل لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ: «أَفْضَلُ العُبَّاد من طل عمره، وحَسُنَ عمله».

ولقائل أن يقول: إنَّ نوحاً ولقمان والخَضِر عليهم الصَّلاة والسَّلام كانوا أطول عمراً من محمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، فوجب أن يكونوا أفضل منه، وذلك باطل بالاتِّفاق.

وَخَامِسُهَا: أنَّهم أسبق في كلِّ العِبَادِاتِ فيكونون أفضل لقوله تعالىٰ: **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾** [الواقعة: ١٠- ١١]، ولقوله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ: «من سَنَّ سُنَّة حَسَنَة فله أَجْرُهَا وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة».

ولقائل أن يقول: فهذا يقتضي أن يكون آدم عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام أفضل من محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنَّه أوَّل من سَنَّ عبادة الله من البشر وأسبق، وذلك باطل.

وَسَادِسُهَا: أنَّ الملائكة رُسُل إلىٰ الأنبياء، والرَّسول أفضل من الأمَّة.

فإن قيل: إنَّ السُّلطان إذا أرسل واحداً إلىٰ جمع عظيم ليكون حاكماً فيهم، فإنَّه يكون أشرف منهم، أمَّا إذا أرسل واحداً إلىٰ واحد، فقد لا يكون الرَّسول أشرف، كما إذا أرسل السُّلطان مَمْلُوكَهُ إلىٰ وزيره في مُهِمَّة فإنَّه لا يلزم أن يكون ذلك العبد أشرف من الوزير. قلنا: لكن جبريل عليه السَّلام مبعوث إلىٰ كافَّة الأنبياء والرُّسل من البشر، فعلىٰ هذا يكون جبريل أفضل منهم.

وأيضاً أنَّ الملك قد يكون رسولاً إلىٰ ملك آخر أو إلىٰ أحد من الأنبياء، وعلىٰ التَّقديرين المَلَك رسول، وأمَّته رُسل، والرَّسول الذي كلّ أمّته رُسل أفضل من الرَّسول الذي ليس كذلك، ولأنَّ إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام كان رسولاً إلىٰ لُوطٍ عليه السَّلام فكان أفضل منه، وموسىٰ كان رسولاً إلىٰ الأنبياء الذين كانوا في عَصْرِهِ، فكان أفضل منهم.

ولقائل أن يقول: الملك إذا أرسل رسولاً إلىٰ بعض النّواحي، فقد يكون ذلك الرَّسول حاكماً ومتولِّياً أمورهم، وقد يكون ليخبرهم عن بعض الأمور مع أنَّه لا يجعله حاكماً عليهم، فالقسم الأوَّل هم الأنبياء المبعوثون إلىٰ أممهم، فلا جرم كانوا أفضل من الأنبياء.

وَسَابِعُهَا : قوله: **﴿لَّن يَسْتَنكِفَ المَسِيْحُ أَن يَكُونَ عَبْداً للهِّ وَلاَ المَلاَئِكَةُ المُقَرَّبُوْن﴾** [النساء: ١٧٢] فقوله: **﴿وَلَا المَلَائِكَة﴾ خرج** مخرج التَّأكيد للأوَّل، وهذا التَّأكيد إنَّما يكون بذكر الأفضل يقال: هذه الخَشَبة لا يقدر علىٰ حملها العَشْرة، ولا المائة، ولا يقال: لا يقدر علىٰ حملها العشرة ولا الواحد، ويقال: هذا العالِم لا يَسْتَنْكِفُ عن خدمته الوزير ولا الملك، ولا يقال: ولا يستنكف عن خدمته الوزير ولا البوَّاب.

ولقائل أن يقول: هذه الآية إن دلَّت، فإنَّما تدلُّ علىٰ فضل الملائكة المقرَّبين علىٰ المسيح، لكن لا يلزم منه فَضْلُ الملائكة المقرَّبين علىٰ مَنْ هو أفضل من المسيح، وهو محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام وموسىٰ وإبراهيم عليهما الصَّلاة والسَّلام بإجماع المسلمين.

ثمَّ نقول قوله: **﴿وَلَا المَلاَئكَة﴾** ليس فيه إلَّا «واو» العطف، و «الواو» للجمع المُطْلق، فيدلُّ علىٰ أنَّ المسيح لا يستنكف، والملائكة لا يستنكفون، فأمَّا أن يدلَّ علىٰ أنَّ الملائكة أفضل من المسيح فلا.

قال تعالىٰ: **﴿لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ الله وَلاَ الشَّهْرَ الحَرَامَ وَلاَ الهَدْيَ وَلاَ القَلَائِد﴾** [المائدة: ٢] أو نقول: سلَّمنا أنَّ عيسىٰ دون مَجْمُوعِ الملائكة في الفَضْلِ، فإن قلتم: دون كلّ واحد من الملائكة في الفضل؟ فإن قيل: وصف الملائكة بكونهم مقرَّبين يوجب ألاَّ يكون المسيح كذلك.

قلنا: تخصيص الشَّيء بالذِّكر لا يدلُّ علىٰ نفيه عمَّا عداه.

وَثَامِنُهَا : قوله: **﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هذه الشجرة إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾** [الأعراف: ٢٠] ، ولو لم يكن متقرِّراً عند آدم وحوَّاء عليهما الصَّلاة والسَّلام أنَّ الملك أفضل من البَشَرِ لم يقدر «إبليس» علىٰ غرورهما بذلك.

ولقائل أن يقول: هذا قول «إبليس» فلا يكون حُجَّة، ولا يقال: إنَّ آدم اعتقد صحَّة ذلك، واعتقاد آدم حُجَّة، لأنَّا نقول: لعلَّ آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ما كان نبيّاً في ذلك الوقت، فلم يلزم من فَضْلِ الملك عليه في ذلك الوَقْتِ فضل الملك عليه حال ما صار نبيًّا، ولأنَّ الزَّلَّة جائزة علىٰ الأنبياء.

وأيضاً فهب أنَّ الآية تدلُّ علىٰ أنَّ الملك أفضل من البَشَرِ في بعض الأمور المرغوبة.

فلمَ قلتم: إنَّها تدلُّ علىٰ فضل الملك علىٰ البَشَرِ في باب القدرة والقوَّة، والحُسن والجَمال، والصَّفاء والنَّقاء عن الكُدُورات الحاصلة بسبب التَّركيبات؟ فإنَّ الملائكة خُلقوا من الأنوار وآدم خلق من التُّراب، فلعلَّ آدم وإن كان أفضل منهم في كثرة الثَّواب إلاَّ أنَّه رغب في أن يكون مساوياً لهم في تلك الأمور المعدودة.

وَتَاسِعُهَا: قوله تعالىٰ: **﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ الله ولا أَعْلَمُ الغيب وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾** [الأنعام: ٥٠] .

ولقائل أن يقول: يحتمل أن يكون المراد: ولا أقول لكم إنِّي مَلَكٌ في كثرة العلوم، وشدَّة القوَّة، ويؤيِّده أنَّ الكفَّار طالبوه بأمور عظيمة نحو: صعود السَّماء، ونقل الجِبَال، وإحضار الأموال العظيمة، وأيضاً قوله: **﴿قُل لَا أَقُوْلُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ الله﴾** يدلُّ علىٰ اعترافه بأنَّه لا يعلم كلَّ المعلومات، فلذلك لا أدَّعي قُدْرَةً مِثْلَ قُدْرَةِ الملك، ولا علماً مثل علمه.

وَعَاشِرُهَا: قوله تعالىٰ: **﴿مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾** [يوسف: ٣١] .

فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن يكون المراد التَّشبيه في الجَمال؟

قلنا: الأَوْلَىٰ أن يكون هذا التَّشبيه في السِّيرة لا في الصُّورة، لأنَّ الملك إنَّما تكون سِيرَتُهُ المرضيَّة لا بمجرد الصُّورة.

ولقائل: أن يقول: قول المرأة: **﴿فَذَلِكُنَّ الذِيْ لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾** [يوسف: ٣٢] كالصَّريح في أنَّ مراد النِّسَاء بقولهن: **﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾** [يوسف: ٣١] تعظيم لحسن يُوسف وجماله لا في السِّيرة؛ لأنَّ ظهور عُذْرِهَا في شدَّة عشقها، إنَّما يحصل بسبب فرط يوسف في الجَمَال لا بسبب فرط زُهْده وورعه، فإنَّ ذلك لا يُنَاسب شدَّة عشقها.

سلَّمنا أنَّ المراد تشبيه يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ بالمَلَكِ في حسن السِّيرة، فلمَ قُلتم: يجب أن يكون أقلّ ثواباً من الملائكة؟

الحَادِيْ عَشَر: قوله تعالىٰ: ﴿**وَفَضَّلْنَاهُمْ على كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٠] ، ومخلوقات الله تعالىٰ أمَّا المكلَّفون، أو من عداهم، ولا شكَّ أنَّ المكلَّفين أفضلُ من غيره، فالمكلَّفون أربعة أنواع: الملائكة، والإنس، والجنّ، والشَّياطين، ولا شَكَّ أنَّ الإنس أفضل من الجنّ والشَّياطين، فلو كان البشر أفضل من الملائكة لزم أن يكون البشر أفضل من كلِّ المخلوقات، وحينئذ لا يبقىٰ لقوله: ﴿**وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى جَمِيْعِ مَنْ خَلَقْنَا**﴾ ، ولمَّا لم يقل ذلك علمنا أنَّ الملك أفضل من البشر.

ولقائل أن يقول: هذا تمسُّك بدليل الخطاب؛ لأنَّ التَّصريح بأنَّهم أفضل من كثيرٍ من المَخْلُوقات لا يدلُّ علىٰ أنَّه ليس أفضل من الباقي إلَّا بواسطة دليل الخطاب.

وأيضاً فهب أنَّ جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم، ولكن لا يلزم من كون أحد المجموعين أفضل من المجموع الثَّاني أن يكون كُلّ واحد من أفراد المجموع الأوَّل أفضل من أفراد المجموع الثَّاني ، فإنَّا إذا قدرنا عشرة من العَبيدِ كلّ واحد منهم يساوي مائة دينار، وعشرة أخرىٰ حصل فيهم عبد يساوي مائتي دينار والتِّسعة الباقية كلّ واحد منهم ديناراً، فالمجموع الأوَّل أفضل من آحاد المجموع الأوَّل فكذا ها هنا.

الثَّانِي عَشَر: قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ**﴾ [الانفطار: ١٠- ١١] ، فيدخل فيه الأنبياء وغيرهم، وهذا يقتضي كونهم أفضل من البشر لوجهين:

الأوَّلُ : أنَّه تعالىٰ جعلهم حَفَظَةً، والحافظ للمكلَّف عن المعصية يكون أبعد عن الخطأ من المحفوظ، وذلك يقتضي أن يكون قولهم أولىٰ بالقَبُولِ من قول البشر، ولو كان البشر أعظم حالاً منهم لكان الأمر بالعكس.

ولقائل أن يقول: أمَّا كون الحافظ أكرم من المحفوظ، فهذا بعيد، فإنَّ المَلكَ قد يوكِّل بعض عبيده علىٰ ولده.

وأمَّا الثَّاني فقد يكون الشَّاهد أدون حالاً من المشهود عليه.

الثَّالِثُ عَشَر: قوله تعالىٰ: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الروح والملائكة صَفّاً لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحمن**﴾ [النبأ: ٣٨]

والمقصود من ذكر أحوالهم المُبَالغة في شَرْحِ عظمة الله وجلاله، ولو كان في الخلق طائفة أخرىٰ قيامهم وتضرُّعهم أقوىٰ في الإنباء عن عَظَمَةِ الله وجلاله وكبريائه من قيامهم لكان ذكرهم أولىٰ.

ولقائل أن يقول: ذلك يدلُّ علىٰ أنَّهم أزيد حالاً من البَشَرِ في بعض الأمور، فلم لا يجوز أن تكون تلك الحالة هي قوَّتهم وشدَّتهم وبطشهم؟ وهذا كما يقال: إنَّ السُّلطان لَمَّا جلس وقف حَوْلَ سريره ملوك أطراف العالم خاضعين فإنَّ عظمة السُّلطان إنَّما تشرح بذلك، ثمَّ إنَّ هذا لا يدلُّ علىٰ أنَّهم أكرم عند السُّلطان من ولده، فكذا ها هنا.

الرَّابِعُ عَشَر: قوله: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه** ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فبيَّن تعالىٰ أنَّه لا بدَّ في صحَّة الإيمان من الإيمان بهذه الأشياء، فبدأ بنفسه، وثَنَّىٰ بالملائكة، وثلَّث بالكُتُب، وربَّع بالرُّسل، وكذا في قوله: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ العِلْمِ**﴾ [آل عمران: ١٨] ، وقال: ﴿**إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي**﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، والتَّقديم في الذِّكر يدلُّ علىٰ التَّقديم في الدَّرجة؛ لأنَّ تقديم الأَدْوَنِ علىٰ الأشرف في الذِّكر قبيح عرفاً، فوجب أن يكون قبيحاً شرعاً.

ولقائل أن يقول: هذه الحجَّة ضعيفة؛ لأنَّ الاعتماد إن كان علىٰ «الواو» ف «الواو» لا تفيد التَّرتيب، وإنْ كان علىٰ التَّقديم في الذِّكْرِ ينتقض بتقديم سورة «تَبّت» علىٰ سورة ﴿**قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١] .

الخَامِسُ عَشَر: قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ ، فجعل صلوات الملائكة كالتَّشريف للنَّبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وذلك يدلّ علىٰ كون الملائكة أشرف من النَّبي" .

وأخيراً ، فقد حقَّق الإمام ابن تيمية المسألة في "مجموع الفتاوىٰ" (٤/ ٣٧٢) ، وناقشها من جميع أطرافها ، وخلص إلىٰ القول بأنَّ " التَّفْضِيلُ إذَا وَقَعَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْفَضِيلَةِ مَا هِيَ؟ ثُمَّ يُنْظَرُ أَيُّهُمَا أَوْلَىٰ بِهَا؟ . وَأَيْضًا فَإِنَّا إنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي تَفْضِيلِ صَالِحِي الْبَشَرِ إذَا كَمُلُوا وَوَصَلُوا إلَىٰ غَايَتِهِمْ وَأَقْصَىٰ نِهَايَتِهِمْ وَذَلِكَ إنَّمَا يَكُونُ إذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَنَالُوا الزُّلْفَىٰ وَسَكَنُوا الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ وَحَيَّاهُمْ الرَّحْمَنُ وَخَصَّهُمْ بِمَزِيدِ قُرْبِهِ وَتَجَلَّىٰ لَهُمْ؛ يَسْتَمْتِعُونَ بِالنَّظَرِ إلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَقَامَتْ الْمَلَائِكَةُ فِي خِدْمَتِهِمْ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ " .

وبهذا الجمع والسَّبْر الطيِّب تتبيَّن لنا حقيقة التَّفضيل ، وتتَّفق أدلَّة الفريقين ، والحمد لله ربِّ العالمين ...

﴿ الفَصْلُ الرَّابِعُ ﴾

✿✿✿ وَظِيْفَةُ المَلائِكَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِالكَوْن ✿✿✿

من أهمِّ وظائف الملائكة المُتعلِّقة بالكون : القيام بتدبير سائر أمور الكون علويَّة وسفليَّة ، وبحسب الأمر الإلهي ، وتبليغ الوحي إلىٰ حيث أمَرَ الله تعالىٰ ، وهناك خزنة الجنَّة، خزنة النَّار، وملائكة الأرواح، وملائكة الأرزاق، وهناك ملائكة مكلَّفون بحفظ السَّموات ، وآخرون مكلَّفون بالرِّياح والسَّحاب ، والجبال ، والنَّبات ، والبحار ، والطُّيور ، والدَّواب، ونحوها من الأمم والعوالم التي لا يحصيها إلَّا الله تعالىٰ ...

ومن أجل الاطِّلاع علىٰ وظائف الملائكة المتعلِّقة بالكون ، كانت الأسئلة التَّالية :

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المقصود بقوله تعالى : ﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرَاً﴾ [الذاريات:٤] ؟

الجواب : قال الإمام القرطبي في " الجامع لاحكام القرآن" (١٧/ ٣٠) : **﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرَاً﴾** ، قَالَ: الْمَلَائِكَةُ تَأْتِي بِأَمْرٍ مُخْتَلِفٍ، جِبْرِيلُ بِالْغِلْظَةِ، وَمِيكَائِيلُ صَاحِبُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي بِالْمَوْتِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَقِيلَ تَأْتِي بِأَمْرٍ مُخْتَلِفٍ مِنَ الْخِصْبِ وَالْجَدْبِ وَالْمَطَرِ وَالْمَوْتِ وَالْحَوَادِثِ" .

وقال الإمام البيضاوي في " أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل " (٥/ ١٤٦) : **﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾** الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها، أو ما يعمّهم وغيرهم من أسباب القسمة، أو الرِّياح يقسمن الأمطار بتصريف السَّحاب، فإن حملت علىٰ ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الأقسام بها باعتبار ما بينها من التَّفاوت في الدّلالة علىٰ كمال القدرة، وإلَّا فالفاء لترتيب الأفعال إذ الرِّيح مثلاً تذرو الأبخرة إلىٰ الجو حتىٰ تنعقد سحاباً، فتحمله فتجري به باسطة له إلىٰ حيث أمرت به فتقسم المطر " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير"(٧/ ٤١٣) : " وَثَبَتَ أَيْضًا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنَّهُ صَعِدَ مِنْبَرَ الْكُوفَةِ فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا عَنْ سُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ. فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾** ؟ قَالَ: الرِّيحُ قَالَ : **﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا﴾** ؟ قَالَ: السَّحَابُ. قَالَ : **﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾** ؟ قَالَ: السُّفُنُ. قَالَ :

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ" . (أخرجه عبد الرزاق في التفسير(٣/ ٢٣٤ برق ٢٩٧٠)، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٠٦ برقم ٣٧٣٦ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي) .

وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ، فَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ(١/ ٧٤ برقم ٢٩٩) : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَانِئٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سَلَّامٍ الْعَطَّارُ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: جَاءَ صَبِيغ التَّمِيمِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي عَنِ ﴿الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ ؟ فَقَالَ: هِيَ الرِّيَاحُ، وَلَوْلَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ ﴿الْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ قَالَ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، ولولا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ ".

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصود بقوله تعالى : ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِراتِ زَجْراً * فَالتَّالِياتِ ذِكْراً﴾ [اصافات:١-٣] ؟

الجواب : قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٩/ ٤٩٢-٤٩٥) : " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٢] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِالصَّافَّاتِ، وَالزَّاجِرَاتِ، وَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا؛ فَأَمَّا الصَّافَّاتُ: فَإِنَّهَا الْمَلَائِكَةُ الصَّافَّاتُ لِرَبِّهَا فِي السَّمَاءِ وَهِيَ جَمْعُ صَافَّةٍ، فَالصَّافَاتُ: جَمْعُ جَمْعٍ، وَبِذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنِي سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ، قَالَ: ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، قَالَ: كَانَ مَسْرُوقٌ يَقُولُ فِي الصَّافَّاتِ: «هِيَ الْمَلَائِكَةُ» حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، بِمِثْلِهِ .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١] قَالَ: " قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِخَلْقٍ، ثُمَّ خَلْقٍ، ثُمَّ خَلْقٍ، وَالصَّافَاتُ: الْمَلَائِكَةُ صُفُوفًا فِي السَّمَاءِ " .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالصَّافَاتِ﴾ [الصافات: ١] قَالَ: «هُمُ الْمَلَائِكَةُ» .

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١] قَالَ: «هَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ» .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَزْجُرُ السَّحَابَ تَسُوقُهُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عِيسَى، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢] قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ» .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢] قَالَ: «هُمُ الْمَلَائِكَةُ» وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ أَيِ الْقُرْآنِ الَّتِي زَجَرَ اللَّهُ بِهَا عَمَّا زَجَرَ بِهَا عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢] قَالَ: «مَا زَجَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ» وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ عِنْدَنَا مَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَمَنْ قَالَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، ابْتَدَأَ الْقَسَمَ بِنَوْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمُ الصَّافُّونَ بِإِجْمَاعٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، فَلَأَنْ يَكُونَ الَّذِي بَعْدُ قَسَمًا بِسَائِرِ أَصْنَافِهِمْ أَشْبَهُ .

وَقَوْلُهُ: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣] يَقُولُ: فَالْقَارِئَاتِ كِتَابًا . وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ بِذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عِيسَى، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣] قَالَ: الْمَلَائِكَةُ ".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣] قَالَ: «هُمُ الْمَلَائِكَةُ» . وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مَا يُتْلَى فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ قَبْلَنَا .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣] قَالَ: «مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وَالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [المرسلات:١-٥] الْمَلَائِكَة الأَبْرَار ؟

الجواب : اختلفت أقوال العلماء في المقصود بما جاء في الآيات السَّابقة ، على خمسة أقوال :

قال الإمام الرَّازي في التَّفسير (٣٠/ ٧٦٤-٧٦٦ باختصار) : " في قوله تعالى : **﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾** إلى قوله : **﴿فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً﴾** فِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهَا جِنْسًا وَاحِدًا أَوْ أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَةً أَمَّا الِاحْتِمَالُ الْأَوَّلُ: فَذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا :

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهَا بِأَسْرِهَا المَلَائِكَة ، فَالْمُرْسَلَاتُ هُمُ المَلَائِكَة الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِمَّا بِإِيصَالِ النِّعْمَةِ إِلَى قَوْمٍ أَوْ لِإِيصَالِ النِّقْمَةِ إِلَى آخَرِينَ ...

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ بِأَسْرِهَا الرِّيَاحُ، أَقْسَمَ اللهُ بِرِيَاحِ عَذَابٍ أَرْسَلَهَا عُرْفًا، أَيْ مُتَتَابِعَةً كشعر العرف، كما قال: **﴿يُرْسِلُ الرِّياحَ﴾** [الروم: ٤٦] ، **﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ﴾** [الحِجْرِ: ٢٢] ثُمَّ إِنَّهَا تَشْتَدُّ حَتَّى تَصِيرَ عَوَاصِفَ وَرِيَاحَ رَحْمَةٍ نَشَرَتِ السَّحَابَ فِي الْجَوِّ، كَمَا قَالَ: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾** [النمل: ٦٣] ، وَقَالَ: **﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ﴾** [الرُّوم: ٤٨] ، وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ: الرِّيَاحُ تُعِينُ النَّبَاتَ وَالزَّرْعَ وَالشَّجَرَ عَلَى النُّشُورِ وَالْإِنْبَاتِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُلَقِّحُ فَيَبْرُزُ النَّبَاتُ بِذَلِكَ، عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ﴾** [الحِجْرِ: ٢٢] ، فَبِهَذَا الطَّرِيقِ تَكُونُ الرِّيَاحُ نَاشِرَةً لِلنَّبَاتِ ، وَفِي كَوْنِ الرِّيَاحِ فَارِقَةً وُجُوهٌ أَحَدُهَا: أَنَّ الرِّيَاحَ تُفَرِّقُ بَعْضَ أَجْزَاءِ السَّحَابِ عَنْ بَعْضٍ . وَثَانِيهَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَرَّبَ بَعْضَ الْقُرَى بِتَسْلِيطِ الرِّيَاحِ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ: **﴿وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾** [الحَاقَّةِ: ٦] وَذَلِكَ سَبَبٌ لِظُهُورِ الْفَرْقِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَعْدَاءِ اللهِ وَثَالِثُهَا: أَنَّ عِنْدَ حُدُوثِ الرِّيَاحِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَتَرْتِيبِ الْآثَارِ الْعَجِيبَةِ عَلَيْهَا مِنْ تَمَوُّجِ السَّحَابِ وَتَخْرِيبِ الدِّيَارِ تَصِيرُ الْخَلْقُ مُضْطَرِّينَ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى اللهِ وَالتَّضَرُّعِ عَلَى بَابِ رَحْمَتِهِ، فَيَحْصُلُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُقِرِّ وَالْمُنْكِرِ وَالْمُوَحِّدِ وَالْمُلْحِدِ، وَقَوْلُهُ: **﴿فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً﴾** مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا شَاهَدَ هُبُوبَ الرِّيَاحِ الَّتِي تَقْلَعُ الْقِلَاعَ، وَتَهْدِمُ الصُّخُورَ وَالْجِبَالَ، وَتَرْفَعُ الْأَمْوَاجَ تَمَسَّكَ بِذِكْرِ اللهِ وَالْتَجَأَ إِلَى إِعَانَةِ اللهِ، فَصَارَتْ تِلْكَ الرِّيَاحُ كَأَنَّهَا أَلْقَتِ الذِّكْرَ وَالْإِيمَانَ وَالْعُبُودِيَّةَ فِي الْقَلْبِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْإِضَافَةَ تَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الذِّكْرَ حَصَلَ عِنْدَ حُدُوثِ هَذِهِ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: مِنَ النَّاسِ مَنْ حَمَلَ بَعْضَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسَةِ عَلَى الْقُرْآنِ، وَعِنْدِي أَنَّهُ يُمْكِنُ حَمْلُ جَمِيعِهَا عَلَى الْقُرْآنِ، فَقَوْلُهُ: **﴿وَالْمُرْسَلاتِ﴾** الْمُرَادُ مِنْهَا الْآيَاتُ الْمُتَتَابِعَةُ الْمُرْسَلَةُ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى

مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ: ﴿**عُرْفا**﴾ أَيْ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ بِكُلِّ عُرْفٍ وَخَيْرٍ وَكَيْفَ لَا وَهِيَ الْهَادِيَةُ إِلَىٰ سَبِيلِ النَّجَاةِ والموصلة إلى مجامع الخيرات و﴿**فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً**﴾ فالْمُرَادُ أَنَّ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ كَانَتْ ضَعِيفَةً فِي الْأَوَّلِ، ثُمَّ عَظُمَتْ وَقَهَرَتْ سَائِرَ الْمِلَلِ وَالْأَدْيَانِ، فَكَأَنَّ دَوْلَةَ الْقُرْآنِ عَصَفَتْ بِسَائِرِ الدُّوَلِ وَالْمِلَلِ وَالْأَدْيَانِ وَقَهَرَتْهَا، وَجَعَلَتْهَا بَاطِلَةً دَائِرَةً، وَقَوْلُهُ: ﴿**وَالنَّاشِراتِ نَشْراً**﴾ الْمُرَادُ أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ نَشَرَتْ آثَارَ الْحِكْمَةِ وَالْهِدَايَةِ فِي قُلُوبِ الْعَالَمِينَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَقَوْلُهُ: ﴿**فَالْفارِقاتِ فَرْقاً**﴾ فَذَلِكَ ظَاهِرٌ، لِأَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ هِيَ الَّتِي تَفْرِقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلِذَلِكَ سَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الْقُرْآنَ فُرْقَانًا، وَقَوْلُهُ: ﴿**فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً**﴾ **فَالْأَمْرُ** فِيهِ ظَاهِرٌ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ ذِكْرٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾ [ص: ١] ، ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾ [الزُّخْرُف: ٤٤] ، ﴿**وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ**﴾ [الأنبياء: ٥٠] وتذكرة كَمَا قَالَ: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الحَاقَّة: ٤٨] وَذِكْرَىٰ كَمَا قَالَ: ﴿**ذِكْرى لِلْعالَمِينَ**﴾ [الأَنْعَام: ٩٠] فَظَهَرَ أَنَّهُ يُمْكِنُ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسَةِ بِالْقُرْآنِ، وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ فَإِنَّهُ مُحْتَمَلٌ.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ: يُمْكِنُ حَمْلُهَا أَيْضًا عَلَىٰ بَعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴿**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً**﴾ هُمُ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا بِالْوَحْيِ الْمُشْتَمِلِ عَلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ وَمَعْرُوفٍ، فَإِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ أُرْسِلُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ وَمَعْرُوفٍ ﴿**فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً**﴾ مَعْنَاهُ أَنَّ أَمْرَ كُلِّ رَسُولٍ يَكُونُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ حَقِيرًا ضَعِيفًا، ثُمَّ يَشْتَدُّ وَيَعْظُمُ وَيَصِيرُ فِي الْقُوَّةِ كَعَصْفِ الرِّيَاحِ ﴿**وَالنَّاشِراتِ نَشْراً**﴾ الْمُرَادُ مِنْهُ انْتِشَارُ دِينِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ وَمَقَالَتِهِمْ ﴿**فَالْفارِقاتِ فَرْقاً**﴾ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَفْرِقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْإِلْحَادِ ﴿**فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً**﴾ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ الْخَلْقَ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِهِ وَيَحُثُّونَهُمْ عَلَيْهِ.

الْقَوْلُ الْخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ مُشْتَغِلًا بِمَصَالِحِ الدُّنْيَا مُسْتَغْرِقًا فِي طَلَبِ لَذَّاتِهَا وَرَاحَاتِهَا، فَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَرِدُ فِي قَلْبِهِ دَاعِيَةُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِي خِدْمَةِ الْمَوْلَىٰ، فَتِلْكَ الدَّوَاعِي هِيَ الْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا، ثُمَّ هَذِهِ الْمُرْسَلَاتُ لَهَا أَثَرَانِ أَحَدُهُمَا: إِزَالَةُ حُبِّ مَا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ عَنِ الْقَلْبِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿**فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً**﴾ . وَالثَّانِي: ظُهُورُ أَثَرِ تِلْكَ الدَّاعِيَةِ فِي جَمِيعِ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ إِلَّا اللهَ، وَلَا يُبْصِرَ إِلَّا اللهَ، وَلَا يَنْظُرَ إِلَّا اللهَ، فَذَلِكَ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿**وَالنَّاشِراتِ نَشْراً**﴾ ثُمَّ عِنْدَ ذَلِكَ يَنْكَشِفُ لَهُ نُورُ جَلَالِ اللهِ فَيَرَاهُ مَوْجُودًا، وَيَرَىٰ كُلَّ مَا سِوَاهُ مَعْدُومًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿**فَالْفارِقاتِ فَرْقاً**﴾ ثُمَّ يَصِيرُ الْعَبْدُ كَالْمُشْتَهِرِ فِي مَحَبَّتِهِ، وَلَا يَبْقَىٰ فِي قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ إِلَّا ذِكْرُهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿**فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً**﴾ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " : " جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرْسَلَاتِ الرِّيَاحُ. وَرَوَىٰ مَسْرُوقٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: هِيَ الْمَلَائِكَة أُرْسِلَتْ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَنَهْيِهِ وَالْخَبَرِ وَالْوَحْيِ. وَهُوَ قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَمُقَاتِلٍ وَأَبِي صَالِحٍ وَالْكَلْبِيِّ. وَقِيلَ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ أُرْسِلُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: إِنَّهُمُ الرُّسُلُ تُرْسَلُ بِمَا يُعْرَفُونَ بِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهَا الرِّيَاحُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ**﴾ [الحجر: ٢٢] . وقال: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ**﴾ [الأعراف: ٥٧] . وَمَعْنَىٰ عُرْفاً يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَعُرْفِ الْفَرَسِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: النَّاسُ إِلَىٰ فُلَانٍ عُرْفٌ وَاحِدٌ: إِذَا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ فَأَكْثَرُوا. وَهُوَ نَصْبٌ عَلَىٰ الْحَالِ مِنْ وَالْمُرْسَلاتِ أَيْ وَالرِّيَاحِ الَّتِي أُرْسِلَتْ مُتَتَابِعَةً. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرًا أَيْ تِبَاعًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّصْبُ عَلَىٰ تَقْدِيرِ حَرْفِ الْجَرِّ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَالْمُرْسَلَاتُ بِالْعُرْفِ، وَالْمُرَادُ الْمَلَائِكَة أَوِ الْمَلَائِكَة وَالرُّسُلُ. وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمُرْسَلَاتِ السَّحَابُ، لِمَا فِيهَا مِنْ نِعْمَةٍ وَنِقْمَةٍ، عَارِفَةٌ بِمَا أُرْسِلَتْ فِيهِ وَمَنْ أُرْسِلَتْ إليه. وقيل: إِنَّهَا الزَّواجر والمواعظ. وعُرْفاً عَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ مُتَتَابِعَاتٌ كَعُرْفِ الْفَرَسِ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ. وَقِيلَ: جَارِيَاتٌ، قَالَهُ الْحَسَنُ، يَعْنِي فِي الْقُلُوبِ. وَقِيلَ: مَعْرُوفَاتٌ فِي الْعُقُولِ.

﴿**فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفَاً**﴾ الرِّيَاحُ بِغَيْرِ اخْتِلَافٍ، قَالَهُ الْمَهْدَوِيُّ. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: هِيَ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ تَأْتِي بِالْعَصْفِ، وَهُوَ وَرَقُ الزَّرْعِ وَحُطَامُهُ، كَمَا قَالَ تعالىٰ: ﴿**فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً**﴾ [الاسراء: ٦٩] . وَقِيلَ: الْعَاصِفَاتُ الْمَلَائِكَة الْمُوَكَّلُونَ بِالرِّيَاحِ يَعْصِفُونَ بِهَا. وَقِيلَ: الْمَلَائِكَة تَعْصِفُ بِرَوْحِ الْكَافِرِ، يُقَالُ: عَصَفَ بِالشَّيْءِ أَيْ أَبَادَهُ وَأَهْلَكَهُ، وَنَاقَةٌ عَصُوفٌ أَيْ تَعْصِفُ بِرَاكِبِهَا، فَتَمْضِي كَأَنَّهَا رِيحٌ فِي السُّرْعَةِ، وَعَصَفَتِ الْحَرْبُ بِالْقَوْمِ أَيْ ذَهَبَتْ بِهِمْ. وَقِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنَّهَا الْآيَاتُ الْمُهْلِكَةُ كَالزَّلَازِلِ وَالْخُسُوفِ.

﴿**وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً**﴾ الْمَلَائِكَة الْمُوَكَّلُونَ بِالسُّحُبِ يَنْشُرُونَهَا. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمُجَاهِدٌ: هِيَ الرِّيَاحُ يُرْسِلُهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ نَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، أَيْ تَنْشُرُ السَّحَابَ لِلْغَيْثِ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ. وَعَنْهُ أَيْضًا: الْأَمْطَارُ، لِأَنَّهَا تَنْشُرُ النَّبَاتَ، فَالنَّشْرُ بِمَعْنَىٰ الْإِحْيَاءِ، يُقَالُ: نَشَرَ اللَّهُ الْمَيِّتَ وَأَنْشَرَهُ أَيْ أَحْيَاهُ. وَرَوَىٰ عَنْهُ السُّدِّيُّ: أَنَّهَا الْمَلَائِكَة تَنْشُرُ كُتُبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَرَوَىٰ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: يُرِيدُ مَا يُنْشَرُ مِنَ الْكُتُبِ وَأَعْمَالِ بَنِي آدَمَ. الضَّحَّاكُ: إِنَّهَا الصُّحُفُ تُنْشَرُ عَلَىٰ اللَّهِ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ: إِنَّهُ الْبَعْثُ لِلْقِيَامَةِ تُنْشَرُ فِيهِ الْأَرْوَاحُ. قَالَ: وَالنَّاشِراتِ بِالْوَاوِ، لِأَنَّهُ اسْتِئْنَافُ قَسَمٍ آخَرَ.

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً﴾ المَلَائِكَة تَنْزِلُ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو صَالِحٍ. وَرَوَىٰ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا تُفَرِّقُ المَلَائِكَة مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ. وَرَوَىٰ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: الْفَارِقَاتُ الرِّيَاحُ تُفَرِّقُ بَيْنَ السَّحَابِ وَتُبَدِّدُهُ. وَعَنْ سَعِيدٍ عن قتادة قال: فَالْفارِقاتِ فَرْقاً الْفُرْقَانُ، فَرَّقَ اللهُ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَرَامِ وَالْحَلَالِ. وَقَالَهُ الْحَسَنُ وَابْنُ كَيْسَانَ. وَقِيلَ: يَعْنِي الرُّسُلَ فَرَّقُوا بَيْنَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَنَهَىٰ عَنْهُ أَيْ بَيَّنُوا ذَلِكَ. وَقِيلَ: السَّحَابَاتُ الْمَاطِرَةُ تَشْبِيهًا بِالنَّاقَةِ الْفَارِقِ وَهِيَ الْحَامِلُ الَّتِي تَخْرُجُ وَتَنِدُّ فِي الْأَرْضِ حِينَ تضع، ونوق فَوَارِقُ وَفُرَّقٌ. وَرُبَّمَا شَبَّهُوا السَّحَابَةَ الَّتِي تَنْفَرِدُ مِنَ السَّحَابِ بِهَذِهِ النَّاقَةِ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

أَوْ مُزْنَةٌ فَارِقٌ يَجْلُو غَوَارِبَهَا تَبَوُّجُ الْبَرْقِ وَالظَّلْمَاءُ عُلْجُومُ

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً﴾ المَلَائِكَة بِإِجْمَاعٍ، أَيْ تُلْقِي كُتُبَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَهُ الْمَهْدَوِيُّ. وَقِيلَ: هُوَ جِبْرِيلُ وَسُمِّيَ بِاسْمِ الْجَمْعِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ بِهَا. وَقِيلَ: الْمُرَادُ الرُّسُلُ يُلْقُونَ إِلَى أُمَمِهِمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ، قَالَهُ قُطْرُبٌ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ وَظِيْفَةُ ميكَائِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَام ؟

الجواب : ميكائيل عليه السَّلام موكَّلٌ بأرزاق العباد ، فقد روىٰ الطَّبراني في " المعجم الكبير " (١١/ ٣٧٩ برقم ١٢٠٦١) وأبو الشَّيخ في " العظمة " (٢/ ٧٠٠) والبيهقي في " شُعب الإيمان " (١/ ٣١٥ برقم ١٥٥) بسندهم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَاجِيهِ إِذِ انْشَقَّ أُفُقُ السَّمَاءِ فَأَخَذَ جِبْرِيلُ يَدْنُو مِنَ الْأَرْضِ، وَيَتَمَايَلُ فَإِذَا مَلَكٌ قَدْ مَثُلَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْتَارَ بَيْنَ نَبِيٍّ عَبْدٍ، وَمَلِكٍ نَبِيٍّ قَالَ: " فَأَشَارَ جِبْرِيلُ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنْ تَوَاضَعْ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لِي نَاصِحٌ ، فَقُلْتُ: عَبْدٌ نَبِيٌّ فَعَرَجَ ذَلِكَ المَلَك إِلَىٰ السَّمَاءِ فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ قَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا فَرَأَيْتُ مِنْ حَالِكَ مَا شَغَلَنِي عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَمَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا إِسْرَافِيلُ خَلَقَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ صافًّا قَدَمَيْهِ لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ سَبْعُونَ نُورًا مَا مِنْهَا مِنْ نُورٍ يَكَادُ يَدْنُو مِنْهُ إِلَّا احْتَرَقَ، بَيْنَ يَدَيْهِ لَوْحٌ فَإِذَا أَذِنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَيْءٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ ارْتَفَعَ ذَلِكَ الْوَحْيُ فَضَرَبَ جَبْهَتَهُ فَيَنْظُرُ فَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِي أَمَرَنِي بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمِلِ مِيكَائِيلَ أَمَرَهُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمِلِ مَلَكِ الْمَوْتِ أَمَرَهُ بِهِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟ قَالَ: عَلَىٰ الرِّيحِ وَالْجُنُودِ قُلْتُ: عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ مِيكَائِيلُ؟ قَالَ: عَلَىٰ

النَّبَاتِ وَالْقَطْرِ قُلْتُ: عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ مَلَكُ الْمَوْتِ؟ قَالَ: عَلَىٰ قَبْضِ الْأَنْفُسِ وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ نَزَلَ إِلَّا لِقِيَامِ السَّاعَةِ وَمَا الَّذِي رَأَيْتَ مِنِّي إِلَّا خَوْفًا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ " .

قال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (٤٩/١) : " وميكائيل موكَّل بالقطر والنَّبات الذين يُخْلَقُ مِنْهُمَا الْأَرْزَاقُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَلَهُ أَعْوَانٌ يَفْعَلُونَ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ بِأَمْرِ رَبِّهِ، يُصَرِّفُونَ الرِّيَاحَ وَالسَّحَابَ كَمَا يَشَاءُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ. وَقَدْ رُوِّينَا أَنَّهُ مَا مِنْ قَطْرَةٍ تنزل من السَّماء إلا ومعها ملك يقررها فِي مَوْضِعِهَا مِنَ الْأَرْضِ" .

كما أنَّه أحد وزيري الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... روىٰ ابن الجعد في " المسند " (ص٢٩٨ برقم ٣٤٦٢) وأبو نعيم الأصبهاني في " فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم " (ص٩٣ برقم ٩٢) والحاكم في " المستدرك " (٢/ ٢٩٠ برقم ٣٠٤٧ ، واللفظ له) بسندهم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ لِي وَزِيرَيْنِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَوَزِيرَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ: فَجَبْرَائِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ: فَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ " .

كما أنَّه اشترك مع جبريل عليهما السَّلام في الدِّفاع عن سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أُحُد ، فقد روىٰ مسلمٌ في صحيحه (٤/ ١٨٠٢ برقم ٢٣٠٦) بسنده عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» .

وروىٰ بسنده عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، يُقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٦٦/١٥) في شرحه للحديث : " فِيهِ بَيَانُ كَرَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِكْرَامِهِ إِيَّاهُ بِإِنْزَالِ الْمَلَائِكَةِ تُقَاتِلُ مَعَهُ وَبَيَانُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُقَاتِلُ وَأَنَّ قِتَالَهُمْ لَمْ يَخْتَصَّ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَهَذَا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاص فَهَذَا صَرِيحٌ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ وَفِيهِ فَضِيلَةُ الثِّيَابِ الْبِيضِ وَأَنَّ رُؤْيَةَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَخْتَصُّ بِالْأَنْبِيَاءِ بَلْ يَرَاهُمُ الصَّحَابَةُ وَالْأَوْلِيَاءُ وَفِيهِ مَنْقَبَةٌ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ الَّذِي رَأَىٰ الْمَلَائِكَةَ والله أعلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : أُذْكُرْ لَنَا بَعْضَ الأَحَادِيْثِ الصَّحِيْحَةِ الوَارِدَةِ فِي سَيِّدِنَا مِيْكَائِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَام ؟

الجواب : وردت في سيِّدنا ميكائيل عليه السَّلام العديد من الأحاديث الصَّحيحة ، منها :

روى البخاري (٤/ ١١٦ برقم ٣٢٣٦) بسنده عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالاَ الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ» .

وروى أحمد في المسند (٢/ ٤١١ برقم ١٢٥٧) بسنده عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْحَنَفِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: " قِيلَ لِعَلِيٍّ، وَلِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ: مَعَ أَحَدِكُمَا جِبْرِيلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ – أَوْ قَالَ: يَشْهَدُ الصَّفَّ . قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشَّيخين غير أبي صالح الحنفي– واسمه عبد الرَّحمن بن قيس– فمن رجال مسلم" .

وروى أحمد في المسند (٣٣/ ٣٣٥ برقم ٢٠١٦٥) بسنده عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلَاةَ الْغَدَاةِ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: " هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ "، فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ رَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ فِيهَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: فَسَأَلَنَا يَوْمًا، فَقَالَ: " هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ " قَالَ: فَقُلْنَا: لَا، قَالَ: " لَكِنْ أَنَا رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي وَأَمَّا الدَّارُ الَّتِي دَخَلْتَ أَوَّلَا فَدَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا الدَّارُ الْأُخْرَى فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ ...قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند : " إسناده صحيح على شرط الشَّيخين" .

وروى أحمد في المسند (٣٤/ ١٤٦ برقم ٢٠٥١٤) بسنده عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، " أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، قَالَ مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اسْتَزِدْهُ، فَاسْتَزَادَهُ، قَالَ: فَاقْرَأْ عَلَى حَرْفَيْنِ، قَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ، فَاسْتَزَادَهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، قَالَ: كُلٌّ شَافٍ كَافٍ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ نَحْوَ قَوْلِكَ تَعَالَ وَأَقْبِلْ، وَهَلُمَّ وَاذْهَبْ، وَأَسْرِعْ وَأَعْجِلْ ". قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند : " صحيح لغيره دون قوله في آخره: "نحو قولك: تعال، وأقبل، وهلم ... إلخ " .

وروى البزَّار في " المسند" (١/ ٤٤٢ برقم ٢٩٠٨) بسنده عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَقِيَ جِبْرِيلَ عِنْدَ أَحْجَارِ الْمُرِّيِّ ، فَقَالَ : إِنِّي أُرْسِلْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ ، وَإِلَى مَنْ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدْهُ ، فَقَالَ : اقْرَأْ عَلَى حَرْفَيْنِ ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدْهُ : حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ. قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد" (٧/ ١٥٠برقم ١١٥٦٧) : " رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ وَهُوَ ثِقَةٌ وَفِيهِ كَلَامٌ لَا يَضُرُّ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ" .

وروى أحمد في المسند (٣٣/ ٣٤ برقم ٢٠١٧٦) بسنده عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ: " اسْمُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدُ اللهِ، وَاسْمُ مِيكَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عُبَيْدُ اللهِ " . قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند : " أثر حسن " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُوْجَدُ مَلَكٌ لِلبِحَار ؟

الجواب : روى البخاري (٤/ ١١٥ برقم ٣٢٣١) ، ومسلم (٣/ ١٤٢٠ برقم ١٧٩٥) بسندهما عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " .

والأخشبان هما : " الجَبَلانِ المُطِيفانِ بمكَّةَ، وَهُمَا: أَبو قُبَيْس والأَحْمرُ، وَهُوَ جبل مُشْرِفٌ وَجْهُه عَلَى قُعَيْقِعانَ. والأَخْشَبُ: كلُّ جَبَلٍ خَشِنٍ غَلِيظٍ" انظر : لسان العرب (١/ ٣٥٤-٣٥٥) .

وقال الإمام الزَّبيدي في " تاج العروس من جواهر القاموس" (٢/ ٣٥٧-٣٥٨) : " الأَخْشَبَانِ: الجَبَلاَنِ المُطِيفَانِ بِمَكَّةَ وهُمَا (أَبُو قُبَيْسٍ) وقُعَيْقِعَانُ، ويُسَمَّيَانِ الجَبْجَبَانِ أَيضاً، ويقالُ: بَلْ هُمَا أَبُو قُبَيْسٍ (والأَحْمَرُ) وهُوَ جَبَلٌ مُشْرِفٌ وَجْهَهُ عَلَى قُعَيْقِعَانَ، (و) قَالَ ابنُ وَهْبٍ: الأَخْشَبَانِ (جَبَلاَ مِنًى) اللذانِ تحتَ العَقَبَةِ، وكُلُّ خَشِنٍ غَلِيظٍ مِنَ الجِبَالِ فَهُوَ أَخْشَبُ، وَقَالَ السَّيِّدُ عُلَيّ العَلَوِيُّ: الأَخْشَبُ الشَّرْقِيُّ أَبُو قُبَيْسٍ، والأَخْشَبُ الغَرْبِيُّ هُوَ المَعْرُوفُ بجَبَلِ الخُطّ، والخُطُّ من وَادِي إِبراهيمَ عَلَيْهِ السلامُ وَقَالَ الأَصمعيّ: الأَخْشَبَانِ: أَبُو قُبَيْسٍ، وَهُوَ الجَبَلُ المُشْرِفُ عَلَى الصَّفَا، وهُوَ مَا بَيْنَ حَرف أَجياد الصَّغِير المُشْرِف عَلَى الصَّفَا إِلى السُّوَيْدَاءِ الَّتِي تَلِي الخَنْدَمَةَ، وَكَانَ يُسَمَّى فِي الجاهليَّةِ الأَمِينَ، والأَخْشَبُ الآخَرُ: الجَبَلُ الَّذِي يُقَال لَهُ: الأَحْمَرُ، كانَ يُسَمَّى فِي الجاهليةِ الأَعْرَفَ، وَهُوَ الجَبَلُ المُشْرِفُ وَجْهُه على قُعَيْقِعَانِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُوْجَدُ مَلَكٌ لِلجِبَال ؟

الجواب : روىٰ أحمد في المسند (٣٨/ ٢٧٣ برقم ٢٣٢٣٨) بسنده عَنْ أَشْرَسَ قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الْمَدِّ، وَالْجَزْرِ، فَقَالَ: " إِنَّ مَلَكًا مُوَكَّلٌ بِقَامُوسِ الْبَحْرِ، فَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فَاضَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا غَاضَتْ " . قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف، صبَّاح مجهول، وأشرس -وهو ابن الحسن، وقيل: ابن أبي الحسن المازني- ذكره البخاري في "الكبير" وابن أبي حاتم ولم يورِدا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال ابن عدي: له أقلّ من عشرة أحاديث، وأرجو أنَّه لا بأس به، وذكره ابن حبَّان في "الثِّقات"

قلتُ : قَامُوس الْبَحْرِ: مُعْظَمُهُ ، وقيل : قعره الأقصىٰ ، انظر : معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٦) ، أساس البلاغة (٢/ ١٠١) .

وقال القاضي عياض في " مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار" (١/ ١٢٣) : " قَالَ أَبُو مَرْوَان بن سراج : قَامُوس الْبَحْر فاعول من قمسه إِذا غمسه ، قَالَ أَبُو عبيد : قَامُوس الْبَحْر وَسطه ، وَفِي الجمهرة : لجَّته ، وَفِي الْعين : قَالَ فلَان قولاً بلغ قَامُوس الْبَحْر ، أَي : قَعْره الأقصا ، وَهَذَا بَيِّنٌ فِي هَذَا الحَدِيث علىٰ هَذِه الرِّوَايَة . وَقَالَ لي شَيخنَا أَبُو الْحُسَيْن : قاعوس الْبَحْر صَحِيح مثل قَامُوس ، كَأَنَّهُ من القعس ، وَهُوَ دُخُول الظّهْر وتعمقه ، أَي : بلغن عمق الْبَحْر ولجَّته الدَّاخِلَة " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ حَمَلَةِ العَرْش ؟

الجواب : للعرش حملة من المَلَائِكَة ... قال الله تعالىٰ : **﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** [الحاقة:١٧] .

قال الإمام الطَّبري في التَّفسير (٢٣/ ٢٢٧-٢٢٨) : " اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي عُنِيَ بِقَوْلِهِ: **﴿ثَمَانِيَةٌ﴾** [الأنعام: ١٤٣] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ ثَمَانِيَةُ صُفُوفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُنَّ إِلَّا اللهُ.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثنا طَلْقٌ، عَنْ ظُهَيْرٍ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٧] قَالَ: ثَمَانِيَةُ صُفُوفٍ مِنَ المَلَائِكَة لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ إِلَّا اللهُ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثني أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٧] قَالَ: هِيَ الصُّفُوفُ مِنْ وَرَاءِ الصُّفُوفِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا يَحْيَىٰ بْنُ وَاضِحٍ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٧] قَالَ: ثَمَانِيَةُ صُفُوفٍ مِنَ المَلَائِكَة .

حُدِّثْتُ، عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ، يَقُولُ: ثنا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] قَالَ بَعْضُهُمْ: ثَمَانِيَةُ صُفُوفٍ لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُنَّ إِلَّا اللهُ" .

وَعَن جابر بن عَبد الله، عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال: " أُذِنَ لي أنْ أُحدِّثَ عَن مَلَكٍ مِنْ مَلائكةِ الله من حَمَلة العَرش: إنَّ ما بين شَحمةِ أُذُنِه إلى عاتِقِه مَسيرةُ سَبع مئةِ عام" . أخرجه أبو داود (٧/ ١٠٩ برقم٤٧٢٧) ، قال الأرنؤوط : إسناده جيِّد، كما قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٨/ ٢٣٩) ، وصحَّحه الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٨/ ٦٦٥) ، والسُّيوطي في" الدر المنثور"(٧/ ٢٧٤) .

وَعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ثُمَّ قَالَ: " الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ " أخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠ برقم ٢٢٢٩) .

وَعَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللهِ فَلَا يَزَالُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ اللهُ لِجِبْرِيلَ: إِنَّ فُلَانًا عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِيَنِي أَلَا وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَى فُلَانٍ، وَيَقُولُهَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُهَا مَنْ حَوْلَهُمْ حَتَّى يَقُولَهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ تَهْبِطُ لَهُ إِلَى الْأَرْضِ " أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٨٧ برقم ٢٢٤٠١) وحسَّن الأرنؤوط إسناده .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَسترَقُ الشَّياطين الأَخبَارَ التِي تَتَحدَّثُ بِهَا المَلائِكَة مِمَّا سَيَحْدُثُ فِي الأَرْض ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً﴾ [الجن:٩] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٩/ ١٢-١٣) : و ﴿مَقاعِدَ﴾ : مَوَاضِعُ يُقْعَدُ فِي مِثْلِهَا لِاسْتِمَاعِ الْأَخْبَارِ مِنَ السَّمَاءِ، يَعْنِي أَنَّ مَرَدَةَ الْجِنِّ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِيَسْتَمِعُوا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَخْبَارَ السَّمَاءِ حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الْكَهَنَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، فَحَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى حِينَ بَعَثَ رَسُولَهُ بِالشُّهُبِ الْمُحْرِقَةِ، فَقَالَتِ

الْجِنُّ حِينَئِذٍ: فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً يَعْنِي بِالشِّهَابِ: الْكَوْكَبَ الْمُحْرِقَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ. وَيُقَالُ: لَمْ يَكُنِ انْقِضَاضُ الْكَوَاكِبِ إِلَّا بَعْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ.

وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ هَلْ كَانَتِ الشَّيَاطِينُ تُقْذَفُ قَبْلَ الْمَبْعَثِ، أَوَ كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا حَدَثَ لِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَقَالَ قَوْمٌ: لَمْ تَكُنْ تُحْرَسُ السَّمَاءُ فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ: خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ بَعْثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منعوا من السموات كُلِّهَا، وَحُرِسَتْ بِالْمَلَائِكَةِ وَالشُّهُبِ. قُلْتُ: وَرَوَاهُ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي نُبِّئَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنِعَتِ الشَّيَاطِينُ، وَرُمُوا بِالشُّهُبِ. وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَابُورَ: لَمْ تَكُنِ السَّمَاءُ تُحْرَسُ فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرست السماء، ورميت وَمُنِعَتْ عَنِ الدُّنُوِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَالَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ: كَانَتِ الشَّيَاطِينُ فِي الْفَتْرَةِ تَسْمَعُ فَلَا تُرْمَى، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَتْ بِالشُّهُبِ. وَنَحْوُهُ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: لَمْ يُرْمَ بِنَجْمٍ مُنْذُ رُفِعَ عِيسَى حَتَّى نُبِّئَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُمِيَ بِهَا ".

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٠/ ٦٧٠) : " ... الْمَقَامُ الثَّانِي: وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ أَنَّ هَذِهِ الشُّهُبَ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ الْمَبْعَثِ إِلَّا أَنَّهَا زِيدَتْ بَعْدَ الْمَبْعَثِ وَجُعِلَتْ أَكْمَلَ وَأَقْوَى، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ لفظ القرآن لأنَّه قال: **﴿فَوَجَدْناها مُلِئَتْ﴾** [الجن: ٨] ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَادِثَ هُوَ الْمَلْءُ وَالْكَثْرَةُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ﴾** ، أَيْ : كُنَّا نَجِدُ فِيهَا بَعْضَ الْمَقَاعِدِ خَالِيَةً مِنَ الْحَرَسِ وَالشُّهُبِ ، وَالْآنَ مُلِئَتِ الْمَقَاعِدُ كُلُّهَا، فَعَلَى هَذَا الَّذِي حَمَلَ الْجِنَّ عَلَى الضَّرْبِ فِي الْبِلَادِ وَطَلَبِ السَّبَبِ، إِنَّمَا هُوَ كَثْرَةُ الرَّجْمِ ومنع الاستراق بالكليَّة " .

وروى البخاري (٤/ ١٢٥ برقم ٣٢٨٨) بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " المَلَائِكَةُ تَتَحَدَّثُ فِي العَنَانِ - وَالعَنَانُ: الغَمَامُ -، بِالأَمْرِ يَكُونُ فِي الأَرْضِ، فَتَسْمَعُ الشَّيَاطِينُ الكَلِمَةَ، فَتَقُرُّهَا فِي أُذُنِ الكَاهِنِ كَمَا تُقَرُّ القَارُورَةُ، فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ " .

قال الإمام بدر الدِّين العيني في " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (١٥/ ١٧٧-١٧٨) في شرحه للحديث : " قَوْله: (بِالْأَمر) يتَعَلَّق بقوله: (تَتَحَدَّث) . وَقَوله: (والعنان الْغَمَام) ، جملَة مُعْتَرضَة بَين المتعلِّق

والمتعلَّق. قَوْله: (يكون) ، جملَة وَقعت حَالا من قَوْله: (بِالْأَمر) . قَوْله: (فتقرّها) ، بِضَم الْقَاف وَتَشْديد الرَّاء، وَهُوَ الصَّحِيح قَالَ ابْن التِّين: لَمَّا تقرَّر من أَنَّ كلّ فعل مضاعف مُتَعَدٍّ يكون بِالضَّمِّ إلاَّ أحرف شواذ لَيْسَ هَذَا مِنْهَا، وَقَالَ الْخطَّابِيّ: يُقَال: قررت الْكَلَام فِي أذن الْأَصَم إِذا وضعت فمك على صماخه فتلقيه فِيهِ. وَقَالَ الْهَرَوِيّ: إِنَّه ترديد الْكَلَام فِي أذن الأبكم حَتَّى يفهم. قَوْله: (كَمَا تقر القارورة) ، يُرِيد بِهِ تطبيق رَأس القارورة بِرَأْس الْوِعَاء الَّذِي يفرغ مِنْهَا فِيهِ. وَقَالَ الْقَابِسِيّ: مَعْنَاهُ يكون لما يلقيه الكاهن حسٌّ كحسِّ القارورة عِنْد تحريكها مَعَ الْيَد أَو على الصَّفاء، وَفِي التَّوْضِيح: وَيُقَال: بالزَّاي، وَهُوَ مَا يسمع من حسِّ الزُّجاجة حِين يحكّ بهَا على شَيْء. وَقَالَ الْكرْمَانِي: فتقرّها، يرْوى من الْإِقْرَار، وَقَالَ الدَّاودِيّ: يلقيها كَمَا يسْتَقرّ الشَّيْء فِي قراره " .

وروى البخاري (٦/ ١٢٢ برقم ٤٨٠٠) بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ " ...

﴿ الفَصْلُ الخَامِسُ ﴾

✿✿✿ وَظِيْفَةُ المَلَائِكَة المُتَعَلِّقَة بِالأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُل ✿✿✿

من أهمِّ وظائف الملائكة المُتعلِّقة بالأنبياء والرُّسل: تبليغ الوحي من الله تعالىٰ إليهم ، وتأييدهم ، وتعليمهم ما لا يعلموه من أمور الوحي ... كالوضوء وأَوْقَاتِ الصَّلاة ، وأركانها ، وتأييد أنصار الرُسُل ومؤيِّديهم ، وحراسة الرُّسل ، والحضور مع الأنبياء والرُّسل للقتال والتَّثبيت ...

ومن أجل الاطِّلاع علىٰ وظائف الملائكة المتعلِّقة بالأنبياء والرُّسل ، كانت الأسئلة التَّالية :

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاهِيَ وَظَائِفُ جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَام ؟

الجواب : لسيِّدنا جبريل العديد من الوظائف ، منها :

الأُوْلَى : تبليغ الوَحي من الله تعالىٰ إلىٰ الأنبياء والرُّسل : والمَلَكُ الموكَّل بالوحي هو الرُّوح الأمين جبريل عليه السَّلام ؛ قال الله تعالىٰ: **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾** [الشعراء: ١٩٣- ١٩٤] .

ومهمَّته عليه السَّلام مهمَّة عظيمة وجليلة ، فهو الوحيد من بين الملائكة المخصَّص لتلقِّي الوحي عن الله تعالىٰ ثمَّ إنزاله إلىٰ الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام ...

الثَّانِيَةُ : تأييد الرُّسل عليهم السَّلام: قال الله تعالىٰ : **﴿وَآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾** [البقرة:٨٧] ، وقال تعالىٰ : **﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ﴾** [التحريم:٤] . وروح القدس هو جبريل عليه السَّلام ، أي : أنَّ جبريل عليه السَّلام هو خلاصة وأصل الطَّهارة ...وهذا تكريم له وتبجيل وتعظيم . انظر : تفسير عبد الرزَّاق (١/ ٢٧٩) ، تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢١٢) ، تفسير الطَّبري (٢/ ٢٢٢) ، معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٦٨) ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١/ ١٦٨) ...

وقد تكرَّر في القرآن الكريم تسمية سيِّدنا جبريل عليه السَّلام بروح القُدُس، قال تعالى : ﴿وَآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧] ، وقال : ﴿إِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة:١١٠] ، وسمَّاه في موضع آخر من القرآن الكريم بالرُّوح الأمين، قال تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٤] ، وسمَّاه بالرُّوح في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧] ...

الثَّالِثَةُ : عذاب الأمم الكافرة وإهلاكها ... ومن الأقوام التي تمَّ إهلاكها : قوم لوط ، قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يَا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ * قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها مَا أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٧٧-٨٣] .

قال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (١/ ٢٠٩) : " وَذَكَرُوا أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فَضَرَبَ وُجُوهَهُمْ خَفْقَةً بِطَرَفِ جَنَاحِهِ فَطُمِسَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى قِيلَ إِنَّهَا غَارَتْ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا مَحَلٌّ وَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ فَرَجَعُوا يَتَحَسَّسُونَ مَعَ الْحِيطَانِ.

وَيَتَوَعَّدُونَ رَسُولَ الرَّحْمَنِ وَيَقُولُونَ إِذَا كَانَ الْغَدُ كَانَ لَنَا وَلَهُ شَأْنٌ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ ، فَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقَدَّمَتْ إِلَى لُوطٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ آمِرِينَ لَهُ بِأَنْ يَسْرِيَ هُوَ

وَأَهْلُهُ مِنْ آخِرِ اللَّيلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَعْنِي عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ الْعَذَابِ إِذَا حَلَّ بِقَوْمِهِ وَأَمَرُوهُ أَنْ يَكُونَ سَيْرُهُ فِي آخِرِهِمْ كالسَّاقة لهم " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٣٤١/٤-٣٤٢) : " وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَخَذَ جبريلُ قَوْمَ لُوطٍ مِنْ سَرْحهم وَدُورِهِمْ، حَمَلَهُمْ بِمَوَاشِيهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ، وَرَفَعَهُمْ حَتَّىٰ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نُباح كِلَابِهِمْ ثُمَّ أَكْفَأَهُمْ ، وَقَالَ : وَكَانَ حَمَلَهُمْ عَلَىٰ خَوَافِي جَنَاحِهِ الْأَيْمَنِ. قَالَ: وَلَمَّا قَلَبَهَا كَانَ أَوَّلَ مَا سَقَطَ مِنْهَا شُذانها .

وَقَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنَا أَنَّ جِبْرِيلَ أَخَذَ بِعُرْوَةِ الْقَرْيَةِ الْوُسْطَىٰ، ثُمَّ أَلْوَىٰ بِهَا إِلَىٰ جَوِّ السَّمَاءِ، حَتَّىٰ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ ضَوَاغِي كِلَابِهِمْ، ثُمَّ دَمَّرَ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، ثُمَّ أَتْبَعَ شُذّاذ الْقَوْمِ سُخْرًا -قَالَ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَ قُرَىٰ، فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مِائَةُ أَلْفٍ -وَفِي رِوَايَةٍ: كَانُوا ثَلَاثَ قُرَىٰ، الْكُبْرَىٰ مِنْهَا سَدُوم. قَالَ: وَبَلَغَنَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يُشْرِفُ عَلَىٰ سَدُومَ، وَيَقُولُ: سَدُومُ، يومٌ، مَا لَكِ؟.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ: بَلَغَنَا أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا أَصْبَحَ نَشَرَ جَنَاحَهُ، فَانْتَسَفَ بِهِ أَرْضَهُمْ بِمَا فِيهَا مِنْ قُصُورِها وَدَوَابِّهَا وَحِجَارَتِهَا وَشَجَرِهَا، وَجَمِيعِ مَا فِيهَا، فَضَمَّهَا فِي جَنَاحِهِ، فَحَوَاهَا وَطَوَاهَا فِي جَوْفِ جَنَاحِهِ، ثُمَّ صَعِدَ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حَتَّىٰ سَمِعَ سُكَّانُ السَّمَاءِ أَصْوَاتَ النَّاسِ وَالْكِلَابِ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَلَبَهَا، فَأَرْسَلَهَا إِلَىٰ الْأَرْضِ مَنْكُوسَةً، وَدَمْدَم بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، ثُمَّ أَتْبَعَهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِي: كَانَتْ قُرَىٰ قَوْمِ لُوطٍ خَمْسَ قَرْيَاتٍ: "سَدُومُ"، وَهِيَ الْعُظْمَىٰ، وَ"صَعْبَةُ" وَ"صعوَةُ" وَ"عِثْرَةُ" وَ"دُومَا"، احْتَمَلَهَا جِبْرِيلُ بِجَنَاحِهِ، ثُمَّ صَعِدَ بِهَا، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَيَسْمَعُونَ نَابِحَةَ كِلَابِهَا، وَأَصْوَاتَ دَجَاجِهَا، ثُمَّ كَفَأَهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا، ثُمَّ أَتْبَعَهَا اللهُ بِالْحِجَارَةِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: **﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾** فَأَهْلَكَهَا اللهُ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْمُؤْتَفِكَاتِ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَمَّا أَصْبَحَ قَوْمُ لُوطٍ، نَزَلَ جِبْرِيلُ فَاقْتَلَعَ الْأَرْضَ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ، فَحَمَلَهَا حَتَّىٰ بَلَغَ بِهَا السَّمَاءَ، حَتَّىٰ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا نُبَاحَ كِلَابِهِمْ، وَأَصْوَاتَ دُيُوكِهِمْ، ثم قلبها فقتلهم، فذلك قَوْلُهُ **﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾** [النَّجم: ٥٣] ، وَمَنْ لَمْ يَمُتْ حِينَ سَقَطَ لِلْأَرْضِ، أَمْطَرَ اللهُ عَلَيْهِ وَهُوَ تَحْتَ الْأَرْضِ الْحِجَارَةَ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ شَاذًّا فِي الْأَرْضِ يَتْبَعُهُمْ فِي الْقُرَىٰ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَتَحَدَّثُ فَيَأْتِيهِ الْحَجَرُ فَيَقْتُلُهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾** ، أَيْ: فِي الْقُرَىٰ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. هَكَذَا قَالَ السُّدِّيُّ " .

الرَّابِعَةُ : كفاية الله تعالىٰ الرَّسول شرَّ المستهزئين بواسطة جبريل عليه السَّلام ، قال تعالىٰ : **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾** [الحجر:٩٤-٩٥] .

روىٰ الطَّبراني في "المعجم الأوسط" (١٧٣/٥برقم ٤٩٨٦) : " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ [الحجر: ٩٥] ، وَقَالَ: «الْمُسْتَهْزِئِينَ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ أَبُو زَمْعَةَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ، وَالْحَارِثُ بْنُ غَيْطَلٍ السَّهْمِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ. فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَكَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرَاهُ أَبَا عَمْرٍو الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ أَبْجَلِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا؟ فَقَالَ: كَفَيْتَكَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْحَارِثُ بْنُ غَيْطَلٍ السَّهْمِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَىٰ بَطْنِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا؟ فَقَالَ: كَفَيْتَكَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَىٰ أَخْمَصِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا؟ فَقَالَ: كَفَيْتَكَهُ. فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَهُوَ يَرِيشُ نَبْلًا لَهُ، فَأَصَابَ أَبْجَلَهُ فَقَطَعَهَا، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ فَعَمِيَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: عَمِيَ كَذَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِيَّ، لَا تَدْفَعُونَ عَنِّي؟ قَدْ هَلَكْتُ أُطْعَنُ بِشَوْكٍ فِي عَيْنِي، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَىٰ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ قُرُوحٌ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ غَيْطَلٍ فَأَخَذَهُ الْمَاءُ الْأَصْفَرُ فِي بَطْنِهِ حَتَّىٰ خَرَجَ خَرْؤُهُ مِنْ فِيهِ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ يَوْمًا حَتَّىٰ دَخَلَ فِي رِجْلِهِ شِبْرِقَةٌ حَتَّىٰ امْتَلَأَتْ مِنْهَا فَمَاتَ» " . قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٤٧/٧ برقم ١١١١٣) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ النَّيْسَابُورِيُّ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ" .

الْخَامِسَةُ: مُدَارسة الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن ... روىٰ البخاري (٨/١ برقم ٦) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» .

ولمدارسة القرآن العديد من الفوائد ، قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٢١/١) ، فقال : " قَوْلُهُ :" فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ" ، قِيلَ : الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ مُدَارَسَةَ الْقُرْآنِ تُجَدِّدُ لَهُ الْعَهْدَ بِمَزِيدِ غِنَىٰ النَّفْسِ ، وَالْغِنَىٰ سَبَبُ الْجُودِ ، وَالْجُودُ فِي الشَّرْعِ إِعْطَاءُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَنْبَغِي ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الصَّدَقَةِ . وَأَيْضًا فَرَمَضَانُ مَوْسِمُ الْخَيْرَاتِ ، لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِيهِ زَائِدَةٌ عَلَىٰ غَيْرِهِ ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْثِرُ مُتَابَعَةَ سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ فَبِمَجْمُوعِ مَا ذُكِرَ مِنَ الْوَقْتِ وَالْمَنْزُولِ بِهِ وَالنَّازِلِ وَالْمُذَاكَرَةِ حَصَلَ الْمَزِيدُ فِي الْجُودِ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَىٰ" .

السَّادِسَةُ : تعليم الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوُضُوْء ، قال الإمام ابن هشام في " السِّيرة النَّبويَّة" (١/ ٢٤٤) : " (تَعْلِيمُ جِبْرِيلَ الرَّسُولَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ) :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الصَّلَاةَ حِينَ افْتُرِضَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ، فَتَوَضَّأَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إلَيْهِ، لِيُرِيَهُ كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَأَىٰ جِبْرِيلَ تَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ بِهِ جِبْرِيلُ فَصَلَّىٰ بِهِ، وَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاتِهِ، ثُمَّ انْصَرف جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام " .

وجاء في السِّيرة الحلبيَّة (١/ ٣٧٦) : " فعن ابن إسحق: حدثني بعض أهل العلم «أنَّ الصَّلاة حين افترضت علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي قبل الإسراء أتاه جبريل وهو بأعلىٰ مكَّة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين فتوضَّأ جبريل ورسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر ليريه كيف الطّهور- أي الوضوء للصَّلاة- أي : فغسل وجهه ويديه إلىٰ المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه إلىٰ الكعبين» كما في بعض الرِّوايات ، أي : وفي رواية «فغسل كفَّيه ثلاثا، ثمَّ تمضمض واستنشق، ثمَّ غسل وجهه، ثمَّ غسل يديه إلىٰ المرفقين، ثمَّ مسح رأسه، ثمَّ غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً ، ثمَّ أمر النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتوضَّأ مثل وضوئه» .

وروىٰ أحمد في " المسند" (٢٩/ ٢٥ برقم ١٧٤٨٠) : " عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَاهُ فِي أَوَّلِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْوُضُوءِ، أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَنَضَحَ بِهَا فَرْجَهُ " . قال الأرنؤوط : " حديث ضعيف" .

السَّابِعَةُ : تعليم الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْقَاتِ الصَّلاة : قال الإمام ابن هشام في " السِّيرة النَّبويَّة" (١/ ٢٤٥) : " (تَعْيِينُ جِبْرِيلَ أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ لِلرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، مَوْلَىٰ بَنِي تَمِيمٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَكَانَ نَافِعُ كَثِيرَ الرِّوَايَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا افْتُرِضَتْ الصَّلَاةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَصَلَّىٰ بِهِ الظُّهْرَ حِينَ مَالَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِهِ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِهِ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِهِ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ حِينَ ذَهَبَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِهِ الصُّبْحَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ جَاءَهُ

فَصَلَّىٰ بِهِ الظُّهْرَ مِنْ غَدٍ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِهِ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِهِ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتْ الشَّمْسُ لِوَقْتِهَا بِالْأَمْسِ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِهِ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِهِ الصُّبْحَ مُسْفِرًا غَيْرَ مُشْرِقٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، الصَّلَاةُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاتِكَ الْيَوْمَ وَصَلَاتِكَ بِالْأَمْسِ " .

الثَّامِنَةُ : تعليم الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلاة ... فمن المعلوم أنَّ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّ الأنبياء في رحلتي الإسراء والمعراج ، قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٥/ ٣١) : " وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ إِنَّمَا اجْتَمَعَ بِهِمْ فِي السَّمَوَاتِ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَانِيًا وَهُمْ مَعَهُ، وَصَلَّىٰ بِهِمْ فِيهِ، ثُمَّ إِنَّهُ رَكِبَ الْبُرَاقَ وَكَرَّ رَاجِعًا إِلَىٰ مَكَّةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

ولا إشكال في كيفيَّة معرفة الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصَّلاة ، فقد سبق لجبريل أنَّ علَّمها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ الصَّلاة كانت مفروضة من ابتداء الإسلام ، وأنَّ أبا سفيان صرَّح في اجتماعه مع هرقل عظيم الرُّوم أنَّ الصَّلاة من جُملة ما يأمرهم به عليه الصَّلاة والسَّلام ... فقد روىٰ البخاري (١/ ٨ برقم ٧) بسنده عَنْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ ... قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ ... " .

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح" (٨/ ٦٧١) : " فَإِنَّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قَطْعًا وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ ، لَكِنِ اخْتُلِفَ هَلِ افْتُرِضَ قَبْلَ الْخَمْسِ شَيْءٌ مِنَ الصَّلَاةِ أَمْ لَا ؟ فَيَصِحُّ عَلَىٰ هَذَا قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْفَرْضَ أَوَّلًا كَانَ صَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِهَا ، وَالْحُجَّةُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : **﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾** ، وَنَحْوُهَا مِنَ الْآيَاتِ " .

فجبريلُ هو مَنْ علَّم الرَّسول كيفيَّة الصَّلاة ... روىٰ البخاري (٤/ ١١٣ برقم ٣٢٢١) ومسلم (١/ ٤٢٥ برقم ٦١٠) بسندهما عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ أَخَّرَ العَصْرَ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: أَمَا إِنَّ جِبْرِيلَ قَدْ نَزَلَ فَصَلَّىٰ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عُمَرُ اعْلَمْ مَا تَقُولُ يَا عُرْوَةُ قَالَ: سَمِعْتُ بَشِيرَ بْنَ أَبِي مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَزَلَ جِبْرِيلُ

فَأَمَّنِي، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ» يَحْسُبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ .

وروىٰ أحمد في "المسند" (٥/ ٢٠٢ برقم ٣٠٨١) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ، فَصَلَّىٰ بِي الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَكَانَتْ بِقَدْرِ الشِّرَاكِ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِي الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِي الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِي الْفَجْرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَىٰ الصَّائِمِ، ثُمَّ صَلَّىٰ الْغَدَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِي الْعَصْرَ حِينَ كان ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِي الْعِشَاءَ إِلَىٰ ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِي الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ " . قال الأرنؤوط : إسناده حسن ... وحسَّنه البغوي ، وصحَّحه ابن حبَّان ، وقال التِّرمذي: حسن صحيح. وأورد حديث ابن عبَّاس هذا الحافظ ابن حجر في " التَّلخيص" (١/ ١٧٣) ، وقال: صحَّحه أبو بكر ابن العربي وابن عبد البر، ونقل عن ابن عبد البر أنَّه قال: لا توجد هذه اللفظة، وهي قوله: "هذا وقتك ووقت الأنبياء من قبلك"، إلَّا في هذا الحديث.

التَّاسِعَةُ : رُقْيته للرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد روىٰ مسلم (٤/ ١٧١٨ برقم ٢١٨٦) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»

العَاشِرَةُ : تأييد أنصار رُسُل الله ومؤيِّديهم : روىٰ البخاري (٤/ ١١٢ برقم ٣٢١٣) ومسلم (٤/ ١٩٣٣ برقم ٢٤٨٦) بسندهما عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَسَّانَ: «اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ» .

وروىٰ ابن حبَّان في الصَّحيح (١٦/ ٩٧ برقم ٧١٤٧) وأبو داود (٤/ ٣٠٤ برقم ٥٠١٥) بسندهما عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لحسان ثَابِتٍ: "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ ما نافحت عن الله وعن رسوله". قال الأرنؤوط : " حديث صحيح " ...

وروىٰ البخاري (١/ ٩٨ برقم ٤٥٣) بسنده عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ، يَسْتَشْهِدُ أَبَا هُرَيْرَةَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: نَعَمْ.

وفي تفسير قول الله تعالى : **﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾** [المجادلة:٢٢] ، ذكر العديد من أهل العلم أنَّ الله تعالى أَيَّدهم بجبريل ...

قال الإمام الثَّعلبي في " الكشف والبيان عن تفسير القرآن" (٩/ ٢٦٥) : " وقيل: أمدَّهم بجبريل (عليه السَّلام) " .

وقال الإمام مكِّي بن أبي طالب في " الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره " (١١/ ٧٣٧٦) : " وقيل بروح منه: بجبريل ينصرهم ويؤيدهم ويوفقهم" .

وقال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون " (٥/ ٤٩٦) : " فيه خمسة أوجه: ... الخامس: قوَّاهم بجبريل يوم بدر " .

وقال الإمام البغوي في "معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٥/ ٥٠) : " وَقِيلَ: أَمَدَّهُمْ بِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ"

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٣٠٩) : " وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَيَّدَهُمْ بِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ" .

الحَادِيَة عَشْرَة : تهديد الله المعاندين للرُّسل وتخويفهم بجبريل عليه السَّلام : قال تعالى : **﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأعراف:١٧١] .

روى الطَّبري في " التَّفسير" (٢/ ٤٨-٤٩) بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " أَمَرَ مُوسَى قَوْمَهُ أَنْ يَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَيَقُولُوا حِطَّةٌ وَطُؤْطِئَ لَهُمُ الْبَابُ لِيَسْجُدُوا، فَلَمْ يَسْجُدُوا وَدَخَلُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَقَالُوا حِنْطَةٌ. فَنُتِقَ فَوْقَهُمُ الْجَبَلُ، يَقُولُ: أَخْرَجَ أَصْلَ الْجَبَلِ مِنَ الْأَرْضِ فَرَفَعَهُ فَوْقَهُمْ كَالظُّلَّةِ، وَالطُّورُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ: الْجَبَلُ، تَخْوِيفًا، أَوْ خَوْفًا، شَكَّ أَبُو عَاصِمٍ، فَدَخَلُوا سُجَّدًا عَلَى خَوْفٍ وَأَعْيُنُهُمْ إِلَى الْجَبَلِ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي تَجَلَّى لَهُ رَبُّهُ ...

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " رَفَعَ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَالسَّحَابَةِ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَتُؤْمِنُنَّ أَوْ لَيَقَعَنَّ عَلَيْكُمْ، فَآمَنُوا. وَالْجَبَلُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ: الطُّورُ ...

وَعَنْ قَتَادَةَ: " قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣] قَالَ: الطُّورُ: الْجَبَلُ، كَانُوا بِأَصْلِهِ فَرُفِعَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ، فَقَالَ: لَتَأْخُذُنَّ أَمْرِي أَوْ لَأَرْمِيَنَّكُمْ بِهِ " .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (١٥/ ٣٩٧) : " رُوِيَ أَنَّهُمْ أَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا أَحْكَامَ التَّوْرَاةِ لِغِلَظِهَا وَثِقَلِهَا، فَرَفَعَ اللهُ الطُّورَ على رؤوسهم مِقْدَارَ عَسْكَرِهِمْ، وَكَانَ فَرْسَخًا فِي فَرْسَخٍ، وَقِيلَ لَهُمْ: إِنْ قَبِلْتُمُوهَا بِمَا فِيهَا وَإِلَّا لَيَقَعَنَّ عَلَيْكُمْ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى الْجَبَلِ خَرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَاجِدًا عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ، وَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنِهِ الْيُمْنَى خَوْفًا مِنْ سُقُوطِهِ، فَلِذَلِكَ لَا تَرَى يَهُودِيًّا يَسْجُدُ إِلَّا عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ وَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنِهِ الْيُمْنَى، وَيَقُولُونَ هِيَ السَّجْدَةُ الَّتِي رُفِعَتْ عَنَّا بِهَا الْعُقُوبَةُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَل سَيَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى المَلائِكَةَ عَنْ عِبَادَةِ الْمُشْرِكِينْ لَهُم مِنْ دُوْنِ اللهِ تَعَالَى ؟

الجواب : قال الله تعالى : **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ * قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾** [سبأ: ٤٠-٤١] .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٦/ ٥٢٤) : " يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَقْرَعُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رؤوس الْخَلَائِقِ، فَيَسْأَلُ الْمَلَائِكَة الَّذِينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَنْدَادَ الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَة لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللهِ زُلْفَى، فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: **﴿أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾** ؟ أَيْ: أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَتِكُمْ؟ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: **﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾** [الْفُرْقَانِ: ١٧] ، وَكَمَا يَقُولُ لِعِيسَى: **﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾** [الْمَائِدَةِ: ١١٦] . وَهَكَذَا تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: **﴿سُبْحَانَكَ ﴾**، أَيْ: تعاليت وَتَقَدَّسْتَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِلَهٌ **﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾** ، أَيْ: نَحْنُ عَبِيدُكَ وَنَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ، **﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾** يَعْنُونَ: الشَّيَاطِينَ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُزَيِّنُونَ لَهُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَيُضِلُّونَهُمْ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ وَظِيْفَة جِبْرِيَل بَعْدَ انْتِقَالِ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّفِيْقِ الأَعْلَى ؟

الجواب : قال الإمام السُّيوطيُّ في " الحاوي للفتاوي " (٢/ ١٩٩-٢٠١ باختصار) : " اشْتَهَرَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ أَنَّ جِبْرِيلَ لَا يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا شَيْءٌ لَا أَصْلَ لَهُ. وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى بُطْلَانِهِ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي " الْكَبِيرِ " (٢٥/ ٣٦ برقم ٦٥) ، «عَنْ ميمونة بنت سعد قَالَتْ: قُلْتُ: يَا

رَسُــولَ اللهِ، هَلْ يَرْقُدُ الْجُنُبُ؟ قَالَ: مَا أُحِبُّ أَنْ يَرْقُدَ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُتَوَفَّىٰ فَلَا يَحْضُرُهُ جِبْرِيلُ» .

فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَيَحْضُرُ مَوْتَةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَىٰ طَهَارَةٍ ... ثُمَّ رَأَيْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [القدر: ٤]- الْآيَةَ – عَنِ الضحاك أَنَّ الرُّوحَ هَنَا جِبْرِيلُ، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ " .

ثمَّ تكلَّم الإمام السُّيوطي عن حجَّة من يزعمون انقطاع نزول جبريل عليه السَّلام بحديث : " لَا وَحْيَ بَعْدِي " ، وردَّ عليه ، فقال : " قَالَ زَاعِمٌ: الدَّلِيلُ عَلَيْهِ حَدِيثُ " «لَا نَبِيَّ بَعْدِي» (بخاري (٤/ ١٦٩ برقم ٣٤٥٥) ، مسلم (٣/ ١٤٧٣ برقم ١٨٤٢)) " قُلْنَا: يَا مِسْكِينُ لَا دَلَالَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ مَا ذَكَرْتَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ لَا يَحْدُثُ بَعْدَهُ بَعْثُ نَبِيٍّ بِشَرْعٍ يَنْسَخُ شَرْعَهُ كَمَا فَسَّرَهُ بِذَلِكَ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ يُقَالُ لِهَذَا الزَّاعِمِ: هَلْ أَنْتَ آخِذٌ بِظَاهِرِ الْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ حَمْلٍ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمَذْكُورِ، فَيَلْزَمُكَ عَلَيْهِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ: إِمَّا نَفْيُ نُزُولِ عِيسَىٰ، أَوْ نَفْيُ النُّبُوَّةِ عَنْهُ وَكِلَاهُمَا كُفْرٌ؟ ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ كِتَابَتِي لِهَذَا الْجَوَابِ وَقَفْتُ عَلَىٰ سُؤَالٍ رُفِعَ إِلَىٰ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابن حجر، صُورَتُهُ: مَا قَوْلُكُمْ فِي قَوْلِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حَكَمًا» . فَهَلْ يَنْزِلُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَافِظًا لِكِتَابِ اللهِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَلِسُنَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ يَتَلَقَّىٰ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ عَنْ عُلَمَاءِ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَيَجْتَهِدُ فِيهَا؟ وَمَا الْحُكْمُ فِي ذَلِكَ؟ فَأَجَابَ بِمَا نَصُّهُ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ: لَمْ يُنْقَلْ لَنَا فِي ذَلِكَ شَيْءٌ صَرِيحٌ، وَالَّذِي يَلِيقُ بِمَقَامِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ يَتَلَقَّىٰ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَحْكُمُ فِي أُمَّتِهِ بِمَا تَلَقَّاهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ خَلِيفَةٌ عَنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ" .

وجاء في الكتاب العزيز أنَّ جبريل عليه السَّلام ينزل مع جُملة الملائكة الأبرار الذين ينزلون من السَّماء إلَىٰ الأرض في ليلة القَدْر ، قال الله تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر:٤] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٢٠/ ١٣٣-١٣٤) : " ﴿وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ، أَيْ : جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ... وَقِيلَ: الرُّوحُ الرَّحْمَةُ يَنْزِلُ بِهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ عَلَىٰ أَهْلِهَا، دَلِيلُهُ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ [النحل: ٢] ، أَيْ بِالرَّحْمَةِ. فِيها أَيْ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. بِإِذْنِ رَبِّهِمْ أَيْ بِأَمْرِهِ. ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ : أُمِرَ بِكُلِّ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ وَقَضَاهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَىٰ قَابِلٍ، قَالَهُ ابْنُ

عَبَّاسٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] ، أَيْ بِأَمْرِ اللهِ... وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَعْنَاهُ: مِنْ كُلِّ مَلَكٍ، وَتَأَوَّلَهَا الْكَلْبِيُّ عَلَىٰ أَنَّ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ فِيهَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ، فَيُسَلِّمُونَ عَلَىٰ كُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ. (فَمِنْ) بِمَعْنَىٰ عَلَىٰ. وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ نَزَلَ جِبْرِيلُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يُصَلُّونَ وَيُسَلِّمُونَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ قَائِمٍ أَوْ قَاعِدٍ يَذْكُرُ اللهَ تعالىٰ" (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٩٠ برقم ٣٤٤٤) ، فضائل الأوقات (ص٣١٨ برقم ١٥٥) .

وأخرج الطَّبراني في " المعجم الكبير" (٢٥/ ٣٦ برقم ٦٥) بسنده عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ سَعْدٍ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ يَأْكُلُ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ؟ قَالَ: لَا يَأْكُلُ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ يَرْقُدُ الْجُنُبُ؟ قَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنْ يَرْقُدَ وَهُوَ جُنُبٌ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ، وَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يُتَوَفَّىٰ، فَلَا يَحْضُرُهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» . قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد" (١/ ٢٧٥ برقم ١٤٩٨) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَزِيدَ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُوَ الْحَرَّانِيُّ الطَّرَائِفِيُّ، وَثَّقَهُ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَدُوقٌ، وَقَالَ أَبُو عَرُوبَةَ الْحَرَّانِيُّ وَابْنُ عَدِيٍّ: لَا بَأْسَ بِهِ، يَرْوِي عَنْ مَجْهُولِينَ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ: يَرْوِي عَنْ قَوْمٍ ضِعَافٍ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: يُشْبِهُ بَقِيَّةَ فِي رِوَايَتِهِ عَنِ الضُّعَفَاءِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى الوَحْيِ وَطُرُقَه وَأَحْوَالَه ؟

الجواب : يطلق الوحي في اللغة علىٰ الإخبار أو الإعلام الخفي السَّريع ، كما يطلق علىٰ الإلهام . قال ابن منظور في اللسان (٣/ ٨٩٣) : " أصل الوحي في اللغة : إعلام في خفاء ، ولذلك صار الإلهام يسمَّىٰ وحياً ".

وقال الأصفهاني في " المفردات القرآنيَّة " (ص٥٥٢) : " أصل الوحي : الإشارة السَّريعة ، ولتضمّن السُّرعة قيل : أمر وحي ، وذلك يكون بالكلام علىٰ سبيل الرَّمز والتَّعريض ، وقد يكون بصوت مجرَّد من التَّركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة ".

وقد ذكر اللغويُّون لكلمة الوحي معاني كثيرة ، منها : الإشارة ، والكتابة ، والكلام الخفي ، والأمر ، والإلهام ، والرِّسالة ، والرُّؤيا الصَّالحة ، وكلّ ما ألقيته إلىٰ غيرك ، ثمَّ قالوا : إنَّ الوحي قصر علىٰ الإلهام ، وغلب استعماله فيما يلقىٰ من عند الله تعالىٰ إلىٰ الأنبياء . انظر: لسان العرب (٣/ ٨٩٣) ، بصائر ذوي التمييز (٥/ ١٧٧– ١٨٢) ، المفردات القرآنيّة (ص٥٥٢) ، معجم مقاييس اللغة (٦/ ٩٣) ، تهذيب اللغة (٥/ ١٩٢ – ١٩٤) .

أمَّا الوحي في الشَّرع : فمن خلال التَّعريف اللغوي للوحي نستطيع القول بأنَّ الوحي في الشَّرع هو: إلقاء الله تعالىٰ الكلام أو المعنىٰ في نفس من اصطفاه الله من عباده بخفاء وسرعة .

وقد أشار الله تعالىٰ إلىٰ الطُّرق التي يتلقَّىٰ بها الأنبياء الوحي ، فقال سبحانه : ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورىٰ:٥١] .

فالطُّرق ثلاثة :

الأُوْلَى : الوحي المجرَّد أو الإلهام يقظة أو مناماً ، إذ رؤيا الأنبياء حقّ ، وهو وحي من الله تعالىٰ . وهذا القِسم غير خاصٍّ بالأنبياء ؟ فقد أوحىٰ الله إلىٰ الحواريِّين ، وأوحىٰ إلىٰ أمِّ موسىٰ ... ومن ذلك أيضاً ما أخرجه القضاعي في المسند (٢/ ١٨٥ برقم ١١٥١) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أنَّه قال : «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ» .

الثَّانِيَة : التَّكلُّم المباشر من وراء حجاب ، كما حصل لموسىٰ عليه السَّلام حين كلَّمه ربُّه في الوادي المقدَّس ، ولسيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج .

الثَّالِثَة : الوحي إلىٰ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بواسطة المَلَك جبريل عليه السَّلام . وهذه الطَّريق تارة تكون خفيَّة ، وهو الغالب ، والقرآن الكريم لم يأت إلَّا عبر هذه الطَّريق ، وتارة يأتي المَلَك بصورة آدمي يراه النَّاس ، كما في حديث عمر الشَّهير ...

وأمَّا عن صفة مجيء المَلَك إلىٰ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّه كان يأتيه بثلاثة أحوال :

الأُوْلَى : أن يراه الرَّسول علىٰ صورته الملائكيَّة التي خلقه الله تعالىٰ عليها ، وهذا لم يحدث لنبيِّنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا مرَّتين اثنتين : مرَّة وهو خارج من غار حراء بعد انقاع الوحي، والثَّانية في رحلة المعراج ...

الثَّانِيَة : أن يأتيه المَلَك مثل صلصلة الجرس ، فينفصم عنه وقد وعىٰ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه ما قال ، كما جاء في البخاري وغيره، وهذه الحالة هي أشدّ الحالات علىٰ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثَّالِثَة : أن يتمثَّل له المَلَك رجلاً عاديَّاً ، فيخاطبه ويعي عنه خطابه ، وهذه من أخفِّ الأحوال علىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ صُوَرُ نُزوْل جِبْرِيْل عَلَى سَيِّدنَا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

الجواب : جاء سيَّدنا جبريل عليه السَّلام إلىٰ سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدَّة صُوَر ، هي :

الصُّوْرَةُ الأُوْلَى : إِتْيَانُهُ عَلَى الصُّوْرَةِ المَلَكِيَّة :

والذي تقرِّره الأدلَّة الصَّريحة الصَّحيحة أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ جبريل عليه السَّلام علىٰ صورته التي خلقه الله عليها مرَّتين اثنتين :

الرُّؤيَةُ الأُوْلَىٰ : كانت في الأرض في بداية الوحي ، ويستدلُّ لهذه الرُّؤية بقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما رواه البخاري (٦/ ١٧٤ برقم ٤٩٥٤) ومسلم (١/ ١٤٣ برقم ١٦١) بسندهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ، قَالَ فِي حَدِيثِهِ: " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَفَرِقْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي "، فَدَثَّرُوهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** - قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَهِيَ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَ - قَالَ: «ثُمَّ تَتَابَعَ الوَحْيُ» .

وكانت هذه الرُّؤية بعد انقطاع الوحي عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونزلت عليه بعدها سورة المدَّثِّر ، فقد روىٰ البخاري (٦/ ١٧٤ برقم ٤٩٥٤) ومسلم (١/ ١٤٣ برقم ١٦١) بسندهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ، قَالَ فِي حَدِيثِهِ: " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَفَرِقْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي "، فَدَثَّرُوهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** - قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَهِيَ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَ - قَالَ: «ثُمَّ تَتَابَعَ الوَحْيُ» .

الرُّؤيَةُ الثَّانِيَةُ : كانت في السَّماء ، ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهىٰ ، فقد روىٰ البخاري (٤/ ١١٥ برقم ٣٢٣٤) بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَىٰ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ» .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٨/ ٣٣٩) : " وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾** [التكوير:٢٣] ، يَعْنِي: وَلَقَدْ رَأَىٰ محمدٌ جِبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرِّسَالَةِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا لَهُ سِتُّمِائَةُ جَنَاحٍ **﴿بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾** ، أَيِ: الْبَيِّنُ، وَهِيَ الرُّؤْيَةُ الْأَوْلَىٰ الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**

* **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾** [النَّجم: ٥ -١٠] ، كَمَا تَقَدَّمَ تفسيرُ ذَلِكَ وَتَقْرِيرُهُ. والدليلُ أَنَّ المرادَ بِذَلِكَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالظَّاهِرُ-وَاللهُ أَعْلَمُ-أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الرُّؤْيَةَ وَهِيَ الْأُولَى، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نزلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾** [النَّجم: ١٣ -١٦] ، فَتِلْكَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ "النَّجْمِ"، وَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ " .

وفي موقعه على الشَّبكة العنكبوتيَّة وتحت عنوان : " جبريل في غار حراء منامًا ويقظة" ، تناول الأستاذ الدُّكتور غالب السّرجاني في مقال له رؤية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل في غار حراء للمرَّة الأولى ، وأنَّها كانت أثناء نومه في الغار ، فقال : "جبريل في غار حراء في منام رسول الله للمرَّة الأولى:

من رواية ابن إسحاق يتَّضح لنا أنَّ جبريل جاء للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المرَّة الأولى كرؤيا في حال النَّوم، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصًّا: "فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ". ثم في آخر الحديث قال: "فَانْصَرَفَ عَنِّي، وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَأَنَّمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا".

فهذان النَّصَّان في داخل الرِّواية يُشيران بشكلٍ واضحٍ أنَّ القدوم الأوَّل لجبريل عليه السَّلام في الغار كان في الرُّؤيا، وليس في الحقيقة، وهذا قد يستغربه كثير من النَّاس؛ لأنَّنا نعرف أنَّ جبريل تكلَّم مع رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحقيقة، ولكنَّ واقع الأمر أنَّ هذا سيحدث بعد ذلك.

إنَّ هذه الرُّؤيا التي رآها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستتحقَّق بعد ذلك " كفلق الصُّبح"، وسيرى الموقف نفسه الذي رآه في هذه الرُّؤيا على وجه الحقيقة بعد ذلك بأيَّام، وهذا يُفسِّر لماذا جمعت عائشة رضي الله عنها في روايتها الرُّؤيا الصَّالحة مع موقف زيارة جبريل الأولى، فعائشة رضي الله عنها كانت تتكلَّم في روايتها عن رؤية جبريل على وجه الحقيقة؛ ولكنَّها ذكرت موضوع الرُّؤيا الصَّالحة في بداية الرِّواية للدّلالة على أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى هذا الموقف الذي تتحدَّث عنه عائشة رضي الله عنها في منامه قبل أن يراه على الحقيقة؛ بل إنَّ هناك روايةً في البخاري تُصَرِّح فيها عائشة رضي الله عنها بذلك، فتقول: " أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ جَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾** [العلق: ١-٤] (البخاري(٤٦٧٣) .

وكما نرى في هذه الرِّواية أنَّ عائشة رضي الله عنها لم تفصل بين كلمة: " الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ " وبين كلمة: "جَاءَهُ الْمَلَكُ" بأيِّ فاصل من فواصل العطف، وهذا يعني أنَّ الرُّؤيا الصَّادقة كانت عبارة عن مجيء الملك، فهي في هذه الرِّواية تتحدَّث عن موقف يسبق الموقف الذي تتحدَّث عنه في الرِّواية الأَصْليَّة؛ وهي رواية رؤية المَلَك على الحقيقة، وواضح أنَّ عائشة رضي الله عنها كانت تروي أحيانًا القصَّة مختصرة، وفي أحيان أخرى ترويها مفصَّلة، وهذا الذي جعل الالتباس يدخل عند البعض عند قراءة الرِّوايات مجتمعة.

رُؤيَةُ جِبْرِيْلَ عَلَى الحَقِيْقَةِ بَعْدَ المَنَامِ خَارِجَ الغَار!

إذن كانت المرَّة الأولى لجبريل عليه السَّلام في زيارته لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هيئة رجل جاء إليه في المنام، ودار بينهما الحوار المشهور؛ الذي قال فيه المَلَك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اقرأ، فقال: ما أقرأ " إلى آخر الحوار المشهور.

هبَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نومه كما يقول: "وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي". وفي الغالب كان يُخالطه شعور كبير من الرَّهبة، وقد يكون من الخوف؛ لأنَّ المَلَك كان يضمُّه ضمَّة شديدة، لعلَّها أرهقته حتى عندما استيقظ في الحقيقة، وتَذَكَّر الرُّؤيا التي رآها، خاصَّة وأنَّه يعرف أنَّ رؤاه كانت تتحقَّق كفلق الصُّبح، فهو يتوقَّع أن يرى مثل هذا الحدث على وجه الحقيقة، بالإضافة إلى أنَّه سمع في هذه الرُّؤيا كلمات غريبة، وحفظها؛ فالجمل التي سمعها من جبريل عليه السَّلام: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾** [العلق: ١-٤] هذه الكلمات ليست بالشِّعر ولا بالكهانة، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفصح العرب قاطبة، ويعلم أنَّها ليست من كلام البشر، فهذا زاد من رهبته، وخاصَّة أنَّ الآيات التي سمعها تتحدَّث عن الإله، الذي يُفَكِّر فيه، ويبحث عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

هذا الشُّعور بالرَّهبة والخوف دفعه إلى الخروج من الغار، ومحاولة العودة السَّريعة إلى بيته ليَسْكُن إلى زوجته خديجة رضي الله عنها؛ لكنَّ الأزمة اشتدَّت عندما خرج من معتكفه! لقد سمع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صوتًا من السَّماء في هذا المكان الموحش يقول له: "يا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ". فيقول رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ، فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍّ قَدَمَيْهِ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ".

هذا الوصف مهم؛ لأنَّه مغاير لوصف آخر سيراه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاحقًا، وهذا الذي يُفَسِّر الاختلافات بين الرِّوايات، فهذه المرَّة الأولىٰ التي رأىٰ فيها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل عليه السَّلام، رآه في صورة رجل "يقف" في السَّماء.

كان المنظر مرعبًا –لا شكّ– لدرجة أنَّ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يصرف نظره حتىٰ لا يرىٰ الأمر، فيقول عن نفسه: "فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ وَجَعَلْتُ أَصْرِفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ". ولكن عندما أراد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفعل ذلك الأمر ليتجنَّب رؤية الرَّجل الواقف في السَّماء، إذا به يرىٰ منظرًا أشدَّ رعبًا، وأكثر تخويفًا؛ إذ إنَّه رأىٰ الرَّجل في كلِّ الاتجاهات التي حوله! يقول رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "فَلاَ أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا (أي من السماء) إلاَّ رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ!".

ثمَّ يُكْمِل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف حالته المرتعبة فيقول: "فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمُ أَمَامِي، وَمَا أَرْجِعُ وَرَائِي حَتَّىٰ بَعَثَتْ خَدِيجَةُ رُسُلَهَا فِي طَلَبِي، فَبَلَغُوا أَعْلَىٰ مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا، وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي" انظر : السيرة النبوية لابن هشام(١/ ٢٣٦) ، تاريخ الرسل والملوك (٢/ ٣٠٠) ، البداية والنهاية (٣/ ١٨) ، وفي سيرة ابن إسحاق المطبوعة الرواية "عن عبد المَلَك بن عبد الله بن أبي سفيان... عن بعض أهل العلم أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أراد الله...". ٠٦٤٦١ظر: ابن إسحاق: السير والمغازي، ١/ ١٦٧، وقال الصوياني: إسناده صحيح: رواه ابن إسحاق: حدثنا وهب بن كيسان مولىٰ آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عميرة بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله من النبوة.. وهذا الإسناد صحيح: ابن إسحاق لم يدلس، ووهب تابعي ثقة.. انظر: تخريج أحاديث السيرة (١/ ٢٢٣)، وسيرة ابن كثير (١/ ٤٠٢). انظر: الصوياني: السيرة النبوية (١/ ٦٤) ، وقال البرزنجي في صحيح وضعيف تاريخ الطبري: إسناده ضعيف، ورواه بطوله ابن هشام في سيرته... قال ابن إسحاق: وحدثني وهب بن كيسان... وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي. وهذا إسناد مرسل صحيح، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث... قلنا: والحديث حسن بمجموع طرقه. انظر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري (٢/ ١٤) .

لقد وقف رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكانه، وما استطاع أن يتحرَّك، ويبدو أنَّ الموقف أخذ وقتًا طويلاً؛ لأنَّ خديجة رضي الله عنها رأت أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تأخَّر عن موعده، فأرسلت رسلها تطلبه في كلِّ مكان؛ لكنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قد غادر الغار، ووقف في بطن الجبل، ولم يره النَّاس، فظلَّ واقفًا هذه المدَّة الطَّويلة، ثمَّ بعد أن انصرف الرَّجل الواقف في السَّماء عاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسرعة إلىٰ خديجة رضي الله عنها وهو في حالة من الرُّعب الشَّديد.

من المؤكَّد أنَّ ذهن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مشغولاً في التَّفكُّر في هذا الحدث المهول الذي رآه منذ لحظات؛ فالرَّجل الواقف في السَّماء صرَّح أنَّ محمَّدًا هو رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وصرَّح بكينونته هو؛ حيث عرَّف نفسه علىٰ أنَّه جبريل؛ لكنَّه لم يُكلِّفه بشيء، والواقع أنَّنا لا ندري إن كان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم علىٰ وجه اليقين أنَّ هذا الزَّمان هو زمان ظهور نبي، أو أنَّ جبريل هو المَلَك الذي ينزل علىٰ الأنبياء، أم لا يعلم هذه الأمور؛ فالسِّيرة لم تُوَضِّح هذه النُّقطة.

نعم ذكر ورقة بن نوفل قبل البعثة لخديجة رضي الله عنها أنَّه من المحتمل أن يكون الضّوء أو الصَّوت الذي يُشاهده ويسمعه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو النَّاموس الذي كان يأتي موسىٰ عليه السَّلام، وذكر لها كذلك أنَّه من المحتمل أن يُصبح محمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولَ الأمَّة، نعم حدث هذا ولكن تبقىٰ كلّ هذه الكلمات من ورقة وغيره مجرَّد احتمالات لا يدعمها دليل قطعي؛ ومن ثَمَّ فهي تندرج تحت الظُّنون لا اليقين، ولذلك عاد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو خائف بشدَّة من الحدث، لا يدري علىٰ وجه الحقيقة إن كان أمر الرِّسالة والنُّبوَّة سيتحقَّق كما أنبأه الرَّجل الواقف في السَّماء، أم أنَّها أوهامٌ لا يدري ما تفسيرها.

وِقْفَةُ تَأَمُّلٍ مَعَ اللَحَظَاتِ الأُوْلَى لِتَلَقِّي الوَحْي:

وخوف الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اللحظات الأولىٰ لتلقِّي الوحي لا بُدَّ أن نتوقَّف معه؛ لأنَّ هذا أمر متكرِّر عند لحظات الوحي الأولىٰ مع بعض الأنبياء، وقد قصَّ لنا القرآن الكريم قصَّة اللحظات الأولىٰ من الوحي التي مرَّ بها موسىٰ عليه السَّلام، وهي اللحظات الوحيدة التي شُرحت في القرآن الكريم عن هذه الصذُورة، ونقل لنا فيها ربُّنا عزَّ وجلَّ ما يدلُّ علىٰ خوف موسىٰ عليه السَّلام كذلك، عندما نزل عليه الوحي للمرَّة الأولىٰ، يقول الله عزَّ وجلَّ علىٰ سبيل المثال في سورة النَّمل: **﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾** [النمل: ١٠] ، وقال تعالىٰ: **﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾** [القصص: ٣١] . فالخوف الذي حدث مع موسىٰ عليه السَّلام بسبب رؤية العصا تتحوَّل إلىٰ حيَّة، حدث مع رسولنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبب الضمَّة الشَّديدة، التي ضمَّها إيَّاه جبريل عليه السَّلام في الرُّؤيا، ثم بعد ذلك عندما رأىٰ جبريل عليه السَّلام واقفًا في السَّماء يخاطبه، ولعلَّنا نتفكَّر في سبب هذه الحالة من الخوف التي انتابت

الرَّسولين الكريمين عليهما الصَّلاة والسَّلام عند بداية الوحي؛ فنقول: لعلَّ الحكمة من وراء ذلك أن يُدرك النبيُّ أن هذا الأمر حقيقة، وليس نوعًا من الخيال أو الأوهام، كما أنَّ هذا يلفت النَّظر إلى بشريَّة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهو -وإن كان مؤيَّدًا بالوحي، ومتابعًا من الله عزَّ وجلَّ بشكل مباشر- فإنَّه في النِّهاية بشر.

وقد أمر الله عزَّ وجلَّ رسولنا الكريم أن يُصَرِّح بهذه الحقيقة في مواقف كثيرة من القرآن الكريم؛ قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: ١١٠] . وهذا كثير في القرآن الكريم بهدف إثبات بشريَّة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ حتى لا يُغالي النَّاس بعد ذلك فيه، ويرفعوه إلى مقامات أعلى من مقامات البشريَّة، كما فعلوا قبل ذلك مع عيسى عليه السَّلام، وقد يكون هذا الخوف -أيضًا- لإثبات عدم تشوُّف الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرِّسالة، أو توقُّعه إيَّاها، وهذا يُؤَكِّد صدق النُّبوَّة، وصدق الوحي، وأنَّه ليس من اختراع أو ابتداع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقد يكون لأسباب أخرى غير التي ذكرناها؛ لكنَّها في النِّهاية حقيقة مشاهَدَة، وأمر واقع، أنَّه كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حالة شديدة من الخوف عندما مرَّت به هذه الأحداث الكبيرة " ، والله أعلم .

الصُّورة الثَّانِيَة : إِتْيَانُهُ عَلَى الصُّوْرَةِ البَشَرِيَّة : وقد سبق الكلام عن ذلك ...

الصُّوْرَةُ الثَّالِثَةُ : أن يأتي إلى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خفية من غير أن يراه أحد ، وهي المعبَّر عنها بصلصلة الجرس ، وهذه الصُّورة هي أشدّ الحالات على الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث تظهر على سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملامح التَّغيُّر ... فقد روى البخاري في الصَّحيح (٤/ ١١٢ برقم ٣٢١٥) بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ قَالَ: «كُلُّ ذَاكَ يَأْتِينِي المَلَكُ أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، فَيَفْصِمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، وَيَتَمَثَّلُ لِي المَلَكُ أَحْيَانًا رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَمَّا ذكَرَتْهُ بَعْضُ المَصَادِرِ مِنْ مُحَاوَلَةِ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الانْتِحَار أَسَفَاً مِنْهُ وَحُزْنَاً عَلَى انْقِطَاعِ الوَحْيِ عَنْهُ ، وَأَنَّه أَرَادَ أَنْ يُلقِي بِنَفْسِهِ مِنْ رُؤُوسِ الجِبَال ؟

الجواب : ممَّا يؤسف له حقّاً أن ترتبط مدَّة فتور الوحي عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلامٍ يقدحُ في عصمته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو ما ذكرته بعض المصادر من محاولة الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الانتحار أسفاً منه وحزناً علىٰ انقطاع الوحي عنه ، وأنّـه أراد أن يُلقي بنفسه من رؤوس الجبال .

وقد وجدت تلك الرِّوايات آذاناً صاغية وأقلاماً ظالمة مأجورة اتّهمت النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمحاولة الانتحار خلال الفترة التي فتر الوحي فيها عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد جاء هذا الكلام المتهافت عبر عدَّة روايات ضعيفة ، وهي :

أَوَّلاً: روىٰ البخاري (٩/ ٢٩ برقم ٦٩٨٢) بسنده عن الزُّهري، قال في قصَّة بدء الوحي : ... ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّىٰ حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّىٰ مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَىٰ بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّىٰ لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَىٰ بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّىٰ لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ " .

قلت: أخرج الزِّيادة التي ذكرها الزُّهري من بلاغاته : أحمد في مسنده (أحمد ص١٩٢٠ برقم ٢٦٤٨٦ بيت الأفكار) ، والبيهقي في دلائل النبوّة (٢/ ٩٧ برقم ٤٥٥) من طريق عبد الرزَّاق عن معمر عن الزُّهري به.

وقد علَّق الحافظ ابن حجر في " الفتح" (١٢/ ٣٥٩) علىٰ هذه الرِّواية فقال : " وَقَوْلُهُ هُنَا فَتْرَةً حَتَّىٰ حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا هَذَا وَمَا بَعْدَهُ مِنْ زِيَادَةِ مَعْمَرٍ عَلَىٰ رِوَايَةِ عُقَيْلٍ وَيُونُسَ ، وَصَنِيعُ الْمُؤَلِّفِ يُوهِمُ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي رِوَايَةِ عُقَيْلٍ ، وَقَدْ جَرَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ الْحُمَيْدِيُّ فِي جَمْعِهِ ، فَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَىٰ قَوْلِهِ : وَفَتَرَ الْوَحْيُ ثُمَّ قَالَ : انْتَهَىٰ حَدِيث عقيل الْمُفْرد عَن بن شِهَابٍ إِلَىٰ حَيْثُ ذَكَرْنَا ، وَزَادَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي حَدِيثِهِ الْمُقْتَرِنِ بِمَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، فَقَالَ : وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّىٰ حَزِنَ فَسَاقَهُ إِلَىٰ آخِرِهِ ، وَالَّذِي عِنْدِي : أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ خَاصَّةٌ بِرِوَايَةِ مَعْمَرٍ ، فَقَدْ أَخْرَجَ طَرِيقَ عُقَيْلٍ أَبُو نُعَيْمٍ فِي مُسْتَخْرَجِهِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ بُكَيْرٍ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فِيهِ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِدُونِهَا ، وَأَخْرَجَهُ مَقْرُونًا هُنَا بِرِوَايَةِ مَعْمَرٍ ، وَبَيَّنَ أَنَّ اللَّفْظَ لِمَعْمَرٍ وَكَذَلِكَ صَرَّحَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ أَنَّ الزِّيَادَةَ فِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالْإِسْمَاعِيلِيُّ وَغَيْرُهُمْ وَأَبُو نُعَيْمٍ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِ اللَّيْثِ عَنِ اللَّيْثِ بِدُونِهَا ثُمَّ إِنَّ الْقَائِلَ فِيمَا بَلَغَنَا هُوَ الزُّهْرِيُّ ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ : أَنَّ فِي جُمْلَةِ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِه الْقِصَّة ، وَهُوَ مِنْ

بَلَاغَاتِ الزُّهْرِيِّ ، وَلَيْسَ مَوْصُولًا . وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ : هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَلَغَهُ بِالْإِسْنَادِ الْمَذْكُور " .

وأضاف قائلاً (١٢/ ٣٦٠) :" قَوْلُهُ فِيهَا فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ ، قَدْ يَتَمَسَّكُ بِهِ مَنْ يُصَحِّحُ مُرْسَلَ الشَّعْبِيِّ فِي أَنَّ مُدَّةَ الْفَتْرَةِ كَانَتْ سَنَتَيْنِ وَنِصْفًا كَمَا نَقَلْتُهُ فِي أَوَّلِ بَدْءِ الْوَحْيِ ، وَلَكِنْ يُعَارِضُهُ مَا أخرجه بن سعد من حَدِيث بن عَبَّاسٍ بِنَحْوِ هَذَا الْبَلَاغِ الَّذِي ذَكَرَهُ الزُّهْرِيُّ . وَقَوْلُهُ : مَكَثَ أَيَّامًا بَعْدَ مَجِيءِ الْوَحْيِ لَا يَرَى جِبْرِيلَ فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا حَتَّى كَادَ يَغْدُو إِلَى ثَبِيرٍ مَرَّةً وَإِلَى حِرَاءٍ أُخْرَى يُرِيدُ أَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَامِدًا ليعض تِلْكَ الْجِبَالِ إِذْ سَمِعَ صَوْتًا فَوَقَفَ فَزِعًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا جِبْرِيلُ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مُتَرَبِّعًا يَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَأَنَا جِبْرِيلُ ، فَانْصَرَفَ وَقَدْ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ وَانْبَسَطَ جَأْشُهُ ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ . فَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ : تَسْمِيَةُ بَعْضِ الْجِبَالِ الَّتِي أُبْهِمَتْ فِي رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ ، وَتَقْلِيلُ مُدَّةِ الْفَتْرَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" .

وقد أشار العديدُ من العلماء إلى تهافُت ما جاء في رواية الزُّهري من بلاغاته ، وأنَّها لا تقوم بها حجَّة ...

قال الدُّكتور محمَّد أبو شهبة في كتابه : السِّيرة النَّبويَّة في ضوء القرآن والسُّنَّة (١/ ٢٦٥-٢٦٦ ببعض الاختصار والتَّصرُّف) في تعليقه على الرِّواية : " هذه الرِّواية ليست على شرط الصَّحيح ، لأنَّها من البلاغات ، وهي من قبيل المنقطع ، والمنقطع من قبيل الضَّعيف ، والبخاري لا يخرِّج إلَّا الأحاديث المسندة المتَّصلة برواية العدول الضَّابطين، ولعلَّ البخاري ذكرها لينبِّهنا إلى مخالفتها لما صحَّ عنده من حديث بدء الوحي الذي لم تذكر فيه هذه الزِّيادة ...

إنَّ ما استفاض من سيرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يردُّ ذلك . فقد حدثت له حالات أثناء الدَّعوة إلى ربِّه أشدّ وأقسى من هذه الحالة ، فما فكر في الانتحار بأن يُلقي نفسه من شاهق جبل أو يبخع نفسه...

إنَّنا لا ننكر أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حصلت له حالة أسى وحزن عميقين على انقطاع الوحي خشية أن يكون ذلك عدم رضا من الله ، وهو الذي كان يهوّن عليه كلَّ شي من لأواء الحياة وشرائرها ما دام في سبيل الله وفيه رضا الله... وليس أدلَّ على ضعف هذه الزِّيادة وتهافتها من أنَّ جبريل كان يقول للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلَّما أوفى بذروة جبل : يا محمَّد إنَّك رسول الله حقّاً ، وأنَّه كرَّر ذلك مراراً، ولو صحَّ هذا لكانت مرّة واحدة تكفي في تثبيت النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصرفه عمَّا حدَّثته به نفسه كما زعموا " .

قلت : والمتمعِّن في الرِّواية يجد أنَّها رواية باطلة لـ :

١- أنَّها تخالف أصلَ العِصمة النَّبويَّة ، فمحاولة الانتحار التي تضمَّنتها الرِّواية ، لا تستقيم مع جلال النُّبوَّة...

٢- لو بلغ حزن النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ فتُور الوحي عنه المبلغ الذي ذكرته الرِّواية لكان في ظهور جبريل عليه السَّلام مرَّة واحدة كفاية له كي يتأكد أنَّه رسول ، فلا معنىٰ إذن لأن يبلغ الحزن فيه مبلغاً يحاول معه الانتحار .

٣- أنَّ الحديث رواه مسلم (برقم١٦١) وغيره من غير ذكر لمحاولة الانتحار .

٤- أنَّ النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجاب عائشة حين قالت له: " هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي " أخرجه البخاري (٤/ ١١٥ برقم٣٢٣١) .

فلو كانت مكابدته وحزنه أعظم ممَّا لقيه يوم العقبة لذكر ...

٥- أنّ الرِّواية تفرَّد بها معمر دون يونس وعقيل ، فهي شاذَّة .

٦- أنَّها من بلاغات الزُّهري ، وليست موصولة ، فهي مُرسلة ، والمُرسل من أقسام الضَّعيف ، ومُرسل الزُّهري كما هو معلوم من أضعف المراسيل ، قال الذَّهبي في " السِّير " (٥/ ٣٣٨-٣٣٩) : " قَالَ يَحْيَىٰ بنُ سَعِيْدٍ القَطَّانُ: مُرْسَلُ الزُّهْرِيِّ شَرٌّ مِنْ مُرْسَلِ غَيْرِهِ؛ لأَنَّهُ حَافِظٌ، وَكُلُّ مَا قَدِرَ أَنْ يُسَمِّيَ سَمَّىٰ، وَإِنَّمَا يَتْرُكُ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَنْ يُسَمِّيَه. قُلْتُ: مَرَاسِيْلُ الزُّهْرِيِّ كَالمُعْضَلِ؛ لأَنَّهُ يَكُوْنُ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ اثْنَانِ، وَلاَ يَسُوغُ أَنْ نَظُنَّ بِهِ أَنَّهُ أَسقَطَ الصَّحَابِيَّ فَقَطْ، وَلَوْ كَانَ عِنْده عَنْ صَحَابِيٍّ لأَوضَحَهُ، وَلَمَا عَجِزَ عَنْ وَصْلِهِ، وَلَوْ أَنَّهُ يَقُوْلُ: عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَنْ عَدَّ مُرْسَلَ الزُّهْرِيِّ كَمُرْسَلِ سَعِيْدِ بنِ المُسَيِّبِ، وَعُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، وَنَحْوِهِمَا، فَإِنَّهُ لَمْ يَدرِ مَا يَقُوْلُ، نَعَمْ، مُرْسَلُه كَمُرْسَلِ قَتَادَةَ، وَنَحْوِه. أَبُو حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ أَبِي شُرَيْحٍ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: إِرسَالُ الزُّهْرِيِّ لَيْسَ بِشَيْءٍ، لأَنَّا نَجِدُه يَرْوِي عَنْ سُلَيْمَانَ بنِ أَرْقَمَ " .

ومن المعلوم أنّ صحيح البخاري اشتمل علىٰ الأحاديث المُسندة، وهذه لا شكَّ في صحَّتها، كما اشتمل علىٰ العديد من المعلَّقات ، وبعضها ضعيف ، وكذا علىٰ البلاغات الضَّعيفة ، ورواية الزُّهري السَّابقة إحداها .

ثَانِيَاً : روىٰ ابن سعد في الطَّبقات الكبرىٰ (١/ ٩٤) بسنده عن ابن عبَّاس أنّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نزل عليه الوحي بحراء مكث أيَّاماً لا يرىٰ جبريل ، فحزن حزناً شديداً حتىٰ كان يغدو إلىٰ ثبير مرَّة وإلىٰ حراء مرَّة ، يريد أن يُلقي نفسه منه ، فبينا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كذلك عامداً لبعض تلك الجبال إلىٰ أن سمع صوتاً من السَّماء...

والحديث ضعيف لأنَّه من رواية محمَّد بن عمر الواقدي ، حاله معروفه : قال عنه البخاري : متروك الحديث ، تركه أحمد ، وابن المبارك ، وابن نمير ، وإسماعيل بن زكريَّا ، وكذَّبه أحمد ، وقال يحيىٰ بن معين : ضعيف ليس بشيء ، وكذَّبه النَّسائي ، وقال ابن عدي : أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه ، وقال ابن المديني : عنده عشرون ألف حديث يعني ما لها أصل ، وقال بندار :ما رأيت أكذب منه، وقال إسحق بن راهويه : هو عندي ممَّن يضع ، وتركه أبو زرعة الرَّازي وأبو بشر الدُّولابي والعقيلي. وقال أبو حاتم : حديثه منكر ، واتَّهمه بوضع الحديث... انظر: تهذيب التَّهذيب (٩/ ٣١٥-٣١٧) ، الوافي بالوفيات (٤/١٦٨-١٦٩) ، ديوان الضُّعفاء والمتروكين (٢/ ٣٢٥-٣٢٦) ، ،كتاب الضُّعفاء الكبير (٤/١٠٧-١٠٩) ، سير أعلام النُّبلاء (٩/ ٤٥٤ فما بعدها) ، تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال (٢٦/ ١٨٠ فما بعدها) .

وإبراهيم بن محمَّد بن أبي موسىٰ لم أتبيَّنه....

أمَّا داوود بن الحصين ، فضعيف، قال سفيان بن عيينة : كنَّا نتَّقي حديثه . وقال أبو زرعة: ليِّن، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، ولولا أنَّ مالكاً روىٰ عنه لترك حديثه ، وضعَّفه عبَّاس الدُّوري ، وتكلَّم التِّرمذي في حفظه ، وله غرائب تُنكر عليه ، وقال السَّاجي : منكر الحديث ، وقال الجوزجاني : لا يحمد النَّاس حديثه ، وعاب غير واحد علىٰ مالك الرِّواية عنه ، وقال أحمد بن عدي : صالح الحديث إذا روىٰ عنه ثقة فهو صالح الرِّواية إلَّا أن يروي عنه ضعيف ، فيكون البلاء منه. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال (٣/ ٦-٨) ، سير أعلام النُّبلاء (٦/ ١٠٦) ، الوافي بالوفيات (١٣/ ٢٩١) ، تهذيب التَّهذيب (٣/ ١٦٣-١٦٤) ، كتاب الضُّعفاء الكبير (٢/ ٣٥-٣٦) ، ديوان الضُّعفاء والمتروكين (١/ ٢٦٨) ، تهذيب الكمال (٨/ ٣٧٩-٣٨١) . وعليه فالحديث ضعيف...

ثَالِثَاً : روىٰ الطَّبري في تاريخه (٢٢/٢٩٨) بسنده عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا ابتدئ به رسول الله ص مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، كَانَتْ تَجِيءُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، فَكَانَ بغار بحراء يَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ فَجَأَهُ الْحَقُّ، [فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِّ! قَالَ رَسُولُ الله ص: فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتَيَّ وَأَنَا قَائِمٌ، ثُمَّ زَحَفْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي! حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِّ قَالَ: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حَالِقٍ مِنْ جَبَلٍ، فَتَبَدَّىٰ لِي حِينَ هَمَمْتُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جِبْرِيلُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِّ ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَتَّنِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» ، فَقَرَأْتُ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ ... " .

والحديث ضعيف ، ففي سنده :

١- النُّعمان بن راشد الجزري: قال علي بن المديني : ذكره يحيىٰ القطَّان فضعَّفه جدَّاً ، وقال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عنه فقال : مضطرب الحديث ، روىٰ أحاديث مناكير ، وقال ابن معين : ضعيف ، وقال مرَّة : ليس بشيء. وقال البخاري وأبو حاتم : في حديثه وهمٌ كثير ، وقال ابن أبي حاتم : أدخله البخاري في الضُّعفاء ، وقال أبو داوود : ضعيف ، وقال النَّسائي : ضعيف كثير الغلط ، وقال في موضع آخر ، أحاديثه مقلوبه . وقال النَّسائي: صدوقٌ فيه ضعف ، وقال ابن معين: ضعيف مضطرب الحديث . وقال العقيلي: ليس بالقوي يعرف منه الضَّعف. انظر: تهذيب التَّهذيب (١٠/ ٤٠٤) ، كتاب الضُّعفاء الكبير (٤/٢٦٨) ، ديوان الضُّعفاء والمتروكين (٢/ ٤٠٤) .

٢- أنَّ نصَّ الحديث مخالف لجميع النُّصوص التي رويت في الصِّحاح والسُّنن ، والتي جاء فيها قول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل : ما أنا بقارئ ، ولم يقل له كما جاء في هذه الرِّواية : ما أقرأ ؟ فالرِّواية منكرة.

٣- ثمَّ إنَّ الرِّواية مخالفة للنُّصوص الصَّحيحة الواردة في الصِّحاح والسُّنن والتي جاء فيها أنَّ نزول سورة (إقرأ) كانت منذ مفاجأة جبريل لسيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليس في المرَّة الثانية، كما جاء في هذه الرِّواية ، وهذا ممَّا يؤكِّد نكارتها .

٤- وأخيراً ، فإنَّ هذه الرِّواية توضِّح أنَّ همَّ النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطرح نفسه من أعالي الجبال ، كان قبل أن ينـزل عليه القرآن ، فحتَّىٰ هذا الأمر المرفوض نقلاً وعقلاً دخله الاضطراب ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله...

رَابِعًا: روىٰ الطَّبري في تاريخه (٢/ ٣٠٠-٣٠١) بسنده عن ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَىٰ آلِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ: حَدِّثْنَا يَا عُبَيْدُ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النُّبوَّة حين جاء جبريل عليه السَّلام ؟ فَقَالَ عُبَيْدٌ- وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ الزُّبَيْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ: كَانَ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجاور في حراء من كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّثَ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ... فكان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعِمُ من جاءه من المساكين، فإذا قضىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِوارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ، كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ- إِذَا انْصَرَفَ مِنْ جِوارِهِ- الْكَعْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا، أَوْ مَا شَاءَ اللهَّ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ بَيْتِهِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، مِنَ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ فِيهَا، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، خَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ حِرَاءٍ- كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِجِوارِهِ- مَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللهَّ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ وَرُحِمَ الْعِبَادُ بِهَا، جَاءَهُ جبريل بأمر الله ،فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ، فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَقْرَأُ ؟ فَغَتَّنِي، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ وَمَا أَقُولُ ذَلِكَ إلا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ إِلَيَّ بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، قَالَ: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾** إِلَىٰ قَوْلِهِ: **﴿عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾** ، قَالَ: فَقَرَأْتُهُ، قَالَ: ثُمَّ انْتَهَىٰ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي، وَكَأَنَّمَا كُتِبَ فِي قَلْبِي كِتَابًا .

قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ مِنْ خَلْقِ اللهَّ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ شَاعِرٍ أَوْ مَجْنُونٍ، كُنْتُ لا أُطِيقُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِمَا، قَالَ: قُلْتُ إِنَّ الأَبْعَدَ- يَعْنِي نَفْسَهُ- لَشَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، لا تُحَدِّثُ بِهَا عَنِّي قُرَيْشٌ أَبَدًا! لأَعْمَدَنَّ إِلَىٰ حَالِقٍ مِنَ الْجَبَلِ فَلأَطْرَحَنَّ نَفْسِي مِنْهُ فَلأَقْتُلَنَّهَا فَلأَسْتَرِيحَنَّ ... " . والحديث منكر ، اشتمل علىٰ ألوان من الألفاظ المنكرة :

١- قوله : ما أقرأ ، وهذا مخالف لعشرات الرِّوايات التي قال فيها النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسيِّدنا جبريل عليه السَّلام : ما أنا بقارئ .

٢- قوله : فقرأته ، وهذا أيضاً مخالف للرِّوايات التي نصَّت علىٰ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات وهو أمّيٌّ لم يقرأ ولم يكتب .

٣- أنَّ الرِّواية نصَّت علىٰ أنَّ جبريل جاءه وهو نائم ، وهذا مخالف للرِّوايات الصَّحيحة التي أثبتت أنَّ جبريل جاءه في حالة اليقظة... فمتن الحديث فيه نكارة ، كما أنَّ السَّند فيه :

١- إرسال عبيد بن عمير ، وهو تابعي وليس صحابيّاً .انظر ترجمته في: تهذيب التَّهذيب (٧/ ٦٤) ، سير أعلام النُّبلاء (٤/ ١٥٦-١٥٧) .

٢- محمَّد بن حميد الرَّازي ، قال يعقوب بن أبي شيبة : كثير المناكير ، وقال البخاري: في حديثه نظر ، وقال النَّسائي : ليس بثقة ، وقال الجوزجاني : رديء المذهب غير ثقة ، وقال صالح بن محمّد الأسدي : كلّ شيء كان يحدِّثنا ابن حميد كنَّا نتَّهمه فيه ، وقال في موضع آخر : كانت أحاديثه تزيد وما رأيت أحداً أجرأ علىٰ الله منه ، كان يأخذ أحاديث النَّاس فيقلب بعضه علىٰ بعض ، وقال أيضاً : ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين : سليمان الشَّاذكوني ، ومحمَّد بن حميد ، وقال أبو نعيم بن عدي : سمعت أبا حاتم الرَّازي في منـزله وعنده ابن خراش وجماعة من مشايخ أهل الريّ وحفَّاظهم ، فذكروا ابن حميد فأجمعوا علىٰ أنَّه ضعيف في الحديث جدَّاً ، وأنَّه يحدِّث بما لم يسمعه ، وقال النَّسائي: ليس بشيء، وقال عنه في موضع آخر : كذَّاب ، وقال أبو زرعة : كذَّاب ، وقال الذَّهبي : وهو مع إمامته منكر الحديث ، صاحب عجائب . انظر: تهذيب التَّهذيب (٩/ ١٠٩-١١١) ، الوافي بالوفيات (٣/ ٢٤) ، كتاب الضُّعفاء الكبير (٤/ ٦٠) ، ديوان الضُّعفاء والمتروكين (٢/ ٢٩٣) ، سير أعلام النُّبلاء (١١/ ٥٠٣-٥٠٦) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ١٠١-١٠٨) ، ميزان الاعتدال (٦/ ١٢٦-١٢٧) .

٣- سلمة بن الفضل الأبرش ، قال البخاري: عنده مناكير ، وهَّنه علي _ أي ابن المديني _ ، ثمَّ قال علي: ما خرجنا من الريّ حتىٰ رمينا بحديثه ، وكذَّبه أبو زرعة ، وقال أبو حاتم : في حديثه إنكار ، وقال النَّسائي : ضعيف. وقال أبو حاتم : يُكتب حديثه ولا يُحتجُّ به . انظر : ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٣-٢٧٤) ، لسان الميزان (٣/ ٨٢) ، كتاب الضُّعفاء الكبير (٢/ ١٥٠) ، الوافي بالوفيات (١٥/ ٢٠٠) ، تهذيب التَّهذيب (٤/ ١٣٨-١٣٩) .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ فُتُوْرِ الوَحْيِ الأَوَّل ؟

الجواب : من المعلوم أنَّ القرآن أُنزل على النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يتحنَّث في غار حراء ، وأوَّل ما أنزل عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالىٰ : **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾** [العلق:١-٥] .

وأخرج البخاري (١/ ٧ برقم ٣) ومسلم (١/ ١٣٩ برقم ١٦٠) بسندهم عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَك فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» ، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾** [العلق: ١-٣] "، وكان ذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة أربعين بعد الفيل .

فأوّل سورة أنزلت على النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي سورة (اقرأ) ، وهذا الاسم هو الذي اشتهرت به هذه السُّورة في عهد السَّلف الصَّالح ، وجاءت تسميتها بهذا الاسم علىٰ لسان السيِّدة عائشة ، رضي الله عنها . فقد روىٰ الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٠ برقم ٢٨٧٣، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرّجاه ، ووافقه الذَّهبي في التَّخليص) بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: " أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾** [العلق: ١] . ثمَّ سُمِّيت بعد في المصاحف بسورة العلق ، لاشتمال السُّورة علىٰ لفظ العلق ...

وبعد نزول هذه السُّورة الكريمة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غار حراء ، فتر الوحيُ عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومعنىٰ فتوره : تأخُّره عنه عليه الصَّلاة والسَّلام... .

وقد تباينت أقوال العلماء في تحديد المدَّة التي فتر فيها الوحيُ عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورأيت خلطاً واضحاً للعلماء بين المدَّة التي فتر فيها الوحي بعد نزول سورة (اقْرَأ) والمدَّة التي فتر فيها الوحي قبل نزول سورة "الضُّحَىٰ" ، إذ من الثَّابت أنَّ الوحي فتر عن النّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّتين : الأولىٰ : قبل

نزول سورة المدثِّر ، والثَّانية : قبل نزول سورة الضُّحَىٰ ، وتراوحت أقوال العلماء في تحديد مدَّة الفتور الأوَّل ما بين أيَّام إلى ثلاثة أعوام ...

قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٣٠/٣٩٦) : " وَاحْتِبَاسُ الْوَحْيِ عَنِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَعَ مَرَّتَيْنِ:

أُوْلَاهُمَا: قَبْلَ نُزُولِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ أَوِ الْمُزَّمِّلِ، أَيْ بَعْدَ نُزُولِ سُورَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ ثَلَاثٍ عَلَى الْخِلَافِ فِي الْأَسْبَقِ مِنْ سُورَتَيِ الْمُزَّمِّلِ وَالْمُدَّثِّرِ، وَتِلْكَ الْفَتْرَةُ هِيَ الَّتِي خَشِيَ

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ قَدِ انْقَطَعَ عَنْهُ الْوَحْيُ، وَهِيَ الَّتِي رَأَى عَقِبَهَا جِبْرِيلَ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مُدَّةَ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ فِي الْفَتْرَةِ الْأُولَى كَانَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا الْمُشْرِكُونَ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي مَبْدَأِ نُزُولِ الْوَحْيِ قَبْلَ أَنْ يَشِيعَ الْحَدِيثُ بَيْنَهُمْ فِيهِ وَقَبْلَ أَنْ يَقُومَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ لَيْلًا.

وَثَانِيَتُهُمَا: فَتْرَةٌ بَعْدَ نُزُولِ نَحْوٍ مِنْ ثَمَانِ سُوَرٍ، أَيِ السُّوَرِ الَّتِي نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَتْرَةِ الْأُولَى فتكُونُ بَعْدَ تَجَمُّعِ عَشْرِ سُوَرٍ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ هَذِهِ السُّورَةُ حَادِيَةَ عَشْرَةَ فَيَتَوَافَقُ ذَلِكَ مَعَ عَدَدِهَا فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ " .

فالقول بأنَّ مدَّة الفترة الأولى كانت أربعين يوماً ، هو أحد الأقوال المنقولة في هذه المسألة.

وقال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (١/٢٧) : " وَقَعَ فِي تَارِيخِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ مُدَّةَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ كَانَت ثَلَاث سِنِين ، وَبِه جزم بن إِسْحَاق ، وَحَكَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ مُدَّةَ الرُّؤْيَا كَانَتْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَعَلَى هَذَا فَابْتِدَاءُ النُّبُوَّةِ بِالرُّؤْيَا وَقَعَ مِنْ شَهْرِ مَوْلِدِهِ وَهُوَ رَبِيعٌ الْأَوَّلُ بَعْدَ إِكْمَالِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَابْتِدَاءُ وَحْيِ الْيَقَظَةِ وَقَعَ فِي رَمَضَانَ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِفَتْرَةِ الْوَحْيِ الْمُقَدَّرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَهِيَ مَا بَيْنَ نُزُولِ أقرأ وَيَا أَيهَا المدثّر عَدَمَ مَجِيءِ جِبْرِيلَ إِلَيْهِ بَلْ تَأَخُّرُ نُزُولِ الْقُرْآنَ فَقَطْ ، ثُمَّ رَاجَعْتُ الْمَنْقُولَ عَنِ الشَّعْبِيِّ مِنْ تَارِيخِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَلَفْظُهُ مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ : أنزلت عَلَيْهِ النُّبُوَّة وَهُوَ بن أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقُرِنَ بِنُبُوَّتِهِ إِسْرَافِيلُ ثَلَاثَ سِنِينَ ، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ سِنِينَ قُرِنَ بِنُبُوَّتِهِ جِبْرِيلُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانه عشْرين سنة . وَأخرجه بن أَبِي خَيْثَمَةَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مُخْتَصَرًا عَنْ دَاوُدَ بِلَفْظِ : بُعِثَ لِأَرْبَعِينَ ، وَوُكِّلَ بِهِ إِسْرَافِيلُ ثَلَاثَ سِنِينَ ثُمَّ وُكِّلَ بِهِ جِبْرِيلُ ، فَعَلَى هَذَا فَيَحْسُنُ بِهَذَا الْمُرْسَلِ إِنْ

ثَبَتَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي قَدْرِ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ بَعْدَ الْبَعْثَةِ ، فَقَدْ قِيلَ : ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَقِيلَ : عَشْرٌ وَلَا يَتَعَلَّقُ ذَلِكَ بِقَدْرِ مُدَّةِ الْفَتْرَةِ ، وَاللهُ أعلم .

وَقد حكىٰ بن التِّينِ هَذِهِ الْقِصَّةَ لَكِنْ وَقَعَ عِنْدَهُ مِيكَائِيلُ بَدَلَ إِسْرَافِيلَ ، وَأَنْكَرَ الْوَاقِدِيُّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ الْمُرْسَلَةَ ، وَقَالَ : لَمْ يُقْرَنْ بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا جِبْرِيلُ ، انْتَهَىٰ .

وَلَا يَخْفَىٰ مَا فِيهِ ، فَإِنَّ الْمُثْبِتَ مُقَدَّمٌ عَلَىٰ النَّافِي إِلَّا إِنْ صَحِبَ النَّافِيَ دَلِيلُ نَفْيِهِ فَيُقَدَّمُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ . وَأَخَذَ السُّهَيْلِيُّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ فَجَمَعَ بِهَا الْمُخْتَلِفَ فِي مُكْثِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، فَإِنَّهُ قَالَ : جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْمُسْنَدَةِ أَنَّ مُدَّةَ الْفَتْرَةِ سَنَتَانِ وَنِصْفٌ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ أَنَّ مُدَّةَ الرُّؤْيَا سِتَّةُ أَشْهُرٍ ، فَمَنْ قَالَ : مَكَثَ عَشْرَ سِنِينَ حَذَفَ مُدَّةَ الرُّؤْيَا وَالْفَتْرَةَ ، وَمَنْ قَالَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ أَضَافَهُمَا ، وَهَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ السُّهَيْلِيُّ مِنَ الِاحْتِجَاجِ بِمُرْسَلِ الشَّعْبِيِّ لَا يثبت ، وَقد عَارضه مَا جَاءَ عَن بن عَبَّاسٍ أَنَّ مُدَّةَ الْفَتْرَةِ الْمَذْكُورَةِ كَانَتْ أَيَّامًا " .

قلت : هذا ما قاله الحافظ ونقله عن جمع من أهل العلم ، ولنا عليه مؤآخذتان:

١ – أمَّا مسألة قَرْن إسرافيل بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث سنين ، فهذا مِمَّا لا دليل عليه ، بل المحفوظ عن أهل العلم أنَّه لم يقرن به غير جبريل ، قال ابن سعد في " الطَّبقات" (١/ ١٥٠) : " فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ: لَيْسَ يَعْرِفُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِبَلَدِنَا أَنَّ إِسْرَافِيلَ قُرِنَ بِالنَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَإِنَّ عُلَمَاءَهُمْ وَأَهْلَ السِّيرَةِ مِنْهُمْ يَقُولُونَ لَمْ يُقْرَنْ بِهِ غَيْرُ جِبْرِيلَ مِنْ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ إِلَىٰ أَنْ قُبِضَ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، لأنَّ جبريل هو صاحب الوحي إلىٰ أنبياء الله تعالىٰ ورسله... .

وقول الحافظ في اعتراضه علىٰ الواقدي: " ولا يخفىٰ ما فيه، فإنَّ المثبت مقدَّم علىٰ النَّافي..." كلام غريب ، لأنَّ كلام الشَّعبي كلام غير مُسند ، وكلام العلماء ليس حجَّة في ديننا ، فالحقُّ لا يُعرف بالرِّجال إنَّما يُعرف الرِّجال بالحقِّ ، فالرِّواية مرسلة ، وشاذَّة ، والمُرسل كما هو معلوم من أقسام الضَّعيف... .

٢– وأمَّا ما نقله الحافظ عن السُّهيلي، فهو كسابقه ضعيف ، فقد بناه علىٰ كلام الشَّعبي السَّابق ، وما بُني علىٰ الضَّعيف فهو ضعيف ، علىٰ أنَّني وجدت الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٧١٠) يؤكِّد في موضع آخر علىٰ أنَّ الحقَّ في مدَّة الفتور الأوَّل دامت أيَّاماً فقط ، وأنَّ ما سوىٰ ذلك من الرِّوايات لا يثبت...

وعلىٰ كلِّ حال ، فإنَّ الرِّوايات المنقولة حدَّدت الفترة الأولىٰ بثلاث سنين أو بسنتين ، أو بأيَّام...

قال صفيُّ الرَّحمن المباركفوري في " الرَّحيق المختوم " (ص٥٨) : " أمَّا مدَّة فترة الوحي فروىٰ ابن سعد عن ابن عبَّاس ما يفيد أنَّها كانت أيَّاماً ، وهذا الذي يترجَّح بل يتعيَّن بعد إدارة النَّظر في جميع الجوانب. وأمَّا ما اشتهر من أنَّها دامت طيلة ثلاثة سنين أو سنتين ونصف فلا يصحّ بحال، وليس هذا موضع التَّفصيل في ردِّه " .

وذهب الإمام الألوسي في روح المعاني (٣٧٦/١٥) إلىٰ أنَّ الوقوف علىٰ المدَّة التي استغرقها فتور الوحي الأوَّل لا يمكن إلَّا من خلال كلام المعصوم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يحدِّد زمان لذلك ، فقال : " وأنت تعلم أنَّ مثل ذلك ممَّا يتفاوت العلم بمبدئه ، ولا يكاد يعلم علىٰ التَّحقيق إلَّا منه عليه الصَّلاة والسَّلام ، والله تعالىٰ أعلم " .

وقد غاب عن الجميع أنَّ النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمنا بما من خلاله نستطيع التَّعرُّف علىٰ المدَّة التي انقطع فيها الوحي في المرَّة الأولىٰ ، وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٤٤ برقم ١٦١) بسنده عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ - يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر: ٢] " .

قال النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٢٠٨/٢) : " قوله "فإذا هو علىٰ العرش في الهواء" المراد بالعرش الكرسي، كما تقدّم من الرِّواية الأخرىٰ : " علىٰ كرسي بين السَّماء والأرض.

فالنَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاور بحراء شهراً ، وفي هذه الفترة كان الوحي منقطعاً عنه ، بدليل نزول سورة المُدثِّر عقبها ، وفي أثناء رجوعه إلىٰ بيته رأىٰ جبريل علىٰ هيئته الملائكيَّة ، فلو فرضنا أنَّ النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عانىٰ من حرّ الشَّوق لجبريل عدداً من الأيَّام هرع بعدها لمناجاة ربِّه لكان في ذلك ما يؤكّد علىٰ أنَّ المدَّة التي فَترَ فيها الوحي عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تزيد علىٰ أربعين يوماً ، والله أعلم .

فهذه الفترة هي التي خشي فيها الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون الوحي قد انقطع عنه ، وهو الفتور الأوَّل عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفيه حزن حزناً عميقاً ، وحقَّ له أن يحزن ، لأنَّه بالوحي اتَّصل

بفاطر الأرض والسَّموات ، فسمت روحه ، واشرأبَّت نفسه لذلك اللقاء العظيم، وقد أحزنه عليه الصَّلاة والسَّلام ، بحسب الطَّبيعة البشريَّة ، تعيير المشركين إيَّاه بانقطاع الوحي عنه...

وعلى كلِّ حال ، فإنَّ في فتور الوحي عن النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك المدَّة من الزَّمان حكمة أرادها الله تعالىٰ من ذلكم الفتور، قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (١٢/ ٣٦٠) : " أَنَّ عَادَةَ اللهَّ جَرَتْ بِأَنَّ الْأَمْرَ الْجَلِيلَ إِذَا قُضِيَ بِإِيصَالِهِ إِلَىٰ الْخَلْقِ أَنْ يَقْدَمَهُ تَرْشِيحٌ وَتَأْسِيسٌ ، فَكَانَ مَا يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ وَمَحَبَّةِ الْخَلْوَةِ وَالتَّعَبُّدِ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا فَجِئَهُ الْمَلَك فَجِئَهُ بَغْتَةً أَمْرٌ خَالَفَ الْعَادَةَ وَالْمَأْلُوفَ فَنَفَرَ طَبْعُهُ الْبَشَرِيُّ مِنْهُ ، وَهَالَهُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ التَّأَمُّلِ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، لِأَنَّ النُّبُوَّةَ لَا تُزِيلُ طِبَاعَ الْبَشَرِيَّةِ كُلَّهَا ، فَلَا يُتَعَجَّبُ أَنْ يَجْزَعَ مِمَّا لَمْ يَأْلَفْهُ ، وَيَنْفِرَ طَبْعُهُ مِنْهُ ، حَتَّىٰ إِذَا تَدَرَّجَ عَلَيْهِ وَأَلِفَهُ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ ، فَلِذَلِكَ رَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ الَّتِي أَلِفَ تَأْنِيسَهَا لَهُ فَأَعْلَمَهَا بِمَا وَقَعَ لَهُ فَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ خَشْيَتَهُ بِمَا عَرَفَتْهُ مِنْ أَخْلَاقِهِ الْكَرِيمَةِ وَطَرِيقَتِهِ الْحَسَنَةِ ، فَأَرَادَتِ الِاسْتِظْهَارَ بِمَسِيرِهَا بِهِ إِلَىٰ وَرَقَةَ لِمَعْرِفَتِهَا بِصِدْقِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَقِرَاءَتِهِ الْكُتُبَ الْقَدِيمَةَ ، فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُ أَيْقَنَ بِالْحَقِّ وَاعْتَرَفَ بِهِ ، ثُمَّ كَانَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ تَأْسِيسِ النُّبُوَّةِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ لِيَتَدَرَّجَ فِيهِ وَيَمْرُنَ عَلَيْهِ ف، َشَقَّ عَلَيْهِ فُتُورُهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ خُوطِبَ عَنِ اللهَّ بَعْدُ أَنَّكَ رَسُولٌ مِنَ اللهَّ وَمَبْعُوثٌ إِلَىٰ عِبَادِهِ ، فَأَشْفَقَ أَنْ يَكُونَ ذَلِك أَمر بُدِئَ بِهِ ثُمَّ لَمْ يَرِدِ اسْتِفْهَامُهُ ، فَحَزِنَ لِذَلِكَ ، حَتَّىٰ تَدَرَّجَ عَلَىٰ احْتِمَالِ أَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ وَالصَّبْرِ عَلَىٰ ثِقَلِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ فَتَحَ اللهَّ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ بِمَا فَتَحَ " .

وقال الحافظ في موضع آخر من " الفتح " (١/ ٢٧) : " وَكَانَ ذَلِكَ لِيَذْهَبَ مَا كَانَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَهُ مِنَ الرَّوْعِ وَلِيَحْصُلَ لَهُ التَّشَوُّفُ إِلَىٰ الْعَوْدِ " .

وقال الشَّيخ الخضري في " نور اليقين " (ص٢٧) في بيان الحكمة من الفُتور : " ... ليشتدَّ شوق الرَّسول للوحي ، وقد كان ..." .

فذهاب الخوف والفزع الذي وجده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما فجأه جبريل في غار حراء أوَّل مرَّة ، وحصول الشَّوق ، والتَّرقُّب لنـزوله ثانياً ، وتربية النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الصَّبر وتحمُّل الأعباء ، من أعظم حِكَم فتور الوحي عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ جبريل عليه السَّلام ما كـان ينـزل علىٰ قلب الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا بأمر الله تعالىٰ الذي لا يسأل عمَّا يفعل وهم يسألون . فقد روي البخاري (٤/ ١١٢ برقم ٣٢١٨) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ: «أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟» ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤] الآيَةَ .

﴿سُؤَالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ فُتُوْرِ الوَحْيِ الثَّانِي ؟

الجواب : اختلف العلماءُ في تحديد المدَّة الثَّانية التي فتر فيها الوحي عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، علىٰ أقوال عديدة:

١- قيل: خمسة عشر يوماً، وهذا مرويّ عن ابن عبَّاس ، في إحدىٰ الرِّوايتين عنه (انظر: التحرير واالتنوير (٣٠/ ٢٤٩) ، تفسير البغوي (ص١٤١٥) ، تفسير الخازن (٦/ ٤٤٤) ، حاشية الصّاوي علىٰ الجلالين (٦/ ٢٩٥) ، تفسير الجلالين (ص٥٩٦) ، زاد المسير في علم التفسير (ص٨٩١) .

٢- وقيل: أربعين يوماً، وهذا مرويّ عن مقاتل، وعكرمة، والفرَّاء، والسّدِّي، والكلبي، والضحَّاك (انظر: زاد المسير ، (ص٨٩١) ، تفسير البغوي (ص١٤١٥) ، معاني القرآن (٣/ ٢٧٣) ، الصَّاوي علىٰ تفسير الجلالين (٦/ ٢٩٥) ، التفسير الكبير (٣١/ ١٩٠) ، روح المعاني (١٥/ ٣٧٦) ، تفسير الخازن (٦/ ٤٤٤) .

٣- وقيل: اثنا عشر يوماً، وهذا مرويّ عن مقاتل أيضاً ، وابن جريج (انظر: تفسير الخازن (٦/ ٤٤٤) ، تفسير البغوي (ص١٤١٥) ، روح المعاني (١٥/ ٣٧٦) ، تفسير الرازي (٣١/ ١٩٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٢) ، حاشية الصّاوي علىٰ تفسير الجلالين (٦/ ٢٩٥) .

٤- وقيل: خمسة وعشرون يوماً، وهذا مرويّ عن ابن عبَّاس ، في الرِّواية الثَّانية عنه ، والثَّعلبي (انظر: تفسير الرازي (٣١/ ٩٠) ، تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٢) .

٥- وقيل: ثلاثة أيَّام، وهذا مرويّ عن مقاتل أيضاً (انظر: تفسير مقاتل (٤/ ٢٢٢) .

هذه هي الأقوال التي وقفت عليها في تحديد الفترة الثَّانية لفتور الوحي ، والنَّاظر فيها يجد :

أَوَّلاً : أنَّها أقوال متشابكة مختلطة مع الأقوال الواردة في مدَّة الفترة الأولىٰ .

ثَانِيَاً : أنَّ الكثير منها لا يخلو من مقال... .

وقد عقَّب الحافظ ابن حجر عليها فقال: " وكلّ هذه الرِّوايات لا تثبت ، والحقّ أنَّ الفترة المذكورة في سبب نزول "والضُّحىٰ" غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي ، فإنَّ تلك دامت أيَّاماً ، وهذه لم تكن إلَّا ليلتين أو ثلاثاً ، فاختلطتا علىٰ بعض الرُّواة ، وتحرير الأمر ما بيَّنته" (فتح الباري ، ٨/ ٧١٠) .

ففتور الوحي عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمرَّة الثَّانية ثابت ، جاءت به الرِّوايات الصَّحيحة والآثار ، وقد أعقبه الله تعالىٰ بإنزال سورة الضُّحىٰ علىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٣٠/ ٣٩٦) : " وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ عَقِبَ فَتْرَةٍ ثَانِيَةٍ فَتَرَ فِيهَا الْوَحْيُ بَعْدَ الْفَتْرَةِ الَّتِي نَزَلَتْ إِثْرَهَا سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ: «احْتَبَسَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا أَوْ نَحْوَهَا. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ» .

جاء في " السِّيرة النَّبويَّة " لابن هشام (١/ ٢٤١) : " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتْرَةً مِنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَحْزَنَهُ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ الضُّحَىٰ، يُقْسِمُ لَهُ رَبُّهُ، وَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ، مَا وَدَّعَهُ وَمَا قَلَاهُ " ، وليبطل " قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ إِذْ زَعَمُوا أَنَّ مَا يَأْتِي مِنَ الْوَحْيِ لِلنَّبِيءِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ انْقَطَعَ عَنْهُ.

وَزَادَهُ بِشَارَةً بِأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْأُولَى عَلَىٰ مَعْنَيَيْنِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. وَأَنَّهُ سَيُعْطِيهِ رَبُّهُ مَا فِيهِ رِضَاهُ. وَذَلِكَ يَغِيظُ الْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ ذَكَّرَهُ اللَّهُ بِمَا حَفَّهُ بِهِ مِنْ أَلْطَافِهِ وَعِنَايَتِهِ فِيبل صِبَاهُ وَفِي فُتُوَّتِهِ وَفِي وَقْتِ اكْتِهَالِهِ وَأَمَرَهُ بِالشُّكْرِ عَلَىٰ تِلْكَ النِّعَمِ بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ نَفْعٍ لِعَبِيدِهِ وَثَنَاءٍ عَلَىٰ اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ " . انظر : التَّحرير والتَّنوير (٣٠/ ٣٩٤) .

قول المشركين إذ زعموا أنّ ما يأتي من الوحي للنبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد انقطع عنه.

وقد اختلف العلماء في السَّبب الذي لأجله فتر الوحي عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء في بعض الأخبار أنَّ ثمَّة أسباب ماديَّة وقفت حاجزاً أمام نزول الوحي ، زادت علىٰ عشرة أسباب ، مع أنَّ الكثير منها لا يخلو من مقال ، وقد تكلَّم العلماء علىٰ العديد منها ، ومن الرِّوايات التي ذكرت في ذلك :

الأُوْلَى : روىٰ البخاري (٦/ ١٧٢ برقم ٤٩٥٠) ومسلم (٣/ ١٤٢٢ برقم ١٧٩٧) سندهما عن جُنْدَبَ بْنَ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثًا -» ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثَةٍ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾** [الضحىٰ: ٢] .

الثَّانِيَة : ما رواه التِّرمذي (٥/ ٢٩٩ برقم ٣٣٤٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) بسنده عَنْ جُنْدَبٍ البَجَلِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَارٍ، فَدَمِيَتْ إِصْبَعُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ ، قَالَ: وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ وُدِّعَ مُحَمَّدٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾ .

والرِّواية أخرجها البخاري (٤/ ١٨ برقم ٢٨٠٢) ومسلم (٣/ ١٤٢١ برقم ١٧٩٦) من غير ذكر لكونها سبباً للنُّزول... قال الإمام ابن كثير في التَّفسير (٨/ ٤٢٤) في تعليقه على الرِّواية : "... وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ هَاهُنَا جَعْلُهُ سَبَبًا لِتَرْكِهِ الْقِيَامِ، وَنُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ " ؟

الثَّالِثَة : ما رواه الحاكم في " المستدرك " (٢/ ٥٧٣ برقم ٣٩٤٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ كَمَا حَدَّثَنَاهُ هَذَا الشَّيْخُ إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ لَهُ عِلَّةً) بسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ إِلَى ﴿**وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا**﴾ [المسد: ٥] حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قَالَ: فَقِيلَ لِامْرَأَةِ أَبِي لَهَبٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ هَجَاكِ فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَلَأِ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا تَهْجُونِي؟ قَالَ: فَقَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا هَجَوْتُكِ مَا هَجَاكِ إِلَّا اللهُ» قَالَ: فَقَالَتْ: هَلْ رَأَيْتَنِي أَحْمِلُ حَطَبًا أَوْ رَأَيْتَ فِي جِيدِي حَبْلًا مِنْ مَسَدٍ؟ ثُمَّ انْطَلَقَتْ، فَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامًا لَا يُنَزَّلُ عَلَيْهِ فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ مَا أَرَىٰ صَاحِبَكَ إِلَّا قَدْ وَدَّعَكَ وَقَلَاكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾ [الضحى: ١]

الرَّابِعَةُ : ما رواه ابن جرير الطَّبري في " التَّفسير " (٢٤٤٨٧) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾ [الضحى: ٣] قَالَ: لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أَبْطَأَ عَنْهُ جِبْرِيلُ أَيَّامًا، فَعُيِّرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾ [الضحى: ٣]

الخَامِسَةُ : ما رواه البيهقي في " دلائل النُّبوَّة (٧/ ٦١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رَأَيْتُ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَىٰ أُمَّتِي بَعْدِي، كَفْرًا كَفْرًا فَسَرَّنِي ذَلِكَ. فَنَزَلَتْ: وَالضُّحىٰ، وَاللَّيْلِ إِذا سَجىٰ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ. إِلَىٰ قَوْلِهِ:.. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى ".

السَّادِسَةُ : ما رواه الطَّبراني في " المعجم الكبير " (٢٤/ ٢٤٩ برقم ٦٣٦) بسنده عن حَفْصُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَتْنِي أُمِّي، عَنْ أُمِّهَا، وَكَانَتْ خَادِمَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ جِرْوًا دَخَلَ الْبَيْتَ وَدَخَلَ تَحْتَ السَّرِيرِ وَمَاتَ فَمَكَثَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيَّامًا لَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَقَالَ: " يَا

خَوْلَةُ مَا حَدَثَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ جِبْرِيلُ لَا يَأْتِينِي فَهَلْ حَدَثَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حَدَثٌ فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا أَتَىٰ عَلَيْنَا يَوْمٌ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِنَا فَأَخَذَ بُرْدَهُ فَلَبِسَهُ وَخَرَجَ فَقُلْتُ: لَوْ هَيَّأْتُ الْبَيْتَ، وكَنَسْتَهُ فَأَهْوَيْتُ بِالْمِكْنَسَةِ تَحْتَ السَّرِيرِ فَإِذَا شَيْءٌ ثَقِيلٌ فَلَمْ أَزَلْ حَتَّىٰ أَخْرَجْتُهُ فَإِذَا بِجِرْوٍ مَيِّتٍ فَأَخَذْتُهُ بِيَدِي فَأَلْقَيْتُهُ خَلْفَ الدَّارِ فَجَاءَ نَبِيُّ اللهِ تَرْعَدُ لَحْيَيْهِ، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الْوَحْيُ أَخَذَتْهُ الرِّعْدَةُ فَقَالَ: " يَا خَوْلَةُ دَثِّرِينِي فَأَنْزَلَ اللهُ: " **﴿وَالضُّحَى* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ، وَمَا قَلَى﴾** [الضحى: ١-٣] " . قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٨/ ٧١٠) في تعليقه على هذه الرِّواية : " وَوَجَدْتُ الْآنَ فِي الطَّبَرَانِيِّ بِإِسْنَادٍ فِيهِ مَنْ لَا يُعْرَفُ أَنَّ سَبَبَ نُزُولِهَا وُجُودُ جَرْوِ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ فَأَبْطَأَ عَنْهُ جِبْرِيلُ لِذَلِكَ ، وَقِصَّةُ إِبْطَاءِ جِبْرِيلَ بِسَبَبِ كَوْنِ الْكَلْبِ تَحْتَ سَرِيرِهِ مَشْهُورَةٌ لَكِنْ كَوْنُهَا سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ غَرِيبٌ بَلْ شَاذٌّ مَرْدُودٌ بِمَا فِي الصَّحِيحِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

السَّابِعَة : ما رواه البيهقي في " دلائل النُّبوَّة " (٧/ ٦٠) بسنده عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ خَدِيجَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا أَبْطَأَ عَلَىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيُ، جَزِعَ مِنْ ذَلِكَ جَزَعًا شَدِيدًا فَقُلْتُ لَهُ مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ: لَقَدْ قَلَاكَ رَبُّكَ مِمَّا يَرَىٰ مِنْ جَزَعِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ " . قال البيهقي : " فِي هَذَا الْإِسْنَادِ انْقِطَاعٌ فَإِنْ صَحَّ فَقَوْلُ خَدِيجَةَ يَكُونُ عَلَىٰ طَرِيقِ السُّؤال أَوِ الِاهْتِمَامِ بِهِ " .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٨/ ٤٢٥) عن هذه الرِّواية : " حَدِيثٌ مُرْسَلٌ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ وَلَعَلَّ ذِكْرَ خَدِيجَةَ لَيْسَ مَحْفُوظًا، أَوْ قَالَتْهُ عَلَىٰ وَجْهِ التَّأَسُّفِ وَالتَّحَزُّنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ" .

بأنَّها مرسلة ، ولعلَّ ذكر خديجة ليس محفوظاً ، أو قالته على سبيل التَّأسُّف والتَّحزُّن ، والله أعلم (تفسير ابن كثير (ص١٨٥٢) .

وقال الإمام الألوسي في " روح المعاني " (١٥/ ٣٧٧) : " والقول بأنَّها رضي الله تعالىٰ عنها أرادت أنَّ هذا الجزع لا ينبغي أن يكون إلّا من قلىٰ ربِّك إيَّاك وحاشىٰ أن يقلاك فما هذا الجزع بعيد غاية البُعد ، والمعوَّل ما عليه الجمهور وصحَّت به الأخبار أنَّ القائل هم المشركون" .

الثَّامِنَة : ما روي عن الحسن أنَّه قال : أبطأ الوحي علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال لخديجة : إنّ ربّي ودّعني وقلاني " يشكو إليها، فقالت : كلَّا والذي بعثك بالحقِّ ما ابتدأك الله تعالىٰ بهذه الكرامة إلَّا وهو سبحانه يريد أن يتمَّها لك ، فنـزلت " انظر: روح المعاني (١٥/ ٣٧٦) ، تفسير الرَّازي (٣١/ ١٩١) .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٣١/ ١٩٢) : " طَعَنَ الْأُصُولِيُّونَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِالرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ وَدَّعَهُ وَقَلَاهُ، بَلْ يَعْلَمُ أَنَّ عَزْلَ النَّبِيِّ عَنِ النُّبُوَّةِ غَيْرُ جَائِزٍ فِي حِكْمَةِ اللهَّ تَعَالَىٰ، وَيَعْلَمُ أَنَّ نُزُولَ الْوَحْيِ يَكُونُ بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ، وَرُبَّمَا كَانَ الصَّلَاحُ تَأْخِيرَهُ، وَرُبَّمَا كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ، فَثَبَتَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ غَيْرُ لَائِقٍ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ إِنْ صَحَّ ذَلِكَ يُحْمَلُ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ مَقْصُودُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يُجَرِّبَهَا لِيَعْرِفَ قَدْرَ عِلْمِهَا، أَوْ لِيَعْرِفَ النَّاسُ قَدْرَ عِلْمِهَا" .

وبمثل ما قال الإمام الرَّازي قال الإمام الألوسي ، ثمَّ عقَّب علىٰ ما قال بقوله : " وأنت تعلم أنَّ هذه الرِّواية شاذَّة لا يعوَّل عليها ولا يلتفت إليها فلا ينبغي إتعاب الذِّهن بتأويلها" . انظر : روح المعاني (١٥/ ٣٧٧) .

التَّاسِعَة : ما رواه الطَّبراني في التَّفسير (٦/ ٥١٥) عن ابن عبَّاس وقتادة: لَمَّا سألت اليهود رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرُّوح ، وعن ذي القرنين ، وأصحاب الكهف ، قال لهم : "سأخبركم غداً" ، ولم يقل : إنشاء الله ، فاحتبس الوحي عنه ، وأبطأ عنه جبريل خمس عشرة ليلة لتركه الاستثناء ، فقال المشركون والمنافقون : إنَّ محمَّداً ودَّعه ربُّه وقلاه ، فأنزل الله هذه السُّورة تكذيباً لهم ، وأقسم ببياض النَّهار وسواد الليل أنَّه سبحانه لم يودِّعه ولم يقله .

هذه هي أشهر الرِّوايات الواردة في سبب نزول سورة الضُّحىٰ ... تلك السُّورة التي سبقها انقطاع للوحي عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والحقّ أنَّ الكثير منها لا يخلو من مقال ، وقد تكلَّم العلماء عليها ، وأنَّ الثَّابت منها ما جاء في الرِّواية الأولىٰ التي أخرجها الشَّيخان ...

قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٣٠/ ٣٩٦) : " وَالِاخْتِلَافُ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ يَدُلُّ عَلَىٰ عَدَمِ وُضُوحِهِ لِلرُّوَاةِ، فَالَّذِي نَظُنُّهُ أَنَّ احْتِبَاسَ الْوَحْيِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ كَانَ لِمُدَّةِ نَحْوٍ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَأَنَّهُ مَا كَانَ إِلَّا لِلرِّفْقِ بِالنَّبِيءِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْ تَسْتَجِمَّ نَفْسُهُ وَتَعْتَادَ قُوَّتُهُ تَحَمُّلَ أَعْبَاءِ الْوَحْيِ إِذْ كَانَتِ الْفَتْرَةُ الْأُولَىٰ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ كَانَتِ الثَّانِيَةُ اثْنَىٰ عَشَرَ يَوْمًا أَوْ نَحْوَهَا، فَيَكُونُ نُزُولُ سُورَةِ الضُّحَىٰ هُوَ النُّزُولَ الثَّالِثَ، وَفِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ يَحْصُلُ الِارْتِيَاضُ فِي الْأُمُورِ الشَّاقَّةِ وَلِذَلِكَ يَكْثُرُ الْأَمْرُ بِتَكَرُّرِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ ثَلَاثًا، وَبِهَذَا الْوَجْهِ يُجْمَعُ بَيْنَ مُخْتَلِفِ الْأَخْبَارِ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ وَسَبَبِ نُزُولِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ" .

وبعد استعراض الرِّوايات السَّابقة التي حدَّدت مدَّة الانقطاع يتبيَّن لنا ما يأتي:

حدَّدت الرِّواية الأولى والثَّانية مدَّة الانقطاع بليلتين أو ثلاثاً ، وحدَّدتها الرِّواية الثَّالثة والرَّابعة والسَّادسة بأيَّام ، وأشارت الرِّوايات السَّابعة والثَّامنة إلى إبطاء الوحي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبهمة العدد ، أمَّا الرِّواية التَّاسعة فحدَّدت المدَّة بخمس عشرة ليلة...

ومن المعلوم أنَّ الأيَّام جمع قلَّة، يدلُّ على قلَّة عدد تلك الأيَّام ، فالمدَّة التي فَتَرَ فيها الوحي عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تتجاوز خمس عشرة ليلة ، فهي محصورة بين ليلتين أو ثلاثاً إلى خمس عشرة ليلة ، وبذلك يُجمع بين الأخبار ، والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ رَقَى جِبْرِيْلُ الرَّسُوْلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

الجواب : روى مسلم (٤/ ١٧١٨ برقم ٢١٨٦) بسنده عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٤/ ١٧٠) عند شرحه للحديث " (بسم اللهَّ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ) هَذَا تصريح بالرقى بِأَسْمَاءِ اللهَّ تَعَالَى وَفِيهِ تَوْكِيدُ الرُّقْيَةِ وَالدُّعَاءِ وَتَكْرِيرُهُ وَقَوْلُهُ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ قِيلَ يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّفْسِ نَفْسُ الْآدَمِيِّ وَقِيلَ يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْعَيْنُ فَإِنَّ النَّفْسَ تُطْلَقُ عَلَى الْعَيْنِ وَيُقَالُ رَجُلٌ نَفُوسٌ إِذَا كان يصيب الناس بعينه كَمَا قَالَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ وَيَكُونُ قَوْلُهُ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ مِنْ بَابِ التَّوْكِيدِ بِلَفْظٍ مُخْتَلِفٍ أَوْ شَكًّا مِنَ الرَّاوِي فِي لَفْظِهِ وَاللهَّ أَعْلَمُ " .

وروى أحمد في " المسند" (١٧/ ٣٢٣ برقم ١١٢٢٥) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اشْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: " بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، وَعَيْنٍ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي نضْرة –وهو المنذر بن مالك العبْدي العوقي– فمن رجال مسلم، وهو ثقة " .

وروى أحمد في " المسند" (٣٧/ ٤١٩ برقم ٢٢٧٥٩) بسنده عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعُودُهُ، وَبِهِ مِنَ الْوَجَعِ مَا يَعْلَمُ اللهُ شِدَّةً ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَشِيِّ، وَقَدْ بَرِئَ أَحْسَنَ بُرْءٍ فَقُلْتُ لَهُ: دَخَلْتُ عَلَيْكَ غُدْوَةً وَبِكَ مِنَ الْوَجَعِ مَا يَعْلَمُ اللهُ شِدَّةً، وَدَخَلْتُ عَلَيْكَ الْعَشِيَّةَ وَقَدْ بَرِئْتَ. فَقَالَ: " يَا ابْنَ الصَّامِتِ إِنَّ جِبْرِيلَ رَقَانِي بِرُقْيَةٍ بَرِئْتُ أَلَا أُعَلِّمُكَهَا؟ " قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: " بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ،

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ: مِنْ حَسَدِ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، بِاسْمِ اللهِ يَشْفِيكَ ". قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عبد الرحمن – وهو ابن ثابت ابن ثوبان– ، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ أَيَّدَ اللهُ تَعَالَى الرَّسُوْلَ بِالمَلَائِكَةِ وَهُوَ بِالغَار ؟

الجواب : نعم ، قال الله تعالىٰ : **﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة:٤٠] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" : " **﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾** : يَقُولُ: وَقَوَّاهُ بِجُنُودٍ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ تَرَوْهَا أَنْتُمْ " .

وقال الإمام الزَّجَّاج في " معاني القرآن وإعرابه " (٢/ ٤٤٩) : "أَيَّده بملائكة يَصْرِفون وجوهَ الكُفَار وأَبْصَارَهُمْ عن أَنْ يَرَوْه " .

وقال الإمام مكِّي بن بن أبي طالب في " الهداية إلىٰ بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره" (٤/ ٣٠٠٢-٣٠٠٣) : " وقوله: **﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾** " الهاء " عائدة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أي: قوَّاه بالملائكة " .

وقال الإمام الواحدي في " الوسيط في تفسير القرآن المجيد " (٢/ ٤٤٩) : " وقوله: **﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾** قال ابن عبَّاس: وقوَّاه بالملائكة يدعون الله له ، والهاء عائدة على النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الزَّجَّاج: أَيَّده بملائكة يصرفون وجوه الكفَّار وأبصارهم عن أن يروه" .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير " (٢/ ٢٦١) : "قوله تعالىٰ: **﴿وَأَيَّدَهُ﴾** ، أي: قوّاه، يعني النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا خلاف . **﴿بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها﴾** وهم الملائكة. ومتىٰ كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، قاله ابن عباس. والثاني: لما كان في الغار، صَرفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، قاله الزَّجَّاج.

فان قيل: إذا وقع الاتِّفاق أنَّ هاء الكناية في «أيده» ترجع إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكيف تفارقها هاء «عليه» وهما متَّفقان في نظم الكلام؟

فالجواب: أنَّ كل حرف يُردُّ إلىٰ الأليق به، والسَّكينة إنَّما يَحتاج إليها المنزعج، ولم يكن النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزعجاً. فأمَّا التأييد بالملائكة، فلم يكن إلَّا للنَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونظير هذا قوله تعالىٰ:

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨] يعني النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتُسَبِّحُوهُ يعني الله عزَّ وجلَّ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٨/ ١٤٩) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها﴾ أَيْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَالْكِنَايَةُ فِي قَوْلِهِ" وَأَيَّدَهُ" تَرْجِعُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالضَّمِيرَانِ يَخْتَلِفَانِ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ حِمَايَةُ المَلَائِكَةِ لِلرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّتِهِ مَعَ أَبِي جَهل هيَ مِنْ بَابِ العِصْمَة ؟

الجواب : نعم داخلة ضمن عصمته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النَّاس ... فقد روىٰ مسلم (٤/ ٢١٥٤ برقم ٢٧٩٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَة عُضْوًا عُضْوًا» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٧/ ١٤٠) : " قَوْلُهُ : "إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لخندقا من نار وهو لا وَأَجْنِحَةً كَأَجْنِحَةِ الْمَلَائِكَةِ" ، وَلِهَذَا الْحَدِيثِ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ فِي عِصْمَتِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ أَرَادَ بِهِ ضَرَرًا ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ حَرَسَتِ المَلَائِكَةُ الرَّسُوْلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٥/ ٩٦ برقم ٤٠٥٤) ومسلم (٤/ ١٨٠٢ برقم ٢٣٠٦) بسندهما عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ» .

وروىٰ مسلم (٤/ ١٨٠٢ برقم ٢٣٠٦) بسنده عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» .

وروىٰ أبو يعلىٰ في " المسند" (١/ ٣٧٩ برقم ٤٨٩) بسنده عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: كُنْتُ عَلَىٰ قَلِيبٍ يَوْمَ بَدْرٍ أَمِيحُ أَوْ أَمْتَحُ مِنْهُ، فَجَاءَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ جَاءَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، شَدِيدَةٌ، لَمْ أَرَ رِيحًا أَشَدَّ مِنْهَا إِلاَّ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا، ثُمَّ جَاءَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَكَانَتِ الأُولَىٰ: مِيكَائِيلَ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ صَلىٰ الله عَلَيهِ وسَلمَ، وَالثَّانِيَةُ: إِسْرَافِيلَ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ عَنْ يَسَارِ النَّبِيِّ صَلىٰ الله عَلَيهِ وسَلمَ، وَالثَّالِثَةُ: جِبْرِيلَ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ يَمِينِهِ، وَكُنْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا هَزَمَ اللهُ الْكُفَّارَ، حَمَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلىٰ الله عَلَيهِ وسَلمَ عَلَىٰ فَرَسٍ، فَلَمَّا اسْتَوَيْتُ عَلَيْهِ، حَمَلَ بِي فَصِرْتُ عَلَىٰ عُنُقِهِ فَدَعَوْتُ اللهَ، فَثَبَّتَنِي عَلَيْهِ، فَطَعَنْتُ بِرُمْحِي حَتَّىٰ بَلَغَ الدَّمُ إِبْطِي" . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد" (٦/ ٧٦-٧٧برقم٩٩٥٥) " رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ " .

قال الإمام أحمد بن عمر القرطبي في " المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٦/ ١٠٠-١٠١) : " وقول سعد " رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ ، يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ" ، قال، يعني: جبريل وميكائيل صلَّىٰ الله عليهما وسلَّم رؤية سعد رضي الله عنه لهذين المَلَكين في ذلك اليوم: كرامة من الله تعالىٰ خصَّه بها، كما قد خصَّ عمران بن حصين بتسليم الملائكة عليه، وأُسيد بن حضير برؤية الملائكة الذين تنزَّلوا لقراءة القرآن، وقتال الملائكة للكفَّار يوم بدر، ويوم أُحُد لم يخرج عن عادة القتال المعتاد بين النَّاس، ولو أذن الله تعالىٰ لملك من أولئك الملائكة بأن يصيح صيحة واحدة في عسكر العدو لهلكوا في لحظة واحدة، أو لخسف بهم موضعهم، أو أسقط عليهم قطعة من الجبل المطل عليهم، لكن لو كان ذلك: لصار الخبر عيانًا، والإيمان بالغيب مشاهدة، فيبطل سرّ التَّكليف، فلا يتوجَّه لوم، ولا تعنيف، كما قد صرَّح الله تعالىٰ بذلك قولًا وذكرًا، إذ قال: **﴿يَومَ يَأتِي بَعضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفسًا إِيمَانُهَا لَم تَكُن آمَنَت مِن قَبلُ أَو كَسَبَت فِي إِيمَانِهَا خَيرًا﴾** " .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١٥/ ٦٦) في شرحه للحديث : " فِيهِ بَيَانُ كَرَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِكْرَامِهِ إِيَّاهُ بِإِنْزَالِ الْمَلَائِكَةِ تُقَاتِلُ مَعَهُ وَبَيَانُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُقَاتِلُ وَأَنَّ قِتَالَهُمْ لَمْ يَخْتَصَّ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَهَذَا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاص فَهَذَا صَرِيحٌ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ وَفِيهِ فَضِيلَةُ الثِّيَابِ الْبِيضِ وَأَنَّ رُؤْيَةَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَخْتَصُّ بِالْأَنْبِيَاءِ بَلْ يَرَاهُمُ الصَّحَابَةُ وَالْأَوْلِيَاءُ وَفِيهِ مَنْقَبَةٌ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ الَّذِي رَأَىٰ الْمَلَائِكَةَ والله أعلم" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٤/ ١٩٥) : " ... فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ ثَبَتَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ عَنْ يمين رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ يَسَارِهِ يَوْمَ بَدْرٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ أَشَدَّ الْقِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ. قِيلَ لَهُ: لَعَلَّ هَذَا مُخْتَصٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَصَّهُ بِمَلَكَيْنِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِمْدَادًا لِلصَّحَابَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ مِيْكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ كَانَا مَعَ أَبِيْ بَكْرٍ وَعَلِيٍّ يَوْمَ بَدر ؟

الجواب : روى أحمد في المسند (٢/ ٤١١ برقم ١٢٥٧) بسنده عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْحَنَفِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: " قِيلَ لِعَلِيٍّ، وَلِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ: مَعَ أَحَدِكُمَا جِبْرِيلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ - أَوْ قَالَ: يَشْهَدُ الصَّفَّ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٦/ ٨٢ برقم ٩٩٨١) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ بِنَحْوِهِ وَالْبَزَّارُ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَرِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى "، وقال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشَّيخين غير أبي صالح الحنفي- واسمه عبد الرَّحمن بن قيس- فمن رجال مسلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ حَارَبَتِ المَلَائِكَةُ مَعَ المُؤمِنِيْن ؟

الجواب : اختلف العلماء في هذه المسألة ، فمنهم من قال بأنَّ الملائكة قاتلت مع المؤمنين ، وقال البعض الآخر بأنَّها لم تُقاتل ، وقال البعض بأنَّهم لم يقاتلوا إلَّا في بدر ، وقال آخرون بأنَّهم لم يُقاتلوا ، وإنَّما كانت مع المؤمنين كي تطمئن بهم قلوبهم وتشدّ من أزرهم ، فوجود الملائكة مهم كان بمثابة تأييد معنوي ، ولم يقاتلوا مع المؤمنين قتالاً فعليَّاً ... وحاصل ما في جواب السُّؤال نُجمله في النِّقاط التَّالية :

أَوَّلَاً : من الآيات التي تكلَّمت عن مَدَد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ *ص لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾** [آل عمران: ١٢٤] .

وقوله تعالى في سورة الأنفال : **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا**

الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٠] .

ثَانِياً : اختلف العلماء في عدد الملائكة الذين أمدَّ الله تعالىٰ بهم المؤمنين ... وقد ناقش المسألة الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٢/ ١١٢-١١٣) ، فقال : " اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الْوَعْدِ: هَلْ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أَوْ يَوْمَ أُحُدٍ؟ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ ، ورُوِيَ هَذَا عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَعَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، والرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَغَيْرِهِمْ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

قَالَ عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ﴾ ، قَالَ: هَذَا يَوْمُ بَدْرٍ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وُهَيْب عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ - يَعْنِي الشَّعْبِيَّ-أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَلَغَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ أَنَّ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ يُمِدّ الْمُشْرِكِينَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنزلِينَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مُسَوِّمِيْن﴾ ، قَالَ: فَبَلَغَتْ كُرْزًا الْهَزِيمَةُ، فَلَمْ يُمِدَّ الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ يُمِدَّ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْخَمْسَةِ. (رواه ابن أبي حاتم في " التَّفسير " (٣/ ٧٥٢ برقم ٤٠٩٥)، والأثر صحَّحة الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٧/ ٢٨٥) .

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: أَمَدَّ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَلْفٍ، ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ - عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ- وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ بَدْرٍ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٩-١٠] فَالْجَوَابُ: أَنَّ التَّنْصِيصَ عَلَىٰ الْأَلْفِ هَاهُنَا لَا يُنَافِي الثَّلَاثَةَ الْآلَافَ فَمَا فَوْقَهَا، لِقَوْلِهِ: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بِمَعْنَىٰ يَرْدَفُهم غيرُهم ويَتْبَعهم أُلُوفٌ أُخَرُ مِثْلُهُمْ. وَهَذَا السِّيَاقُ شَبِيهٌ بِهَذَا السِّيَاقِ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ. فَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ أَنَّ قِتَالَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّمَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَةَ: أَمَدَّ الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف .

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الْوَعْدَ متعَلق بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ ، وَذَلِكَ يَوْمُ أُحُد. وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وعِكْرِمة، والضَّحَّاك، وَالزُّهْرِيِّ، وَمُوسَىٰ بْنِ عُقبة وَغَيْرِهِمْ. لَكِنْ قَالُوا: لَمْ

يَحْصُلِ الْإِمْدَادُ بِالْخَمْسَةِ الْآلَافِ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ فَرُّوا يَوْمَئِذٍ - زَادَ عِكْرِمَةُ: وَلَا بِالثَّلَاثَةِ الْآلَافِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا**﴾ ، فَلَمْ يَصْبِرُوا، بَلْ فَرُّوا، فَلَمْ يُمَدُّوا بِمَلَكٍ وَاحِدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا**﴾ ، يَعْنِي: تَصْبِرُوا عَلَىٰ مُصَابرة عَدُوّكم وَتَتَّقُونِي وَتُطِيعُوا أَمْرِي.

وَقَوْلُهُ: ﴿**وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا**﴾ ، قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ، والسُّدِّي: أَيْ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو صَالِحٍ: أَيْ مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مِنْ غَضَبِهِمْ وَوَجْهِهِمْ. وَقَالَ الْعَوْفِيّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مِنْ سَفَرِهِمْ هَذَا. وَيُقَالُ: مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿**يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ ، أَيْ: مُعَلَّمِينَ بالسِّيما " .

وقال الإمام الرَّاغب الأصفهاني في "التَّفسير " (٣/ ٨٤٥-٨٤٦) : " قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ : الضَّمير في قوله: ﴿**جَعَلَهُ**﴾ للإمداد والوعد، ونبَّه أنَّه إنَّما أراد بوعدهم وإمدادهم الملائكة نعمة عليهم، وهي مسرَّتهم وسكون جأشهم، فأمَّا النَّصر في الحقيقة فليس إلَّا منه بلا حاجة إلىٰ استعانة، وفيه حثٌّ أن لا يبالوا بمن تأخَّر عن نصرتهم ، وتنبيه أنَّه يعين تارة بالمدد وتارة بغير المدد، وأنَّه ناصر كلّ منصور أينما كان، وممَّن كان، إذ هو المسبِّب لجميعه، والفاعل الذي لا يستغني فاعل عنه، ثمَّ وصف نفسه بالعزَّة والحكمة تنبيهاً أنَّ كلّ عِزّ منه، وكلّ حكمة عنه " .

وقال الإمام ابن عطيَّة في " المحرَّر الوجيز " (١/ ٥٠٥) : ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ : الضَّمير في ﴿**جَعَلَهُ اللهُ** ﴾ عائد علىٰ الإنزال والإمداد، و«البشرىٰ» مصدر ، واللام في ﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ**﴾ متعلِّقة بفعل مُضمر يدلُّ عليه جعله، ومعنىٰ الآية: وما كان هذا الإمداد إلَّا لتستبشروا به وتطمئنّ به قلوبكم وتروا حفاية الله بكم، وإلَّا فالكثرة لا تغني شيئاً إلَّا أن ينصر الله، وقوله: ﴿**وَمَا النَّصْرُ**﴾ يُريد للمؤمنين، وكذلك أيضاً هي الإدالة للكفَّار من عند الله" .

ثَالِثاً : بشَّر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر وجموع المؤمنين بالمدد الإلهي ... فقد روىٰ البخاري (٥/ ٨١ برقم ٣٩٩٥) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ» .

قال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (٣/ ٣٤٤) : " وَلَمَّا تَنَزَّلَتِ الْمَلَائِكَةُ لِلنَّصْرِ وَرَآهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وبشَّر بِذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ وَقَالَ: " أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا جِبْرِيلُ يَقُودُ فَرَسَهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ " يَعْنِي مِنَ الْمَعْرَكَةِ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَرِيشِ فِي الدِّرْعِ فَجَعَلَ يُحَرِّضُ عَلَى الْقِتَالِ وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَيُشَجِّعُهُمْ بِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسُ بَعْدُ عَلَى مَصَافِّهِمْ لَمْ يَحْمِلُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ حَصَلَ لَهُمُ السَّكِينَةُ وَالطُّمَأْنِينَةُ وَقَدْ حَصَلَ النُّعَاسُ الَّذِي هُوَ دَلِيلٌ عَلَى الطُّمَأْنِينَةِ وَالثَّبَاتِ وَالْإِيمَانِ، كَمَا قَالَ: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ**﴾ ، وَهَذَا كَمَا حَصَلَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: النُّعَاسُ فِي الْمَصَافِّ مِنَ الْإِيمَانِ" .

رَابِعَاً : اختلف العلماء في كيفيَّة نُصرة الملائكة للمؤمنين ، قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١١/ ٦٩) : " ﴿**فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الأنفال: ١٢] يَقُولُ: قَوُّوا عَزْمَهُمْ، وَصَحِّحُوا نِيَّاتِهِمْ فِي قِتَالِ عَدُوِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَثْبِيتَ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ حُضُورَهُمْ حَرْبَهُمْ مَعَهُمْ، وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ مَعُونَتَهُمْ إِيَّاهُمْ بِقِتَالِ أَعْدَائِهِمْ، وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَلَكَ يَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ يَقُولُونَ: وَاللهِ لَئِنْ حَمَلُوا عَلَيْنَا لَنَنْكَشِفَنَّ، فَيُحَدِّثُ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، فَتَقْوَى أَنْفُسُهُمْ. قَالُوا: وَذَلِكَ كَانَ وَحْيَ اللهِ إِلَى مَلَائِكَتِهِ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٨/ ٣٥٢) : " اخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ نُصْرَةِ الْمَلَائِكَةِ قَالَ بَعْضُهُمْ: بِالْقِتَالِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بِتَقْوِيَةِ نُفُوسِهِمْ وَإِشْعَارِهِمْ بِأَنَّ النُّصْرَةَ لَهُمْ وَبِإِلْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْكُفَّارِ، وَالظَّاهِرُ فِي الْمَدَدِ أَنَّهُمْ يُشْرِكُونَ الْجَيْشَ فِي الْقِتَالِ إِنْ وَقَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ لَا تَقَعَ الْحَاجَةُ إِلَيْهِمْ فِي نَفْسِ الْقِتَالِ وَأَنْ يَكُونَ مُجَرَّدُ حُضُورِهِمْ كَافِيًا فِي تَقْوِيَةِ الْقَلْبِ، وَزَعَمَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُمْ قَاتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَلَمْ يُقَاتِلُوا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٤/ ١٩٤) : " وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانُوا يُقَاتِلُونَ وَكَانَتْ عَلَامَةُ ضَرْبِهِمْ فِي الْكُفَّارِ ظَاهِرَةً، لِأَنَّ كُلَّ مَوْضِعٍ أَصَابَتْ ضَرْبَتُهُمُ اشْتَعَلَتِ النَّارُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، حَتَّى إِنَّ أبا جهل قال لابن مسعود: أنت قتلني؟! إِنَّمَا قَتَلَنِي الَّذِي لَمْ يَصِلْ سِنَانِي إِلَى سُنْبُكِ فَرَسِهِ وَإِنِ اجْتَهَدْتَ. وَإِنَّمَا كَانَتِ الْفَائِدَةُ فِي كَثْرَةِ الْمَلَائِكَةِ لِتَسْكِينِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةَ مُجَاهِدِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَكُلُّ عَسْكَرٍ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَيُقَاتِلُونَ مَعَهُمْ " .

وقال في " الجامع لأحكام القرآن " (٧/ ٣٧٨) : " ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، أَيْ : بَشِّرُوهُمْ بِالنَّصْرِ أَوِ الْقِتَالِ مَعَهُمْ أَوِ الْحُضُورِ مَعَهُمْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، فَكَانَ الْمَلَكُ يَسِيرُ أَمَامَ الصَّفِّ فِي، صُورَةِ الرَّجُلِ وَيَقُولُ: سِيرُوا فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ. وَيَظُنُّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي" آلِ عِمْرَانَ" أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَاتَلَتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٤/ ٢٥) : " وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ خَفِيَّةٌ أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، لِيَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، وَهُوَ أَنَّهُ -تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَبَارَكَ وَتَمَجَّدَ- أَوْحَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمْ لِنَصْرِ نَبِيِّهِ وَدِينِهِ وَحِزْبِهِ الْمُؤْمِنِينَ، يُوحِي إِلَيْهِمْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَنْ يُثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَازِرُوهُمْ. وَقَالَ غَيْرُهُ: قَاتِلُوا مَعَهُمْ. وَقِيلَ: كَثِّرُوا سَوَادَهُمْ. وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَلَكَ كَانَ يَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ- يَقُولُونَ: "وَاللَّهِ لَئِنْ حَمَلُوا عَلَيْنَا لَنَنْكَشِفَنَّ"، فَيُحَدِّثُ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، فَتَقْوَى أَنْفُسُهُمْ حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَهَذَا لَفْظُهُ بِحُرُوفِهِ" .

خَامِسَاً : كان نزول الملائكة مَدَداً للمؤمنين في كلٍّ من : بدر، أُحُد ، حُنَيْن ، والخندق ، ولم تُقاتل إلَّا يوم بدر ، قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٨/ ٣٥١) : " أَجْمَعَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ وَالسِّيَرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْمَلَائِكَةَ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَنَّهُمْ قَاتَلُوا الْكُفَّارَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ سِوَى يَوْمِ بَدْرٍ وَفِيمَا سِوَاهُ كَانُوا عَدَدًا وَمَدَدًا لَا يُقَاتِلُونَ وَلَا يَضْرِبُونَ، وَهَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ" .

وقال الدُّكتور محمَّد الفضيل الشّبيهي الإدريسي الزّرهوني في " الفجر السَّاطع على الصَّحيح الجامع " (٤/ ٢٧-٢٨) : " أطبق أهلُ السِّير أنَّ نزول الملائكة للقتال مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما كان في بدر وأُحُد وحُنين . قال ابن كثير: "ولم تُقاتل إلَّا يوم بدر، وكانت فيما سواه مدداً" ، وبه قال ابن عبَّاس والجمهور، وهو الذي اختاره ابن مرزوق، لكن ثبت في الصَّحيحين أنَّ جبريل وميكائيل عليهما السَّلام كانا يقاتلان عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد ، وأجاب البيهقي وغيره بما حاصله أنَّ المنفي عن غير بدر القتال العام، والمثبت في أُحد القتال الخاصّ، فإنَّ جبريل وميكائيل إنَّما كانا يقاتلان أو يدافعان عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده، فلا تعارض" .

سَادِسَاً : مِنْ أهمِّ ما استشهد به القائلون بقتال الملائكة فِعْلِيَّاً مع المؤمنين ما رواه أحمد في " المسند "(٢/ ٢٦١ برقم ٩٤٨) بسنده عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا، فَاجْتَوَيْنَاهَا وَأَصَابَنَا بِهَا وَعْكٌ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا ... وفيه : " فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ، مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: " اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ " فَقَالَ عَلِيٌّ: " فَأَسَرْنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: الْعَبَّاسَ، وعَقِيلًا، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ " . وهذا الحديث يثبت مساعدة الملائكة في عمليَّة أسر أحد المشركين لا قتله.

وما رواه مسلم (٣/ ١٣٨٣ برقم ١٧٦٣) بسنده عَنْ سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، ح وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي أَبُو زُمَيْلٍ هُوَ سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ ... " .

وروىٰ أحمد في المسند (٣٩/ ١٩٥ برقم ٢٣٧٧٨) بسنده عَنْ رَجُلٍ، مِنْ بَنِي مَازِنٍ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازِنِيِّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَ: " إِنِّي لَأَتْبَعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأَضْرِبَهُ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي " . قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف لإبهام الواسطة بين إسحاق بن يسار والد محمد وبين أبي داود المازني. يزيد: هو ابن هارون. وأخرجه الدولابي في "الكنىٰ" (١/ ٦٩) عن أبي بكر مصعب بن عبد الله، عن يزيد بن هارون، بالإسناد الثاني. وأخرجه كذلك الطبري في "تفسيره" (٤/ ٧٧) من طريق سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، به. وهو في "سيرة ابن هشام" ٢/ ٢٨٦ عن ابن إسحاق بالإسناد الثاني " . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٣ برقم ٩٩٩١) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِيهِ رَجُلٌ لَمْ يُسَمَّ" .

ومن أشهر القائلين بقتال الملائكة مع المؤمنين الإمام ابن كثير ، فقد قال في " التَّفسير " (٢/ ١١٢) : " فَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ أَنَّ قِتَالَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّمَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ" .

قال الإمام الشَّهيد محمَّد سعيد رمضان البوطي في " فقه السِّيرة النَّبويَّة مع موجز لتاريخ الخلافة الرَّاشدة " (ص١٦٣- ١٦٤) : " (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر) : انطوت بدر علىٰ معجزة من أعظم معجزات التَّأييد والنَّصر للمسلمين الصَّادقين . فقد أمدَّ اللهُ المسلمين فيها بملائكة يقاتلون معهم. وهذه حقيقة ثبتت بدلالة صريحة من الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة. روىٰ ابن هشام أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خفق خفقة في العريش ثمَّ انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده علىٰ النَّقع» ورواه البخاري أيضاً بلفظ قريب منه .

ومن أوضح الأدلَّة القاطعة علىٰ أنَّ التَّعبير بالملائكة في بيان الله عزَّ وجلَّ ليس المقصود به ما يتوهَّمه بعضهم من المدد الرُّوحي أو القوَّة المعنويَّة أو نحو ذلك- أقول من أوضح الأدلَّة القاطعة علىٰ بطلان هذا الوهم- ضبط البيان الإلهي الملائكة بعدد محدود وهو الألف، في قوله عزَّ وجلَّ: **﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** [الأنفال ٨- ٩] . إذ العدد من مستلزمات الكم المنفصل في الأشياء، ولا يكون ذلك إلَّا في الأشياء المادِّيَّة المحسوسة.

ومن هنا نعلم أنَّ تقييد البيان الإلهي الملائكة بعدد معيَّن ينطوي علىٰ حكم باهرة من أجلِّها قطع السَّبيل علىٰ من يريد أن يتناول الآية، ويفسِّر الملائكة بالمعنىٰ الذي يروق له وهو مجرَّد الدَّعم المعنوي.

ثمَّ إنَّ نزول الملائكة للقتال مع المسلمين- إنَّما هو مجرَّد تطمين لقلوبهم، واستجابة حسية لشدَّة استغاثتهم اقتضاها أنَّهم يقفون مع أوَّل تجربة قتال في سبيل الله، لأناس يبلغون ثلاثة أضعافهم في العُدَّة والعدد. وإلَّا فإنَّ النَّصر من عند الله وحده، وليس للملائكة أيّ تأثير ذاتي في ذلك. ومن أجل بيان هذه الحقيقة قال الله

تعالىٰ معلّلاً نزول الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:١٠] .

سَابِعَاً : من أشهر المُنكرين لقتال الملائكة مع المؤمنين : أبو بكر الأصم ، واسمه عبد الرَّحمن بن كيسان الأصمّ (ت:٢٧٩هـ) ، قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٨/ ٣٥١-٣٥٢) : " وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ الْأَصَمُّ، فَإِنَّهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ:

الْحُجَّةُ الْأُولَى: إِنَّ المَلَكَ الْوَاحِدَ يَكْفِي فِي إِهْلَاكِ الْأَرْضِ، وَمِنَ الْمَشْهُورِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدْخَلَ جَنَاحَهُ تَحْتَ الْمَدَائِنِ الْأَرْبَعِ لِقَوْمِ لُوطٍ وَبَلَغَ جَنَاحُهُ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى السَّمَاءِ وقلب عاليها سَافِلَهَا، فَإِذَا حَضَرَ هُوَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى مُقَاتَلَةِ النَّاسِ مَعَ الْكُفَّارِ؟ ثُمَّ بِتَقْدِيرِ حُضُورِهِ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي إِرْسَالِ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ؟.

الْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ أَكَابِرَ الْكُفَّارِ كَانُوا مَشْهُورِينَ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُقَابِلُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْلُومٌ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ امْتَنَعَ إِسْنَادُ قَتْلِهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ.

الْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ: الْمَلَائِكَةُ لَوْ قَاتَلُوا لَكَانُوا إِمَّا أَنْ يَصِيرُوا بِحَيْثُ يَرَاهُمُ النَّاسُ أَوْ لَا يَرَاهُمُ النَّاسُ فَإِنْ رَآهُمُ النَّاسُ فَإِمَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمْ رَأَوْهُمْ فِي صُورَةِ النَّاسِ أَوْ فِي غَيْرِ صُورَةِ النَّاسِ، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ صَارَ الْمُشَاهَدُ مِنْ عَسْكَرِ الرَّسُولِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، أَوْ أَكْثَرَ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِذَلِكَ، وَلِأَنَّ هَذَا عَلَى خِلَافِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الْأَنْفَال: ٤٤] ، وَإِنْ شَاهَدُوهُمْ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُوَرِ النَّاسِ لَزِمَ وُقُوعُ الرُّعْبِ الشَّدِيدِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ فَإِنَّ مَنْ شَاهَدَ الْجِنَّ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَشْتَدُّ فَزَعُهُ وَلَمْ يُنْقَلْ ذَلِكَ أَلْبَتَّةَ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: وَهُوَ أَنَّ النَّاسَ مَا رَأَوُا الْمَلَائِكَةَ فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ: إِذَا حَارَبُوا وَحَزُّوا الرؤوس، وَمَزَّقُوا الْبُطُونَ وَأَسْقَطُوا الْكُفَّارَ عَنِ الْأَفْرَاسِ، فَحِينَئِذٍ النَّاسُ كَانُوا يُشَاهِدُونَ حُصُولَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ مَعَ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا شَاهَدُوا أَحَدًا مِنَ الْفَاعِلِينَ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ مِنْ أَعْظَمِ الْمُعْجِزَاتِ، وَحِينَئِذٍ يَجِبُ أَنْ يَصِيرَ الْجَاحِدُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ كَافِرًا مُتَمَرِّدًا، وَلَمَّا لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عُرِفَ فَسَادُ هَذَا الْقِسْمِ أَيْضًا.

الْحُجَّةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ نَزَلُوا، إِمَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا أَجْسَامًا كَثِيفَةً أَوْ لَطِيفَةً، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ وَجَبَ أَنْ يَرَاهُمُ الْكُلُّ وَأَنْ تَكُونَ رُؤْيَتُهُمْ كَرُؤْيَةِ غَيْرِهِمْ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَمْرَ مَا كَانَ كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانُوا

أَجْسَامًا لَطِيفَةً دَقِيقَةً مِثْلَ الْهَوَاءِ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ صَلَابَةٌ وَقُوَّةٌ، وَيَمْتَنِعُ كَوْنُهُمْ رَاكِبِينَ عَلَى الْخُيُولِ وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا تَرَوْنَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبْهَةَ إِنَّمَا تَلِيقُ بِمَنْ يُنْكِرُ الْقُرْآنَ وَالنُّبُوَّةَ، فَأَمَّا مَنْ يُقِرُّ بِهِمَا فَلَا يَلِيقُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَمَا كَانَ يَلِيقُ بِأَبِي بَكْرٍ الْأَصَمِّ إِنْكَارُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَعَ أَنَّ نَصَّ الْقُرْآنِ نَاطِقٌ بِهَا وَوُرُودُهَا فِي الْأَخْبَارِ قَرِيبٌ مِنَ التَّوَاتُرِ، رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَتْ قُرَيْشٌ مِنْ أُحُدٍ جَعَلُوا يَتَحَدَّثُونَ فِي أَنْدِيَتِهِمْ بِمَا ظَفِرُوا، وَيَقُولُونَ: لَمْ نَرَ الْخَيْلَ الْبُلْقَ وَلَا الرِّجَالَ الْبِيضَ الَّذِينَ كُنَّا نَرَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَالشُّبْهَةُ الْمَذْكُورَةُ إِذَا قَابَلْنَاهَا بِكَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى زَالَتْ وَطَاحَتْ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لِكَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ لِكَوْنِهِ مُنَزَّهًا عَنِ الْحَاجَاتِ" ...

ومن العلماء الذين ذهبوا إلى أنَّ الملائكة لم تقاتل مع المؤمنين قتالاً فعليّاً، الشَّيخ محمَّد رشيد رضا ...ففي تفسيره : " تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) " (٩/ ٥١٠) ذهب الأستاذ محمَّد رشيد بن علي رضا القلموني إلى أنَّ الملائكة لم تقاتل يوم بدر ، فقال : " مُقْتَضَى السِّيَاقِ أَنَّ وَحْيَ اللهِ لِلْمَلَائِكَةِ قَدْ تَمَّ بِأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِتَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَصْرُ فِي قَوْلِهِ عَنْ إِمْدَادِ الْمَلَائِكَةِ: **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى﴾** إِلَخْ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾** إِلَخْ. بَدْءُ كَلَامٍ خُوطِبَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنُونَ تَتِمَّةً لِلْبُشْرَى، فَيَكُونُ الْأَمْرُ بِالضَّرْبِ مُوَجَّهًا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ قَطْعًا، وَعَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ الَّذِينَ جَزَمُوا بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تُقَاتِلْ يَوْمَ بَدْرٍ تَبَعًا لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْآيَاتِ، وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا مِمَّا أُوحِيَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، وَتَأَوَّلَهُ هَؤُلَاءِ بِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِأَنْ يُلْقُوا هَذَا الْمَعْنَى فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِلْهَامِ، كَمَا كَانَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُهُمْ، وَيُلْقِي فِي قُلُوبِهِمْ ضِدَّهُ بِالْوَسْوَاسِ. وَلَا يُرَدُّ عَلَى الْأَوَّلِ مَا قِيلَ مِنْ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِلَّا إِذَا كَانَ الْخِطَابُ قَدْ وُجِّهَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ الْقِتَالِ، وَالسُّورَةُ قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَهُ - ؛ لِأَنَّ نُزُولَ السُّورَةِ بِنَظْمِهَا وَتَرْتِيبِهَا بَعْدَهُ لَا يُنَافِي حُصُولَ مَعَانِيهَا قَبْلَهُ وَفِي أَثْنَائِهِ، فَإِنَّ الْبِشَارَةَ بِالْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ وَمَا وَلِيَهُ قَدْ حَصَلَ قَبْلَ الْقِتَالِ، وَأَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ ذَكَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ بِإِنْزَالِ السُّورَةِ بِرُمَّتِهَا تَذْكِيرًا بِمِنَنِهِ، وَلَوْلَا هَذَا لَمْ تَكُنْ لِلْبِشَارَةِ تِلْكَ الْفَائِدَةُ، وَالْخِطَابُ فِي السِّيَاقِ كُلِّهِ مُوَجَّهٌ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ فِيهَا وَحْيَهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ بِمَا ذَكَرَ عَرَضًا. وَقَدْ غَفَلَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى الْأَلُوسِيُّ تَبَعًا لِغَيْرِهِ وَادَّعَى أَنَّ الْآيَةَ ظَاهِرَةٌ فِي قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ رِوَايَاتٌ ضَعِيفَةٌ

تَدُلُّ عَلَىٰ قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَعْبَأِ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَلَمْ يَجْعَلْهَا حَقِيقَةً أَنْ تُذْكَرَ، وَلَوْ لِتَرْجِيحِ غَيْرِهَا عَلَيْهَا.

وَمَا أَدْرِي أَيْنَ يَضَعُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عُقُولَهُمْ عِنْدَمَا يَغْتَرُّونَ بِبَعْضِ الظَّوَاهِرِ وَبَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي يَرُدُّهَا الْعَقْلُ، وَلَا يُثْبِتُهَا مَا لَهُ قِيمَةٌ مِنَ النَّقْلِ. فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدُ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالتَّأْيِيدَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي تُضَاعِفُ الْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ، وَتَسْهِيلُهُ لَهُمُ الْأَسْبَابَ الْحِسِّيَّةَ كَإِنْزَالِ الْمَطَرِ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ لَمْ يَكُنْ كَافِيًا لِنَصْرِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِقَتْلِ سَبْعِينَ وَأَسْرِ سَبْعِينَ حَتَّىٰ كَانَ أَلْفٌ – وَقِيلَ آلَافٌ –مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَاتِلُونَهُمْ مَعَهُمْ فَيَفْلِقُونَ مِنْهُمُ الْهَامَ، وَيَقْطَعُونَ مِنْ أَيْدِيهِمْ كُلَّ بَنَانٍ، فَأَيُّ مَزِيَّةٍ لِأَهْلِ بَدْرٍ فُضِّلُوا بِهَا عَلَىٰ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّنْ غَزَوْا بَعْدَهُمْ، وَأَذَلُّوا الْمُشْرِكِينَ وَقَتَلُوا مِنْهُمُ الْأُلُوفَ؟ ! وَبِمَاذَا اسْتَحَقُّوا قَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ؟ " .

وذهب هذا المذهب الإمام محمَّد متولِّي الشَّعراوي الذي قال في " تفسير الشَّعراوي - الخواطر " (٨/ ٤٥٩٠-٤٥٩٥باختصار) عند تفسيره لقول الله تعالىٰ : **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال:١٠] : " أي : أنَّ الملائكة هي بشرىٰ لكم، وأنتم الذين تقاتلون أعداءكم، وسبحانه وتعالىٰ هو القائل: **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾** [التوبة: ١٤] .

قال الحقُّ سبحانه وتعالىٰ ذلك للمؤمنين وهم يدخلون أوَّل معركة حربيَّة، ويواجهون أوَّل لقاء مسلَّح بينهم وبين الكافرين، لأنَّهم إن علموا أنَّ الملائكة ستقاتل وتدخل، فقد يتكاسلون عن القتال ويدخلون إلىٰ الحرب بقلوب غير مستعدَّة، وبغير حميَّة، فأوضح ربَّنا: أنا جعلت تدخُّل الملائكة بُشرىٰ لكم، و **﴿لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾** ، أي : أنَّ عدد الملائكة يقابل عدد جيش الكفَّار، والزِّيادة في العدد هي أنتم يا من خرجتم للقتال. واعلموا أنَّ الملائكة هي لطمأنة القلوب. لكن الحقّ يريد أن يعذِّبهم بأيديكم أنتم، لأنَّ الله يريد أن يربِّي المهابة لهذه العُصبة بالذَّات، بحيث يحسب لها النَّاس ألف حساب.

واختلفت الرِّوايات في دور الملائكة في غزوة بدر، فنجد أبا جهل يقول لابن مسعود: ما هذه الأصوات التي أسمعها في المعركة؟ فقد كانت هناك أصوات تُفزع الكفَّار في غزوة بدر – ويردُّ ابن مسعود علىٰ أبي

جهل: إنَّها أصوات الملائكة. قال: إذن بالملائكة تغلبون لا أنتم. .

فإيَّاكم أن تفتنوا حتىٰ بالملائكة؛ لأنَّ النَّصر لا منكم ولا من الملائكة، ولكنَّ النَّصر من عندي أنا؛ لأنَّ الذي تحبّ أن ينصرك، لا بدَّ أن تكون واثقاً أنَّه قادر علىٰ نُصرتك، والبشر مع البشر يظنُّون الانتصار من قبل الحرب، ومن الجائز أن يغلب الطَّرف الآخر، لكنَّ النَّصر الحقيقي من الذي لا يُغْلَب وهو الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ الله**﴾ .

وأنت حين تستنصر أحداً لينصرك علىٰ عدوِّك فهذا الذي نستنصر به إن كان من جنسك يصحُّ أن يَغْلِب معك ويصحُّ أن تنغلب أنت وهو، لكنَّك تدخل الحرب مظنَّة أنَّك تغلبَ مع من ينصرك وقد يحدث لكما معاً الهزيمة أمَّا الحقُّ سبحانه وتعالىٰ فهو وحده الذ لا يُغَالَب ولا يُغْلَب ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ .

وهو سبحانه وتعالىٰ النَّاصر، وهكذا يكون المؤمن الذي يقاتل بحمية الإيمان واثقاً من النَّصر، لكن إيَّاكم أن تظنُّوا أنَّ النَّصر من الله لا يصدر عن حكمة، إنَّ وراء نصر الله للمؤمنين حكمةً، فإن تهاونتم في أي أمر يُسلب منكم النَّصر؛ لأنَّ الله لا يغيِّر سننه مع خلقه، وقد رأينا ما حدث في غزوة أحد حين تخاذلوا ولم ينفذوا أمر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم ينتصروا؛ لأنَّ الحكمة اقتضت ألَّا ينتصروا، ولو نصرهم الله لاستهانوا بعد ذلك بأوامر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولقال بعض منهم: خالفناه وانتصرنا، وهكذا نجد أنَّ طاعة الله والرَّسول والأخذ بالأسباب أمرٌ هام، فحين جاء الأمر من رسول الله في غزوة أحد بما معناه: يا رماة لا تتركوا أماكنكم، ولو رأيتمونا نفرُّ إلىٰ المدينة، فلا شأن لكم بنا، وعلىٰ كلٍّ منكم أن يأخذ دوره ومهمَّته، فإذا رأىٰ أخاً له في دوره قد انهزم فليس له به شأن، وعلىٰ كلِّ مقاتل أن ينفذ ما عليه.

لكنَّهم خالفوا فَسَلَبهم الله النَّصر. وهكذا يتأكَّد لهم أنَّ النَّصر من عند الله العزيز الذي لا يغلب. وقال البخاري عن البراء بن عازب قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيشاً من الرُّماة، وأمَّر عليهم «عبد الله بن جبير» ، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ: «لا تبرحوا وإن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا» .

ونلحظ أنَّ المدد بالملائكة ورد مرَّة بألف، ومرَّة بثلاثة آلاف في قول الحق سبحانه ﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بثلاثة آلاف مِّنَ الملائكة مُنزَلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٢٤] ، فإن لم يكفكم ثلاثة آلاف

سيزيد الله العدد، لذلك يقول المولىٰ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بلى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءالاف مِّنَ الملائكة مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] .

إذن المدد يتناسب مع حال المؤمنين، ويبيِّن ذلك قوله سبحانه: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، فالصَّبر إذن وحده لا يكفي بل لا بدَّ أيضاً من تقوىٰ الله، ولا بدَّ كذلك من المصابرة بمغالبة العدو في الصَّبر؛ لذلك يقول المولىٰ تبارك وتعالىٰ في موقع آخر: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] ، وذلك لأنَّ العدو قد يملك هو أيضاً ميزة الصَّبر؛ لهذا يزيد الله الصَّابر، فإن صبر العدو علىٰ شيء فاصبر أنت أيُّها المؤمن أكثر منه، وقد جعل الله عَزَّ وَجَلَّ الإمداد بالملائكة بشرىٰ لطمأنة القلوب وثقة من أنَّ النَّصر من عند الله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ الله إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ الله إِنَّ الله عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ﴾ [الأنفال: ١٠] .

وما أن بدأت المعركة حتىٰ بدأ توالي النِّعم التي سوف تأتي بالنَّصر، إمداد بالملائكة، بشرىٰ لتطمئن القلوب، وثقة من أنَّ النَّصر من عند الله العزيز الحكيم.

ثمَّ يأتي التَّذكير بالدّلالة علىٰ ذلك فيقول المولىٰ سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ ، والنُّعاس عبارة عن السِّنة الأولىٰ التي تأخذ الإنسان عندما يحبُّ أن ينام، ويسمِّيها العامَّة في مصر «تعسيلة» ويقولون: «فلان معسل» أي أخذته سِنَة النَّوم، وهي ليست نوماً بل فتور في الأعصاب يعقبه النَّوم، وهذا من آيات الله تعالىٰ في أن يهب الإنسان راحة مؤقَّتة وليست نوماً. وسبحانه يقول عن ذاته العليا: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

أي أنَّه – جلَّ وعلا – لا يأخذه النَّومُ الخفيفُ ولا النَّوم الثقيل. لأنَّ السِّنة هي إلحاح من الجسم في طلب النَّوم، ويكون نوماً خفيفاً، وسبحانه وتعالىٰ ليس كمثله شيء فهو عَزَّ وَجَلَّ لا يتجسَّد أو يتمثَّل في شيء، لا السِّنة تأخذه ولا النَّوم يقاربه، ونلحظ أنَّ الإنسان إذا ما تكلَّم بجانب من تأخذه السِّنة فهو يصحو وينتبه. أمَّا النَّائم بعمق فقد لا يصحو.

فالسِّنة – إذن – هي الدَّاعي الخفيف للرَّاحة. أمَّا النَّوم فهو الدَّاعي الثَّقيل. وهنا أنزل الله عليهم النُّعاس بمثابة مقدِّمة للنَّوم ليستريحوا قليلاً. ونعلم أنَّ النَّوم آية من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ في كونه؛ لأنّ الجسم حين يعبّر عن نفسه بالحركة والطاقة ويأكل الغذاء ويشرب الماء ويتنفَّس الهواء، كلُّ ذلك يتحوَّل إلىٰ طاقة ثمَّ إلىٰ

وقود للحركة... وهنا في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ**﴾ [الأنفال: ١١] ، وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال هو:

وهل هناك نعاسٌ غير أمنة ؟ والجواب نعم؛ لأنَّه مجرَّد الرَّاحة من تعب لتنشط بعدها، هذا لنفهم أنَّ «أمنة» جاءت لمهمَّة هي تهدئة أعماق المؤمنين في المهيِّجات المحيطة، فهذا عدوٌّ كثير العدد، وهو بلا عتاد؛ لذلك شاء الحقُّ تبارك وتعالى ألَّا يضيع منهم الطَّاقة اللازمة للمواجهة، ولا تتبدّد هذه الطَّاقة في الفكر؛ لذلك جعل نعاسهم مخصوصاً يغلبهم وهو «نعاس أمنة» ، وجعل المولى عَزَّ وَجَلَّ من هذا النُّعاس آية، حيث جاءهم كلّهم جميعاً، وهذه بمفردها آية من آياته سبحانه وتعالى ولو غلبهم النَّوم العميق لمال عليهم الأعداء مَيْلَة واحدة، ولكنَّهم أخذوا شيئاً من الرَّاحة التي فيها شيء من اليقظة " .

ثَامِنَاً : أجابَ الحافظ ابن حجر في " الفتح" (٧/ ٣١٣) عن الحكمة في قتال الملائكة مع المؤمنين ، فقال : " قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّين السُّبْكِيُّ : سُئِلْتُ عَنْ الْحِكْمَةِ فِي قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّ جِبْرِيلَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ الْكُفَّارَ بِرِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ ، فَقُلْتُ : وَقَعَ ذَلِكَ لِإِرَادَةِ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَتَكُونَ الْمَلَائِكَةُ مَدَدًا عَلَى عَادَةِ مَدَدِ الْجُيُوشِ رِعَايَةً لِصُورَةِ الْأَسْبَابِ وَسُنَّتِهَا الَّتِي أَجْرَاهَا اللهُ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ وَاللهُ تَعَالَى هُوَ فَاعِلُ الْجَمِيعِ ، وَالله أعلم" .

تَاسِعَاً : ما نراه في هذه المسألة – والله أعلم – هو أنَّ الملائكة قاتلت مع المؤمنين في بدر ، لكنَّها لم تَقتُل أَحَدَاً من المشركين ... فإن قال قائل : وما يدريك أنَّ الملائكة الذين شاركوا في القتال قتلوا من المشركين مَنْ لا يعلمه إلَّا الله تعالى ، من غير أن ينقل عنهم أحد ذلك ؟قلنا : لم يترك لنا كُتَّاب السِّيرة شيئاً إلَّا ونقلوه ، ولو حدث وأن قُتل أحدٌ المشركين من قبل الملائكة لنقلوا ذلك إلينا ، مع العلم أنَّهم نقلوا إلينا نقولاً في المسألة لا تخلو من مقال ... من ذلك ما نقله البيهقي في "دلائل النُّبوَّة ومعرفة أحوال صاحب الشَّريعة" (٣/ ٥٦) بسنده عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الله التَّمِيمِيِّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ يَعْرِفُونَ قَتْلَى الْمَلَائِكَةِ مِمَّنْ قَتَلُوهُمْ بِضَرْبٍ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَعَلَى الْبَنَانِ مِثْلِ سِمَةِ النَّارِ قَدْ أُحْرِقَ بِهِ» .

قال الإمام السُّهيلي في " الرَّوض الأنف في شرح السِّيرة النَّبويَّة " (٥/ ٢٣٢) معلِّقاً على الرِّواية السَّابقة : " ومن أين جاء للرَّبيع بهذه الدَّعوى، ومن الذى رؤى من القتلى بهذه الصِّفة؟ وكم عدد من قتل الملائكة من السَّبعين؟، وعدد من قتل أهل بدر غير من سمُّوا وقالوا: قتلهم فلان وفلان ، كفانا الله شرَّ هذه الرِّوايات

الباطلة التي شوَّهت التَّفسير، وقلبت الحقائق حتى إنَّها خالفت نصَّ القرآن نفسه، فالله تعالى يقول في إمداد الملائكة ﴿وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ﴾ [آل عمران:١٢٦] ، وهذه الرِّوايات تقول: بل جعلها مقاتلة، وأنَّ هؤلاء السَّبعين الذين قتلوا من المشركين لم يمكن قتلهم إلَّا باجتماع ألف أو ألوف من الملائكة عليهم مع المسلمين الذين خصَّهم الله بما ذكر من أسباب النَّصر المتعدِّدة. ألا إنَّ في هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشجعهم ما لا يصدر عن عاقل إلَّا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطلة لا يصحُّ لها سند ..." ، والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ حَضَرَتِ المَلائِكَةُ فِي غَزْوَةِ الأَحْزاب ؟

الجواب : روى ابن سعد في " الطَّبقات الكبرى " (٢/ ٥٤-٥٥) ، قال : " أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ. أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بِشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ كِنَانَةَ. وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ غَطَفَانَ. وَطُلَيْحَةُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ بَنِي أَسَدٍ. وَأَبُو الأَعْوَرِ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَقُرَيْظَةُ كَانَ بَيْنَهُمْ وبين رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ فَنَقَضُوا ذَلِكَ وَظَاهَرُوا الْمُشْرِكِينَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٦] . فأتى جبريل عليه السَّلام وَمَعَهُ الرِّيحُ ، فَقَالَ حِينَ رَأَى جِبْرِيلَ: أَلا أَبْشِرُوا. ثَلاثًا. فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ فَهَتَكَتِ الْقِبَابَ وَكَفَأَتِ الْقُدُورَ وَدَفَنَتِ الرِّحَالَ وَقَطَعَتِ الأَوْتَادَ فَانْطَلَقُوا لا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها﴾ [الأحزاب: ٩] . فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير " (١٩/ ٢٨) : " وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الأحزاب: ٩] ، قَالَ: رِيحُ الصَّبَا، أُرْسِلَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى كَفَأَتْ قُدُورَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهَا، وَنَزَعَتْ فَسَاطِيطَهُمْ حَتَّى أَظْعَنَتْهُمْ وَقَوْلُهُ: ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ " .

وروى الطَّبري (١٩/ ٢٨) بسنده عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ " ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] ، قَالَ: يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ، قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ وَقَدْ حُصِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا فَخَنْدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْبَلَ

أَبُو سُفْيَانَ بِقُرَيْشٍ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ النَّاسِ، حَتَّىٰ نَزَلُوا بِعَقْوَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْبَلَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ أَحَدُ بَنِي بَدْرٍ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ النَّاسِ حَتَّىٰ نَزَلُوا بِعَقْوَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَاتَبَتِ الْيَهُودُ أَبَا سُفْيَانَ وَظَاهَرُوهُ، فَقَالَ حَيْثُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: **﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ فَبَعَثَ اللهُ** عَلَيْهِمُ الرُّعْبَ وَالرِّيحَ، فَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا أَطْفَأَهَا اللهُ، حَتَّىٰ لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ سَيِّدَ كُلِّ حَيٍّ يَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ، هَلُمَّ إِلَيَّ، حَتَّىٰ إِذَا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ فَقَالَ: النَّجَاءَ النَّجَاءَ، أُتِيتُمْ، لِمَا بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الرُّعْبِ ، قَالَ: الْمَلَائِكَةُ وَلَمْ تُقَاتِلْ يَوْمَئِذٍ " .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٤/ ١٤٤) : " وَرَوَىٰ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ" . وَكَانَتْ هَذِهِ الرِّيح معجزة للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَرِيبًا مِنْهَا، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا إِلَّا عَرْضُ الْخَنْدَقِ، وَكَانُوا فِي عَافِيَةٍ مِنْهَا، وَلَا خَبَرَ عِنْدَهُمْ بِهَا. **﴿وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾** وقرىٰ بِالْيَاءِ، أَيْ لَمْ يَرَهَا الْمُشْرِكُونَ. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَقَلَعَتِ الْأَوْتَادَ، وَقَطَعَتْ أَطْنَابَ الْفَسَاطِيطِ، وَأَطْفَأَتِ النِّيرَانَ، وَأَكْفَأَتِ الْقُدُورَ، وَجَالَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرُّعْبَ، وَكَثُرَ تَكْبِيرُ الْمَلَائِكَةِ فِي جَوَانِبِ الْعَسْكَرِ، حَتَّىٰ كَانَ سَيِّدُ كُلِّ خِبَاءٍ يَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ هَلُمَّ إِلَيَّ فَإِذَا اجْتَمَعُوا قَالَ لَهُمْ: النَّجَاءَ النَّجَاءَ، لِمَا بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ مِنَ الرُّعْبِ" .

قال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي في " سُبل الهدىٰ والرَّشاد " (٤/ ٣٨٧) : " قال البلاذريّ: ثمَّ إنَّ الله تعالىٰ نصر المسلمين عليهم بالرِّيح، وكانت ريحاً صفراء فملأت عيونهم، فداخلهم الفشل والوهن وانهزم المشركون، وانصرفوا إلىٰ معسكرهم، ودامت عليهم الرِّيح، وغشيتهم الملائكة تطمس أبصارهم، فانصرفوا **﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزاً﴾** [الأحزاب ٢٥] .

قال أبو الخطَّاب بن دحية: هذه الملائكة بعثها الله تعالىٰ فنفثت في روعهم الرُّعب والفشل، وفي قلوب المؤمنين القوَّة والأمل، وقيل: إنَّما بعث الله الملائكة تزجر خيل العدو وإبلهم، فقطعوا مدَّة ثلاثة أيَّام في يوم واحد ، فارِّين منهزمين" ...

وبعد أن ردَّ الله الأحزاب بغيظهم من غير أن ينالوا مرادهم من المؤمنين ، لم يترك الحقُّ جلَّ جلاله ما صنعه يهود بني قريظة من خيانةٍ ونقضٍ للعُهُود ، فأرسل الله تعالىٰ سيِّدنا جبريل عليه السَّلام لإِخبار سيِّدنا

رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوجوب الانتقام والتَّأديب لليهود الذين ما فتئت الخيانة ونقض العهود تسري في دمائهم ...

روىٰ ابن سعد في " الطَّبقات الكبير" (٢/ ٧٣ برقم ١٦٩٤) بسنده ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ ، قَالَ : كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ الله عَلَيه وسَلَّم وَبَيْنَ قُرَيْظَةَ وَلْثٌ مِنْ عَهْدٍ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الأَحْزَابُ بِمَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ الْجُنُودِ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَظَاهَرُوا الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ الله عَلَيه وسَلَّم ، بَعَثَ اللهُ الْجُنُودَ وَالرِّيحَ فَانْطَلَقُوا هَارِبِينَ وَبَقِيَ الآخَرُونَ فِي حِصْنِهِمْ ، قَالَ : فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ الله عَلَيه وسَلَّم وَأَصْحَابُهُ السِّلاَحَ فَجَاءَ جِبْرِيلُ صَلَّىٰ الله عَلَيه وسَلَّم إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ الله عَلَيه وسَلَّم فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ الله عَلَيه وسَلَّم وَهُوَ مُتَسَانِدٌ إِلَىٰ لَبَانِ الْفَرَسِ قَالَ : يَقُولُ جِبْرِيلُ : مَا وَضَعْنَا السِّلاَحَ بَعْدُ ، وَإِنَّ الْغُبَارَ لَعَاصِبٌ عَلَىٰ حَاجِبِهِ ، انْهَدْ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ الله عَلَيه وسَلَّم : إِنَّ فِي أَصْحَابِي جَهْدًا ، فَلَوْ أَنْظَرْتَهُمْ أَيَّامًا ، قَالَ : يَقُولُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : انْهَدْ إِلَيْهِمْ ، لأُدْخِلَنَّ فَرَسِي هَذَا عَلَيْهِمْ فِي حُصُونِهِمْ ثُمَّ لأُضَعْضِعَنَّهَا ، قَالَ : فَأَدْبَرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ حَتَّىٰ سَطَعَ الْغُبَارُ فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ الله عَلَيه وسَلَّم فَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله اجْلِسْ فَلْنَكْفِكَ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُمْ يَنَالُونَ مِنْكَ ، قَالَ : قَدْ أُوذِيَ مُوسَىٰ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا . قَالَ : وَانْتَهَىٰ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : يَا إِخْوَةَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ ، إِيَّايَ ، إِيَّايَ قَالَ : فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ مَا عَهِدْنَاهُ فَحَّاشًا . قَالَ : وَقَدْ كَانَ رُمِيَ أَكْحَلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَرَقَأَ الْجُرْحُ وَأَجْلَبَ وَدَعَا اللهَ أَنْ لاَ يُمِيتَهُ حَتَّىٰ يَشْفِيَ صَدْرَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ . قَالَ : فَأَخَذَهُمْ مِنَ الْغَمِّ فِي حِصْنِهِمْ مَا أَخَذَهُمْ فَنَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مِنْ بَيْنِ الْخَلْقِ . قَالَ : فَحَكَمَ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسْبَىٰ ذَرَارِيُّهُمْ . قَالَ حُمَيْدٌ : قَالَ بَعْضُهُمْ : وَتَكُونُ الدِّيَارُ لِلْمُهَاجِرِينَ دُونَ الأَنْصَارِ . قَالَ : فَقَالَتِ الأَنْصَارُ : إِخْوَتُنَا كُنَّا مَعَهُمْ ؛ فَقَالَ : إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَسْتَغْنُوا عَنْكُمْ . قَالَ : فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُمْ وحكم فِيهِمْ بِمَا حَكَمَ مَرَّتْ عَلَيْهِ عَنْزٌ ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فَأَصَابَتِ الْجُرْحَ بِظِلْفِهَا ، فَمَا رَقَأَ حَتَّىٰ مَاتَ " .

وروىٰ أحمد في " المسند" (٤٠/ ٣٣٧ برقم ٢٤٢٩٥) بسنده عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمِ وَعَلَىٰ رَأْسِه الْغُبَارُ، قَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ، فَوَالله مَا وَضَعْتُهَا، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَأَيْنَ؟ " قَالَ: هَاهُنَا، فَأَشَارَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّهُمْ نَزَلُوا عَلَىٰ

حُكْمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَىٰ سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقَتَّلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَتُسْبَىٰ النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَتُقَسَّمَ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ هِشَامٌ: قَالَ أَبِي: فَأُخْبِرْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين غير أنَّ قولَ عروة في آخر الحديث: أُخبرت أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "لقد حكَمْتَ فيهم بحكم الله عز وجل" صحيح لغيره" ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ وَرَدَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام بَشَّرَ الرَّسُوْلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَى مَنْ يُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَيْه ؟

الجواب : روىٰ أحمد في " المسند" (٣/ ٢٠١ برقم ١٦٦٤) بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ صَدَقَتِهِ فَدَخَلَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَخَرَّ سَاجِدًا، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَضَ نَفْسَهُ فِيهَا، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " مَنْ هَذَا؟ " قُلْتُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: " مَا شَأْنُكَ؟ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ سَجَدْتَ سَجْدَةً خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَبَضَ نَفْسَكَ فِيهَا، فَقَالَ: " إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، أَتَانِي فَبَشَّرَنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ شُكْرًا " ، قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد"(٢/ ٢٨٧ برقم ٣٧١٤) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ" ، وقال الأرنؤوط : " حسن لغيره " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُبَلِّغُ المَلائِكَة الرَّسُوْلَ سَلامَ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِه ؟

الجواب : روىٰ أحمد في المسند (٦/ ١٨٣ برقم ٣٦٦٦) بسنده عَنْ زَاذَانَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ للهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ " قال الأرنؤوط : إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن السَّائب -وهو الكندي الكوفي-، وغير زاذان – وهو أبو عمر الكندي-، فهما من رجال مسلم .

وفي الحديث أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " مَنْ صَلَّىٰ عليَّ عِنْد قَبْرِي سَمِعْتُهُ وَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ نَائِيًا أُبْلِغْتُه " . قال الأستاذ المحقِّق المُدقِّق محمود سعيد ممدوح في " رفع المنارة لتخريج أحاديث الزيارة " (ص٣٥١ فما بعدها) : " أخرجه أبو الشَّيخ الأصبهاني في " الثَّواب " (كما في اللآلئ: ١/ ٢٨٣) . حدَّثنا عبد الرَّحمن بن أحمد الأعرج ، حدَّثنا الحسن بن الصَّباح ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة به مرفوعاً. قال الحافظ السَّخاوي في " القول البديع " (ص١٥٤) : وسنده جيد كما أفاده شيخنا (أي الحافظ بن حجر) . اهـ .وقد أصاب الحافظ في حكمه ، فإسناد الحديث رجاله رجال الصَّحيح ما خلا شيخ أبي الشَّيخ الأصبهاني ، وهو عبد الرَّحمن بن أحمد بن أبي يحيىٰ الزُّهري أبو صالح الأعرج المتوفَّىٰ سنة (٣٠٠هـ) ترجمه أبو الشَّيخ الأصبهاني في "طبقات المحدِّثين بأصبهان" (٣/ ٥٤١) ، وأبو نعيم في " أخبار أصبهان " (٢/ ١١٣) ، ولم يذكرا فيه جرحاً أو تعديلاً ... " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ كَانَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَام يُجِيْبُ الرَّسُوْلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا يَسْأَلُه ؟ نُرِيْدُ أَمْثِلَةً عَلَى ذَلِكَ؟

الجواب : نعم ، كان جبريلُ عليه السَّلام يُجيب الرَّسولَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كلِّ ما يسأله إيَّاه ... والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة ، منها : ما رواه أبو يعلىٰ في " المسند " (٤/ ٢٩٧ برقم ٢٤٠٨) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلىٰ الله عَلَيه وسَلمَ: سَأَلْتُ جِبْرِيلَ: أَيُّ الأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَىٰ؟ قَالَ: أَكْمَلَهُمَا وَأَتَمَّهُمَا" ، قال الهيثمي في " مجمع الزوائد" (٧/ ٨٧ برقم ١١٢٥٠) : " رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ الْحَاكِمِ بْنِ أَبَانٍ وَهُوَ ثِقَةٌ. وَرَوَاهُ الْبَزَّارُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ " .

وروىٰ الطَبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ١٥٢ برقم ١٢٧٣٦) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَجْعَلْ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا فَإِنْ أَصْبَحَ لَنَا ذَهَبًا اتَّبَعْنَاكَ، فَدَعَا رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَمْ أُعَذِّبْهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ. قَالَ: بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(١٠/ ١٩٦ برقم ١٧٤٩٦) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

وروىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (١/ ٤٢ برقم ١١٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: «هَلْ يُصَلِّي رَبُّكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَمَا صَلَاتُهُ؟ قَالَ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(١٠/ ٢١٣ برقم ١٧٦١٢) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ وُثِّقُوا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَام أَخْبَرَ الرَّسُوْلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ أَنَّ فِي نَعْلَيْهِ قَذَراً ؟

الجواب : روىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٤/ ٣١١ برقم ٤٢٩٣) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمْ يَخْلَعِ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعْلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا مَرَّةً، فَخَلَعَ الْقَوْمُ نِعَالَهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ؟» قَالُوا: رَأَيْنَاكَ خَلَعْتَ، فَخَلَعْنَا فَقَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبَرَنِي أَنَّ بِهِمَا قَذَرًا» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٢/ ٥٦ برقم ٢٢٦٠) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَرَوَاهُ الْبَزَّارُ بِاخْتِصَارٍ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : لِمَ لَمْ يكُنِ الرُّسُلُ مِنَ المَلَائِكَةِ؟

الجواب : قضت الحكمة الإلهيَّة باختيار الرُّسل من بني آدم ، قال تعالىٰ : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾** [الأنبياء:٧-٨] .

ومن المعلوم أنَّه " كثر اعتراض أعداء الرُّسل علىٰ بعثة الرُّسل من البشر، وكان هذا الأمر من أعظم ما صدَّ النَّاس عن الإيمان، **﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلاَّ أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً﴾** [الإسراء: ٩٤] وعدّوا أتباع الرُّسل بسبب كونهم بشراً فيما جاؤوا به من عقائد وشرائع أمراً قبيحاً، وعدُّوه خسراناً مبيناً **﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ﴾** [المؤمنون: ٣٤] ، **﴿فَقالُوا أَبَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾** [القمر: ٢٤] ، وقد اقترح أعداء الرُّسل أن يكون الرُّسل الذين يبعثون إليهم من المَلَائِكَة يعاينونهم ويشاهدونهم، أو علىٰ الأقل يبعث مع الرَّسول البشري رسولاً من الملائكة، **﴿وَقالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلَائِكَة أَوْ نَرى رَبَّنا﴾** [الفرقان: ٢١] ، **﴿وَقالُوا مالِ هذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْواقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾** [الفرقان: ٧] .

وعندما نتأمَّل النُّصوص القرآنيَّة يمكننا أن نردَّ علىٰ هذه الشُّبهة من وجوه:

الأَوَّلُ : أنَّ الله اختارهم بشراً لا ملائكة لأنَّه أعظم في الابتلاء والاختبار، ففي الحديث القدسي الذي يرويه مسلم في صحيحه: "إنَّما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك" (أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ برقم ٢٨٦٥) .

الثَّانِي : أنَّ في هذا إكراماً لمن سبقت لهم منه الحسنىٰ، فإن اختيار الله لبعض عباده ليكونوا رسلاً تكريم وتفضيل لهم، **﴿أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَإِسْرائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنا وَاجْتَبَيْنا إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا﴾** [مريم: ٥٨] .

الثَّالِثُ : أنَّ البشر أقدر علىٰ القيادة والتَّوجيه، وهم الذين يصلحون قدوة وأسوة، يقول سيِّد قطب رحمه الله في هذا: " وإنَّما لحكمة تبدو في رسالة واحد من البشر إلىٰ البشر، واحد من البشر يحسُّ بإحساسهم، ويتذوَّق مواجدهم، ويعاني تجاربهم، ويدرك آلامهم وآمالهم، ويعرف نوازعهم وأشواقهم، ويعلم ضروراتهم وأثقالهم... ومن ثمَّ يعطف علىٰ ضعفهم ونقصهم، ويرجو في قوَّتهم واستعلائهم، ويسير بهم خطوة خطوة، وهو يفهم بواعثهم وتأثراتهم واستجاباتهم، لأنَّه في النِّهاية واحد منهم، يرتاد بهم الطَّريق إلىٰ الله، بوحي من الله وعون منه علىٰ وعثاء الطَّريق.

وهم من جانبهم يجدون فيه القدرة الممكنة، لأنَّه بشر مثلهم، يتسامىٰ بهم رويداً رويداً، ويعيش فيهم بالأخلاق والأعمال والتَّكاليف التي يبلغهم أنّ الله قد فرضها عليهم، وأرادها منهم، فيكون بشخصه ترجمة حية للعقيدة التي يحملها إليهم، وتكون حياته وحركاته وأعماله صفحة معروضة لهم، ينقلونها سطراً سطراً، ويحقِّقونها معنىٰ معنىٰ، وهم يرونها بينهم، فتهفوا نفوسهم إلىٰ تقليدها، لأنَّها ممثلة في إنسان .

الرَّابعُ : صعوبة رؤية الملائكة، فالكفَّار عندما يقترحون رؤية الملائكة، وأن يكون الرُّسل إليهم ملائكة لا يدركون طبيعة الملائكة، ولا يعلمون مدىٰ المشقَّة والعناء الذي سيلحق بهم من جرَّاء ذلك.

فالاتِّصال بالملائكة ورؤيتهم أمر ليس بسهل، فالرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كونه أفضل الخلق، وهو علىٰ جانب عظيم من القوة الجسميَّة والنَّفسيَّة عندما رأىٰ جبريل علىٰ صورته أصابه هول عظيم ورجع إلىٰ منزله يرجف فؤاده، وقد كان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعاني من اتِّصال الوحي به شدَّة، ولذلك قال في الرَّدّ عليهم: **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ المَلَائِكَةَ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾** [الفرقان: ٢٢] ، ذلك أنّ الكفَّار لا يرون المَلَائِكَة إلَّا حين الموت أو حين نزول العذاب، فلو قُدِّر أنَّهم رأوا المَلَائِكَة لكان ذلك اليوم يوم هلاكهم.

فكان إرسال الرُّسل من البشر ضروريَّاً كي يتمكَّنوا من مخاطبتهم والفقه عنهم، والفهم منهم، ولو بعث الله رسله إليهم من المَلَائِكَة لما أمكنهم ذلك **﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلاَّ أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً * قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾** [الإسراء: ٩٤-٩٥] فلو كان سكان الأرض ملائكة لأرسل الله إليهم رسولاً من جنسهم، أما وأنَّ الذين يسكنون الأرض بشر فرحمة الله وحكمته تقتضي أن يكون رسولهم من جنسهم **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِم﴾** [آل عمران: ١٦٤] .

وإذا كان البشر لا يستطيعون رؤية المَلَائِكَة والتَّلقِّي عنهم بيسر وسهولة فيقتضي هذا – لو شاء الله أن يرسل ملكاً رسولاً إلىٰ البشر – أن يجعله رجلاً **﴿وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾** [الأنعام: ٩] فالله يخبر أنَّه لو بعث رسولاً مَلكيَّاً، لكان علىٰ هيئة رجل، ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس الأمر عليهم .

والتباس الأمر عليهم بسبب كونه في صورة رجل، فلا يستطيعون أن يتحقَّقوا من كونه مَلَكاً، وإذا كان الأمر كذلك فلا فائدة من إرسال الرُّسل من المَلَائِكَة علىٰ هذا النَّحو، بل إرسالهم من المَلَائِكَة علىٰ هذا

النَّحو لا يحقِّق الغرض المطلوب، لكون الرَّسول المَلَك لا يستطيع أن يحسَّ بإحساس البشر وعواطفهم وانفعالاتهم وإن تشكَّل بأشكالهم" . انظر : الرُّسل والرِّسالات (ص٧٠-٧٣) .

فالله تعالىٰ لم يُرسل الرُّسل من المَلَائِكَة لأنَّ طبيعتهم تختلف عن طبيعة البشر ، ولذلك فليس من السَّهل عليهم أن يتواصلوا معهم ... ولهذا قال تعالىٰ: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾** [الأنعام : ٨ : ٩] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٦/٣٩٣) : " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ رَأَوُا المَلَك عَلَىٰ صُورَتِهِ لَمَاتُوا إِذْ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَتَهُ. مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ: لَقَامَتِ السَّاعَةُ. قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: لَأُهْلِكُوا بِعَذَابِ الِاسْتِئْصَالِ، لِأَنَّ اللهَّ أَجْرَىٰ سُنَّتَهُ بِأَنَّ مَنْ طَلَبَ آيَةً فَأُظْهِرَتْ لَهُ فَلَمْ يُؤْمِنْ أهلكه الله في الحال" .

وقال تعالىٰ : **﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾** [الإسراء: ٩٥] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٠/ ٣٣٢) : " أعلم أن اللهَّ تَعَالَىٰ أَنَّ المَلَك إِنَّمَا يُرْسَلُ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّهُ لَوْ أَرْسَلَ مَلَكًا إِلَىٰ الْآدَمِيِّينَ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَرَوْهُ عَلَىٰ الْهَيْئَةِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا أَقْدَرَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَخَلَقَ فِيهِمْ مَا يَقْدِرُونَ بِهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ آيَةً لَهُمْ وَمُعْجِزَةً " .

سُؤالٌ : هَلْ كَانَ الرَّسُوْلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ جِبْرِيْلَ عَمَّا لا يَعْلَم ؟

الجواب : نعم ، فقد روىٰ ابن حبَّان في "الصَّحيح " (٤/ ٤٧٦ برقم ١٥٩٩) بسنده عن بن عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ قَالَ: "لَا أَدْرِي حَتَّىٰ أَسْأَلَ جِبْرِيلَ" فَسَأَلَ جِبْرِيلَ فَقَالَ لَا أَدْرِي حَتَّىٰ أَسْأَلَ مِيكَائِيلَ فَجَاءَ فَقَالَ: "خير البقاع المساجد وشرها الأسواق". قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث صحيح ابن حبَّان (٤٤٧٦) : " حديث حسن، رجاله ثقات، إلا أن عطاء بن السائب رمي بالاختلاط، وجرير بن عبد الحميد: ممن روىٰ عنه بعد الاختلاط، لكن يشهد له حديث أبي هريرة الآتي، فيتقوىٰ به. وأخرجه البيهقي في "السنن" ٣/ ٦٥ من طريق إسحاق بن إسماعيل الطالقاني، عن جرير بن عبد الحميد، بهذا الإسناد. وأورده الحاكم ١/ ٩٠ شاهداً لحديث جبير بن مطعم الذي ذكره في الباب. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٢/ ٦ وقال: رواه الطبراني في "الكبير"، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، لكنه اختلط في آخر عمره، وبقية رجاله موثقون " . وانظر : " كشف الخفا" (١/ ٤٤٦-٤٤٧برقم ١٢٤٣) .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُطْلَقُ عَلَى المَلَائِكَة بِأَنَّهُم رُسُل ؟

الجواب : جاء في القرآن العظيم تسمية المَلَائِكَة بأنَّهم رسل الله تعالىٰ ... من ذلك :

قوله تعالىٰ : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ، وقوله تعالىٰ : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٧] ، وقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١] ، وقوله تعالىٰ : ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] ، وقوله تعالىٰ : ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: ١] ، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة ...

وأخبروا عن أنفسهم بأنَّهم رسل الله ... قال تعالىٰ علىٰ لسان المَلَائِكَة الذين جاءوا إلىٰ سيِّدنا إبراهيم : ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠] ، وقال تعالىٰ علىٰ لسان سيِّدنا جبريل عليه السَّلام : ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] ، كما وصفهم الأنبياءُ بأنَّهم رسل ، قال تعالىٰ علىٰ لسان سيِّدنا إبراهيم : ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾ [الحجر: ٥٧] ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ نَزَلَ مَلَكٌ إِلَى سَيِّدِنَا رَسُوْلِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَيِّرُهُ بَيْنَ أَنْ يَكُوْنَ مَلِكاً نَبِيًّا أَوْ عَبْدًا رَسُولًا ؟

الجواب : روىٰ أحمد في المسند (١٢/ ٧٦ برقم ٧١٦٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ، قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ ، أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: " بَلْ عَبْدًا رَسُولًا " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ١٨ برقم ١٤٢٠٩) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّارُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُ الْأَوَّلَيْنِ رِجَالُ الصَّحِيحِ" ، وقال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشَّيخين " .

وروىٰ الطَّبراني في " " (٧/ ٨٨ برقم ٦٩٣٧) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا جِبْرِيلُ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمْسَى لِآلِ مُحَمَّدٍ سَفَّةٌ مِنْ دَقِيقٍ، وَلَا كَفٌّ مِنْ سَوِيقٍ» ، فَلَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ سَمِعَ هَدَّةً مِنَ السَّمَاءِ أَفْزَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَرَ اللهُّ الْقِيَامَةَ أَنْ تَقُومَ؟» قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَمَرَ اللهُّ إِسْرَافِيلَ، فَنَزَلَ إِلَيْكَ حِينَ سَمِعَ كَلَامَكَ، فَأَتَاهُ إِسْرَافِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَّ سَمِعَ مَا ذَكَرْتَ، فَبَعَثَنِي إِلَيْكَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَأَمَرَنِي أَنْ يُعْرَضْنَ عَلَيْكَ إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أُسَيِّرَ مَعَكَ جِبَالَ تِهَامَةَ زُمُرُّدًا، وياقُوتًا،

وَذَهَبًا، وَفِضَّةً فَعَلْتُ، فَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا؟، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ تَوَاضَعَ، فَقَالَ: «بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا» ، ثَلَاثًا " . قال الطَّبراني : لَمْ يَرْوِ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ عَنْ عَطَاءٍ إِلَّا سَعْدَانُ بْنُ الْوَلِيدِ، تَفَرَّدَ بِهَا: الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ» . قال الهيثمي في مجمع الزَّوائد" (١٠/ ٣١٥ برقم ١٨٢٥٢) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ سَعْدَانُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى بَعْضَ مَلَائِكَتِهِ لِغَيرِ الأَنْبِيَاءِ أَوِ الرُّسُل ؟

الجواب : نعم ... هناك أصناف من المَلَائِكَة أرسلها الله تعالىٰ لبعض خلقه من غير الأنبياء والرُّسل ، من ذلك :

أَوَّلاً : المَلَك الذي أرسله الله تعالىٰ لمن ذهب لزيارة أخ له في الله في قرية أخرىٰ غير قريته ... فقد روىٰ البخاري (٤/ ١٩٨٨ برقم ٢٥٦٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ " .

جاء في " الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٢٤/ ٣٢١) : " قال المَلَك : فإنِّي رسول الله أرسلت إليك لأبشّرك بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببته، أي : كما أحببت أخاك فيه ، أي: في الله لأجل أُخوَّة الله " .

ثَانِياً : المَلَك الذي أرسله الله تعالىٰ لاختبار الثَّلاثة : الأبرص ، والأقرع ، والأبرص ...

أخرج البخاري (٤/ ١٧١برقم ٣٤٦٤) بسنده عَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح وحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ رَجَاءٍ، أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ، بَدَا للهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، – أَوْ قَالَ: البَقَرُ، هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الأَبْرَصَ، وَالأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ –، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي

هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ " .

ثَالِثاً : المَلائِكَة الذين يُرسلهم الله تعالىٰ لحضور مجالس الذِّكر ... فقد ثبت في الأحاديث الصَّحيحة عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المَلائِكَة تحضر مجالس الذِّكر ويحفُّونهم بأجنحتهم ... فقد روىٰ البخاري (٨/ ٨٦ برقم ٦٤٠٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ " قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ: " يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ

يَتَعَوَّذُونَ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ: " فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ " قَالَ: " يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " .

وروى مسلم (٤/ ٢٠٧٤ برقم ٢٦٩٩) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ...».

فحضُور مجالس الذِّكر سبيل حضور المَلَائِكَة للاستماع والشَّهادة للذَّاكرين ، وسبيلٌ لتنزُّل الرَّحمات والبركات، وكذا إذا جلسوا يتدارسون كتاب الله تعالى فيما بينهم ... تحفُّهم المَلَائِكَة وتنزل عليهم السَّكينة والرَّحمة ... فمجالسُ الذِّكر هي خير المجالس ، وأطهرها وأنقاها وأزكاها، فيها تحيا القلوب ، وتزكو النُّفوس ، وفيها يُمنح العبد الفَلاح والنَّجاح ...

رَابِعَاً : روى البخاري (٤/ ١٧٤ برقم ٣٤٧٠) ومسلم (٤/ ٢١١٨ برقم ٢٧٦٦) بسندهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ "، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ " .

خَامِسَاً : روى الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٢ برقم ٣٥٠٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ مَوْقُوفٌ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " ، وقال الذَّهبي في التَّلخيص : على شرط البخاري ومسلم) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ

لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا هُمْ أَوْتَادُهَا لَهُمْ جُلَسَاءُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنْ غَابُوا سَأَلُوا عَنْهُمْ، وَإِنْ كَانُوا مَرْضَى عَادُوهُمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ» ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُرْسِلَ اللهُ تَعَالَى بَعْضَ المَلَائِكَة إِلَى بَعْض ؟

الجواب : نعم يجوز ذلك ... قال الإمام البيهقي في " شُعَب الإيمان " (١/ ٢٩٦) : " وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُرْسِلَ بَعْضَهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ " ، ويستدلُّ لذلك بما رواه البخاري (٩/ ١٤٢برقم ٧٤٨٥) ومسلم (٤/ ٢٠٣٠برقم ٢٦٣٧) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ " .

وروىٰ أحمد في " المسند" (٣٦/ ٦٠٣ برقم ٢٢٢٧٠) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْمِقَةَ مِنَ الله "، قَالَ شَرِيكٌ: هِيَ الْمَحَبَّةُ وَالصِّيتُ مِنَ السَّمَاءِ، فَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا قَالَ لِجِبْرِيلَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَيُنَادِي جِبْرِيلُ إِنَّ اللهَ يَمِقُ،، يَعْنِي: يُحِبُّ، فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، أَرَىٰ شَرِيكًا قَدْ قَالَ: فَيُنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا قَالَ لِجِبْرِيلَ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ قَالَ: فَيُنَادِي جِبْرِيلُ إِنَّ رَبَّكُمْ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: أَرَىٰ شَرِيكًا قَدْ قَالَ: فَيَجْرِي لَهُ الْبُغْضُ فِي الْأَرْضِ" . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(١٠/ ٢٧١ برقم ١٧٩٦٠) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ وُثِّقُوا. قُلْتُ: قَدْ عَزَاهُ صَاحِبُ الْأَطْرَافِ" ، وقال الأرنؤوط : " صحيح لغيره" . فتكليف الله تعالىٰ لجبريل عليه السَّلام أن يبلغ أهل السَّماء بمحبَّته لعبده هو من قبيل إرسال بعضهم لبعض ...

وروىٰ أحمد في " المسند" (٣٧/ ٨٧ برقم ٢٢٤٠١) بسنده عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ الله فَلَا يَزَالُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ اللهُ لِجِبْرِيلَ: إِنَّ فُلَانًا عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِيَنِي أَلَا وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ الله عَلَىٰ فُلَانٍ، وَيَقُولُهَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُهَا مَنْ حَوْلَهُمْ حَتَّىٰ يَقُولَهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ تَهْبِطُ لَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(١٠/ ٢٠٢ برقم ١٧٥٣٩) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ مَيْمُونِ بْنِ عَجْلَانَ، وَهُوَ ثِقَةٌ" ، وقال الأرنؤوط : " إسناده حسن " .

﴿سُؤالٌ﴾ : قال تعالى : ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦] . فلماذا ذكر شهادة المَلَائِكَة مع أنَّ شهادته تعالى تكفي ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٩] ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (١١/ ٢٦٩) : " وَإِنَّمَا تُعْرَفُ شَهَادَةُ المَلَائِكَة لَهُ بِذَلِكَ لِأَنَّ ظُهُورَ

الْمُعْجِزِ عَلَىٰ يَدِهِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ شَهِدَ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ، وَإِذَا شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ فَقَدْ شَهِدَتِ الْمَلَائِكَة لَا مَحَالَةَ بِذَلِكَ لِمَا ثَبَتَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ، وَالْمَقْصُودُ كَأَنَّهُ قِيلَ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ كَذَّبَكَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ فَلَا تُبَالِ بِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ إِلَهُ العالمين يصدقك في ذلك، وملائكة السَّموات السَّبْعِ يُصَدِّقُونَكَ فِي ذَلِكَ، وَمَنْ صَدَّقَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَمَلَائِكَةُ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالسَّمَوَاتِ السَّبْعِ أَجْمَعُونَ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ تَكْذِيبِ أَخسِّ النَّاسِ، وَهُمْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٦/ ٤٤) : " الشَّهَادَةُ فِي قَوْلِهِ: **﴿لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾** أُطْلِقَتْ عَلَىٰ الْإِخْبَارِ بِنُزُولِ الْقُرْآنِ مِنَ اللَّهِ إِطْلَاقًا مَجَازِيًّا، لِأَنَّ هَذَا الْخَبَرَ تَضَمَّنَ تَصْدِيقَ الرَّسُولِ وَتَكْذِيبَ مُعَانَدِيهِ، وَهُوَ إِطْلَاقٌ عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِعَارَةِ مِنَ الْإِطْلَاقِ الْحَقِيقِيِّ هُوَ غَيْرُ الْإِطْلَاقِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** [آل عمران: ١٨] فَإِنَّهُ عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ. وَعُطِفَ شَهَادَةُ الْمَلَائِكَة عَلَىٰ شَهَادَةِ اللَّهِ: لِزِيَادَةِ تَقْرِيرِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ بِتَعَدُّدِ الشُّهُودِ، وَلِأَنَّ شَهَادَةَ اللَّهِ مَجَازٌ فِي الْعِلْمِ وَشَهَادَةَ الْمَلَائِكَة حَقِيقَةٌ" .

الفَصْلُ السَّادِسُ

وَظِيْفَةُ المَلَائِكَةِ المتَعَلِّقَةِ بِالمُؤمِنِيْن

للملائكة مع المؤمنين العديد من الوظائف ... فمنهم الموكَّلون بالرَّحم، ومنهم الموكَّل بالوحي ، ومنهم القرين الذي يحثُّ المؤمن على الخير ويدعوه إليه ، ومنهم من يكتب أسماء من يذهب إلى المسجد يوم الجمعة ، ومنهم من يتعاقبون في وقت الصَّلاة، ومنهم سيَّاحون يبحثون عن مجالس الذِّكر ، ومنهم الموكَّل بالقطر والسَّحاب ، ومنهم الموكَّل بالصُّور، ومنهم الموكَّلون بقبض الأرواح ، ومنهم الموكَّلون بحفظ العبد في كلِّ حالاته ، ومنهم الموكَّلون بكتابة الأعمال ، ومنهم من يشيعون جنازة الصَّالحين ، ومنهم الذين يبشِّرون المؤمن عند موته ، ومنهم الموكَّلون بسؤال القبر وفتنته، ومنهم خزنة الجنَّة ...

قال الامام ابن القيِّم في " إغاثة اللهفان من مصايد الشَّيطان " (٢/ ١٣٠-١٣١) : " والملائكة الموكَّلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر فإنَّهم موكَّلون بتخليقه، ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه في أطباق الظُّلمات الثَّلاث، وكتابة رزقه، وعمله، وأجله، وشقاوته، وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره. وهم الموكَّلون بعذابه ونعيمه في البرزخ، وبعد البعث. وهم الموكَّلون بعمل آلات النَّعيم والعذاب. وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابُّون عنه، وهم أولياؤه في الدُّنيا والآخرة، وهم الذين يرونه في منامه ما يخافه ليحذره، وما يحبّه ليقوى قلبه، ويزداد شكراً، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشَّر، ويحذِّرونه منه.

فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته، ومعلموه، وناصحوه، والدَّاعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلُّون عليه مادام في طاعة ربّه، ويصلُّون عليه مادام يعلِّم النَّاس الخير، ويبشِّرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته، ويوم بعثه. وهم الذين يزهِّدونه في الدُّنيا، ويرغِّبونه في الآخرة. وهم الذين يذكِّرونه إذا نسي. وينشِّطونه إذا كسل، ويثبِّتونه إذا جزع. وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته.

فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزَّل بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر قد أطَّت بهم السَّماء، وحقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلَّا وملك قائم، أو راكع أو ساجد ويدخل البيت المعمور كلّ يوم منهم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليه" .

ومن أجل الوقوف على الثَّابت من وظائف الملائكة المتعلِّقة بالمؤمنين ، كانت الأسئلة التَّالية :

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ الأُمُوْرُ التِي تَقُوْمُ بِهَا المَلَائِكَةُ مَعَ الإِنْسَانِ وَهُوَ فِي رَحِمِ أُمِّهِ ؟

الجواب : روى البخاري (٤/ ١١١ برقم ٣٢٠٨) ومسلم (٤/ ٢٠٣٦ برقم ٢٦٤٣) بسندهما عَنْ عَبْدُ اللهَّ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُّ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ " .

وروى البخاري (٨/ ١٢٢ برقم ٦٥٩٥) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " وَكَّلَ اللهُّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُّ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ " .

وروى مسلم (٤/ ٢٠٣٦ برقم ٢٦٤٣) بسنده عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَك فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٦/ ١٩٠-١٩٢) : " قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ (ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ) ظَاهِرُهُ أَنَّ إِرْسَالَهُ يَكُونُ بَعْدَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَفِي الرِّوَايَةِ الَّتِي

بَعْدَ هذه يدخل المَلَك علىٰ النُّطفة بعد ما تستقرّ في الرَّحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة ، فيقول : يا ربّ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ؟ وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّالِثَةِ : " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا" ، وَفِي رِوَايَةِ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ : " إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَتَسَوَّرُ عَلَيْهَا المَلَك " ، وَفِي رِوَايَةٍ : " إِنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالرَّحِمِ إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا بِإِذْنِ اللهِ لِبِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً " ، وَذَكَرَ الحَدِيثَ ، وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ : " إِنَّ اللهَ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ ؟ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ " ؟ قَالَ الْعُلَمَاءُ : طَرِيقُ الجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ : أَنَّ لِلْمَلَكِ ملازمة ومراعاة لحال النُّطفة ، وأنَّه يقول : يا رب هَذِهِ عَلَقَةٌ هَذِهِ مُضْغَةٌ فِي أَوْقَاتِهَا ، فَكُلُّ وَقْتٍ يَقُولُ فِيهِ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ بِأَمْرِ اللهَ تَعَالَىٰ ، وَهُوَ أَعْلَمُ سُبْحَانَهُ .

وَلِكَلَامِ المَلَك وَتَصَرُّفِهِ أَوْقَاتٌ ، أَحَدُهَا : حِينَ يَخْلُقُهَا اللهُ تَعَالَىٰ نُطْفَةً ثُمَّ يَنْقُلُهَا عَلَقَةً ، وَهُوَ أَوَّلُ عِلْمِ المَلَك بِأَنَّهُ وَلَدٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ نُطْفَةٍ تَصِيرُ وَلَدًا ، وَذَلِكَ عَقِبَ الْأَرْبَعِينَ الْأُولَى ، وَحِينَئِذٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقَاوَتَهُ أَوْ سَعَادَتَهُ ، ثُمَّ لِلْمَلَكِ فِيهِ تَصَرُّفٌ آخَرَ فِي وَقْتٍ آخَرَ ، وَهُوَ تَصْوِيرُهُ وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وَعَظْمِهِ وَكَوْنُهُ ذَكَرًا أَمْ أُنْثَىٰ ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَرْبَعِينَ الثَّالِثَةِ ، وَهِيَ مُدَّةُ الْمُضْغَةِ وَقَبْلَ انْقِضَاءِ هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ وَقَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ ، لِأَنَّ نَفْخَ الرُّوحِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ صُورَتِهِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي إِحْدَىٰ الرِّوَايَاتِ : " فَإِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثمَّ قال : يا ربّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ ويكتب المَلَك ثم يقول : يا ربّ أجله ، فيقول ربك ما شاء ، ويكتب المَلَك وذكر رزقه . فقال الْقَاضِي وَغَيْرُهُ : لَيْسَ هُوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَلَا يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ بَلِ الْمُرَادُ بِتَصْوِيرِهَا وَخَلْقُ سَمْعِهَا إِلَىٰ آخِرِهِ أَنَّهُ يَكْتُبُ ذَلِكَ ثُمَّ يَفْعَلُهُ فِي وَقْتٍ آخَرَ ، لِأَنَّ التَّصْوِيرَ عَقِبَ الْأَرْبَعِينَ الْأُولَىٰ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الْعَادَةِ وَإِنَّمَا يَقَعُ فِي الْأَرْبَعِينَ الثَّالِثَةِ وَهِيَ مُدَّةُ الْمُضْغَةِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحمًا﴾** ، ثمَّ يكون للملك فيه تصوير آخر وهو وقت نَفْخِ الرُّوحِ عَقِبَ الْأَرْبَعِينَ الثَّالِثَةِ حِينَ يَكْمُلُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ .

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ نَفْخَ الرُّوحِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ : "إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَك فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ

كَلِمَاتٍ ، فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ " ، فَقَوْلُهُ " ثُمَّ يُبْعَثُ" بِحَرْفِ ثُمَّ يَقْتَضِي تَأْخِيرَ كَتْبِ المَلَك هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَىٰ مَا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ الثَّالِثَةِ وَالْأَحَادِيثُ الْبَاقِيَةُ تَقْتَضِي الْكَتْبَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ الْأُولَىٰ وَجَوَابُهُ أَنَّ قَوْلَهُ ثم يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَك فَيُؤْذَنُ فَيَكْتُبُ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَمُتَعَلِّقٌ بِهِ لَا بِمَا قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ وَيَكُونُ قَوْلُهُ ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ مُعْتَرِضًا بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَذَلِكَ جَائِزٌ مَوْجُودٌ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَغَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ .

قَالَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ وَالْمُرَادُ بِإِرْسَالِ المَلَك فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَمْرُهُ بِهَا وَبِالتَّصَرُّفِ فِيهَا بِهَذِهِ الْأَفْعَالِ وَإِلَّا فَقَدْ صَرَّحَ فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ موكل بالرَّحم وأنَّه يقول : يا رب نطفة ؟ يا رب عَلَقَةٌ ؟ قَالَ الْقَاضِي : وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ : " وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ يا رب أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ " لَا يُخَالِفُ مَا قَدَّمْنَاهُ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ بَعْدَ الْمُضْغَةِ بَلِ ابْتِدَاءٌ لِلْكَلَامِ وَإِخْبَارٌ عَنْ حَالَةٍ أُخْرَىٰ فَأَخْبَرَ أَوَّلًا بِحَالِ المَلَك مَعَ النُّطْفَةِ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَرَادَ إِظْهَارَ خَلْقِ النُّطْفَةِ عَلَقَةً كَانَ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ الْمُرَادُ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرَ مِنَ الرِّزْقِ وَالْأَجَلِ وَالشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالْعَمَلِ وَالذُّكُورَةِ وَالْأُنُوثَةِ أَنَّهُ يُظْهِرُ ذَلِكَ لِلْمَلَكِ وَيَأْمُرُهُ بِإِنْفَاذِهِ وَكِتَابَتِهِ ، وَإِلَّا فَقَضَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ سَابِقٌ عَلَىٰ ذَلِكَ وَعِلْمُهُ وَإِرَادَتُهُ لِكُلِّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي الْأَزَلِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وروىٰ مسلم (٤/ ٢٠٣٧ برقم ٢٦٤٥) بسنده عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَىٰ رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَك بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَىٰ مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ وُكِّلَ بِالعَبْدِ قَرِيْنٌ مِنَ المَلَائِكَة كَمَا وُكِّلَ بِهِ قَرِيْنٌ مِنَ الجِنّ ؟

الجواب : جاء في الحديث الشَّريف أنَّ الله تعالىٰ وكَّل بكلِّ إنسان قريناً من المَلَائِكَة ، كما وكَّل به قريناً من الجن ...فقد روىٰ مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٧ برقم ٢٨١٤) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ». وهذا القرين قد يكون غير المَلَائِكَة الحفظة الذين كلَّفهم الله تعالىٰ بحفظ ابن آدم بأمر الله حتىٰ ينتهوا به إلىٰ قدره ، فإذا جاء قدره خلوا بينه وبينه ...

وقرين الإنسان من المَلَائِكَة لا يأمره إلَّا بما يرضي الله عنه ، أمَّا قرينه من الجنِّ فلا يأمره إلَّا بالشَّرِّ والذُّنوب وسائر المعاصي ... قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (١/٦٩٩-٧٠٠) : " وَقَوْلُهُ: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا هَنَّاد بْنُ السَّرِي، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مُرَّةَ الهَمْدَانِي، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَلَمّة بِابْنِ آدَمَ، وللمَلك لَمَة، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَك فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ. فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فليعلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ، فَلْيحمَد اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَىٰ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ". ثُمَّ قَرَأَ: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا﴾** الْآيَةَ.

وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنَيْهِما جَمِيعًا، عَنْ هَنَّاد بْنِ السَّرِي . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ أَبِي يَعْلَىٰ الْمَوْصِلِيِّ، عَنْ هَنَّاد، بِهِ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَهُوَ حَدِيثُ أَبِي الْأَحْوَصِ -يَعْنِي سَلَّامَ بْنَ سُلَيْمٍ -لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ. كَذَا قَالَ. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدُويه فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رُسْتَه، عَنْ هَارُونَ الفَرْوِي، عَنْ أَبِي ضَمْرة عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، مَرْفُوعًا نَحْوَهُ.

وَلَكِنْ رَوَاهُ مِسْعر، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَضْلَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ. فَجَعَلَهُ مِنْ قَوْلِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾** ، أَيْ: يُخَوِّفُكُمُ الْفَقْرَ، لِتُمْسِكُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ فَلَا تُنْفِقُوهُ فِي مَرْضَاةِ اللهِ، **﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾** ، أَيْ: مَعَ نَهْيِهِ إِيَّاكُمْ عَنِ الْإِنْفَاقِ خَشْيَةَ الْإِمْلَاقِ، يَأْمُرُكُمْ بِالْمَعَاصِي وَالْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ وَمُخَالَفَةِ الخَلاق، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾** ، أَيْ: فِي مُقَابَلَةِ مَا أَمَرَكُمُ الشَّيْطَانُ بِالْفَحْشَاءِ **﴿وَفَضْلا﴾** ، أَيْ: فِي مُقَابَلَةِ مَا خَوَّفَكُمُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْفَقْرِ **﴿وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** " .

وروىٰ ابن حبَّان في " الصَّحيح " (١٢/٣٤٣ برقم ٥٥٣٣) ، الحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٣ برقم ٢٠١١ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) بسندهما عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَوَىٰ الرَّجُلُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَيَقُولُ الْمَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَّ، ثُمَّ نَامَ بَاتَتِ الْمَلَائِكَةُ تَكْلَؤُهُ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ، قَالَ الْمَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بِشَرٍّ، فَإِنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ نَفْسِي، وَلَمْ يُمِتْهَا فِي مَنَامِهَا، الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا» إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ «الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ وَقَعَ مِنْ سَرِيرِهِ فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ» . والحديث يُدلِّل علىٰ اجتهاد كلٍّ من المَلَك والشِّيطان في العمل علىٰ توجيه الإنسان نحو الخير أو الشَّر ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ المَلَائِكَةَ الحَفَظَةَ لا يُفَارِقُوْنَنَا إِلَّا عِنْدَ الخَلَاء ؟

الجواب : قال الإمام ابن حجر الهيتمي في " الفتاوىٰ الحديثيَّة" (ص٤٧) : " أَن الْحفظَة لَا يفارقوننا إِلَّا عِنْد الْخَلَاء وَالْجِمَاع وَالْغسْل " .

وقال الإمام السَّفاريني في " لوامع الأنوار البهيَّة وسواطع الأسرار الأثريَّة لشرح الدرَّة المضيَّة في عقد الفرقة المرضيَّة " (١/ ٤٤٧-٤٤٨) : " قَالَ عُلَمَاؤُنَا - مِنْهُمُ ابْنُ حَمْدَانَ فِي نِهَايَةِ الْمُبْتَدِئِينَ: الرَّقِيبُ وَالْعَتِيدُ مَلَكَانِ مُوَكَّلَانِ بِالْعَبْدِ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِهِمَا وَنُصَدِّقَ بِأَنَّهُمَا يَكْتُبَانِ أَفْعَالَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ : **﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**[ق: ١٧] وَقَوْلِهِ: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** [الانفطار: ١٠] وَلَا يُفَارِقَانِ الْعَبْدَ بِحَالٍ وَقِيلَ بَلْ عِنْدَ الْخَلَاءِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ الْمَلَائِكَة يَجْتَنِبُونَ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ حَالَيْنِ عِنْدَ غَائِطِهِ وَعِنْدَ جِمَاعِهِ، وَمُفَارَقَتُهُمَا لِلْمُكَلَّفِ حِينَئِذٍ لَا تَمْنَعُ مِنْ كَتْبِهِمَا مَا يَصْدُرُ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ كَالِاعْتِقَادِ الْقَلْبِيِّ، يَجْعَلُ اللهُ لَهُمَا أَمَارَةً عَلَىٰ ذَلِكَ " .

قلت : ومن الأدلَّة التي استدلُّوا بها علىٰ ما ذهبوا إليه في هذه المسألة ، ما رواه التِّرمذيُّ (٤/٤٠٩ برقم ٢٨٠٠) بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لاَ يُفَارِقُكُمْ إِلاَّ عِنْدَ الغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ " . والحديث ضعيف ، قال التِّرمذي : " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَأَبُو مُحَيَّاةَ اسْمُهُ: يَحْيَىٰ بْنُ يَعْلَىٰ" .

قال الإمام مغلطاي في " شرح سنن ابن ماجه " (ص١٢٧٧) : " ... وأمَّا حديث :" الكرام الكاتبين لا يفارقان العبد إلَّا عند الخلاء والجماع" ضعيف لا يخدش في هذا الدَّليل، والله تعالى أعلم " .

وقال الإمام العيني في " شرح سنن أبي داود " (٢/ ٣٩٧) ، " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (٤/ ١٥٠) : " فإن قيل: قد رُوِيَ عنه- عليه السَّلام-: أنَّ الكرام الكاتبين لا يُفارقان العَبد إلَّا عند الخلاء والجماع . قلت: هذا حديث ضعيف لا يحتجُّ به " .

وقال الإمام محمَّد المختار الشَّنقيطي في " شرح سنن النَّسائي " (٥/ ١٥٠٥) : " ... ولا يعارضه ما ورد من أنَّ الكرام الكاتبين لا يفارقون العبد إلَّا عند الخلاء، والجماع، لأنَّ الحديث كما قال العيني -رحمه الله- ضعيف لا يحتجُّ به" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ الحَفَظَةُ هُمُ الكَتَبَة ؟

الجواب : الظَّاهر أنَّهما مختلفان ... لأنَّ الحفظة او المعقِّبات وظيفتهم حفظ الإنسان من أمر الله تعالى ، وهم جماعة **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾** ، **﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةٌ﴾** ، ويرفعون أحوال بني آدم في كلّ نهار وليلة مرَّتين ، ويتعاقبون على ابن آدم بالليل والنَّهار ، بينما الكَتَبة اثنان **﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ﴾** وظيفتهم كتابة وإحصاء أعمال وأقوال بني آدم ، ويرفعون أعمال المُكلَّف في يومي الاثنين والخميس ، وهم ملازمون للإنسان لا ينفكُّون عنه بحال ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُمْكِنُ لِلْمَلَائكَةِ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَى أَعْمَالِ القُلُوْبِ وَبالتَّالِي كِتَابَتهَا ؟ أَم أَنَّ مَا فِي القُلُوْبِ لَا يَعْلَمهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى ؟

الجواب : ما في القلوب غيبٌ من الغيب الذي لا يعلمه إلَّا الله تعالى ، قال تعالى : " **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** [الأنعام:٥٩] ، وقال : **﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّماواتِ والأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾** [النمل:٦٥] ... وقد بيَّنت الآياتُ أنَّ المَلَائِكَة تكتب أعمال القلوب ... قال تعالى : **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ * كِراماً كاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** [الانفطار:١٠-١٢] ، ومعلوم أنَّ الفعل يشمل عمل القلب وسائر الجوارح وظاهر الآية دلَّ على أنَّ سائر الأعمال والأفعال تُكْتَبُ... وقال تعالى : **﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُون﴾** [الزخرف:٨٠] .

روىٰ البخاري (٨/١٠٣ برقم ٦٤٩١) ومسلم (١/١١٨ برقم ١٣١) بسندهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللهَّ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» .

وروىٰ مسلم في صحيحه (١/١١٧ برقم ١٢٩) بسنده : " عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا " وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ " وَقَالَ رسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ» .

وقد اختلف أهلُ العلمِ في كيفيَّة معرفة المَلَائِكَة بالهمِّ بالحسنة والهمِّ بالسيِّئة ... فقيل : إنَّ الله تعالىٰ يُطلع المَلَك علىٰ ذلك ، وقيل : أنَّ المَلَك يجد للهمِّ بالسيِّئة رائحة خبيثة، وبالهمِّ بالحسنة رائحةً طيِّبةً ، وقيل : بأنَّ الله تعالىٰ يخلق للملك علماً يُدرك به ذلك .

روىٰ أبو الشَّيخ في " العظمة (٣/١٠٠٢ برقم ٥٢٢) وابن المقرئ في " المعجم " (١/٣١٨ برقم ١٠٣١) بسندهما عَنْ حَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي مَعْشَرٍ: الرَّجُلُ يَذْكُرُ اللهَّ فِي نَفْسِهِ كَيْفَ تَكْتُبُهُ الْمَلَائِكَةُ؟ قَالَ: «يَجِدُونَ الرِّيحَ» .

وروىٰ أبو داود في الزُّهد (١٦٤ برقم ١٦٤) والطَّبراني في " الدَّعوات الكبير " (٢/٢٥٩ برقم ٦١١) بسنده عَنْ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً، وَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، فَلَمَّةُ الْمَلَك إِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَهَا فَلْيَحْمَدِ اللهَّ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ إِيعَادٌ بِالشَّرِّ، وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَهَا فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهَّ " . والأثر رواه البزَّار في " المسند" (٥/٣٩٤ برقم ٢٠٢٧) مرفوعاً . وسنده ضعيف ...

قال الإمام القاضي عياض اليحصبي في " إكمال المعلم شرح صحيح مسلم " (١/ ٢٨٢) : " قال أبو جعفر الطَّبري : وفي الحديث دليل على أنَّ الحفظة يكتبون أعمال القلوب وعقدها ، خلافًا لمن قال : إنَّها لا تكتب إلَّا الأعمال الظَّاهرة " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٢/ ١٥٢) : " قَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَفَظَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ الْقُلُوبِ وَعَقْدَهَا خِلَافًا لِمَنْ قَالَ إِنَّهَا لَا تَكْتُبُ إِلَّا الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ وَاللهُ أَعْلَمُ " . وانظر : " إتحاف السَّادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين " (٧/ ٢٩١) ، " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (٢/ ١٠٧) .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ١١) : " قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ ومجاهد: يكتب على الإنسان كل شيء حَتَّى الْأَنِينُ فِي مَرَضِهِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَا يكتب إلا ما يؤجر به أَوْ يُوْزَرُ عَلَيْهِ . وَقِيلَ : يُكْتَبُ عَلَيْهِ كُلُّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ مُحِيَ عَنْهُ مَا كَانَ مُبَاحًا، نَحْوُ انْطَلِقْ اقْعُدْ كُلْ مِمَّا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ أَجْرٌ وَلَا وِزْرٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ" .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٨/ ٣٤٤) : " وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** يَعْنِي: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَمَلَائِكَةً حَفَظَةً كِرَامًا فَلَا تُقَابِلُوهُمْ بِالْقَبَائِحِ، فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ" .

وقال أيضاً (٧/ ٣٩٨) : " **﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾** ، يَعْنِي: الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَ الْإِنْسَانِ **﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾** ، أَيْ: مُتَرَصِّدٌ .

﴿مَا يَلْفِظُ﴾ ، أَيِ: ابْنُ آدَمَ **﴿مِنْ قَوْلٍ﴾** ، أَيْ: مَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ **﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** ، أَيْ: إِلَّا وَلَهَا مَنْ يُرَاقِبُهَا مُعْتَدٍ لِذَلِكَ يَكْتُبُهَا، لَا يَتْرُكُ كَلِمَةً وَلَا حَرَكَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾**[الِانْفِطَارِ: ١٠ -١٢] .

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ يَكْتُبُ الْمَلَك كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ؟ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وقَتَادَةَ، أَوْ إِنَّمَا يَكْتُبُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ كَمَا هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَلَى قَوْلَيْنِ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ الْأَوَّلُ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** .

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بِهِ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ " .

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ اللَّيْثِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلْقَمَةَ، عَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ . وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ". قَالَ: فَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ: كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ" .

وقال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (١١/ ٣٢٥) عند شرحه لحديث : " مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً" : "وَمَعْنَى قَوْلِهِ : " كَتَبَهَا اللَّهُ " أَمَرَ الْحَفَظَةَ بِكِتَابَتِهَا ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْآتِي فِي التَّوْحِيدِ بِلَفْظِ : " إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا " ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَكَ يَطَّلِعُ عَلَى مَا فِي قَلْبِ الْآدَمِيِّ إِمَّا بِإِطْلَاعِ اللَّهِ إِيَّاهُ أَوْ بِأَنْ يَخْلُقَ لَهُ عِلْمًا يُدْرِكُ بِهِ ذَلِكَ ، وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ مَا أَخْرَجَهُ بن أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ ، قَالَ : يُنَادَى الْمَلَكُ اكْتُبْ لِفُلَانٍ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْهُ فَيَقُولُ إِنَّهُ نَوَاهُ ، وَقِيلَ : بَلْ يَجِدُ الْمَلَكُ لِلْهَمِّ بِالسَّيِّئَةِ رَائِحَةً خَبِيثَةً وَبِالْحَسَنَةِ رَائِحَةً طَيِّبَةً ، وَأَخْرَجَ ذَلِكَ الطَّبَرِيُّ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ الْمَدَنِيِّ وَجَاءَ مِثْلُهُ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، وَرَأَيْتُ فِي شَرْحِ مُغْلَطَايْ أَنَّهُ وَرَدَ مَرْفُوعًا" .

وقال الإمام العراقي في " طرح التَّثريب " (٨/ ٢٢٩) : " قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَفَظَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ الْقُلُوبِ وَعَقْدَهَا خِلَافًا لِمَنْ قَالَ إِنَّهَا لَا تَكْتُبُ إِلَّا الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ وَحَكَى النَّوَوِيُّ ذَلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيِّ وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمَلَكَ يَعْلَمُ ذَلِكَ بِرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ تَفُوحُ مِنْ الْإِنْسَانِ بِخِلَافِ مَا إذَا هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ فَإِنَّهُ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةٌ خَبِيثَةٌ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ " .

وجاء في فتاوى الإمام ابن تيمية (٤/٢٥٣-٢٥٤) : " سُئِلَ: عَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِالْحَسَنَةِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً" الْحَدِيثَ. فَإِذَا كَانَ الْهَمُّ سِرًّا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَكَيْفَ تَطَّلِعُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِ؟ فَأَجَابَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، قَدْ رُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فِي جَوَابِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ قَالَ: " إنَّهُ إذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ شَمَّ الْمَلَكُ رَائِحَةً طَيِّبَةً وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ شَمَّ رَائِحَةً خَبِيثَةً" . وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُعْلِمَ الْمَلَائِكَةَ بِمَا فِي نَفْسِ الْعَبْدِ كَيْفَ شَاءَ كَمَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُطْلِعَ بَعْضَ الْبَشَرِ عَلَى مَا فِي الْإِنْسَانِ. فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الْبَشَرِ قَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ مِنْ الْكَشْفِ مَا يَعْلَمُ بِهِ أَحْيَانًا مَا فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ: فَالْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْعَبْدِ أَوْلَى بِأَنْ يُعَرِّفَهُ اللَّهُ ذَلِكَ. وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْله تَعَالَى

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ: وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْمَلَائِكَة تُلْقِي فِي نَفْسِ الْعَبْدِ الْخَوَاطِرَ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: " إنَّ لِلْمَلَكِ لَمَّةً وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّةً فَلَمَّةُ الْمَلَك تَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ وَوَعْدٌ بِالْخَيْرِ وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ تَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ ". وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْمَلَائِكَة وَقَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَأَنَا إلَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَلَا يَأْمُرُنِي إلَّا بِخَيْرِ" . فَالسَّيِّئَةُ الَّتِي يَهُمُّ بِهَا الْعَبْدُ إذَا كَانَتْ مِنْ إلْقَاءِ الشَّيْطَانِ: عَلِمَ بِهَا الشَّيْطَانُ. وَالْحَسَنَةُ الَّتِي يَهُمُّ بِهَا الْعَبْدُ إذَا كَانَتْ مِنْ إلْقَاءِ الْمَلَكِ: عَلِمَ بِهَا الْمَلَك أَيْضًا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَإِذَا عَلِمَ بِهَا هَذَا الْمَلَكُ: أَمْكَنَ عِلْمُ الْمَلَائِكَة الْحَفَظَةِ لِأَعْمَالِ بَنِي آدَمَ " ، والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ أَعمَالَ العِبَادِ مِنْ بِدَايَةِ حَيَاتِهِم إلَى نِهَايَتِهَا ؟

الجواب : الملائكة يكتبون أعمال العباد وأقوالهم سواء كانوا من أهل الإيمان أو من أهل النِّفاق والكُفران من بداية حياتهم إلى نهايتها ... قال الإمام السَّفاريني في " لوامع الأنوار البهيَّة وسواطع الأسرار الأثريَّة لشرح الدرَّة المضيَّة في عقد الفرقة المرضيَّة " (١/ ٤٥٠) : " قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ [ق: ١٨] فَإِفَادَةُ الْعُمُومِ بِطَرِيقِ وُقُوعِ النَّكِرَةِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، وَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ فِي الْعَبْدِ الْكَافِرُ ؛ لِأَنَّهُ تُضْبَطُ عَلَيْهِ أَعْمَالُهُ وَأَنْفَاسُهُ. قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ، بَلْ نَقَلَ فِيهِ بَعْضُهُمُ الْإِجْمَاعَ أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا فَعَلَ أَفْعَالًا جَمِيلَةً كَالصَّدَقَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنَّ ثَوَابَ ذَلِكَ يُكْتَبُ لَهُ، وَدَعْوَى كَوْنِهِ مُخَالِفًا لِلْقَوَاعِدِ غَيْرُ مُسْلِمٍ انْتَهَى. قَالَ بَعْضُهُمْ: وَضَابِطُ ذَلِكَ الطَّاعَاتُ الَّتِي لَا تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا عَلَى نِيَّةٍ، وَقَدْ سَلَّمَ ذَلِكَ لَهُ ابْنُ حَجَرٍ وَابْنُ الْمُنِيرِ وَابْنُ بَطَّالٍ وَغَيْرُهُمْ. وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَى أَنَّ لِلْكَافِرِ حَفَظَةً - بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَهُوَ الَّذِي لَا يَصِحُّ غَيْرُهُ. وَهُوَ الْجَارِي عَلَى الْقَوْلِ بِتَكْلِيفِهِمْ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ وَهُوَ مُعْتَمَدُ الثَّلَاثَةِ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ" .

وفي الكتاب العزيز جاء قوله والله تعالى عن الكفَّار يوم القيامة: **﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** [الكهف:٤٩] ، والآية الكريمة نصٌّ مُحكمٌ على أنَّ الحفظة يكتبون على جميع الخلق ، وليس فيها تخصيص للمؤمن دون الكافر ...

ومن الآيات الدالَّة على أنَّ الحفظة يكتبون أعمال الكافر كما يكتبون أعمال المؤمن قوله تعالى: **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾** [الحاقة:٢٥-٢٦]

فالظَّاهرُ والصَّواب في المسألة أنَّ المَلَائِكَة يُسجِّلون كُلَّ ما يصدُرُ عن العبد من بداية حياته إلىٰ نهايتها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠ـ١٢] .

وهم حفظةٌ لما يصدُر من العبد من قول أو فعل ... قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني في عقيدته (ص٣٨٦) : " وأنَّ علىٰ العباد حَفَظَةً يَكتُبون أعمالَهم، ولا يَسقُطُ شيْءٌ مِن ذلك عَن عِلمِ ربِّهم" .

فالملائكة يكتبون كلَّ ما يصدر عن العبد ، سواء كان صبيَّاً أو مجنوناً أو نائماً ... لكن هذه الأصناف لا يؤاخذون بما صدر منهم من السيِّئات ، فقلم المؤاخذة مرفوع عنهم، لما رواه أحمد في المسند (٤١/ ٢٢٤ برقم ٢٤٦٩٤) وابن حبَّان في الصَّحيح (١/ ٣٥ برقم ١٤٢) بسندهما عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّىٰ يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّىٰ يَعْقِلَ "، وَقَدْ قَالَ حَمَّادٌ: " وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّىٰ يَعْقِلَ " . والحديث صحَّح إسناده علىٰ شرط مسلم الشَّيخ الأرنؤوط في تخريجه لمسند أحمد وصحيح ابن حبَّان ...

جاء في " تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي " (٤/ ٥٧٠) : " رُفِعَ الْقَلَمُ " كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ التَّكْلِيفِ " .

أمَّا قلم الثَّواب فلا يُرفع ، فإنّه يجري للثَّلاثة الذين ذكرهم الحديث السَّابق... ومن الأدلَّة علىٰ ذلك ما رواه الإمام مسلم (٢/ ٩٧٤ برقم ١٣٣٦) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: «مَنِ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ اللهِ»، فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ» .

وأمَّا عن جريان الأجر للنَّائم، فَلِمَا رواه النَّسائي في " السُّنن الكُبرىٰ " (٢/١٧٧ برقم ١٤٦١) بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ رَجُلٍ، عِنْدَهُ رِضًى أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنَ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِلَيْلٍ، فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ» جاء في "سنن النَّسائي بشرح السُّيوطي وحاشية السِّندي " : " اسْمُ الرَّجُلِ الرِّضَا " .

وأمَّا عن جريان الأجر للمجنون، فَلِمَا رواه البخاري (٧/١١٦ برقم ٥٦٥٢) ومسلم (٤/ ١٩٩٤ برقم ٢٥٧٦) بسندهما عَنْ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ

لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: «أَنَّهُ رَأَىٰ أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ، عَلَىٰ سِتْرِ الكَعْبَةِ» .

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (١٢/ ١٢١-١٢٢) : " ذكر بن حِبَّانَ أَنَّ الْمُرَادَ بِرَفْعِ الْقَلَمِ تَرْكُ كِتَابَةِ الشَّرِّ عَنْهُمْ دُونَ الْخَيْرِ . وَقَالَ شَيْخُنَا فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ : هُوَ ظَاهِرٌ فِي الصَّبِيِّ دُونَ الْمَجْنُونِ وَالنَّائِمِ ، لِأَنَّهُمَا فِي حَيِّزِ مَنْ لَيْسَ قَابِلًا لِصِحَّةِ الْعِبَادَةِ مِنْهُ لِزَوَالِ الشُّعُورِ . وَحكى بن الْعَرَبِيِّ أَنَّ بَعْضَ الْفُقَهَاءِ سُئِلَ عَنْ إِسْلَامِ الصَّبِيِّ ، فَقَالَ : لَا يَصِحُّ ، وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، فَعُورِضَ بِأَنَّ الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْهُ قَلَمُ الْمُؤَاخَذَةِ وَأَمَّا قَلَمُ الثَّوَابِ فَلَا ، لِقَوْلِهِ لِلْمَرْأَةِ لَمَّا سَأَلَتْهُ أَلِهَذَا حَجٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلِقَوْلِهِ : " مُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ " ، فَإِذَا جَرَىٰ لَهُ قَلَمُ الثَّوَابِ فَكَلِمَةُ الْإِسْلَامِ أَجَلُّ أَنْوَاعِ الثَّوَابِ ، فَكَيْفَ يُقَالُ : إِنَّهَا تَقَعُ لَغْوًا وَيُعْتَدُّ بِحَجِّهِ وَصَلَاتِهِ وَاسْتُدِلَّ بِقَوْلِهِ حَتَّىٰ يَحْتَلِمَ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُؤَاخَذُ قَبْلَ ذَلِكَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هوَ مَكَانُ المَلَائكَةِ الكَتَبَةِ مِنَ الإنْسَان ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾** [ق:١٧] . والآية تدلُّ دلالة واضحة بيِّنة علىٰ أنَّ أحد الكاتبين يكون عن اليمين والآخر يكون عن الشِّمال ... وكاتب اليمين يكتب الحسنات بينما كاتب الشِّمال يكتب السَّيِّئات ، وقد جاء في الحديث عَن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ : " كَاتب الْحَسَنَات عَلَىٰ يَمِين الرَّجل وَكَاتب السَّيِّئَات عَلَىٰ يسَاره ، وَكَاتب الْحَسَنَات أَمِين عَلَىٰ كَاتب السَّيِّئَات ، فَإِذا عمل حَسَنَة كتبهَا ملك الْيَمين عشرً وَإِذا عمل سَيِّئَة قَالَ صَاحب الْيَمين لصَاحب الشِّمَال : دَعه سبع سَاعَات لَعَلَّه يسبح أَو يسْتَغْفر" . قال الإمام الزَّيلعي في " تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشَّاف للزَّمخشري" (٣/ ٣٥٨) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي مُعْجَمه وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الْإِيمَان فِي الْبَاب السَّابع وَالْأَرْبَعين كِلَاهُمَا من حَدِيث جَعْفَر بن الزُّبَيْر عَن الْقَاسِم عَن أبي أُمَامَة ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صَاحب الْيَمين أَمِين عَلَىٰ صَاحب الشِّمَال ، فَإِذا عمل العَبْد حَسَنَة كتبهَا بِعشر أَمْثَالهَا ، وَإِذا عمل سَيِّئَة قَالَ لَهُ صَاحب الْيَمين : امْكُث سِتّ سَاعَات ، فَإِن اسْتَغْفر لم يكْتب عَلَيْهِ ، وَإِلَّا أثبتت عَلَيْهِ السَّيئَة " انْتَهَىٰ . وَبِهَذَا السَّنَد رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ وَمن طَرِيقه رَوَاهُ الْبَغَوِيّ ، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ أَيْضاً وَإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه فِي مُسْنده والواحدي فِي الْوَسِيط من حَدِيث بشر بن نمير عَن الْقَاسِم بن مُحَمَّد عَن أبي أُمَامَة مَرْفُوعاً ... فَذَكَرَاهُ ، وَفِيه فَيَقُول لَهُ : أمسك فَيُمسك سبع سَاعَات ، فَإِن اسْتغْفر لم تكْتب عَلَيْهِ ، وَإِن لم يسْتَغْفر كتبت سَيِّئَة ، انْتَهَىٰ . وَرَوَىٰ الطَّبَرَانِيّ أَيْضاً عَن ثَوْر بن يزِيد عَن الْقَاسِم عَن أبي أُمَامَة مَرْفُوعاً نَحوه" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَكْتُبُ مَلَكُ الشِّمَال عَلَى العَبْدِ السَّيِّئَةَ فَوْر الإِتْيَانِ بِهَا ؟

الجَواب : روىٰ الحاكم في المستدرك (٨/ ١٨٥ برقم ٧٧٦٥) ومسند الشَّاميِّين (١/ ٣٠١ برقم ٥٢٦) وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ١٢٤) والبيهقي في شُعب الإيمان (٩/ ٢٧٢ برقم ٦٦٥٠) بسندهم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوِ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً» . قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد (١٠/ ٢٠٨ برقم ١٧٥٧٦) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِأَسَانِيدَ، وَرِجَـــالُ أَحَدِهَا وُثِّقُوا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُسَجِّلُ المَلَائِكَة مَا يَصْدُرُ عَن العِبَادِ مِنَ كَلَامٍ طَيِّبٍ دَاخِلٍ ضِمْنَ البِدَعِ الحَسَنَة ؟

الجواب : نعم ، يسجِّلون ذلك له لا عليه ...أخرج البخاري (١/ ١٥٩ برقم ٧٩٩) بسنده عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ ، قَالَ : كُنَّا يَوْماً نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ ، قَالَ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ : رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ، قَالَ : " مَنِ الْمُتَكَلِّمُ " ، قَالَ : أَنَا ، قَالَ : " رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ " . فالصَّحابي الجليلُ رضوانُ الله عليه وعلىٰ كافَّة صحابة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتدع ما ذكر من عند نفسه ، ولم يسبق له أن سمعه من سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فزاد في الثناء علىٰ الله تعالىٰ زيادة علىٰ ما تعلَّمه سابقاً من الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد أقرَّه علىٰ ما قال ولم يعنِّفه ، بل قال له : رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرون ما قلت ، أيُّهم يكتبها أوَّلاً ...

قال الإمام ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" (٢/ ٢٨٧) في كلامه علىٰ الحديث : " وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَىٰ جَوَازِ إِحْدَاثِ ذِكْرٍ فِي الصَّلاة غَيْرِ مَأْثُورٍ إذا كَانَ غير مُخالف للمأثور " .

ومن اللطائف التي ذكرها العلماء هنا : أنَّ عدد حروف الكلمات التي قالها الصَّحابي هو خمسة وثلاثون حرفاً ، وقد قال الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " رأيت بضعة وثلاثين مَلَكاً " ، فسبحان الله ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُمْحَى الذُّنُوْبُ مِنْ صَحَائِفِ المَلَائِكَةِ بِالتَّوْبَة ؟

الجواب :قال الإمام السَّفاريني في " لوامع الأنوار البهيَّة وسواطع الأسرار الأثريَّة لشرح الدرَّة المضيَّة في عقد الفرقة المرضيَّة " (١/ ٤٥١) : " قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: لَا تُمْحَى الذُّنُوبُ مِنْ صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ بِتَوْبَةٍ، وَلَا غَيْرِهَا بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُوقَفَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا وَيَقْرَأَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾** [الكهف: ٤٩] الْآيَةَ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** ، **﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً**

إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٧ – ٤٩] . وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْقَوْلُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَبِلَالِ بْنِ سَعْدٍ الدِّمَشْقِيِّ، قَالَ الْحَسَنُ فِي الْعَبْدِ يُذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ: يُغْفَرُ لَهُ وَلَكِنْ لَا يُمْحَاهُ مِنْ كِتَابِهِ دُونَ أَنْ يَقِفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَسْأَلُهُ عَنْهُ، ثُمَّ بَكَى الْحَسَنُ بُكَاءً شَدِيدًا، وَقَالَ لَوْ لَمْ نَبْكِ إِلَّا لِلْحَيَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ لَكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَبْكِيَ.

وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ: إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَكِنْ لَا يَمْحَاهَا مِنَ الصَّحِيفَةِ، حَتَّى يُوقِفَهُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَابَ.

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَكْتُبُ المَلَائِكَةُ آثَارَ أَعمَالِ العَبْدِ الْمُمْتَدَّةِ إِلَى مَا بَعْدَ مَمَاتِه ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾** [يس:١٢] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير الكبير " (٢٦/٢٥٨) : " **﴿وَآثَارَهُمْ﴾** فِيهِ وُجُوهٌ :

الْأَوَّلُ: آثَارُهُمْ أَقْدَامُهُمْ فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ بَعُدَتْ دُورُهُمْ عَنِ الْمَسَاجِدِ فأرادوا النقلة فقال صلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَكْتُبُ خُطُوَاتِكُمْ وَيُثِيبُكُمْ عَلَيْهِ فَالْزَمُوا بُيُوتَكُمْ»

وَالثَّانِي: هِيَ السُّنَنُ الْحَسَنَةُ، كَالْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ وَالْقَنَاطِرِ الْمَبْنِيَّةِ، وَالْحَبَائِسِ الدَّارَّةِ، وَالسُّنَنُ السَّيِّئَةُ كالظلمات الْمُسْتَمِرَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا ظَالِمٌ وَالْكُتُبِ الْمُضِلَّةِ، وَآلَاتِ الْمَلَاهِي وَأَدَوَاتِ الْمَنَاهِي الْمَعْمُولَةِ الْبَاقِيَةِ، وَهُوَ فِي معنى قوله صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» فَمَا قَدَّمُوا هُوَ أَفْعَالُهُمْ وَآثَارُهُمْ أَفْعَالُ الشَّاكِرِينَ فَبَشَّرَهُمْ حَيْثُ يُؤَاخَذُونَ بِهَا وَيُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/١٢) : " آثَارُ الْمَرْءِ الَّتِي تَبْقَى وَتُذْكَرُ بَعْدَ الْإِنْسَانِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يُجَازَى عَلَيْهَا: مِنْ أَثَرٍ حَسَنٍ، كَعِلْمٍ عَلَّمُوهُ، أَوْ كِتَابٍ صَنَّفُوهُ، أَوْ حَبِيسٍ احْتَبَسُوهُ، أَوْ بِنَاءٍ بَنَوْهُ مِنْ مَسْجِدٍ أَوْ رِبَاطٍ أَوْ قَنْطَرَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. أَوْ سَيِّءٍ كَوَظِيفَةٍ وَظَّفَهَا بَعْضُ الظُّلَّامِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَسَكَّةٍ أَحْدَثَهَا فِيهَا تَخْسِيرُهُمْ، أَوْ شيء أَحْدَثَهُ فِيهِ صَدٌّ عَنْ ذِكْرِ اللهَّ مِنْ أَلْحَانٍ وَمَلَاهٍ، وَكَذَلِكَ كُلُّ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ، أَوْ سيِّئة يستن بها " .

وقال الإمام البيضاوي في " أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل" (٤/ ٢٦٤) : " **﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾** ما أسلفوا من الأعمال الصّالحة والطّالحة. **﴿وَآثارَهُمْ﴾** الحسنة كعلم علّموه ، وحبيس وقفوه، والسَّيِّئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم " .

وقال الإمام ابن كثير في " التّفسير " (٦/ ٥٥٦) : " وَقَالَ ابْنُ لَهِيعَة، عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: **﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾** يَعْنِي: مَا أَثَرُوا. يَقُولُ: مَا سَنُّوا مِنْ سُنَّةٍ، فَعَمِلَ بِهَا قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَلَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ مَنْ عَمِلَهُ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَتْ شَرًّا فَعَلَيْهِ مَثْلُ أَوْزَارِهِمْ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَهُ شَيْئًا. ذَكَرَهُمَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ اخْتِيَارُ البَغَوِيّ " .

وقال الإمام الألوسي في " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني" (١١/ ٢٩٠-٢٩١) : " أي : إنّا نحن نحيي الأموات جميعاً ببعثهم يوم القيامة ، **﴿وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا﴾** ما أسلفوه من الأعمال الصّالحة والطّالحة **﴿وَآثارَهُمْ﴾** التي أبقوها بعدهم من الحسنات ، كعلم علّموه أو كتاب ألّفوه أو حبيس وقفوه أو بناء في سبيل الله تعالى بنوه ، وغير ذلك من وجوه البر ومن السَّيِّئات ، كتأسيس قوانين الظُّلم والعدوان ، وترتيب مبادئ الشّر والفساد فيما بين العباد ، وغير ذلك من فنون الشُّرور التي أحدثوها وسنُّوها بعدهم للمفسدين.

أخرج ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» ثمّ تلا : **﴿وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ﴾** » .

وعن أنس أنّه قال في الآية: هذا في الخطو يوم الجمعة، وفسّر بعضهم الآثار بالخطأ إلى المساجد مطلقاً لما أخرج عبد الرزّاق وابن جرير وابن المنذر والتّرمذي وحسّنه عن أبي سعيد الخدري قال : كان بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قُرب المسجد فأنزل الله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ﴾** ، فدعاهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنّه يكتب آثاركم ثمّ تلا عليهم الآية فتركوا.

وأخرج الإمام أحمد في الزُّهد وابن ماجة وغيرهما عن ابن عبَّاس ، قال : كانت الأنصار منازلهم بعيدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا قريباً من المسجد فنزلت ﴿**وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ**﴾ ، فقالوا بل: نمكث مكاننا.

وأنت تعلم أنَّه لا دلالة فيما ذكر على أنَّ الآثار هي الخطا لا غير ، وقصارىٰ ما يدل عليه أنَّها من الآثار فلتُحمل الآثار علىٰ ما يعمّها وغيرها. واستدلَّ بهذين الخبرين ونحوهما علىٰ أنَّ الآية مدنيَّة.

وقال أبو حيَّان: ليس ذلك زعماً صحيحاً ، وشنَّع عليه بما ورد ممَّا يدل علىٰ ذلك، وانتصر له الخفَّاجي بأن الحديث الدَّال معارض بما في الصَّحيحين أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ لهم هذه الآية ولم يذكر أنَّها نزلت فيهم ، وقراءته عليه الصَّلاة والسَّلام لا تنافي تقدُّم النُّزول ومراد أبي حيَّان هذا لا أنَّه أنكر أصل الحديث، ولا يخفىٰ أنَّ الحديثين السَّابقين ظاهران في أنَّ الآية: نزلت يومئذ ، وليس في حديث الصَّحيحين ما يعارض ذلك، والعجب من الخفَّاجي كيف خفي عليه هذا، وقيل : ما قدَّموا من النيَّات وآثارهم من الأعمال، والظَّاهر أنَّ المراد بالكتابة : الكتابة في صُحُف الملائكة الكرام الكاتبين ، ولكونها بأمره عزَّ وجلَّ أسندت إليه سبحانه، وأخّرت في الذِّكر عن الأحياء مع أنَّها مقدَّمة عليه ، لأنَّ أثرها إنَّما يظهر بعده ، وعلىٰ هذا يضعف تفسير ما قدَّموا بالنيَّات بناء علىٰ ما يدلُّ عليه بعض الأخبار من أنَّ النيَّات لا تطَّلع عليها الملائكة عليهم السَّلام ولا يؤمرون بكتابتها.

وفسَّر بعضهم الكتابة بالحفظ ، أي : نحفظ ذلك ونثبته في علمنا ، لا ننساه ولا نهمله ، كما يثبت المكتوب، ولعلك تختار أنَّ كتابة ما قدَّموا وآثارهم كناية عن مجازاتهم عليها إن خيراً فخير وإن شرَّاً فشر ، وحينئذ فوجه ذكرها بعد الأحياء ظاهر " .

وروىٰ مسلم في " الصَّحيح " (٢/ ٧٠٤ برقم ١٠١٧) مرفوعاً : «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» .

وروىٰ مسلم (٤/ ٢٠٦٠ برقم ٢٦٧٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» .

والسُّنَّة هي المسلك أو المنهج ... ومن معاني السُّنَّة أيضاً : الطَّريقة والسِّيرة المُتَّبعة ، وقد تكون الطَّريقة حسنة أو سيِّئة ، فالحسنة منها محمودة ، والسيِّئة مذمومة ، دليل ذلك قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّة حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ... " . قال الإمام ابن الجوزي في "كشف المشكل من حديث الصحيحين " (١/ ٤٣٤) في شرحه للحديث السَّابق : " وَقَوله : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَام سُنَّة حَسَنَة " ، أَي : فَعَلَ فِعْلاً جميلاً فاقتُدي بِهِ ، وَكَذَلِكَ إِذا فعل فعلاً قبيحاً فاقتُدي بِهِ ، فليجتهد الْإِنْسَان فِي فعل خير يلْحقهُ ثَوَابه بعد مَوته ، وليحذر من فعل شَرٍّ يُدْرِكهُ إثمه بعد تلفه " .

وقال الإمام النَّووي في "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج " (٧/ ١٠٤) : " فِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ ، وَسَنِّ السُّنَنَ الْحَسَنَاتِ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ . وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ : " فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا فَتَتَابَعَ النَّاس " . وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ وَالْفَاتِحُ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : تَخْصِيصُ قَوْلِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ " .

فالابتداء بالخيرات الطيِّبات الحسنات سُنَّة من السُّنن ... والحديث يُخصِّص ما جاء في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " كُلّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ " ... وسبيل التَّمييز بين السُّنَّة الحسنة والسُّنَّة السيِّئة لا يكون إلَّا بموافقة أصول الشَّرع وعدمها ، فكلُّ طريقة مرضيَّة يشهد لها أصلٌ من أُصول الدِّين ، هي سُنَّة مرضيَّة محبوبة مقبولة مجزيٌّ بالخير صاحبها ، وكلُّ طريقة لا يشهد لها أصلٌ من أُصول الدِّين هي سُنَّة غير مرضيَّة ، معاقب بالعذاب صاحبها ، وهي المتعارف عليه بين الجميع ببدعة الضَّلالة التي يجب تجنُّبها والابتعاد عنها ، والتَّحذير منها ... فالبدعة الحسنة وكذا السَّيِّئة تجري آثارها علىٰ من ابتدعها إلىٰ يوم القيامة ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ الحِكْمَةُ فِي كِتَابَةِ أَعْمَالِ بَنِيْ آدَم ؟

الجواب : قال الشَّيخ عبد الله سراج الدِّين في كتابه " الإيمان بالملائكة" (ص١٥٩ فما بعدها) : " أمر الملائكة بكتابة أعمال العباد – وهو أعلم بذلك – لوجوه من الحِكَم :

أَوَّلَاً : أن يعلم العباد أنَّ عليهم رقباء يرقبونهم في جميع تقلُّباتهم ، ويسجِّلون عليهم كافَّة أفعالهم وأقوالهم ، قال تعالىٰ: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** [ق:١٨] ، وذلك ممَّا يكفّ الإنسان عن فعل المخالفات، وارتكاب المنكرات، ويحمله علىٰ منهج الاستقامة والكرامة.

فإنَّ الإنسان حين يعلم أنَّ عليه رقيباً يرقبه من جانب من يلي عليه ، تراه يلتزم حدَّه، ويقف عنده ، لعلمه بمراقب يرقبه، مع أنَّ هذا الرَّقيب هو إنسان مثله، قد يغفل ويسهو ، وينسى ويلهو، فما ظنُّك برقابة رقباء يلازمون رقبة ابن آدم ، لا يتركونه في الليل ولا في النَّهار، ولا يسهون ولا يغفلون ، بل هم كما وصفهم سبحانه : ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنفطار:١٢] ؟! ولذا قال تعالى منبِّهاً ومتوعِّداً : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠] .

كما بيَّن سبحانه أنَّ مكر الماكرين في آياته هو مسجَّل عليهم ، قال تعالى : ﴿وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس:٢١] .

وهذا شأن المنكرين الجاحدين ، إنَّهم إذا أذاقهم الله رحمة : رخاء وسعة ونعمة ، ﴿بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ ، أي: شدَّة وضيق وبلاء ، إذا هم في تكذيب واستهزاء بآيات الله تعالى ، وطعن فيها، وعدم اعتراف بنعم الله عليهم.

ثانياً : إنَّ هذا الكتاب الذي يُسطِّرُ على ابنِ آدم أعماله وأقواله ، سوف يكون يوم القيامة حُجَّة عليه إذا هو خالف أوامر الله تعالى ، أو ارتكب ما حرَّم الله تعالى ، ولا يستطيع حينئذ أن ينكر شيئاً ممَّا سطَّره عليه الكتاب من صغيرة أو كبيرة ، قال تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٢-٥٣] ،أي : مسطَّر عليهم في صحائفهم التي كتبها الكرام الكاتبون.

وفي المسند (٤٠/٤٧٨ برقم ٢٤٤١٥) وغيره، عَن السيِّدة عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا" .

فالصَّغيرات والمحقَّرات من الذُّنوب – في نظر فاعلها– لها طالب، وعليها حاسب .

ثالثاً: أن يعلم العبد أنَّ أعماله تُكتبُ عليه، وتحفظ في كتابه ، حتى إذا جاء يوم القيامة عُرضت على رؤوس الأشهاد ، فإن كانت أعمالاً صالحة وأقوالاً طيِّبة فرح بذلك ، وسرَّ سرورا عظيماً ، ويُعطى كتابه بيمينه ، وهنا يقول معلناً سروره وغبطته : ﴿هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩] ، قال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ﴾ [الحاقة:١٩-٢١] ، الآيات .

وقال تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ﴾ [الإسراء:٧١] ،أي: فرحين مستبشرين، ومعلنين ذلك على مرأى الأشهاد ﴿وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [الإسراء:٧١] .

وإن كانت أعمالاً سيِّئة ، سِيء وجهه ، وكرُب لذلك ، وأخذ يتلوَّم ويتحسَّر، قال الله تعالىٰ : **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسابِيَهْ * يا لَيْتَها كانَتِ الْقاضِيَةَ * مَا أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ﴾** [الحاقة:٢٥-٢٩] .

رَابِعَاً : أن توضع كتب الفجَّار وما اشتملت عليه من قبائح وفضائح ، وسيِّئات وهنات ، في ديوان سجِّين أسفل سافلين ، وتتوارد عليهم الويلات واللعنات .

وتُرفع كتب الأبرار وما احتوت عليه من أعمال الطَّاعات والحسنات والخيرات إلىٰ ديوان علِّيِّين ، ليشهدها المقرَّبون من الملائكة ، والأرواح العالية ، ومقربو كل سماء ، وهناك يثنىٰ علىٰ أصحابها ، وينشر فضلهم ، ويعلو ذكرهم وتشهد كرامتهم ، ويذكر فعلهم .

قال الله تعالىٰ : **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَما أَدْراكَ مَا سِجِّينٌ * كِتابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾** [المطففين:٧-١٠] إلىٰ قوله تعالىٰ : **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَما أَدْراكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾** [المطففين:١٨-٢١]

خَامِسَاً : أن يوضع الكتاب يوم القيامة للحساب ، قال تعالىٰ : **﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنا مالِ هذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** [الكهف:٤٩] ، وقال تعالىٰ : **﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الْكِتابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾** [الزمر:٦٩] .

والمعنىٰ أنَّ أرض الموقف أشرقت بنور ربِّها لَّما تجلَّىٰ سبحانه لفصل القضاء بين الخلائق ، وهناك حقَّت الحقائق ، وبرزت الدَّقائق، و بليت السَّرائر ، وظهرت الضَّمائر ، فعلمت كلُّ نفس ما أحضرت .

وقوله تعالىٰ : **﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ﴾** ، قال كثير من المفسِّرين : المراد بهذا الكتاب كتب أعمال العباد ، و (أل) فيه للاستغراق ، والمراد بوضعه : جعل كلّ كتاب في يد صاحبه ، اليمين أو الشِّمال ، أو جعل كلّ كتاب في ميزان صاحبه .

وذهب بعض المحقِّقين إلىٰ أنَّ المراد بهذا الكتاب هنا : كتاب واحد جامع لجميع أعمال العباد يوضع للحساب .

قال العلَّامة اللقَّاني في بعض شروحه على الجوهرة : جزم الغزالي رضي الله عنه بما قيل : إنَّ صحف العباد ينسخ – أي : يكتب – ما في جميعها في صحيفة واحدة . اهـ .

قال في "روح المعاني" : والظَّاهر أنَّ جزم الغزالي وأضرابه لا يكون إلَّا عن أثر ، لأنَّ مثله لا يُقال من قِبل الرَّأي ، كما هو الظَّاهر . اهـ .

أقول : قد بيَّن ذلك بعض المحقِّقين من العلماء العارفين ، فذكر أنَّ هناك كتابين عظيمين جامعين : كتاب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فهو كتاب ذو قدر معلوم ، فيه بعض أعيان الممكنات ، وما يتكوَّن عنها ويسمَّى : (كتاب القضاء) ، وهو – أي : القضاء – الحكم الإلهي على الاشياء الممكنة بكذا وكذا .

وثانيهما : يُسمَّى(كتاب الإحصاء) ، قال تعالى : **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً﴾** [النبأ:٢٩] ، وقد كتب فيه ما يتكوَّن عن المكلَّفين خاصَّة ، فلا تزال الكتابة فيه مستمرَّة ما دام التَّكليف باقياً ، وبه تقومُ الحجَّة لله تعالى على عباده المكلَّفين ، وبه يُطالبهم ويحاكمُهم يوم القيامة ، لا بالكتاب الأوَّل ، وهذا هو المراد بقوله تعالى : **﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنا مالِ هذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾** [الكهف:٤٩] .

وكلا الكتابين محصور ، لأنَّه موجود بإيجاده تعالى ، وأمَّا علم الله تعالى في الأشياء فلا يحصره كتاب مرقوم ، ولا يسعه رقّ منشور ، ولا لوح محفوظ ، ولا يسطرّه قلم أعلى " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَتَى تَرْفَعُ المَلَائِكَةُ الكَتَبَةُ أَعْمَالَ بَنِي آدَم ؟

الجواب : جاء في السُّنَّة الصَّحيحة أنَّ الأعمال تُعرض على الله تعالى في يومي الأثنين والخميس ، فقد روى الطَّبراني في " المعجم الأوسط " (٧/ ٢٥١ برقم ٧٤١٩) بسنده عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَمِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ، وَمِنْ تَائِبٍ فَيُتَابُ عَلَيْهِ، وَيُرَدُّ أَهْلُ الضَّغَائِنِ لِضَغَائِنِهِمْ حَتَّى يَتُوبُوا» . والحديث جوَّد إسناده الإمام الدِّمياطي في " المتجر الرَّابح في ثواب العمل الصَّالح (١/ ٢٩٤ برقم ٧٨٤) ، وقال الإمام الهيثمي في " المجمع" (٨/ ٦٦ برقم ١٢٩٦٧) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ" ، وقال الإمام المنذري في " التَّرغيب والتَّرهيب من الحديث الشَّريف" (٢/ ٧٩ برقم ١٥٧٣) : " رواه الطبراني ورواته ثقات " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَصِيْرُ المَلَائِكَة الحَفَظَة بَعْدَ مَوْتِ مَنْ كُلِّفَا بِكِتَابَةِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِه ؟

الجواب : قال الإمام محمَّد بن أحمد بن سالم السَّفاريني الحنبلي في " لوامع الأنوار البهيَّة وسواطع الأسرار الأثريَّة لشرح الدرَّة المضيَّة في عقد الفرقة المرضيَّة " (١/ ٤٥٢-٤٥٣) : " جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْحَافِظَيْنِ يُقِيمَانِ عَلَى قَبْرِ الْمُؤْمِنِ يُسَبِّحَانِ اللَّهَ - تَعَالَى - وَيُهَلِّلَانِهِ وَيُكَبِّرَانِهِ، وَيُكْتَبُ ثَوَابُهُ لِلْمَيِّتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنَّهُمَا يَلْعَنَانِ الْكَافِرَ، فَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا " «إِذَا قُبِضَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ صَعِدَ مَلَكَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: مَا جَاءَ بِكُمَا؟ فَيَقُولَانِ: رَبِّ قَبَضْتَ عَبْدَكَ، فَيَقُولُ لَهُمَا: ارْجِعَا إِلَى قَبْرِهِ فَسَبِّحَانِي وَاحْمَدَانِي وَهَلِّلَانِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ مِثْلَ أَجْرِ تَسْبِيحِكُمَا وَتَحْمِيدِكُمَا وَتَهْلِيلِكُمَا لَهُ ثَوَابًا مِنِّي، فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ كَافِرًا فَمَاتَ، صَعِدَ مَلَكَاهُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَقُولُ لَهُمَا اللَّهُ: مَا جَاءَ بِكُمَا؟ فَيَقُولَانِ: رَبِّ قَبَضْتَ عَبْدَكَ وَجِئْنَاكَ، فَيَقُولُ لَهُمَا: ارْجِعَا إِلَى قَبْرِهِ فَالْعَنَاهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ كَذَّبَنِي وَجَحَدَنِي، وَإِنِّي جَعَلْتُ لَعْنَتَكُمَا عَذَابًا أُعَذِّبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٧/ ٢٥٣)) " وَرُوِيَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا، وَفِيهِ: " «فاذَنْ لَنَا أَنْ نَسْكُنَ السَّمَاءَ، فَيَقُولُ سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلَائِكَتِي يُسَبِّحُونِي، فَيَقُولَانِ ائْذَنْ لَنَا نَسْكُنِ الْأَرْضَ فَيَقُولُ: أَرْضِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَلْقِي يُسَبِّحُونَنِي، وَلَكِنْ قُومَا عَلَى قَبْرِهِ فَسَبِّحَانِي وَاحْمَدَانِي وَهَلِّلَانِي، وَاكْتُبَاهُ لِعَبْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» " (جمع الجوامع للسُّيوطي(١/ ٤٧٢ برقم ٢٣٤٥)) .

وَرُوِيَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَلَفْظِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، وَقَدْ أَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعَاتِ بِطُرُقِهِ الثَّلَاثَةِ، وَحَكَمَ عَلَيْهِ بِالْوَضْعِ، وَتَعَقَّبَهُ جَلَالُ الدِّين السُّيُوطِيُّ بِمَا حَاصِلُهُ أَنَّ الْحَدِيثَ قَدْ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ شُعَبِ الْإِيمَانِ ((١٢/ ٣٢٤ برقم ٩٤٦٢) ، وَقَالَ: فِيهِ ابْنُ مَطَرٍ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ. ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْفَرِدْ بِهِ فَقَدْ تَابَعَهُ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ حَمَّادٌ وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الْبَيْهَقِيُّ، وَالْهَيْثَمُ بْنُ حَمَّادٍ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ، قَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ: وَلَهُ شَاهِدٌ آخَرُ عَنْ أَنَسٍ، ثُمَّ رَوَى بِإِسْنَادَيْنِ عَنْهُ نَحْوَهُ مَرْفُوعًا.

وَقَالَ الشَّيْخُ وَلِيُّ الدِّين الْعِرَاقِيُّ فِي فَتَاوِيهِ الْمَكِّيَّةِ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: فِيهِ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ ضَعِيفٌ لَكِنْ لَيْسَ بِكَذَّابٍ، وَقَدْ رَوَاهُ عَنْهُ مِسْعَرٌ وَهُوَ إِمَامٌ جَلِيلٌ، فَإِنْ وُجِدَ لَهُ شَاهِدٌ قَوِيَ عِنْدَهُ. انْتَهَى. فَهَا أَنْتَ تَرَى لَهُ شَوَاهِدَ عِدَّةً " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ هُنَاكَ مَلَكٌ مُخْتَصٌّ بِالنِّدَاءِ لِلصَّلَاةِ ؟

الجواب : روى الطَّبراني في " الأوسط " (٩/ ١٧٣ برقم ٩٤٥٢) ، والضِّياء في المختارة (٧/ ١٦١ برقم ٢٥٩٠) ، وقال : إِسْنَاده لَا بَأْس بِهِ) بسندهما عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ مَلَكًا يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَأَطْفِئُوهَا بِالصَّلَاةِ» لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ ابْنِ عَوْنٍ إِلَّا أَزْهَرُ، تَفَرَّدَ بِهِ يَحْيَى بْنُ زُهَيْرٍ الْقُرَشِيُّ .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُسَجِّلُ المَلَائِكَة أَسْمَاءَ مَنْ يَحْضُرُوْن الجُمُعَة ؟

الجواب : روى البخاري (٢/ ١١برقم ٥٢٩) ومسلم (٢/ ٥٨٧ برقم ٨٥٠) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَقَفَتِ المَلَائِكَة عَلَى بَابِ المَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَمَثَلُ المُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلَائِكَةُ يُؤَمِّنُوْنَ خَلْفَ الإِمَام ؟

الجواب : روى البخاري (١/ ١٥٦ برقم ٧٨٠) ومسلم (١/ ٣٠٦ برقم ٤١٠) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَة غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ – وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ – وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: آمِينَ " .

وروى البخاري (١/ ١٥٨ برقم ٧٩٦) ومسلم (١/ ٣٠٦ برقم ٤٠٩) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

وروى البخاري (١/ ٣٠٧ برقم ٤١٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَالَ الْقَارِئُ: **﴿غَيْرِ الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة: ٧] فَقَالَ: مَنْ خَلْفَهُ: آمِينَ، فَوَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٢/ ٢٦٥) : " وَهُوَ دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْمُوَافَقَةُ فِي الْقَوْلِ وَالزَّمَانِ خِلَافًا لِمَنْ قَالَ : الْمُرَادُ الْمُوَافَقَةُ فِي الْإِخْلَاصِ وَالْخُشُوعِ كَابْنِ حِبَّانَ ، فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ : يُرِيدُ مُوَافَقَةَ المَلَائِكَة فِي الْإِخْلَاصِ بِغَيْرِ إِعْجَابٍ ، وَكَذَا جَنَحَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ ، فَقَالَ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَحْمُودَةِ أَوْ فِي إِجَابَةِ الدُّعَاءِ أَوْ فِي الدُّعَاءِ بِالطَّاعَةِ خَاصَّةً أَوِ الْمُرَاد بتأمين المَلَائِكَة استغفارهم لِلْمُؤْمِنين . وَقَالَ بن الْمُنِيرِ : الْحِكْمَةُ

فِي إِيثَارِ الْمُوَافَقَةِ فِي الْقَوْلِ وَالزَّمَانِ أَنْ يَكُونَ الْمَأْمُومُ عَلَىٰ يَقَظَةٍ لِلْإِتْيَانِ بِالْوَظِيفَةِ فِي مَحَلِّهَا ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا غَفْلَةَ عِنْدَهُمْ ، فَمَنْ وَافَقَهُمْ كَانَ مُتَيَقِّظًا ، ثُمَّ إِنَّ ظَاهِره أَن الْمُرَاد بِالْمَلَائِكَةِ جَمِيعهم ، وَاخْتَارَهُ بن بَزِيزَةَ ، وَقِيلَ : الْحَفَظَةُ مِنْهُمْ ، وَقِيلَ : الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ مِنْهُمْ إِذَا قُلْنَا إِنَّهُمْ غَيْرُ الْحَفَظَةِ . وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ مَنْ يَشْهَدُ تِلْكَ الصَّلَاةَ مِنَ الْمَلَائِكَة مِمَّنْ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ ، وَسَيَأْتِي فِي رِوَايَةِ الْأَعْرَج بَعْدَ بَابٍ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَة فِي السَّمَاءِ آمِينَ ، وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو الْآتِيَةِ أَيْضًا ، فَوَافَقَ ذَلِكَ قَوْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَنَحْوِهَا لِسُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَرَوَىٰ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ عِكْرِمَةَ ، قَالَ : صُفُوفُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَىٰ صُفُوفِ أَهْلِ السَّمَاءِ ، فَإِذَا وَافَقَ آمِينَ فِي الْأَرْضِ آمِينَ فِي السَّمَاءِ غُفِرَ لِلْعَبْدِ ، انْتَهَىٰ . وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ ، فَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ أَوْلَىٰ قَوْلُهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، ظَاهِرُهُ غُفْرَانُ جَمِيعِ الذُّنُوبِ الْمَاضِيَةِ ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ الصَّغَائِرِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ جَاءَ فِي الحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ أَنَّ الحِكْمَةَ مِنْ نَهْيِ المصلِّي عَنْ البَصْقِ عَن يَمِيْنِهِ هُوَ أَنَّهُ يُوْجَدُ عَنْ يَمِيْنِهِ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَة ؟

الجواب : نعم جاء في الصَّحيح أنَّ المصلِّي إذا قام يصلِّي يقف عن يمينه ملك من الملائكة، فقد روىٰ البخاري (١/ ٩١ برقم ٤١٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلاَةِ، فَلاَ يَبْصُقْ أَمَامَهُ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَيَدْفِنُهَا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُؤَمِّنُ المَلَائِكَةُ عَلَى دُعَاءِ الْمُؤمِنِيْن ؟

الجواب : نعم المَلَائِكَة يُؤمِّنون علىٰ دعاء المؤمنين ، وبتأمينهم يكون الدُّعاء أقرب للإجابة ...فقد روىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف (١/ ٥٢ برقم ٤٣) ، ابن ماجه (٢/ ٩٦٦ برقم ٢٨٩٥) ، الطَّبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٢٥٤ برقم ٦٥١) بسندهم عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ، وَكَانَ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ فَأَتَاهَا، فَوَجَدَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ وَلَمْ يَجِدْ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ لَهُ: تُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " دَعْوَةُ الْمَرْءِ مُسْتَجَابَةٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ يُؤَمِّنُ عَلَىٰ دُعَائِهِ، كُلَّمَا دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، قَالَ: آمِينَ، وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ ".

وروىٰ مسلم (٤/ ٢٠٩٤ برقم ٢٧٣٢) بسنده عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ " .

قال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (١٥٢٦/٤) : " كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ لِنَفْسِهِ يَدْعُو لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ لِيَدْعُوَ لَهُ الْمَلَكُ بِمِثْلِهَا، فَيَكُونَ أَعْوَنَ لِلِاسْتِجَابَةِ" .

وروىٰ ابن سعد في "الطَّبقات الكبير" (٣٥٢/٤ برقم ٥٦٢١) ، ابن عساكر في " تاريخ دمشق" (١٨٩/٤٧) ، الذَّهبي في تاريخ الإسلام (٢١٤/٢) ، سير اعلام النُّبلاء (٣٥١/٢) بسندهم عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ قَالَتْ: كَانَ لأبي الدرداء ستون وثلاث مائة خَلِيلٍ فِي اللهِ يَدْعُو لَهُمْ فِي الصَّلاةِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ رَجُلٌ يَدْعُو لأَخِيهِ فِي الْغَيْبِ إلا وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكَيْنِ يَقُولانِ: وَلَكَ بِمِثْلٍ ذلك، أَفَلَا أَرْغَبُ أَنْ تَدْعُوَ لِي الْمَلائِكَةُ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلَائِكَةُ يُؤَمِّنُوْنَ عَلَى مَا يَقُوْلُهُ النَّاسُ الحَاضِرُوْنَ عِنْدَ المَرِيْض والمُحْتَضر؟

الجواب : روىٰ مسلم (٦٣٣/٢ برقم ٩١٩) بسنده عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: " قُولِي: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَىٰ حَسَنَةً "، قَالَتْ: فَقُلْتُ، فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروىٰ أيضاً (٦٣٤/٢ برقم ٩٢٠) بسنده عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ».

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَسْتَغْفِرُ المَلَائِكَةُ لِلْمُؤمِنِيْن ؟

الجواب : جاءت آيات عديدة في كتاب الله تعالىٰ تُبيِّنُ وتُوضِّح أنَّ المَلَائِكَة يستغفرون ويدعون للمؤمنين بالنَّجاة والصَّلاح والفلاح والفوز بالجنَّة والنَّجاة من النَّار ... قال تعالىٰ : **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ**

لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر:٧-٩] ، وقال تعالى : ﴿تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْملائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى٥]

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَرُدُّ المَلَائِكَةُ السَّلَامَ عَلَى المُسَلِّمِيْن مِنَ المُؤمِنِيْن ؟

الجواب : روى أحمد في "المسند" (٣٩/ ٨٢ برقم ٢٣٦٧٧) بسنده عَنْ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسٌ فِي الْمَقَاعِدِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَجَزْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ وَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " هَلْ رَأَيْتَ الَّذِي كَانَ مَعِي؟ " قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: " فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ٣١٣ برقم ١٥٧٣٧) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ" ، وقال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين " .

وروى أحمد في " المسند" (٢٦/ ١٥٨ برقم ١٦٢١٩) بسنده عَن مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يُنَاجِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَزَعَمَ أَبُو سَلَمَةَ أَنَّهُ تَجَنَّبَ أَنْ يَدْنُوَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ تَخَوُّفًا أَنْ يَسْمَعَ حَدِيثَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مَنَعَكَ أَنْ تُسَلِّمَ إِذْ مَرَرْتَ بِي الْبَارِحَةَ؟ " قَالَ: رَأَيْتُكَ تُنَاجِي رَجُلًا، فَخَشِيتُ أَنْ تَكْرَهَ أَنْ أَدْنُوَ مِنْكُمَا، قَالَ: " وَهَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " فَذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَوْ سَلَّمْتَ لَرَدَّ السَّلَامَ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ٣١٣ برقم ١٥٧٣٨) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ" ، وقال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشَّيخين " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَنْزِلُ المَلَائِكَة عِنْدَ قِرَاءَةِ القُرْآن ؟

الجواب : روى مسلم في الصَّحيح (١/ ٥٤٨ برقم ٧٩٦) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، حَدَّثَهُ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ

أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَىٰ قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّىٰ مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَة كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ» .
والمربد هو المكان المخصَّص لتيبيس التمر ...

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٩/ ٦٤) : " قَالَ النَّوَوِيُّ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ رُؤْيَةِ آحَادِ الْأُمَّةِ لِلْمَلَائِكَةِ كَذَا أَطْلَقَ ، وَهُوَ صَحِيحٌ لَكِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ التَّقْيِيدُ بِالصَّالِحِ مِثْلًا وَالْحَسَنِ الصَّوْتِ ، قَالَ : وَفِيهِ فَضِيلَةُ الْقِرَاءَةِ ، وَأَنَّهَا سَبَبُ نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَحُضُورِ الْمَلَائِكَة . قُلْتُ : الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ أَعَمُّ مِنَ الدَّلِيلِ ، فَالَّذِي فِي الرِّوَايَةِ إِنَّمَا نشأ عن قِرَاءَةٍ خَاصَّةٍ مِنْ سُورَةٍ خَاصَّةٍ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ ، وَيَحْتَمِلُ مِنَ الْخُصُوصِيَّةِ مَا لَمْ يُذْكَرْ وَإِلَّا لَو كَانَ عَلىٰ الْإِطْلَاقِ لَحَصَلَ ذَلِكَ لِكُلِّ قَارِئٍ . وَقَدْ أَشَارَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ : مَا يَتَوَارَىٰ مِنْهُمْ إِلَىٰ أَنَّ الْمَلَائِكَة لِاسْتِغْرَاقِهِمْ فِي الِاسْتِمَاعِ كَانُوا يَسْتَمِرُّونَ عَلَىٰ عَدَمِ الِاخْتِفَاءِ الَّذِي هُوَ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَفِيهِ مَنْقَبَةٌ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، وَفَضْلُ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ ، وَفَضْلُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ ، وَأَنَّ التَّشَاغُلَ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَلَوْ كَانَ مِنَ الْمُبَاحِ قَدْ يُفَوِّتُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ بِغَيْرِ الْأَمر الْمُبَاح " .

وروىٰ البخاري (٦/ ١٣٦ برقم ٤٨٣٩) ومسلم (١/ ٦٤٧ برقم ٧٩٥) بسندهما عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ وَفَرَسٌ لَهُ مَرْبُوطٌ فِي الدَّارِ، فَجَعَلَ يَنْفِرُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، وَجَعَلَ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالْقُرْآنِ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٦/ ٨٢) : " قَدْ قِيلَ فِي مَعْنَىٰ السَّكِينَةِ هُنَا أَشْيَاءُ ، الْمُخْتَارُ مِنْهَا : أَنَّهَا شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تعالىٰ فيه طُمَأْنِينَةٌ وَرَحْمَةٌ وَمَعَهُ الْمَلَائِكَة ، وَاللهُ أَعْلَمُ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ رُؤْيَةِ آحَادِ الْأُمَّةِ الْمَلَائِكَة ، وَفِيهِ فَضِيلَةُ الْقِرَاءَةِ ، وَأَنَّهَا سَبَبُ نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَحُضُورِ الْمَلَائِكَة ، وَفِيهِ فَضِيلَةُ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ أَوْصَى جِبْرِيْلُ الرَّسُوْلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَار ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٨/ ١٠ برقم ٦٠١٤) بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» .

وروىٰ مسلم (٤/ ٢٠٢٥ برقم ٢٦٢٥) بسنده عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» .

وروىٰ أحمد في المسند (٣٨/ ١٨٣ برقم ٢٣٠٩٣) بسنده عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَهْلِي أُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا أَنَا بِهِ قَائِمٌ، وَإِذَا رَجُلٌ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُمَا حَاجَةً، فَجَلَسْتُ، فَوَاللهِ لَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ جَعَلْتُ أَرْثِي لَهُ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ قَامَ بِكَ هَذَا الرَّجُلُ، حَتَّىٰ جَعَلْتُ أَرْثِي لَكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، قَالَ: " أَتَدْرِي مَنْ هَذَا؟ "، قُلْتُ: لَا، قَالَ: " ذَاكَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ سَلَّمْتَ عَلَيْهِ لَرَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٨١٦٤ برقم ١٣٥٣٨) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ " ، وقال الأرنؤوط : " إسناده صحيح " .

(سُؤالٌ) : هَلْ بشَّرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ ؟

الجواب : روىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٢/ ٣٥٧ برقم ٢٢٢١) بسنده عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَىٰ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَشِّرْ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ٢٢٤ برقم ١٥٢٧٨) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَمِينَةَ، وَقَدْ وَثَّقَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ " .

(سُؤالٌ) : هَلْ بشَّرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّيِّدَةَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِالْجَنَّةِ ؟

الجواب : روىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط " (٤/ ١٤٢ برقم ٣٨٢١) بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ: طَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفْصَةَ، فاغْتَمَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا خَالُهَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَخُوهُ قُدَامَةُ، فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهَا، وَهُمْ مُغْتَمِّينَ، إِذْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ حَفْصَةَ، فَقَالَ: «يَا حَفْصَةُ، أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفًا، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: رَاجِعْ حَفْصَةَ، فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَهِيَ زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ٢٤٥ برقم ١٥٣٣٤) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

(سُؤالٌ) : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ أُبَي بِنْ كَعْبٍ بِاسْمِهِ أَمَامَ الرَّسُـــوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

الجواب : وروىٰ أحمد في المسند (٢٥/ ٣٨٢ برقم ١٦٠٠١) بسنده عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَبَّةَ الْبَدْرِيَّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** [البينة: ١] إِلَىٰ آخِرِهَا، قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ

السَّلَامُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَهَا أُبَيًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُبَيٍّ: " إِنَّ جِبْرِيلَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ هَذِهِ السُّورَةَ " قَالَ أُبَيٌّ: وَقَدْ ذُكِرْتُ ثَمَّ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَبَكَى أُبَيٌّ " . قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد"(٩/ ٣١١ برقم ١٥٧١٧) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ" ، وقال الأرنؤوط : " حديث صحيح لغيره ".

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَدْعُو المَلَائِكَةُ لِمَنْ بَاتَ طَاهِرًا ؟

الجواب : روى ابن حبَّان في " الصَّحيح" (٣/ ٣٢٨ برقم ١٠٥١) بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا، قَالَ الْمَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا» . قال الأرنؤوط : " رجاله رجال الصحيح إلا أن الحسن بن ذكران -مع كون البخاري أخرج له حديثاً في صحيحه في الرقائق- ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي، وابن المديني، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وباقي رجاله ثقات" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُصَلِّي المَلَائِكَةُ عَلَى مَنْ يَعُوْدُوْنَ المَرْضَى ؟

الجواب : روى أحمد في "المسند" (٢/ ٢٧٧ برقم ٩٧٦) بسنده عَنْ عَبْدِ الله بْنِ نَافِعٍ، قَالَ: عَادَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: عَلِيٌّ، أَعَائِدًا جِئْتَ أَمْ زَائِرًا؟ قَالَ: لَا، بَلْ جِئْتُ عَائِدًا قَالَ عَلِيٌّ: أَمَا إِنَّهُ " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا إِلا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ، إِنْ كَانَ مُصْبِحًا حَتَّى يُمْسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُمْسِيًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ ". قال الأرنؤوط : " حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن نافع " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُصَلِّي المَلَائِكَةُ عَلَى مَنْ يَكُوْنُوْنَ عَنْ يَمِيْنِ الإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ ؟

الجواب : روى أحمد في " المسند" (٥/ ٥٣٤ برقم ٢١٦٠) بسنده عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على ميامن الصُّفوفَ" . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن كما قال الحافظ في "الفتح" ٢/ ٢١٣. أسامة بن زيد: هو الليثي مولاهم أبو زيد المدني، استشهد به البخاري ومسلم، وهو مختلف فيه، وأعدل الأقوال فيه أنه حسن الحديث" .

ولأجل نيل صلاة الملائكة على العبد ، فقد حرص الصَّحابة على أن يكونوا عن يمين رسول الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى الله عليه وسلم عند صلاتهم خلفه، فقد روى مسلم (١/ ٤٩٢ برقم ٧٠٩) بسنده عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ».

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُصَلِّي المَلَائِكَةُ عَلَى مَن يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

الجواب : روى أحمد في " المسند"(٢٤/ ٤٥١ برقم ١٥٦٨٠) بسنده عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ: " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ " . قال الأرنؤوط : " حديث حسن" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُصَلِّي المَلَائِكَةُ عَلَى مَن جَلَسَ فِيْ مُصَلَّاه بَعْدَ الصَّلَاة ؟

الجواب : روى أحمد في "المسند" (٢/ ٣٩١ برقم ١٢١٩) بسنده عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا جَلَسَ فِي مُصَلاهُ بَعْدَ الصَّلاةِ، صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ، وَصَلاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللهُمَّ ارْحَمْهُ، وَإِنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ، صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ وَصَلاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللهُمَّ ارْحَمْهُ " . قال الأرنؤوط : "حسن لغيره" .

وروى أحمد في "المسند" (٢/ ٤٠٧ برقم١٢٥١) بسنده عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، وَقَدْ صَلَّى الْفَجْرَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقُلْتُ: لَوْ قُمْتَ إِلَى فِرَاشِكَ كَانَ أَوْطَأَ لَكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ فِي مُصَلاهُ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ، وَصَلاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللهُمَّ ارْحَمْهُ، وَمَنْ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ وَصَلاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللهُمَّ ارْحَمْهُ " . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُصَلِّي المَلَائِكَةُ عَلَى مَن يُطْعِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ الطَّعَامَ ؟

الجواب : روى أحمد في " المسند" (١٩/ ٣٩٧ برقم ١٢٤٠٦) : " عَنْ أَنَسٍ، أَوْ غَيْرِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَأْذَنَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ: " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ "، فَقَالَ سَعْدٌ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَلَمْ يُسْمِعِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَرَدَّ عَلَيْهِ سَعْدٌ ثَلَاثًا، وَلَمْ يُسْمِعْهُ فَرَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبَعَهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا سَلَّمْتَ تَسْلِيمَةً إِلَّا هِيَ بِأُذُنِي، وَلَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْكَ وَلَمْ أُسْمِعْكَ، أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْتَكْثِرَ مِنْ سَلَامِكَ، وَمِنَ الْبَرَكَةِ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْبَيْتَ فَقَرَّبَ لَهُ زَبِيبًا، فَأَكَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: " أَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَأَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُصَلِّي الْمَلاَئِكَةُ عَلَى الصَّائِمِ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ ؟

الجواب : روىٰ التِّرمذيُّ (٢/ ١٤٥ برقم ٧٨٥) بسنده عَنْ حَبِيبِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَوْلاَةً لَنَا يُقَالُ لَهَا: لَيْلَىٰ تُحَدِّثُ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ عُمَارَةَ بِنْتِ كَعْبٍ الأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلِي، فَقَالَتْ: إِنِّي صَائِمَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّىٰ يَفْرُغُوا، وَرُبَّمَا قَالَ: حَتَّىٰ يَشْبَعُوا. قال التِّرمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ الآثَارُ الإِيْجَابِيَّةُ لِصَلَاةِ اللهِ وَمَلَائِكَته عَلَى الْمُؤمِنِيْن ؟

الجواب : قال الإمامُ الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢٢/ ٤٩-٥٠) : **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾** تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِذِكْرِ اللهَّ وَتَسْبِيحِهِ بِأَنَّ ذَلِكَ مَجْلَبَةٌ لِانْتِفَاعِ الْمُؤْمِنِينَ بِجَزَاءِ اللهَّ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَفْضَلَ مِنْهُ مِنْ جِنْسِهِ وَهُوَ صَلَاتُهُ وَصَلَاةُ مَلَائِكَتِهِ. وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ ذِكْرًا بُكْرَةً وَأَصِيلًا.

وَتَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ علىٰ الْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ فِي قَوْلِهِ: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ لِإِفَادَةِ التَّقَوِّي وَتَحْقِيقِ الْحُكْمِ. وَالْمَقْصُودُ تَحْقِيقُ مَا تَعَلَّقَ بِفِعْلِ يُصَلِّي مِنْ قَوْلِ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ.

وَالصَّلَاةُ: الدُّعَاءُ وَالذِّكْرُ بِخَيْرٍ، وَهِيَ مِنَ اللهَّ الثَّنَاءُ. وَأَمْرُهُ بِتَوْجِيهِ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَيِ اذْكُرُوهُ ليذكركم كَقَوْلِهِ: **﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾** [الْبَقَرَة: ١٥٢] ، وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: «فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» .

وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: دُعَاؤُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ فَيَكُونُ دُعَاؤُهُمْ مُسْتَجَابًا عِنْدَ اللهَّ فَيَزِيدُ الذَّاكِرِينَ عَلَىٰ مَا أَعْطَاهُمْ بِصَلَاتِهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ. فَفِعْلُ يُصَلِّي مُسْنَدٌ إِلَىٰ اللهَّ وَإِلَىٰ مَلَائِكَتِهِ لِأَنَّ حَرْفَ الْعَطْفِ يُفِيدُ تَشْرِيكَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فِي الْعَامِلِ، فَهُوَ عَامِلٌ وَاحِدٌ لَهُ معمولان فَهُوَ مُسْتَعْمل فِي الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ الصَّالِحِ لِصَلَاةِ اللهَّ تَعَالَىٰ وَصَلَاةِ المَلائِكَة الصَّادِقِ فِي كُلٍّ بِمَا يَلِيقُ بِهِ بِحَسَبِ لَوَازِمِ مَعْنَىٰ الصَّلَاةِ الَّتِي تَتَكَيَّفُ بِالْكَيْفِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَنْ أُسْنِدَتْ إِلَيْهِ. وَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ دَعْوَىٰ اسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْهُ عَلَىٰ الْأَصَحِّ، وَلَا إِلَىٰ دَعْوَىٰ عُمُومِ الْمَجَازِ. وَاجْتِلَابُ يُصَلِّي بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لِإِفَادَةِ تَكَرُّرِ الصَّلَاةِ وَتَجَدُّدِهَا كُلَّمَا تَجَدَّدَ الذِّكْرُ وَالتَّسْبِيحُ، أَوْ إِفَادَةِ تَجَدُّدِهَا بِحَسَبِ أَسْبَابٍ أُخْرَىٰ مِنْ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُلَاحَظَةِ إِيمَانِهِمْ.

وَفِي إِيرَادِ الْمَوْصُولِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى مَعْرُوفٌ عِنْدَهُمْ بِمَضْمُونِ الصِّلَةِ بِحَسَبِ غَالِبِ الِاسْتِعْمَالِ: فَإِمَّا لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَعْلَمُونَ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ أَنَّهُمْ لَا يَأْتِيهِمْ خَيْرٌ إِلَّا مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكُلُّ تَفْصِيلٍ لِذَلِكَ الْإِجْمَالِ دَخَلَ فِي عِلْمِهِمْ، وَمِنْهُ أَنَّهُ يُصَلِّي عَلَيْهِمْ وَيَأْمُرُ مَلَائِكَتَهُ بِذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ سَبَقَ لَهُمْ عِلْمٌ بِذَلِكَ تَفْصِيلًا مِنْ قَبْلُ: فَبَعْضُ آيَاتِ الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾ [الشورى: ٥] فَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اسْتِغْفَارَ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾ [يُونُس: ٣] ، وَالدُّعَاءُ لِأَحَدٍ مِنَ الشَّفَاعَةِ لَهُ، عَلَى أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ صِلَةِ الْمَوْصُولِ أَنَّ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وَذَلِكَ مَعْلُومٌ مِنْ آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِك بِإِخْبَار النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلَهُ بَعْدَهُ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً كَمَا يَأْتِي قَرِيبًا. وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: لِيُخْرِجَكُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِ يُصَلِّي. فَعُلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ جَزَاءٌ عَـاجِلٌ حَاصِلٌ وَقْتَ ذِكْرِهِمْ وتسبيحهم. وَالْمُرَاد بـ الظُّلُمَاتِ: الضَّلَالَـة، وبـ النُّورِ: الْهُدَى، وَبِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَـاتِ: دَوَامُ ذَلِكَ وَالِاسْتِزَادَةُ مِنْهُ لِأَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا مُؤْمِنِينَ كَـانُوا قَدْ خَرَجُـوا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّـورِ ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً**﴾ [مَرْيَم: ٧٦] " .

وقال الإمام الألوسي في " روح المعاني " (١١/ ٢٢١) : " وقال الطَّبرسي: من الجهل بالله تعالى إلى معرفته عزَّ وجلَّ فإنَّ الجهل أشبه شيء بالظُّلمة والمعرفة أشبه شيء بالنُّور، وقال ابن زيد: أي من الضَّلالة إلى الهدى، وقال مقاتل: من الكفر إلى الإيمان، وقيل: من النَّار إلى الجنَّة ، حكاه الماوردي" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُبَاهِي اللهُ بِالمُؤمِنِيْنَ مَلَائِكَتَهُ بِسَبَبِ طَاعَاتِهِم ؟

الجواب : روى مسلم (٢/ ٩٨٢ برقم ١٣٤٨) بسنده عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟ " .

وروى أيضاً (٤/ ٢٠٧٥ برقم ٢٧٠١) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا:

جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللَّهَ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ» .

وروىٰ أحمد في المسند (١١/ ٣٦٣ برقم ٦٧٥٠) بسنده عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، أَنَّ نَوْفًا، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو يَعْنِي ابْنَ الْعَاصِي، اجْتَمَعَا فَقَالَ نَوْفٌ: لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا وُضِعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَىٰ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ كُنَّ طَبَقًا مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَخَرَقَتْهُنَّ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَغْرِبَ، فَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ، وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، فَجَاءَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ كَادَ يَحْسِرُ ثِيَابَهُ عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: " أَبْشِرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَىٰ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم، وأخرج له البخاري تعليقاً" .

وروىٰ أحمد في المسند (١٣/ ٤١٥ برقم ٨٠٤٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَىٰ عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد" (٣/ ٢٥٢ برقم ٥٥٤٧) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

وروىٰ الآجرِّي في الشَّريعة (٥/ ٢٤٦١ برقم ١٩٤٧) والطَّبراني في الكبير (١٩/ ٣٦٣ برقم ٨٥٤) ، الدُّعاء (ص٥٣٠ برقم ١٨٩٣) بسندهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، خَرَجَ عَلَىٰ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: سَأُبَشِّرُكُمْ بِمَا بَشَّرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَكُمْ ، إِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ رَجُلًا مَنْزِلَتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلَتِي ، أَقَلَّ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي ، كُنْتُ خَتَنَهُ ، وَكُنْتُ فِي كِتَابِهِ ، وَكُنْتُ أَرْحَلُ لَهُ رَاحِلَتَهُ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ» .

وروىٰ الفاكهي في " أخبار مكة في قديم الدَّهر وحديثه " (٤/ ٣١٣ برقم ٢٧٤٢) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: " يَوْمُ الْمُبَاهَاةِ يَوْمُ عَرَفَةَ، يُبَاهِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَلَائِكَتَهُ فِي السَّمَاءِ بِأَهْلِ الْأَرْضِ يَقُولُ: عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا، صَدَّقُوا بِكِتَابِي وَلَمْ يَرَوْنِي؛ لَأُعْتِقَنَّهُمْ مِنَ النَّارِ. قَالَ: وَهُوَ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ " .

وعن معنىٰ المباهاةَ قال الإمام ابن فورك في " مُشكل الحديث وبيانه " (ص٤٩١) : " أعلم أَنَّ معنىٰ المباهاة هُوَ أَنَّ الله عزَّ وَجلَّ يظْهر من فعله للْمَلَائكَة مَا يحقرون طاعتهم وعبادتهم فِي عِبَادَتهم .

وأصل المباهاة هُوَ مفاعلة من الْبَهَاء ، والبهاء من العظمة ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ الله عزَّ وَجلَّ يظْهر من عَظمَة هَؤُلَاءِ المطيعين وبهائهم فِيهَا مَا يزِيد علىٰ بهاء الْمَلَائِكَة وحالهم فِي طاعتهم وعبادتهم ، وَالْغَرَض فِي معنىٰ هَذَا الْخَبَر وَفَائِدَته : تَعْرِيف الْخلق من الْآدَمِيّين مَوَاضِع الْفضل فِي طاعتهم وعبادتهم ، وَأَنَّهُمْ قد تبلغ طاعتهم مبلغاً يزِيد قدْره علىٰ قدْر طَاعَة الملائكة ، وَهَذَا مِمَّا يُمكن أَن يسْتَدلّ بِهِ أَنَّ أفاضل الْآدَمِيّين أفضل من الْمَلَائِكَة لِأَنَّهُ لَا يباهي إِلَّا بالأفضل" .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٧/ ٢٣ برقم ٢٧٠١) : " قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ " مَعْنَاهُ يُظْهِرُ فَضْلَكُمْ لَهُمْ وَيُرِيهِمْ حُسْنَ عَمَلِكُمْ وَيُثْنِي عَلَيْكُمْ عِنْدَهُمْ ، وَأَصْلُ الْبَهَاءِ الْحُسْنُ وَالْجَمَالُ ، وَفُلَانٌ يُبَاهِي بِمَالِهِ ، أَيْ : يَفْخَرُ وَيَتَجَمَّلُ بِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ وَيُظْهِرُ حُسْنَهُمْ" .

وقال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (١٥٥٨/٤) : " مَعْنَىٰ الْمُبَاهَاةِ بِهِمْ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ يَقُولُ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَىٰ عَبِيدِي هَؤُلَاءِ كَيْفَ سُلِّطَتْ عَلَيْهِمْ نُفُوسُهُمْ، وَشَهَوَاتُهُمْ، وَأَهْوِيَتُهُمْ، وَالشَّيْطَانُ، وَجُنُودُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ قَوِيَتْ هِمَّتُهُمْ عَلَىٰ مُخَالَفَةِ هَذِهِ الدَّوَاعِي الْقَوِيَّةِ إِلَىٰ الْبَطَالَةِ وَتَرْكِ الْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ، فَاسْتَحَقُّوا أَنْ يُمْدَحُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ ؛ لِأَنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ لِلْعِبَادَةِ مَشَقَّةً بِوَجْهٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْكُمْ كَالتَّنَفُّسِ مِنْهُمْ، فَفِيهَا غَايَةُ الرَّاحَةِ وَالْمُلَاءَمَةِ لِلنَّفْسِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هل يُضَحِّكُ اللهُ مَلَائِكتَه ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٤/ ٢٤ برقم ٢٨٢٦) ومسلم (٣/ ١٥٠٤ برقم ١٨٩٠) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلاَنِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهَّ، فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ القَاتِلِ، فَيُسْتَشْهَدُ " .

والحديث رواه ابن حبَّان في "الصَّحيح" (١٠/ ٥٢١ برقم ٤٦٦٦) بلفظ : " عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ضَحِكَ اللهُ مِنْ رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، وَكِلَاهُمَا فِي الْجَنَّةِ" .

قال الإمام ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٠/ ٥٢٢) : " هَذَا الْخَبَرُ مِمَّا نَقُولُ فِي كُتُبِنَا: بِأَنَّ الْعَرَبَ تُضِيفُ الْفِعْلَ إِلَى الْآمِرِ كَمَا تُضِيفُهُ إِلَى الْفَاعِلِ، وَكَذَلِكَ تُضِيفُ الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ مِنْ حَرَكَاتِ الْمَخْلُوقِينَ إِلَى الْبَارِئِ جَلَّ وَعَلَا، كَمَا تُضِيفُ ذَلِكَ الشَّيْءَ إِلَيْهِمْ سَوَاءً، فَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ضَحِكَ مِنْ رَجُلَيْنِ" يُرِيدُ: ضَحَّكَ اللهُ مَلَائِكَتَهُ وَعَجَّبَهُمْ مِنَ الْكَافِرِ الْقَاتِلِ الْمُسْلِمَ، ثُمَّ تَسْدِيدَ اللهِ لِلْكَافِرِ وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَتَفَضُّلِهِ عَلَيْهِ بِالشَّهَادَةِ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى يَدْخُلَا الْجَنَّةَ جَمِيعًا، فَيُعَجِّبُ اللهُ مَلَائِكَتَهُ وَيُضَحِّكُهُمْ مِنْ مَوْجُودِ مَا قَضَى وَقَدَّرَ، فَنُسِبَ الضَّحِكُ الَّذِي كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى سَبِيلِ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَرُدُّ المَلَائكَةُ السَّلامَ عَلَى مَنْ سَلَّمَ وَلَم يَرُد المُسَلَّمُ عَلَيْهِ السَّلام ؟

الجواب : روى أحمد في "المسند" (٢٦/ ١٨٨ برقم ١٦٢٥٧) بسنده هِشَامَ بْنَ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَإِنْ كَانَ تَصَارَمَا فَوْقَ ثَلَاثٍ فَإِنَّهُمَا نَاكِبَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرَامِهِمَا، وَأَوَّلُهُمَا فَيْئًا فَسَبْقُهُ بِالْفَيْءِ، كَفَّارَتُهُ فَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ سَلَامَهُ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَرَدَّ عَلَى الْآخَرِ الشَّيْطَانُ، فَإِنْ مَاتَا عَلَى صُرَامِهِمَا لَمْ يَجْتَمِعَا فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا " . قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد" (٨/ ٦٦ برقم ١٢٩٦٩) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ " ، وقال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشَّيخين غير صحابيه فلم يخرج له سوى البخاري في "الأدب المفرد" ومسلم، وأصحاب السُّنن " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ كَانَ الرَّسُوْلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُر المَلَائِكَة فِيْ رُكُوْعِه ؟

الجواب : روى مسلم (١/ ٣٥٣ برقم ٤٨٧) بسنده عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، أَنَّ عَائِشَةَ نَبَّأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ كَانَ الرَّسُوْلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُر المَلَائِكَة دُبُر كُلِّ صَلَاةٍ ؟

الجواب : روى الطَبراني في "المعجم الأوسط" (٤/ ١٥٦ برقم ٣٨٥٨) بسنده عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، أَعِذْنِي مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(١٠/ ١١٠ برقم ١٦٩٦٩) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ شَيْخِهِ: عَلِيِّ بْنِ سَعِيدٍ الرَّازِيِّ، وَفِيهِ كَلَامٌ لَا يَضُرُّ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ" .

والحديث يدلُّ على مكانة ومنزلة هؤلاء الثَّلاثة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وما ذلك إلَّا لأنَّ الله سبحانه وتعالى وكَّلهم بأسباب الحياة ، فجبريلُ هو صاحب الوحي إلى أنبياء الله جميعاً ، والوحي فيه

حياة قلوب المكلَّفين بنور المعرفة والطَّاعة ، وميكائيل هو المُكلَّف بالقطر وسائر أرزاق العباد التي بها حياة الخلق ، وإسرافيل هو المكلَّف بالنَّفخ في الصُّور – بحسب بعض الرِّوايات – وفيها عودة الحياة للخلق من جديد ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَحْضُرُ المَلاَئِكَةُ مَجَالِسَ الذِّكْر ؟

الجواب : ثبت في الأحاديث الصَّحيحة عن الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المَلاَئِكَة تحضر مجالس الذِّكر ويحفُّونهم بأجنحتهم ... فقد روىٰ البخاري (٨/ ٨٦ برقم ٦٤٠٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ للهَِّ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهََّ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ " قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهَِّ مَا رَأَوْكَ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ: " يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللهَِّ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللهَِّ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ: " فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ " قَالَ: " يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (١١/ ٢١١) : " قَالَ الْعُلَمَاءُ وَمَعْنَاهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُمْ زَائِدُونَ عَلَىٰ الْحَفَظَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُرَتَّبِينَ مَعَ الْخَلَائِقِ لَا وَظِيفَةَ لَهُمْ إِلَّا حِلَقُ الذِّكْرِ " .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٧/ ١٥) : " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ الذِّكْرِ وَفَضِيلَةُ مَجَالِسِهِ وَالْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِهِ وان لم يشاركهم وفضل مجالسة الصَّالِحِينَ وَبَرَكَتِهِمْ وَاللهَُّ أَعْلَمُ ".

وروىٰ مسلم (٤/ ٢٠٧٤ برقم ٢٦٩٩) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ،

وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ...». فحضُور مجالس الذِّكر سبيل حضور المَلَائِكَة للاستماع والشَّهادة للذَّاكرين ، وسبيل لتنزُّل الرَّحمات والبركات، وكذا إذا جلسوا يتدارسون كتاب الله تعالىٰ فيما بينهم ... تحفُّهم المَلَائِكَة وتنزل عليهم السَّكينة والرَّحمة ... فمجالسُ الذِّكر هي خير المجالس ، وأطهرها وأنقاها وأزكاها، فيها تحيا القلوب وتزكو النُّفوس ، وفيها يُمنح العبد الفلاح والنَّجاح ... الذِّكر لا ينحصر باللسان ... فقد يكون بالقلب كما يكون باللسان ... قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٧/ ١٥-١٦) : " قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ : وَذِكْرُ اللهَّ تَعَالَىٰ ضَرْبَانِ ذِكْرٌ بِالْقَلْبِ وَذِكْرٌ بِاللِّسَانِ ، وَذِكْرُ الْقَلْبِ نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا : وَهُوَ أَرْفَعُ الْأَذْكَارِ ، وَأَجَلُّهَا الْفِكْرُ فِي عَظَمَةِ اللهَّ تَعَالَىٰ وَجَلَالِهِ وَجَبَرُوتِهِ وَمَلَكُوتِهِ وَآيَاتِهِ فِي سمواته وَأَرْضِهِ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : " خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ " ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَذَا . وَالثَّانِي : ذِكْرُهُ بِالْقَلْبِ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فَيَمْتَثِلُ مَا أُمِرَ بِهِ وَيَتْرُكُ مَا نُهِيَ عَنْهُ وَيَقِفُ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ . وَأَمَّا ذكر اللسان مجرَّداً فهو أضعف الأذكار ، وَلَكِنْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الأحاديث ، قال : وذكر بن جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ اخْتِلَافَ السَّلَفِ فِي ذِكْرِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ ، قَالَ الْقَاضِي : وَالْخِلَافُ عِنْدِي إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ فِي مُجَرَّدِ ذِكْرِ الْقَلْبِ تَسْبِيحًا وَتَهْلِيلًا وَشِبْهَهُمَا ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ كَلَامُهُمْ لَا أَنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الذِّكْرِ الْخَفِيِّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وإلَّا فذلك لا يقاربه ذكر اللسان ، فكيف يفاضله ؟ وإنَّما الخلاف في ذِكْرُ الْقَلْبِ بِالتَّسْبِيحِ الْمُجَرَّدِ وَنَحْوِهِ ، وَالْمُرَادُ بِذِكْرِ اللِّسَانِ مَعَ حُضُورِ الْقَلْبِ ، فَإِنْ كَانَ لَاهِيًا فَلَا ، وَاحْتَجَّ مَنْ رَجَّحَ ذِكْرَ الْقَلْبِ بِأَنَّ عمل السِّر أفضل ، ومن رجَّح ذكر اللِّسَانَ ، قَالَ : لِأَنَّ الْعَمَلَ فِيهِ أَكْثَرُ ، فَإِنْ زَادَ بِاسْتِعْمَالِ اللِّسَانِ اقْتَضَىٰ زِيَادَةَ أَجْرٍ . قَالَ الْقَاضِي : وَاخْتَلَفُوا هَلْ تَكْتُبُ المَلَائِكَة ذِكْرَ الْقَلْبِ ؟ فقيل : تكتبه وَيَجْعَلُ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ عَلَامَةً يَعْرِفُونَهُ بِهَا ، وقيل :لا يكتبونه لأنَّه لا يطَّلع عَلَيْهِ غَيْرُ اللهَّ . قُلْتُ : الصَّحِيحُ أَنَّهُمْ يَكْتُبُونَهُ ، وَأَنَّ ذِكْرَ اللِّسَانِ مَعَ حُضُورِ الْقَلْبِ أَفْضَلُ مِنَ الْقَلْبِ وَحْدَهُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

ومجالس الذِّكر هي موضع تتباهىٰ به الملائكة ، فقد روىٰ أحمد في " المسند" (٢١/ ٣٠٩ برقم ١٣٧٩٦) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَقُولُ: تَعَالَ نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ، فَغَضِبَ الرَّجُلُ، فَجَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ ابْنِ رَوَاحَةَ يُرَغِّبُ عَنْ إِيمَانِكَ إِلَىٰ إِيمَانِ سَاعَةٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَرْحَمُ اللهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَىٰ بِهَا الْمَلَائِكَةُ " . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٦ برقم ١٦٧٦٥) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَحُفُ المَلَائِكَةُ مَنْ يَتْلُوْنَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُوْنَهُ بَيْنَهُم ؟

الجواب : روىٰ مسلمٌ في الصَّحيح (٤/ ٢٠٧٤ برقم ٢٦٩٩) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُشَجِّعُ المَلَائِكَة العَبْدَ عَلَى طَاعَةِ رَبِّه ؟

الجواب : جاء في الصَّحيح أنَّ المَلَائِكَة يُشجِّون العبد علىٰ أداء الطَّاعات ، ويحثُّونه علىٰ أدائها ، ويحضرون صلاته ، ويدعون له بالرَّحمة والمغفرة ، ويستغفرون له ... فقد روىٰ مسلم (١/ ٤٥٩ برقم ٦٤٩) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ، يَقُولُونَ: اللهُمَّ ارْحَمْهُ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ " .

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ الصَّلاة من الملائكة علىٰ العبد مستمرَّة ما دام موجوداً داخل المسجد حتَّىٰ لو انتقل داخله من مكان إلىٰ آخر .... قال الإمام العراقي في " طرح التَّثريب في شرح التَّقريب" (٢/ ٣٦٧) : " مَا الْمُرَادُ بِمُصَلَّاهُ؟ هَلْ الْمُرَادُ الْبُقْعَةُ الَّتِي صَلَّىٰ فِيهَا مِنْ الْمَسْجِدِ حَتَّىٰ لَوْ انْتَقَلَ إلَىٰ بُقْعَةٍ أُخْرَىٰ فِي الْمَسْجِدِ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذَا الثَّوَابُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَيْهِ أَوْ الْمُرَادُ بِمُصَلَّاهُ جَمِيعُ الْمَسْجِدِ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ؟ يَحْتَمِلُ كُلًّا مِنْ الْأَمْرَيْنِ وَالِاحْتِمَالُ الثَّانِي أَظْهَرُ وَأَرْجَحُ " .

وقال الحافظ ابن حجر في " الفتح" (٢/ ١٣٦) : " قَوْلُهُ : " فِي مُصَلَّاهُ " ، أَيْ : فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَوْقَعَ فِيهِ الصَّلَاةَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَكَأَنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ ، وَإِلَّا فَلَوْ قَامَ إِلَىٰ بُقْعَةٍ أُخْرَىٰ مِنَ الْمَسْجِدِ مُسْتَمِرًّا عَلَىٰ نِيَّةِ انْتِظَارِ الصَّلَاةِ كَانَ كَذَلِكَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَدْعُو المَلَك المُؤمِنَ إِلَى أَنْ يَبْدَأ يَوْمَهُ وَيَخْتِمَهُ بِخَيْر ؟

الجواب : روىٰ أبو يعلىٰ في " المسند" (٣/ ٣٢٦ برقم ١٧٩١) بسنده وَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: " «إِذَا آوَىٰ الرَّجُلُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَيَقُولُ الْمَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ ثُمَّ نَامَ، بَاتَ المَلَك يَكْلَؤُهُ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ الْمَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بَشَرٍّ، فَإِنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ نَفْسِي وَلَمْ يُمِتْهَا فِي مَنَامِهَا، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ وَقَعَ عَنْ سَرِيرِهِ فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ، قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(١٠/ ١٢٠ برقم ١٧٠٢٨) : " رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَجَّاجِ الشَّامِيِّ، وَهُوَ ثِقَةٌ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُدَرِّبُ المَلَائِكَةُ المُؤمِنَ عَلَى خُلُقِ التَّوَاضُع ؟

الجواب : روىٰ البزَّار في المسند (٢/ ٣٩١ برقم ٧٨٤٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " «مَا مِنِ امْرِئٍ إِلَّا وَفِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ، وَالْحِكْمَةُ بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِنْ تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعِ الْحِكْمَةَ. وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَرْتفعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعِ الْحِكْمَةَ، أَوْ حِكْمَتَهُ» ". قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد"(٨/ ٨٣ برقم ١٣٠٧٢) : " رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَتَكَلَّمُ المَلَائِكَةُ عَلَى أَلسِنَةِ بَعْضِ الخَلْقِ ؟

الجواب : روىٰ الطَّبراني في " الأوسط" (٧/ ١٨ برقم ٦٧٢٦) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " «مَنْ أَبْغَضَ عُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَإِنَّ اللَّهَ بَاهَىٰ بِالنَّاسِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ عَامَّةً، وَبَاهَىٰ بِعُمَرَ خَاصَّةً. وَإِنَّهُ لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا كَانَ فِي أُمَّتِهِ مُحَدَّثٌ، وَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَهُوَ عُمَرُ ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ مُحَدَّثٌ؟ قَالَ: " تَتَكَلَّمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ لِسَانِهِ» ". قال الهيثمي في " مجمع الزوائد (٩/ ٦٩ برقم ١٤٤٣٩) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ أَبُو سَعْدٍ خَادِمُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمُ الذِيْنَ تَدْعُو لَهُمُ المَلَائِكَة؟

الجواب : الملائكة تدعو لأصناف من النَّاس ، وهم :

أَوَّلاً : المَلائِكَة يُصَلُّوْنَ عَلَى الْمُؤمِنِيْن التَّائِبِيْن الْمُتَّبِعِيْن سَبِيْلَ الحَق :

قال تعالى : **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [غافر:٦-٩] .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٧/ ١٣٠-١٣٢باختصار) : " يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ الْمَلَائِكَة الْمُقَرَّبِينَ مِنْ حَمَلَة الْعَرْشِ الْأَرْبَعَةِ، وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْكُرُوبِيِّينَ، بِأَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ، أَيْ: يَقْرِنُونَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ الدَّالِّ عَلَىٰ نَفْيِ النَّقَائِصِ، وَالتَّحْمِيدِ الْمُقْتَضِي لِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْمَدْحِ، **﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** ، أَيْ: خَاشِعُونَ لَهُ أَذِلَّاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنَّهُمْ **﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** ، أَيْ: مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْغَيْبِ، فَقَيَّضَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ سَجَايَا الْمَلَائِكَة عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانُوا يُؤَمِّنون عَلَىٰ دُعَاءِ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهِ" ...**﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾** ، أَيْ: إِنَّ رَحْمَتَكَ تَسع ذُنُوبَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ ، **﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِين تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾** ، أَيْ: فَاصْفَحْ عَنِ الْمُسِيئِينَ إِذَا تَابُوا وَأَنَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ، مِنْ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ ، **﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾** ، أَيْ: وَزَحْزِحْهُمْ عَنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْمُوجِعُ الْأَلِيمُ .

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ، أَيْ: اجْمَعْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، لِتَقَرَّ بِذَلِكَ أَعْيُنُهُمْ بِالِاجْتِمَاعِ فِي مَنَازِلَ مُتَجَاوِرَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ :**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** [الطُّور: ٢١] ، أَيْ: سَاوَيْنَا بَيْنَ الْكُلِّ فِي الْمَنْزِلَةِ، لِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ، وَمَا نَقَصْنَا الْعَالِيَ حَتَّىٰ يُسَاوِيَ الدَّانِيَ، بَلْ رَفَعْنَا النَّاقِصَ فِي الْعَمَلِ ، فَسَاوَيْنَاهُ بِكَثِيرِ العمل، تفضلا منا ومنة.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبِيهِ وَابْنِهِ وَأَخِيهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا طَبَقَتَكَ فِي الْعَمَلِ فَيَقُولُ: إِنِّي إِنَّمَا عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ. فَيُلحَقُونَ بِهِ فِي الدَّرَجَةِ، ثُمَّ تَلَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ هَذِهِ الْآيَةَ: **﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** .

قَالَ مُطَرِّف بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّير: أنصحُ عبادِ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الملائكةُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: **﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾** ، وأغشُّ عِبَادِ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الشياطينُ.

وَقَوْلُهُ: **﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** ، أَيِ: الَّذِي لَا يُمَانَعُ وَلَا يُغَالَبُ، وَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ، مِنْ شَرْعِكَ وَقَدَرِكَ .

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ ، أَيْ: فِعْلَهَا أَوْ وَبالها مِمَّنْ وَقَعَتْ مِنْهُ، **﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾** ، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، {فَقَدْ رَحِمْتَهُ} أَيْ: لَطَفْتَ بِهِ وَنَجَّيْتَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ، **﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** " .

ثَانِياً : الْمَلَائِكَة يُصَلُّوْنَ عَلَى الْمُتَصَدِّقِيْنَ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ :

روى البخاري (٢/ ١٤٤٢) ، مسلم (٢/ ٧ برقم ١٠١٠) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا " .

قال الإمام ابن بطَّال في " شرح صحيح البخارى" (٣/ ٤٣٩) : " معنى هذا الحديث: الحضُّ على الإنفاق في الواجبات، كالنَّفقة على الأهل وصلة الرَّحم، ويدخل فيه صدقة التَّطُّوع، والفرض، ومعلوم أنَّ دعاء الملائكة مُجاب، بدليل قوله: "فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُر له ما تقدَّم من ذنبه" ، ومصداق الحديث قوله تعالى: **﴿وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾** [سبأ: ٣٩] ، يعنى ما أنفقتم في طاعة الله" .

وقد أكَّدت آيات الكتاب العظيم على أنَّ الصَّدقة سبب لزيادة المال وسعة الرِّزق ، قال تعالى: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [البقرة:٢٤٥] ، ويقول سبحانه: **﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢٦٨] .

ثَالِثاً: الْمَلَائِكَة يُصَلُّوْنَ عَلَى مَنْ يَحْرِصُوْنَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ :

فقد روى أحمد في المسند (٣٠/ ٥٩٩ برقم ١٨٦٤٦) بسنده عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْأُوَلِ " .

رَابِعَاً : المَلَائِكَة يصلُّون عَلَى مَنْ يَصِلُوْنَ الصُّفُوْف :

أخرج ابن حبَّان في الصَّحيح (٥/ ٥٣٧ برقم ٢١٦٤) بسنده عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَى الذِيْنَ يَصِلُوْنَ الصُّفُوف" ... والحديث قوَّى إسناده الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث الصَّحيح .

خَامِسَاً : المَلائِكَة يصلُّون عَلَى مَنْ لَزِمَ المَكَانَ الذِيْ صَلَّى فِيْهِ فِي المَسْجِد :

روى مسلم (١/ ٤٥٩ برقم ٦٤٩) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللهُمَّ ارْحَمْهُ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ ".

سَادِسَاً : المَلائِكَة يصلُّون عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْر :

أخرج التِّرمذي (٤/ ٣٤٧ برقم ٢٦٨٥) ، الطَّبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٣٤ برقم ٧٩١٢) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٧٤ برقم) بسندهم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ، قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ.

سَابِعَاً :المَلائِكَة يُصَلُّوْنَ عَلَى المتَسَحِّرِيْن :

أخرج ابن حبَّان في الصَّحيح (٨/ ٢٤٦ برقم ٣٤٦٧) بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَتَهُ يصلون على المتسحرين" والحديث صحَّحه الأرنؤوط في تخريجه للصَّحيح .

ثَامِنَاً : المَلائِكَة يُصَلُّوْنَ عَلَى مَنْ يُصَلُّوْنَ على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أخرج أحمد في المسند (٢٤/٤٥٧ برقم ١٥٦٨٩) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا صَلَّى عَلَيَّ أَحَدٌ صَلَاةً، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَة مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ " . والحديث حسَّنه الأرنؤوط .

تَاسِعَاً : المَلَائِكَة يُصَلُّوْنَ عَلَى مَنْ يَعُوْدُوْنَ المَرْضَى :

أخرج ابن حبَّان في الصَّحيح (٧/ ٢٢٤ برقم ٢٩٥٨) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ حُرَيْثٍ زَارَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: يَا عَمْرُو أَتَزُورُ حَسَنًا وَفِي النَّفْسِ مَا فِيهَا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا عَلِيُّ لَسْت بِرَبِّ قَلْبِي تَصْرِفُهُ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أُؤَدِّيَ إِلَيْكَ النَّصِيحَةَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا إِلَّا ابْتَعَثَ اللهٌ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ فِي أَيِّ سَاعَاتِ النَّهَارِ كَانَ حَتَّى يُمْسِيَ وَأَيِّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ كَانَ حَتَّى يُصْبِحَ» .

عَاشِرَاً : المَلَائِكَة يُصَلُّوْنَ عَلَى مَنْ يُصَلُّوْنَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوْف :

أخرج ابن حبَّان في الصَّحيح (٥/ ٥٣٤ برقم ٢١٦٠) بسنده عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهٌ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على ميامن الصُّفوفَ " . قال الأرنؤوط : " قال الحافظ في "الفتح" (٢/ ٢١٣) إسناده حسن .

فعلى العاقل أن يحرص على القيام بكلِّ ما سبق بيانه من الوسائل والسُّبَل التي من خلالها يحظى بصلاة المَلَائِكَة عليه ... فصلاتهم على العبد سبيل لخروجه من الظُّلمات إلى النُّور ، كما قال الله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَّ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾** [الأحزاب: ٤٢] .

﴿سُؤالٌ﴾ : أُذْكُرْ لَنَا بَعْضَ البُشْرَيَاتِ التِيْ حَمَلَتْهَا المَلَائِكَةُ لِلأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ والسَّلَام ؟

الجواب : جاء في القرآن العظيم العديد من البُشريات التي حملتها الملائكة للأنبياء والرُّسل ... منها :

أَوَّلَاً : تبشيرهم إبراهيم عليه السَّلام بولد عليم بعدما شاخ وكبُر سنُّه وعجزت وعقمت زوجته ، قال تعالى : **﴿ هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَراغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قالُوا كَذلِكَ قالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾** [الذاريات:٢٤-٣٠] .

ثَانِيَاً : تبشيرهم زكريَّا بيحيىٰ عليهما السَّلام بعدما بلغه الكبر وعقمت زوجته ، قال تعالىٰ : ﴿هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ * فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرابِ أَنَّ اللهَّ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهَّ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عاقِرٌ قالَ كَذلِكَ اللهَّ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾ [آل عمران:٣٨-٤٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا * قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قالَ كَذلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ [مريم:٣-٩] .

ثَالِثَاً : تبشيرهم السَّيِّدة مريم بعيسىٰ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ، قال تعالىٰ : ﴿إِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَّ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥] .

وجاءت في السُّنَّة المطهَّرة ألوان مِنَ البُشرىٰ للرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، منها ما رواه أحمد في " المسند" (٣٨/ ٣٥٤ برقم ٢٣٣٢٩) بسنده عن حذيفة أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : " أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ؟ "، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: " فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُبشِّرُ المَلَائِكَةُ المُؤمِنِيْنَ بِالخَيْرِ ؟

الجواب : نعم ... المَلائِكَة يحملون البشرىٰ للمؤمنين ... ومن ذلك تبشيرهم المؤمنين يوم القيامة بالجنَّة ، قال تعالىٰ : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢] .

وعند الموت تحمل الملائكة البُشرىٰ للمؤمن بالفوز والنَّجاة والرِّضوان ... فقد روىٰ البخاري (٨/ ١٠٦ برقم ٦٥٠٧) بسنده عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهَّ أَحَبَّ اللهَّ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهَّ كَرِهَ اللهَّ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ،

وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» . وبسبب تلك البشارة يفرح المؤمن فرحاً يطير به شوقاً لما أعدَّه الله له من جنَّات ونهر ومقعد صدق عند مليك مقتدر ، ويطلب من المُشيِّعين لجنازته أن يُسرعوا به إلىٰ القبر كي يتنعَّم بما أُعدَّ له من المثوبة والغفران ... وفي ذلك روىٰ البخاري (٢/ ٨٦ برقم ١٣١٦) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصَعِقَ " .

وروىٰ البخاري (٥/ ٣٩ برقم ٣٨٢٠) ومسلم (٤/ ١٨٨٧برقم ٢٤٣٢) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " أَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ " .

وروىٰ البخاري (٤/ ١٩٨٨ برقم ٢٥٦٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ " . جاء في " الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٢٤/ ٣٢١) : " قال المَلَك : فإني رسول الله أرسلت إليك لأبشّرك بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببته، أي : كما أحببت أخاك فيه ، أي: في الله لأجل أخوَّة الله " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ قَرَأَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ السَّلامَ عَلَى السَّيِّدَةَ عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ؟

الجواب : روىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (١/ ٢٣٩ برقم ٧٨٢) بسنده عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ» . فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَذَهَبَتْ تَزِيدُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَىٰ هَذَا انْتَهَىٰ السَّلَامُ» . فَقَالَ: «رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٨/ ٣٤ برقم ١٢٧٥٠) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُصَلِّي المَلَائِكَةُ عَلَى النَّائِحَة والزَّنَانَة ؟

الجواب : روىٰ أبو يعلىٰ في " المسند " (١٠/ ٥٢١ برقم ٦١٣٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لاَ تُصَلِّي المَلاَئِكَةُ عَلَىٰ نَائِحَةٍ وَلاَ مُرِنَّةٍ" . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٣/ ١٣ برقم ٤٠١٥) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَىٰ، وَفِيهِ أَبُو مِرَايَةَ ؛ وَلَمْ أَجِدْ مَنْ وَثَّقَهُ وَلَا جَرَّحَهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُبَشِّرُ المَلَائِكَةُ الكفرة والمنافقين بما يسُوؤهم ؟

الجواب : نعم ... المَلَائِكَة يبشِّرون الكفرة والمنافقين بسخط الله عليهم وعذابه ، قال تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ [الفرقان:٢٢] .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٦/ ١٠١-١٠٢) : " أي: هُمْ لَا يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ فِي يَوْمِ خَيْرٍ لَهُمْ، بَلْ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ ، وَذَلِكَ يَصْدُق عَلَىٰ وَقْتِ الِاحْتِضَارِ حِينَ تُبَشِّرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالنَّارِ، وَغَضَبِ الْجَبَّارِ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْكَافِرِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَموم وحَميم، وظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ. فَتَأْبَىٰ الْخُرُوجَ وَتَتَفَرَّقُ فِي الْبَدَنِ ، فَيَضْرِبُونَهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأَنفال: ٥٠] . وَقَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ ، أَيْ: بِالضَّرْبِ، ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهَّ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأَنعام: ٩٣] ؛ ولهذا قال في هذه الآية الْكَرِيمَةِ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ، وَهَذَا بِخِلَافِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَقْتِ احْتِضَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُبَشَّرُونَ بِالْخَيْرَاتِ، وَحُصُولِ الْمَسَرَّاتِ. قَالَ اللهُّ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُّ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠-٣١] .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِ: "اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، اخْرُجِي إِلَىٰ رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ". وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي سُورَةِ "إِبْرَاهِيمَ" عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُّ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُّ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ؛ وَغَيْرُهُمَا.

وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي هَذَيْنَ الْيَوْمَيْنِ يَوْمِ الْمَمَاتِ وَيَوْمِ الْمَعَادِ تَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْكَافِرِينَ، فَتُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَتُخْبِرُ الْكَافِرِينَ بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ، فَلَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ كُلّ مَنْ جَاءَهُ المَلَك أَصْبَحَ رَسُوْلاً أَوْ نَبيّاً ؟

الجواب : أبداً لا يعتبر من جاءه مَلَكٌ من الملائكة من الأنبياء أو الرُّسل ، فقد أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ أُمِّ موسىٰ عليه السَّلام ، قال تعالىٰ : **﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** [القصص:٧] ، وهي قطعاً ليست نبيَّة ، قال الماورديُّ في " النُّكت والعيون" (٤/ ٢٣٥) : " **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾** فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنَّه إلهام من الله قد قذفه في قلبها وليس بوحي نبوَّة ، قاله ابن عبَّاس وقتادة. الثَّاني: أنَّه كان رؤيا منام ، حكاه ابن عيسىٰ. الثَّالث: أنَّه وحي من الله إليها مع الملائكة كوحيه إلىٰ النَّبيين ، حكاه قطرب " .

وذكرنا في هذا الكتاب قصَّة إرسال أحد الملائكة إلىٰ الأقرع والأعمىٰ والأبرص لاختبارهم ، وكذا إرسال مَلَك وقف علىٰ مدرجة من ذهب إلىٰ زيارة أخ له الله ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ لله تَعَالَى فِي الأَرْضِ مَلَائِكَة يُرْشِدُوْنَ الضَّالَّ إِذَا مَا نَادَاهُم ؟

الجواب : قال الإمام النَّووي في كتابه " الأذكار " (ص٣٧٨) : "رَوِّيْنَا في " كتاب ابن السنِّي " ، عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنهُ ، عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " إذَا انْفَلَتَتْ دابَّةُ أَحَدِكُمْ بأرضٍ فلاةٍ فليُنادِ : يا عِبادَ الله ! احْبِسُوا ، يا عِبادَ اللهِ ! احبسوا ؛ فإنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ في الأَرْضِ حاضِراً سَيَحْبِسُهُ " (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢١٧ برقم ١٠٥١٨) ، ابن السنِّي في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربِّه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص٤٥٥ برقم ٥٠٨) ، أبو يعلىٰ في المسند (٩/ ١٧٧ برقم ٥٢٦٩) ، وذكره الحافظ ابن حجر في المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثَّمَانِيَةِ (١٤/ ٤٤ برقم ٣٣٨٢) ، الهيثمي في مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٣٢ برقم ١٧١٠٥ ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَزَادَ: " «سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ» " وَفِيهِ مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ) .

وقال الإمام النَّووي في " الأذكار " (ص٣٧٨)) : " حكىٰ لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنَّه انفلتت له دابّة أظنُّها بغلة ، وكان يَعرفُ هذا الحديث ، فقاله : فحبسَها الله عليهم في الحال ؛ وكنتُ أنا مرَّة مع جماعة فانفلتت منها بهيمةٌ ، وعجزوا عنها ، فقلته ، فوقفت في الحال بغيرِ سببٍ سوىٰ هذا الكلام ".

قُلْتُ : قامت الأيدي العابثة المجرمة الأثيمة بشطب هذا الحديث وكذا تعليق النَّووي عليه من كتاب " الأذكار " للنَّووي ، من النُّسخة التي حقَّقها !!! عبد القادر الأرنؤوط ، ونشرتها دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع ، بيروت ، بطبعة جديدة منقحة !!! (١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م) ، والموجودة بالمكتبة الشَّاملة ، الإصدار السَّادس ... وهذا هو ديدنهم وصنيعهم ، وهي شنشنة نعرفها من أخزم ... ولكن يأبىٰ الله تعالىٰ إلَّا أن يقيِّض للحقِّ من عبيده من يكشف زيفهم وتزييفهم وعبثهم بكُتُبِ أهل العلم ...

وروىٰ البيهقي في " شعب الإيمان " (١٤١/١٠ برقم ٧٢٩٨) وابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٢٩٨/٥) بسندهما عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ، يَقُولُ : " حَجَجْتُ خَمْسَ حِجَجٍ ، اثْنَتَيْنِ رَاكِباً ، وَثَلاثَ مَاشِياً ، أَوْ ثَلاثَ رَاكِباً ، وَاثْنَتَيْنِ مَاشِياً ، فَضَلَلْتُ الطَّرِيقَ فِي حَجَّةٍ ، وَكُنْتُ مَاشِياً فَجَعَلْتُ أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللهِ ، دُلُّونِي عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّىٰ وَقَفْتُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " .

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ : **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾** [النمل:٦٢] ، قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير " (٦/ ٢٠٤-٢٠٥) : " وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجَمَةِ رَجُلٍ -حَكَىٰ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الدِّينَوَرِي، الْمَعْرُوفُ بالدُّقّيِّ الصُّوفِيُّ -قَالَ هَذَا الرَّجُلُ : كُنْتُ أُكَارِي عَلَىٰ بَغْلٍ لِي مِنْ دِمَشْقَ إِلَىٰ بَلَدِ الزَّبْدَاني، فَرَكِبَ مَعِي ذَاتَ مَرَّةٍ رَجُلٌ، فَمَرَرْنَا عَلَىٰ بَعْضِ الطَّرِيقِ، عَلَىٰ طَرِيقٍ غَيْرِ مَسْلُوكَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ فِي هَذِهِ، فَإِنَّهَا أَقْرَبُ. فَقُلْتُ: لَا خبرَةَ لِي فِيهَا، فَقَالَ: بَلْ هِيَ أَقْرَبُ. فَسَلَكْنَاهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ مَكَانٍ وَعْرٍ وَوَادٍ عَمِيقٍ، وَفِيهِ قَتْلَىٰ كَثِيرٌ، فَقَالَ لِي: أَمْسِكْ رَأْسَ الْبَغْلِ حَتَّىٰ أَنْزِلَ. فَنَزَلَ وَتَشَمَّرَ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ، وَسَلَّ سِكِّينًا مَعَهُ وَقَصَدَنِي، فَفَرَرْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَتَبِعَنِي، فَنَاشَدْتُهُ اللَّهَ وَقُلْتُ: خُذِ الْبَغْلَ بِمَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: هُوَ لِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ قَتْلَكَ. فَخَوَّفْتُهُ اللَّهَ وَالْعُقُوبَةَ فَلَمْ يَقْبَلْ، فَاسْتَسْلَمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُلْتُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتْرُكَنِي حَتَّىٰ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ؟ فَقَالَ: صَلِّ وَعَجِّلْ. فقمت أصلي فَأُرْتِجَ عليَّ الْقُرْآنُ فَلَمْ يَحضرني مِنْهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ، فَبَقِيتُ وَاقِفًا مُتَحَيِّرًا وَهُوَ يَقُولُ: هِيهِ. افرُغ. فَأَجْرَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ لِسَانِي قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾** ، فَإِذَا أَنَا بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ فَمِ الْوَادِي، وَبِيَدِهِ حَرْبَةٌ، فَرَمَىٰ بِهَا الرَّجُلَ فَمَا أَخْطَأَتْ فُؤَادَهُ، فَخَرَّ صَرِيعًا، فَتَعَلَّقْتُ بِالْفَارِسِ وَقُلْتُ: بِاللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ. قَالَ: فَأَخَذْتُ الْبَغْلَ وَالْحِمْلَ وَرَجَعْتُ سَالِمًا " .

وقال الإمام اليافعي في " الدُّعاء آدابه وأسبابه " (ص١٤٩-١٥٠) : " ومن صدق دعاء المضطرّ ما حكاه عبد الواحد بن زيد البصري قال: يرسل التجَّار معه بتجارتهم إلىٰ إخوانهم من البلاد، فخرج يوماً من البصرة يريد الكوفة، فعرض له رجل، فسلَّم عليه فقال: أين تُريد؟ قال: أريد الكوفة لولا أنِّي ضعيف لا أقدر علىٰ المشي كنت أسير معك، فإن شئت أعطيتك ديناراً، وتحملني علىٰ الدَّابة، فإنِّي أراها مخفةً، وأراك رفيقاً حسناً، فرغب الرَّجل في الدِّينار، وحمله فسارا يومهما إلىٰ أن عرض لهما طريقان، فقال الرَّاكب لصاحب الدابَّة: أي الطَّريقين تأخذ، فقال له: الجادة لا أعرف غيرها، فقال له الرَّاكب: هذه الأخرىٰ أقرب وأسهل، فأخذ تلك الطَّريق، فأوقفهم علىٰ وادٍ موحشٍ عميت عليهم الطَّريق فيه، فقال صاحب الدَّابة: فأين الطَّريق؟ فوثب الرَّاكب، وأخرج سكِّيناً عظيماً من وسطه، وقال: هذا هو الطَّريق، فقال له: يا أخي خذ الدابَّة وما عليها ودعني أنجو بنفسي، فقال له: الدَّابَّة وما عليها لي، وما أُريد إلَّا قتلك، فقال له: إذا عزمت علىٰ قتلي فدعني أختم عملي بركعتين، فقال له: نعم، فتوضَّأ الرَّجل من ماء كان معه، وقام يصلِّي، فقرأ الحمد لله، وارتجع عليه، فلم يجد آية يقرؤها بعدها، واللصُّ خلفه بسكينه، وهو يقول: تعجَّل فإنِّي أكره قتلك في الصَّلاة، ففتح عليه، فقرأ: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾ ، فرجَّع بها، فأجابه اللصُّ من خلفه، نعم السَّاعة يجيبك، فما استتمَّ من كلامه إذ خرج عليه من بطن الوادي فارسٌ بيده حربة كأنَّ طرفها شعلة نار، فطعن اللصَّ طعنة خرَّ ميتاً، والتهب ناراً، قال: فبادرت للفارس، وقبَّلتُ بحوافر الفرس، وقلت: بحقِّ الذي أغاثني بك في هذا المقام، من أنت؟، فقال: أنا عبدُ من يجيبُ المضطرَّ إذا دعاه، فاذهب حيث شئت فلا خوف عليك، قال: فرجعت إلىٰ الطَّريق الذي كنت أعرف ، والسَّلام " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " " (ص٢٤-٢٥) : " وذكر ابن أبي الدُّنيا في كتاب " المجابين في الدُّعاء" عن الحسن قال: كان رجل من أصحاب النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنصار يُكنَّىٰ أبا مِعْلَق، وكان تاجرًا، يتّجر بمال له ولغيره، يضرب به في الآفاق، وكان ناسكًا ورِعًا. فخرج مرَّةً، فلقيه لصٌّ مقنَّع في السِّلاح، فقال له: ضَعْ ما معك، فإنِّي قاتلك. قال: ما تريد إلىٰ دمي؟ شأنك بالمال. قال: أمَّا المال فلي، ولست أريد إلَّا دمك. قال : أما إذ أبيتَ، فذرني أصلِّي أربع ركعات ، قال صلِّ ما بدا لك ، فتوضَّأ، ثمَّ صلَّىٰ أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود ، يا ذا العرش المجيد، يا فعَّالُ لما يريد،

أسألك بعزِّك الذي لا يُرام، ومُلكك الذي لا يُضام، وبنورك الذي ملأ أركانَ عرشك: أن تكفيَني شرَّ هذا اللصّ.

يا مُغيثُ أغِثْني، يا مغيثُ أغِثْني ثلاث مرَّات. فإذا هو بفارس قد أقبل، بيده حَرْبة، قد وضعها بين أذنَي فرسِه ، فلمَّا بصُر به اللصُّ أقبل نحوَه، فطعنه، فقتله، ثمَّ أقبل إليه، فقال: قم، فقال: من أنت، بأبي أنت وأمِّي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم ، فقال: أنا مَلَك من أهل السَّماء الرَّابعة، دعوتَ بدعائك الأوَّل، فسمعتُ لأبواب السَّماء قعقعةً، ثمَّ دعوتَ بدعائك الثَّاني، فسمعتُ لأهل السَّماء ضجّةً، ثمَّ دعوتَ بدعائك الثَّالث، فقيل لي : دعاء مكروب. فسألتُ الله أن يُولّيني قتلَه.

قال الحسن : فمن توضَّأ، وصلَّى أربع ركعات، ودعا بهذا الدُّعاء، استُجيب له، مكروبًا كان أو غير مكروب " .

قلتُ : والقصَّة ذكرها الإمام بن بشكوال في " المستغيثين بالله تعالى عند المهمَّات والحاجات" (ص١١) ، واليافعي في " الدُّعاء آدابه وأسبابه" (ص١٥٠) ، ونجم الدِّين الغزّي في " حسن التَّنبُّه لما ورد في التَّشبُّه (ص٤٣٦) ، وعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي في " السِّيرة الحلبيَّة " (٣/ ٢٣٨) ، محمَّد يوسف بن محمَّد إلياس بن محمَّد إسماعيل الكاندهلوي في " حياة الصَّحابة " (٤/ ٢٠٤-٢٠٥) ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَتَعَجَّبُ المَلَائِكَةُ مِنْ حُسْنِ صَنِيْعِ بَنِيْ آدم ؟

الجواب : روى البخاري (٥/ ٣٤ برقم ٣٧٩٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا» ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ٩] .

قال الإمام البيهقي في " الأسماء والصِّفات " (٢/ ٤٠٢) : " قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: «قَوْلُهُ» عَجِبَ اللهُ « إِطْلَاقُ الْعَجَبِ لَا يَجُوزُ عَلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الرِّضَى، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الصَّنِيعَ مِنْهُمَا حَلَّ مِنَ الرِّضَا عِنْدَ اللهِ، وَالْقَبُولِ لَهُ، وَمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ عَلَيْهِ، مَحَلَّ الْعَجَبِ عِنْدَكُمْ فِي الشَّيْءِ التَّافِهِ إِذَا رُفِعَ فَوْقَ قَدْرِهِ، وَأُعْطِيَ بِهِ الْأَضْعَافُ مِنْ قِيمَتِهِ» . قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: «وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَعْجَبَ اللهُ مَلَائِكَتَهُ وَيُضْحِكَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيثَارَ عَلَىٰ النَّفْسِ أَمْرٌ نَادِرٌ فِي الْعَادَاتِ، مُسْتَغْرَبٌ فِي الطِّبَاعِ، وَهَذَا يَخْرُجُ عَلَىٰ سَعَةِ الْمَجَازِ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَىٰ مَذْهَبِ الِاسْتِعَارَةِ فِي الْكَلَامِ، وَنَظَائِرُهُ فِي كَلَامِهِمْ كَثِيرَةٌ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُوْحِي اللهُ تَعَالَى إِلَى مَلَائِكَتِهِ بِشَأنِ الْمُؤمِنِ إِذَا مِرِضَ ؟

الجواب : روىٰ الطَّبراني في "المعجم الكبير" (٨/ ١٦٧ برقم ٧٧٠١) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرِضَ أَوْحَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ مَلَائِكَتِهِ فَيَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي بِقَيْدٍ مِنْ قُيُودِي، فَإِنْ قَبَضْتُهُ، أَغْفِرُ لَهُ، وَإِنْ عَافَيْتُهُ فَجَسَدٌ مَغْفُورٌ لَهُ لَا ذَنْبَ لَهُ " . قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢/ ٢٩١ برقم ٣٧٣٢) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ شَيْخُ الطَّبَرَانِيِّ، ضَعَّفَهُ الذَّهَبِيُّ وَلَمْ يَذْكُرْ سَبَبًا، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ مُوَثَّقُونَ " ، وقال الذَّهبي في المستدرك (٢/ ٣٧ برقم ٧٨٧١) : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ النَّازِلَ فِي حَدِيْثِ النُّزوْلِ الْمَشْهُوْر هُوَ مَلَكٌ يَنْزِلُ بِأمْرِ اللهِ تَعَالَى ، فَيَقُوْل : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ ؟ وَهَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ ؟ وَهَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى ؟

الجواب : من المعلوم أنَّه لَيْسَ كلّ نزُول وإنزال نقل وحركة وتحويل ، بل ذَلِك لفظ مُشْتَرك الْمَعْنى ، فقد يشتمل علىٰ النَّقل والحركة والتَّحوُّل ، وقد لا يشتمل علىٰ ذلك ... أَلا ترىٰ أنَّه إِذا أُضيف إِلَىٰ السَّكينَة لم يكن حَركَة وَلَا نقلة ، وَإِذا أضيف إِلَىٰ الْكَلَام لم يكن أَيْضاً تَفْرِيغ مَكَان وشغل مَكَان ، وَإِذا أُرِيد بِهِ الحكم وَتغَيُّر الْمرتبَة فَكَذَلِك ، ولَمَّا كان الله منزَّهاً عن الشَّبيه والنَّظير والمثيل ، فمن الغباوة أن نشبِّه نزوله بنزول الحوادث ، فيجب أن يكون معنىٰ النُّزول مناسباً لتنزيهه تعالىٰ عن مشابهة الحوادث ، ولذلك فإنَّ نزوله تعالىٰ ليس بانتقال من مكان إلىٰ مكان ، لأنَّ الحركة من لوازم الأجسام التي يتنزَّه الله تعالىٰ عنها ، لأنَّه سبحانه ليس جسماً ، وصفاته ليست أجساماً ، قال الإمام الطَّحاوي في عقيدته : " وَتَعَالَىٰ عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ " ، " وحكوا عن الشَّافعي رضي الله عنه أنَّه قال : من انتهض لطلب مدبِّره فانتهىٰ إلىٰ موجود ينتهي إليه فكرهُ فهو مشبِّه ،

وإن اطمأنَّ إلىٰ العدم الصّرف فهو معطِّل ، وإن اطمأنَّ إلىٰ موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحِّد " انظر : تشنيف المسامع بجمع الجوامع (٤/ ٦٤٣) .

وهذا كلام نفيس من الإمام الشَّافعي ، يدلُّ دلالة واضحة بيِّنة علىٰ أنَّ السَّلف الصَّالح رضوان الله عليهم كانوا علىٰ قلب رجل واحد في تنزيه الله تعالىٰ عن الجسميَّة ولوازمها من التَّحيُّز ، والجلوس علىٰ العرش ، والحركة ، والنُّزول ، والمجيء ، والإتيان ... وأنَّ ما خطر بالبال فالله بخلافه **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيرُ ﴾** [الشورىٰ :١١] ...

وقال الشَّافعي رضي الله عنه – أيضاً – لَمَّا سُئل عن ذلك : " آمنت بلا تشبيه ، وصدَّقت بلا تمثيل ، واتَّهمت نفسي في الإدراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كلَّ الإمساك " . انظر : البرهان المؤيد (ص١٨) .

وبسبب ما آل إليه الأمر في العصور المتأخِّرة من قيام البعض بالبحث عن المتشابه ، واعتقاد ظاهر معناه ... حيث وقع العديد منهم في براثن التَّشبيه والتَّجسيم ... وجدنا جمهور الخلف يؤوِّلون النُّزول والمجيء والإتيان والهرولة ... علىٰ ما يليق بها بحسب مواطِنِها ، وبحسب القواطع العقديَّة وقواعد اللغة العربيَّة ... فمن تأويلاتهم :

ما رُوي عن مالك بن أنس وغيره – كما سترىٰ – أنَّه أوَّل النُّزول الوارد في الحديث الشَّريف بنزول رحمته وأمره ، بمعنىٰ أنَّه تعالىٰ يأمر بذلك ، وإنَّما أَضيف النُّزول إِلَيْهِ سبحانه علىٰ معنىٰ أنَّه عَن أمره ظهر ، وبأمره حصل ، كَمَا يُقَال : ضربَ الْأَمِيرُ اللصَّ ، ونادىٰ الْأَمِير فِي الْبَلَد الْيَوْم ، وإنَّما أَمر بذلك ، فيضاف إِلَيْهِ علىٰ معنىٰ أَنَّه عَن أمره ظهر ، وبأمره حصل ...

ومن معاني النُّزول الواردة عن بعض السَّلف : الإقبال علىٰ العباد الدَّاعين والمستغفرين بالإجابة واللطف والرَّحْمَةِ والمغفرة والاستعطاف بالتَّذكير والتَّنبيه الَّذِي يُلقىٰ فِي قُلُوب أهل الْخَيْر مِنْهُم ، الذين أسعدهم بتوفيقهم لطاعته حَتَّىٰ يزعجهم إِلَىٰ الْجدّ فِي التَّوْبَة والإنابة والإقبال علىٰ الطَّاعَة . ولذلك خصَّ الله عزَّ وَجلَّ بالمدح المستغفرين بالأسحار ، فقال سبحانه : **﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾** [آل عمران : ١٧] ، وَقَالَ سبحانه فِي وَصفهم أَيْضاً : **﴿كانُوا قَلِيْلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الذاريات : ١٧-١٨] ، فَيُحْتَمل أَن يكون ذَلِك هُوَ الْمُرَاد بِهِ ، وَهُوَ الْإِخْبَار عَمَّا يظْهر من ألطافه ومعونته وتأييده لأَهل

ولَايَته فِي مثل هَذَا الْوَقْت الذي لا يقوم للطَّاعة فيه إلَّا المُخلصُ المُجدُّ الذي سبقت له من الله العناية والرِّعاية ...

وَقد روىٰ بعض أهل النَّقْل حديث النُّزول عَن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُؤَيّد هَذَا الْبَاب ، وَهُوَ بِضَمِّ الْيَاء من " ينزل " وَذكر أَنَّه قد ضَبطه عَمَّن سَمعه عَنهُ من الثِّقَات الضَّابطين . وَإذا كَانَ ذَلِك مَحْفُوظاً مضبوطاً كَمَا قَالَ ، فوجهه ظَاهر ، وَلما ذكره العلماء من التَّأويلات مؤيِّد وشَاهد .

والحديث واضحٌ وصريحٌ ومحكمٌ ، ومؤيِّدٌ للتَّأويل الحقّ ، وهو أنَّ الله تعالىٰ يأمر مَلَكاً من ملائكته الكرام بالنُّزول إِلَىٰ السَّماء ، يُنادي فيقول : هَلْ مِن داعٍ فَيُستجاب له ؟ وهل مِن مستغفر فَيُغفر له ؟ وهل مِن سائل فَيُعطىٰ ؟ ...

وقال الإِمَامُ ابن حزم الظَّاهري في " الفصل في الملل والأهواء والنِّحل " (٢/ ١٣٢) : " ... وَقد علمنَا أَنَّ مَا لم يزل فَلَيْسَ مُتَعَلقاً بِزَمَان الْبَتَّةَ ، وَقد بَيَّن رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بعض أَلْفَاظ الحَدِيث الْمَذْكُور مَا ذَلِك الْفِعْل ، وَهُوَ أَنَّه ذكر عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّ الله يَأْمر مَلَكاً يُنَادي فِي ذَلِك الْوَقْت بذلك ..." .

وقال الإمام المُتَوَلِّي الشَّافعي في " الغنية في أصول الدِّين" (ص٧٨) : " وأمَّا قوله عليه السَّلام : " ينزل الله في كلِّ ليلة إلىٰ سماء الدُّنيا " ، والمراد به أنَّه يبعث مَلَكاً إلىٰ سماء الدُّنيا حتَّىٰ ينادي ، علىٰ ما ورد في الخبر ، ثمَّ أضاف نزول المَلَك إلىٰ نفسه ، كما يُقال : نادىٰ الأميرُ في البلد ، إذا أمر بالنِّداء ، ويُقال : قتلَ الأميرُ فلاناً ، والقاتل غيره ، ويضاف إلىٰ الأمير من حيث أنَّه هو الآمر به " .

وقال الإمام البطليوسي في " الإنصاف في التَّنبيه علىٰ المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف " (ص٨٢-٨٥) : " ... وَمن هَذَا الْبَاب : قَوْله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ينزل رَبُّنَا كلَّ لَيْلَة الى سَماء الدُّنيا ثلث اللَّيْل الْأَخير ، فَيَقُول : هَلْ من سَائل فَأُعْطِيه هَلْ من مُسْتَغْفِر فَأَغْفِر لَهُ هَلْ من تائب فأتوب عَلَيْهِ " . جعلته المجسِّمة نزولاً علىٰ الْحَقِيقَة ، تَعَالَىٰ الله عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ علوّاً كَبِيراً ، وَقد أجمع العارفون بِاللهَّ عز وَجل علىٰ أنَّه لَا ينْتَقل لِأَن الِانْتِقَال من صِفَات المحدثات ، وَلِهَذَا الحَدِيث تَأْوِيلَانِ صَحِيحَانِ لَا يقتضيان شَيْئاً من التَّشْبِيه :

أَحدهمَا : أَشَارَ اليه مَالك (١٧٩هـ) رَحمَه الله ، وَقد سُئِلَ عَن هَذَا الحَدِيث ، فَقَالَ : ينزل أمره كلّ سحر ، فَأَما هُوَ عزَّ وَجلَّ فَإِنَّهُ دَائِم لَا يَزُول وَلَا ينْتَقل ، سُبْحَانَهُ لَا إله إِلَّا هُوَ ، وَسُئِلَ عَنهُ الْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) ، فَقَالَ : يفعل الله مَا يَشَاء ، وَهَذَا تلويح يحْتَاج الى تَصْرِيح وخفي إشارة يحْتَاج الى تَبْيِين عبارَة .

وَحَقِيقَة الَّذِي ذَهَبا إليه رحمهمَا الله أَنَّ الْعَرَب تنْسب الْفِعْل إِلَى من أَمر بِهِ كَمَا تنسبه إِلَى من فعله وباشره بِنَفسِهِ ، فَيَقُولُونَ : كتب الْأَمِير لفُلَان كتاباً ، وَقطع الْأَمِير يَد اللصّ ، وَضرب السُّلْطَان فلَاناً ، وَلم يُبَاشر شَيْئاً من ذَلِك بِنَفسِهِ إِنَّمَا أَمر بذلك . وَلأَجل هَذَا احْتِيجَ الى التَّأْكِيد الْمَوْضُوع فِي الْكَلَام ، فَقيل : جَاءَ زيد نَفسه وَرَأَيْت زيداً نَفسه ، فَمَعْنَاه على هَذَا : أَنَّ الله تَعَالَى يَأْمرُ مَلَكاً بالنُّزول الى السَّماء الدُّنيا فينادي بأَمْره ، وَقد تَقول الْعَرَب جَاءَ فلَان اذا جَاءَ كِتَابه أَو وَصيته ، وَيَقُولُونَ للرَّجل : أَنْت ضربت زيداً ، وَهُوَ لم يضْربهُ إذا كَانَ قد رَضِي بذلك وشايع عَلَيْهِ ، قَالَ الله تَعَالَى : **﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [البقرة : ٩١] ، المخاطبون بهَا لم يقتلُوا نَبياً ، وَلَكنهُمْ لما رَضوا بذلك وتولوا قتلة الْأَنْبِيَاء وشايعوهم على فعلهم نسب الْفِعْل إليهم وان كَانُوا لم يباشروه ، وعَلى هَذَا يتَأَوَّل قَوْله تَعَالَى : **﴿فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ﴾** [النحل : ٢٦] . فَهَذَا تَأْوِيل كَمَا ترَاهُ صَحِيح جَار على فصيح كَلَام الْعَرَب فِي محاوراتها والمتعارف من أساليبها ومخاطباتها وَهُوَ شرح لما أَرَادَهُ مَالك ، وَالْأَوْزَاعِيّ رحمهمَا الله ، وَمِمَّا يُقَوي هَذَا التَّأْوِيل وَيشْهد بِصِحَّتِهِ : أَنَّ بعض أهل الحَدِيث رَوَاهُ ينزل بِضَم الْيَاء ، وَهَذَا وَاضح ..." .

وقال الإمام أحمَدُ بنُ عُمَرَ القرطبيُّ في " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٧/ ٢٠) : " وقوله : " ينزلُ ربُّنا " كذا صحَّتِ الرِّوايةُ هنا ، وهي ظاهِر في النُّزول المعنوي ، وإليها يردُّ " ينزلُ " على أحد التَّأويلات ، ومعنى ذلك : أنَّ مقتضى عظمةِ الله تعالى وجلاله ، واستغنائه ، إلَّا يعبأ بحقيرٍ ، ذليل ، فقير ، لكن ينزل بمقتضى كرمه ولُطفه ؛ لأنْ يقول : " من يقرضُ غيرَ عَدُوم ولا ظَلُوم " . ويكون قولُه : " إلى السَّماء الدُّنيا " عبارةً عن الحاجة القريبة إلينا ، والدُّنيا بمعنى : القُربى ، والله أعلم . وقد قيَّده بعضُ النَّاس " يُنزِل " بضم الياء ، من : أنزل ، فيكون مُعدًّى إلى مفعولٍ محذوف ؛ أي : يُنزلُ اللهُ مَلَكًا فيقولُ : كذا ... وقد دلَّ على صحَّة هذا التَّأويل ما رواه النَّسائيُّ عن أبي هريرة وأبي سعيد ، قالا : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُمهلُ حتى يمضي شطرُ الليل الأول ، ثمَّ يأمرُ منادياً يقول : هَلْ مِن داعٍ

يُستجاب له ؟ هَلْ من مُستغفرٍ يُغفر له ؟ هَلْ من سائلٍ يُعطىٰ " ؟ وهذا صحيح ، وهو نمو ، وبه يرتفع الإشكـــال ، وقد قدَّمنا في كتاب الإيمان ما تُحمل عليه هذه المشكلات كلُّها ".

وقال الإمام ابن الملقِّن في "التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح" (٩/٩٨-١٠٦) : " قوله : " يُنْزِلُ " هو بضم أوَّله ، من أنزل . قَالَ ابن فورك : ضبط لنا بعض أهل النَّقل هذا الخبر عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بضم الياء من ينزل ، وذكر أنَّه ضُبط عمَّن سمع منه من الثِّقات الضَّابطين . وكذا قَالَ القرطبي : قد قيَّده بعض النَّاس بذلك فيكون معدَّىٰ إلىٰ مفعول محذوف . أي : يُنزل الله ملكاً . قَالَ : والدَّليل علىٰ صحَّة هذا ما رواه النَّسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : قَالَ رسول الله – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله – عزَّ وجلَّ – يُمهل حَتَّىٰ يمضي شطر الليل الأوَّل ، ثمَّ يأمر منادياً يقول : هَلْ من داع فيُستجاب له " الحديث . وصحَّحه عبد الحقّ ..." .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في " الفتح " (٣/ ٣٠-٣١) : " قَوْلُهُ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّماء الدُّنيا " اسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ أَثْبَتَ الْجِهَةَ ، وَقَالَ : هِيَ جِهَة الْعُلُوّ ، وَأنكر ذَلِك الْجُمْهُور !!! لِأَنَّ الْقَوْلَ بِذَلِكَ يُفْضِي إِلَىٰ التَّحَيُّز ، تَعَالَىٰ الله عَنْ ذَلِكَ .

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي مَعْنَىٰ النُّزول عَلَىٰ أَقْوَالٍ : ... وَالْحَاصِلُ أَنَّه تَأَوَّلَهُ بِوَجْهَيْنِ إِمَّا بِأَنَّ الْمَعْنَى يَنْزِلُ أَمْرُهُ أَوِ الْمَلَك بِأَمْرِهِ وإِمَّا بِأَنَّهُ اسْتِعَارَةٌ بِمَعْنَىٰ التَّلَطُّفِ بِالدَّاعِينَ وَالْإِجَابَةِ لَهُمْ وَنَحْوِهِ ، وَقَدْ حَكَىٰ أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكَ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ ضَبَطَهُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَىٰ حَذْفِ الْمَفْعُولِ ، : أَيْ يُنْزِلُ مَلَكاً ، وَيُقَوِّيهِ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْأَغَرِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ بِلَفْظِ : " إِنَّ اللهَّ يُمْهِلُ حَتَّىٰ يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً ، يَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ ... " الْحَدِيثَ . وَفِي حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ : " يُنَادِي مُنَادٍ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ... " الْحَدِيثَ .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَبِهَذَا يَرْتَفِعُ الْإِشْكَالُ ، وَلَا يُعَكِّرُ عَلَيْهِ مَا فِي رِوَايَةِ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ : " يَنْزِلُ الله إِلَىٰ السَّماء الدُّنيا ، فَيَقُول : لَا يسْأَل عَنْ عِبَادِي غَيْرِي " لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْفَعُ التَّأويل الْمَذْكُورَ ...وَاللهَّ أَعْلَمُ " .

وقال الإمام العيني في"عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (٧/ ١٩٩) : " قَوْله : " ينزل " ، بِفَتْح الْيَاء ، فعل مضارع : وَالله ، مَرْفُوع بِهِ . وَقَالَ ابْن فورك : ضبط لنا بعضُ أهل النَّقْل هَذَا الْخَبَر عَن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَم الْيَاء من : ينزل ، يَعْنِي : من الْإِنْزَال . وَذكر أَنه ضبط عَمَّن سمع مِنْهُ من الثِّقَات

الضابطين . وَكَذَا قَالَ الْقُرْطُبِيّ : قد قَيَّده بعضُ النَّاس بذلك فيكون معدًّىٰ إِلَىٰ مفعول مَحْذُوف ، أَي : يُنزل الله مَلَكاً . قَالَ : والدَّليل علىٰ صِحَّة هَذَا مَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ من حَدِيث الْأَغَر عَن أبي هُرَيْرَة وَأبي سعيد ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الله ، عزَّ وَجلَّ ، يُمْهل حَتَّىٰ يمْضِي شطر اللَّيْل الأول ثمَّ يَأْمر منادياً يَقُول : هَلْ من دَاع فيستجاب لَهُ ... ؟ الحَدِيث ، وَصَحَّحهُ عبد الْحق " .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف السَّنوسي في "مكمل إكمال الإكمال المطبوع مع إكمال إكمال المعلم " (٢/ ٣٨٥-٣٨٦) : " لَمَّا ثبت بالقواطع العقليَّة والنقليَّة أنَّه تبارك وتعالىٰ منزَّه عن الجسميَّة والتَّحيُّز والحلول امتنع عليه النُّزول بمعنىٰ الانتقال من موضع أعلىٰ إلىٰ ما هو أخفض منه ، بل المعني به إذا لم نقدر حذف المضاف علىٰ ما ذكره أهل الحقّ : دنوّ رحمته ومزيد لطفه علىٰ العباد ، وإجابة دعوتهم ، وقبول معذرتهم ، كما هو ديدن الملوك الكرماء والسَّادة الرُّحماء إذا نزلوا بقوم مكان ينزل يأمر منادياً ينادي يقول : هَلْ من داع ، الحديث ذكره النَّســـائي ، وهذا يرفع الإشكال ، وقيَّده بعض النَّاس بضم الياء من أنزل ، أي يُنزل مَلَكاً... ".

وقال الإمام السَّفاريني الحنبلي في " لوامع الأنوار البهيَّة وسواطع الأسرار الأثريَّة لشرح الدرَّة المضيَّة في عقيدة الفرقة المرضيَّة " (١/ ٢٤٧-٢٤٨) : " قَالَ أَهْلُ التَّأويل : أَنَّ الْعَرَبَ تَنْسِبُ الْفِعْلَ إِلَىٰ مَنْ أَمَرَ بِهِ ، كَمَا تَنْسِبُهُ إِلَىٰ مَنْ فَعَلَهُ وَبَاشَرَهُ بِنَفْسِهِ ، قَالُوا : وَالْمَعْنَىٰ هُنَا : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَأْمُرُ مَلَكاً بالنُّزول إِلَىٰ السَّماء الدُّنيا فَيُنَادِي بِأَمْرِ ... وَقَدْ حَكَىٰ ابْنُ فُورَكَ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ ضَبَطَ رِوَايَةَ الْبُخَارِيِّ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَىٰ حَذْفِ الْمَفْعُولِ ، أَيْ يُنْزِلُ مَلَكاً قَالُوا : وَيُقَوِّيهِ مَا رَوَىٰ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي سَعِيدٍ – رَضِيَ الله عَنْهُمَا – قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهَ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّىٰ يَمْضِي شَطْرُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ، ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً يَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ " ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : صَحَّحَهُ عَبْدُ الْخَالِقِ . قَالُوا وَهَذَا يَرْفَعُ الْإِشْكَالَ ، وَيُزِيلُ كُلَّ احْتِمَالٍ ، والسُّنَّة يُفَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، وَكَذَا الْآيَاتُ ..." .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَتَوَاضَعُ المَلَائِكَةُ لطَالِبِ العِلْم ؟

الجواب : روىٰ الطَّبراني في " المعجم الكبير " (٨/ ٥٤ برقم ٧٣٤٧) بسنده عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ حَدَّثَ صَفْوَانُ بْنُ عَسَّالٍ الْمُرَادِيُّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ فِي

الْمَسْجِدِ عَلَىٰ بُرْدٍ لَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بطالبِ الْعِلْمِ، طَالِبُ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّىٰ يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ، فَمَا جِئْتَ تَطْلُبُ؟» ، قَالَ: قَالَ صَفْوَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا نَزَالُ نُسَافِرُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَأَفْتِنَا عَنِ الْمَسْحِ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمٌ وَلَيْلَةٌ لِلْمُقِيمِ» . قال الهيثمي في(مجمع الزوائد(١/ ١٣١برقم ٥٥٠) : "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

وروىٰ أحمد في المسند (٣٠/ ٩ برقم ١٨٠٨٩) بسنده عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: غَدَوْتُ عَلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ، قَالَ: أَلَا أُبَشِّرُكَ؟ وَرَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن " .

قال الإمام السِّندي في " حاشية السِّندي علىٰ سُنن ابن ماجه " (١/ ٩٧) : " قَوْلُهُ : (لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ وَإِنْ لَمْ يُشَاهَدْ ، أَيْ : لَمْ تَضَعْهَا لِتَكُونَ وِطَاءً لَهُ إِذَا مَشَىٰ أَوْ تَكُفُّ أَجْنِحَتَهَا عَنِ الطَّيَرَانِ وَتَنْزِلُ لِسَمَاعِ الْعِلْمِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَجَازًا عَنِ التَّوَاضُعِ تَعْظِيمًا لِحَقِّهِ وَمَحَبَّةً لِلْعِلْمِ " .

وقال الإمام ابن جماعة الكناني في " تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والْمُتَكَلِّمِ في أَدَب العَالِمِ والْمُتَعَلِّم " (ص٧) : " واعلم أنَّه لا رُتبة فوق رُتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدُّعاء له وتضع له أجنحتها، وأنَّه لَيُنَافَسُ في دعاء الرَّجل الصَّالح أو مَنْ يُظَنُّ صلاحه فكيف بدعاء الملائكة، وقد اختلف في معنىٰ وضع أجنحتها فقيل: التَّواضع له، وقيل: النُّزول عنده والحضور معه، وقيل: التَّوقير والتَّعظيم له، وقيل: معناه تحمله عليها فتعينه علىٰ بلوغ مقصده.

وأمَّا إلهام الحيوانات بالاستغفار لهم فقيل: لأنَّها خلقت لمصالح العباد ومنافعهم والعلماء هم الذين يبيِّنون ما يحلّ منه وما يحرم ، ويوصون بالإحسان إليها ونفي الضَّرر عنها " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُظلِّلُ المَلَائِكَةُ الشَّهِيْدَ بِأَجْنِحَتِهَا ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٢/ ٧٢ برقم ١٢٤٤) بسنده عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَنْهَانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبْكِينَ أَوْ لاَ تَبْكِينَ مَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّىٰ رَفَعْتُمُوهُ» .

وروىٰ البخاري (٢/ ٨١ برقم ١٢٩٣) ومسلم (٤/ ١٩١٧ برقم ١٤٧١) بسندهما عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، قَالَ: جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ قَدْ مُثِّلَ بِهِ، حَتَّىٰ وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُجِّيَ ثَوْبًا، فَذَهَبْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْهُ، فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْهُ، فَنَهَانِي قَوْمِي، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا: ابْنَةُ عَمْرٍو - أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو - قَالَ: «فَلِمَ تَبْكِي؟ أَوْ لاَ تَبْكِي، فَمَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّىٰ رُفِعَ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٦/ ٢٥-٢٦) : " قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَمَا زَالَتِ المَلَائِكَة تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّىٰ رُفِعَ) قَالَ الْقَاضِي يُحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ لِتَزَاحُمِهِمْ عَلَيْهِ لِبِشَارَتِهِ بِفَضْلِ اللهَّ وَرِضَاهُ عَنْهُ وَمَا أُعِدَّ لَهُ من الكرامة عليه ازْدَحَمُوا عَلَيْهِ إِكْرَامًا لَهُ وَفَرَحًا بِهِ أَوْ أَظَلُّوهُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ لِئَلَّا يَتَغَيَّرَ رِيحُهُ أَوْ جِسْمُهُ قَوْلُهُ (فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ مازالت المَلَائِكَة تُظِلُّهُ) مَعْنَاهُ سَوَاءٌ بَكَتْ عَلَيْهِ أَمْ لَا فَمَا زَالَتِ المَلَائِكَة تُظِلُّهُ أَيْ فَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ هَذَا وَغَيْرُهُ فَلَا يَنْبَغِي الْبُكَاءُ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لَهَا " .

﴿سُؤال﴾ : هَلِ المَلَائِكَةُ بَاسِطَة أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّام ؟

الجواب : روىٰ أحمد في المسند (٣٥/ ٤٨٣ برقم ٢١٦٠٦) بسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا حِينَ قَالَ: «طُوبَىٰ لِلشَّامِ، طُوبَىٰ لِلشَّامِ» قُلْتُ: مَا بَالُ الشَّامِ؟ قَالَ: «المَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَجْنِحَتِهَا عَلَىٰ الشَّامِ» . قال الأرنؤوط : حديث صحيح .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تتأذَّى المَلَائِكَة ممَّا يتأذَّى مِنْهُ بَنُوْ آدَم ؟

الجواب : روىٰ مسلم (١/ ٣٩٥ برقم ٥٦٤) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ - وقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ " .

وروىٰ البخاري (١/ ٩١ برقم ٤١٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلاَةِ، فَلاَ يَبْصُقْ أَمَامَهُ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللهَّ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَيَدْفِنُهَا» .

وروى مسلم (١/ ٣٩٤ برقم ٥٦٣) بسنده عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ، فَغَلَبَتْنَا الْحَاجَةُ، فَأَكَلْنَا مِنْهَا، فَقَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُنْتِنَةِ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَأَذَّى، مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الْإِنْسُ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَمْتَنِعُ الْمَلَائِكَة عَنْ دُخُوْلِ بَعْضِ البُيُوْت ؟

الجواب : روى أحمد في المسند (٢٦/ ٢٩٠ برقم ١٦٣٦٩) بسنده عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ " . قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند : " حديث صحيح " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٤/ ٨١-٨٤ باختصار) : " قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ : تَصْوِيرُ صُورَةِ الْحَيَوَانِ حَرَامٌ شَدِيدُ التَّحْرِيمِ ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ ، لِأَنَّهُ مُتَوَعَّدٌ عَلَيْهِ بِهَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ الْمَذْكُورِ فِي الْأَحَادِيثِ وَسَوَاءٌ صَنَعَهُ بِمَا يُمْتَهَنُ أَوْ بِغَيْرِهِ فَصَنْعَتُهُ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ ، لِأَنَّ فِيهِ مُضَاهَاةً لِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَوَاءٌ مَا كَانَ فِي ثوب أو بساط أو درهم أَوْ دِينَارٍ أَوْ فَلْسٍ أَوْ إِنَاءٍ أَوْ حَائِطٍ أَوْ غَيْرِهَا ، وَأَمَّا تَصْوِيرُ صُورَةِ الشَّجَرِ وَرِحَالِ الْإِبِلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ صُورَةُ حَيَوَانٍ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ ، هَذَا حُكْمُ نَفْسِ التَّصْوِيرِ ، وَأَمَّا اتِّخَاذُ الْمُصَوَّرِ فِيهِ صُورَةَ حَيَوَانٍ ، فَإِنْ كَانَ مُعَلَّقًا عَلَى حَائِطٍ أَوْ ثَوْبًا ملبوساً أو عمامة ونحو ذلك ممَّا لا يعدّ مُمْتَهَنًا فَهُوَ حَرَامٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي بِسَاطٍ يُدَاسُ وَمِخَدَّةٍ وَوِسَادَةٍ وَنَحْوِهَا مِمَّا يُمْتَهَنُ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلَكِنْ هَلْ يَمْنَعُ دُخُولَ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ ذَلِكَ الْبَيْتَ ؟ فِيهِ كَلَامٌ نَذْكُرُهُ قَرِيبًا إِنْ شاء الله ، ولا فرق في هذا كلِّه بين ماله ظل وما لا ظلَّ لَهُ ، هَذَا تَلْخِيصُ مَذْهَبِنَا فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَبِمَعْنَاهُ قَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ الأحاديث لاسيَّما حَدِيثُ النُّمْرُقَةِ الَّذِي ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ ، وَهَذَا مَذْهَبٌ قوي ، وقال آخَرُونَ : يَجُوزُ مِنْهَا مَا كَانَ رَقْمًا فِي ثَوْبٍ سَوَاءٌ امْتُهِنَ أَمْ لَا وَسَوَاءٌ عُلِّقَ في حائط أم لا ، وكرهوا مَا كَانَ لَهُ ظِلٌّ أَوْ كَانَ مُصَوَّرًا فِي الْحِيطَانِ وَشِبْهِهَا ، سَوَاءٌ كَانَ رَقْمًا أَوْ غَيْرَهُ ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ فِي بَعْضِ أَحَادِيثِ الْبَابِ : " إِلَّا ما كَانَ رَقْمًا فِي ثَوْبٍ " ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْقَاسِمِ بن محمَّد وأجمعوا بِقَوْلِهِ فِي بَعْضِ أَحَادِيثِ الْبَابِ : إِلَّا مَا كَانَ رَقْمًا فِي ثَوْبٍ ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مَنْعِ مَا كَانَ لَهُ ظِلٌّ وَوُجُوبُ تَغْيِيرِهِ . قَالَ الْقَاضِي : إِلَّا ما ورد فِي اللَّعِبِ بِالْبَنَاتِ لِصِغَارِ الْبَنَاتِ وَالرُّخْصَةِ فِي ذَلِكَ لَكِنْ كَرِهَ مَالِكٌ شِرَاءَ الرَّجُلِ ذَلِكَ لِابْنَتِهِ ، وَادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّ إِبَاحَةَ اللَّعِبِ لَهُنَّ بِالْبَنَاتِ مَنْسُوخٌ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَة بيتاً فيه كلب ولا صورة " ، قَالَ الْعُلَمَاءُ سَبَبُ امْتِنَاعِهِمْ مِنْ بَيْتٍ فِيهِ صُورَةٌ كَوْنُهَا مَعْصِيَةً فَاحِشَةً وَفِيهَا مُضَاهَاةٌ لِخَلْقِ اللهِ تَعَالَى وَبَعْضُهَا فِي صُورَةِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى وَسَبَبُ امْتِنَاعِهِمْ مِنْ بَيْتٍ فِيهِ كَلْبٌ لِكَثْرَةِ أَكْلِهِ النَّجَاسَاتِ ، وَلِأَنَّ بَعْضَهَا يُسَمَّى شَيْطَانًا كَمَا جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ ، وَالْمَلَائِكَةُ ضِدُّ الشَّيَاطِينِ ، وَلِقُبْحِ رَائِحَةِ الْكَلْبِ وَالْمَلَائِكَةُ تَكْرَهُ الرَّائِحَةَ الْقَبِيحَةَ ، وَلِأَنَّهَا مَنْهِيٌّ عَنِ اتِّخَاذِهَا فَعُوقِبَ مُتَّخِذُهَا بِحِرْمَانِهِ دُخُولَ المَلَائِكَة بَيْتَهُ وَصَلَاتَهَا فِيهِ وَاسْتِغْفَارَهَا لَهُ وَتَبْرِيكَهَا عَلَيْهِ وَفِي بَيْتِهِ ودفعها أذىٰ للشَّيطان ، وأمَّا هؤلاء المَلَائِكَة الذين لا يدخلون بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ فَهُمْ مَلَائِكَةٌ يطوفون بالرَّحمة وَالتَّبْرِيكِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَأَمَّا الْحَفَظَةُ فَيَدْخُلُونَ فِي كُلَّ بيت ولا يفارقون بَنِي آدَمَ فِي كُلِّ حَالٍ ، لِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بإحصاء أعمالهم وكتابتها .

قال الخطَّابي : وإنَّما لا تدخل المَلَائِكَة بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ مِمَّا يَحْرُمُ اقْتِنَاؤُهُ مِنَ الْكِلَابِ وَالصُّوَرِ ، فَأَمَّا مَا لَيْسَ بِحِرَامٍ مِنْ كَلْبِ الصَّيْدِ وَالزَّرْعِ وَالْمَاشِيَةِ وَالصُّورَةِ الَّتِي تُمْتَهَنُ فِي الْبِسَاطِ وَالْوِسَادَةِ وَغَيْرِهِمَا فَلَا يَمْتَنِعُ دُخُولُ المَلَائِكَة بِسَبَبِهِ ، وَأَشَارَ الْقَاضِي إِلَى نَحْوِ مَا قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ كَلْبٍ وَكُلِّ صُورَةٍ ، وَأَنَّهُمْ يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْجَمِيعِ لِإِطْلَاقِ الْأَحَادِيثِ ، وَلِأَنَّ الْجِرْوَ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ السَّرِيرِ كَانَ لَهُ فِيهِ عُذْرٌ ظَاهِرٌ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ وَمَعَ هَذَا امْتَنَعَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دُخُولِ الْبَيْتِ وَعَلَّلَ بِالْجِرْوِ ، فَلَوْ كَانَ العذر في وجود الصُّورة والكلب لايمنعهم لَمْ يَمْتَنِعْ جِبْرِيلُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وَروىٰ البخاري (٤/ ١١٤ برقم ٣٢٢٤) بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: حَشَوْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِسَادَةً فِيهَا تَمَاثِيلُ كَأَنَّهَا نُمْرُقَةٌ، فَجَاءَ فَقَامَ بَيْنَ البَابَيْنِ وَجَعَلَ يَتَغَيَّرُ وَجْهُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا بَالُ هَذِهِ الوِسَادَةِ؟» ، قَالَتْ: وِسَادَةٌ جَعَلْتُهَا لَكَ لِتَضْطَجِعَ عَلَيْهَا، قَالَ: " أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ المَلَائِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، وَأَنَّ مَنْ صَنَعَ الصُّورَةَ يُعَذَّبُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَقُولُ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ " .

وروىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط " (٢/ ٣١٢ برقم ٢٠٧٧) بسنده عَنْ بَكْرِ بْنِ مَاعِزٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ يُحَدِّثُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُنْقَعُ بَوْلٌ فِي طَسْتٍ فِي الْبَيْتِ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ بَوْلٌ يُنْقَعُ، وَلَا تَبُولَنَّ فِي مُغْتَسَلِكَ» . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣ برقم ٢٠٣٦) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ " ...

وعلىٰ كلِّ حال فإنَّ المراد بالملائكةُ هنا ملائكةُ الرَّحمة، أمَّا الحَفَظةُ فهم مُلازِمون للإنسان لا يفارقوه لا في ليل ولا نهار ، ولا تمنع الكلاب ولا التَّصاوير من دخولهم عليه ومكوثهم معه ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بـ الكَلْبِ الذِيْ تَمْتَنِعُ المَلَائِكَةُ عَنِ الدُّخُوْلِ إِلَى البَيْت الذِي هُوَ فِيْه ؟

الجواب : الكلبُ الذي لا تدخل الملائكة البيت الذي هو فيه هو الكلب الموجود لغير الصَّيد أو الحراسة ... أمَّا الكلب الموجود للصَّيد أو الحراسة فلا يمنع من دخول الملائكة إلىٰ البيت ... وقد وردت أحاديثُ عدَّة عن سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُجيز اقتناء الكلب المدرَّب للصَّيد أو الحراسة ... فقد روىٰ البخاري (٣/ ١٠٣ برقم ٢٣٢٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ، إِلَّا كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ» ، قَالَ ابْنُ سِيرِينَ، وَأَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا كَلْبَ غَنَمٍ أَوْ حَرْثٍ أَوْ صَيْدٍ» ، وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ» .

وروىٰ أيضاً (٧/ ٨٧ برقم ٥٤٨٠) بسنده عَنْ عَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اقْتَنَىٰ كَلْبًا، لَيْسَ بِكَلْبِ مَاشِيَةٍ، أَوْ ضَارِيَةٍ، نَقَصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطَانِ» .

قال الإمام ابن عبد البر في " الاستذكار " (٨/ ٤٩٣) : " وفي حديث بن عُمَرَ هَذَا وَحَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ إِبَاحَةُ اتِّخَاذِ الْكِلَابِ لِلصَّيْدِ وَالزَّرْعِ وَالْمَاشِيَةِ دُونَ مَا عَدَا ذَلِكَ" .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٠/ ٢٣٦) : " وَأَمَّا اقْتِنَاءُ الْكِلَابِ فَمَذْهَبُنَا أَنَّهُ يَحْرُمُ اقْتِنَاءُ الْكَلْبِ بِغَيْرِ حَاجَةٍ وَيَجُوزُ اقْتِنَاؤُهُ لِلصَّيْدِ وَلِلزَّرْعِ وَلِلْمَاشِيَةِ وَهَلْ يَجُوزُ لِحِفْظِ الدُّورِ وَالدُّرُوبِ وَنَحْوِهَا فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا لَا يَجُوزُ لِظَوَاهِرِ الْأَحَادِيثِ فَإِنَّهَا مُصَرِّحَةٌ بِالنَّهْيِ إِلَّا لِزَرْعٍ أَوْ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ وَأَصَحُّهَا يَجُوزُ قِيَاسًا عَلَىٰ الثَّلَاثَةِ عَمَلًا بِالْعِلَّةِ الْمَفْهُومَةِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَهِيَ الْحَاجَةُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمُ الذيْنَ تَلْعَنُهُم المَلَائِكَةُ ؟

الجواب : تلعنُ المَلَائِكَة أصنافاً من الخلق ، منهم :

أَوَّلاً : لَعْنُ الكَفَرَة :

قال تعالى : ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران:٨٦-٨٧] .

ثَانِياً : لَعْنُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِم :

قال تعالى : ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران:٨٦-٨٧] .

ثَالِثاً : لَعْنُ مَنْ سَبَّ أَصْحَابَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أخرج أحمد في فضائل الصَّحابة (١/ ٥٢ برقم ٨) ، الآجرِّي في الشَّريعة (٥/ ٢٥٠٢ برقم ١٩٩٤) ، الطَّبراني في الدُّعاء (ص٥٨١ برقم ٢١٠٨) ، المعجم الكبير (١٢/ ١٤٢ برقم ١٢٧٠٩) بسندهم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّا نُسَبُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» .

رَابِعاً : لَعْنُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثاً، أَوْ آوى مُحْدِثاً :

أخرج البخاري (٣/ ٢٠ برقم ١٨٦٧) بسنده عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: المَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا، لاَ يُقْطَعُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُحْدَثُ فِيهَا حَدَثٌ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " .

خَامِساً : لَعْنُ مَنْ نَقضَ عَهْدَ مُسْلِم :

أخرج البخاري (٤/ ١٠٢ برقم ٣١٧٩) بسنده عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا كَتَبْنَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا القُرْآنَ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:... وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ ... " .

سَادِساً : لَعْنُ مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ :

أخرج البخاري (٤/ ١٠٢ برقم ٣١٧٩) بسنده عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا كَتَبْنَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا القُرْآنَ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:... وَمَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ» .

سَابِعَاً : لَعْنُ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ :

أخرج البخاري (٢/ ٩٩٤ برقم ١٣٧٠) بسنده عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : خَطَبَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةَ ... وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا " .

ثَامِنًا : لَعْنُ مَنْ حَالَ دُونَ تَنْفِيذِ شَرْعِ اللهِ تَعَالَى :

أخرج أبو داود (٤/ ١٩٦ برقم ٤٥٩١) ، النَّسائي في السُّنن الكبرى (٦/ ٣٥١ برقم ٦٩٦٥) ، البيهقي في معرفة السُّنن والآثار (١٢/ ٤٩ برقم ١٥٨٢١) ، السُّنن الكبرى (٨/ ٨١ برقم ١٦٠٠٢) بسندهم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ فِي عِمِّيًّا، أَوْ رِمِّيًّا يَكُونُ بَيْنَهُمْ بِحَجَرٍ، أَوْ بِسَوْطٍ، فَعَقْلُهُ عَقْلُ خَطَإٍ، وَمَنْ قَتَلَ عَمْدًا فَقَوَدُ يَدَيْهِ، فَمَنْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» .

فلا يجوز لمسلم أن يحول دون استيفاء القصاص أو الدية ... ومن حال دون استيفاء القصاص أو الدية استحقَّ لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين .

تَاسِعًا : لَعْنُ الْمَرْأَةِ الْمُمْتَنِعَةِ عَنْ فِرَاشِ زَوْجِهَا :

أخرج مسلم (٢/ ١٠٦٠ برقم ١٤٣٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج "(١٠/ ٧-٨) : " قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ وَفِي رِوَايَةٍ حَتَّى تَرْجِعَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ امْتِنَاعِهَا مِنْ فِرَاشِهِ لِغَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ وَلَيْسَ الْحَيْضُ بِعُذْرٍ فِي الِامْتِنَاعِ لِأَنَّ لَهُ حَقًّا فِي الِاسْتِمْتَاعِ بِهَا فَوْقَ الْإِزَارِ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّعْنَةَ تَسْتَمِرُّ عَلَيْهَا حَتَّى تَزُولَ الْمَعْصِيَةُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا أَوْ بِتَوْبَتِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى الْفِرَاشِ" .

وقال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٩/ ٢٩٤) : " قَوْلُهُ : إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فراشه ، قَالَ بن أَبِي جَمْرَةَ : الظَّاهِرُ أَنَّ الْفِرَاشَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ ، وَيُقَوِّيهِ قَوْلُهُ : الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، أَيْ : لِمَنْ يَطَأُ فِي الْفِرَاشِ ، وَالْكِنَايَةُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُسْتَحَى مِنْهَا كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، قَالَ : وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ اخْتِصَاصُ اللَّعْنِ بِمَا إِذَا وَقَعَ مِنْهَا ذَلِكَ لَيْلًا لِقَوْلِهِ : حَتَّى تُصْبِحَ ، وَكَأَنَّ السِّرَّ تَأَكُّدُ ذَلِكَ الشَّأْنِ فِي اللَّيْلِ وَقُوَّةُ الْبَاعِثِ عَلَيْهِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَجُوزُ لَهَا الِامْتِنَاعُ فِي النَّهَارِ وَإِنَّمَا خُصَّ اللَّيْلُ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ الْمَظِنَّةُ لِذَلِكَ أهـ .

وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِلَفْظِ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهَا فَتَأْبَىٰ عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّىٰ يَرْضَى عَنْهَا " ، وَلِابْنِ خُزَيْمَة وبن حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَفَعَهُ : ثَلَاثَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ صَلَاةٌ ، وَلَا يَصْعَدُ لَهُمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ حَسَنَةٌ : الْعَبْدُ الْآبِقُ حَتَّىٰ يَرْجِعَ ، وَالسَّكْرَانُ حَتَّىٰ يَصْحُوَ ، وَالْمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتَّىٰ يَرْضَى . فَهَذِهِ الْإِطْلَاقَاتُ تَتَنَاوَلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . قَوْلُهُ :فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ ، زَادَ أَبُو عَوَانَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ : فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا ، وَبِهَذِهِ الزِّيَادَةِ يُتَّجَهُ وُقُوعُ اللَّعْنِ لِأَنَّهَا حِينَئِذٍ يَتَحَقَّقُ ثُبُوتُ مَعْصِيَتِهَا بِخِلَافِ مَا إِذَا لَمْ يَغْضَبْ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ إِمَّا لِأَنَّهُ عَذَرَهَا ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ تَرَكَ حَقَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ زُرَارَةَ : " إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا " ، فَلَيْسَ هُوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ فِي لَفْظِ الْمُفَاعَلَةِ بَلِ الْمُرَاد : أَنَّهَا هِيَ الَّتِي هجرت ، وَقد تَأْتِي لَفْظُ الْمُفَاعَلَةِ وَيُرَادُ بِهَا نَفْسُ الْفِعْلِ وَلَا يَتَّجِهُ عَلَيْهَا اللَّوْمُ إِلَّا إِذَا بَدَأَتْ هِيَ بِالْهَجْرِ فَغَضِبَ هُوَ لِذَلِكَ أَوْ هَجَرَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَلَمْ تَسْتَنْصِلْ مِنْ ذَنْبِهَا وَهَجَرَتْهُ ، أَمَّا لَوْ بَدَا هُوَ بِهَجْرِهَا ظَالِمًا لَهَا فَلَا ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ غُنْدَرٍ عَنْ شُعْبَةَ : إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً ، بِلَفْظِ اسْمِ الْفَاعِلِ . قَوْلُهُ : لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَة حَتَّىٰ تُصْبِحَ ، فِي رِوَايَةِ زُرَارَةُ : حَتَّىٰ تَرْجِعَ ، وَهِيَ أَكْثَرُ فَائِدَةً ، وَالْأُولَى مَحْمُولَةٌ عَلَىٰ الْغَالِبِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وللطَّبراني من حَدِيث بن عُمَرَ رَفَعَهُ : اثْنَانِ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمَا رُءُوسَهُمَا : عَبْدٌ آبِقٌ وَامْرَأَةٌ غَضِبَ زَوْجُهَا حَتَّىٰ تَرْجِعَ ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ . قَالَ الْمُهَلَّبُ : هَذَا الْحَدِيثُ يُوجِبُ أَنَّ مَنْعَ الْحُقُوقِ فِي الْأَبْدَانِ كَانَتْ أَوْ فِي الْأَمْوَالِ مِمَّا يُوجِبُ سُخْطَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَهَا بِعَفْوِهِ ، وَفِيهِ جَوَازُ لَعْنِ الْعَاصِي الْمُسْلِمِ إِذَا كَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِرْهَابِ عَلَيْهِ لِئَلَّا يُوَاقِعَ الْفِعْلَ ، فَإِذَا وَاقَعَهُ فَإِنَّمَا يُدْعَىٰ لَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْهِدَايَةِ " .

عَاشِرًا : لَعْنُ مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيْهِ بِحَدِيْدَة :

أخرج مسلم (٤/ ٢٠٢٠ برقم ٢٦١٦) بسنده عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّىٰ يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (١٦/ ١٧٠) في شرحه للحديث : " فِيهِ تَأْكِيدُ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ وَالنَّهْيُ الشَّدِيدُ عَنْ تَرْوِيعِهِ وَتَخْوِيفِهِ وَالتَّعَرُّضِ لَهُ بِمَا قَدْ يُؤْذِيهِ . وَقَوْلُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ " مُبَالَغَةٌ فِي إِيضَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ سَوَاءٌ مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ وَمَنْ لَا

يُتَّهَمُ ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا هَزْلًا وَلَعِبًا أَمْ لَا ، لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ ، وَلِأَنَّهُ قَدْ يَسْبِقُهُ السِّلَاحُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ ، وَلَعْنُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ حَرَامٌ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : بِمَا أنَّ المَلَائِكَـــة لَا تَدْخُلُ بَيْتَاً فِيْهِ كَلْبٌ أَو صُوْرَةٌ ، فَكَيْفَ سَتَكْتُبُ المَلَائِكَة عَمَلَهُ وَكَيْفَ سَيَمُوْت ؟

الجواب : قال الإمام السُّيوطيُّ في " الحبائك " (ص٢٦٨) : " قال الحليمي ثمَّ القونوي: اعترض بعض الزَّنادقة علىٰ كتابة المَلَائِكَة الأعمال وقبضهم الأرواح بأنَّكم رويتم أن المَلَائِكَة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة، ولا تصحب رفقة فيها كلب أو جرس، وأنتم تتلون: **﴿قُلْ يَتوفَّاكُم مَلَكُ المَوْتِ الذِي وُكِّلَ بِكُم﴾** [السجدة: ١١] فينبغي أن لا يموت من عنده كلب أو صورة أو جرس، ولا يكتب عمله، وإذا دخل أحد الخلاء فهل يدخل الكرام الكاتبون معه أم لا؟ وأين يجلسون؟ وعلىٰ ماذا؟ وبماذا يكتبون؟

والجواب : أنَّ الحديث محمول علىٰ أنَّهم لا يدخلون بيتاً فيه شيء من ذلك دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتريك عليه، ولا يمنع ذلك من دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح ومثل هذا غير مستنكر فيما بيننا فإنَّ فساد صاحب المنزل يمنع من دخول صلحاء النَّاس منزله مؤاخين له ومتردِّدين إليه، ولا يمنعهم من أن يدخلوه مُنكرين عليه ومُغيِّرين أو مُطالبين له بحقٍّ لزمه، والكلب فيه شيئان مباينان لاختيار الأخيار، أحدهما : أنَّه سبع عاد، والآخر أنَّه نجس لا يأمن أن ينجس إناء أو بساطاً أو طعاماً من حيث لا يشعر به صاحبه أو يشعر، والمصور يضاهي بتصويره خلق الله تعالىٰ وهذا عظيم، ولذلك كان المصوِّرون أشدّ النَّاس عذاباً يوم القيامة علىٰ ما ورد في الخبر، والملائكة أخوف لله تعالىٰ من أن يصبروا علىٰ مثله، فلذلك ينصرفون عن بيت فيه الصُّورة.

وأمَّا الجرس فيقال: إنَّ الجنَّ تميل إليه وتجتمع عليه، وفي الإبل مشاكلة للجنّ، وفي الحديث: إنَّها خلقت من الجنّ، ومن ذلك نفارها في كثير من الأوقات بلا سبب ظاهر فإنَّما يحمل ذلك علىٰ أنَّ الشَّياطين تعرض لها فتشهر بها، فكان تعليق الأجراس عليها كاستدعاء الشَّياطين وتأكيد سبب حضورهم فمن آثر لنفسه حضور أعداء الله تعالىٰ أو اعتقد حراسته في سفره بالجنِّ أو الكلب، كان حقيقاً بأن لا يقيِّض الله تعالىٰ لحراسته ملائكته وأولياءه، لكن هذا لا يمنع الموكَّلين به من كتابة عمله، بل هو في حال المعصية أولىٰ بالتَّضييق عليه من حال الطَّاعة، وأمَّا السُّؤال عن دخول الكاتبين الخلاء، فجوابه أنَّا لا نعلم ، ولا يقدح

عدم علمنا بذلك في ديننا، وجملة القول فيه أنَّهما إن كانا مأمورين بالدُّخول دخلا، وإن أكرمهما الله عن ذلك وأطلعهما على ما يكون من الدَّاخل ممَّا سبيلهما أن يكتبا فهما على ما يؤمران به ، والله أعلم" .

﴿سُؤالٌ﴾ : قَالَ الله تَعَالَى عَلَى لسَان مَريَم : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧] . **فَمَا المَقْصُوْدُ بـ (الرَّبّ) الوَارِدِ فِي الآيَة : أَهُوَ جِبْرِيْل أَم الله جَلَّ جَلَالُه ؟**

الجواب : اختلف العلماء في هذه المسألة ، فذهب البعض إلى أنَّ مريم نادت ربَّها وهو الله مستفهمة على طريق التَّعجُّب من حدوث الولد من غير زوج إذ ذاك من الأمور الموجبة للتَّعجُّب ... قال الإمام القرطبي في : الجامع لأحكام القرآن " (٤/ ٩٢) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿قالَتْ رَبِّ﴾** ، أَيْ يَا سَيِّدِي. تُخَاطِبُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَمَثَّلَ لَهَا قَالَ لَهَا: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا. فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ اسْتَفْهَمَتْ عَنْ طَرِيقِ الْوَلَدِ فَقَالَتْ: أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ؟ أَيْ بِنِكَاحٍ " .

وقال الإمام أبو حيَّان في " البحر المحيط " (٣/ ١٥٧-١٥٨) : " **﴿قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾** لَمَّا أَخْبَرَتْهَا المَلَائِكَة أَنَّ اللَّهَ بَشَّرَهَا بِالْمَسِيحِ، نَادَتْ رَبَّهَا، وَهُوَ اللَّهُ، مُسْتَفْهِمَةً عَلَى طَرِيقِ التَّعَجُّبِ مِنْ حُدُوثِ الْوَلَدِ مِنْ غَيْرِ أَبٍ إِذْ ذَاكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُوجِبَةِ لِلتَّعَجُّبِ، وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ أَعْجَبُ مِنْ قَضِيَّةِ زَكَرِيَّا، لِأَنَّ قَضِيَّةَ زَكَرِيَّا حَدَثَ مِنْهَا الْوَلَدُ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، وَهُنَا حَدَثَ مِنِ امْرَأَةٍ بِغَيْرِ وَاسِطَةِ بَشَرٍ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ: وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ. وَقِيلَ: اسْتَفْهَمَتْ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ، كَمَا سَأَلَ زَكَرِيَّا عَنِ الْكَيْفِيَّةِ، تَقْدِيرُهُ: هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَى جَرْيِ الْعَادَةِ بِتَقَدُّمِ وَطْءٍ؟ أَمْ بِأَمْرٍ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ؟.

وَقَالَ الْأَنْبَارِيُّ: لَمَّا خَاطَبَهَا جِبْرِيلُ ظَنَّتْهُ آدميا يريد بها سوأ، ولهذا قالت: **﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾** فَلَمَّا بَشَّرَهَا لَمْ تَتَيَقَّنْ صِحَّةَ قَوْلِهِ لِأَنَّهَا لَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ مَلَكٌ، فَقَالَتْ: **﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾** ؟ وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهَا: رَبِّ، وَقَوْلَ زَكَرِيَّا: رَبِّ، إِنَّمَا هُوَ نِدَاءٌ لِجِبْرِيلَ لَمَّا بَشَّرَهُمَا، وَمَعْنَاهُ: يَا سَيِّدِي فَقَدْ أَبْعَدَ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هُوَ مِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ حَدِيْث : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا "، ثُمَّ قَالَ: "

إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ... صَحِيْحٌ أَمْ ضَعِيْف ؟

الجواب : جاء في " الأجوبة المرضيَّة فيما سئل السَّخاوي عنه من الأحاديث النَّبويَّة"(٢/ ٤٣٢-٤٣٤) للسَّخاوي : " سئلت: عن حديث أبي معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمر عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر، الحديث بطوله في سؤال الملكين أهو صحيح أم لا؟

فكتبت: هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل وأحمد بن منيع في مسنديهما وأبو داود في سننه وابن خزيمة والحاكم وأبو عوانة في صحاحهم كلُّهم من حديث أبي معاوية المذكور، منهم من طوله ومنهم من اقتصر علىٰ بعضه، ولم ينفرد به أبو معاوية بل تابعه علىٰ روايته له عن الأعمش جماعة من الأئمَّة، وكذا رواه عدَّة غير الأعمش عن المنهال، واشار أبو عوانة إلىٰ أنَّه اختلف في صحَّته وتوهينه قال: وفيه نظر، ولم يخرجه مسلم وخرَّجه غيره، انتهىٰ.

وقد جزم الحاكم بأنَّه صحيح علىٰ شرط الشَّيخين وأشار إلىٰ ردِّ ما زعمه ابن حبَّان من انقطاع سنده عن زاذان والبراء، وكذا قال أبو عبد الله بن منده : إسناده متَّصل مشهور رواه جماعة عن البراء ، وكذلك رواه عدَّة عن الأعمش وعن المنهال قال: والمنهال أخرج له البخاري ما تفرَّد به، وزاذان أخرج عنه مسلم وهو ثابت علىٰ رسم الجماعة. وروي هذا الحديث عن جابر وأبي هريرة وأبي سعيد وأنس وعائشة رضي الله عنهم.

قلت: فعُلم بما تقرَّر تصحيح الأئمَّة له، وهو كما قال الحاكم: حديث فيه فوائد كثيرة لأهل السُّنَّة وقمع للمبتدعة، والله الموفِّق " .

﴿سُؤالٌ﴾ : كَيْفَ نُوَفِّقُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨] ، **قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها﴾** [الزمر:٤٢] ، **وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾** [السجدة:١١] ، **قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾** [النساء:٩٧] ؟

الجواب : اقتضت حكمة الله تعالىٰ أن يكِل مسألة قبض أرواح العباد عند انتهاء أعمار العباد إلىٰ أحد ملائكته المقرَّبين الذي يقوم بقبضها وفقَ الأمر الإلهيّ بذلك ... فخالق الموت والآمر به هو الله تعالىٰ ، إذ منه تصدر الأوامر للملائكة الذين ﴿يَفْعَلُوْنَ مَا يُؤمَرُوْن﴾ [النحل:٥٠] ، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٧] ، فهو سبحانه المتوفِّي علىٰ الحقيقة ، وكلّ مأمور من المَلَائِكَة يفعل حسب الأمر الذي وُجِّه له ، ﴿وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] ، أي لا يضيِّعون ولا يقصِّرون .

ولِمَلَك الموت أعوانٌ من المَلَائِكَة ، قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٣/ ٢٦٧) : " وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ، أَيْ: إِذَا احْتَضَرَ وَحَانَ أَجَلُهُ ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ، أَيْ: مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بِذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يُخْرِجُونَ الرُّوحَ مِنَ الْجَسَدِ، فَيَقْبِضُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ إِذَا انْتَهَتْ إِلَى الْحُلْقُومِ " .

وقوله تعالىٰ :﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] ، وقوله : ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾ [الأنعام:٦١] ، قيل : المراد هنا هو ملك الموت ، وهذا من باب إطلاق الجمع علىٰ الواحد تفخيماً له ، وتعظيماً لشأنه لقوله تعالىٰ : ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] ، وهو الرَّئيس المفوَّض إليه هذا العمل . وقيل : هم أعوان ملك الموت ، ويشهد لذلك قوله تعالىٰ : ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] ، وذلك لأنَّه مأعوان ملك الموت . قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٤/ ٩٣-٩٤) : "خلق الله تعالىٰ ملك الْمَوْتِ وَخَلَقَ عَلَى يَدَيْهِ قَبْضَ الْأَرْوَاحِ، وَاسْتِلَالَهَا مِنَ الْأَجْسَامِ وَإِخْرَاجَهَا مِنْهَا. وَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى جُنْدًا يَكُونُونَ مَعَهُ يَعْمَلُونَ عَمَلَهُ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] ، وقال تعالىٰ:" ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الانعام: ٦١] ، وَالْبَارِئُ خَالِقُ الْكُلِّ، الْفَاعِلُ حَقِيقَةً لِكُلِّ فِعْلٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها﴾ [الزمر: ٤٢] ، ﴿الذِيْ خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاة﴾ [الملك: ٢] ، ﴿يُحيِي وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، فَمَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ وَالْأَعْوَانُ يُعَالِجُونَ وَاللَّهُ تَعَالَى يُزْهِقُ الرُّوحَ. وَهَذَا هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْآيِ وَالْأَحَادِيثِ، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ مُتَوَلِّيَ ذَلِكَ بِالْوَسَاطَةِ وَالْمُبَاشَرَةِ أُضِيفَ التَّوَفِّي إِلَيْهِ كَمَا أُضِيفَ الْخَلْقُ لِلْمَلَكِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا كَيْفيَّةُ قَبْضِ المَلَائِكَةِ للرُّوْحِ ؟وَهَلِ النَّاسُ مُتَفَاوِتُوْنَ فِي ذَلِك ؟

الجواب : روى أحمد في المسند (٣٠/ ٤٩٩ برقم ١٨٥٣٤) بسنده عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، "، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ ". قَالَ: " فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ " قَالَ: " فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ".

قَالَ: " فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ". قَالَ: " فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ".

قَالَ: " وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي ". قَالَ: " وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ

مَلَكُ المُوْتِ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ ".

قَالَ: " فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ "، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾** [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ". ثُمَّ قَرَأَ: **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** [الحج: ٣١] " فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ " . قال الأرنؤوط في تخريجه للمسند : " إسناده صحيح، رجاله رجال الصَّحيح" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَتَكَلَّمُ المَلائِكَةُ مَعَ المُغْمَى عَلَيْهِ وَتُبْلِغُهُ بِمَا قِيْلَ فِيْه ؟

الجواب : روىٰ البخاري(٥/ ١٤٤ برقم ٤٢٦٧) بسنده عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُغْمِيَ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةُ تَبْكِي وَاجَبَلاَهْ، وَاكَذَا وَاكَذَا، تُعَدِّدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ حِينَ أَفَاقَ: " مَا قُلْتِ شَيْئًا إِلَّا قِيلَ لِي: آنْتَ كَذَلِكَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ سُؤالِ المَلَكَيْنِ لِلميِّتِ فِي القَبْرِ ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٢/ ٩٨ برقم ١٣٧٤) ومسلم (٤/ ٢٢٠٠ برقم ٢٨٧٠) بسندهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ

أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا – قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِه، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ – قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ " .

وأخرج ابن حبَّان في " الصَّحيح" (٧/ ٣٨٠ برقم ٣١١٣) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فَعَلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ، وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أُدْنِيَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ، فَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيُقَالُ: الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ،

فَيُقَالُ لَهُ: عَلَىٰ ذَٰلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَىٰ ذَٰلِكَ مِتَّ، وَعَلَىٰ ذَٰلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَٰلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، فَتِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: ١٢٤] » . قال الأرنؤوط : إسناده حسن من أجل محمَّد بن عمرو ، البيهقي في " إثبات عذاب القبر " (ص٧٣) .

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ "، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧] . أخرجه البخاري (٦/ ٨٠ برقم ٤٦٩٩) ، مسلم (٤/ ٢٢٠١ برقم ٢٨٧١) .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ» (أخرجه أبو داود (٣/ ٢١٥ برقم ٣٢٢١) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٥٢٦ برقم ١٣٧٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) ، اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة" (٢١٢٣) ، البيهقي في "إثبات عذاب القبر وسُؤال الملكين" (ص٤٧) ، البيهقي في "الدَّعوات الكبير" (٢/ ٢٩٤ برقم ٦٣٦) ، : "السُّنن الصَّغير" (٢/ ٢٩ برقم ١١٢٢) ، "معرفة السُّنن والآثار" (٥/ ٣٣٣ برقم ٧٧٤٧) ، "السُّنن الكبرىٰ" (٤/ ٩٣) .

وروىٰ أبو داود في " السُّنن " (٤/ ٢٣٨ برقم ٤٧٥١) بسنده نْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ، فَقَالَ: «مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالُوا: وَمِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنِ اللَّهُ هَدَاهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ، غَيْرِهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَىٰ بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ، فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّىٰ أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي، فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ " .

قال الإمام القرطبي في " التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" (١/٣٥٧-٣٥٨) : " جاء في حديث البخاري ومسلم: سؤال الملكين، وكذلك في حديث التِّرمذي ، ونصَّ على اسميهما ونعتيهما.

وجاء في حديث أبي داود: سؤال ملك واحد، وفي حديثه الآخر: سؤال ملكين ، ولا تعارض في ذلك والحمد لله: بل كان ذلك صحيح المعني بالنِّسبة إلى الأشخاص ، فَرُبَّ شخص يأتيانه جميعاً ويسألانه جميعاً في حال واحد عند انصراف النَّاس ليكون السُّؤال عليه أهول والفتنة في حقِّه أشدّ وأعظم وذلك بحسب ما اقترف من الآثام ، واجترح من سيِّء الأعمال ، وآخر يأتيه قبل انصراف النَّاس عنه ، وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد فيكون ذلك أخفّ في السُّؤال ، وأقلّ في المراجعة والعتاب لما عمله من صالح الأعمال.

وقد يحتمل حديث أبي داود وجهاً آخر وهو: أنَّ الملكين يأتيان جميعاً ويكون السَّائل أحدهما، وإن تشاركا في الإتيان فيكون الرَّاوي اقتصر على المَلَك السَّائل وترك غيره لأنَّه لم يقل في الحديث : أنَّه لا يأتيه إلى قبره إلَّا ملك واحد، ولو قاله هكذا صريحاً لكان الجواب عنه ما قدَّمناه من أحوال النَّاس ، والله أعلم، وقد يكون من النَّاس من يوقى فتنتهما ، ولا يأتيه أحد منهما على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

واختلفت الأحاديث أيضاً في كيفيَّة السُّؤال والجواب وذلك بحسب اختلاف أحوال النَّاس، فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته، ومنهم من يُسأل عن كلِّها فلا تناقض.

ووجه آخر هو: أن يكون بعض الرُّواة اقتصر على بعض السُّؤال وأتى به غيره على الكمال ، فيكون الإنسان مسؤولاً عن الجميع ، كما جاء في حديث البراء المذكور ، والله أعلم.

وقول المسؤول: هاه هاه هي : حكاية صوت المبهور من تعب أو جري أو حمل ثقيل" .

﴿سُؤالٌ﴾ : سُؤالُ مُنْكر وَنَكِيْرٍ فِي القَبْرِ هَلْ هُوَ عَامٌّ لِجَمِيْعِ الخَلْقِ أَوْ يُسْتَثْنَى مِنْهُ أَحَد ؟

الجواب : أجاب الإمام السُّيوطي في " الحاوي للفتاوي" (٢/٢١١-٢١٢) بقوله : " لَيْسَ عَامًّا لِلْخَلْقِ بَلْ يُسْتَثْنَى مِنْهُ الشَّهِيدُ، فَفِي الْحَدِيثِ «أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُفْتَنُ الشَّهِيدُ فِي قَبْرِهِ؟ فَقَالَ: كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً» (أخرجه النسائي في السّنن الكبرى (٢/ ٤٧٤ برقم ٢١٩١) .

قَالَ القرطبي فِي " التَّذْكِرَةِ " نَقْلًا عَنِ الْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدَهُ نِفَاقٌ فَرَّ عِنْدَ الْتِقَاءِ الزَّحْفَيْنِ وَبَرِيقِ السُّيُوفِ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُنَافِقِ الْفِرَارَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَشَأْنِ الْمُؤْمِنِ الْبَذْلَ وَالتَّسْلِيمَ للهِ، فَلَمَّا ظَهَرَ صِدْقُ ضَمِيرِهِ حَيْثُ بَرَزَ لِلْحَرْبِ وَالْقَتْلِ، لَمْ يُعَدْ عَلَيْهِ السُّؤَالُ فِي الْقَبْرِ الْمَوْضُوعُ لِامْتِحَانِ الْمُسْلِمِ الْخَالِصِ

مِنَ الْمُنَافِقِ، قَالَ القرطبي: وَإِذَا كَانَ الشَّهِيدُ لَا يُفْتَنُ فَالصِّدِّيقُ مِنْ بَابِ أَوْلَى؛ لِأَنَّهُ أَجَلُّ قَدْرًا. وَمِمَّنْ يُسْتَثْنَى الْمُرَابِطُ فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَحَادِيثُ. وَالْمَطْعُونُ وَالصَّابِرُ فِي بَلَدِ الطَّعْنِ مُحْتَسِبًا وَمَاتَ بِغَيْرِ الطَّاعُونِ - صَرَّحَ بِهِ الحافظ ابن حجر فِي كِتَابِ بَذْلِ الْمَاعُونِ، وَالْأَطْفَالُ فِي أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا الذِي يُنْجِي مِنْ سُؤالِ الْمَلَكَيْنِ فِي القَبْرِ ؟

الجواب : سُؤال الملكين في القبر هو المقصود بفتنة القبر ... وقد جاء ففي الصِّحاح أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعيذ بالله من فتنة القبر ... فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ ... " أخرجه البخاري (٨/ ٧٩ برقم ٦٣٦٨) .

وورد في السُّنَّة أنَّ هنالك ثمَّة أعمال تقي صاحبها فتنة سُؤال الملكين ...، منها : الرِّباط في سبيل الله تعالى : عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ» أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٠ برقم ١٩١٣) .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ أَسَرَّ جِبْرِيْلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيْلِ اللهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ كُلَّ خَطَايَاه إِلَّا الدِّين ؟

الجواب : روى مسلم (٣/ ١٥٠١ برقم ١٨٨٥) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّهُ سَمِعَهُ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْإِيمَانَ بِاللهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ» .

وروى أحمد في " المسند" (١٣/ ٤٤١ برقم ٨٠٧٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَذَكَرَ الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَنَا صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرَ مُدْبِرٍ، كَفَّرَ اللهُ عَنِّي

خَطَايَايَ؟ قَالَ: " نَعَمْ "، قَالَ: " فَكَيْفَ قُلْتَ؟ " قَالَ: فَرَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ، قَالَ: " نَعَمْ "، قَالَ: " فَكَيْفَ قُلْتَ؟ " قَالَ: فَرَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْلَ أَيْضًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، كَفَّرَ اللهُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ قَالَ: " نَعَمْ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ سَارَّنِي بِذَلِكَ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٤/ ١٢٨برقم ٦٦٣١) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ" ، وقال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الحميد بن جعفر، فمن رجال مسلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سُؤالُ القَبْرِ عَامٌّ لِجَمِيْعِ الأُمم أَمْ هُوَ خَاصٌّ بِهَذِهِ الأُمَّة ؟

الجواب : قال الإمام السَّخاوي في " الأجوبة المرضيَّة فيما سئل السَّخاوي عنه من الأحاديث النَّبويَّة " (٢/ ٧٧٩-٧٨٠) : " قد راجعتُ أهوال القبور لابن أبي الدُّنيا، ثمَّ لابن رجب وكتاب البعث للبيهقي وغيره، وغير ذلك من مظانّ هذا السُّؤال كـ التَّذكرة ونحوها فلم أقف على شيء صريح في ذلك.

نعم في " صحيح مسلم " من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه رفعه: "إنَّ هذه الأمَّة تُبتلى في قبورها" وكذا في مسند الإمام أحمد من حديث أي سعيد الخدري رضي الله عنه رفعه أيضًا: "يا أيُّها النَّاس إنَّ هذه الأمَّة تُبتلى في قبورها" ومن حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا أيضًا: "وأمَّا فتنة القبر، فبي يفتنون وعنِّي يسالون" إلى غير ذلك من الأحاديث التي قد تشهد لاختصاص هذه الأمَّة المحمَّديَّة بذلك دون غيرها من الأمم الماضية ، فقد اختصَّت عن غيرها بأشياء لا نُطيل بإيرادها. وبذلك جزم الحكيم التِّرمذي فقال: "كانت الأمم قبل هذه الأمَّة تأتيهم الرُّسل فإن أطاعوهم فذاك ، وإن أبوا اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب ، فلمَّا أرسل الله محمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب، وقبل الإسلام ممَّن أظهره سواء أسرَّ الكفر أو لا، فإذا ماتوا قيَّض الله فتَّاني القبر ليستخرج سرَّهم بالسُّؤال وليميز الله الخبيث من الطيِّب ويثبت الذين آمنوا ويضلّ الظَّالمين"، لكن قد خالفه الإمام شمس الدِّين ابن القيِّم الحنبلي فجنح إلى العموم وعدم الاختصاص ، وقال: ليس في الأحاديث ما ينفي المساءلة عن من تقدَّم من الأمم، وإنَّما أخبر النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمَّته بكيفيَّة امتحانهم في القبور، لا أنَّه نفى ذلك عن غيرهم ، قال: والذي يظهر أنَّ كلّ نبيٍّ مع أمَّته ذلك ، فيعذِّب كفَّارهم في قبورهم بعد سؤالهم، وإقامة الحجَّة عليهم كما يعذَّبون في الآخرة بعد السُّؤال وإقامة الحجَّة.

ولعلَّ أنَّ ابن القيِّم رحمه الله رأى أنَّ عدم التَّعميم، مناف لمزيد التَّكريم، والله الموفِّق، ونسأله أن يثبِّتنا بالقول الثَّابت في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة" .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي في " الفتاوىٰ الحديثيَّة " (ص٧) : " وسؤال الْمَلكَيْنِ يعمّ كلّ ميِّت وَلَو جَنِينا وَغير مقبور كحريق وغريق وأكيل سبع كَمَا جزم بِهِ جمَاعَة من الْأَئِمَّة، وَقَول بَعضهم يسألان المقبور إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ التَّبرُّك بِلَفْظ الْخَبَر، نعم، قَالَ بعض الْحفَّاظ والمحقِّقين: الَّذِي يظْهر اخْتِصَاص السُّؤَال بِمن يكون لَهُ تَكْلِيف وَبِه جزم غير وَاحِد من أَئِمَّتنَا الشَّافِعِيَّة وَمن ثمَّ لم يستحبوا تلقينه، وَمن ثمَّ خَالف فِي ذَلِك الْقُرْطُبِيّ وَغَيره فجزموا بِأَنَّ الطِفْل يسْأَل وَلَا يُسْأَل الشَّهِيد كَمَا صحت بِهِ الْأَحَادِيث وَألْحق بِهِ من مَاتَ مرابطاً لظَاهِر حَدِيث رَوَاهُ أَحْمد وَأَبُو دَاوُد وَهُوَ: (كلّ ميت يُخْتَّمُ علىٰ عَمَله إِلَّا الَّذِي مَاتَ مرابطاً فِي سَبِيل الله، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عمله إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَة وَيؤمَّن من فتَّاني الْقَبْر) وَألْحق الْقُرْطُبِيّ بالشَّهيد شَهِيد الْآخِرَة فَقَط وَالصِّدِّيق لِأَنَّهُ أَعلىٰ مرتبَة من الشَّهِيد، وَمِنْه يُؤْخَذ انْتِفَاء السُّؤَال فِي حَقِّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حقِّ سَائِر الْأَنْبِيَاء، وَبحث بعض الْمُحَقِّقين والحفَّاظ أَنَّ الملَك لَا يسْأَل لِأَن السُّؤَال يخْتَص بِمن شَأْنه أَن يفتن، وَفِي حَدِيث حسنه التِّرْمِذِيّ وَالْبَيْهَقِيّ وَضعفه الطَّحَاوِيّ (من مَاتَ لليلة الْجُمُعَة أَو يَوْمهَا لم يُسْأَل) ووردت أَخْبَار بِنَحْوِهِ فِيمَن يقْرَأ كلَّ لَيْلَة سُورَة تبَارك وَفِي بَعْضهَا ضم سُورَة السَّجْدَة إِلَيْهَا، وَجزم التِّرْمِذِيّ الْحَكِيم بِأَنَّ الْمُعْلن بِكُفْرِهِ لَا يسْأَل ، وَوَافَقَهُ ابْن عبد الْبر ، وَرَوَاهُ بعض كبار التَّابِعي ،ن لَكِن خَالفه الْقُرْطُبِيّ وَابْن الْقيِّم ، واستدلاله بِآيَة: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٧] وَبِحَدِيث البُخَارِيّ (وَأما الْكَافِر وَالْمُنَافِق) بِالْوَاو وَرجحه شيخ الْإِسْلَام ابْن حجر بِأَن الْأَحَادِيث متفقة علىٰ ذَلِك وَهِي مَرْفُوعَة مَعَ كَثْرَة طرقها الصَّحِيحَة"

﴿سُؤالٌ﴾ : كَيْفَ يَسْأَلُ مُنْكرٌ وَنَكِيرٌ جَميعَ المَوتَى فِي الأمَاكِنِ المتَبَاعِدَة فِي وَقتٍ وَاحِدٍ ؟

الجواب : قال الإمام القرطبي في "التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (١/ ٣٨٥) " إن قيل: كيف يخاطب الملكان جميع الموتىٰ وهم مختلفو الأماكن ، متباعدو القبور في الوقت الواحد ، والجسم الواحد لا يكون في المكانين في الوقت الواحد ؟ وكيف تنقلب الأعمال أشخاصاً وهي في نفسها أعراض؟ فالجواب عن الأوَّل: ما جرىٰ ذكره في هذا الخبر من عظم جثَّتيهما فيخاطبان الخلق الكثير الذين في الجهة الواحدة منهم في المرَّة الواحدة: مخاطبة واحدة، يخيَّل لكلِّ واحد منهم أنَّ المخاطب هو دون من سواه. ويكون الله تعالىٰ يمنع سمعه من مخاطبة الموتىٰ لهما ، ويسمع هو مخاطبتهما أن لو كانوا معه في قبر واحد ..." .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا حُكْمُ سُؤالِ القَبْرِ وَمَا كَيْفِيَّتُه ؟

الجواب :جاء في " الحاوي في فتاوىٰ عبد الله بن الصدِّيق الغُماري " (ص٤٧-٤٨) : " سؤال القبر ثابت عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة بلغت نحو سبعين حديثاً ، ولهذا اتَّفق أهل السُّنَّة علىٰ إثباته والقول به ، وأنكره المعتزلة لجهلهم بالسُّنَّة كما أنكروا الصِّراط والميزان والشَّفاعة وغيرها من الأمور التي ثبتت بالسُّنَّة المتواترة وحكَّموا في إنكارها عقولهم جاهلين بما ورد فيها .

والسُّؤال ينحصر في أُمور ثلاثة هي : من ربُّك ؟ وما دينك ؟ وما تقول في هذا الرَّجل الذي بُعثَ فيكم ؟ فالموفَّق يُجيبُ بما يوافق الحقّ ، والكافرُ ومن في معناه يقول في الثَّلاثة : لا أدري !! فيُجيبه الملكان : مُنكر ونكير : لا دريت ولا تليت . قد كنَّا نعلم أن كنت لكافراً ، ثمَّ يُضرب بمقمعة من حديد خلف أذنه ، ثمَّ يُفتحُ له بابٌ من الجنَّة ، فيقال له : هذا مكانك لو آمنت . أما إذ كفرت فانظر ما أبدلك الله به ، ويُفتحُ له باب إلىٰ جهنَّم ، ويُقالُ له :هذا مقعدك حين يبعثك الله ، ويضيق عليه قبره حتىٰ يختلف أضلاعه .

أمَّا المؤمن فبعد أن يُجيب إجابة موفَّقة يقول له الملكان : مُنكر ونكير : قد علمنا إن كنت لمؤمناً ، ثمَّ يُفتحُ ه باب إلىٰ جهنَّم فيقال : انظر إلىٰ مكانك لو كفرت . أما إذ آمنت فانظر ما أبدلك الله به ويُفتح له باب إلىٰ الجنَّة ويوسَّع له قبره مدَّ البصر ، ثمَّ يقول الملكان : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلَّا أحبّ أهله إليه .

فهذا معنىٰ كون القبر حفرة من حُفَر النَّار أو روضة من رياض الجنَّة ، وهذه الأشياء التي تقع للميِّت حقيقة يحسُّ بها ويشعر ويفرح ويتألَّم ، ولكن لا نحسُّ نحن بها لأنَّها في عالم غير العالم الذي نعيش فيه .

أمَّا الحساب الذي يكون في الموقف يوم القيامة فهو أن يُسأل الإنسانُ عمَّا عمل من وقت بلوغه إلىٰ وقت موته من طاعات ومعاصٍ . فسؤال القبر يختلف عن الحساب في الموقف ، إذ سؤال القبر خاصٌّ بأُصول الإيمان فهو بمثابة جواز السَّفر . أمَّا السُّؤال في الموقف فهو حسابٌ دقيقٌ عمَّا فعله الإنسان طيلة حياته ، والله أعلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سُؤالُ القَبْرِ يَكُوْنُ بِالعَرَبِيَّةِ أَمْ بِغَيْرِهَا مِنَ اللغَات ؟

الجواب : أجاب الإمام ابن حجر الهيتمي في " الفتاوىٰ الحديثيَّة " (ص٢١-٢٢) ، فقال : " بِمَا تقرَّر علم أَنَّ مُنْكرا أَو نكيراً هما اللَّذَان يسألان الْمُؤمن وَغَيره، وَظَاهر أَحَادِيث سؤالها أَنَّهمَا يسألأنَّ كلّ أحد بِالْعَرَبيَّةِ. وَفِي بعض طرق حَدِيث الصُّور الطَّوِيل عِنْد عَليّ بن معبد: تخرجُونَ مِنْهَا شُبَّاناً كلكُمْ أَبنَاء ثَلَاث وَثَلَاثِينَ، وَاللِّسَان يومئذٍ بالسُّرْيَانيَّة سرَاعًا إِلَىٰ رَبهم يَنْسلونَ، فَإِن أُرِيد بيومئذٍ اخْتِصَاص تكلمهم بالسُّرْيَانيَّة بِيَوْم

النَّفخ لم يناف مَا مر وَإِن أُرِيد بيومئذٍ وَقت كَونهم فِي الصُّور نافاه. وَالْحَاصِل الْأَخْذ بِظَاهِر الْأَحَادِيث هُوَ أَنَّ السُّؤال لسَائِر النَّاس بِالْعَرَبيَّة نَظِير مَا مرَّ أَنَّه لِسَان أهل الْجنَّة إِلَّا إِن ثَبت خلاف ذَلِك وَلَا يستبعد تكلم غير الْعَرَبِيّ بِالْعَرَبيَّةِ لِأَنَّ ذَلِك الْوَقْت وَقت تخرق فِيهِ الْعَادَات وَمن ثمَّ ذكر الْقُرْطُبِيّ وَالْغَزالِيّ عَن ابْن مَسْعُود رَضِي الله عَنهُ أَنَّه قَالَ: (يَا رَسُول الله مَا أوّل مَا يلقى الْمَيِّت إِذا دخل قَبره قَالَ يَا ابْن مَسْعُود مَا سَأَلَني عَنهُ إِلَّا أَنْت فَأَوَّل مَا يَأْتِيهِ ملك اسْمه رُومَان يجوس خلال الْمَقَابِر فَيَقُول يَا عبد الله اكْتُبْ عَمَلك فَيَقُول مَا معي دَوَاة وَلَا قرطاس فَيَقُول هَيْهَات كفنك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك أصبعك فَيقطع لَهُ قِطْعَة من كَفنه ثمَّ يَجْعَل العَبْد يكْتب وَإِن كَانَ غير كَاتب فِي الدُّنْيَا فيذكر حَسَنَاته وسيئاته كَيَوْم وَاحِد) الحَدِيث بِطُولِهِ، ثمَّ رَأَيْت شيخ الْإِسْلَام صَالحا البُلْقِينِيّ أفتى بِأَن السُّؤَال فِي الْقَبْر بالسرياني لكل ميت، وَلَعَلَّه أَخذه من الحَدِيث الَّذِي ذكرته لكنك قد علمت مِمَّا قَرّرته فِيهِ أَنه لَا دلَالَة فِي الحَدِيث، وَمن ثمَّ قَالَ تِلْمِيذه الْجلَال السُّيُوطِيّ لم أر ذَلِك لغيره، وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم بِالصَّوَابِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ مَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْحَيَوَانَاتَ كُلّهَا ؟ أَوْ لا يَقْبِضُ إِلّا أَرْوَاحَ بَنِي آدَمَ فَقَط ؟

الجواب : أجاب الإمام ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الحديثيَّة" (ص١٤-١٥) على هذا السُّؤال فقال : " الَّذِي دلَّت عَلَيْهِ الْأَحَادِيث أَنَّ ملك الْمَوْت يقبض أَرْوَاح جَمِيع الْحَيَوَانَات من بني آدم وَغَيرهم، من ذَلِك قَوْله مُخَاطباً لنبيِّنا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (وَالله يَا مُحَمَّد لَو أَنِّي أردْت أَقبض روح بعوضة مَا قدرت على ذَلِك حَتَّى يكون الله هُوَ الْآمِر بقبضها) . ذكره الهيثمي في " مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد " (٢/ ٣٢٦ برقم ٣٩٢٨) ، وقال : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ عُمَرُ بْنُ شَمِرٍ الْجُعْفِيُّ وَالْحَارِثُ بْنُ الْخَزْرَجِ وَلَمْ أَجِدْ مَنْ تَرْجَمَهُمَا، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

قَالَ الْقُرْطُبِيّ(التذكرة١/ ٢٦٠) : وَفِي هَذَا الْخَبَر مَا يدلُّ على أَنَّ ملك الْمَوْت هُوَ الْمُوكل بِقَبض كلّ ذِي روح ، وَأَن تصرفه كُلّه بِأَمْر الله عزَّ وَجلَّ وبخلقه واختراعه، وَمن ذَلِك مَا فِي خبر الْإِسْرَاء عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ عَن نَفسه: (فَقلت: يَا ملك الْمَوْت كَيفَ تقدر على قبض أَرْوَاح جَمِيع من فِي الأَرْض برّها وبحرها) الحَدِيث.

وَذكر أَبُو نعيم (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٢٦) عَن ثَابت الْبنانِيّ قَالَ: (اللَّيْل وَالنَّهَار أَربع وَعِشْرُونَ سَاعَة لَيْسَ مِنْهَا سَاعَة تَأتي على ذِي روح إِلَّا وَملك الْمَوْت قَائِم عَلَيْهَا فَإِن أُمر بقبضها قبضهَا وَإِلَّا ذهب) .

قَالَ الْقُرْطُبِيّ أَيْضاً: وَهَذَا عَام فِي كلّ ذِي روح وَمن ثمَّ لما سُئل مَالك رَضِي الله عَنهُ عَن البراغيث أَن ملك

الْمَوْت هَلْ يقبض أرواحها؟ أطرق مَلِيًّا ثمَّ قَالَ: ألها نفس؟ قيل: نعم. قَالَ: ملك الْمَوْت يقبض أرواحها: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] .

وَأَشَارَ مَالك رَضِي الله عَنهُ بِذكر الْآيَة إِلَى أَن الْمُرَاد بقوله تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ أَنه تَعَالَى: يَأْمر ملك الْمَوْت يتوفاها كَمَا يُصَرح بِهِ قَوْله تَعَالَى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ . وَلَا يُنَافِي ذَلِك قَوْله تَعَالَى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الْأَنْعَام: ٦١] ، وَقَوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [آل عمرَان: ١٥٦] لِأَنَّ ملك الْمَوْت يقبض الْأَرْوَاح وأعوانه يعالجون وَالله تَعَالَى يزهق الرّوح وَبِهَذَا تجْتَمع الْآيَات وَالْأَحَادِيث. وَإِنَّمَا أضيف التَّوَفِّي لملك الْمَوْت لِأَنَّهُ يَتَوَلَّاهُ بالوسائط والمباشرة ، فأضيف إِلَيْهِ كَمَا أضيف الْخلق للْملك فِي خبر مُسلم (٤/ ٢٠٣٧ برقم ٢٦٤٥) عَن حُذَيْفَة سَمِعت رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا" الحَدِيث .

وَأما قَول ابْن عَطِيَّة: روى فِي الحَدِيث أَنَّ الْبَهَائِم كلّهَا يتوفَّى الله أرواحها دون ملك الْمَوْت كَأَنَّهُ يعْدم حَيَاتهَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ الْأَمر فِي بني آدم إِلَّا أَنَّه شرف بِتَصَرُّف ملك الْمَوْت وَمَلَائِكَته فِي قبض أَرْوَاحهم فخلق الله ملك الْمَوْت وَخلق على يَده قبض الْأَرْوَاح وإسلالها من الْأَجْسَام وإخراجها مِنْهَا، وَخلق حفدة يكونُونَ مَعَه يعْملُونَ عمله بِأَمْرِه انْتهى.

فيُجاب عَنهُ: بِأَن الحَدِيث الَّذِي ذكره يتَوَقَّف الِاسْتِدْلَال بِهِ على ثُبُوته وعَلى تَسْلِيمه فَيمكن الْجمع بَينه وَبَين مَا مرّ من الْأَحَادِيث بِأَن معنى قَوْله فِي هَذَا الحَدِيث دون ملك الْمَوْت أَنَّه لَا يعاني فِي قبض أَرْوَاح غير بني آدم بل غير الْمُؤمنِينَ مِنْهُم من الرِّعَايَة مَا يعانيه فِي قبض أَرْوَاح الْمُؤمنِينَ، أَو أَنَّ الْمُرَاد بقوله دون ملك الْمَوْت نفي التَّوَفِّي عَنهُ حَقِيقَة لما تقرّر أَنَّ الموجد حَقِيقَة هُوَ الله تَعَالَى ، وَأَنَّ ملك الْمَوْت وَاسِطَة فَقَط، فَحَيْثُ أثبت التَّوَفِّي إِلَيْهِ فِي حَدِيث أَو آيَة كَانَ الْمُرَاد إِثْبَات تصرفه الْمَأْمُور بِهِ، وَحَيْثُ نفى عَنهُ فِي حَدِيث أَو آيَة كَانَ الْمُرَاد سلب الْحَقِيقَة لِأَنَّهَا لله وَحده ...

وَالْحَاصِل أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْقَابِض لأرواح جَمِيع الْخلق بِالْحَقِيقَةِ ، وَأَنَّ ملك الْمَوْت وأعوانه إِنَّمَا هم وسائط ، وَكَذَا القَوْل فِي سَائِر الْأَسْبَاب العادية فَإِنَّهَا بإحداث الله وخلقه لَا بِغَيْرِهِ ، تَعَالَى الله عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ والجاحدون علوّاً كَبِيراً " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَسْأَلُ المَلَائِكَةُ الشَّهِيْدَ وَالطِّفْلَ فِي القَبْرِ ؟

الجواب : جاء في " الفتاوىٰ الفقهية الكبرىٰ" (٢/ ٣٠) لابن حجر الهيتمي : " (وَسُئِلَ) فَسَّحَ اللهُ فِي مُدَّتِهِ هَلْ يُسْأَلُ الطِّفْلُ؟ (فَأَجَابَ) بِقَوْلِهِ لَا كَمَا أَفَادَهُ قَوْلُ أَئِمَّتِنَا خِلَافًا لِابْنِ يُونُسَ لَا يُلَقَّنُ صَبِيٌّ لَمْ يَبْلُغْ وَمِثْلُهُ مَجْنُونٌ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ تَكْلِيفٌ . قَالَ الزَّرْكَشِيُّ : لِأَنَّهُمْ لَا يُسْأَلُونَ وَبِهِ أَفْتَىٰ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ حَجَرٍ وَلِلْحَنَابِلَةِ وَالْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ قَوْلٌ إنَّ الطِّفْلَ يُسْأَلُ وَرَجَّحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَاسْتُدِلَّ لَهُ بِمَا لَا يَصِحُّ «إنَّهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَقَّنَ ابْنَهُ إبْرَاهِيمَ» وَلَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «إنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ عَلَىٰ الطِّفْلِ اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ فِيهِ عُقُوبَتَهُ وَلَا السُّؤَالَ بَلْ مُجَرَّدَ أَلَمِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْوَحْشَةِ وَالضَّغْطَةِ الَّتِي تَعُمُّ الْأَطْفَالَ وَغَيْرَهُمْ" .

قلت : وقد روىٰ مالك في " الموطّأ " (٢/ ٣٢٠ برقم ٧٧٦) عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَىٰ صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ. فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

قال الإمام ابن عبد البر في " الاستذكار " (٣/ ٣٩-٤٠) : " وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الصَّبِيِّ اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ اللهِ تعالىٰ : **﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾** [الْفَتح: ١٤] ، وَلَوْ عَذَّبَ اللهُ عِبَادَهُ أَجْمَعِينَ كَانَ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ كَمَا أَنَّهُ إِذَا هَدَىٰ وَوَفَّقَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ وَأَضَلَّ وَخَذَلَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ كَانَ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ فَعَلَ غَيْرَ مَا أَمَرَ بِهِ وَاللهُ تَعَالَىٰ غَيْرُ مَأْمُورٍ لَا شَرِيكَ لَهُ " .

وقال الإمام أبو الوليد الباجي في " المنتقىٰ شرح الموطإ" (٢/ ١٦) : " وَقَوْلُهُ اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَبُو هُرَيْرَةَ اعْتَقَدَهُ لِشَيْءٍ سَمِعَهُ مِنْ النَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ عَامٌّ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَأَنَّ الْفِتْنَةَ فِيهِ لَا تَسْقُطُ عَنْ الصَّغِيرِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ فِي الدُّنْيَا " .

وقال الإمام الزّرقانيُّ في " شرح الزّرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك " (٢/ ٨٨) : " وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ هُنَا عُقُوبَتَهُ وَلَا السُّؤَالَ بَلْ مُجَرَّدَ الْأَلَمِ بِالْغَمِّ وَالْهَمِّ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالضَّغْطَةِ وَذَلِكَ يَعُمُّ الْأَطْفَالَ وَغَيْرَهُمْ " .

وجاء في فتاوىٰ الإمام ابن تيمية (٤/ ٢٠-٢٨١) : " سُئِلَ الشَّيْخُ – رَحِمَهُ اللهُ –: عَنْ الصَّغِيرِ هَلْ يَحْيَا وَيُسْأَلُ أَوْ يَحْيَا وَلَا يُسْأَلُ؟ وَبِمَاذَا يُسْأَلُ عَنْهُ؟ وَهَلْ يَسْتَوِي فِي الْحَيَاةِ وَالسُّؤَالِ مَنْ يُكَلَّفُ وَمَنْ لَا يُكَلَّفُ؟

فَأَجَابَ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمَّا مَنْ لَيْسَ مُكَلَّفًا كَالصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ فَهَلْ يُمْتَحَنُ فِي قَبْرِهِ وَيَسْأَلُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ؟ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ. أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يُمْتَحَنُ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ السُّنَّةِ ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عبدوس عَنْهُمْ وَذَكَرَهُ أَبُو حَكِيمِ النهرواني وَغَيْرُهُمَا. وَالثَّانِي أَنَّهُ لَا يُمْتَحَنُ فِي قَبْرِهِ كَمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَىٰ وَابْنُ عَقِيلٍ وَغَيْرُهُمَا. قَالُوا لِأَنَّ الْمِحْنَةَ إِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْ يُكَلَّفُ فِي الدُّنْيَا. وَمَنْ قَالَ بِالْأَوَّلِ: يُسْتَدَلُّ بِمَا فِي الْمُوَطَّأِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ "أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَىٰ صَغِيرٍ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ فَقَالَ: اللَّهُمَّ قِهِ عَذَابَ الْقَبْرِ وَفِتْنَةَ الْقَبْرِ}" ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يُفْتَنُ " . وانظر : " تنوير الحوالك شرح موطأ مالك " للسُّيوطي (١/ ١٧٧) .

وقال الإمام السُّيوطي في " " (٢/ ٢١٢-٢١٥) : " اخْتُلِفَ فِي الْأَطْفَالِ، هَلْ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ أَوْ لَا؟ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ شَهِيرَيْنِ حَكَاهُمَا ابن القيم فِي " كِتَابِ الرُّوحِ " عَنْ أَصْحَابِهِ الْحَنَابِلَةِ وَرَأَيْتُهُمَا أَيْضًا لِلْحَنَفِيَّةِ وَلِلْمَالِكِيَّةِ، وَيَخْرُجَانِ مِنْ كَلَامِ أَصْحَابِنَا الشَّافِعِيَّةِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ لَا يُسْأَلُونَ، وَبِهِ جَزَمَ النسفي مِنَ الْحَنَفِيَّةِ، وَهُوَ مُقْتَضَىٰ كَلَامِ ابن الصلاح، والنووي، وابن الرفعة، والسبكي، وَصَرَّحَ بِهِ الزركشي، وَأَفْتَىٰ بِهِ الحافظ ابن حجر. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ يُسْأَلُونَ، رُوِّينَاهُ عَنِ الضحاك مِنَ التَّابِعِينَ، وَجَزَمَ بِهِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ البزازي، والبيكساري، والشيخ أكمل الدين، وَهُوَ مُقْتَضَىٰ كَلَامِ ابْنِ فَوْرَكٍ، والمتولي، وابن يونس مِنْ أَصْحَابِنَا، وَنَقَلَهُ الشَّيْخُ سعد الدِّين التَّفتازاني، عَنْ أبي شجاع، وَجَزَمَ بِهِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ القرطبي فِي " التَّذْكِرَةِ "، والفاكهاني، وابن ناجي، والأقفهسي، وَصَحَّحَهُ صَاحِبُ " الْمِصْبَاحِ " فِي عِلْمِ الْكَلَامِ.

ذِكْرُ نُقُولِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ: قَالَ النَّسفي فِي بَحْرِ الْكَلَامِ: الْأَنْبِيَاءُ وَأَطْفَالُ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ، وَلَا عَذَابُ الْقَبْرِ، وَلَا سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ.

وَقَالَ النووي فِي " الرَّوْضَةِ " مِنْ زَوَائِدِهِ، وَفِي " شَرْحِ الْمُهَذَّبِ ": إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ الْمَيِّتِ الْمُكَلَّفِ، أَمَّا الصَّبِيُّ وَنَحْوُهُ فَلَا يُلَقَّنُ، قَالَ الزركشي فِي " الْخَادِمِ ": هَذَا تَابَعَ فِيهِ ابن الصلاح، فَإِنَّهُ قَالَ: لَا أَصْلَ لِتَلْقِينِهِ - يَعْنِي لِأَنَّهُ لَا يُفْتَنُ فِي قَبْرِهِ - وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي " الْخَادِمِ ": مَا قَالَهُ ابن الصَّلاح والنووي مَبْنِيٌّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ. انْتَهَىٰ.

وَقَدْ تَابَعَهُمَا عَلَىٰ ذَلِكَ ابن الرفعة فِي " الْكِفَايَةِ "، والسبكي فِي " شَرْحِ الْمِنْهَاجِ "، وَسُئِلَ الحافظ ابن حجر عَنِ الْأَطْفَالِ هَلْ يُسْأَلُونَ؟ فَأَجَابَ بِأَنَّ الَّذِي يَظْهَرُ اخْتِصَاصُ السُّؤَالِ بِمَنْ يَكُونُ مُكَلَّفًا.

ذِكْرُ نُقُولِ الْقَوْلِ الثَّانِي: أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ جويبر قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لِلضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ ابْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ: إِذَا وَضَعْتَ ابْنِي فِي لَحْدِهِ فَأَبْرِزْ وَجْهَهُ، وَحُلَّ عُقَدَهُ، فَإِنَّ ابْنِي مُجْلَسٌ وَمَسْئُولٌ، فَقُلْتُ: عَمَّ يُسْأَلُ؟ قَالَ: عَنِ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَقَرَّ بِهِ فِي صُلْبِ آدَمَ.

وَقَالَ البزازي مِنَ الْحَنَفِيَّةِ فِي فَتَاوِيهِ: السُّؤَالُ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ حَتَّى الصَّبِيُّ، وَاللهُ تَعَالَى يُلْهِمُهُ، وَقَالَ الزركشي فِي " الْخَادِمِ ": قَدْ صَرَّحَ ابن يونس فِي " شَرْحِ التَّعْجِيزِ " بِأَنَّهُ يُسْتَحَبُّ تَلْقِينُ الطِّفْلِ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّ «النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَّنَ ابْنَهُ إبراهيم» ، قَالَ: وَهَذَا احْتَجَّ بِهِ المتولي فِي أَصْلِ الْمَسْأَلَةِ.

وَقَالَ السبكي فِي " شَرْحِ الْمِنْهَاجِ ": إِنَّمَا يُلَقَّنُ الْمَيِّتُ الْمُكَلَّفُ، أَمَّا الصَّبِيُّ فَلَا يُلَقَّنُ.

وَقَالَ فِي " التَّتِمَّةِ ": إِنَّ «النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا لَحَدَ ابْنَهُ إبراهيم لَقَّنَهُ» ، وَهَذَا غَرِيبٌ، انْتَهَى.

وَعِبَارَةُ " التَّتِمَّةِ " الْأَصْلُ فِي التَّلْقِينِ مَا رُوِيَ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَفَنَ إبراهيم قَالَ: قُلِ اللهُ رَبِّي، وَرَسُولِي أَبِي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ تُلَقِّنُهُ فَمَنْ يُلَقِّنُنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧] » انْتَهَى.

وَقَالَ الشَّيْخُ سعد الدِّين فِي " شَرْحِ الْعَقَائِدِ ": قَالَ أبو شجاع: إِنَّ لِلصِّبْيَانِ سُؤَالًا.

وَقَالَ صَاحِبُ " الْمِصْبَاحِ ": الْأَصَحُّ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُسْأَلُونَ، وَتُسْأَلُ أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ. وَتَوَقَّفَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي سُؤَالِ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ.

وَقَالَ القرطبي فِي " التَّذْكِرَةِ ": فَإِنْ قَالُوا: مَا حُكْمُ الصِّغَارِ عِنْدَكُمْ؟ قُلْنَا: هُمْ كَالْبَالِغِينَ، وَإِنَّ الْعَقْلَ يُكَمَّلُ لَهُمْ لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ مَنْزِلَتَهُمْ وَسَعَادَتَهُمْ، وَيُلْهَمُونَ الْجَوَابَ عَمَّا يُسْأَلُونَ عَنْهُ. هَذَا مَا تَقْتَضِيهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ، وَقَدْ جَاءَ أَنَّ الْقَبْرَ يَنْضَمُّ عَلَيْهِمْ كَمَا يَنْضَمُّ عَلَى الْكِبَارِ.

وَقَدْ رَوَى هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي عَلَى الْمَنْفُوسِ مَا عَمِلَ خَطِيئَةً قَطُّ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، انْتَهَى.

وَالْأَوَّلُونَ قَالُوا: إِنَّمَا يَكُونُ السُّؤَالُ لِمَنْ عَقَلَ الرَّسُولَ وَالْمُرْسَلَ، فَيُسْأَلُ: هَلْ آمَنَ بِالرَّسُولِ وَأَطَاعَهُ أَمْ لَا؟ قَالُوا: وَالْجَوَابُ عَنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ فِيهِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ عُقُوبَتَهُ وَلَا السُّؤَالَ، بَلْ مُجَرَّدُ الْأَلَمِ بِالْغَمِّ، وَالْهَمِّ، وَالْحَسْرَةِ، وَالْوَحْشَةِ، وَالضَّغْطَةِ الَّتِي تَعُمُّ الْأَطْفَالَ وَغَيْرَهُمْ، وَقَدْ يُسْتَشْهَدُ لِأَصْحَابِ الْقَوْلِ الثَّانِي بِمَا أَخْرَجَهُ ابن شاهين فِي " السُّنَّةِ " قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الله بن سليمان قَالَ: ثَنَا عمرو بن عثمان قَالَ: ثَنَا

بقية قَالَ: حَدَّثَنِي صفوان قَالَ: حَدَّثَنِي راشد قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا حُجَّتَكُمْ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ» ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْضُرُ الرَّجُلَ مِنْهُمُ الْمَوْتُ فَيُوصُونَهُ.

وَالْغُلَامُ إِذَا عَقَلَ فَيَقُولُونَ لَهُ: إِذَا سَأَلُوكَ مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلِ: اللهُ رَبِّي، وَمَا دِينُكَ؟ فَقُلِ: الْإِسْلَامُ دِينِي، وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَقُلْ: مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا رَجَّحْتُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ فِي كِتَابِ " شَرْحِ الصُّدُورِ "، وَغَيْرِهِ تَبَعًا لِأَهْلِ مَذْهَبِنَا، فَإِنَّ الْأَئِمَّةَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ عليه، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

ثُمَّ رَأَيْتُ فِي " شَرْحِ الرِّسَالَةِ " لأبي زيد عبد الرَّحمن الجزولي مَا نَصُّهُ: يَظْهَرُ مِنْ أَكْثَرِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، سَوَاءٌ كَانُوا مُكَلَّفِينَ أَوْ غَيْرَ مُكَلَّفِينَ، وَيُؤْخَذُ مِنْ بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ الْمُكَلَّفِينَ، وَيَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ أبي محمد هُنَا وَمِمَّا يَأْتِي أَنَّهُ أَرَادَ الْمُكَلَّفِينَ وَغَيْرَ الْمُكَلَّفِينَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ فِيمَا يَأْتِي: إِنَّهُ أَرَادَ الْمُكَلَّفِينَ وَعَافَهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَلِلشُّيُوخِ هُنَا تَأْوِيلَانِ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَيَّدَهُ فَقَالَ: يُرِيدُ الْمُكَلَّفِينَ، وَلَكِنْ يُنَاقِضُهُ مَا قَالَ فِي الْجَنَائِزِ، انْتَهَىٰ.

وَقَالَ يوسف بن عمر فِي " شَرْحِ الرِّسَالَةِ ": الْمُرَادُ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ: " «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ» " غَيْرَ الْمُجَاهِدِينَ الشَّهِيدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَغَيْرَ الصِّبْيَانِ عَلَىٰ قَوْلٍ.

وَقَالَ الشيخ أكمل الدِّين فِي " الْإِرْشَادِ ": السُّؤَالُ لِكُلِّ مَيِّتٍ كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ يُسْأَلُ إِذَا غَابَ عَنِ الْآدَمِيِّينَ، وَإِذَا مَاتَ فِي الْبَحْرِ أَوْ أَكَلَهُ السَّبُعُ فَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالْأَصَحُّ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا يُسْأَلُونَ. ثُمَّ رَأَيْتُ الْحَدِيثَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ فِي تَلْقِينِ إبراهيم أَوْرَدَهُ الْأُسْتَاذُ أَبُو بَكْرِ بْنُ فَوْرَكٍ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّىٰ بِ " النِّظَامِيِّ فِي أُصُولِ الدِّين " مُسْتَدِلًّا بِهِ عَلَىٰ أَصْلِ السُّؤَالِ، وَعِبَارَتُهُ: اعْلَمْ أَنَّ السُّؤَالَ فِي الْقَبْرِ حَقٌّ، وَأَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَىٰ أَصْلِهِمُ الْوَاهِي، وَيَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَاهُ مَا رُوِيَ «عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا دَفَنَ وَلَدَهُ إبراهيم وَقَفَ عَلَىٰ قَبْرِهِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، الْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، يَا بُنَيَّ قُلِ اللهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَرَسُولُ اللهِ أَبِي، فَبَكَتِ الصَّحَابَةُ، وَبَكَىٰ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بُكَاءً ارْتَفَعَ لَهُ صَوْتُهُ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَىٰ عمر يَبْكِي وَالصَّحَابَةُ مَعَهُ، فَقَالَ: يَا عمر، مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا وَلَدُكَ، وَمَا بَلَغَ الْحُلُمَ، وَلَا جَرَىٰ عَلَيْهِ الْقَلَمُ، وَيَحْتَاجُ إِلَىٰ مُلَقِّنٍ مِثْلِكَ يُلَقِّنُهُ التَّوْحِيدَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ! فَمَا حَالُ عمر وَقَدْ بَلَغَ الْحُلُمَ وَجَرَىٰ عَلَيْهِ الْقَلَمُ، وَلَيْسَ لَهُ مُلَقِّنٌ مِثْلُكَ، أَيُّ شَيْءٍ تَكُونُ صُورَتُهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ؟ فَبَكَىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَكَتِ الصَّحَابَةُ مَعَهُ،

وَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِمْ، فَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَهُ عمر، وَمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَصَعِدَ جِبْرِيلُ وَنَزَلَ وَقَالَ: رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] يُرِيدُ بِذَلِكَ وَقْتَ الْمَوْتِ وَعِنْدَ السُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ، فَتَلَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ الْآيَةَ، فَطَابَتِ الْأَنْفُسُ، وَسَكَنَتِ الْقُلُوبُ، وَشَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ.

وَمِنَ النُّقُولِ الْمُوَافِقَةِ لِلْقَوْلِ الثَّانِي قَالَ شمس الدِّين البيكساري فِي " شَرْحِ عُمْدَةِ النَّسَفِيِّ ": السُّؤَالُ لِكُلِّ مَيِّتٍ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، وَأَبُو حَنِيفَةَ تَوَقَّفَ فِي أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَنَّهُمْ هَلْ يُسْأَلُونَ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَمْ لَا؟ وَعِنْدَ غَيْرِهِ يُسْأَلُونَ. وَذَكَرَ الفاكهاني فِي " شَرْحِ الرِّسَالَةِ " كَلَامَ القرطبي فِي أَنَّ الصِّغَارَ يُسْأَلُونَ، ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ: وَلَيْسَ فِي إِحْيَاءِ الْأَطْفَالِ خَبَرٌ مَقْطُوعٌ بِهِ، وَالْعَقْلُ يُجَوِّزُهُ، وَقَالَ الجمال الأقفهسي فِي " شَرْحِ الرِّسَالَةِ ": ظَاهِرُ قَوْلِ الرِّسَالَةِ: وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَيُسْأَلُونَ إِنْ كَانَ الْمُكَلَّفُ وَغَيْرُهُ يُسْأَلُ، وَهُوَ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ أَكْثَرِ الْأَحَادِيثِ.

وَقَالَ أبو القاسم بن عيسىٰ بن ناجي فِي " شَرْحِ الرِّسَالَةِ ": ظَاهِرُ كَلَامِ الشَّيْخِ أَنَّ الصَّبِيَّ يُفْتَنُ، وَهُوَ كَذَلِكَ قَالَهُ القرطبي فِي تَذْكِرَتِهِ.

وَقَالَ أَيْضًا فِي بَابِ الدُّعَاءِ لِلطِّفْلِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ عِنْدَ قَوْلِهِ: وَعَافِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ: هَذَا كَالنَّصِّ فِي أَنَّ الصَّغِيرَ يَسْأَلُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ " .

وقال الإمام السُّيوطي في " الحاوي للفتاوي " (٢/ ١٦٥) : " وأمَّا عن سؤال الطِّفل ، ففيه قولان للحنابلة حكاهما ابن القيِّم في كتاب " الرُّوح " ، وقول النَّووي في " الرَّوضة " ، و "شرح المهذَّب " : إنَّ التَّلقين بعد الدَّفن مختصّ بالبالغ ، وأنَّ الصَّبيَّ الصَّغير لا يلقَّن دليل علىٰ اختياره أنَّه لا يسأل ، والله أعلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُسْأَلُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ جَالِسًا أَوْ رَاقِدًا ؟

الجواب : الجواب : جاء في " الفتاوىٰ الفقهية الكبرىٰ" (٢/ ١٠) لابن حجر الهيتمي : " (وَسُئِلَ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَنْ الْمَيِّتِ هَلْ يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ جَالِسًا أَوْ رَاقِدًا؟ (فَأَجَابَ) بِقَوْلِهِ الَّذِي فِي الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ يُسْأَلُقَاعِدًا وَكَذَا فِي ابْنِ مَاجَهْ وَفِيهِ أَنَّ الصَّالِحَ يَجْلِسُ غَيْرَ فَزِعٍ وَالسَّيِّئُ يَجْلِسُ فَزِعًا وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ " .

روىٰ مسلمٌ في الصّحيح (١/ ٨٨ برقم ١٩١٣) بسنده عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : كَمْ هِيَ المُدَّةُ التِي يُفْتَنُ فِيهَا المَوْتَى فِي قُبُوْرِهِم ؟

الجواب : أجاب الإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه " الحاوي للفتاوي " (٢/ ٢١٥ فما بعدها) ، فقال : " فِتْنَةُ الْمَوْتَىٰ فِي قُبُورِهِمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، أَوْرَدَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي كُتُبِهِمْ، فَأَخْرَجَهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي " كِتَابِ الزُّهْدِ "، والحافظ أبو الأصبهاني فِي كِتَابِ " الْحِلْيَةِ " بِالْإِسْنَادِ إِلَىٰ طَاوُسٍ أَحَدِ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ، وَأَخْرَجَهَا ابْنُ جُرَيْجٍ فِي مُصَنَّفِهِ بِالْإِسْنَادِ إِلَىٰ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ طَاوُسٍ فِي التَّابِعِينَ، بَلْ قِيلَ: إِنَّهُ صَحَابِيٌّ، وَعَزَاهَا الحافظ زين الدِّين بن رجب فِي كِتَابِ " أَهْوَالِ الْقُبُورِ " إِلَىٰ مُجَاهِدٍ وَعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَحُكْمُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الثَّلَاثِ حُكْمُ الْمَرَاسِيلِ الْمَرْفُوعَةِ عَلَىٰ مَا يَأْتِي تَقْرِيرُهُ، وَفِي رِوَايَةِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ زِيَادَةُ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُفْتَنُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا. وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ أَوْرَدَهَا الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي " التَّمْهِيدِ "، والإمام أبو علي الحسين بن رشيق المالكي فِي " شَرْحِ الْمُوَطَّأِ "، وَحَكَاهُ الإمام أبو زيد عبد الرحمن الجزولي مِنَ الْمَالِكِيَّةِ فِي " الشَّرْحِ الْكَبِيرِ " عَلَىٰ رِسَالَةِ الْإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ، والإمام أبو القاسم بن عيسىٰ بن ناجي مِنَ الْمَالِكِيَّةِ فِي " شَرْحِ الرِّسَالَةِ " أَيْضًا وَأَوْرَدَ الرِّوَايَةَ الْأُولَىٰ، والشيخ كمال الدِّين الدَّميري مِنَ الشَّافِعِيَّةِ فِي " حَيَاةِ الْحَيَوَانِ "، وَحَافِظُ الْعَصْرِ أبو الفضل بن حجر فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ.

ذَكَرَ الرِّوَايَةَ الْمُسْنَدَةَ عَنْ طَاوُسٍ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي " كِتَابِ الزُّهْدِ " لَهُ: حَدَّثَنَا هاشم بن القاسم قَالَ: ثنا الأشجعي، عَنْ سفيان قَالَ: قَالَ طَاوُسٌ: إِنَّ الْمَوْتَىٰ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ سَبْعًا، فَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُطْعَمَ عَنْهُمْ تِلْكَ الْأَيَّامَ.

قَالَ الحافظ أبو نعيم فِي " الْحِلْيَةِ ": حَدَّثَنَا أبو بكر بن مالك، ثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، ثَنَا أَبِي، ثَنَا هاشم، ثَنَا الأشجعي، عَنْ سفيان قَالَ: قَالَ طَاوُسٌ: إِنَّ الْمَوْتَىٰ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ سَبْعًا، فَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُطْعَمَ عَنْهُمْ تِلْكَ الْأَيَّامَ.

ذَكَرَ الرِّوَايَةَ الْمُسْنَدَةَ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ فِي مُصَنَّفِهِ، عَنِ الحارث بن أبي الحارث، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: يُفْتَنُ رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ وَمُنَافِقٌ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُفْتَنُ سَبْعًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيُفْتَنُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا.

الْكَلَامُ عَلَى هَذَا مِنْ وُجُوهٍ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: رِجَالُ الْإِسْنَادِ الْأَوَّلِ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وطاوس مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، قَالَ أبو نعيم فِي الْحِلْيَةِ: هُوَ أَوَّلُ الطَّبَقَةِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَرَوَى أبو نعيم عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ خَمْسِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَوَى غَيْرُهُ عَنْهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ شَيْخًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ ابن سعد: كَانَ لَهُ يَوْمَ مَاتَ بِضْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً.

وسفيان هُوَ الثَّوْرِيُّ، وَقَدْ أَدْرَكَ طَاوُسًا، فَإِنَّ وَفَاةَ طَاوُسٍ سَنَةَ بِضْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ فِي أَحَدِ الْأَقْوَالِ، وَمَوْلِدُ سفيان سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ رِوَايَتِهِ عَنْهُ بِوَاسِطَةٍ. والأشجعي اسْمُهُ عبيد الله بن عبيد الرَّحمن، وَيُقَالُ: ابْنُ عبد الرَّحمن.

وَأَمَّا الْإِسْنَادُ الثَّانِي فعبيد بن عمير، هو الليثي قَاصُّ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ صَاحِبُ " الصَّحِيحِ ": إِنَّهُ وُلِدَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ غَيْرُهُ: إِنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ صَحَابِيًّا، وَكَانَ يَقُصُّ بِمَكَّةَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَصَّ بِهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ قَبْلَ وَفَاةِ ابْنِ عُمَرَ.

وَأَمَّا الحارث فهو ابن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن سعد بن أبي ذياب الدوسي، رَوَى لَهُ الْبُخَارِيُّ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ. وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ جُرَيْجٍ والدراوردي وَغَيْرُهُمَا، وَأَمَّا ابْنُ جُرَيْجٍ فَهُوَ الْإِمَامُ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الْكُتُبَ.

وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: سَمِعْتُ ابْنَ جُرَيْجٍ يَقُولُ: مَا دَوَّنَ الْعِلْمَ تَدْوِينِي أَحَدٌ.

رَوَى عَنْ خَلْقٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَقَدْ جَاوَزَ الْمِائَةَ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: الْمُقَرَّرُ فِي فَنِّ الْحَدِيثِ وَالْأُصُولِ أَنَّ مَا رُوِيَ مِمَّا لَا مَجَالَ لِلرَّأْيِ فِيهِ كَأُمُورِ الْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ فَإِنَّ حُكْمَهُ الرَّفْعُ لَا الْوَقْفُ، وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحِ الرَّاوِي بِنِسْبَتِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ العراقي فِي الْأَلْفِيَّةِ:

وَمَا أَتَى عَنْ صَاحِبٍ بِحَيْثُ لَا ... يُقَالُ رَأْيًا حُكْمُهُ الرَّفْعُ عَلَى

مَا قَالَ فِي الْمَحْصُولِ نَحْوَ مَنْ أَتَىٰ   فَالْحَـــاكِمُ الرَّفْعُ لِهَذَا أُثْبِتَا

وَقَالَ فِي شَرْحِهَا: مَا جَاءَ مِنْ صَحَابِيٍّ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ الرَّأْيُ حُكْمُهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ، كَمَا قَالَ الإمام فخر الدِّين فِي " الْمَحْصُولِ " فَقَالَ: إِذَا قَالَ الصَّحَابِيُّ قَوْلًا لَيْسَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ مَجَالٌ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَىٰ السَّمَاعِ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِ، «كَقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ: مَنْ أَتَىٰ سَاحِرًا أَوْ عَرَّافًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ، تَرْجَمَ عَلَيْهِ الحاكم فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ: مَعْرِفَةُ الْمَسَانِيدِ الَّتِي لَا يُذْكَرُ سَنَدُهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: وَمِثَالُ ذَلِكَ، فَذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَحَادِيثَ هَذَا أَحَدُهَا، وَمَا قَالَهُ فِي الْمَحْصُولِ مَوْجُودٌ فِي كَلَامِ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ كَأَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ أَدْخَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِهِ " التَّقَصِّي " عِدَّةَ أَحَادِيثَ ذَكَرَهَا مالك فِي " الْمُوَطَّأِ " مَوْقُوفَةً مَعَ أَنَّ مَوْضُوعَ الْكِتَابِ لِمَا فِي " الْمُوَطَّأِ " مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ، مِنْهَا حَدِيثُ سهل بن أبي حثمة فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ، وَقَالَ فِي " التَّمْهِيدِ ": هَذَا الْحَدِيثُ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ سهل فِي " الْمُوَطَّأِ " عِنْدَ جَمَاعَةِ الرُّوَاةِ عَنْ مالك. قَالَ: وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ مِنْ جِهَةِ الرَّأْيِ. انْتَهَىٰ كَلَامُ العراقي فِي " شَرْحِ الْأَلْفِيَّةِ ".

وَقَالَ الحافظ أبو الفضل بن حجر فِي " شَرْحِ النُّخْبَةِ ": مِثَالُ الْمَرْفُوعِ مِنَ الْقَوْلِ حُكْمًا مَا يَقُولُهُ الصَّحَابِيُّ مِمَّا لَا مَجَالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ، وَلَا تَعَلُّقَ لَهُ بِبَيَانِ لُغَةٍ أَوْ شَرْحِ غَرِيبٍ، كَالْإِخْبَارِ عَنِ الْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ مِنْ بَدْءِ الْخَلْقِ وَأَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ، أَوِ الْآتِيَةِ كَالْمَلَاحِمِ وَالْفِتَنِ وَأَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَذَا الْإِخْبَارُ عَمَّا يَحْصُلُ بِفِعْلِهِ ثَوَابٌ مَخْصُوصٌ أَوْ عِقَابٌ مَخْصُوصٌ، قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ لَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ؛ لِأَنَّ إِخْبَارَهُ بِذَلِكَ يَقْتَضِي مُخْبِرًا لَهُ، وَمَا لَا مَجَالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ يَقْتَضِي مُوقِفًا لِلْقَائِلِ بِهِ، وَلَا مُوقِفَ لِلصَّحَابَةِ إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَهُ حُكْمُ مَا لَوْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ مَرْفُوعٌ، مِثَالُ الْمَرْفُوعِ مِنَ الْفِعْلِ حُكْمًا أَنْ يَفْعَلَ الصَّحَابِيُّ مَا لَا مَجَالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ، فَيُنَزَّلُ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَلَاةِ علي فِي الْكُسُوفِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ أَكْثَرَ مِنْ رُكُوعَيْنِ. انْتَهَىٰ كَلَامُ شَارِحِ النُّخْبَةِ.

وَقَالَ الحافظ ابن حجر فِي نُكَتِهِ عَلَىٰ ابن الصلاح: مَا قَالَهُ الصَّحَابِيُّ مِمَّا لَا مَجَالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ فَحُكْمُهُ الرَّفْعُ، كَالْإِخْبَارِ عَنِ الْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ مِنْ بَدْءِ الْخَلْقِ، وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَنِ الْأُمُورِ الْآتِيَةِ كَالْمَلَاحِمِ،

وَالْفِتَنِ، وَالْبَعْثِ، وَصِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْإِخْبَارِ عَنْ عَمَلٍ يَحْصُلُ بِهِ ثَوَابٌ مَخْصُوصٌ أَوْ عِقَابٌ مَخْصُوصٌ، فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَا مَجَالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهَا فَيُحْكَمُ لَهَا بِالرَّفْعِ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي: قَدْ يَحْكِي الصَّحَابِيُّ قَوْلًا يُوقِفُهُ، فَيُخْرِجُهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي الْمُسْنَدِ لِامْتِنَاعِ أَنْ يَكُونَ الصَّحَابِيُّ مَا قَالَهُ إِلَّا بِتَوَقُّفٍ، كَمَا رَوَى أَبُو صَالِحٍ السَّمَّانُ «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ، لَا يَجِدْنَ عَرْفَ الْجَنَّةِ» الْحَدِيثَ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ، فَيَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُسْنَدِ.

قَالَ الحافظ ابن حجر: وَهَذَا هُوَ مُعْتَمَدُ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ كِبَارِ الْأَئِمَّةِ كَصَاحِبَي الصَّحِيحِ، وَالْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَأَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ، وَأَبِي جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيِّ، وأبي بكر بن مردويه فِي تَفْسِيرِهِ الْمُسْنَدِ، وَالْبَيْهَقِيِّ، وَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ فِي آخَرِينَ، قَالَ: وَقَدْ حَكَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّهُ مُسْنَدٌ، وَبِذَلِكَ جَزَمَ الحاكم فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ، وَالْإِمَامُ فخر الدِّين فِي الْمَحْصُولِ انْتَهَى.

وَعِبَارَةُ الْمَحْصُولِ: إِذَا قَالَ الصَّحَابِيُّ قَوْلًا لَا مَجَالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ حُمِلَ عَلَى السَّمَاعِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ مَحَلِّ الِاجْتِهَادِ فَلَا طَرِيقَ إِلَّا السَّمَاعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْتَهَى.

وَقَالَ الحافظ أبو الفضل العراقي فِي " شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ ": مَا رَوَاهُ الْمُصَنِّفُ «عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ،» هُوَ وَإِنْ كَانَ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، فَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ تَوْقِيفِيٌّ، فَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأُصُولِ، فَمِنَ الْأَئِمَّةِ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَنَصَّ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ كَمَا نُقِلَ عَنْهُ، وَمِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، فَأَدْخَلَ فِي " كِتَابِ التَّقَصِّي " أَحَادِيثَ مِنْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، مَعَ أَنَّ مَوْضُوعَ كِتَابِهِ لِلْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ، مِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ سهل بن أبي حثمة فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ، وَقَالَ فِي " التَّمْهِيدِ ": هَذَا الْحَدِيثُ مَوْقُوفٌ عَلَى سهل فِي " الْمُوَطَّأِ " عِنْدَ جَمَاعَةِ الرُّوَاةِ عَنْ مالك، وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ مِنْ جِهَةِ الرَّأْيِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي كِتَابِهِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ، فَقَالَ فِي النَّوْعِ السَّادِسِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ: مَعْرِفَةُ الْمَسَانِيدِ الَّتِي لَا يُذْكَرُ سَنَدُهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ رَوَى فِيهِ ثَلَاثَةَ أَحَادِيثَ:

قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كُنَّا نَتَمَضْمَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَلَا نَتَوَضَّأُ مِنْهُ» .

وَقَوْلَ أَنَسٍ: «كَانَ يُقَالُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ: كُلُّ يَوْمٍ أَلْفُ يَوْمٍ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ عَشَرَةُ آلَافِ يَوْمٍ» ، قَالَ: يَعْنِي فِي الْفَضْلِ.

وَقَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «مَنْ أَتَى سَاحِرًا أَوْ عَرَّافًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» .

قَالَ: فَهَذَا وَأَشْبَاهُهُ إِذَا قَالَهُ الصَّحَابِيُّ فَهُوَ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُخَرَّجٌ فِي الْمَسَانِيدِ.

وَمِنَ الْأُصُولِيِّينَ الإمام فخر الدِّين الرَّازي، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ " الْمَحْصُول ": إِذَا قَالَ الصَّحَابِيُّ قَوْلًا لَيْسَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ مَجَالٌ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى السَّمَاعِ.

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ عَقِبَ ذِكْرِهِ لِقَوْلِ عمر: وَمِثْلُ هَذَا إِذَا قَالَهُ عمر لَا يَكُونُ إِلَّا تَوْقِيفًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُدْرَكُ بِنَظَرٍ، انْتَهَى.

هَذَا كُلُّهُ إِذَا صَدَرَ ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابِيِّ فَيَكُونُ مَرْفُوعًا مُتَّصِلًا، فَإِنْ صَدَرَ ذَلِكَ مِنَ التَّابِعِيِّ فَهُوَ مَرْفُوعٌ مُرْسَلٌ، كَمَا ذَكَرَ ابن الصلاح ذَلِكَ فِي نَظِيرِ الْمَسْأَلَةِ، وَصَرَّحَ الْبَيْهَقِيُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِخُصُوصِهَا، فَإِنَّهُ أَخْرَجَ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (٥/٣٣٧ برقم ٣٥٢١) بِسَنَدِهِ عَنْ أبي قلابة قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ قَصْرٌ لِصُوَّامِ رَجَبٍ» ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا الْقَوْلُ عَنْ أبي قلابة، وَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ، فَمِثْلُهُ لَا يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ بَلَاغٍ مِمَّنْ فَوْقَهُ عَمَّنْ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ " (٤/٩٨ برقم ٢٢٣٩) بِسَنَدِهِ عَنْ أبي قلابة قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمَنْ قَرَأَ الْكَهْفَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ حُفِظَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَإِنْ أَدْرَكَ الدَّجَّالَ لَمْ يَضُرَّهُ، وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَمَنْ قَرَأَ يس غُفِرَ لَهُ، وَمَنْ قَرَأَهَا وَهُوَ جَائِعٌ شَبِعَ، وَمَنْ قَرَأَهَا وَهُوَ ضَالٌّ هُدِيَ، وَمَنْ قَرَأَهَا وَلَهُ ضَالَّةٌ وَجَدَهَا، وَمَنْ قَرَأَهَا عِنْدَ طَعَامٍ خَافَ قِلَّتَهُ كَفَاهُ، وَمَنْ قَرَأَهَا عِنْدَ مَيِّتٍ هُوِّنَ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا عِنْدَ وَالِدَةٍ عَسُرَ عَلَيْهَا وَلَدُهَا يُسِّرَ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً، وَلِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبٌ، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس» .

ثُمَّ قَالَ عقبه: هَكَذَا نُقِلَ إِلَيْنَا عَنْ أبي قلابة، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَلَا نَقُولُ ذَلِكَ إِنْ صَحَّ عَنْهُ إِلَّا بَلَاغًا.

وَرَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي " الْمُوَطَّأ " (١/١٢ برقم ٢٣) عَنْ يحيى بن سعيد أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُصَلِّيَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ وَمَا فَاتَهُ وَقْتُهَا، وَلَمَا فَاتَهُ مِنْ وَقْتِهَا أَعْظَمُ أَوْ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ» .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: هَذَا لَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مِثْلُهُ رَأْيًا، ويحيى بن سعيد مِنْ صِغَارِ التَّابِعِينَ، وَرَوَىٰ مالك فِي الْمُوَطَّأِ أَيْضًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّىٰ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ صَلَّىٰ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكٌ وَعَنْ شِمَالِهِ مَلَكٌ، فَإِنْ أَذَّنَ وَأَقَامَ صَلَّىٰ وَرَاءَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ» .

قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ فَهُوَ مَرْفُوعٌ.

وَهَذَا اسْتَدَلَّ بِهِ السُّبكي فِي " الْحَلَبِيَّاتِ " عَلَىٰ حُصُولِ فَضِيلَةِ الْجَمَاعَةِ بِذَلِكَ، وَرَوَىٰ عبد الرزَّاق عَنْ عكرمة قَالَ: «صُفُوفُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَىٰ صُفُوفِ أَهْلِ السَّمَاءِ، فَإِذَا وَافَقَ آمِينَ فِي الْأَرْضِ آمِينَ فِي السَّمَاءِ غُفِرَ لِلْعَبْدِ» - أَوْرَدَهُ الحافظ ابن حجر فِي " شَرْحِ الْبُخَارِيِّ " فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ» " وَقَالَ: مِثْلُهُ لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ، فَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ أَوْلَىٰ، وعكرمة تَابِعِيٌّ، وَهَذَا الْأَثَرُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مِنْ أَحْوَالِ الْبَرْزَخِ الَّتِي لَا مَدْخَلَ لِلرَّأْيِ وَالِاجْتِهَادِ فِيهَا، وَلَا طَرِيقَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهَا إِلَّا بِالتَّوْقِيفِ وَالْبَلَاغِ عَمَّنْ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ، وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وطاوس، وَهُمَا مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، فَيَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الْمُرْسَلِ، وَإِنْ ثَبَتَتْ صُحْبَةُ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ الْمُتَّصِلِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي " التَّمْهِيدِ " فِي شَرْحِ حَدِيثِ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَسُؤَالِهِ: أَحْكَامُ الْآخِرَةِ لَا مَدْخَلَ فِيهَا لِلْقِيَاسِ، وَالِاجْتِهَادِ، وَلَا لِلنَّظَرِ وَالِاحْتِجَاجِ، وَاللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَقَالَ القرطبي فِي " التَّذْكِرَةِ ": هَذَا الْبَابُ لَيْسَ فِيهِ مُدْخَلٌ لِلْقِيَاسِ، وَلَا مَجَالَ لِلنَّظَرِ فِيهِ، وَإِنَّمَا فِيهِ التَّسْلِيمُ وَالِانْقِيَادُ لِقَوْلِ الصَّادِقِ الْمُرْسَلِ إِلَىٰ الْعِبَادِ، انْتَهَىٰ.

وَيُؤَيِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ إِذَا صَدَرَتْ مِنَ التَّابِعِينَ تُحْمَلُ عَلَىٰ الرَّفْعِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِسَنَدِهِ، عَنْ أبي جعفر محمد بن علي قَالَ: كَانَ علي بن حسين يَذْكُرُ «أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا احْتُمِلَ إِلَىٰ قَبْرِهِ نَادَىٰ حَمَلَتَهُ إِذَا بُشِّرَ بِالنَّارِ فَيَقُولُ: يَا إِخْوَتَاهُ، مَا عَلِمْتُمْ مَا عَايَنْتُ بَعْدَكُمْ، إِنَّ أَخَاكُمْ بُشِّرَ بِالنَّارِ، فَيَا حَسْرَتَاهُ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهَّ، أَنْشُدُ بِاللهَّ كُلَّ وَلَدٍ أَوْ جَارٍ أَوْ صَدِيقٍ أَوْ أَخٍ إِلَّا احْتَبَسَنِي عَنْ قَبْرِي، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ صَاحِبِكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا أَنْ تُوَارُوهُ فِي التُّرَابِ، وَالْمَلَائِكَةُ يُنَادُونَ: امْضِ عَدُوَّ اللهَّ، فَإِذَا دَنَا مِنْ حُفْرَتِهِ يَقُولُ: مَا لِي مِنْ شَفِيعٍ مُطَاعٍ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ، ثُمَّ إِذَا أُدْخِلَ الْقَبْرَ ضُرِبَ ضَرْبَةً تَذْعَرُ لَهَا كُلُّ دَابَّةٍ غَيْرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَأَمَّا وَلِيُّ اللهِ إِذَا احْتُمِلَ إِلَىٰ قَبْرِهِ وَبُشِّرَ بِالْجَنَّةِ نَادَىٰ حَمَلَتَهُ: يَا إِخْوَتَاهُ، أَمَا عَلِمْتُمْ أَنِّي بُشِّرْتُ بَعْدَكُمْ بِالرِّضَا مِنَ اللهِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَالنَّارِ، فَعَجِّلُوا بِي إِلَىٰ حُفْرَتِي فَـ **﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾** [يس: ٢٦ – ٢٧] ، وَالْمَلَائِكَةُ يُنَادُونَ: امْضِ وَلِيَّ اللهِ إِلَىٰ رَبٍّ كَرِيمٍ يُثِيبُ بِالشَّيْءِ الْيَسِيرِ الْعَظِيمَ الْجَزِيلَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا غُدْوَةً أَوْ رَوْحَةً إِلَى الْجَنَّةِ، فَإِذَا أُدْخِلَ الْقَبْرَ تُلُقِّيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ رَيْحَانِ الْجَنَّةِ، يَجِدُ رِيحَهَا كُلُّ ذِي رِيحٍ غَيْرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.»

قَالَ أبو جعفر: كَانَ علي بن حسين إِذَا ذَكَرَ أَشْبَاهَ هَذَا الْحَدِيثِ بَكَىٰ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي لَأَخَافُ اللهَ أَنْ أَكْتُمَهُ، وَلَئِنْ أَظْهَرْتُهُ لَيَدْخُلَنَّ عَلَيَّ أَذًىٰ مِنَ الْفَسَقَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ علي بن حسين ذَكَرَ حَدِيثَ الَّذِي يُنَادِي حَمَلَتَهُ، فَقَالَ ضمرة بن معبد – رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ – وَاللهِ يَا علي بن حسين لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ يَفْعَلُ كَمَا زَعَمْتَ بِمُنَاشَدَتِكَ حَمَلَتَهُ إِذًا لَوَثَبَ عَنْ أَيْدِي الرِّجَالِ مِنْ سَرِيرِهِ، فَضَحِكَ أُنَاسٌ مِنَ الْفَسَقَةِ، وَغَضِبَ علي بن حسين وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ ضمرة كَذَّبَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُكَ، فَخُذْهُ أَخْذَ أَسِفٍ، فَمَا لَبِثَ ضمرة إِلَّا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً حَتَّىٰ مَاتَ فَجْأَةً.

قَالَ أبو جعفر: فَأَشْهَدُ عَلَىٰ مسلم بن شعيب مَوْلَاهُ – وَكَانَ مَا عَلِمْنَاهُ خِيَارًا – أَنَّهُ أَتَىٰ علي بن حسين لَيْلًا فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ ضمرة أَعْرِفُهُ كَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ صَوْتَهُ حَيًّا وَهُوَ يُنَادِي فِي قَبْرِهِ: وَيْلٌ طَوِيلٌ لضمرة إِلَّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْكَ كُلُّ خَلِيلٍ، وَحَلَلْتَ فِي نَارِ الْجَحِيمِ فِيهَا مَبِيتُكَ وَالْمَقِيلُ، فَقَالَ علي بن حسين: نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ، هَذَا جَزَاءُ مَنْ ضَحِكَ وَأَضْحَكَ النَّاسَ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَانْظُرْ كَيْفَ ذَكَرَ علي بن حسين الْحَدِيثَ أَوَّلًا مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ بِعَزْوِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اتِّكَالًا عَلَىٰ عِلْمِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ، وَإِنَّمَا مُعْتَمَدُهُ التَّوْقِيفُ وَالسَّمَاعُ، ثُمَّ لَمَّا وَقَعَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ صَرَّحَ بِأَنَّهُ حَدِيثٌ جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحُكْمُ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا بِالرَّفْعِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَجْمَعَ عَلَيْهَا أَهْلُ الْحَدِيثِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: إِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ أَثَرَ طَاوُسٍ حُكْمُهُ حُكْمُ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الْمُرْسَلِ، وَإِسْنَادُهُ إِلَىٰ التَّابِعِيِّ صَحِيحٌ، كَانَ حُجَّةً عِنْدَ الْأَئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وأحمد مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ، وَأَمَّا عِنْدَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْتَجُّ بِالْمُرْسَلِ إِذَا اعْتَضَدَ بِأَحَدِ أُمُورٍ مُقَرَّرَةٍ فِي مَحَلِّهَا، مِنْهَا مَجِيءُ آخَرَ أَوْ صَحَابِيٍّ يُوَافِقُهُ،

وَالِاعْتِضَادُ هَاهُنَا مَوْجُودٌ، فَإِنَّهُ رُوِيَ مِثْلُهُ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَهُمَا تَابِعِيَّانِ إِنْ لَمْ يَكُنْ عبيد صَحَابِيًّا، فَهَذَانِ مُرْسَلَانِ آخَرَانِ يُعَضِّدَانِ الْمُرْسَلَ الْأَوَّلَ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي آخِرِ كِتَابِهِ: حَدَّثَنَا أبو بكر، عَنْ علي بن عبد الله قَالَ: قَالَ يحيىٰ بن سعيد: مُرْسَلَاتُ مُجَاهِدٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُرْسَلَاتِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ بِكَثِيرٍ، كَانَ عطاء يَأْخُذُ عَنْ كُلِّ ضَرْبٍ، قَالَ علي: قُلْتُ ليحيىٰ: مُرْسَلَاتُ مُجَاهِدٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ مُرْسَلَاتُ طَاوُسٍ؟ قَالَ: مَا أَقْرَبَهُمَا.

وَأَمَّا إِذَا قُلْنَا بِثُبُوتِ الصُّحْبَةِ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يَكُونُ مَرْفُوعًا مُتَّصِلًا مِنْ طَرِيقِهِ، وَأَثَرُ طَاوُسٍ شَاهِدٌ قَوِيٌّ لَهُ يُرَقِّيهِ إِلَىٰ مَرْتَبَةِ الصِّحَّةِ، وَقَدِ احْتَجَّ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِأَثَرِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ هَذَا عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنَ اخْتِصَاصِ السُّؤَالِ بِالْمُنَافِقِ، وَأَنَّ الْكَافِرَ الصَّرِيحَ لَا يُسْأَلُ، وَلَوْلَا ثُبُوتُهُ عِنْدَهُ وَصِحَّتُهُ مَا احْتَجَّ بِهِ.

وَقَدْ قَالَ النووي فِي " شَرْحِ مُسْلِمٍ ": الْحَدِيثُ الْمُرْسَلُ إِذَا رُوِيَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ مُتَّصِلًا تَبَيَّنَّا بِهِ صِحَّةَ الْمُرْسَلِ، وَجَازَ الِاحْتِجَاجُ بِهِ، وَيَصِيرُ فِي الْمَسْأَلَةِ حَدِيثَانِ صَحِيحَانِ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: قَوْلُهُ: كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ، مِنْ بَابِ قَوْلِ التَّابِعِيِّ كَانُوا يَفْعَلُونَ، وَفِيهِ قَوْلَانِ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأُصُولِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَيْضًا مِنْ بَابِ الْمَرْفُوعِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ كَانَ النَّاسُ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعْلَمُ بِهِ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ.

وَالثَّانِي أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْعَزْوِ إِلَىٰ الصَّحَابَةِ دُونَ انْتِهَائِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اخْتُلِفَ عَلَىٰ هَذَا هَلْ هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ، فَيَكُونَ نَقْلًا لِلْإِجْمَاعِ أَوْ عَنْ بَعْضِهِمْ؟ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ، أَصَحُّهُمَا فِي " شَرْحِ مُسْلِمٍ " لِلنَّووي.

الثَّانِي: قَالَ شمس الدِّين البرشنسي فِي شَرْحِ أَلْفِيَّتِهِ الْمُسَمَّاةِ بِ " الْمَوْرِدِ الْأَصْفَىٰ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ ": قَوْلُ التَّابِعِيِّ كَانُوا يَفْعَلُونَ يَدُلُّ عَلَىٰ فِعْلِ الْبَعْضِ، وَقِيلَ: يَدُلُّ عَلَىٰ فِعْلِ جَمِيعِ الْأُمَّةِ أَوِ الْبَعْضِ وَسُكُوتِ الْبَاقِينَ، أَوْ فَعَلُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ وَجْهٍ ظَهَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُنْكِرْهُ، انْتَهَىٰ.

وَقَالَ الرافعي فِي " شَرْحِ الْمُسْنَدِ ": مِثْلُ هَذَا اللَّفْظِ يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ كَانَ مَشْهُورًا فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ، فَقَوْلُ طَاوُسٍ: " فَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ " إِنْ حُمِلَ عَلَىٰ الرَّفْعِ - كَمَا هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ - كَانَ ذَلِكَ مِنْ تَتِمَّةِ الْحَدِيثِ الْمُرْسَلِ، وَيَكُونُ الْحَدِيثُ اشْتَمَلَ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَصْلٌ اعْتِقَادِيٌّ، وَهُوَ فِتْنَةُ الْمَوْتَىٰ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَالثَّانِي حُكْمٌ شَرْعِيٌّ فَرْعِيٌّ، وَهُوَ اسْتِحْبَابُ التَّصَدُّقِ وَالْإِطْعَامِ عَلَيْهِمْ مُدَّةَ تِلْكَ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ، كَمَا اسْتُحِبَّ سُؤَالُ

التَّثْبِيتِ بَعْدَ الدَّفْنِ سَاعَةً، وَيَكُونُ مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ مُرْسَلَ الْإِسْنَادِ؛ لِإِطْلَاقِ التَّابِعِيِّ لَهُ وَعَدَمِ تَسْمِيَتِهِ الصَّحَابِيَّ الَّذِي بَلَّغَهُ ذَلِكَ، فَيَكُونُ مَقْبُولًا عِنْدَ مَنْ يَقْبَلُ الْمُرْسَلَ مُطْلَقًا، وَعِنْدَ مَنْ يَقْبَلُهُ بِشَرْطِ الِاعْتِضَادِ لَمِجِيئِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَحِينَئِذٍ فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ فِي الِاحْتِجَاجِ بِهَذَا الْمُرْسَلِ، وَإِنْ حَمَلْنَا قَوْلَهُ: فَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ، وَأَنَّهُ نَقْلٌ لِلْإِجْمَاعِ كَمَا هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي، فَهُوَ مُتَّصِلٌ؛ لِأَنَّ طَاوُسًا أَدْرَكَ كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ، فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِالْمُشَاهَدَةِ، وَأَخْبَرَ عَنْ بَقِيَّةِ مَنْ لَمْ يُدْرِكْهُ مِنْهُمْ بِالْبَلَاغِ عَنْهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ أَدْرَكَهُمْ، وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فَقَطْ كَمَا هُوَ الْقَوْلُ الثَّالِثُ – وَهُوَ الْأَصَحُّ – كَانَ مُتَّصِلًا عَنْ ذَلِكَ الْبَعْضِ الَّذِينَ أَدْرَكَهُمْ، وَحِينَئِذٍ فَالْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَمْرَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، فَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ مُتَّصِلٌ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ، وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَإِمَّا مُرْسَلٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ؛ لِأَنَّهُ قَوْلٌ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ صَاحِبِ الْوَحْيِ، وَقَدْ أَطْلَقَهُ تَابِعِيٌّ فَيَكُونُ مُرْسَلًا لِحَذْفِ الصَّحَابِيِّ الْمُبَلِّغِ لَهُ مِنَ السَّنَدِ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْأَمْرُ الثَّانِي الْمَنْقُولُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَوْ عَنْ بَعْضِهِمْ عَاضِدًا لِذَلِكَ الْمُرْسَلِ؛ لِأَنَّ مِنْ وُجُوهِ اعْتِضَادِ الْمُرْسَلِ عِنْدَنَا أَنْ يُوَافِقَهُ فِعْلُ صَحَابِيٍّ، فَيَكُونُ هَذَا عَاضِدًا ثَالِثًا بَعْدَ الْعَاضِدَيْنِ السَّابِقَيْنِ وَهُمَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَقَوْلُ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَيَكُونُ الْحَدِيثُ مُشْتَمِلًا عَلَى جُمْلَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُرْسَلَةٍ، وَجُمْلَةٍ مَوْقُوفَةٍ مُتَّصِلَةٍ عَاضِدَةٍ لِتِلْكَ الْجُمْلَةِ الْمُرْسَلَةِ، وَإِنَّمَا أَوْرَدَهُمَا طَاوُسٌ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ قَصْدَهُ تَوْجِيهُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، وَهُوَ اسْتِحْبَابُ الْإِطْعَامِ عَنِ الْمَوْتَى مُدَّةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَذَكَرَ أَنَّ سَبَبَهُ وُرُودُ فِتْنَتِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ؛ وَلِهَذَا فَرَّعَهُ عَلَيْهِ بِالْفَاءِ حَيْثُ قَالَ: فَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُطْعَمَ عَنْهُ تِلْكَ الْأَيَّامَ، وَنَظِيرُ هَذَا الْأَثَرِ فِي ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ "، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: إِنَّمَا كُرِهَ الْمِنْدِيلُ بَعْدَ الْوُضُوءِ لِأَنَّ مَاءَ الْوُضُوءِ يُوزَنُ، أَرَادَ الزُّهْرِيُّ – وَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ – تَعْلِيلَ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ – وَهُوَ تَرْكُ التَّنْشِيفِ بَعْدَ الْوُضُوءِ – بِسَبَبٍ لَا يُؤْخَذُ إِلَّا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ، لِأَنَّ وَزْنَ مَاءِ الْوُضُوءِ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِتَوْقِيفٍ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا أَوْرَدَ الْحَدِيثَ مَوْرِدَ التَّعْلِيلِ أَوْرَدَهُ مُرْسَلًا مَحْذُوفًا مِنْهُ الصَّحَابِيُّ.

وَقَدْ قَالَ النَّوَوِي فِي آخِرِ " شَرْحِ مُسْلِمٍ " قَدْ عَمِلَتِ الصَّحَابَةُ فَمَنْ بَعْدَهُمْ بِهَذَا، فَيُفْتِي الْإِنْسَانُ مِنْهُمْ بِمَعْنَى الْحَدِيثِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الْفُتْيَا دُونَ الرِّوَايَةِ وَلَا يَرْفَعُهُ، فَإِذَا كَانَ فِي وَقْتٍ آخَرَ رَفَعَهُ.

وَقَالَ الرافعي فِي " شَرْحِ الْمُسْنَدِ ": قَدْ يَحْتَجُّ الْمُحْتَجُّ وَيُفْتِي الْمُفْتِي بِلَفْظِ الْحَدِيثِ وَلَا يُسْنِدُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَحْتَمِلُ أَثَرُ طَاوُسٍ أَمْرًا ثَانِيًا، وَهُوَ اتِّصَالُ الْجُمْلَةِ الْأُولَى أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ عَنِ

الصَّحَابَةِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ الْإِطْعَامَ عَنِ الْمَوْتَىٰ تِلْكَ الْأَيَّامَ السَّبْعَةَ صَرِيحٌ فِي أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِقَصْدِ التَّثْبِيتِ عِنْدَ الْفِتْنَةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، وَإِنْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَ الصَّحَابَةِ كَانَ نَاشِئًا عَنِ التَّوْقِيفِ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْحَدِيثُ مِنْ بَابِ الْمَرْفُوعِ الْمُتَّصِلِ لَا الْمُرْسَلِ؛ لِأَنَّ الْإِرْسَالَ قَدْ زَالَ، وَتَبَيَّنَ الِاتِّصَالُ بِنَقْلِ طَاوُسٍ عَنِ الصَّحَابَةِ؛ وَلِهَذَا قُلْتُ فِي أُرْجُوزَتِي:

إِسْنَادُهُ قَدْ صَحَّ وَهْوَ مُرْسَلُ وَقَدْ يُرَىٰ مِنْ جِهَةٍ يَتَّصِلُ

لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مُرْسَلًا فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَ التَّأَمُّلِ يَتَبَيَّنُ اتِّصَالُهُ مِنْ جِهَةِ مَا نَقَلَهُ طَاوُسٌ عَنِ الصَّحَابَةِ مِنِ اسْتِحْبَابِ الْإِطْعَامِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْمُسْتَلْزِمِ لِكَوْنِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ وَهُوَ الْفِتْنَةُ فِيهَا كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ، وَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ السِّرُّ فِي إِرْسَالِ طَاوُسٍ الْحَدِيثَ وَعَدَمَ تَسْمِيَةِ الصَّحَابِيِّ الْمُبَلِّغِ لَهُ؛ لِكَوْنِهِ كَانَ مَشْهُورًا إِذْ ذَاكَ، وَالْمُبَلِّغُونَ لَهُ فِيهِمْ كَثْرَةٌ فَاسْتَغْنَىٰ عَنْ تَسْمِيَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛ وَلِأَنَّ فِي اسْتِيعَابِ ذِكْرِ مَنْ بَلَغَهُ طُولًا، وَإِنْ سَمَّىٰ الْبَعْضَ أَوْهَمَ الِاقْتِصَارَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ إِلَّا مِمَّنْ سَمَّىٰ فَقَطْ، وَخُصُوصًا عَلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ تُحْمَلُ عَلَىٰ الْإِخْبَارِ عَنْ جَمِيعِ الْأُمَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ أَبْلَغَ فِي عَدَمِ تَسْمِيَةِ أَحَدٍ مِنَ الْمُبَلِّغِينَ، وَعَلَىٰ كُلِّ تَقْدِيرٍ فَالْحَدِيثُ مَقْبُولٌ، وَيُحْتَجُّ بِهِ لِأَنَّ الْأَمْرَ دَائِرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُرْسَلًا عَضَّدَهُ مُرْسَلَانِ آخَرَانِ، وَفِعْلُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَوْ كُلِّهِمْ أَوْ كُلِّ الْأُمَّةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، فَهَذَا تَقْرِيرُ الْكَلَامِ عَلَىٰ قَبُولِ الْحَدِيثِ وَالِاحْتِجَاجِ بِهِ مِنْ جِهَةٍ فِي الْحَدِيثِ وَالْأُصُولِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: قَالَ الإمام عبد الجليل بن موسىٰ القصري فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ "، وَنَقَلَهُ عَنْهُ الإمام أبو زيد الجزولي فِي " شَرْحِ رِسَالَةِ أبي زيد ": الْبَرْزَخُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مَكَانٌ وَزَمَانٌ وَحَالٌ، فَالْمَكَانُ مِنَ الْقَبْرِ إِلَىٰ عِلِّيِّينَ، تَعْمُرُهُ أَرْوَاحُ السُّعَدَاءِ. وَمِنَ الْقَبْرِ إِلَىٰ سِجِّينٍ تَعْمُرُهُ أَرْوَاحُ الْأَشْقِيَاءِ، وَأَمَّا الزَّمَانُ فَهُوَ مُدَّةُ بَقَاءِ الْخَلْقِ فِيهِ مِنْ أَوَّلِ مَنْ مَاتَ أَوْ يَمُوتُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

وَأَمَّا الْحَالُ فَإِمَّا مُنَعَّمَةٌ وَإِمَّا مُعَذَّبَةٌ أَوْ مَحْبُوسَةٌ حَتَّىٰ تَتَخَلَّصَ بِالسُّؤَالِ مِنَ الْمَلَكَيْنِ الْفَتَّانَيْنِ، انْتَهَىٰ.

فَقَوْلُهُ: " أَوْ مَحْبُوسَةٌ حَتَّىٰ تَتَخَلَّصَ مِنَ الْمَلَكَيْنِ الْفَتَّانَيْنِ " صَرِيحٌ أَوْ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ فِتْنَةَ الْقَبْرِ تَكُونُ فِي مُدَّةٍ بِحَيْثُ يَمْكُثُ مَحْبُوسًا لِأَجْلِهَا إِلَىٰ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا، وَتِلْكَ الْمُدَّةُ هِيَ السَّبْعَةُ الْأَيَّامِ الْوَارِدَةُ، فَهَذَا تَأْيِيدٌ لِذَلِكَ، وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا مَا ذَكَرَ الحافظ ابن رجب فِي كِتَابِ " أَهْوَالِ الْقُبُورِ " عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: الْأَرْوَاحُ عَلَىٰ الْقُبُورِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ مِنْ يَوْمِ دَفْنِ الْمَيِّتِ لَا تُفَارِقُهُ، فَهَذِهِ آثَارٌ يُؤَيِّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَطْبَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ يُفْتَنُونَ وَبِفِتْنَةِ الْقَبْرِ: سُؤَالُ الْمَلَكَيْنِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَالْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِيهِ؛ وَلِهَذَا سُمِّيَ مَلَكَا السُّؤَالِ الْفَتَّانَيْنِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ " «أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ...» . " الْحَدِيثَ.

وَرَوَى أحمد وَالْبَيْهَقِيُّ حَدِيثَ " «أَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِي تُفْتَنُونَ وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ . . .» الْحَدِيثَ. فَانْظُرْ كَيْفَ فَسَّرَ قَوْلَهُ: " «تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ» " بِسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ.

وَرَوَى أحمد وأبو داود مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَسَأَلَهُ. . .» " الْحَدِيثَ.

وَرَوَى أحمد، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ، مِنْ طَرِيقِ أبي الزبير أَنَّهُ سَأَلَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ فَتَّانَيِ الْقَبْرِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا أُدْخِلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، جَاءَهُ مَلَكٌ شَدِيدُ الِانْتِهَارِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ. . .» الْحَدِيثَ.

وَرَوَى ابن أبي داود فِي الْبَعْثِ، وَالْبَيْهَقِيُّ، «عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ؟ قَالَ: فَتَّانَا الْقَبْرِ. . .» الْحَدِيثَ.

وَرَوَى أبو نعيم وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ مُرْسَلِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ مِثْلَهُ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر: كَيْفَ أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا؟ قَالَ: وَمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ؟ قَالَ: فَتَّانَا الْقَبْرِ» - الْحَدِيثَ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ «عَنْ عائشة قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِي يُفْتَنُ أَهْلُ الْقُبُورِ، وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾** [إبراهيم: ٢٧] » .

وَرَوَى أحمد وأبو داود حَدِيثَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانَيِ الْقَبْرِ.»

وَرَوَى النَّسَائِيُّ حَدِيثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً» .

وَرَوَىٰ جويبر مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «شَهِدَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِنَازَةَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ» . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ سُؤَالُ الْمَلَكَيْنِ وَقَالَ: وَهِيَ أَشَدُّ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ.

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ مَرْفُوعَةٌ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ. وَكَذَا مَا رَوَاهُ أبو نعيم مِنْ مُرْسَلِ ضَمْرَةَ: فَتَّانُو الْقَبْرِ ثَلَاثَةٌ؛ أَنْكَرُ وَنَاكُورُ وَرُومَانُ.

وَمَا رَوَاهُ ابن الجوزي عَنْهُ أَيْضًا مَرْفُوعًا: «فَتَّانُو الْقَبْرِ أَرْبَعَةٌ؛ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ وَنَاكُورُ وَسَيِّدُهُمْ رُومَانُ» .

وَأَمَّا كَلَامُ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ ابن الأثير فِي " النِّهَايَةِ " فِي حَدِيثِ الْكُسُوفِ: «إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ» - يُرِيدُ مَسْأَلَةَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ - مِنَ الْفِتْنَةِ الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ، وَقَدْ كَثُرَتِ اسْتِعَاذَتُهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «فَبِي تُفْتَنُونَ وَعَنِّي تُسْأَلُونَ» - أَيْ تُمْتَحَنُونَ بِي فِي قُبُورِكُمْ - وَيُتَعَرَّفُ إِيمَانُكُمْ بِنُبُوَّتِي.

وَقَالَ النَّووي فِي " شَرْحِ مُسْلِمٍ " عِنْدَ قَوْلِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ» ، مَعْنَىٰ تُفْتَنُونَ: تُمْتَحَنُونَ، «فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هُوَ رَسُولُ اللهَّ، وَيَقُولُ الْمُنَافِقُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ» ، هَكَذَا جَاءَ مُفَسَّرًا فِي الصَّحِيحِ.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي " التَّمْهِيدِ " فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ: لِلْفِتْنَةِ وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ، وَمَعْنَاهَا هُنَا الِابْتِلَاءُ وَالِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ، وَكَذَا قَالَ الباجي وابن رشيق والقرطبي فِي شُرُوحِهِمْ عَلَىٰ " الْمُوَطَّأِ ".

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي " الرِّسَالَةِ ": وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ، وَيُثَبِّتُ اللهُّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ.

قَالَ يوسف بن عمر فِي " شَرْحِ الرِّسَالَةِ ": قَوْلُهُ: تُفْتَنُونَ - أَيْ تُخْتَبَرُونَ - وَهُوَ قَوْلُهُ: وَيُسْأَلُونَ، وَأَتَىٰ بِهِ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ: تُفْتَنُونَ.

وَقَالَ الجزولي فِي " شَرْحِ الرِّسَالَةِ ": الْفِتْنَةُ تَأْتِي وَالْمُرَادُ بِهَا الْكُفْرُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾** [البقرة: ١٩١] ، وَتَأْتِي وَالْمُرَادُ بِهَا الِاحْتِرَاقُ وَهُوَ قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾** [الذاريات: ١٣] ، وَتَأْتِي وَالْمُرَادُ بِهَا الْمَيْلُ وَهُوَ قَوْلُهُ: **﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾** [الإسراء: ٧٣] ، وَتُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهَا الضَّلَالُ، قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾** [الأعراف: ١٥٥] ، وَتُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهَا الْمَرَضُ، قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي**

كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٢٦] ، وَتُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهَا الِاخْتِبَارُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾** [طه: ٤٠] ، أَيِ : اخْتَبَرْنَاكَ، قَالَ: وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: تُفْتَنُونَ مَعْنَاهُ: تُخْتَبَرُونَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلَمُ الدِّين السَّخَاوِيُّ فِي أُرْجُوزَتِهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ:

وَكُلَّ مَا أَتَاكَ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ خُذْهُ تَرْشَدِ

مِنْ فِتْنَةِ الْعِبَادِ فِي الْقُبُورِ وَالْعَرْضِ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ

قَالَ شَارِحُهُ: فِتْنَةُ الْقُبُورِ سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ.

الْوَجْهُ السَّابِعُ: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَمْ يَرِدْ فِي سَائِرِ الْأَحَادِيثِ تَصْرِيحٌ بِذِكْرِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ. قُلْنَا: وَلَا وَرَدَ فِيهَا تَصْرِيحٌ بِنَفْيِهَا وَلَا تَعَرُّضٌ لِكَوْنِ الْفِتْنَةِ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ بَلْ هِيَ مُطْلَقَةٌ صَادِقَةٌ بِالْمَرَّةِ وَبِأَكْثَرَ، فَإِذَا وَرَدَ ذِكْرُ السَّبْعَةِ مِنْ طَرِيقٍ مَقْبُولٍ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَكَانَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْ بَابِ زِيَادَاتِ الثِّقَاتِ الْمَقْبُولَةِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْأُصُولِ مِنْ بَابِ حَمْلِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ، وَنَظِيرُهُ أَنَّ أَكْثَرَ أَحَادِيثِ السُّؤَالِ وَرَدَتْ مُطْلَقَةً، وَوَرَدَ فِي حَدِيثَيْنِ أَنَّ السُّؤَالَ يُعَادُ عَلَيْهِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَحُمِلَ ذَلِكَ الْإِطْلَاقُ عَلَى هَذَا. وَالْحَدِيثَانِ الْمُشَارُ إِلَيْهِمَا أَحَدُهُمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ حَدِيثِ أبي قتادة بِسَنَدٍ حَسَنٍ، وَالْآخَرُ أَخْرَجَهُ ابن مردويه فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَنَظِيرُهُ أَيْضًا أَنَّهُ وَرَدَ فِي أَحَادِيثِ مَجِيءِ مَلَكَيْنِ وَفِي أَحَادِيثِ مَجِيءِ مَلَكٍ وَاحِدٍ، قَالَ القرطبي: لَا تَنَافِيَ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّ الَّذِي رَوَى مَجِيءَ مَلَكٍ لَمْ يَقُلْ فِي رِوَايَتِهِ وَلَا يَأْتِيهِ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ نَقُولُ: إِنَّ الْأَحَادِيثَ الْمُطْلَقَةَ لَمْ يُقَلْ فِيهَا: وَلَا يُفْتَنُ سِوَى يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَلَا قِيلَ: وَلَا يَأْتِيَانِ بَعْدَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رِوَايَةِ إِنَّهُمْ يُفْتَنُونَ سَبْعًا.

الْوَجْهُ الثَّامِنُ: إِنْ قِيلَ إِعَادَةُ السُّؤَالِ بَعْدَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ هَلْ هُوَ تَأْسِيسٌ أَوْ تَأْكِيدٌ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ تَأْكِيدٌ، فَمَا هُوَ إِلَّا سُؤَالٌ وَاحِدٌ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، وَجَوَابٌ وَاحِدٌ يُكَرِّرُ عَلَيْهِ بَعْدَ السُّؤَالِ، وَالْجَوَابُ الْأَوَّلُ لِلتَّأْكِيدِ، وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُمْ لَا يُسْأَلُونَ عَنْ شَيْءٍ سِوَى ذَلِكَ، وَنَصَّ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ.

الْوَجْهُ التَّاسِعُ: إِنْ قِيلَ: فَمَا الْحِكْمَةُ فِي التَّكْرِيرِ سَبْعًا، وَهَلَّا اكْتُفِيَ بِالْأَوَّلِ؟

فَالْجَوَابُ: أَوَّلًا أَنْ نَقُولَ هَلْ ظَنَنْتَ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ السُّؤَالِ عِلْمُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى إِذَا أَجَابَ أَوَّلَ مَرَّةٍ حَصَلَ الْمَقْصُودُ؟ مَعَاذَ اللهِ، لَا يَظُنُّ ذَلِكَ عَاقِلٌ، قَدْ عَلِمَ اللهُ مَا هُوَ عَلَيْهِ قَبْلَ السُّؤَالِ، بَلْ وَعَلِمَ ذَلِكَ الْمَلَكَانِ أَيْضًا؛

وَلِذَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُمَا يَقُولَانِ لَهُ إِذَا أَجَابَ: «نَمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا» . وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنَ السُّؤَالِ أُمُورٌ:

أَحَدُهَا: إِظْهَارُ شَرَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَكَانَتِهِ وَخُصُوصِيَّتِهِ وَمَزِيَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ سُؤَالَ الْقَبْرِ إِنَّمَا جُعِلَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَخُصُوصِيَّةَ شَرَفٍ بِأَنَّ الْمَيِّتَ يُسْأَلُ عَنْهُ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يُعْطَ ذَلِكَ نَبِيٌّ قَبْلَهُ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ، «فَبِي تُفْتَنُونَ وَعَنِّي تُسْأَلُونَ» . . . الْحَدِيثَ، وَأَخْرَجَهُ أحمد وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ عائشة بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، قَالَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ: سُؤَالُ الْقُبُورِ خَاصٌّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّ الْأُمَمَ قَبْلَهَا كَانَتِ الرُّسُلُ تَأْتِيهِمْ بِالرِّسَالَةِ، فَإِذَا أَبَوْا كَفَّتِ الرُّسُلُ وَاعْتَزَلُوهُمْ وَعُوجِلُوا بِالْعَذَابِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحْمَةِ أَمْسَكَ عَنْهُمُ الْعَذَابَ، وَأُعْطِيَ السَّيْفَ حَتَّى يَدْخُلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَنْ دَخَلَ لِمَهَابَةِ السَّيْفِ، ثُمَّ يَرْسُخُ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، فَمِنْ هَذَا ظَهَرَ النِّفَاقُ، فَكَانُوا يُسِرُّونَ الْكُفْرَ وَيُعْلِنُونَ الْإِيمَانَ، فَكَانُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سِتْرٍ، فَلَمَّا مَاتُوا قَيَّضَ اللهُ لَهُمْ فَتَّانَيِ الْقَبْرِ؛ لِيَسْتَخْرِجَ سِرَّهُمْ بِالسُّؤَالِ، وَلِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ.

الثَّانِي: قَالَ الحليمي مِنْ أَصْحَابِنَا فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ: لَعَلَّ الْمَعْنَى فِي السُّؤَالِ - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْمَيِّتَ قَدْ حُوِّلَ مِنْ ظَهْرِ الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا الَّذِي هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الْهَاوِيَةِ، فَيَجِيءُ هُنَاكَ وَيُوقَفُ وَيُسْأَلُ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَبْرَارِ عَرَجَتِ الْمَلَائِكَةُ بِنَفْسِهِ وَرُوحِهِ إِلَى عِلِّيِّينَ، وَهُوَ نَظِيرُ إِيقَافِهِ فِي الْمَحْشَرِ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ وَاسْتِعْرَاضِ عَمَلِهِ، حَتَّى إِذَا وُجِدَ مِنَ الْأَبْرَارِ أُجِيزَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْفُجَّارِ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، انْتَهَى كَلَامُ الحليمي.

الثَّالِثُ: قَالَ بَعْضُهُمْ: جُعِلَتْ فِتْنَةُ الْقَبْرِ تَكْرِمَةً لِلْمُؤْمِنِ، وَإِظْهَارًا لِإِيمَانِهِ، وَتَمْحِيصًا لِذُنُوبِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ فَعَلَ سَيِّئَةً فَإِنَّ عُقُوبَتَهَا تُدْفَعُ عَنْهُ بِعَشَرَةِ أَشْيَاءَ: أَنْ يَتُوبَ فَيُتَابَ عَلَيْهِ، أَوْ يَسْتَغْفِرَ فَيُغْفَرَ لَهُ، أَوْ يَعْمَلَ حَسَنَاتٍ فَتَمْحُوهَا، فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، أَوْ يُبْتَلَى فِي الدُّنْيَا بِمَصَائِبَ فَتُكَفِّرُ عَنْهُ، أَوْ فِي الْبَرْزَخِ بِالضَّغْطَةِ وَالْفِتْنَةِ، فَتُكَفِّرُ عَنْهُ، أَوْ يَدْعُو لَهُ إِخْوَانُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، أَوْ يَهْدُونَ لَهُ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ مَا يَنْفَعُهُ، أَوْ يُبْتَلَى فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ بِأَهْوَالٍ تُكَفِّرُ عَنْهُ، أَوْ تُدْرِكُهُ شَفَاعَةُ نَبِيِّهِ، أَوْ رَحْمَةُ رَبِّهِ، انْتَهَى.

الرَّابِعُ: قَالَ عَبْدُ الْجَلِيلِ الْقَصْرِيُّ فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ ": الْمَعْنَىٰ فِي سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ الْفَتَّانَيْنِ فِي الْقَبْرِ أَنَّ الْخَلْقَ فِي الْتِزَامِ الشَّرَائِعِ وَقَبُولِ الْإِيمَانِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الِاخْتِبَارِ لِأَمْرِ اللهِ، وَمِنَ النَّظَرِ فِيهِ وَفِي أَمْرِ الرُّسُلِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ، وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِأَوَّلِ الْوَاجِبَاتِ عِنْدَ عَرْضِ الشَّرَائِعِ عَلَىٰ الْعُقُولِ، فَيَعْتَقِدُ كُلُّ أَحَدٍ فِي قَلْبِهِ وَسِرِّهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا قُدِّرَ لَهُ حِينَ تَعْتَرِضُهُمْ أَفْكَارُ النَّظَرِ وَالْفِكْرِ فِيمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، فَمِنْ بَيْنِ مُنْكِرٍ جَاحِدٍ أَوْ شَاكٍّ مُرْتَابٍ، وَمِنْ بَيْنِ مُؤْمِنٍ مُصَدِّقٍ وَمُوقِنٍ مُطْمَئِنٍّ ثَابِتٍ، هَذِهِ حَالُ الْكُلِّ مُدَّةَ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِ مَا وَجَبَتْ عَلَيْهِمُ الْوَاجِبَاتُ إِلَىٰ حِينِ الْمَوْتِ، فَلَمَّا حُصِّلَ الْخَلْقُ فِي الْآخِرَةِ فُتِنُوا بِالْجَزَاءِ عَنْ عَقَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ جَزَاءً وِفَاقًا؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْمَلَكَانِ لِلْمَسْئُولِ: «قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا» ، «وَلَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَعَلَىٰ الشَّكِّ حَيِيتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ» ، عَلَىٰ حَسَبِ اخْتِلَافِ أَسْرَارِ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُفْتَحُ لِكُلِّ أَحَدٍ بَابٌ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَبَابٌ إِلَىٰ النَّارِ، وَيَنْظُرُ إِلَىٰ مَقْعَدِهِ مِنْهُمَا، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَفَتَحَتْ لِلْعُقُولِ أَبْوَابَ دِينِ الْإِسْلَامِ حِينَ عَرَضَتْهُ عَلَىٰ الْعُقُولِ، وَحِينَ وُجُوبِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَمَرَتْ بِالدُّخُولِ فِيهِ، وَأَمَرَتْ بِالْتِزَامِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي، وَذَكَرَتْ لِلْعُقُولِ أَنَّ مَنِ الْتَزَمَ الطَّاعَاتِ جُوزِيَ بِالْجَنَّةِ وَدَخَلَهَا، وَمَنْ أَعْرَضَ وَأَبَىٰ وَقَعَ فِي الْكُفْرِ وَدَخَلَ النَّارَ، فَمِنْ بَيْنِ دَاخِلٍ مَفْتُوحٍ لَهُ بِدُخُولِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَالشَّرَائِعِ، وَمِنْ بَيْنِ خَارِجٍ نَافِرٍ. فَيُقَالُ لِلْعَبْدِ ذَلِكَ الْوَقْتَ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ النَّارِ أَوِ الْجَنَّةِ كَمَا صَنَعَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَافْهَمْ.

الْخَامِسُ: قَالَ الباجي فِي " شَرْحِ الْمُوَطَّأِ ": لَيْسَ الِاخْتِبَارُ فِي الْقَبْرِ بِمَنْزِلَةِ التَّكْلِيفِ وَالْعِبَادَةِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ إِظْهَارُ الْعَمَلِ وَإِعْلَامٌ بِالْمَآلِ وَالْعَاقِبَةِ، كَاخْتِبَارِ الْحِسَابِ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ وَالتَّكْلِيفَ قَدِ انْقَطَعَ بِالْمَوْتِ، قَالَ مالك: مَنْ مَاتَ فَقَدِ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَفِتْنَةُ الرَّجُلِ لِمَعْنَى التَّكْلِيفِ وَالتَّعَبُّدِ، لَكِنَّهُ شَبَّهَهَا بِهَا لِصُعُوبَتِهَا وَعِظَمِ الْمِحْنَةِ بِهَا، وَقِلَّةِ الثَّبَاتِ مَعَهَا، انْتَهَىٰ.

إِذَا عَرَفْتَ الْمَقْصُودَ مِنَ السُّؤَالِ عَرَفْتَ مِنْهُ حِكْمَةَ التَّكْرِيرِ، أَمَّا عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْأَوَّلِ فَلِأَنَّ التَّكْرِيرَ أَبْلَغُ فِي إِظْهَارِ شَرَفِ الْمُصْطَفَىٰ وَخُصُوصِيَّتِهِ وَمَكَانَتِهِ، وَأَمَّا عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الثَّانِي فَلِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ وَقْتُ الْعُرُوجِ بِالرُّوحِ إِلَىٰ عِلِّيِّينَ وَالْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَالِيَةٌ لَا تُدْرَكُ بِالْهُوَيْنَا» . وَلِهَذَا جُعِلَ الصِّرَاطُ الَّذِي هُوَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعَرِ طَرِيقًا إِلَىٰ وُصُولِ الْإِنْسَانِ إِلَيْهَا بِبَدَنِهِ، وَلَا شَكَّ فِي شِدَّةِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ،

فَجَعَلَ عِوَضَهُ لِوُصُولِ الرُّوحِ إِلَيْهَا تَكْرِيرَ الْفِتْنَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ؛ وَلِهَذَا جَعَلَهُ الحليمي نَظِيرَ الْإِيقَافِ عَلَى الصِّرَاطِ.

وَأَمَّا عَلَى الْمَعْنَى الثَّالِثِ فَوَاضِحٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ مَا يَقْتَضِي التَّشْدِيدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ فِي حَقِّهِ حَيْثُ اكْتَفَى مِنْهُ بِذَلِكَ وَكَفَّرَ عَنْهُ بِهِ، وَلَوْ شَاءَ لَانْتَقَمَ مِنْهُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ السُّؤَالِ بِكَثِيرٍ، وَلَكِنَّهُ لَطَفَ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَفَّرَ عَنْهُمُ الصَّغَائِرَ بِمُقَاسَاةِ أَهْوَالِ السُّؤَالِ وَنَحْوِهِ، وَخَصَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْكَبَائِرِ، وَنَظِيرُهُ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعْزِيرٌ، فَصُولِحَ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْإِغْلَاظِ فِي الْقَوْلِ وَالِانْتِهَارِ رَحْمَةً لَهُ وَرِفْقًا بِهِ، أَوْ لِكَوْنِهِ مِنْ ذَوِي الْهَيْئَاتِ الَّذِينَ يُكْتَفَى فِي تَعْزِيرِهِمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ أَنَّ فِتْنَةَ الْقَبْرِ أَشَدُّ فِتْنَةً تُعْرَضُ عَلَى الْمُوقِنِ، فَمِنْ تَمَامِ شِدَّتِهَا تَكْرِيرُهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ.

الْوَجْهُ الْعَاشِرُ: إِنْ قِيلَ: فَمَا الْحِكْمَةُ فِي هَذَا الْعَدَدِ بِخُصُوصِهِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ السَّبْعَ وَالثَّلَاثَ لَهُمَا نَظَرٌ فِي الشَّرْعِ، فَمَا أُرِيدَ تَكْرِيرُهُ فَإِنَّهُ يُكَرَّرُ فِي الْغَالِبِ ثَلَاثًا، فَإِذَا أُرِيدَ الْمُبَالَغَةُ فِي تَكْرِيرِهِ كُرِّرَ سَبْعًا؛ وَلِهَذَا كُرِّرَتِ الطَّهَارَةُ فِي الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ ثَلَاثًا، وَلَمَّا أُرِيدَ الْمُبَالَغَةُ فِي طَهَارَةِ النَّجَاسَةِ الْكَلْبِيَّةِ كُرِّرَتْ سَبْعًا، فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ أَشَدَّ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ جُعِلَ تَكْرِيرُهَا سَبْعًا؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ نَوْعَيِ التَّكْرِيرِ وَأَبْلَغُهُ، وَفِيهِ :

مُنَاسَبَةٌ ثَانِيَةٌ وَهِيَ أَنَّ اسْتِعْرَاضَ الْأَعْمَالِ عَلَى الصِّرَاطِ يَكُونُ عَلَى سَبْعِ عَقَبَاتٍ، وَيُرْوَى عَلَى سَبْعِ قَنَاطِرَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنِ الحليمي أَنَّهُ جَعَلَ سُؤَالَ الْقَبْرِ نَظِيرَ إِيقَافِهِ عَلَى الصِّرَاطِ، فَكَانَ السُّؤَالُ فِي الْقَبْرِ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ عَلَى نَمَطِ السُّؤَالِ عَلَى الصِّرَاطِ فِي سَبْعَةِ أَمْكِنَةٍ.

وَمُنَاسَبَةٌ ثَالِثَةٌ: وَهِيَ أَنَّ الْغَالِبَ الْوُقُوعِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ يَكُونُ ثَلَاثًا، وَالنَّادِرَ الْوُقُوعِ يَكُونُ سَبْعًا؛ وَلِهَذَا كَانَتْ غَسَلَاتُ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ وَتَسْبِيحَاتُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ثَلَاثًا، وَأَشْوَاطُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ وَتَكْبِيرَاتُ الرَّكْعَةِ الْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ وَالِاسْتِسْقَاءِ سَبْعًا، فَلَمَّا كَانَ السُّؤَالُ لَا يَقَعُ فِي الدَّهْرِ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا نَوْبَةً وَاحِدَةً كُرِّرَ سَبْعًا.

وَمُنَاسَبَةٌ رَابِعَةٌ: وَهِيَ أَنَّ أَيَّامَ الْأُسْبُوعِ سَبْعَةٌ، وَلَا ثَامِنَ لِلْأَيَّامِ فِي الدُّنْيَا بَلْ وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ أَنَّ أَيَّامَ الْأُسْبُوعِ تَشْهَدُ لِلْإِنْسَانِ بِمَا عَمِلَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِ بِمَا عَمِلَ فِيهَا مِنْ شَرٍّ، فَنَاسَبَ أَنْ يُسْأَلَ أَوَّلَ مَا يَنْزِلُ قَبْرَهُ مُدَّةَ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ الشَّاهِدَةِ لَهُ وَعَلَيْهِ.

وَمُنَاسَبَةٌ خَامِسَةٌ: وَهِيَ أَنَّ السُّؤَالَ يَعْقُبُهُ الْخَلَاصُ مِنَ الْهُوِيِّ إِلَىٰ سِجِّينٍ، وَذَلِكَ تَحْتَ سَبْعِ أَرَضِينَ، وَالْعُرُوجُ إِلَىٰ عِلِّيِّينَ وَذَلِكَ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، فَنَاسَبَ أَنْ يُسْأَلَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِيَكُونَ كُلُّ يَوْمٍ فِي مُقَابَلَةِ خَلَاصٍ مِنْ أَرْضٍ وَعُرُوجٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ.

وَمُنَاسَبَةٌ سَادِسَةٌ: وَهِيَ أَنَّ الْحَدِيثَ وَرَدَ أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا كُلِّهَا جُمُعَةٌ مِنْ جُمَعِ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ؛ لِأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ الْمُوَصِّلُ لِلْجَنَّةِ مُدَّةَ جُمُعَةٍ مَنْ جُمَعِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ.

وَمُنَاسَبَةٌ سَابِعَةٌ: وَهِيَ أَنَّ السُّؤَالَ إِذَا أُحْسِنَ الْجَوَابُ عَنْهُ ثَبَتَ إِيمَانُهُ وَخَلَصَ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ جَهَنَّمَ وَهِيَ سَبْعُ طَبَقَاتٍ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، فَنَاسَبَ أَنْ يُسْأَلَ سَبْعًا لِيَكُونَ كُلُّ يَوْمٍ فِي مُقَابَلَةِ الْخَلَاصِ مِنْ طَبَقَةٍ وَبَابٍ، فَهَذِهِ سَبْعُ مُنَاسَبَاتٍ فِي السَّبْعَةِ، وَالسَّبْعُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي الشَّرْعِ وَالْخَلْقِ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَىٰ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ بِأَنَّ اللهَ جَعَلَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وَالْأَرْضَ سَبْعًا، وَالطَّوَافَ سَبْعًا، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ سَبْعٍ، وَمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ سَبْعٌ.

وَوَرَدَ فِي أَثَرٍ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُمَيِّزُ فِي سَبْعٍ، ثُمَّ يَحْتَلِمُ فِي سَبْعٍ، ثُمَّ يَكْمُلُ طَوْرُهُ فِي سَبْعٍ، ثُمَّ يَكْمُلُ عَقْلُهُ فِي سَبْعٍ، فَظَهَرَ مُنَاسَبَةُ اعْتِبَارِ هَذَا الْعَدَدِ بِخُصُوصِهِ، وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ أَبْيَاتًا:

فِي عَامِ سَبْعٍ أَتَىٰ سَبْعُ الْمَنِيَّةِ إِذْ ... مِنْ بَعْدِ سَبْعٍ وَسَبْعٍ كَانَ قَدْ غَبَرَا
إِذْ مَرَّ مِنْ أَشْهُرِ الْقِبْطِيِّ سَبْعٌ رُبًى ... لِبَرْهَمَاتَ الَّذِي بِالطَّعْنِ قَدْ شُهِرَا
وَشَاعَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَسْأَلَةُ ... النَّقْلِ عَنِّي فِيهَا فِي الْوَرَىٰ أَثَرَا
بِأَنَّ مَيِّتَ هَذَا الْخَلْقِ يُسْأَلُ فِي ... سَبْعٍ مِنَ الدَّهْرِ مَهْمَا غَابَ أَوْ قُبِرَا
فَثَارَ فِيهَا هَرِيرٌ مِنْ أُولِي سَفَهٍ ... فَجَاءَهُمْ أَيُّ سَبْعٍ فِي الْوَغَىٰ كَسَرَا
أَبْدَيْتُ فِي حِكْمَةِ الْأَعْدَادِ مُبْتَكَرَا ... مِنَ التَّنَاسُبِ سَبْعًا أَنْجُمًا زُهَرَا
يَا رَبِّ مِنْ سَبْعِ نِيرَانٍ أَجِرْنِي ... بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي وَجُدْ بِالْعَفْوِ مُقْتَدِرَا

الْوَجْهُ الْحَادِي عَشَرَ: أَخْرَجَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: فِي الْقَبْرِ حِسَابٌ، وَفِي الْآخِرَةِ حِسَابٌ، فَمَنْ حُوسِبَ فِي الْقَبْرِ نَجَا، وَمَنْ حُوسِبَ فِي الْقِيَامَةِ عُذِّبَ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي " الْمُصَنَّفِ ": حَدَّثَنَا عبد الرحيم بن سليمان، عَنْ مجالد، عَنْ محمد بن المنتشر، عَنِ ابن حراش، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: إِنَّ فِي الْقَبْرِ حِسَابًا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا.

قَالَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ: إِنَّمَا يُحَاسَبُ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبْرِ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ غَدًا فِي الْمَوْقِفِ، فَيُمَحَّصُ فِي الْبَرْزَخِ؛ لِيَخْرُجَ مِنَ الْقَبْرِ وَقَدِ اقْتُصَّ مِنْهُ، انْتَهَىٰ.

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ صُورَتُهُ صُورَةَ الْمَوْقُوفِ عَلَىٰ حذيفة، فَإِنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ، وَشَاهِدُهُ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عائشة أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُحَاسَبُ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُغْفَرُ لَهُ، يَرَىٰ الْمُسْلِمُ عَمَلَهُ فِي قَبْرِهِ» .

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ، والحاكم وَصَحَّحَهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقُوا الْبَوْلَ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ فِي الْقَبْرِ» .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنَ الْغِيبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالْبَوْلِ، فَإِيَّاكُمْ وَذَلِكَ» ، وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ، قَالَ ابن رجب: قَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمُ السِّرَّ فِي تَخْصِيصِ الْبَوْلِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْغِيبَةِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَهُوَ أَنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَفِيهِ أُنْمُوذَجُ مَا يَقَعُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ. وَالْمَعَاصِي الَّتِي يُعَاقَبُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَوْعَانِ: حَقٌّ للهِ، وَحَقٌّ لِعِبَادِهِ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُقُوقِ اللهِ الصَّلَاةُ، وَمِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ الدِّمَاءُ.

وَأَمَّا الْبَرْزَخُ فَيُقْضَىٰ فِيهِ فِي مُقَدِّمَاتِ هَذَيْنِ الْحَقَّيْنِ وَوَسَائِلِهِمَا، فَمُقَدِّمَةُ الصَّلَاةِ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَدَثِ وَالْخَبَثِ، وَمُقَدِّمَةُ الدِّمَاءِ النَّمِيمَةُ وَالْوَقِيعَةُ فِي الْأَعْرَاضِ، وَهُمَا أَيْسَرُ أَنْوَاعِ الْأَذَىٰ، فَيُبْدَأُ فِي الْبَرْزَخِ بِالْمُحَاسَبَةِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِمَا، انْتَهَىٰ.

قَالَ ابن رجب: وَرَوَىٰ ابن عجلان عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: يُقَالُ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَخَلَ قَبْرَهُ سُئِلَ عَنْ صَلَاتِهِ أَوَّلَ شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ، فَإِنْ جَازَتْ لَهُ صَلَاتُهُ نُظِرَ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنْ لَمْ يَجُزْ لَهُ لَمْ يُنْظَرْ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ بَعْدُ.

الْوَجْهُ الثَّانِي عَشَرَ: إِنْ قِيلَ: مُقْتَضَىٰ كَوْنِ الْفِتْنَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مَشْرُوعِيَّةُ التَّلْقِينِ فِي الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ. فَالْجَوَابُ: لَا، أَمَّا أَوَّلًا: فَلِأَنَّ التَّلْقِينَ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَلَا حَسَنٌ، بَلْ حَدِيثُهُ ضَعِيفٌ بِاتِّفَاقِ الْمُحَدِّثِينَ؛ وَلِهَذَا

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْأُمَّةِ إِلَىٰ أَنَّ التَّلْقِينَ بِدْعَةٌ، وَآخِرُ مَنْ أَفْتَىٰ بِذَلِكَ الشَّيْخُ عز الدِّين بن عبد السلام، وَإِنَّمَا اسْتَحَبَّهُ ابن الصلاح وَتَبِعَهُ النووي نَظَرًا إِلَىٰ أَنَّ الْحَدِيثَ الضَّعِيفَ يُتَسَامَحُ بِهِ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ.

وَثَانِيًا: أَنَّ هَذِهِ أُمُورٌ تَوْقِيفِيَّةٌ، لَا مَدْخَلَ لِلرَّأْيِ فِيهَا، وَلَمْ يَرِدِ التَّلْقِينُ إِلَّا سَاعَةَ الدَّفْنِ خَاصَّةً، وَوَرَدَ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ الْإِطْعَامُ، فَاتَّبِعَ الْوَارِدُ فِي ذَلِكَ. فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَظْهَرُ لِاخْتِصَاصِ التَّلْقِينِ بِالْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ حِكْمَةٍ؟ قُلْتُ: ظَهَرَ لِي حِكْمَتَانِ:

الْأُولَى: أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِذَلِكَ مَنْ حَضَرَ الدَّفْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الشُّفَعَاءِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَرِدْ بِتَكْلِيفِ النَّاسِ الْمَشْيَ مَعَ الْمَيِّتِ إِلَىٰ قَبْرِهِ إِلَّا لِدَفْنِهِ خَاصَّةً، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ التَّرَدُّدَ إِلَىٰ قَبْرِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَمْ يُشْرَعِ التَّلْقِينُ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ لِمَا فِي تَكْلِيفِهِمُ التَّرَدُّدَ إِلَيْهِ طُولَ الْأُسْبُوعِ مِنَ الْمَشَقَّةِ، فَاقْتُصِرَ عَلَىٰ سَاعَةِ الدَّفْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ كُلَّ مُبْتَدَإٍ صَعْبٌ، وَأَوَّلُ نُزُولِهِ قَبْرَهُ سَاعَةٌ لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ مِثْلُهَا قَطُّ، فَأُنِسَ بِالتَّلْقِينِ وَسُؤَالِ التَّثْبِيتِ، فَإِذَا اعْتَادَ بِالسُّؤَالِ أَوَّلَ يَوْمٍ وَأَلِفَهُ سَهُلَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ الْأَيَّامِ، فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَيْهِ، وَشُرِعَ الْإِطْعَامُ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لَهُ ذُنُوبٌ يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَا يُكَفِّرُهَا مِنْ صَدَقَةٍ وَنَحْوِهَا، فَكَانَ فِي الصَّدَقَةِ عَنْهُ مَعُونَةً لَهُ عَلَىٰ تَخْفِيفِ الذُّنُوبِ؛ لِيُخَفَّفَ عَنْهُ هَوْلُ السُّؤَالِ، وَصُعُوبَةُ خِطَابِ الْمَلَكَيْنِ، وَإِغْلَاظِهِمَا وَانْتِهَارِهِمَا.

الْوَجْهُ الثَّالِثَ عَشَرَ: لَمْ يَرِدْ تَصْرِيحٌ بِبَيَانِ الْوَقْتِ الَّذِي يَجِيءُ فِيهِ الْمَلَكَانِ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ، وَإِنَّمَا وَرَدَ أَنَّهُمَا يَأْتِيَانِهِ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ إِذَا انْصَرَفَ النَّاسُ مِنْ دَفْنِهِ.

وَقَدْ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: يُفْتَنُ الْمُؤْمِنُ سَبْعًا وَالْكَافِرُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا – أَنَّهُمَا يَأْتِيَانِ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَقَدْ يَكُونُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: " أَرْبَعِينَ صَبَاحًا " أَرْبَعِينَ يَوْمًا كَمَا جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِذَلِكَ أَنْ يُكَنُّوا عَنِ الْيَوْمِ بِالصَّبَاحِ إِطْلَاقًا لِلْجُزْءِ وَإِرَادَةً لِلْكُلِّ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ دَلَالَةً عَلَىٰ مَجِيئِهِمَا أَوَّلَ النَّهَارِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَأْتِيَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ فِي مِثْلِ السَّاعَةِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا أَوَّلَ يَوْمِ دُفِنَ، وَالْعِلْمُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ. وَإِذَا كُنَّا لَمْ نَعْلَمْ وَقْتَ مَجِيئِهِمَا مِنَ النَّهَارِ لِكَوْنِ ذَلِكَ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ الَّتِي لَا اطِّلَاعَ لِأَحَدٍ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْقِيفٍ مِنْ صَاحِبِ الْوَحْيِ، وَلَا طَرِيقَ إِلَىٰ الِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا بِالنَّظَرِ، فَكَيْفَ يُظَنُّ أَنَّ أَخْبَارَ طَاوُسٍ وَغَيْرِهِ بِوُقُوعِ الْفِتْنَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ صَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ غَيْرِ تَوْقِيفٍ أَوْ سَمَاعٍ أَوْ بَلَاغٍ مِمَّنْ فَوْقَهُمْ عَمَّنْ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ؟ حَاشَا وَكَلَّا، لَا يَظُنُّ ذَلِكَ مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ تَمْيِيزٍ.

الْوَجْهُ الرَّابِعَ عَشَرَ: وَرَدَ فِي أَحَادِيثِ السُّؤَالِ الْمُطْلَقَةِ أَنَّ الْمَلَكَيْنِ يُعِيدَانِ عَلَيْهِ السُّؤَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي الْمَجْلِسِ كَمَا تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَرِدْ فِي حَدِيثِ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ تَصْرِيحٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَيَحْتَمِلُ جَرَيَانُ ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْمُتَعَدِّدَةَ إِذَا كَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِطْلَاقٌ مِنْ وَجْهٍ وَتَقْيِيدٌ مِنْ وَجْهٍ، تُقَيِّدُ إِطْلَاقَ كُلِّ حَدِيثٍ بِتَقْيِيدِ الْآخَرِ كَمَا هُوَ قَاعِدَةُ الْأُصُولِ، وَهَذَا مِنْهُ.

الْوَجْهُ الْخَامِسَ عَشَرَ: قَالَ قَائِلٌ فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ: إِنَّهُ يُقَالُ لَهُ عَقِبَ السُّؤَالِ نَمْ صَالِحًا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ. وَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا كَلَامُ مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ نَظَرُهُ فِي الْحَدِيثِ، وَلَا اطَّلَعَ عَلَى مُصْطَلَحَاتِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى الْأَحَادِيثِ، حَيْثُ يَجْمَعُونَ طُرُقَ الْأَحَادِيثِ كُلَّهَا وَرِوَايَاتِهِ، وَيَضُمُّونَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ كُلِّ حَدِيثٍ مَا فِيهِ مِنْ فَائِدَةٍ زَائِدَةٍ، وَيَقُولُونَ فِيمَا خَلَا مِنْ تِلْكَ الزِّيَادَةِ: هَذَا حَدِيثٌ مُخْتَصَرٌ وَرَدَ فِي غَيْرِهِ زِيَادَةٌ عَلَيْهِ، وَالْحَدِيثُ الَّذِي فِي الْبُخَارِيِّ لَفْظُهُ عَنْ أسماء بنت أبي بكر، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوِ الْمُوقِنُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي! سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ» . هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَخْصَرُ حَدِيثٍ وَرَدَ فِي السُّؤَالِ.

وَقَدْ وَرَدَ سِوَاهُ أَحَادِيثُ مُطَوَّلَةٌ صَحِيحَةٌ فِيهَا زِيَادَاتٌ كَثِيرَةٌ اعْتَمَدَهَا النَّاسُ، وَلَا يَسَعُهُمْ إِلَّا اعْتِمَادُهَا، فَإِنْ أَخَذَ هَذَا الرَّجُلُ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَقَطْ وَتَرَكَ مَا سِوَاهُ لَزِمَهُ رَدُّ مَا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ عَاقِلٌ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ السُّؤَالَ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي غَيْرِهِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ فِي الْجَوَابِ: رَبِّيَ اللهُ وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ فِيهِ الْمَلَكَانِ بِمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ، وَقَدْ أَطْبَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى اعْتِبَارِهِ، وَلَمْ يُخَالِفْ فِيهِ إِلَّا الْمُعْتَزِلَةُ، فَقَالُوا: لَا يَجُوزُ أَنْ تُسَمَّى الْمَلَائِكَةُ بِمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ أَهْلُ السُّنَّةِ إِلَى قَوْلِهِمْ اعْتِمَادًا عَلَى مَا جَاءَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الزِّيَادَاتِ الْوَاقِعَةِ فِي أَحَادِيثِ السُّؤَالِ عَلَى كَثْرَتِهَا، فَإِنَّهَا أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ حَدِيثًا مَا مِنْ حَدِيثٍ مِنْهَا إِلَّا وَفِيهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهِ، فَمَنْ لَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَى حَدِيثٍ وَاحِدٍ مِنْ سَبْعِينَ حَدِيثًا حَقُّهُ أَنْ يَسْكُتَ مَعَ السَّاكِتِينَ، وَلَا يُقْدِمَ عَلَى رَدِّ الْأَحَادِيثِ وَإِلْغَائِهَا، وَتَأْوِيلُ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا.. عِنْدَ آخِرِ جَوَابٍ يُجِيبُ بِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ يُسْأَلُ فِيهِ، وَذَلِكَ مِنَ الْمَحْذُوفَاتِ الْمَطْوِيِّ ذِكْرُهَا فِي الْحَدِيثِ كَسَائِرِ مَا حُذِفَ

مِنْهُ، وَمَا أَحْسَنَ مَا وَقَعَ لِلْحَافِظِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ حَيْثُ تَكَلَّمَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ فِي " الْمُوَطَّأِ " وَغَيْرِهِ، أَنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يُصَلِّ فِي وَقْتِ فَرْضِ الصَّلَاةِ بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَقَالَ: وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ إِمَامَةُ جِبْرِيلَ لِوَقْتَيْنِ: مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ، وَهَذِهِ زِيَادَةٌ يَجِبُ قَبُولُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا لِنَقْلِ الْعُدُولِ لَهَا، وَلَيْسَ تَرْكُ الْإِتْيَانِ بِحُجَّةٍ، وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ فِي شَهَادَةِ مَنْ شَهِدَ لَا فِي رِوَايَةِ مَنْ أَجْمَلَ وَاخْتَصَرَ. انْتَهَىٰ كَلَامُ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ.

وَوَقَعَ لَهُ أَيْضًا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَىٰ حَدِيثٍ، ثُمَّ رَوَىٰ مِنْ طُرُقٍ مُرْسَلَةٍ زِيَادَةً عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَمَرَاسِيلُ مِثْلِ هَؤُلَاءِ عِنْدَ مالك حُجَّةٌ، وَهُوَ خِلَافُ ظَاهِرِ حَدِيثِ " الْمُوَطَّأِ "، وَحَدِيثُ هَؤُلَاءِ بِالصَّوَابِ أَوْلَىٰ؛ لِأَنَّهُمْ زَادُوا وَأَوْضَحُوا وَفَسَّرُوا مَا أَجْمَلَهُ غَيْرُهُمْ وَأَهْمَلَهُ – هَذِهِ عِبَارَتُهُ.

وَقَالَ القرطبي فِي " شَرْحِ مُسْلِمٍ " فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي صَوْمِهِ وَقِيَامِهِ: هَذَا الْحَدِيثُ اشْتَهَرَ وَكَثُرَتْ رُوَاتُهُ، فَكَثُرَ اخْتِلَافُهُ حَتَّىٰ ظَنَّ مَنْ لَا بَصِيرَةَ عِنْدَهُ أَنَّهُ مُضْطَرِبٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ إِذَا تَتَبَّعَ اخْتِلَافَهُ وَضَمَّ بَعْضَهُ إِلَىٰ بَعْضٍ، انْتَظَمَتْ صُورَتُهُ، وَتَنَاسَبَ مَسَاقُهُ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافُ تَنَاقُضٍ وَلَا تَهَاتُرٍ، بَلْ يَرْجِعُ اخْتِلَافُهُ إِلَىٰ أَنَّ بَعْضَهُمْ ذَكَرَ مَا سَكَتَ عَنْهُ غَيْرُهُ، وَفَصَّلَ بَعْضَ مَا أَجْمَلَهُ غَيْرُهُ، انْتَهَىٰ.

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ حَدِيثِ السَّبْعَةِ وَحَدِيثِ الْبُخَارِيِّ، فَإِنَّهُ يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ مَعْنَىٰ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ: قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ.. إِلَىٰ آخِرِهِ – أَنَّ ذَلِكَ يَقَعُ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ؛ لِأَنَّهُ لَفْظٌ مُطْلَقٌ صَادِقٌ بِالْمَرَّةِ وَبِأَكْثَرَ، فَإِذَا رَوَىٰ الثِّقَةُ أَنَّ ذَلِكَ يَقَعُ سَبْعًا وَجَبَ قَبُولُهُ وَحَمْلُ آخِرِ الْحَدِيثِ – وَهُوَ قَوْلُهُ: نَمْ صَالِحًا – عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ يَقَعُ عِنْدَ انْتِهَاءِ الْفِتْنَةِ، وَذَلِكَ بِآخِرِ يَوْمٍ مِنْهَا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : قِيلَ إِنَّ الْمَوْتَى يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ أَيْ يُسْأَلُونَ كَمَا أَطْبَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، هَلْ لَهُ أَصْلٌ ؟

الجواب : أجاب الإمام ابن حجر الهيتمي في " الفتاوىٰ الفقهية الكبرىٰ " (٢/ ٣٠-٣١) : " نَعَمْ لَهُ أَصْلٌ أَصِيلٌ ، فَقَدْ أَخْرَجَهُ جَمَاعَةٌ عَنْ طَاوُسٍ بِالسَّنَدِ الصَّحِيحِ وَعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ بِسَنَدٍ احْتَجَّ بِهِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ طَاوُسٍ فِي التَّابِعِينَ ، بَلْ قِيلَ إِنَّهُ صَحَابِيٌّ لِأَنَّهُ وُلِدَ فِي زَمَنِهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَكَانَ بَعْضَ زَمَنِ عُمَرَ بِمَكَّةَ وَمُجَاهِدٍ ، وَحُكْمُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الثَّلَاثِ حُكْمُ الْمَرَاسِيلِ الْمَرْفُوعَةِ ، لِأَنَّ مَا لَا يُقَالُ مِنْ جِهَةِ الرَّأْيِ إِذَا جَاءَ عَنْ تَابِعِيٍّ يَكُونُ فِي حُكْمِ الْمُرْسَلِ الْمَرْفُوعِ إِلَىٰ النَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَمَا بَيَّنَهُ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ ، وَالْمُرْسَلُ حُجَّةٌ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ ، وَكَذَا عِنْدَنَا إِذَا اعْتَضَدَ ، وَقَدْ اعْتَضَدَ مُرْسَلُ طَاوُسٍ بِالْمُرْسَلَيْنِ

الْآخَرِيْنِ ، بَلْ إِذَا قُلْنَا بِثُبُوتِ صُحْبَةِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ كَانَ مُتَّصِلًا لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَبِقَوْلِهِ الْآتِي عَنْ الصَّحَابَةِ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ إِلَخْ لِمَا يَأْتِي أَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ عَلَى الْخِلَافِ فِيهِ ، وَفِي بَعْضِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ زِيَادَةُ إِنَّ الْمُنَافِقَ يُفْتَنُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، وَمِنْ ثَمَّ صَحَّ عَنْ طَاوُسٍ أَيْضًا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُطْعَمَ عَنْ الْمَيِّتِ تِلْكَ الْأَيَّامَ وَهَذَا مِنْ بَابِ قَوْلِ التَّابِعِيِّ كَانُوا يَفْعَلُونَ وَفِيهِ قَوْلَانِ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأُصُولِ:

أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَيْضًا مِنْ بَابِ الْمَرْفُوعِ ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ كَانَ النَّاسُ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيَعْلَمُ بِهِ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ وَالثَّانِي أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْعَزْوِ إِلَى الصَّحَابَةِ دُونَ انْتِهَائِهِ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَعَلَى هَذَا قِيلَ إِنَّهُ إِخْبَارٌ عَنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ ، فَيَكُونُ نَقْلًا لِلْإِجْمَاعِ ، وَقِيلَ عَنْ بَعْضِهِمْ وَرَجَّحَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ ، وَقَالَ الرَّافِعِيُّ : مِثْلُ هَذَا اللَّفْظِ يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ كَانَ مَشْهُورًا فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ ثُمَّ مَا ذُكِرَ فِي السُّؤَالِ عَنْ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفِتْنَةِ سُؤَالُ الْمَلَكَيْنِ صَحِيحٌ.

وَيُؤَيِّدُهُ خَبَرُ الْبُخَارِيِّ «أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ فَيُقَالُ مَا عِلْمُك بِهَذَا الرَّجُلِ» إِلَخْ ، وَرَوَى ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا «أَنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ لِعُمَرَ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا رَأَيْت مُنْكَرًا وَنَكِيرًا قَالَ وَمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ قَالَ : فَتَّانَا الْقَبْرِ» الْحَدِيثُ ، وَفِي مُرْسَلٍ عِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ : «فَتَّانُ الْقَبْرِ ثَلَاثَةٌ أَنْكُورُ وَنَاكُورُ وَرُومَانُ» ، وَفِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ رَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : «فَتَّانُو الْقَبْرِ أَرْبَعَةٌ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ وَنَاكُورُ وَرُومَانُ» .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذِكْرِ السَّبْعَةِ الْأَيَّامِ مُعَارَضَةٌ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ، لِأَنَّهَا مُطْلَقَةٌ ، وَهَذَا فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَيْهَا ، فَوَجَبَ قَبُولُهَا كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي الْأُصُولِ ، وَقَوْلُهُ فِيهَا : نَمْ صَالِحًا ، لَا يُنَافِيهِ السُّؤَالُ فِي يَوْمٍ ثَانٍ ، وَهَكَذَا خِلَافًا لِمَنْ وَهَمَ فِيهِ . وَنَظِيرُ ذَلِكَ : أَنَّهُ أَطْلَقَ السُّؤَالَ فِيهَا ، وَفِي حَدِيثٍ حَسَنٍ : إِنَّ السُّؤَالَ يُعَادُ عَلَيْهِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَإِنَّهُ جَاءَ فِي أَحَادِيثَ : إِنَّ السَّائِلَ مَلَكٌ ، وَفِي أَحَادِيثَ : إِنَّهُ مَلَكَانِ ، وَأَحَادِيثَ : إِنَّهُ ثَلَاثَةٌ ، وَأَحَادِيثَ : إِنَّهُ أَرْبَعَةٌ ، وَلَا تَنَافِيَ ، لِأَنَّ ذَاكِرَ الْوَاحِدِ لَمْ يَقُلْ وَلَا يَأْتِيهِ غَيْرُهُ ، ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ.

وَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ السُّؤَالَ فِيمَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ تَأْكِيدٌ لَهُ ، لِحَدِيثِ إِنَّهُمْ لَا يُسْأَلُونَ عَنْ شَيْءٍ سِوَى مَا ذُكِرَ فِي السُّؤَالِ الْأَوَّلِ ، وَحِكْمَةُ التَّكْرِيرِ تَمْحِيصُ الصَّغَائِرِ وَإِظْهَارُ شَرَفِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمَزِيَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ سُؤَالَ الْقَبْرِ إِنَّمَا جُعِلَ تَعْظِيمًا لَهُ إِذْ لَمْ يُجْعَلْ ذَلِكَ لِنَبِيٍّ غَيْرِهِ ، وَصَحَّ حَدِيثُ : «وَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِي يُفْتَنُونَ وَعَنِّي يُسْأَلُونَ» ، وَبَيَّنَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ أَنَّ سُؤَالَ الْقُبُورِ خَاصٌّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ . فَإِنْ قُلْت : لِمَ كَرَّرَ

الْإِطْعَامَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ دُونَ التَّلْقِينِ ؟ قُلْت : لِأَنَّ مَصْلَحَةَ الْإِطْعَامِ مُتَعَدِّيَةٌ ، وَفَائِدَتُهُ لِلْمَيِّتِ أَعْلَىٰ ، إذْ الْإِطْعَامُ عَنْ الْمَيِّتِ صَدَقَةٌ وَهِيَ تُسَنُّ عَنْهُ إجْمَاعًا ، وَالتَّلْقِينُ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ أَنَّهُ بِدْعَةٌ ، وَإِنْ كَانَ الْأَصَحُّ عِنْدَنَا خِلَافَهُ لِمَجِيءِ الْحَدِيثِ بِهِ ، وَالضَّعِيفُ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْفَضَائِلِ " .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (١/ ٣٨٤-٣٨٥) : " فصل: قوله: «أتاك فتّانا القبر منكر ونكير» : إنَّما سُمِّيا " فتَّاني القبر " لأنَّ في سؤالهما انتهاراً وفي خلقهما صعوبة ،ألا ترىٰ أنَّهما سُمِّيا منكراً ونكيراً ؟ فإنَّما سُمِّيا بذلك لأنَّ خلقهما لا يشبه خلق الأدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق الطَّير، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع ، وليس في خلقتهما أُنسٌ للنَّاظرين إليهما، جعلهما الله مكرمة للمؤمن ليثبِّته ، وينصره ، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتَّىٰ يحلّ عليه العذاب ، قاله أبو عبد الله التِّرمذي" .

﴿سُؤالٌ﴾ : صِفْ لَنَا الحَالَ الذِي تَتَوَفَّى فِيْهِ المَلَائِكَةُ الكُفَّار ؟

الجواب : أخبر الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم عن حال توفِّي الملائكة الكفارَ، وذلك بأنَّ الملائكة يضربون وجوه الكفَّار وأدبارهم، ويبشِّرونهم بعذاب الحريق، قال تعالىٰ: **﴿وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ * ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَّ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾** [الأنفال:٥٠-٥١] .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٤/ ٧٦) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ: وَلَوْ عَايَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حَالَ تَوَفِّي الْمَلَائِكَةِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ، لَرَأَيْت أَمْرًا عَظِيمًا هَائِلًا فَظِيعًا مُنْكَرًا؛ إِذْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: **﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾** ... وَهَذَا السِّيَاقُ -وَإِنْ كَانَ سَبَبُهُ وَقْعَةَ بَدْرٍ - وَلَكِنَّهُ عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ كَافِرٍ؛ وَلِهَذَا لَمْ يُخَصِّصْهُ تَعَالَىٰ بِأَهْلِ بَدْرٍ، بَلْ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ﴾** ، وَفِي سُورَةِ الْقِتَالِ مِثْلُهَا ، وَتَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ: **﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ باسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾** [الْأَنْعَامِ: ٩٣] ، أَيْ: بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ بِالضَّرْبِ فِيهِمْ، يَأْمُرُونَهُمْ إذ اسْتَصْعَبَتْ أَنْفُسُهُمْ، وَامْتَنَعَتْ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْأَجْسَادِ أَنْ تَخْرُجَ قَهْرًا. وَذَلِكَ إِذْ بَشَّرُوهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْغَضَبِ مِنَ اللهَّ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ: إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ -إِذَا جَاءَ الْكَافِرَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُنْكَرَةِ -يَقُولُ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ إِلَىٰ سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ، فَتَتَفَرَّقُ فِي بَدَنِهِ،

فَيَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ جَسَدِهِ، كَمَا يَخْرُجُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَتَخْرُجُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ؛ وَلِهَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ لَهُمْ: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ " .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٢٥-٢٨] .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/ ٣٢١) : " ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ، أَيْ: كَيْفَ حَالُهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ وَتَعَصَّتِ الْأَرْوَاحُ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِالْعُنْفِ وَالْقَهْرِ وَالضَّرْبِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ الْآيَةَ [الأنفال: ٥٠] ، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ ، أَيْ: بِالضَّرْبِ ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] ؛ ولهذا قال ها هنا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : صِفْ لَنَا تَعَامُلَ المَلَائِكَة مَعَ المُؤمِنِ بَعْدَ المَوْت ؟

الجواب : روى البيهقي في شُعب الإيمان (١/ ٥٠ برقم ٤٤) وغيره بسندهم عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: " اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسَ، مَعَهُمْ حَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، وَكَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ، فَأَخَذَهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ رِيحِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَلَا يَمُرُّونَ بِمَلَأٍ مِنَ المَلَائِكَة إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ

يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَيَقُولَانِ: مَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ: صَدَقَ عَبْدِي فَافْرُشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي".

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُحَيِّي المَلَائِكَةُ المُؤْمِنِيْنَ عِنْدَ المَوْتِ ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ﴾** [النحل:٣٢] ، قال الإمـــام القرطبيُّ في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (١/ ٢٢١-٢٢٥) : " باب لا تخرج رُوح عبدٍ مؤمنٍ أو كافرٍ حتَّىٰ يبشَّر وأنَّه يصعد بها

ابن المبارك قال: حَيَوَيْهِ، وَأَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ قَالَا: أَخْبَرَنَا يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِي صَخْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: " إِذَا اسْتَنْقَعَتْ نَفْسُ الْعَبْدِ جَاءَهُ الْمَلَكُ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَلِيَّ اللهِ، اللهُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، ثُمَّ نَزَعَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾** [النحل:٣٢] .

قلت : ومعنىٰ :(استنقع) : " أي اجتمع ، استخرجت هذا المعنىٰ من قول ابن الأثير في شرح حديث إذا استنقعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت أي إذا اجتمعت في فيه تريد الخروج كما يستنقع الماء في قراره" قاله محمد فؤاد عبد الباقي في هامش صحيح مسلم (٤/ ١٨١٥) .

وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربُّك يُقرئك السَّلام.

وعن البراء بن عازب في قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾ [الأحزاب:٤٤] ، فيسلِّم مَلَكُ الموت على المؤمن عند قبض روحه، لا يقبض روحه حتَّى يسلِّم عليه.

وقال مجاهد: إنَّ المؤمن ليُبَشَّر بصلاح ولده من بعده لتقرَّ عينه.

ابن ماجه (٢/١٤٢٣ برقم ٤٢٦٢) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، قَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ، وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ " .

والحديث أخرجه أحمد في المسند (٤٢/ ١٥) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين " .

خرَّجه عَنْ أَبِيْ بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . وهذا إسناد صحيح ثابت اتَّفق على رجاله البخاري ومسلم ما عدا ابن أبي شيبة فإنَّه لمسلم وحده ، خرَّجه عبد بن حميد أيضاً «عن ابن أبي ذئب قال محمد بن عمر، فحدثني سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنَّ الميِّت تحضره الملائكة، فإذا كان الرَّجل الصَّالح قالوا: اخرجي أيَّتها الرُّوح الطيِّبة» فذكره .

مسلم (٤/ ٢٢٠٢ برقم ٢٨٧٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا» - قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ - قَالَ: " وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ "، قَالَ: " وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ - قَالَ حَمَّادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا - وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ: خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قَالَ فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ "، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْفِهِ، هَكَذَا " .

البخاري (٨/ ١٠٦ برقم ٦٥٠٧) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» . أخرجه مسلم وابن ماجه من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضي الله عنه.

فَصْلٌ: هذا الحديث وإن كان مفسَّراً مبيناً فقد روي عن عائشة رضي الله عنها في تفسير هذا الحديث أنَّها قالت لشريح بن هاني وقد سألها عمَّا سمعه من أبي هريرة " وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ، وَاقْشَعَرَّ الْجِلْدُ، وَتَشَنَّجَتِ الْأَصَابِعُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ" خرَّجه مسلم.

وروي عنها أيضاً في تفسيره أنَّها قالت: " إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا يَسَّرَ لَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ مَلَكًا فَيُسَدِّدُهُ حَتَّى يَمُوتَ خَيْرَ مَا كَانَ، وَيَقُولُ النَّاسُ: مَاتَ فُلَانٌ خَيْرَ مَا كَانَ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَى ثَوَابَهُ مِنَ الْجَنَّةِ تَهَوَّعَتْ نَفْسُهُ لِتَخْرُجَ بِذَلِكَ حِينَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللهَ وَيُحِبُّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا قَيَّضَ لَهُ شَيْطَانًا فَصَدَّهُ وَأَضَلَّهُ وَفَتَنَهُ حَتَّى يَمُوتَ شَرَّ مَا كَانَ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَى ثَوَابَهُ مِنَ النَّارِ وَلَمْ تَبْلُغْ نَفْسُهُ حَتَّى لَا تَخْرُجَ فَحِينَئِذٍ يَكْرَهُ لِقَاءَ اللهِ وَيَكْرَهُ اللهُ لِقَاءَهُ " . أخرجه إسحق بن راهويه في مسنده (٣/ ٩٠٥ برقم ١٥٩١) .

وخرَّج التِّرمذي في أبواب القدر « عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ " (أخرجه الترمذي (٤/ ١٨ برقم ٢١٤٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ)) .

قال الشَّيخ المؤلِّف رحمه الله ومنه الحديث الآخر: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا، عَسَلَهُ "، قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: " يَفْتَحُ اللهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " (أخرجه أحمد في المسند (٢٩/ ٣٢٣ برقم ١٧٧٨٤، وصحَّحه الأرنؤوط)) . . .

وعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ ، قال: الرَّوح: الرَّحمة، والرَّيحان: تتلقَّاه به الملائكة عند الموت " .

وفي تفسير قول الله تعالى : **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** ، قال الإمام محمَّد الأمين الشَّنقيطي في " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " (٢/ ٣٧٣) : " ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَمْتَثِلُونَ أَوَامِرَ رَبِّهِمْ، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ؛ أَيْ: يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ طَيِّبِينَ، أَيْ: طَاهِرِينَ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي – عَلَى أَصَحِّ التَّفْسِيرَاتِ – وَيُبَشِّرُونَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ.

وَبَيَّنَ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ؛ كَقَوْلِهِ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾** [فصلت:٣٠] ، وَقَوْلِهِ: **﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾** [الزمر:٧٣] ، وَقَوْلِهِ: **﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [الرعد:٢٣-٢٤] ، وَالْبِشَارَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ؛ لِأَنَّهَا بِشَارَةٌ بِالْخَيْرِ بَعْدَ الِانْتِقَالِ إِلَى الْآخِرَةِ. وَيُفْهَمُ مِنْ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ – أَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَتَّصِفُوا بِالتَّقْوَى لَمْ تَتَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْكَرِيمَةِ، وَلَمْ تُسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ تُبَشِّرْهُمْ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَنْزِلُ المَلَائِكَةُ عِنْدَ المَوْتِ بِبُشْرَى المُؤمِنِ وَوَعِيْدِ الكَافِرِ ؟

الجواب : قال الله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَة أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ﴾** [فصلت: ٣٠-٣١] . والمعنى " تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ قَائِلَةً: لَا تَخَافُوا، وَلَا تَحْزَنُوا. وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: **﴿لَا تَخَافُوا﴾** مَا تَقْدَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ **﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾** عَلَى مَا تَخْلُفُونَهُ وَرَاءَكُمْ "(تفسير الطَّبري (٢٠/ ٤٢٦)) .

فالملائكة تبشِّر المؤمن بمغفرة الله تعالى ورضوانه ، " وَقَوْلُهُ: **﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾** ، أَيْ: تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ: نَحْنُ كُنَّا أَوْلِيَاءَكُمْ، أَيْ: قُرَنَاءَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، نُسَدِّدُكُمْ وَنُوَفِّقُكُمْ، وَنَحْفَظُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ نُؤْنِسُ مِنْكُمُ الْوَحْشَةَ فِي الْقُبُورِ، وَعِنْدَ النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ، وَنُؤَمِّنُكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَنُجَاوِزُ بِكُمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَنُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ " (تفسير ابن كثير (٧/ ١٧٧)) .

وقال تعالى : ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهَّ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهَّ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٢/ ٢٢٥) : " إِنَّ اللهَّ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمِنَ الْبِشَارَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَىٰ لَهُ؛ مِنْهَا بُشْرَىٰ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ بِرَحْمَةِ اللهَّ، كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي تَحْضُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ، تَقُولُ لِنَفْسِهِ: اخْرُجِي إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهَّ وَرِضْوَانِهِ ". وَمِنْهَا: بُشْرَىٰ اللهَّ إِيَّاهُ مَا وَعَدَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] الْآيَةَ. وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ بُشْرَىٰ اللهَّ إِيَّاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَشَّرَهُ بِهَا، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُّ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًى دُونَ مَعْنًى، فَذَلِكَ مِمَّا عَمَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالْجَنَّةُ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهَّ﴾ [يونس: ٦٤] فَإِنَّ مَعْنَاهُ: إِنَّ اللهَّ لَا خَلَفَ لِوَعْدِهِ وَلَا تَغْيِيرَ لِقَوْلِهِ عَمَّا قَالَ؛ وَلَكِنَّهُ يُمْضِي لِخَلْقِهِ مَوَاعِيدَهُ، وَيُنْجِزُهَا لَهُمْ " .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [البلد:٢٧-٣٠] . قال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٥/ ٢٥٣) : " قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ، إِلَىٰ مَا وَعَدَ اللهُّ المصدقة بما قال الله. قال مُجَاهِدٌ: ﴿الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الَّتِي أَيْقَنَتْ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ رَبُّهَا وَصَبَرَتْ جَأْشًا لِأَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْمُؤْمِنَةُ الْمُوقِنَةُ. وَقَالَ عَطِيَّةُ: الرَّاضِيَةُ بِقَضَاءِ اللهَّ تَعَالَىٰ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ الْآمِنَةُ مِنْ عَذَابِ اللهَّ. وَقِيلَ الْمُطْمَئِنَّةُ بِذِكْرِ اللهَّ، بَيَانُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهَّ﴾ [الرعد: ٢٨] ، وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، فَقَالَ قَوْمٌ: يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَيُقَالُ لَهَا: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ إِلَىٰ اللهَّ، ﴿رَاضِيَةً﴾ ، بِالثَّوَابِ، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ ، عَنْكِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: إِذَا أَرَادَ اللهُّ قَبْضَهَا اطْمَأَنَّتْ إِلَىٰ اللهَّ وَرَضِيَتْ عَنِ اللهَّ وَرَضِيَ اللهُّ عَنْهَا.

قَالَ عَبْدُ الله بن عَمْرٍو: إِذَا تُوُفِّيَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ أَرْسَلَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكَيْنِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِتُحْفَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ، فيقال لها: اخرجي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ روح وريحان ورب عَنْكِ رَاضٍ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ مِسْكٍ وَجَدَهُ أَحَدٌ فِي أَنْفِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ أَرْجَاءِ السَّمَاءِ يَقُولُونَ: قَدْ جَاءَ مِنَ الْأَرْضِ رُوحٌ طَيِّبَةٌ وَنَسَمَةٌ طَيِّبَةٌ. فَلَا تَمُرُّ بِبَابٍ إِلَّا فُتِحَ لَهَا وَلَا بِمَلَكٍ إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ يُؤْتَىٰ بِهَا الرَّحْمَنُ فَتَسْجُدُ، ثُمَّ يُقَالُ لِمِيكَائِيلَ: اذْهَبْ

بِهَذِهِ فَاجْعَلْهَا مَعَ أَنْفُسِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يُؤْمَرُ فَيُوَسَّعُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا طُولُهُ، وَيُنْبَذُ له الرعان، وإن كَانَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَفَاهُ نُورُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جُعِلَ لَهُ نُورُهُ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي قَبْرِهِ، وَيَكُونُ مِثْلُهُ مِثْلَ الْعَرُوسِ يَنَامُ فَلَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ. وَإِذَا تُوُفِّيَ الْكَافِرُ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ وأرسل إليه قِطْعَةً مِنْ بِجَادٍ أَنْتَنُ مِنْ كُلِّ نَتَنٍ وَأَخْشَنُ مِنْ كُلِّ خشن، فيقال: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى جهنم وعذاب أليم ورب عَلَيْكِ غَضْبَانُ .

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ ، قَالَ: هَذَا عِنْدَ خُرُوجِهَا مِنَ الدُّنْيَا فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ .

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ عِنْدَ البعث ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ، أَيْ إِلَى صَاحِبِكِ وَجَسَدِكِ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْأَجْسَادِ، وَهَذَا قَوْلُ عِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَالضَّحَّاكِ، وَرِوَايَةُ الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ الحسن: ارْجِعِي إِلَى ثَوَابِ رَبِّكِ وَكَرَامَتِهِ رَاضِيَةً عَنِ اللَّهِ بِمَا أَعَدَّ لها مرضية رضي عنها ربها" .

وقال في الكافرين : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] . قال الإمام الطَّبري (٤٠٨/٩-٤٠٩) في تفسير الآية : " قَوْلُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَوْ تَرَى يَا مُحَمَّدُ حِينَ يَغْمُرُ الْمَوْتُ بِسَكَرَاتِهِ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ، الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، وَالْقَائِلِينَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ، وَالْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَالْقَائِلِينَ: سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، فَتُعَايِنُهُمْ وَقَدْ غَشِيَتْهُمْ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، وَنَزَلَ بِهِمْ أَمْرُ اللَّهِ، وَحَانَ فَنَاءُ آجَالِهِمْ، وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨] ، يَقُولُونَ لَهُمْ: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ. وَالْغَمَرَاتُ: جَمْعُ غَمْرَةٍ، وَغَمْرَةُ كُلِّ شَيْءٍ: كَثْرَتُهُ وَمُعْظَمُهُ، وَأَصْلُهُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَغْمُرُ الْأَشْيَاءَ فَيُغَطِّيهَا " .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧٦/٤) : " يَقُولُ تَعَالَى: وَلَوْ عَايَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حَالَ تَوَفِّي الْمَلَائِكَةِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ، لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا هَائِلًا فَظِيعًا مُنْكَرًا؛ إِذْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ " .

وروىٰ مسلم (٤/ ٢٢٠٢ برقم ٢٨٧٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا» - قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ - قَالَ: " وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَىٰ جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَىٰ آخِرِ الْأَجَلِ "، قَالَ: " وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ - قَالَ حَمَّادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا - وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ: خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قَالَ فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَىٰ آخِرِ الْأَجَلِ "، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَىٰ أَنْفِهِ، هَكَذَا" . والرّيطة هي الملاءة ...

وروىٰ البخاري (٨/ ١٠٦ برقم ٦٥٠٧) بسنده عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُودُ بِتَنَزُّلِ المَلَائِكَة الوَارِدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَة أَن لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠] ؟

الجواب : كما ذكرنا في جواب السُّؤال السَّابق ... فإنَّ المقصود بتنزُّل المَلَائِكَة في الآية السَّابقة هو تنزلهم علىٰ العبد المؤمن حالة الاحتضار لبشارته بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان ، وكذا لتطمئنه علىٰ من خلَّف بعده من ذريَّة . قَالَ الزُّهْرِيُّ وَقَتَادَةُ : هِيَ نُزُولُ المَلَائِكَة بِالْبِشَارَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ عِنْدَ الْمَوْتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: **﴿تَتَنَزَّلُ عليهم المَلَائِكَة أن لا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾** [فُصِّلَتْ :٣٠] . انظر : تفسير البغوي (٤/ ١٤١) .

وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: **﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَة أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾** [فصلت: ٣٠] قَالَ: «لَا تَخَافُوا مَا تَقْدَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا خَلَّفْتُمْ مِنْ دُنْيَاكُمْ مِنْ أَهْلٍ وَوَلَدٍ، فَإِنَّا نَخْلُفُكُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ» ، وروي مثله عن السدِّي ، وزيد بن أسلم وابنه ، وأنَّ ذلك كائن في الدُّنيا قبل خروج الرُّوح . انظر : تفسير الطبري ،(٢٤/ ١٤٥) ، تفسير ابن كثير (ص ١٥١٦) ، الدر المنثور (٧/ ٢٧٨) .

فالملائكة يبشِّرون المؤمن بالجنَّة ، وتطمئن قلبه ممَّا يخاف منه من العذاب ويحزن عليه ممَّا سيحدث للذريَّة من بعده ، وقد ذكر الإمام الطَّبري في تفسيره (٢٠/ ٤٢٦) أنَّ تنزُّل الملائكة عليهم الوارد في الآية معناه : "

تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ قَائِلَةً: لَا تَخَافُوا، وَلَا تَحْزَنُوا. وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تَخَافُوا﴾ مَا تَقْدَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩] عَلَىٰ مَا تَخْلِفُونَهُ وَرَاءَكُمْ " .

وأخرج ابْن أبي شيبَة وَعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن زيد بن أسلم قَالَ : يُؤْتى الْمُؤمن عِنْد الْمَوْت فَيُقَال: لَا تخف مِمَّا أَنْت قادم عَلَيْهِ فَيذْهب خَوفه وَلَا تحزن على الدُّنْيَا وَلَا على أَهلهَا وأبشر بِالْجنَّةِ فَيَمُوت وَقد قر الله عينه .

وَأخرج ابْن أبي شيبَة وَابْن أبي حَاتِم عَن زيد بن أسلم فِي الْآيَة قَالَ: يبشر بهَا عِنْد مَوته وَفِي قَبره وَيَوْم يبْعَث فَإِنَّهُ لَفِي الْجنَّة وَمَا رميت فرحة الْبشَارَة من قلبه . (انظر : الدر المنثور (٧/ ٢٧٨) .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمُ الذِيْنَ غَسَّلَتْهُمُ المَلَائِكَة ؟

الجواب : جاء في السُّنَّة المُطهَّرة أنَّ الملائكة غسَّلت ثلاثة من بني آدم ، وهم :

الأوَّلُ : آدم عَلَيْهِ السَّلام : روى الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥ برقم ٤٠٠٤) بسنده عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " لَمَّا تُوُفِّيَ آدَمُ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَة بِالْمَاءِ وِتْرًا وَأَلْحَدُوا لَهُ وَقَالُوا: هَذِهِ سُنَّةُ آدَمَ فِي وَلَدِهِ « ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذَّهبي في التَّلخيص .

الثَّاني: حَنظَلَة بِنْ أَبِي عَامِرِ الرَّاهِب : قال عنه الحافظ ابن حجر في كتابه : " الإصابة في تمييز الصَّحابة " (٢/ ١١٩) : " حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أميَّة بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي المعروف بغسيل المَلَائِكَة " .

روى ابن حبَّان في الصَّحيح (١٥/ ٤٩٥ برقم ٧٠٢٥) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٥ برقم ٤٩١٧) بسندهما عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى دُونِ الْأَعْرَاضِ عَلَى جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ كَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْتَقَى هُوَ وَأَبُو سفيان بن حرب، فَلَمَّا اسْتَعْلَاهُ حَنْظَلَةُ رَآهُ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَعَلَاهُ شَدَّادٌ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَقَدْ كَادَ يَقْتُلُ أَبَا سُفْيَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ"، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"فَذَاكَ قَدْ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ" وَقَال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " وسكت عنه الذَّهبي في التَّلخيص ... وقال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث الصَّحيح : " حديث صحيح، رجاله ثقات" .

وروىٰ الحاكم (٤/ ١٧٥ برقم ٧٠٥٦) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: " افْتَخَرَ الْحَيَّانِ مِنَ الْأَنْصَارِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، فَقَالَتِ الْأَوْسُ: مِنَّا مَنِ اهْتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَمِنَّا مَنْ حَمَتْهُ الدَّبْرُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْأَفْلَحِ ، وَمِنَّا مَنْ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَة حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ ، وَمِنَّا مَنْ أُجِيزَتٍ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَقَالَ الْخَزْرَجِيُّونَ: مِنَّا أَرْبَعَةٌ جَمَعُوا الْقُرْآنَ لَمْ يَجْمَعْهُ غَيْرُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو زَيْدٍ " قال الحاكم : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " .

وروىٰ الطَّبراني في " المعجم الكبير " (١١/ ٣٩١ برقم ١٢٠٩٤) يسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ وَهُمَا جُنُبَانِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُهُمَا» . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٣ برقم ٤٠٨٠) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ " .

الثَّالِثُ : حَمزَة بِنْ عَبْدِ الْمُطَّلب :

روىٰ الطَّبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٩١ برقم ١٢٠٩٤) والبيهقي في معرفة السُّنن والآثار (٥/ ٢٦١ برقم ٧٤٦٠) بسندهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ وَهُمَا جُنُبَانِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ الْمَلَائِكَة تُغَسِّلُهُمَا» . قال البيهقي : " فَهَذَا إِنَّمَا يَرْوِيهِ الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ وَهُوَ غَيْرُ مُحْتَجٍّ بِهِ، غَيْرَ أَنَّ لَهُ فِي حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّاهِبِ مِنْ قَتْلِ أَهْلِ الْمَغَازِي شَوَاهِدَ ذَكَرْنَاهَا فِي كِتَابِ السُّنَنِ " . ذكره الهيثمي في " مجمع الزَّوائد (٣/ ٢٣ برقم ٤٠٨٠) ، وقال : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ " ...

هذا هو ما أستحضره ... ولعل العدد أكبر من ذلك ، والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ حَمَلَتِ المَلَائكَةُ جَنَازَةَ سَعْدِ بِن مُعَاذٍ رَضيَ الله عَنه ؟

الجواب : روىٰ التِّرمذي في " السُّنن"(٦/ ١٧٣ برقم ٣٨٤٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ) معمر بن أبي عمرو راشد في " الجامع " (١١/ ٢٣٥ برقم ٢٠٤١٤) والحاكم في " المستدرك على الصحيحين " (٣/ ٢٢٨ برقم ٤٩٢٦ ، وقال : وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذَّهبي في التَّلخيص) والبغوي في " شرح السُّنَّة" (١٤/ ١٨٢) والضِّياء المقدسي في " المختارة " (٧/ ٢٩ برقم ٢٤١٣) عبد بن حميد في " المسند " (١/ ٣٦٠ برقم

١١٩٤) وأبو يعلىٰ في " المسند" (٥/ ٣٣٧ برقم ٣٠٣٤) بسندهم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُشَارِكُ المَلَائِكَةُ فِي صَلَاةِ الجَنَازَة عَلَى الْمُؤمِنِيْن ؟

الجواب : روىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط " (٢/ ١٤٣ برقم ١٥١٤) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ فِي بَعْضِ سِكَكِ الْمَدِينَةِ فَرَأَى رَجُلًا أَسْوَدَ مَيِّتًا، قَدْ رَمَوْا بِهِ فِي الطَّرِيقِ، فَسَأَلَ بَعْضَ مَنْ ثَمَّ عَنْهُ! فَقَالَ: " مَمْلُوكُ مَنْ هَذَا؟ ". قَالُوا: مَمْلُوكٌ لِآلِ فُلَانٍ، فَقَالَ: " أَكُنْتُمْ تَرَوْنَهُ يُصَلِّي؟ ". قَالُوا: كُنَّا نَرَاهُ أَحْيَانًا يُصَلِّي، وَأَحْيَانًا لَا يُصَلِّي، فَقَالَ: " قُومُوا فَاغْسِلُوهُ، وَكَفِّنُوهُ ". فَقَامُوا فَغَسَّلُوهُ وَكَفَّنُوهُ، وَقَامَ رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَبَّرَ قَالَ: " سُبْحَانَ اللهَّ، سُبْحَانَ اللهَّ ". فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاتَهُ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، سَمِعْنَاكَ لَمَّا كَبَّرْتَ تَقُولُ: " سُبْحَانَ اللهَّ، سُبْحَانَ اللهَّ ". فَلِمَ قُلْتَ سُبْحَانَ اللهَّ، سُبْحَانَ اللهَّ؟ قَالَ: " كَادَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنْ تَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنْ كَثْرَةِ مَا صَلَّوْا عَلَيْهِ» قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد " (١٠/ ٢٦٦ برقم ١٧٩٣١) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ "

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَحْضُرُ المَلَائِكَة عِنْدَ الْمُحْتَضرِيْن ؟ وَكيف تَخْرُجُ كُلٌّ مِنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ وَنَفْسِ الكَافِر ؟

الجواب : نعم ...إنَّ المَلَائِكَة تحضر عند المحتضرين إذا دنت ساعة الرَّحيل ، لأنَّهم هم من يقوم باستخراج الرُّوح من البدن ، قال تعالىٰ : **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾** [الأنعام :٦١] ، والرُّسل في الآية هم أعوان ملك الموت الذين يقومون باستخراج الرُّوح من البدن حتىٰ إذا بلغت الحلقوم أخذها منهم ملك الموت ... وسيأتي مزيد بيان لتوضيح هذا الأمر لاحقاً ...

وقد جاء في السُّنَّة المطهَّرة أن ملائكة الموت تأتي العبد المؤمن بصورة طيبة حسنة جميلة ، تزيده طمأنينة وتثبيتاً ، بينما تأتي الكافر والمنافق بصورة مفزعة تزيده خوفاً ورعباً ،

فقد روىٰ أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧ ، برقم ١٨٥٣١) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٨٠ ، برقم ١٢١٨٥) ، البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٦١٠ ، برقم ٣٩٠) ، إثبات عذاب القبر (ص ٣٥ ، برقم ٢٨) ، عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٨٠ ، برقم ٦٧٣٧) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤٦ ، برقم ٢١٤٠) ، الآجري في الشَّريعة (ص٣٧٧ ، برقم ٨٧٨) ، هنادي السر ي في الزهد (١/ ٢٠٦ ، برقم ٣٣٩) بسندهم عنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ

، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ ، وَلَمَّا يُلْحَدْ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، كَأَنَّ عَلَىٰ رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثًا ، ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ . قَالَ : فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا ، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ قَالَ : فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلاَ يَمُرُّونَ ، يَعْنِي بِهَا ، عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ، إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ . قَالَ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِيَ الإِسْلاَمُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ . قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا ، وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ . قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي ، وَمَالِي . قَالَ : وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ . قَالَ : فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ

الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ، إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ ، فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿**لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ **فَتُعَادُ** رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا ، وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ " .

وروىٰ الحاكم في "المستدرك علىٰ الصَّحيحين " (١/ ٥٠٤-٥٠٥) وأبو نعيم الأصبهاني في " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (٣/ ١٠٤) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً عَنْكِ إِلَىٰ رَوْحِ اللهِ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ حَتَّىٰ أَنَّهُمْ لِيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَشُمُّونَهُ حَتَّىٰ يَأْتُوا بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ؟ فَكُلَّمَا أَتَوْا سَمَاءً قَالُوا ذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ ". قَالَ: «فَلَهُمْ أَفْرَحُ بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ» . قَالَ: «فَيَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟» قَالَ: " فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ لَهُمْ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ ". قَالَ: «فَيَقُولُونَ ذُهِبَ بِهِ إِلَىٰ أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ» . قَالَ: " وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَإِنَّ مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ تَأْتِيهِ فَتَقُولُ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطٌ عَلَيْكِ إِلَىٰ عَذَابِ اللهِ، وَسَخَطِهِ فَيَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَىٰ بَابِ الْأَرْضِ فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ كُلَّمَا أَتَوْا عَلَىٰ الْأَرْضِ قَالُوا ذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ " وَقَدْ تَابَعَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ اللهِ

الدَّسْتُوَائِيُّ مَعْمَرَ بْنَ رَاشِدٍ فِي رِوَايَتِهِ، عَنْ قَتَادَةَ: عَنْ قَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ، حَدَّثَنَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ الْقَزَّازُ، ثنا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ الْكِلَابِيُّ، ثنا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ حَضَرَهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ» ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ، هَذِهِ «الْأَسَانِيدُ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ، وَشَاهِدُهَا حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَقَدْ أَمْلَيْتُهُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ» وهذا لفظ الحاكم .

﴿سُؤالٌ﴾ : نَسْمَعُ كَثيراً مَنْ يَقُوْلُ : " إِذَا حَضَرَتْ المَلَائِكَةُ هَرَبَتْ الشَّيَاطِيْن " ، فَهَلْ هَذَا حَدِيْث ؟

الجواب : قال الإمام العجلوني في " كشف الخفاء ومزيل الإلباس (١/ ١٠١) : " ... كلام يجري علىٰ ألسنة النَّاس وليس بحديث، قال النَّجم: لكن معناه في الحديث، فقد روىٰ البغوي في شرح السُّنَّة بسند صحيح عن أبي هريرة: أنَّ رجلًا سبَّ أبا بكر عند النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنَّبيُّ جالس لا يقول شيئًا، فلمَّا سكت ذهب أبو بكر يتكلَّم، فقام النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتبعه أبو بكر، فقال لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: كان يسبُّني وأنت جالس، فلمَّا ذهبتُ أتكلَّم قمت، قال: إنَّ المَلَك كان يردُّ عنك، فلمَّا تكلَّمت ذهب الملك، ووقع الشَّيطان فكرهت أن أجلس، وأخرجه البيهقي في الشُّعب عنه بلفظ: فقال أبو بكر: أوجدت عليَّ يا رسول الله، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: نزل ملك من السَّماء ليكذّبه بما قال، فلمَّا انصرف وقع الشَّيطان فلم أكن لأجلس إذ وقع الشَّيطان قال: ففيه إشارة إلىٰ أنَّ المَلَك والشَّيطان لا يجتمعان، وذهاب المَلَك في قصَّة أبي بكر ليس لحضور الشَّيطان؛ بل لما انتصر أبو بكر لنفسه، ارتفع عن المجلس المَلَك الذي نزل للرَّدِّ عنه، فلمَّا ذهب المَلَك وقع الشَّيطان ".

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَحْضُرُ جِبْرِيْلُ المُؤمِنَ عِنْدَ مَوْتِه؟

الجواب : أجاب عن ذلك الإمام ابن حجر الهيتمي الفتاوىٰ الحديثيَّة " (ص١٤-١٥) ، فقال : أخرج الطَّبَرَانِيّ عَن مَيْمُونَة بنت سعد قَالَت: " قلت: يَا رَسُول الله أَينَامُ الْجنب؟ قَالَ: مَا أحب أَن ينَام الْجنب حَتَّىٰ يتَوَضَّأ إِنِّي أَخَاف أَن يتوفَّىٰ فَلَا يحضرهُ جِبْرِيل" ، فَدلَّ هَذَا الحَدِيث بمفهومه علىٰ أَن جِبْرِيل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام يحضر الْموتَىٰ، وعَلىٰ أَن الْجَنَابَة مَانِعَة لحضوره دون الْحَدث الْأَصْغَر، وَفِي حَدِيث ضَعِيف جداً " أَنَّ جِبْرِيل قَالَ للنَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبيل وَفَاته: هَذَا آخر وطأتي فِي الأَرْض" ، وَلَو صَحَّ لم يُعَارض نُزُوله

بعد لِأَن الْمَنْفِيّ نُزُوله بِالْوَحْي، فقد صحت الْأَحَادِيث أَنه ينزل لَيْلَة الْقدر، وعَلىٰ أَنه ينزل علىٰ عِيسَىٰ صلىٰ الله علىٰ نَبينَا وَعَلِيهِ وَسلم بِهِ كَمَا اقْتَضَاهُ ظَاهر خبر مُسلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ الْمُحْتَضرْ يَرَى مَلَكَ المَوْت ؟

الجواب : أجاب الإمام ابن حجر الهيتمي في " الفتاوىٰ الحديثيَّة " (ص٤٢-٤٣) ، فقال : " ورد مَا يدلّ علىٰ مُعَاينَة المحتضر الَّذِي لم يمت فَجْأَة لملك الْمَوْت أَو بعض أعوانه؛ فَمن ذَلِك حَدِيث أبي نعيم أَنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (احضروا مَوْتَاكُم ولقنوهم لَا إِلَه إِلَّا الله وبشّروهم بِالْجنَّةِ فَإِن الْحَلِيم من الرِّجَال وَالنِّسَاء يتحيَّر عِنْد ذَلِك المصرع، وَإِنَّ الشَّيْطَان أقرب مَا يكون من ابْن آدم عِنْد ذَلِك المصرع، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لمعاينة ملك الْمَوْت أشدّ من ألف ضَرْبَة بِالسَّيْفِ) . فَقَوله: (وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لمعاينة ملك الْمَوْت إِلَخ) الَّذِي وَقع كالتَّعليل لما قبله من طلب التَّلْقِين وَمَا مَعَه لكلّ من حَضَره الْمَوْت يومىء إِلَىٰ أَنَّ كلّ محتضر يطْلب تلقينه يعاين ملك الْمَوْت وَإِلَّا لم يكن للحلف علىٰ ذَلِك بل وَلَا لذكره مُنَاسبَة لهَذَا الْمقَام أَلْبَتَّة، وَفِي حَدِيث (إِنَّ ملك الْمَوْت إِذا سمع الصُّرَاخ يَقُول: يَا وَيْلكُمْ مِم الْجزع وفيم الْجزع؟ مَا أذهبت لوَاحِد مِنْكُم رزقا وَلَا قربت لَهُ أَجَلًا وَلَا أَتَيْته حَتَّىٰ أُمرت، وَلَا قبضت روحه حَتَّىٰ استأمرت، وَإِنَّ لي فِيكُم عودة ثمَّ عودة ثمَّ عودة حَتَّىٰ لَا أبقىٰ مِنْكُم أحداً. قَالَ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: " وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَو يرَوْنَ مَكَانَهُ أَو يسمعُونَ كَلَامه لذهلوا عَن ميّتهم ولبكوا علىٰ أنفسهم" الحَدِيث. وَفِي حَدِيث آخر: (أَنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظر لملك الْمَوْت عِنْد رجل من الْأَنْصَار فَقَالَ: ارْفُقْ بصاحبنا فَإِنَّهُ مُؤمن، فَقَالَ ملك الْمَوْت عَلَيْهِ السَّلَام: يَا مُحَمَّد طب نفساً وقرَّ عيناً فَإِنِّي بِكُل مُؤمن رَفِيق. وَاعْلَم أَنَّ مَا من أهل بَيت مدر وَلَا شعر فِي بر وَلَا بَحر إِلَّا وَأَنا أتصفحهم فِي كلّ يَوْم خمس مَرَّات حَتَّىٰ لأَنا أعرف بصغيرهم وَكَبِيرهمْ مِنْهُم بِأَنْفسِهِم، وَالله يَا مُحَمَّد لَو أَنِّي أردْت أَن أَقبض روح بعوضة مَا قدرت علىٰ ذَلِك حَتَّىٰ يكون الله هُوَ الْآمِر بقبضها) . قَالَ الْقُرْطُبِيّ: وَفِي هَذَا الْخَبَر مَا يدلُّ علىٰ أَنَّ مَلَك الْمَوْت هُوَ الْمُوكَّل بِقَبض كلّ ذِي روح ، وَأَنَّ تصرُّفه كُلّه بِأَمْر الله عزَّ وَجلَّ وبخلقه وإرادته وَلَا يُنَافِي ذَلِك قَوْله تَعَالَىٰ: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾** [الزمر: ٤٢] ، وَقَوله: **﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾** [الْأَنْعَام: ٦١] وَقَوله تَعَالَىٰ: **﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلَائِكَةُ﴾** [الْأَنْفَال: ٥٠] . وَمَا فِي حَدِيث: (إِنَّ الْبَهَائِم كلهَا يتَوَلَّىٰ الله أرواحها دون ملك الْمَوْت) وَذَلِكَ لِأَنَّ ملك الْمَوْت يقبض الْأَرْوَاح والأعوان يعالجون ، وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي يزهق الرُّوح ، وَبِهَذَا يجمع بَين الْآيَات وَالْأَخْبَار ، لَكِن

لَمَّا كَانَ ملك الْمَوْت يتوَلَّىٰ ذَلِك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفِّي إِلَيْهِ كَمَا أضيفت الْخلق للْملك فِي خبر مُسلم: (إِذا مرَّ بالنُّطفة ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَة بعث الله إِلَيْهَا مَلَكاً فصوّرها وَخلق سَمعهَا وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها) . وَفِي حَدِيث آخر: (إِنَّ مَلَك الْمَوْت قَالَ للنَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَة الْإِسْرَاء بعد كَلَام طَوِيل: فَإِذا نفذ أجل عبد نظرت إِلَيْهِ زِيَادَة فَإِذا نظرت إِلَيْهِ عرفُوا أعواني من الْمَلَائِكَة أَنَّه من مَقْبُوض غدٍ، وانبطشوا بِهِ يعالجون نزع روحه ، فَإِذا بلغُوا بِالروحِ الْحُلْقُوم عرفت ذَلِك فَلم يخف عليّ شَيْء من أمره مددت يَدي فأنزعه من جسده وأَلي قَبضه) . وَفِي خبر آخر: (إِنَّه ينزل عَلَيْهِ أَرْبَعَة من الْمَلَائِكَة ملك يجذب النَّفس من قدمه الْيُمْنَىٰ، وَملك يجذبها من قدمه الْيُسْرَىٰ، وَملك يجذبها من يَده الْيُمْنَىٰ، وَملك يجذبها من يَده الْيُسْرَىٰ) ذكره الْغَزالِيّ قَالَ: وَرُبمَا كشف للْمَيت عَن الْأَمر الملكوتي قبل أَن يُغَرْغر فعاين الْمَلَائِكَة علىٰ حسب حَقِيقَة عمله فَإِن كَانَ لِسَانه مُنْطَلقًا حدث بوجودهم، وَالله أعلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلَكَانِ اللذَانِ يَجْلِسَانِ عَلَى القَبْرِ لِلاسْتِغْفَارِ لِلمَيِّتِ هُمَا الكَاتِبَانِ أَمْ همَا السَّائِقُ وَالشَّهِيْد ؟

الجواب : جاء في " الفتاوىٰ الفقهية الكبرىٰ " (٢/٧) لابن حجر الهيتمي : " (وَسُئِلَ) نَفَعَ اللهُ بِهِ عَنْ الْمَلَكَيْنِ الَّذِينَ يَجْلِسَانِ عَلَىٰ الْقَبْرِ يَسْتَغْفِرَانِ لِلْمَيِّتِ هَلْ هُمَا الْكَاتِبَانِ أَوْ السَّائِقُ وَالشَّهِيدُ؟ (فَأَجَابَ) بِقَوْلِهِ ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [ق: ٢١] حَدِيثًا طَوِيلًا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْكَاتِبَيْنِ هُمَا السَّائِقُ وَالشَّهِيدُ وَهُمَا اللَّذَانِ يَجْلِسَانِ عَلَىٰ الْقَبْرِ لِلِاسْتِغْفَارِ إلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَحْمِي المَلَائِكَةُ مَكَّةَ وَالمَدِيْنَةَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّال ؟

الجواب : من المعلوم أنَّ الدَّجَّال يدخل جميع البلدان سوىٰ مكَّة والمدينة ... وفي ذلك روىٰ البخاري (٣/ ٢٢ برقم ١٨٨٠) ومسلم (٢/ ١٠٠٥ برقم ١٣٧٩) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «عَلَىٰ أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلاَئِكَةٌ لاَ يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلاَ الدَّجَّالُ» .

وروىٰ البخاري (٣/ ٢٢ برقم ١٨٩٧) بسنده عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ المَدِينَةَ رُعْبُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ» .

وروىٰ البخاري (٣/ ٢٢ برقم ١٨٨١) ومسلم (٤/ ٢٢٦٥ برقم ٢٩٤٣) بسندهما عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ

نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَة صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»

وروى البخاري (٤/ ١١٦ برقم ٣٢٣٩) بسنده عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا، مَرْبُوعَ الخَلْقِ إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ: **﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾** [السجدة: ٢٣] ، قَالَ أَنَسٌ، وَأَبُو بَكْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَحْرُسُ المَلَائِكَةُ المَدِينَةَ مِنَ الدَّجَّالِ» .

وروى أحمد في " المسند" (١/ ١٨٤ برقم ١٠٢٦٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالْمَلَائِكَةِ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ، وَلَا الطَّاعُونُ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح" .

وروى الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٣/ ٦٠ برقم ٢٤٧٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ، ثُمَّ عَرَضَ لِي وَأَنَا خَارِجٌ فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى صَعِدْنَا إِلَى أُحُدٍ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «وَيْلُ أُمِّهَا، قَرْيَةٌ يَدَعُهَا أَهْلُهَا كَأَيْنَعِ مَا تَكُونُ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَنْ يَأْكُلُ ثَمَرَتَهَا؟ قَالَ: «عَافِيَةُ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ، وَلَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا تَلَقَّاهُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهَا مَلَكٌ، فَصَدَّهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَابِ الْمَسْجِدِ إِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَالَ: «يَقُولُهُ صَادِقًا» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا فُلَانٌ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ صَلَاةً، فَقَالَ: «لَا تُسْمِعْهُ فَتُهْلِكَهُ» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد" " (٣/ ٣١٠ برقم ٥٨٣٨) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ حَمَلَتِ المَلَائِكَة التَّابُوْتَ وَجَاءَتْ بِهِ لِبني إِسْرَائِيْل ؟

الجواب : نعم ، جاءت المَلَائِكَة بالتَّابوت لبني إسرائيل كي يطيعوا طالوت ويتبعونه ، قال تعالى : **﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلَائِكَة إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** [البقرة: ٢٤٨] .

وفي تفسيرهم للآية الكريمة ذكر أهل العلم أنَّ التَّابوت كان فيه بعض آثار أنبياء بني إسرائيل ، وكانوا يأخذونه معهم في حروبهم يستنصرون به على عدِّوهم ، وكان بالنِّسبة لهم مصدر سكينة وطمأنينة ووقار ،

به تأنس نفوسهم وتسكن إليه قلوبهم ، فلا يهربوا ولا يفرّوا أمام عدّوهم . ولمَّا انحرفوا عن الجادَّة وعصوا الرُّسل سلَّط الله عليهم من ينتزعه منهم ، فذلُّوا وهانوا ...

ففي تفسير الآية الكريمة قال الإمام الزجَّاج في " معاني القرآن وإعرابه " : (١/ ٣٢٩) : " والفائدة – كانت – في هذا التَّابوت أنَّ الأنبياءَ – صلوات اللهَّ عليهم – كانت تستفتح به في الحروب ، فكان التَّابوت يكون بين أيديهم ، فإذا سُمِعَ من جوفه أنين دف التَّابوت ، أي : سار والجميع خلفه – واللهَّ أعلم بحقيقة ذلك " .

وقال الإمام البغوي في " التَّفسير " (١/ ٣٣٤) : " ... وَقَالَ قَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ : السَّكِينَةُ فَعِيلَةٌ مِنَ السُّكُونِ ، أَيْ : طُمَأْنِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ التَّابوت اطْمَأَنُّوا إِلَيْهِ وَسَكَنُوا **﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ﴾** [البقرة : ٢٤٨] ، يَعْنِي مُوسَىٰ وَهَارُونَ أَنْفُسَهُمَا كَانَ فِيهِ لَوْحَانِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَرُضَاضِ الْأَلْوَاحِ الَّتِي تَكَسَّرَتْ ، وَكَانَ فِيهِ عَصَا مُوسَىٰ ، وَنَعْلَاهُ ، وَعِمَامَةُ هَارُونَ ، وَعَصَاهُ ، وَقَفِيزٌ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَكَانَ التَّابوت عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانُوا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ تَكَلَّمَ وَحَكَمَ بَيْنَهُمْ ، وَإِذَا حَضَرُوا الْقِتَالَ قَدَّمُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ " .

وهذا في الحقيقة توسُّل بآثار أُولئك الأنبياء ، وتوسُّلاً ببركه التَّابوت . فإذا كان التَّبرُّك بآثار الأنبياء شِرْكاً وخروجاً من ربقة الدِّين ، فماذا يقول مدَّعو السَّلفيَّة عن قصَّة تابوت بني إسرائيل ؟!!! هَلْ يقرُّ القرآن الكفر ويمدحه ؟...

﴿ الفَصْلُ السَّابعُ ﴾

✿✿✿ وَظِيْفَةُ المَلائِكَةِ المتَعَلِّقَةِ بِالكَافِرِيْن ✿✿✿

للملائكة مع الكفرة العديد من الوظائف ... والكثير منها مُشترك فيما بينهم وبين المؤمنين ... فهم يكتبون ويحصون عليهم أفعالهم وأقوالهم وسائر أحوالهم ... ومن أجل الوقوف علىٰ الثَّابت من وظائف الملائكة المتعلِّقة بالكافرين ، كانت الأسئلة التَّالية :

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِالتَّوفِّي الوَارِدِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء:٩٧] ؟

الجواب : قال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير " (١/٤٥٦-٤٥٧) : " وفي «التوّفي» قولان: أحدهما: أنَّه قبض الأرواح بالموت، قاله ابن عبَّاس، ومقاتل. والثَّاني: الحشر إِلى النَّار، قاله الحسن. قال مقاتل: والمراد بالملائكة ملك الموت وحده. وقال في موضع آخر: ملك الموت وأعوانه " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (١١/١٩٥-١٩٦) : " فِي هَذَا التَّوَفِّي قَوْلَانِ:

الْأَوَّلُ: وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ مَعْنَاهُ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ. فَإِنْ قِيلَ: فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾** [الزُّمَرِ: ٤٢] ، **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ﴾** [الْمُلْكِ: ٢] ، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٨] وَبَيْنَ قَوْلِهِ: **﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾** [السَّجْدَةِ: ١١] . قُلْنَا: خَالِقُ الْمَوْتِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالرَّئِيسُ الْمُفَوَّضُ إِلَيْهِ هَذَا الْعَمَلُ هُوَ مَلَكُ الْمَوْت وَسَائِرُ الْمَلَائِكَة أَعْوَانُهُ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَة يَعْنِي يَحْشُرُونَهُمْ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ " .

قلتُ : والأوَّل أظهر ، والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مُنَاسَبَةُ نُزُوْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء: ٩٧] ؟

الجواب : روى البخاري (٦/٤٨ برقم ٤٥٩٦) بسنده عَنْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الأَسْوَدِ، قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ المَدِينَةِ بَعْثٌ، فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَنَهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ المُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ المُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ - أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ» - فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾** [النساء: ٩٧] الآيَةَ .

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح "(٨/٢٦٣) : " قَوْلُهُ : بَعْثَ ، أَيْ : جَيْش ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُمْ أُلْزِمُوا بِإِخْرَاجِ جَيْشٍ لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى مَكَّةَ . قَوْلُهُ : "فَاكْتُتِبْتُ" بِضَمِّ الْمُثَنَّاةِ الْأُولَى وَكَسْرِ الثَّانِيَةِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ . قَوْلُهُ : " أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ " سُمِّيَ مِنْهُمْ فِي رِوَايَةِ أَشْعَثَ بْنِ سَوَّارٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَن بن عَبَّاسٍ قَيْسُ

بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَأَبُو قَيْسِ بْنُ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ سُفْيَانَ وَعَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ ، وَذَكَرَ فِي شَأْنِهِمْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَىٰ بَدْرٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا قِلَّةَ الْمُسْلِمِينَ دَخَلَهُمْ شَكٌّ ، وَقَالُوا : غَرَّ هَؤُلَاءِ دينهم ، فَقتلُوا ببدر . أخرجه بن مرْدَوَيْه ، وَلابْن أبي حَاتِم من طَرِيق بن جُرَيْجٍ عَنْ عِكْرِمَةَ نَحْوَهُ ، وَذَكَرَ فِيهِمُ الْحَارِثَ بْنَ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ وَالْعَاصِ بْنِ مُنَبِّهِ بن الْحَجَّاج ، وَكَذَا ذكرهمَا بن إِسْحَاق قَوْلُهُ يُرْمَىٰ بِهِ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَىٰ الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ قَوْلُهُ فَأَنْزَلَ اللهُ هَكَذَا جَاءَ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا ، وَفِي رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ دِينَار عَن عِكْرِمَة عَن بن عَبَّاس عِنْد بن الْمُنْذِرِ وَالطَّبَرِيِّ : كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا وَكَانُوا يُخْفُونَ الْإِسْلَامَ فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مَعَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : هَؤُلَاءِ كَانُوا مُسْلِمِينَ فَأُكْرِهُوا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ فَنَزَلَتْ ، فَكَتَبُوا بِهَا إِلَىٰ مَنْ بَقِيَ بِمَكَّةَ مِنْهُمْ ، وَأَنَّهُمْ لَا عُذْرَ لَهُمْ ، فَخَرَجُوا فَلَحِقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَفَتَنُوهُمْ فَرَجَعُوا فَنَزَلَتْ ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ**﴾ فَكَتَبَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فَحَزِنُوا فَنَزَلَتْ ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا**﴾ الْآيَةَ فَكَتَبُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ فَخَرَجُوا فَلَحِقُوهُمْ فَنَجَا مَنْ نَجَا وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ . قَوْلُهُ : رَوَاهُ اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ ، وَصَلَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ كَاتِبِ اللَّيْثِ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عِكْرِمَةَ فَذَكَرَهُ بِدُونِ قِصَّةِ أَبِي الْأَسْوَدِ ، قَالَ الطَّبَرَانِيُّ : لَمْ يَرْوِهِ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ إِلَّا اللَّيْث وبن لَهِيعَةَ . قُلْتُ : وَرِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ مِنْ طَرِيقِ حَيْوَةَ ترد عَلَيْهِ ، وَرِوَايَة بن لَهِيعَة أخرجهَا بن أَبِي حَاتِمٍ أَيْضًا ، وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ بَرَاءَةِ عِكْرِمَةَ مِمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ ، لِأَنَّهُ بَالَغَ فِي النَّهْيِ عَنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَتَكْثِيرِ سَوَادِ مَنْ يُقَاتِلُهُمْ ، وَغَرَضُ عِكْرِمَةَ : أَنَّ اللهَ ذَمَّ مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُرِيدُونَ بِقُلُوبِهِمْ مُوَافَقَتَهُمْ ، قَالَ : فَكَذَلِكَ أَنْتَ لَا تُكَثِّرُ سَوَادَ هَذَا الْجَيْشِ وَإِنْ كُنْتَ لَا تُرِيدُ مُوَافَقَتَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : صِفْ لَنَا تَعَامُلَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ الكَافِرِ بَعْدَ المَوْت ؟

الجواب : روىٰ البيهقي في شُعب الإيمان (١/ ٥٠ برقم ٤٤) وغيره بسندهم عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَأْتِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهَا فَيَنْتَزِعُونَهَا وَمَعَهَا الْعَصَبُ وَالْعُرُوقُ كَمَا يُنْتَزَعُ

السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُونَهَا فَيَجْعَلُونَهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ قَالَ: وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ، لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَىٰ، وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ قَالَ: فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ قَالَ: فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي قَالَ فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي قَالَ: فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَافْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ وَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ قَالَ: فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَزِيْدُ المَلائِكَةُ أَهْلَ النَّارِ حُزْناً وَيَأْساً مِنْ رَحْمَةِ الله ؟

الجواب : نعم ... وقد جاء ذلك في العديد من آيات الكتاب العزيز ...

قال الله تعالىٰ : **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** [الزمر:٧١-٧٢] .

وقال تعالىٰ : **﴿وَقالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ﴾** [غافر:٤٩] ، **﴿قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾** [غافر:٤٩-٥٠] .

قال الله تعالى : ﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ * لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ وَلكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٧-٧٨] .

وقال تعالى : ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ * وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:٦-١١] .

﴿ الفَصْلُ الثَّامِنُ ﴾

✿✿✿ وَظِيْفَةُ المَلَائِكَةِ المتَعَلِّقَةِ بِأُمُوْرِ الآخِرَة ✿✿✿

للملائكة الكرام أعمالٌ عديدة مُتعلِّقة بأُمور الآخرة ... فهناك مَلَكٌ موكَّلٌ بالنَّفخ في الصُّور ، وهناك خَزَنَة الجنَّة ، وخَزَنَة النَّار ، وهناك مَنْ وظيفتهم سَوْق النَّاس إلىٰ المحشر ، وهناك من سيذكِّرون أهل الجنَّة بأفعالهم الحسنة التي فعلوها في الدُّنيا ، وهناك من سيُشفَّعون في العصاة فيدخلون الجنَّة ...

ومن أجل الوقوف علىٰ الثَّابت من وظائف الملائكة المتعلِّقة بأُمور الآخرة ، كانت الأسئلة التَّالية :

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُوَ المَلَك المُوَكَّلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّوْر ؟

الجواب : قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٧/ ٢٠) : " وَالْأُمَمُ مُجْمِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ" .

وقال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (١١/ ٣٦٨) : " اشْتُهِرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَقَلَ فِيهِ الْحَلِيمِيُّ الْإِجْمَاعَ وَوَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ ... " .

وقال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (١٩/ ٣٠٣-٣٠٤) : " أَوَّلُ شَيْءٍ يَطْرُقُ أَهْلَ الدُّنْيَا بَعْدَ وُقُوعِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَفْخَةُ الْفَزَعِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فَيُطَوِّلُهَا، فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا السَّمَاوَاتِ إِلَّا فَزِعَ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُّ، وَلَا يَسْمَعُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا – أَيْ رَفَعَ صَفْحَةَ عُنُقِهِ وَأَمَالَ الْأُخْرَىٰ يَسْتَمِعُ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي قَدْ هَالَ النَّاسَ وَأَزْعَجَهُمْ عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَشُغْلِهِمْ بِهَا، وَوُقُوعُ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ، قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُّ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهَّ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾** [النمل: ٨٧ – ٨٨] .

وذكر العلماء أنَّ المقصود بـ " المُنادي " في قوله تعالىٰ : **﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾** [ق:٤١] ، أنَّه إسرافيل ، وقيل غيره ، قال الإمام أبو حيَّان في "البحر المحيط في التَّفسير " (٩/ ٥٤٣) : " قِيلَ: وَالْمُنَادِي إِسْرَافِيلُ، يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَيُنَادِي. وَقِيلَ: الْمُنَادِي جِبْرِيلُ" .

قلت : ممَّا سبق تبيَّن لنا أنَّ العلماء ذكروا أنَّ الإجماع انعقد على أنَّ المَلَك المُوكَّل بالنَّفخ في الصُّور هو جبريل وهو أمر ذكر في الكثير من كُتُب أهل العلم ... مع العلم أنَّ ذلك لم يثبت البتَّة في السُّنَّة المطهَّرة الصَّحيحة، وقد جاءت تسمية من سينفخُ في الصُّور بـ : صَاحب الصُّور ، وصَاحب القَرْن ، وقد روى الحاكم في "المستدرك على الصَّحيحين" (٤/٦٠٣ برقم٨٦٧٦ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وقال الذهبي في التَّلخيص : صحيح على شرط مسلم) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُذْ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ» ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " وقال الذهبي : " صحيح على شرط مسلم " . والحديث حسَّنه الحافظ ابن حجر في " الفتح " (١١/٣٦٨) .

﴿سُؤالٌ﴾ : كَمْ مَرَّة يُنفَخُ فِي الصُّوْر ؟

الجواب : اختلف العلماء في عدد النَّفخات في الصُّور ، وقد وضَّح الحافظ ابن حجر في " الفتح " ذلك الخلاف ، ورجَّح أنَّهما نفختان فقط ...

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح" (٦/٤٤٦) : " زعم بن حَزْمٍ أَنَّ النَّفَخَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْبَعٌ : الْأُولَى نَفْخَةُ إِمَاتَةٍ يَمُوتُ فِيهَا مَنْ بَقِيَ حَيًّا فِي الْأَرْضِ ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ إِحْيَاءٍ يَقُومُ بِهَا كُلُّ مَيِّتٍ وَيُنْشَرُونَ مِنَ الْقُبُورِ وَيُجْمَعُونَ لِلْحِسَابِ ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ فَزَعٍ وَصَعْقٍ يُفِيقُونَ مِنْهَا كَالْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ لَا يَمُوتُ مِنْهَا أَحَدٌ ، وَالرَّابِعَةُ نَفْخَةُ إِفَاقَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْغَشْيِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ كَوْنِ الثِّنْتَيْنِ أَرْبَعًا لَيْسَ بِوَاضِحٍ بَلْ هُمَا نَفْخَتَانِ فَقَطْ ، وَوَقَعَ التَّغَايُرُ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِاعْتِبَارِ من يستمعها ، فَالْأول يَمُوتُ بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُغْشَى عَلَى مَنْ لَمْ يَمُتْ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ ، وَالثَّانِيَةُ يَعِيشُ بِهَا مَنْ مَاتَ وَيُفِيقُ بِهَا مَنْ غُشِيَ عَلَيْهِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وقال الحافظ في " الفتح " (١١/٣٦٩) : " رَأَيْتُ فِي كَلَام بن الْعَرَبِيِّ أَنَّهَا ثَلَاثٌ : نَفْخَةُ الْفَزَعِ كَمَا فِي النَّمْلِ ، وَنَفْخَةُ الصَّعْقِ كَمَا فِي الزُّمَرِ ، وَنَفْخَةُ الْبَعْثِ وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الزُّمَرِ أَيْضًا . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمَا نَفْخَتَانِ فَقَطْ لِثُبُوتِ الِاسْتِثْنَاءِ بقوله تَعَالَى : ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ فِي كُلٍّ مِنَ الْآيَتَيْنِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ مُغَايَرَةِ الصَّعْقِ لِلْفَزَعِ أَنْ لَا يَحْصُلَا مَعًا من النفخة الأولى . ثمَّ وجدت مُسْتَند بن الْعَرَبِيِّ فِي حَدِيثِ الصُّورِ الطَّوِيلِ فَقَالَ فِيهِ : ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ : نَفْخَةِ الْفَزَعُ ، وَنَفْخَةِ الصَّعْقِ، وَنَفْخَةِ الْقِيَام لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ هَكَذَا مُخْتَصَرًا ، وَقَدْ ذَكَرْتُ أَنَّ سَنَدَهُ ضَعِيفٌ وَمُضْطَرِبٌ ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ

عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُمَا نَفْخَتَانِ ، وَلَفْظُهُ فِي أَثْنَاءِ حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ : " ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : أُذْكُرْ لَنَا بَعْضَ الأَحَادِيْثِ الوَارِدَةِ فِي النَّفخِ فِي الصُّوْرِ ؟

الجواب : روىٰ مسلم في الصَّحيح (٤/٢٢٥٨ برقم ٢٩٤٠) بسنده عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَىٰ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا – لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ – لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ " قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ – أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ – مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ – نُعْمَانُ الشَّاكُّ – فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ " .

وروىٰ أحمد في "المسند" (١١/ ٥٣ برقم ٦٥٠٧) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الصُّورُ؟ " قَالَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ " قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أسلم –وهو العجلي البصري–، وبشر بن شغاف، روىٰ لهما أصحاب السنن عدا ابن ماجه، وهما ثقتان " .

وروى أحمد في المسند (١٧/ ٨٩ برقم ١١٠٣٩) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ " قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح" .

وروى أحمد في المسند (٣٢/ ٩١ برقم ١٩٣٤٥) بسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى السَّمْعَ مَتَى يُؤْمَرُ "، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُولُوا: " حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " قال الأرنؤوط : " حديث صحيح " .

وروى أبو الشَّيخ في " العظمة " (٣/ ٨٤٣) وأبو نعيم الأصبهاني في " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " (٤/ ٩٩) بسندهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا طَرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مُذْ وُكِّلَ بِهِ، مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : كَيفَ سَيُنفخُ النَّفخَة الثَّانِيَة إذا كَانَ إمَنْ سَيَنْفُخُ فِي الصُّوْرِ قَدْ مَات ؟

الجواب : قال الإمام ابن كثير في التَّفسير (٧/ ١١٦) عند تفسير قول الله تعالى : **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾** [الزمر:٦٨] : " هَذِهِ النَّفْخَةُ هِيَ الثَّانِيَةُ، وَهِيَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَهِيَ الَّتِي يموت بها الأحياء من أهل السموات وَالْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ كَمَا هُوَ مُصَرَّحٌ بِهِ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ. ثُمَّ يَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْبَاقِينَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ مَنْ يَمُوتُ مَلَكَ الْمَوْتِ، وَيَنْفَرِدُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا وَهُوَ الْبَاقِي آخِرًا بِالدَّيْمُومَةِ وَالْبَقَاءِ، وَيَقُولُ : **﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾** [غافر:١٦] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ يُجِيبُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ فَيَقُولُ: **﴿للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾** ، أَيِ: الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ وَقَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَحَكَمَ بِالْفَنَاءِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. ثُمَّ يُحْيِي أَوَّلَ مَنْ يُحْيِي إِسْرَافِيلَ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ أُخْرَى، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْبَعْثِ، قَالَ تَعَالَى: **﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾** ، أَيْ: أَحْيَاءٌ بَعْدَ مَا كَانُوا عِظَامًا وَرُفَاتًا، صَارُوا أَحْيَاءً يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ الْمُدَّة بَيْنَ النَفْخَتَيْنِ ؟

الجواب : ذكر الحافظ ابن حجر أنَّه جاء في بعض الرِّوايات تحديد المدَّة الزَّمنيَّة بين النَّفختين ، حيث ذكرت بعض تلك الرِّوايات أنَّ لمُدَّة بينهما أربعين سنة ، وجاء في بعضها أنَّها أربعين جُمعة ، ولكنَّها بمجموعها روايات ضعيفة لا يعوَّل عليها في هذا الباب ، ولا يصحُّ منها شيء ... لذا فالأسلم هو تفويض ذلك لمن يعلم السِّرَّ وأخفىٰ جلَّ جلاله ...

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة" (١/٤٥٢-٤٥٣) : " وقول أبي هريرة أبيت: فيه تأويلان.

الأَوَّلُ: أبيت ، أي : امتنعت من بيان ذلك وتفسيره ، وعلىٰ هذا كان عنده علم من ذلك ، أي : سمعه من النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ .

الثَّاني: أبيْتُ ، أي : أبيْتُ أن أسأل عن ذلك النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ، وعلىٰ هذا لم يكن عنده علم من ذلك. والأَوَّلُ أظهر ، وإنَّما لم يبيِّنه لأنَّه لم ترهق لذلك حاجة، ولأنَّه ليس من البيِّنات والهدىٰ الذي أمر بتبليغه، وفي البخاري عنه أنَّه قال: حفظت وعاءين من علم السَّاعة : فأمَّا أحدهما فبثثته، وأمَّا الآخر فلو بثثته لقُطع منِّي هذا البلعوم، قال أبو عبد الله: البلعوم: مجرىٰ الطَّعام، وقد جاء أنَّ بين النَّفختين أربعين عاماً، والله أعلم وسيأتي.

وذكر هنَّاد بن السَّري قال: حدَّثنا وكيع عن سفيان، عن السدِّي سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية : **﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيدِيْنَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِك﴾** [مريم:٦٤] فلم يجبني ، فسمعنا أنَّه ما بين النَّفختين، حدَّثنا وكيع عن أبي جعفر الرَّازي عن أبي العالية (وَمَا بَيْنَ ذَلِك) ، قال: ما بين النَّفختين ، والله أعلم " .

وقال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٨/٥٥٢) : " قَوْلُهُ : " أَبَيْتُ " بِمُوَحَّدَةٍ ، أَي : امْتَنَعْتُ عَنِ الْقَوْلِ بتَعْيِينِ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي فِي ذَلِكَ تَوْقِيفٌ ،وَلِابْنِ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ عَنْ الْأَعْمَشِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، فَقَالَ : أَعْيَيْتُ مِنَ الْإِعْيَاءِ وَهُوَ التَّعَبُ ، وَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَىٰ كَثْرَةِ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ تَبْيِينِ ذَلِكَ فَلَا يُجِيبُهُ . وَزَعَمَ بَعْضُ الشُّرَّاحِ أَنَّهُ وَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَا وجود لذَلِك ، نعم أخرج بن مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ الصَّلْتِ عَنِ الْأَعْمَشِ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ شَاذٌّ ، وَمن وَجه ضَعِيف عَن بن عَبَّاسٍ قَالَ : مَا بَيْنَ النَّفْخَةِ وَالنَّفْخَةِ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، ذَكَرَهُ فِي أَوَاخِرِ سُورَةِ ص ، وَكَأَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَمْ يَسْمَعْهَا إِلَّا مُجْمَلَةً ، فَلِهَذَا قَالَ لِمَنْ عَيَّنَهَا لَهُ : " أَبَيْتُ " ، وَقَدْ أَخْرَجَ بن مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

قَالَ : بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ، قَالُو : أَرْبَعُونَ مَاذَا ؟ قَالَ : هَكَذَا سَمِعت . وَقَالَ بن التِّينِ : وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ عَلِمَ ذَلِكَ لَكِنْ سَكَتَ ل سُؤَالٌ : هَلِ المَلَائِكَة دَاخِلُوْنَ فِي الْمُسْتَثْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ﴾** [الزمر:٦٨] .

الجواب : قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير " (٢٠/ ٢٥٤-٢٥٦ باختصار) : " اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي عَنَى اللهُ بِالِاسْتِثْنَاءِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنَى بِهِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمَلَكُ الْمَوْتِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ، قَالَ: ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ، **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾** ، قَالَ «جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ» .

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمُّ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيُّ، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثنا الْفَضْلُ بْنُ عِيسَى، عَنْ عَمِّهِ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾** فَقِيلَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اسْتَثْنَى اللهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ، فَإِذَا قَبَضَ أَرْوَاحَ الْخَلَائِقِ قَالَ: يَا مَلَكُ الْمَوْتِ مَنْ بَقِيَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ؛ قَالَ: يَقُولُ: سُبْحَانَكَ تَبَارَكْتَ رَبِّي ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، بَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ؛ قَالَ: يَقُولُ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ خُذْ نَفْسَ مِيكَائِيلَ؛ قَالَ: فَيَقَعُ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ مَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: سُبْحَانَكَ رَبِّي يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، بَقِيَ جِبْرِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ مُتْ، قَالَ: فَيَمُوتُ؛ قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ بَقِيَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: سُبْحَانَكَ رَبِّي يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، بَقِيَ جِبْرِيلُ، وَهُوَ مِنَ اللهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي هُوَ بِهِ؛ قَالَ: فَيَقُولُ يَا جِبْرِيلُ لَا بُدَّ مِنْ مَوْتَةٍ؛ قَالَ: فَيَقَعُ سَاجِدًا يَخْفِقُ بِجَنَاحَيْهِ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ رَبِّي تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَنْتَ الْبَاقِي وَجِبْرِيلُ الْمَيِّتُ الْفَانِي: قَالَ: وَيَأْخُذُ رُوحَهُ فِي الْحَلْقَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا، قَالَ: فَيَقَعُ عَلَى مِيكَائِيلَ أَنَّ فَضْلَ خَلْقِهِ عَلَى خَلْقِ مِيكَائِيلَ كَفَضْلِ الطَّوْدِ الْعَظِيمِ عَلَى الظَّرْبِ مِنَ الظِّرَابِ ...

وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَى بِالِاسْتِثْنَاءِ فِي الْفَزَعِ: الشُّهَدَاءَ، وَفِي الصَّعْقِ: جِبْرِيلَ، وَمَلَكَ الْمَوْتِ، وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، وَالْخَبَرُ الَّذِي جَاءَ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ لَيْهِ وَسَلَّمَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثنا الْمُحَارِبِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ الْمَدَنِيِّ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، مِنَ الْأَنْصَارِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "

يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى: نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ يَأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فَتَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ "؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَنِ اسْتَثْنَى حِينَ يَقُولُ: ﴿**فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ**﴾ قَالَ: " أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْفَزَعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ، أُولَئِكَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقَاهُمُ اللهُ فَزَعَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَمَّنَهُمْ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، فَيُصْعَقُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شِئْتَ، فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ؛ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اسْكُتْ إِنِّي كَتَبْتُ الْمَوْتَ عَلَى مَنْ كَانَ تَحْتَ عَرْشِي؛ ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ؛ فَيَقُولُ اللهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيتُ أَنَا، فَيَقُولُ اللهُ: فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، فَيَمُوتُونَ؛ وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى الْعَرْشَ فَيَقْبِضُ الصُّورَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ قَدْ مَاتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ؛ فَيَقُولُ: مَنْ بَقِيَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَبَقِيتُ أَنَا قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ: أَنْتَ مِنْ خَلْقِي خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيْتُ، فَمُتْ لَا تَحْيَى، فَيَمُوتُ " وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى بِالصِّحَّةِ، لِأَنَّ الصَّعْقَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمَوْتُ وَالشُّهَدَاءُ وَإِنْ كَانُوا عِنْدَ اللهِ أَحْيَاءً كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَإِنَّهُمْ قَدْ ذَاقُوا الْمَوْتَ قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا عَنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالِاسْتِثْنَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الِاسْتِثْنَاءَ مِنَ الَّذِينَ صَعِقُوا عِنْدَ نَفْخَةِ الصَّعْقِ، لَا مِنَ الَّذِينَ قَدْ مَاتُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ وَدَهْرٍ طَوِيلٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، وَذَاقَ الْمَوْتَ قَبْلَ وَقْتِ نَفْخَةِ الصَّعْقِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، فَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ مِمَّنْ لَا يُصْعَقُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِذَا كَانَ الْمَيِّتُ لَا يُجَدَّدُ لَهُ مَوْتٌ آخَرُ فِي تِلْكَ الْحَالِ " .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (١/ ٤٥٤-٤٦٢ باختصار) : " واختلف العلماء في المستثنى: من هو؟ فقيل المَلَائِكَة ، وقيل الأنبياء، وقيل الشُّهداء واختاره الحليمي ، قال: وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنَّ الاستثناء لأجل الشُّهداء ، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿**أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُوْن**﴾ ، وضعَّفَ غيرُه من الأقوال على ما يأتي .

وقال شيخنا أبو العبَّاس: والصَّحيح أنَّه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، والكلُّ محتمل.

قلت: قد ورد حديث أبي هريرة بأنَّهم الشُّهداء وهو الصَّحيح علىٰ ما يأتي.

وأسند النحَّاس في كتاب " معاني القرآن " له حدَّثنا الحسين بن عمر الكوفي قال: حدثنا هنَّاد بن السَّري قال: حدَّثنا وكيع، عن شعبة عمارة ابن أبي حفصة، عن حجر الهجري، عن سعيد بن جبير في قول الله عزَّ وجلَّ ﴿**إِلَّا مَنْ شَاءَ الله**﴾ ، قال: هم الشُّهداء هم ثنية الله عز وجل متقلدو السُّيوف حول العرش.

وقال الحسن: استثنىٰ طوائف من المَلَائِكَة يموتون بين النَّفختين.

قال يحيىٰ بن سلام في تفسيره: بلغني أنَّ آخر من يبقىٰ منهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل ثمَّ يقول الله عزَّ وجلَّ لملك الموت: مُتْ ، فيموت ، وقد جاء هذا مرفوعاً في حديث أبي هريرة الطَّويل علىٰ ما يأتي ، وقيل: هم حملة العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت.

قال الحليمي: من زعم أنَّ الاستثناء لأجل حملة العرش أو جبريل وميكائيل وملك الموت أو زعم أنَّه لأجل الولدان والحور العين في الجنَّة أو زعم أنَّه لأجل موسىٰ فإنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أنا أوَّل من تنشقُّ عنه الأرض فأرفع رأسي فإذا موسىٰ متعلِّق بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو كان ممَّن استثنىٰ الله عزَّ وجلَّ» ؟ فإنَّه لم يصح شيء منها.

أمَّا الأوَّل: فإنَّ حملة العرش ليسوا من سكَّان السَّموات والأرض ، لأنَّ العرش فوق السَّموات كلّها، فكيف يكون حملته في السَّموات؟ وأمَّا جبريل وميكائيل وملك الموت فمن الصَّافِّين المسبِّحين حول العرش ، وإذا كان العرش فوق السَّموات لم يكن الاصطفاف حوله في السَّموات ، وكذلك القول الثَّاني ، لأنَّ الولدان والحور في الجنَّة ، والجنَّان وإن كان بعضها أرفع من بعض وأنَّ جميعها فوق السَّموات ودون العرش، وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شكَّ أنَّها بمعزل عمَّا خلق الله تعالىٰ للفناء ...

قال الحليمي: وأمَّا المَلَائِكَة الذين ذكرناهم صلوات الله عليهم فإنَّا لم ننف عنهم الموت ، ولا أحلناه، وإنَّما أبينا أن يكونوا هم المرادين بالاستثناء من الوجه الذين ذكرناه، ثمَّ قد وردت الأخبار بأنَّ الله تعالىٰ يُميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ، ثم يُميت آخر من يُميت: جبريل ويحييه مكانه ويحيي هؤلاء المَلَائِكَة الذي ذكرناهم ، وأمَّا أهل الجنّة فلم يأت عنهم خبر والأظهر أنَّها دار الخلد فالذي يدخلها لا يموت فيها أبداً مع كونه قابلاً للموت، والذي خُلِقَ فيها أولىٰ ألا يموت فيها أبداً ، وأيضاً فإنَّ الموت لقهر المكلَّفين ،

ونقلهم من دار إلىٰ دار، وأهل الجنَّة لم يبلغنا أنَّ عليهم تكليفاً، فإن أعفوا عن الموت كما أعفوا عن التَّكليف لم يكن بعيداً ، فإن قيل: فقد قال الله تعالىٰ : ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه**﴾ ، وهو يدلُّ علىٰ أنَّ الجنَّة نفسها تفنىٰ ثمَّ تعاد ليوم الجزاء، فما أنكرتم أن يكون الولدان والحور يُماتون ثمَّ يحيون؟ قيل: يحتمل معنىٰ قوله: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه**﴾ : ما من شيء إلَّا وهو قابل للهلاك فيهلك إن أراد الله به ذلك إلَّا وجهه ، أي : إلَّا هو سبحانه، فإنَّه تعالىٰ قديم والقديم لا يمكن أن يفنىٰ وما عداه محدث، والمحدث إنَّما يبقىٰ قدر ما يبقيه مُحدِثه فإذا حبس البقاء عنه فني ، ولم يبلغنا في خبر صحيح ولا معلول أنَّه يهلك العرش فلتكن الجنة مثله" .يُخْبِرَهُمْ فِي وَقْتٍ أَوِ اشْتَغَلَ عَنِ الْإِعْلَام حِينَئِذٍ وَوَقَــعَ فِي جَامع بن وَهْبٍ أَرْبَعِينَ جُمُعَةً وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ " .

﴿سُؤال﴾ : مَاذَا عَنْ خَزَنَةِ الجَنَّة ؟

الجواب : الخزنة جمع خازن ، وهم المؤتمنون علىٰ الجنَّة والحافظون لها والقائمون عليها ...

ومن المعلوم أنَّ للجنَّة أبواب وعددها ثمانية ... فقد روىٰ البخاري بسنده عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّىٰ الرَّيَّانَ، لاَ يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ» أخرجه البخاري (٤/ ١١٩ برقم ٣٢٥٧) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» أخرجه البخاري (٣/ ٢٥ برقم ١٨٩٧) ، ...

ويُشرف علىٰ تلك الأبواب خزنة الجنَّة من المَلاَئِكَة ، الذين يفتحون الأبواب لأهل الجنَّة ويستقبلونهم ويُرحِّبون بهم ، ويفرحون بهم ، قال تعالىٰ : ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ [الزمر:٧٣] ، وأوَّل من يُفتح له بابُ الجنَّة ليدخلها هو الحبيب المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ " أخرجه مسلم (١/ ١٨٨ برقم ١٩٧) .

وَأخرج الحاكمُ في " المستدرك " (٢/ ٨٠ برقم ٢٣٨٩) وغيره بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي؟» قَالَ: اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ: " الْمُهَاجِرُونَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ وَيَسْتَفْتِحُونَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ، أَوَ قَدْ حُوسِبْتُمْ، فَيَقُولُونَ بِأَيِّ شَيْءٍ نُحَاسَبُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَسْيَافُنَا عَلَىٰ عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ اللهَّ، حَتَّى مِتْنَا عَلَىٰ ذَلِكَ، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيَقِيلُونَ فِيهِ أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا النَّاسُ «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذَّهبي في التَّلخيص .

﴿سُؤال﴾ : هَلْ ثَبَتَ أَنَّ اسْمَ خَازِن الجَنَّة هُوَ رِضْوَان ؟

الجواب : الحقُّ في هذه المسألة أنَّه لم يثبت في حديث صحيح أنَّ اسم خازن الجنَّة هو رضوان ، مع أنَّ هذا الاسم مشهور علىٰ الألسنة ، وكذا في العديد من الكتب التي تكلَّمت عن الجنَّة ونعيمها ... وقد ورد في جملة من الأحاديث الضَّعيفة ، من ذلك :

روىٰ الشِّهاب القُضاعي في " مسند الشِّهاب " (٢/ ١٣٠ برقم ١٠٣٦) ، والشَّجري في " ترتيب الأمالي الخميسيَّة " (١/ ١٣١) في حديث طويل جاء فيه : " ... وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَ يس وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لَمْ يَقْبِضْ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ حَتَّىٰ يَجِيئَهُ رِضْوَانُ خَازِنُ الْجَنَّةِ بِشَرْبَةٍ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ فَيَشْرَبُهَا، وَهُوَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَيَقْبِضُ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ وَهُوَ رَيَّانُ ... " والحديث ضعيف ... انظر : " أحاديث ومرويَّات في الميزان " (١/ ٣٤) ، " كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة النَّاس " (٢/ ٣٨٩) .

وحديث : " إذا كان أوَّل يوم من شهر رمضان ، نادىٰ الجليل – جلَّ جلاله – رضوان خازن الجنَّة فيقول : لبَّيك ، وسعديك فيقول : نجِّد جنَّتي ، وزيِّنها للصَّائمين من أمَّة محمَّد ... " ضعيف ... انظر : ذخيرة الحفَّاظ (١/ ٣٥٠) ، المجروحين من المحدِّثين والضُّعفاء والمتروكين (١/ ١٨٣) ، الكامل في ضعفاء الرِّجال للجرجاني (٢/ ٩٩) ، ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال (١/ ٢٧٣) ، لسان الميزان (٢/ ٢١٠) .

فكون خازن الجنَّة اسمه رضوان لم يثبت أبداً في أي حديث صحيح وإن كان العديد من العلماء نصُّوا عليه في كُتُبهم ، قال الحافظ ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (١/ ٥٠) : " ... وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْجِنَانِ وَإِعْدَادِ

الْكَرَامَةِ لِأَهْلِهَا وَتَهْيِئَةِ الضِّيَافَةِ لِسَاكِنِيهَا مِنْ مَلَابِسَ وَمَصَاغٍ وَمَسَاكِنَ وَمَآكِلَ وَمَشَارِبَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَخَازِنُ الْجَنَّةِ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ رِضْوَانُ جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ " .

مع أنَّ الأحاديث الصَّحيحة وصفته بخازن الجنَّة ... فقد روى مسلم في صحيحيه (١/ ١٨٨ برقم ١٩٧) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ خَزَنَةِ النَّار ؟

الجواب : خزنة النَّار هم القائمون عليها وعلى أهلها ، قال تعالى : **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** [الزمر:٧١-٧٢] ، وقال تعالى : **﴿وَقالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ * قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾**[غافر:٤٩-٥٠] ، وقال تعالى : **﴿تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ * وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ﴾** [الملك:٨-١١] ، وهم الزَّبانية ...

وقد جاء في وصفهم آيات عديدة ، منها : قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم:٦] ، قال الإمام الطَّبري في التَّفسير (٢٣/ ١٠٥) : " وَقَوْلُهُ: **﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾** [التحريم: ٦] يَقُولُ: عَلَى هَذِهِ النَّارِ مَلَائِكَةٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهَّ، غِلَاظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، شِدَادٌ عَلَيْهِـمْ **﴿لَا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ﴾** [التحريم: ٦] يَقُولُ: لَا يُخَالِفُونَ اللهَّ فِي أَمْرِهِ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ **﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [النحل: ٥٠] يَقُولُ: وَيَنْتَهُونَ إِلَى مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ " .

ورؤساء ونقباء خزنة النَّار عددهم تسعة عشر مَلَكاً ، وهم المُشار إليهم في قوله تعالىٰ : **﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾** ، وروىٰ التِّرمذيُّ في السُّنن (٥/ ٢٨٦ برقم ٣٣٢٧) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ نَاسٌ مِنَ اليَهُودِ لأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ يَعْلَمُ نَبِيُّكُمْ كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالُوا: لاَ نَدْرِي حَتَّىٰ نَسْأَلَهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، غُلِبَ أَصْحَابُكَ اليَوْمَ. قَالَ: وَبِمَ غُلِبُوا؟ قَالَ: سَأَلَهُمْ يَهُودُ: هَلْ يَعْلَمُ نَبِيُّكُمْ كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: فَمَا قَالُوا؟ قَالَ: قَالُوا: لاَ نَدْرِي حَتَّىٰ نَسْأَلَ نَبِيَّنَا. قَالَ: أَفَغُلِبَ قَوْمٌ سُئِلُوا عَمَّا لاَ يَعْلَمُونَ؟ فَقَالُوا: لاَ نَعْلَمُ حَتَّىٰ نَسْأَلَ نَبِيَّنَا، لَكِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ، فَقَالُوا: أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً، عَلَيَّ بِأَعْدَاءِ اللهِ، إِنِّي سَائِلُهُمْ عَنْ تُرْبَةِ الجَنَّةِ وَهِيَ الدَّرْمَكُ، فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا فِي مَرَّةٍ عَشَرَةٌ، وَفِي مَرَّةٍ تِسْعَةٌ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تُرْبَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: فَسَكَتُوا هُنَيْهَةً، ثُمَّ قَالُوا: خُبْزَةٌ يَا أَبَا القَاسِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الخُبْزُ مِنَ الدَّرْمَكِ " . قال التِّرمذيُّ : هَذَا حَدِيثٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ مُجَالِدٍ . قلت : الدَّرمك هو : هُوَ الدَّقِيقُ الْمُحَوَّرُ . انظر : لسان العرب (١٠/ ٩٦) ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١١٤) .

قال الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢٩/ ٣١٢-٣١٣) : " وَقَوْلُهُ: **﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾** خَبَرٌ رَابِعٌ عَنْ سَقَرُ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾** .

وَمَعْنَىٰ عَلَيْهَا عَلَىٰ حِرَاسَتِهَا، فَـ (عَلَىٰ) لِلِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ بِتَشْبِيهِ التَّصَرُّفِ وَالْوِلَايَةِ بِالِاسْتِعْلَاءِ كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ عَلَىٰ الشُّرْطَةِ، أَوْ عَلَىٰ بَيْتِ الْمَالِ، أَيْ يَلِي ذَلِكَ وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ خَزَنَةَ سَقَرَ تِسْعَةَ عَشَرَ مَلَكًا.

وَقَالَ جَمْعٌ: إِنَّ عَدَدَ تِسْعَةَ عَشَرَ: هُمْ نُقَبَاءُ الْمَلَائِكَة الْمُوَكَّلِينَ بِجَهَنَّمَ.

وَقِيلَ: تِسْعَةَ عَشَرَ صِنْفًا مِنَ الْمَلَائِكَة وَقِيلَ تِسْعَةَ عَشَرَ صَفًّا. وَفِي «تَفْسِيرِ الْفَخْرِ» :

ذَكَرَ أَرْبَابُ الْمَعَانِي فِي تَقْدِيرِ هَذَا الْعَدَدِ وُجُوهًا: أَحَدُهَا قَوْلُ أَهْلِ الْحِكْمَةِ: إِنَّ سَبَبَ فَسَادِ النَّفْسِ هُوَ الْقُوَىٰ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ أَمَّا الْحَيَوَانِيَّةُ فَهِيَ الْخَمْسُ الظَّاهِرَةُ وَالْخَمْسُ الْبَاطِنَةُ، وَالشَّهْوَةُ وَالْغَضَبُ، فَمَجْمُوعُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ. وَأَمَّا الْقُوَىٰ الطَّبِيعِيَّةُ فَهِيَ: الْجَاذِبَةُ، وَالْمَاسِكَةُ، وَالْهَاضِمَةُ، وَالدَّافِعَةُ، وَالْغَاذِيَةُ، وَالنَّامِيَةُ، وَالْمُوَلِّدَةُ، فَهَذِهِ سَبْعَةٌ، فَتِلْكَ تِسْعَ عَشْرَةَ. فَلَمَّا كَانَ مَنْشَأُ الْآفَاتِ هُوَ هَذِهِ التِسْعَ عَشْرَةَ كَانَ عَدَدُ الزَّبَانِيَةِ كَذَلِكَ اهـ.

وَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ المَلَائِكَة التِسْعَةَ عَشَرَ مُوَزَّعُونَ عَلَىٰ دَرَكَاتِ سَقَرَ أَوْ جَهَنَّمَ لِكُلِّ دَرْكٍ مَلَكٌ فَلَعَلَّ هَذِهِ الدَّرَكَاتِ مُعَيَّنٌ كُلُّ دَرْكٍ مِنْهَا لِأَهْلِ شُعْبَةٍ مِنْ شُعَبِ الْكُفْرِ، وَمِنْهَا الدَّرْكُ الْأَسْفَلُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النِّسَاءِ :١٤٥] فَإِنَّ الْكُفْرَ أَصْنَافٌ مِنْهَا إِنْكَارُ وُجُودِ اللهِ، وَمِنْهَا الْوَثَنِيَّةُ، وَمِنْهَا الشِّرْكُ بِتَعَدُّدِ الْإِلَهِ، وَمِنْهَا عِبَادَةُ الْكَوَاكِبِ، وَمِنْهَا عبادَة الشَّيْطَان وَالْجِنِّ، وَمِنْهَا عِبَادَةُ الْحَيَوَانِ، وَمِنْهَا إِنْكَارُ رِسَالَةِ الرُّسُلِ، وَمِنْهَا الْمَجُوسِيَّةُ الْمَانَوِيَّةُ وَالْمَزْدَكِيَّةُ وَالزَّنْدَقَةُ، وَعِبَادَةُ الْبَشَرِ مِثْلَ الْمُلُوكِ، وَالْإِبَاحِيَّةُ وَلَوْ مَعَ إِثْبَاتِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ.

وَفِي ذِكْرِ هَذَا الْعَدَدِ تَحَدٍّ لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ يَبْعَثُهُمْ عَلَىٰ تَصْدِيقِ الْقُرْآنِ إِذْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ بِهِ عُلَمَاؤُهُمْ " .

واسم كبير الخَزَنة هو " مَالِك " ، قال تعالىٰ : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٧-٧٨] ، وروىٰ مسلم في الصَّحيح (١/ ١٥١ برقم ١٦٥) بسنده عَن ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطَ الرَّأْسِ»، وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ ... " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ سَوْقِ المَلَائِكَةِ النَّاسَ إِلَى المَحْشَرِ ؟

الجواب : قال الله تعالىٰ : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيْد﴾ [ق: ٢١] ، قال الإمام البغوي في " التَّفسير " (٤/ ٢٧٣) : " وَجاءَتْ، ذَلِكَ الْيَوْمَ، كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ، يَسُوقُهَا إِلَىٰ الْمَحْشَرِ، وَشَهِيدٌ، يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ، وهو عمله، قَالَ الضَّحَّاكُ: السَّائِقُ مِنَ المَلَائِكَة والشاهد من أنفسهم الأيد والأرجل، وهي رواية الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْآخَرُونَ: هُمَا جَمِيعًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُذكِّرُ المَلَائِكَةُ أَهْلَ الخَيْرِ بِأَفْعَالِهِم التِي فَعَلُوْهَا فِي الدُّنْيَا ؟

الجواب : روىٰ مسلم (٣/ ١١٩٤ برقم ١٥٦٠) بسنده عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، أَنَّ حُذَيْفَةَ، حَدَّثَهُمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَلَقَّتِ المَلَائِكَة رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٠/ ٢٢٤) : " قَوْلُهُ : " كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ " ، قَالَ اللهُ تَجَوَّزُوا عَنْهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : كُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : كُنْتُ أُنْظِرُ الْمُعْسِرَ وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ أَوْ فِي النَّقْدِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَىٰ الْمُوسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ . فَقَوْلُهُ : " فِتْيَانِي " مَعْنَاهُ : غِلْمَانِي ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ ، وَالتَّجَاوُزُ وَالتَّجَوُّزُ مَعْنَاهُمَا : الْمُسَامَحَةُ فِي الِاقْتِضَاءِ وَالِاسْتِيفَاءِ وَقَبُولِ مَا فِيهِ نَقْصٌ يَسِيرٌ كَمَا قَالَ وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ ، وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَضْلُ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ وَالْوَضْعِ عَنْهُ إِمَّا كُلَّ الدِّين وَإِمَّا بَعْضُهُ مِنْ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ وَفَضْلُ الْمُسَامَحَةِ فِي الِاقْتِضَاءِ وَفِي الِاسْتِيفَاءِ سَوَاءٌ اسْتُوْفِيَ مِنْ مُوسِرٍ أَوْ مُعْسِرٍ وَفَضْلُ الْوَضْعِ من الدِّين وأنَّه لا يحتقر شيء مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ فَلَعَلَّهُ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَالرَّحْمَةِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ وَرَدَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ العِلْمِ قالُوا بِأَنَّ أَهْلَ الأَعْرَافِ هُمْ مِنَ المَلَائِكَة ؟

الجواب : نعم ، ذكر بعضُ أهل العلم أنَّ أهل الأعراف أنَّهم من المَلَائِكَة وليسوا من بني آدم . قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٧/ ٢١٢) : " وَقِيلَ: هُمْ مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بِهَذَا السُّورِ، يُمَيِّزُونَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ إِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، ذَكَرَهُ أَبُو مِجْلَزٍ. فَقِيلَ لَهُ: لَا يُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ رِجَالٌ؟ فَقَالَ: إِنَّهُمْ ذُكُورٌ وَلَيْسُوا بِإِنَاثٍ، فَلَا يَبْعُدُ إِيقَاعُ لَفْظِ الرِّجَالِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أُوقِعَ عَلَىٰ الْجِنِّ فِي قَوْلِهِ: **﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾** [الجن:٦] ، فَهَؤُلَاءِ المَلَائِكَة يَعْرِفُونَ المؤمنين بعلاماتهم والكفار بعلاماتهم، فيبشرون المؤمنين فبدخولهم الْجَنَّةَ وَهُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا بَعْدُ فَيَطْمَعُونَ فِيهَا. وَإِذَا رَأَوْا أَهْلَ النَّارِ دَعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ " .

وقال الإمام الألوسي في " روح المعاني " (٤/ ٣٦٣) : " وعن أبي مسلم : أنَّهم ملائكة ويُرون في صورة الرِّجال لا أنَّهم رجال حقيقة ، لأنَّ المَلَائِكَة لا يُوصفون بذكورة ولا أُنوثة " .

وقد أورد الإمام الطَّبري في " التَّفسير " (١٠/ ٢١٩ فما بعدها) العديد من الرِّوايات في ذلك ، منها :

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ثنا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَوْلُهُ: **﴿وَبَيْنَهُما حِجابٌ وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ﴾** [الأعراف: ٤٦] ، قَالَ: " هُمْ رِجَالٌ مِنَ المَلَائِكَة يَعْرِفُونَ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ. قَالَ: **﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾** [الأعراف: ٤٦] إِلَىٰ قَوْلِهِ: **﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [الأعراف: ٤٧] ، قَالَ: فَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا فِي النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ: **﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ**

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩] ، قَالَ: فَهَذَا حِينَ دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩] .

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا الْمُعْتَمِرُ، قَالَ: سَمِعْتُ عِمْرَانَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي مِجْلَزٍ: يَقُولُ اللهُ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] ، وَتَزْعُمُ أَنْتَ أَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ؟ قَالَ: فَقَالَ: «إِنَّهُمْ ذُكُورٌ وَلَيْسُوا بِإِنَاثٍ» .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: ثنا جَرِيرٌ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] ، قَالَ: «رِجَالٌ مِنَ الْمَلَائِكَة يَعْرِفُونَ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا بِسِيمَاهُمْ، أَهْلَ النَّارِ وَأَهْلَ الْجَنَّةِ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ» حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، بِنَحْوِهِ .

وَقَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَمَانٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ الْمَلَائِكَةُ»

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا يَعْلَى بْنُ أَسَدٍ، قَالَ: ثنا خَالِدٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] ، قَالَ: «هُمُ الْمَلَائِكَةُ».

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ قَالَ: ثنا أَبِي، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُدَيْرٍ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] ، قَالَ: " هُمُ الْمَلَائِكَةُ. قُلْتُ: يَا أَبَا مِجْلَزٍ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجَالٌ، وَأَنْتَ تَقُولُ مَلَائِكَةٌ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ذُكْرَانٌ لَيْسُوا بِإِنَاثٍ " .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى قَالَ: ثنا الْحَجَّاجُ قَالَ: ثنا حَمَّادٌ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُدَيْرٍ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] ، قَالَ: " الْمَلَائِكَةُ، قَالَ: قُلْتُ: يَقُولُ اللهُ رِجَالٌ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَة ذُكُورٌ " .

والحقّ أنّ القول بأنّ أهل الأعراف ملائكة ، باطل من القول ، لأنّ نصّ الآية صريح في كونهم رجال ، قال تعالى : ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف:٤٦] ، والرَّجل مختصٌّ بالذّكر من النَّاس ، ويُقال للمرأة المتشبِّهة بالرَّجل : رَجُلَة .

ثم إنَّ المَلَائِكَة لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، ولذلك نعى الله تعالى على المشركين الذين كانوا يزعمون أنَّ المَلَائِكَة إناثاً ، قال تعالى : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١٤٩ – ١٥٦] .

وقال سبحانه في آية أخرىٰ : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩] .

فالملائكة لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، وبالتالي فهم لا يتناكحون ، ولا يتزاوجون ، ولا يتناسلون ، فهم ليسوا بحاجة إلىٰ وصفهم بالذكورة ولا بالأنوثة .

ثمَّ إنَّ الرِّوايات التي ساقها الطَّبري كلُّها تنسب الكلام لأبي مجلز ، واسمه لاحق بن حميد ، وقد ضعَّفه يحيىٰ بن معين ، فقال : مضطرب الحديث . انظر : الكامل في الضُّعفاء (٤/ ٣٧٢، ترجمة رقم ١٩٨٢) .

ومع أنَّ الجمهور علىٰ توثيقه ، إلَّا أنَّ كلامه هنا لا دليل ولا برهان عليه ، ولا يُعرف له وجه ، وهو كما رأينا مخالف لما هو مقرَّر في عقيدتنا بالملائكة : أنَّهم لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، وبالتَّالي فهم لا يتناكحون ولا يتناسلون ...

ولذلك رأينا الإمام ابن كثير يعلِّق في " التَّفسير " (٣/ ٤٢١) علىٰ الرِّواية الأولىٰ التي ساقها الطَّبري ، وينبِّه إلىٰ غرابتها فيقول : " وَهَذَا صَحِيحٌ إِلَىٰ أَبِي مِجْلَزٍ لَاحِقِ بْنِ حُمَيْدٍ أَحَدِ التَّابِعِينَ، وَهُوَ غَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ وَخِلَافُ الظَّاهِرِ مِنَ السِّيَاقِ: وَقَوْلُ الْجُمْهُورِ مُقَدَّمٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ، بِدَلَالَةِ الْآيَةِ عَلَىٰ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ " .

وعلق الإمام الطَّبري (١٠/ ٢٢١) علىٰ الرِّوايات التي ساقها عن أبي مجلز ، فقال : " قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ: هُمْ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ بِسِيمَاهُمْ، وَلَا خَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِحُّ سَنَدُهُ وَلَا أَنَّهُ مُتَّفَقٌ عَلَىٰ تَأْوِيلِهَا، وَلَا إِجْمَاعٌ مِنَ الْأُمَّةِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ قِيَاسًا، وَكَانَ الْمُتَعَارَفُ بَيْنَ أَهْلِ لِسَانِ الْعَرَبِ أَنَّ الرِّجَالَ اسْمٌ يَجْمَعُ ذُكُورَ بَنِي آدَمَ دُونَ إِنَاثِهِمْ وَدُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ غَيْرِهِمْ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ مَا قَالَهُ أَبُو مِجْلَزٍ مِنْ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ قَوْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ، وَأَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ سَائِرُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ غَيْرَهُ " .

وذكر الطَّبرانيُّ في تفسيره (٣/ ١٤٣) أنَّ مجاهداً بلغه مقالة أبي مجلز ، فقال : كذبَ أبو مجلز ، يقول الله تعالىٰ : ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف:٤٦] فبلغ ذلك أبا مجلز ، فقال : هم المَلَائِكَة ، والملائكة ذكور وليسوا بإناث ، صورهم صور الرِّجال " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ لِلْمَلَائِكَةِ شَفَاعَةٌ ؟

الجواب : نعم المَلائِكَة يشفعون ، دلَّ علىٰ ذلك آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من ذلك : قوله تعالىٰ : **﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾** [الأنبياء:٢٦-٢٨] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١١/ ٢٨١) : " **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى﴾** ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمْ أَهْلُ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُمْ كُلُّ مَنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَالْمَلائِكَةُ يَشْفَعُونَ غَدًا فِي الْآخِرَةِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، وَفِي الدُّنْيَا أَيْضًا، فَإِنَّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِمَنْ فِي الْأَرْضِ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ التَّنْزِيلُ " .

قلت : واستغفار المَلائِكَة للمؤمنين ثابت في القرآن العظيم ، قال تعالىٰ : **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [غافر:٧-٩] . والآية نصٌّ محكم واضح في التَّدليل علىٰ دعاء المَلائِكَة واستغفارهم واستشفاعهم للمؤمنين ولأولادهم وزوجاتهم أن يدخلهم الله الجنَّة ... قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢٤/ ٨٩-٩٠) عند تفسيره للآية : " وَخَصَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ طَائِفَةً مِنَ الْمَلَائِكَة مَوْصُوفَةً بِأَوْصَافٍ تَقْتَضِي رِفْعَةَ شَأْنِهِمْ تَدَرُّعًا مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ التَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الشَّرِيفَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِلَّا فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَسْنَدَ مِثْلَ هَذَا الِاسْتِغْفَارِ لِعُمُومِ الْمَلَائِكَة فِي قَوْلِهِ فِي سُورَةِ الشُّورَىٰ : **﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾** ، أَيْ : مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ فِيهَا بَعْدَهُ: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾** [الشورىٰ: ٦] .

وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ هُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِرَفْعِ الْعَرْشِ الْمُحِيطِ بِالسَّمَاوَاتِ وَهُوَ أَعْظَمُ السَّمَاوَاتِ، وَلِذَلِكَ أُضِيفَ إِلَىٰ اللهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٧] .

ومَنْ حَوْلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَة تَحُفُّ بِالْعَرْشِ تَحْقِيقًا لِعَظَمَتِهِ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَتَرَى الْمَلائِكَة حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾** [الزمر: ٧٥] ، وَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ الْخَوْضِ فِي عَدَدِهِمْ **﴿وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾** [المدثر: ٣١] .

وَالْإِخْبَارُ عَنْ صِنْفَي الْمَلَائِكَة بِأَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ تَوْطِئَةٌ وَتَمْهِيدٌ لِلْإِخْبَارِ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينِ آمَنُوا فَذَلِكَ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْخَبَرِ، فَقَدَّمَ لَهُ مَا فِيهِ تَحْقِيقُ اسْتِجَابَةِ اسْتِغْفَارِهِمْ لِصُدُورِهِ مِمَّنْ دَأْبُهُمُ التَّسْبِيحُ وَصِفَتُهُمُ الْإِيمَانُ.

وَصِيغَةُ الْمُضَارِعِ فِي **﴿يُسَبِّحُونَ﴾** و **﴿يُؤْمِنُونَ﴾** و **﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾** مُفِيدَةٌ لِتَجَدُّدِ ذَلِكَ وَتَكَرُّرِهِ، وَذَلِكَ مُشْعِرٌ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ الْمُلَائِمُ لِقَوْلِهِ: **﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا﴾** ، وَقَوْلِهِ: **﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾** [غَافِر: ٨] ، وَقَوْلِهِ: **﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ﴾** [غَافِر: ٩] إِلَخْ وَقَدْ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾** [الشورىٰ: ٥] ، أَيْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا تَقَدَّمَ" .

وقال الإمام الرَّزي في : " التَّفسير " (٢٧/٤٨٩- ٤٩٠) : " احْتَجَّ الْكَعْبِيُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ تَأْثِيرَ الشَّفَاعَةِ فِي حُصُولِ زِيَادَةِ الثَّوَابِ لِلْمُؤْمِنِينَ لَا فِي إِسْقَاطِ الْعِقَابِ عَنِ الْمُذْنِبِينَ، قَالَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلَائِكَة قَالُوا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ قَالَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا مِنَ الْكُفْرِ سَوَاءٌ كَانَ مُصِرًّا عَلَىٰ الْفِسْقِ أَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، لِأَنَّ مَنْ هَذَا حَالُهُ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ مُتَّبِعًا سَبِيلَ رَبِّهِ وَلَا يُطْلَقُ ذَلِكَ فِيهِ، وَأَيْضًا إِنَّ الْمَلَائِكَة يَقُولُونَ وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَهَذَا لَا يَلِيقُ بِالْفَاسِقِينَ، لِأَنَّ خُصُومَنَا لَا يَقْطَعُونَ عَلَىٰ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ وَعَدَهُمُ الْجَنَّةَ وَإِنَّمَا يُجَوِّزُونَ ذَلِكَ، فَثَبَتَ أَنَّ شَفَاعَةَ الْمَلَائِكَة لا يتناول إِلَّا أَهْلَ الطَّاعَةِ، فَوَجَبَ أَنْ تَكُونَ شَفَاعَةُ الْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ، ضَرُورَةَ أَنَّهُ لَا قَائِلَ بِالْفَرْقِ وَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ حصول الشفاعة من المَلائِكَة المذنبين، فَنُبَيِّنُ هَذَا ثُمَّ نُجِيبُ عَمَّا ذَكَرَهُ الْكَعْبِيُّ، أَمَّا بَيَانُ دَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ مَا قُلْنَاهُ فَمِنْ وُجُوهٍ :

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ : **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِين آمَنُوا﴾** ، وَالِاسْتِغْفَارُ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ، وَالْمَغْفِرَةُ لَا تُذْكَرُ إِلَّا فِي إِسْقَاطِ الْعِقَابِ. أَمَّا طَلَبُ النَّفْعِ الزَّائِدِ فَإِنَّهُ لَا يُسَمَّىٰ اسْتِغْفَارًا .

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِكُلِّ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَإِذَا دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ وَجَبَ دُخُولُهُ تَحْتَ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ .

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا﴾** طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ لِلَّذِينِ تَابُوا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِسْقَاطَ عُقُوبَةِ الْكَبِيرَةِ بَعْدَ التَّوْبَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَىٰ اللهَّ عِنْدَ الْخَصْمِ، وَمَا كَانَ فِعْلُهُ وَاجِبًا كَانَ طَلَبُهُ بِالدُّعَاءِ قَبِيحًا، وَلَا يَجُوزُ أَيْضَاً أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِسْقَاطَ عُقُوبَةِ الصَّغَائِرِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا وَاجِبٌ فَلَا يَحْسُنُ طَلَبُهُ

بِالدُّعَاءِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ طَلَبَ زِيَادَةِ مَنْفَعَةٍ عَلَى الثَّوَابِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُسَمَّى مَغْفِرَةً، فَثَبَتَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَمْلُ قَوْلِهِ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا إِلَّا عَلَى إِسْقَاطِ عِقَابِ الْكَبِيرَةِ قَبْلَ التَّوْبَةِ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ فَكَذَلِكَ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ لِانْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ، أَمَّا الَّذِي يَتَمَسَّكُ بِهِ الْكَعْبِيُّ وَهُوَ أَنَّهُمْ طَلَبُوا الْمَغْفِرَةَ لِلَّذِينِ تَابُوا، فَنَقُولُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الَّذِينَ تَابُوا عَنِ الْكُفْرِ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَ الْإِيمَانِ، وَقَوْلُهُ إِنَّ التَّائِبَ عَنِ الْكُفْرِ الْمُصِرِّ عَلَى الْفِسْقِ لَا يُسَمَّى تَائِبًا وَلَا مُتَّبِعًا سَبِيلَ اللَّهِ، قُلْنَا لَا نُسَلِّمُ قَوْلَهُ، بَلْ يُقَالُ إِنَّهُ تَائِبٌ عَنِ الْكُفْرِ وَتَابِعٌ سَبِيلَ اللَّهِ فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ تَائِبٌ عَنِ الْكُفْرِ ثَبَتَ أَنَّهُ تَائِبٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَكْفِي فِي صِدْقِ وَصْفِهِ بِكَوْنِهِ ضَارِبًا وَضَاحِكًا صُدُورُ الضَّرْبِ وَالضَّحِكِ عَنْهُ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى صُدُورِ كُلِّ أَنْوَاعِ الضَّرْبِ وَالضَّحِكِ عَنْهُ فَكَذَا هَاهُنَا .

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ: إِنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ الصَّادِرَةَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ فِي حَقِّ الْبَشَرِ تَجْرِي مجرى اعتذار عن ذلة سَبَقَتْ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا فِي أَوَّلِ تَخْلِيقِ الْبَشَرِ **﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ﴾** [الْبَقَرَةِ: ٣٠] فَلَمَّا سَبَقَ مِنْهُمْ هَذَا الْكَلَامُ تَدَارَكُوا فِي آخِرِ الْأَمْرِ بِأَنْ قَالُوا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ ، وَهَذَا كَالتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ مَنْ آذَى غَيْرَهُ، فَالْأَوْلَى أَنْ يَجْبُرَ ذَلِكَ الْإِيذَاءَ بِإِيصَالِ نَفْعٍ عَلَيْهِ" .

ومن الآيات التي دلَّت على إثبات شَّفاعة المائكة للمؤمنين : قوله تعالى : **﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى﴾** [النَّجم:٢٦] .

وروى مسلم (١/ ١٦٧ برقم ١٨٣) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ... وفيه : " فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " ...

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سُتُخْرِجُ الْمَلَائِكَة العُصَاةَ مِنَ الْمُكَلَّفِيْنَ مِنْ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَمْرِ رَبِّهِم ؟

الجواب : روى البخاري (٩/ ١٢٨ برقم ٧٤٣٧ ، واللفظ له) ومسلم (١/ ١٦٣ برقم ١٨٢) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟» ، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» ، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ

كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا – شَكَّ إِبْرَاهِيمُ –، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمِ السَّعْدَانَ؟ "، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ المُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ – أَوِ المُوثَقُ بِعَمَلِهِ –، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، أَوِ المُجَازَى، أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَتَجَلَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الجَنَّةَ ... " .

الفَصْلُ التَّاسِعُ

عِبَادَاتُ المَلاَئِكَةِ

للملائكة عبادات عديدة تعبَّدهم الله تعالى بها غير طاعتهم له سُبحانه ، تلك العبادات التي يقومون بها بلا كلل ولا ملل ولا تعب ولا تأفُّفٍ ... ومن أهمِّ تلك العبادات :

أَوَّلاً : الصَّلَاة : فقد جاء في كتاب الله تعالى بأنَّ الملائكة يقومون ويركعون ويسجدون ، قال تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾** [الأعراف:٢٠٦] ، قال تعالى : **﴿وَلِلَّهِ**

يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ﴾ [الرعد:١٥] ، وقال سبحانه : **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾** [الحج:١٨] .

وروى التِّرمذيُّ (٤/ ١٣٤ برقم ٢٣١٢) بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ " . قال التِّرمذي : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ " .

وروى ابن أبي عاصم في " الآحاد والمثاني " (١/ ٤٢٢ برقم ٥٩٧) ومحمَّد بن نصر بن الحجَّاج المَرْوَزِي (١/ ٢٥٨ برقم ٢٥٠) والطَّحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٦٧برقم ١١٣٤) والطَّبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٠١ برقم ٣١٢٢) وأبو الشَّيخ في العظمة (٣/ ٩٨٦ برقم ٩٠٥) وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢١٧) بسندهم عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ» .

ثَانِيَاً : التَّسْبِيْح : قال الله تعالى : **﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة:٣٠] .

قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير الكبير " (٢/ ٣٩٤-٣٩٥) : " التَّسْبِيحُ جَاءَ تَارَةً فِي الْقُرْآنِ بِمَعْنَى التَّنْزِيهِ وَأُخْرَى بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَجَاءَ عَلَى وُجُوهٍ: «أ» أَنَا الْمُنَزَّهُ عَنِ النَّظِيرِ وَالشَّرِيكِ، هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ «ب» أنا المدبِّر للسَّموات والأرض ، سبحان رب السموات وَالْأَرْضِ «ج» أَنَا الْمُدَبِّرُ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «د» أَنَا الْمُنَزَّهُ عَنْ قَوْلِ الظَّالِمِينَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (هـ) أَنَا الْمُسْتَغْنِي عَنِ الْكُلِّ سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ «و» أَنَا السُّلْطَانُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ سِوَائِي فَهُوَ تَحْتَ قَهْرِي وَتَسْخِيرِي فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ «ز» أَنَا الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ «ح» أَنَا الْمُنَزَّهُ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ سُبْحَانَهُ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ «ط» أَنَا الْمُنَزَّهُ عَنْ وَصْفِهِمْ وَقَوْلِهِمْ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

يُشْرِكُونَ، عَمَّا يَقُولُونَ، عَمَّا يَصِفُونَ، أَمَّا التَّعَجُّبُ فَكَذَلِكَ «أ» أَنَا الَّذِي سَخَّرْتُ الْبَهَائِمَ الْقَوِيَّةَ لِلْبَشَرِ الضَّعِيفِ، سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا «ب» أَنَا الَّذِي خَلَقْتُ الْعَالَمَ وَكُنْتُ مُنَزَّهًا عَنِ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا «ج» أَنَا الَّذِي أَعْلَمُ لَا بِتَعْلِيمِ الْمُعَلِّمِينَ وَلَا بِإِرْشَادِ الْمُرْشِدِينَ، سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا «د» أَنَا الَّذِي أُزِيلُ مَعْصِيَةَ سَبْعِينَ سَنَةً بِتَوْبَةِ سَاعَةٍ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، ثُمَّ يَقُولُ إِنْ أَرَدْتَ رِضْوَانَ اللهِ فَسَبِّحْ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. وَإِنْ أَرَدْتَ الْفَرَجَ مِنَ الْبَلَاءِ فَسَبِّحْ **﴿لا إِلَهَ أَنْت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** ، وَإِنْ أَرَدْتَ رِضَا الْحَقِّ فَسَبِّحْ، **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾** ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْخَلَاصَ مِنَ النَّارِ فَسَبِّحْ، **﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** ، أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاظِبْ عَلَىٰ تَسْبِيحِي فَسُبْحَانَ اللهِ فَسَبِّحْ وَسَبِّحُوهُ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ تَسْبِيحِي فَالضَّرَرُ عَائِدٌ إِلَيْكَ، لِأَنَّ لِي مَنْ يُسَبِّحُنِي، وَمِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ **﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ﴾** [فُصِّلَتْ: ٣٨] .

وَمِنْهُمُ الْمُقَرَّبُونَ **﴿قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا﴾** [سَبَأٍ: ٤١] وَمِنْهُمْ سَائِرُ الْمَلَائِكَةِ **﴿قالُوا سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغِي لَنا﴾** [الْفُرْقَانِ: ١٨] وَمِنْهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كَمَا قَالَ ذُو النُّونِ **﴿لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ﴾** [الْأَنْبِيَاءِ: ٨٧] وَقَالَ مُوسَىٰ: **﴿سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾** [الْأَعْرَافِ: ١٤٣] ، وَالصَّحَابَةُ يُسَبِّحُونَ فِي قَوْلِهِ: **﴿سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾** [آلِ عِمْرَانَ: ١٩١] ، وَالْكُلُّ يُسَبِّحُونَ وَمِنْهُمُ الْحَشَرَاتُ وَالدَّوَابُّ وَالذَّرَّاتُ **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾** [الْإِسْرَاءِ: ٤٤] ، وَكَذَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ وَالرِّمَالُ وَالْجِبَالُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالظُّلُمَاتُ وَالْأَنْوَارُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَالزَّمَانُ وَالْمَكَانُ وَالْعَنَاصِرُ وَالْأَرْكَانُ وَالْأَرْوَاحُ وَالْأَجْسَامُ عَلَىٰ مَا قَالَ: **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ﴾** [الْحَدِيدِ: ١] ثُمَّ يَقُولُ أَيُّهَا الْعَبْدُ: أَنَا الْغَنِيُّ عَنْ تَسْبِيحِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَيْسَتْ مِنَ الْأَحْيَاءِ فَلَا حَاجَةَ بِهَا إِلَىٰ ثَوَابِ هَذَا التَّسْبِيحِ فَقَدْ صَارَ ثَوَابُ هَذِهِ التَّسْبِيحَاتِ ضَائِعًا وَذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِي **﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلًا﴾** لَكِنِّي أُوصِلُ ثَوَابَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ لِيَعْرِفَ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّ مَنِ اجْتَهَدَ فِي خِدْمَتِي أَجْعَلُ كُلَّ الْعَالَمِ فِي خِدْمَتِهِ.

وَالنُّكْتَةُ الْأُخْرَىٰ اذْكُرْنِي بِالْعُبُودِيَّةِ لِتَنْتَفِعَ بِهِ لَا أَنَا **﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾** [الصَّافَّاتِ: ١٨٠] فَإِنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَنِي بِالتَّسْبِيحِ طَهَّرْتُكَ عَنِ الْمَعَاصِي **﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾** [الْأَحْزَابِ: ٤٢] أَقْرِضْنِي **﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾** [الْحَدِيدِ: ١٨] وَإِنْ كُنْتُ أَنَا الْغَنِيُّ حَتَّىٰ أَرُدَّ الْوَاحِدَ عَلَيْكَ عَشَرَةً **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ﴾** [البقرة: ٢٤٥] كُنْ مُعِينًا لِي وَإِنْ كُنْتُ غَنِيًّا عَنْ إِعَانَتِكَ **﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾**

[الْفَتْح: ٤] وَأَيْضًا فَلَا حَاجَةَ بِي إِلَى الْعَسْكَرِ ﴿وَلَوْ يَشاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [مُحَمَّدٍ: ٤] لَكِنَّكَ إِذَا نَصَرْتَنِي نَصَرْتُكَ إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ [مُحَمَّدٍ: ٧] كُنْ مُوَاظِبًا عَلَى ذِكْرِي ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٠٣] وَلَا حَاجَةَ بِي إِلَى ذِكْرِكَ لِأَنَّ الْكُلَّ يَذْكُرُونِي ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لُقْمَانَ: ٢٥] لَكِنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَنِي ذَكَرْتُكَ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ لا لِأَنِّي أَحْتَاجُ إِلَى خِدْمَتِكَ فَإِنِّي أَنَا المَلك وَللهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨٩] ، ﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرَّعْدِ: ١٥] وَلَكِنِ انْصَرِفْ إِلَى خِدْمَتِي هَذِهِ الْأَيَّامَ الْقَلِيلَةَ لِتَنَالَ الرَّاحَاتِ الْكَثِيرَةَ ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٩١] .

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿بِحَمْدِكَ﴾ ، قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : بِحَمْدِكَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. أَيْ نُسَبِّحُ لَكَ حَامِدِينَ لَكَ وَمُتَلَبِّسِينَ بِحَمْدِكَ، وَأَمَّا الْمَعْنَى ففيه وجهان:

الْأَوَّلُ : أنا إذا سبحانك فَنَحْمَدُكَ سُبْحَانَكَ يَعْنِي لَيْسَ تَسْبِيحُنَا تَسْبِيحًا مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ بَلْ تَسْتَحِقُّ بِحَمْدِكَ وَجَلَالِكَ هَذَا التَّسْبِيحَ ،

الثَّانِي : أَنَّا نُسَبِّحُكَ بِحَمْدِكَ فَإِنَّهُ لَوْلَا إِنْعَامُكَ عَلَيْنَا بِالتَّوْفِيقِ لَمْ نَتَمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَشْكُرَكَ وَأَنَا لَا أَصِلُ إلى شكر نعمتك إلا بنعمتك إِلَّا بِنِعْمَتِكَ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: «الْآنَ قَدْ شَكَرْتَنِي حَيْثُ عَرَفْتَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنِّي» .

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ مِنْ هَذَا التَّسْبِيحِ :

فَرُوِيَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ دَخَلَ بِالْغَدَاةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ بِالْعَكْسِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي: أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ، قَالَ : مَا اصْطَفَاهُ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤/ ٢٠٩٣ برقم ٢٧٣١) .

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ يُصَلِّي وَأَنْتَ جَالِسٌ لَا تُصَلِّي فَقَالَ لَهُ امْضِ إِلَى عَمَلِكَ إِنْ كَانَ لَكَ عَمَلٌ، فَقَالَ مَا أَظُنُّ إِلَّا سَيَمُرُّ بِكَ مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْكَ فَمَرَّ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ يَا فُلَانُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ يُصَلِّي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَهَا فَوَثَبَ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ، وَقَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِي ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ مِنْ صَلَاتِهِ قَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللهِ مَرَرْتُ آنِفًا عَلَى فُلَانٍ وَأَنْتَ

تُصَلِّي وَهُوَ جَالِسٌ فَقُلْتُ لَهُ: نَبِيُّ اللهِ يُصَلِّي وَأَنْتَ جَالِسٌ فَقَالَ لِي مُرَّ إِلَى عَمَلِكَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ، فَقَامَ عُمَرُ مُسْرِعًا لِيَلْحَقَهُ فَيَقْتُلَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عُمَرُ ارْجِعْ فَإِنَّ غَضَبَكَ عِزٌّ وَرِضَاكَ حُكْمٌ إِنَّ للهِ فِي السموات مَلَائِكَةً لَهُ غِنًى بِصَلَاتِهِمْ عَنْ صَلَاةِ فُلَانٍ، فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا صَلَاتُهُمْ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ سَأَلَكَ عُمَرُ عَنْ صَلَاةِ أَهْلِ السَّمَاءِ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُ بِأَنَّ أَهْلَ سَمَاءِ الدُّنْيَا سُجُودٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، وَأَهْلَ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ قِيَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ، وَأَهْلَ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ رُكُوعٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ " (أخرجه محمَّد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٦٤ برقم ٢٥٨) ، أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٢٧٧) ، فَهَذَا هُوَ تَسْبِيحُ الْمَلَائِكَةِ» .

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: **﴿نُسَبِّحُ﴾** ، أَيْ : نُصَلِّي وَالتَّسْبِيحُ هُوَ الصَّلَاةُ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١/ ٢٧٦-٢٧٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾** أَيْ نُنَزِّهُكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِصِفَاتِكَ. وَالتَّسْبِيحُ فِي كَلَامِهِمُ التَّنْزِيهُ مِنَ السُّوءِ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَعْشَى بَنِي ثَعْلَبَةَ:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ   سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الْفَاخِرِ

أَيْ بَرَاءَةٌ مِنْ عَلْقَمَةَ. وَرَوَى طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَفْسِيرِ سُبْحَانَ اللهِ فَقَالَ: (هُوَ تَنْزِيهُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ كُلِّ سُوءٍ . (أخرجه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين(١/ ٦٨٠ برقم ١٨٤٨، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، الطَّبراني في الدُّعاء (١/ ١٠٥ برقم ٥٩) .

وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّبْحِ وَهُوَ الْجَرْيُ وَالذَّهَابُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا﴾** [المزمل: ٧] ، فَالْمُسَبِّحُ جَارٍ فِي تَنْزِيهِ اللهِ تَعَالَى وَتَبْرِئَتِهِ مِنَ السُّوءِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي" نَحْنُ" ، وَلَا يَجُوزُ إِدْغَامُ النُّونِ فِي النُّونِ لِئَلَّا يَلْتَقِيَ سَاكِنَانِ. مَسْأَلَةٌ: وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَسْبِيحِ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ: تسبيحهم صلاتهم، ومنه قول الله تعالى: **﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾** [الصافات: ١٤٣] أَيِ الْمُصَلِّينَ. وَقِيلَ: تَسْبِيحُهُمْ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، قَالَهُ الْمُفَضَّلُ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ جَرِيرٍ:

قَبَّحَ الْإِلَهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا   سَبَّحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالَا

وَقَالَ قَتَادَةُ: تَسْبِيحُهُمْ: سُبْحَانَ اللهِ، عَلَىٰ عُرْفِهِ فِي اللُّغَةِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ لِمَا رَوَاهُ أَبُو ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "مَا اصْطَفَىٰ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ" . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٤/ ٢٠٩٣ برقم ٢٧٣١) . وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قُرْطٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ سَمِعَ تَسْبِيحًا فِي السموات الْعُلَا: سُبْحَانَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ذَكَرَهُ البيهقي(انظر :الأسماء والصفات(١/ ٥٢ برقم ٢٤)) .

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**بِحَمْدِكَ**﴾ ، أَيْ : وَبِحَمْدِكَ نَخْلِطُ التَّسْبِيحَ بِالْحَمْدِ وَنَصِلُهُ بِهِ. وَالْحَمْدُ: الثَّنَاءُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ:" بِحَمْدِكَ" اعْتِرَاضًا بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: وَنَحْنُ نُسَبِّحُ وَنُقَدِّسُ، ثُمَّ اعْتَرَضُوا عَلَىٰ جِهَةِ التَّسْلِيمِ، أَيْ وَأَنْتَ الْمَحْمُودُ فِي الْهِدَايَةِ إِلَىٰ ذَلِكَ. وَاللهُ أَعْلَمُ ".

فتسبيح الملائكة عليهم السَّلام ، دائم لا ينقطع لا في ليل ولا نهار ، ولذلك استحقُّوا أن يكونوا المسبِّحين علىٰ الحقيقة ، قال اله تعالىٰ علىٰ لسانهم : ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾ [الصافات:١٦٦] ، قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير الكبير" (٢٦/ ٣٦٢) : " وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ يُفِيدُ الْحَصْرَ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ هُمُ الصَّافُّونَ فِي مَوَاقِفِ الْعُبُودِيَّةِ لَا غَيْرُهُمْ وَأَنَّهُمْ هُمُ الْمُسَبِّحُونَ لَا غَيْرُهُمْ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ طَاعَاتِ الْبَشَرِ وَمَعَارِفَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ طَاعَاتِ الْمَلَائِكَةِ وَإِلَىٰ مَعَارِفِهِمْ كَالْعَدَمِ، حَتَّىٰ يَصِحَّ هَذَا الْحَصْرُ " .

وروىٰ الطَّبراني في "الدُّعاء" (ص٤٩٩ برقم ١٧٥٨) بسنده عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ نَعْرِفُهَا لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ نَعْرِفُهَا أَنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنْهُ وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهَا، وَاللهُ أَكْبَرُ نَعْرِفُهَا لَا شَيْءَ أَكْبَرُ مِنْهُ، فَمَا سُبْحَانَ اللهِ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ رَضِيَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَفْسِهِ وَأَمَرَ بِهَا مَلَائِكَتَهُ وَفَزِعَ لَهَا الْأَخْيَارُ مِنْ خَلْقِهِ» .

ثَالِثاً : التَّقْدِيس : قال تعالىٰ : ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٣٠] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢/ ٣٩٥-٣٩٦) : " التَّقْدِيسُ التَّطْهِيرُ، وَمِنْهُ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ ثُمَّ اخْتَلَفُوا عَلَىٰ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: نُطَهِّرُكَ أَيْ نَصِفُكَ بِمَا يَلِيقُ بِكَ مِنَ الْعُلُوِّ وَالْعِزَّةِ .

وَثَانِيهَا: قَوْلُ مُجَاهِدٍ نُطَهِّرُ أَنْفُسَنَا مِنْ ذُنُوبِنَا وَخَطَايَانَا ابْتِغَاءً لِمَرْضَاتِكَ.

وَثَالِثُهَا: قَوْلُ أَبِي مُسْلِمٍ نُطَهِّرُ أَفْعَالَنَا مِنْ ذُنُوبِنَا حَتَّى تَكُونَ خَالِصَةً لَكَ.

وَرَابِعُهَا: نُطَهِّرُ قُلُوبَنَا عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَصِيرَ مُسْتَغْرِقَةً فِي أَنْوَارِ مَعْرِفَتِكَ قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى الْعَدْلِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: وَلَهُمْ: وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ أَضَافُوا هَذِهِ الْأَفْعَالَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَلَوْ كَانَتْ أَفْعَالًا لِلَّهِ تَعَالَى لَمَا حَسُنَ التَّمَدُّحُ بِذَلِكَ وَلَا فَضْلَ لِذَلِكَ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ إِذْ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَثَانِيهَا: لَوْ كَانَ الْفَسَادُ وَالْقَتْلُ فِعْلًا لِلَّهِ تَعَالَى لَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ أَنْ يَقُولَ إِنِّي مَالِكٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَقْتَضِي التَّبَرِّيَ مِنَ الْفَسَادِ وَالْقَتْلِ لَكِنَّ التَّبَرِّيَ مِنْ فِعْلِ نَفْسِهِ مُحَالٌ.

وَرَابِعُهَا: إِذَا كَانَ لَا فَاحِشَةَ وَلَا قُبْحَ وَلَا جَوْرَ وَلَا ظُلْمَ وَلَا فَسَادَ إِلَّا بِصُنْعِهِ وَخَلْقِهِ وَمَشِيئَتِهِ فَكَيْفَ يَصِحُّ التَّنْزِيهُ وَالتَّقْدِيسُ؟

وَخَامِسُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَدُلُّ عَلَى مَذْهَبِ الْعَدْلِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَالِقًا لِلْكُفْرِ لَكَانَ خَلَقَهُمْ لِذَلِكَ الْكُفْرِ فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ نَعَمْ خَلَقَهُمْ ليفسدوا وليقتلوا. فلما لم يرضى بِهَذَا الْجَوَابِ سَقَطَ هَذَا الْمَذْهَبُ.

وَسَادِسُهَا: لَوْ كَانَ الْفَسَادُ وَالْقَتْلُ، مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَانَ ذَلِكَ جَارِيًا مَجْرَى أَلْوَانِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ وَكَمَا لَا يَصِحُّ التَّعَجُّبُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَكَذَا مِنَ الْفَسَادِ وَالْقَتْلِ وَالْجَوَابُ عَنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْمُعَارَضَةِ بِمَسْأَلَةِ الدَّاعِي وَالْعِلْمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١/ ٢٧٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾** ، أَيْ : نُعَظِّمُكَ وَنُمَجِّدُكَ وَنُطَهِّرُ ذِكْرَكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ مِمَّا نَسَبَكَ إِلَيْهِ الْمُلْحِدُونَ، قَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ وَغَيْرُهُمَا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُ: الْمَعْنَى نُطَهِّرُ أَنْفُسَنَا لَكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ وَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ قَتَادَةُ:" نُقَدِّسُ لَكَ" مَعْنَاهُ نُصَلِّي. وَالتَّقْدِيسُ: الصَّلَاةُ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا ضَعِيفٌ. قُلْتُ: بَلْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَشْتَمِلُ عَلَى التَّعْظِيمِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ). رَوَتْهُ عَائِشَةُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. وَبِنَاءُ" قَدَّسَ" كَيْفَمَا تَصَرَّفَ فَإِنَّ مَعْنَاهُ التَّطْهِيرُ، وَمِنْهُ قوله تعالى: **﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾** [المائدة: ٢١] ، أي المطهرة. وقال: **﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾** [الحشر: ٢٣]

يعني الطاهر، ومثله: ﴿بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾ [طه: ١٢] وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ الْمَكَانُ الَّذِي يُتَقَدَّسُ فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ أَيْ يُتَطَهَّرُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلسَّطْلِ: قَدَسٌ، لِأَنَّهُ يُتَوَضَّأُ فِيهِ وَيُتَطَهَّرُ، وَمِنْهُ الْقَادُوسُ. وَفِي الْحَدِيثِ: (لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهَا مِنْ قَوِيِّهَا). يُرِيدُ لَا طَهَّرَهَا اللَّهُ، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ. فَالْقُدُسُ: الطُّهْرُ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَأَدْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا   كَمَا شَبْرَقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ

أَيِ الْمُطَهَّرِ. فَالصَّلَاةُ طُهْرَةٌ لِلْعَبْدِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُصَلِّي يَدْخُلُهَا عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ لكونها أفضل الأعمال، والله أعلم" .

رَابِعاً : الحَجّ : جَاءَ فِي الصِّحاح أنَّ في السَّماء كعبة يحجُّ إليها المَلَائِكَة الأبرار ، وهي المسَّماةُ في القرآن الكريم بـ " البيت المعمور " ، قال تعالى : ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور:٤] ، وقد ثبت في الصَّحيحين من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه في حديث الإسراء ، قال : قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ ... " أخرجه البخاري (٤/ ١٠٩ برقم ٣٢٠٧) ، مسلم (١/ ١٤٩ برقم ١٦٤) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ " أخرجه أحمد في المسند(٢٠/ ٢٧ برقم ١٢٥٥٨) ، وصحَّح الأرنؤوط إسناده على شرط مسلم .

وتذكر الآثار أنَّ الكعبة المُشرَّفة تقع تحت البيت المعمور بحيث لو سقط لسقط عليها ...

فَعَنْ خَالِدِ بْنِ عَرْعَرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ؟ قَالَ: «بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ الضُّرَاحُ، وَهُوَ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ، مِنْ فَوْقِهَا حُرْمَتُهُ فِي السَّمَاءِ كَحُرْمَةِ الْبَيْتِ فِي الْأَرْضِ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَا يَعُودُونَ فِيهِ أَبَدًا» أخرجه الطَّبري في "التَّفسير" (٢١/ ٥٦٣) .

وعَنْ قَتَادَةَ، ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤] ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ فِي السَّمَاءِ تَحْتَهُ الْكَعْبَةُ لَوْ خَرَّ لَخَرَّ

عَلَيْهَا» ، أَوْ «عَلَيْهِ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» أخرجه الطَّبري في التَّفسير (٢١/ ٥٦٥) ، والله أعلم .

خَامِسَاً : الصَّلاَةُ عَلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قال الله تعالىٰ : **﴿إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب:٥٦] .

قال البخاري في الصَّحيح (٦/ ١٢٠) : " قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: " صَلاَةُ اللهَّ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلاَئِكَةِ، وَصَلاَةُ المَلاَئِكَةِ الدُّعَاءُ " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " يُصَلُّونَ: يُبَرِّكُونَ " . وقال التِّرمذيُّ في "السُّنن " (١/ ٦١٣) : " وَرُوِي عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، قَالُوا: صَلاَةُ الرَّبِّ الرَّحْمَةُ، وَصَلاَةُ الْمَلاَئِكَةِ الِاسْتِغْفَارُ " .

قال الإمام البيهقي في " شعب الإيمان" (٣/ ١١٩) : " فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيُسَلِّمُوا بَعْدَ إِخْبَارِهِمْ بِأَنَّ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ لِيُنَبِّهَهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَا فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ، إِذْ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ مَعَ انْفِكَاكِهِمْ عَنْ شَرِيعَتِهِ تَتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ فَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ أَوْلَىٰ وَأَحَقَّ " .

وفي تفسيره للآية الكريمة قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير" (٢٥/ ١٨١-١٨٢) : " وفي الآية مسائل:

الْأُولَىٰ: الصَّلَاةُ الدُّعَاءُ ، يُقَالُ : فِي اللُّغَةِ صَلَّىٰ عَلَيْهِ، أَيْ دَعَا لَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَىٰ غَيْرُ مَعْقُولٍ فِي حَقِّ اللهَّ تَعَالَىٰ فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو لَهُ، لِأَنَّ الدُّعَاءَ لِلْغَيْرِ طَلَبُ نَفْعِهِ مِنْ ثَالِثٍ. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ اسْتُعْمِلَ اللَّفْظُ بِمَعَانٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾** [الْأَحْزَابِ: ٤٣] والذي نزيده هاهنا هُوَ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ قَالَ هُنَاكَ: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ جَعَلَ الصَّلَاةَ للهَّ وعطف الملائكة علىٰ الله، وهاهنا جَمَعَ نَفْسَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَسْنَدَ الصَّلَاةَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: يُصَلُّونَ وَفِيهِ تَعْظِيمُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهَذَا لِأَنَّ إِفْرَادَ الْوَاحِدِ بِالذِّكْرِ وَعَطْفَ الْغَيْرِ عَلَيْهِ يُوجِبُ تَفْضِيلًا لِلْمَذْكُورِ عَلَىٰ الْمَعْطُوفِ، كَمَا أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا قَالَ يَدْخُلُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ أَيْضًا يُفْهَمُ مِنْهُ تَقْدِيمٌ لَا يُفْهَمُ لَوْ قَالَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ يَدْخُلَانِ، إِذَا عَلِمْتَ هَذَا، فَقَالَ فِي حَقِّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُمْ يُصَلُّونَ إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَالْأَصْلِ وَفِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ المؤمنين اللهُّ يَرْحَمُهُمْ، ثُمَّ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُوَافِقُونَهُ فَهُمْ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلُّونَ بِالْإِضَافَةِ كَأَنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَيْهِمْ أَوْ مَنْدُوبَةٌ سَوَاءٌ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ يُصَلِّ وَفِي الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ كَذَلِكَ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: إِذَا صَلَّىٰ اللهُّ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَيْهِ فَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَىٰ صَلَاتِنَا؟ نَقُولُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ لَيْسَ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ صَلَاةِ اللهَّ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِإِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ، كَمَا أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ أَوْجَبَ عَلَيْنَا

ذِكْرَ نَفْسِهِ وَلَا حَاجَةَ لَهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِإِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ مِنَّا شَفَقَةً عَلَيْنَا لِيُثِيبَنَا عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» ...

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: لَمْ يَتْرُكِ اللهُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ مِنَّةِ أُمَّتِهِ بِالصَّلَاةِ حَتَّىٰ عَوَّضَهُمْ مِنْهُ بِأَمْرِهِ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ الْأُمَّةِ حَيْثُ قَالَ: **﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾** [التَّوْبَة: ١٠٣] وَقَوْلُهُ: وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً أَمْرٌ فَيَجِبُ وَلَمْ يَجِبْ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ فَيَجِبُ فِيهَا وَهُوَ قَوْلُنَا السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ فِي التَّشَهُّدِ وَهُوَ حُجَّةٌ عَلَىٰ مَنْ قَالَ بِعَدَمِ وُجُوبِهِ وَذَكَرَ الْمَصْدَرَ لِلتَّأْكِيدِ لِيُكْمِلَ السَّلَامَ عَلَيْهِ وَلَمْ يُؤَكِّدِ الصَّلَاةَ بِهَذَا التَّأْكِيدِ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُؤَكَّدَةً بِقَوْلِهِ: إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٤/ ٢٣٢) : " هَذِهِ الْآيَةُ شَرَّفَ اللهُ بِهَا رَسُولَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيَاتَهُ وَمَوْتَهُ، وَذَكَرَ مَنْزِلَتَهُ مِنْهُ، وَطَهَّرَ بِهَا سُوءَ فِعْلِ مَنِ اسْتَصْحَبَ فِي جِهَتِهِ فِكْرَةَ سُوءٍ، أَوْ فِي أَمْرِ زَوْجَاتِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَالصَّلَاةُ مِنَ اللهِ رَحْمَتُهُ وَرِضْوَانُهُ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ، وَمِنَ الْأُمَّةِ الدُّعَاءُ وَالتَّعْظِيمُ لِأَمْرِهِ.

مَسْأَلَةٌ- وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ:" يُصَلُّونَ" فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: الضَّمِيرُ فِيهِ للهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَهَذَا قَوْلٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ شَرَّفَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ، فَلَا يَصْحَبُهُ الِاعْتِرَاضُ الَّذِي جَاءَ فِي قَوْلِ الْخَطِيبِ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَىٰ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بئس الخطيب أنت، قل ومن يعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ) أَخْرَجَهُ الصَّحِيحُ. قَالُوا: لِأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْمَعَ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَىٰ مَعَ غَيْرِهِ فِي ضَمِيرٍ، وَللهِ أَنْ يَفْعَلَ فِي ذَلِكَ مَا يَشَاءُ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، تَقْدِيرُهُ إِنَّ اللهَ يُصَلِّي وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ اجْتِمَاعٌ فِي ضَمِيرٍ، وَذَلِكَ جَائِزٌ لِلْبَشَرِ فِعْلُهُ. وَلَمْ يَقُلْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ) لِهَذَا الْمَعْنَىٰ، وَإِنَّمَا قَالَهُ لِأَنَّ الْخَطِيبَ وَقَفَ عَلَىٰ وَمَنْ يَعْصِهِمَا، وَسَكَتَ سَكْتَةً. وَاسْتَدَلُّوا بِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ خَطِيبًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يَعْصِهِمَا. فَقَالَ: (قُمْ- أَوِ اذْهَبْ- بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ). إِلَّا أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَمَّا خَطَّأَهُ فِي وَقْفِهِ وَقَالَ لَهُ: (بِئْسَ الْخَطِيبُ) أَصْلَحَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ جَمِيعَ كَلَامِهِ، فَقَالَ: قُلْ (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ) كَمَا فِي كِتَابِ مُسْلِمٍ. وَهُوَ يُؤَيِّدُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ بِأَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَىٰ" وَمَنْ يَعْصِهِمَا". وَقَرَأَ ابن عبَّاس:" وملائكة" بِالرَّفْعِ عَلَىٰ مَوْضِعِ اسْمِ اللهِ قَبْلَ دُخُولِ" إِنَّ". وَالْجُمْهُورُ بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَىٰ الْمَكْتُوبَةِ " .

رَابِعَاً : الصَّلَاةُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ : قال الله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾** [الأحزاب:٤٣]

قال الإمام الواحدي في " أسباب النُّزول " (١/ ٢٤٤) : " قال مجاهد: لَمَّا نزلت – **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾**– الآية قال أبو بكر: ما أعطاك الله تعالى من خير إلَّا أشركنا فيه، فنزلت – **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾** " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٤/ ١٩٨) : " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَ **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾** [الأحزاب: ٥٦] قَالَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ: هَذَا لَكَ يَا رَسُولَ الله خاصة، وليس لنا فيه شيء، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. قُلْتُ: وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ، وَدَلِيلٌ عَلَى فَضْلِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ. وَقَدْ قَالَ: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** [آل عمران: ١١٠] . وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ هِيَ رَحْمَتُهُ لَهُ وَبَرَكَتُهُ لَدَيْهِ. وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: دُعَاؤُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارُهُمْ لَهُمْ، كَمَا قَالَ: **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** [غافر: ٧] .

وفي تفسيره نقل الإمام ابن أبي حاتم الرَّازي (٩/ ٣١٣٩) عَنِ أبي العالية رَضِيَ اللهُ، عَنْهُ فِي قوله: هو الذي يصلي عليكم وملائكته قال: صلاه الله:، ثناؤه وصلاة المَلَائِكَة عليهم السَّلام : الدُّعاء .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللهُ، عَنْهُ في قوله: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عليكم وملائكته قال: يغفر لكم، وتستغفر لكم ملائكته .

وَعَن سُفيان رضي الله، عنه أنه سئل، عن قوله «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ قال: أكرم الله أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصلى عليهم كما صلى على الأنبياء فقال: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وملائكته .

وَعَنِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ، عَنْهُ فِي قَوْلِهِ هو الذي يصلي عليكم قال: إنَّ بني إسرائيل سألوا موسى عليه السَّلام هَلْ يصلِّي ربك؟ فكان ذلك كبر في صدر موسى عليه السَّلام، فأوحى الله إليه: أخبرهم أنِّي أصلِّي، وأنَّ صلاتي رحمتي سبقت غضبي " .

سَادِسَاً : الذِّكْر والدُّعَاء وَالاسْتِغْفَار : قال تعالى : **﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾** [الصافات:٣] ، وقد فسَّر العديد من أهل العلم (التَّاليات ذكراً) بأنَّهم الملائكة يتلون ذكر الله تعالى ...

قال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٤/ ٢٦) : " **﴿فَالتَّالِياتِ ذِكْراً﴾** ، هُمُ الْمَلَائِكَةُ يَتْلُونَ ذِكْرَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٦٢) : **﴿فَالتَّالِياتِ ذِكْراً﴾** الْمَلَائِكَةُ تقرأ كتاب الله تعالى، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَابْنُ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيُّ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ جِبْرِيلُ وَحْدَهُ فَذُكِرَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، لِأَنَّهُ كَبِيرُ الْمَلَائِكَةِ فَلَا يَخْلُو مِنْ جُنُودٍ وَأَتْبَاعٍ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢٣/ ٨٥) : " وَقَوْلُهُ: **﴿فَالتَّالِياتِ ذِكْراً﴾** إِشَارَةٌ إِلَى تَأَثُّرِهَا بِمَا يُلْقَى إِلَيْهَا مِنْ أَمْرِ اللهَّ فَتَتْلُوهُ وَتَتَعَبَّدُ بِالْعَمَلِ بِهِ" .

وقال الإمام محمَّد سيِّد طنطاوي في " التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم" (١٢/ ٦٦) : " وأكثر المفسِّرين على أنَّ المراد بالصَّافَّات والزَّاجرات والتَّاليات: جماعة من الملائكة موصوفة بهذه الصِّفات.

فيكون المعنى: وحقّ الملائكة الذين يصفُّون أنفسهم صفَّاً لعبادة الله- تعالى- وطاعته، أو الذين يصفُّون أجنحتهم في السَّماء انتظاراً لأمر الله، والذين يزجرون غيرهم عن ارتكاب المعاصي، أو يزجرون السَّحاب إلى الجهات التي كلفهم الله- تعالى- بدفعه إليها، والذين يتلون آيات الله المنزلة على أنبيائه تقرُّباً إليه- تعالى- وطاعة له" .

وفي القرآن والسُّنَّة جاءت نماذج عديدة من أدعية الملائكة للمؤمنين ... ومن أدعيتهم ، ما جاء في قوله تعالى : **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [غافر:٧-٩] .

قال الأُستاذ سيِّد قُطب في " في ظلال القرآن " (٥/ ٣٠٧٠-٣٠٧١) : " ويتَّصل بتلك الحقيقة الأولى – يقصد حقيقة المعركة بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان – أنَّ حملة العرش ومن حوله – وهم من بين القوى المؤمنة في هذا الوجود – يذكرون المؤمنين من البشر عند ربِّهم ، ويستغفرون لهم ، ويستنجزون وعد الله إيَّاهم ؛ بحكم رابطة الإيمان بينهم وبين المؤمنين ...

ونحن لا نعرف ما هو العرش؟ ولا نملك صورة له، ولا نعرف كيف يحمله حملته، ولا كيف يكون من حوله، حوله؛ ولا جدوىٰ من الجري وراء صور ليس من طبيعة الإدراك البشري أن يلمَّ بها، ولا من الجدل حول غيبيَّات لم يطلع الله أحداً من المتجادلين عليها؛ وكلّ ما يتَّصل بالحقيقة التي يقرِّرها سياق السُّورة أنَّ عباداً مقرَّبين من الله، **﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** ... وينصُّ القرآن علىٰ إيمانهم – وهو مفهوم بداهة – ليُشير إلىٰ الصِّلة التي تربطهم بالمؤمنين من البشر... هؤلاء العباد المقرَّبون يتوجَّهون بعد تسبيح الله إلىٰ الدُّعاء للمؤمنين من النَّاس بخير ما يدعو به مؤمن لمؤمن.

هم يبدأون دعاءهم بأدب يعلِّمنا كيف يكون أدب الدُّعاء والسُّؤال. يقولون: **﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً﴾** ... يقدِّمون بين يدي الدُّعاء بأنَّهم – في طلب الرَّحمة للنَّاس – إنَّما يستمدُّون من رحمة الله التي وسعت كلَّ شيء ، ويحيلون إلىٰ علم الله الذي وسع كلَّ شيء؛ وأنَّهم لا يقدِّمون بين يدي الله بشيء؛ إنَّما هي رحمته وعلمه منهما يستمدون وإليهما يلجــأون : **﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾** ...

وتلتقي هذه الإشارة إلىٰ المغفرة والتَّوبة بمطلع السُّورة ، وبصفة الله هناك: **﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾** [غافر:٣] ... كما تلتقي الإشارة إلىٰ عذاب الجحيم، بصفة الله: **﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾** [غافر:٣] ... ثمَّ يرتقون في الدُّعاء من الغفران والوقاية من العذاب إلىٰ سؤال الجنَّة واستنجاز وعد الله لعباده الصَّالحين: **﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** .

ودخول الجنَّة نعيم وفوز. يضاف إليه صحبة من صلح من الآباء والأزواج والذريَّات. وهي نعيم آخر مستقل. ثمَّ هي مظهر من مظاهر الوحدة بين المؤمنين أجمعين. فعند عقدة الإيمان يلتقي الآباء والأبناء والأزواج، ولولا هذه العقدة لتقطَّعت بينهم الأسباب: والتَّعقيب علىٰ هذه الفقرة من الدُّعاء: **﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** يشير إلىٰ القوَّة كما يشير إلىٰ الحكمة. وبها يكون الحكم في أمر العباد ... **﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** ... وهذه الدَّعوة – بعد الدُّعاء بإدخالهم جنَّات عدن – لفتة إلىٰ الرَّكيزة الأولىٰ في الموقف العصيب . فالسيِّئات هي التي توبق أصحابها في الآخرة ، وتوردهم مورد التَّهلكة . فإذا وقىٰ الله عباده المؤمنين منها وقاهم نتائجها وعواقبها . وكانت هذه هي

الرَّحمة في ذلك الموقف . وكانت كذلك أولى خطوات السَّعادة . ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ... فمجرَّد الوقاية من السيِّئات هو أمر عظيم! " .

وقد ذكرنا في هذا الكتاب العديد من الأعمال التي يُستجلب بها دعاء الملائكة للعباد ، ودعاء الملائكة لا يُردُّ بل دعاؤهم مُستجاب ...لأنَّهم عباد مُكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم مطبوعون على السَّمع والطَّاعة المطلقة لله تعالى ، وعن ذلك لا يفتُرُون ، ومن ثَمّ كان دعاؤهم أقرب للإجابة ...

قال الإمام ابن بطَّال في " شرح صحيح البخاري " (٣/ ٤٣٩) : " ومعلوم أن دعاء الملائكة مجاب، بدليل قوله: " فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه" .

وقال الإمام ابن الجوزي في " كشف المشكل من حديث الصحيحين " (٢/ ١٦٤) : " وَدُعَاء المَلَك مُستجاب" .

وقال الإمام أبو الحسن المباركفوري في " مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٥/ ٣٠٩) : " ودعاء الملائكة مُستجاب" .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الهادي السِّندي في " حاشية السِّندي على سنن ابن ماجه " (٢/ ٢٢٤) : " وَدُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ يُرْجَى اسْتِجَابَتُهُ مِنْهُ " .

سَابِعَاً : الخَوْفُ مِنَ اللهِ تَعَالَى : وخوفهم من الله تعالى نابع من عظيم معرفتهم به سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٦/ ٢٥٣) : " وَقَوْلُهُ: ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٨] يَقُولُ : وَهُمْ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ، وَحِذَارِ عِقَابِهِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ ﴿**مُشْفِقُونَ**﴾ ، يَقُولُ: حَذِرُونَ أَنْ يَعْصُوهُ ، وَيُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ " .

وقال الله تعالى في صفتهم عليهم السَّلام : ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ**﴾ [الرعد:١٣] ، وقال : ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [النحل:٥٠] .

وروى المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٦٧ برقم ٢٦٠) وابن بطَّة في " الإبانة الكبرى " (٧/ ٤٦ برقم ٣٤) بسندهما عَنْ عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ، وَهُوَ يَخْطُبُنَا عَلَى مِنْبَرِ الْمَدَائِنِ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا

مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُهُ يُحَدِّثُنِي، عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ للهَّ مَلَائِكَةً تَرْعَدُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ خِيفَتِهِ، مَا مِنْهُمْ مَلَكٌ يَقْطُرُ دَمْعُهُ مِنْ عَيْنِهِ إِلَّا وَقَعَتْ مَلَكًا قَائِمًا يُصَلِّي، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَلَائِكَةً سُجُودًا مُنْذُ خَلَقَ اللهُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ، لَا يَرْفَعُونَهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ رُكُوعًا لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ مُنْذُ خَلَقَ اللهُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا رَفَعُوا رُءُسَهُمْ وَنَظَرُوا إِلَىٰ وَجْهِ اللهَّ قَالُوا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ كَمَا يَنْبَغِي لَكَ " .

وروىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط " (٥/ ٦٤ برقم ٤٦٧٩) بسنده عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ، وَجِبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ» .

قال الإمام الأزهري في " تهذيب اللغة " (٤/ ١٨١) : " قَالَ اللَّيْث: الحِلْسُ: كُلُّ شَيْءٍ وَلِيَ ظهر الْبَعِير تَحت الرَّحْلِ والقَتَبِ، وَكَذَلِكَ حِلْس الدَّابّة بِمَنْزِلَة المِرْشَحَة تكون تَحت اللِّبْد، وَيُقَال: فلَان من أَحْلاَس الْخَيل أَي يلْزم ظُهُور الْخَيْلِ كالحِلْس اللَّازِم لظَهْرِ الْفرس. والحِلْسُ: الْوَاحِد من أَحْلاَسِ الْبَيْت، وَهُوَ مَا بُسِط تَحت حُرِّ المَتَاع من مِسْحٍ وَنَحْوه " .

﴿ الفَصْلُ العَاشِرُ ﴾

✿✿✿ مَوْقِفُ الشِّيْعَةُ الإماميَّة منَ المَلَائِكَة ✿✿✿

إنَّ النَّاظر في كُتب الشِّيعة الإماميَّة يعلمُ يقيناً أنَّ الشِّيعة لا يجتمعون مع أهل السُّنَّة في مصادر التَّشريع المتمثِّلة بالقرآن ، والسُّنَّة ، والإجماع ، لأنَّهم يقولون بتحريف القرآن ، ويُنكرون السُّنَّة بعد أن كفَّروا رواتها من الصَّحابة الأبرار رضوان الله عليهم ، وكذا يُنكرون ما أجمع عليه أهلُ السُّنَّة والجماعة ...

والنَّاظرُ – كذلك – يجد أنَّهم ينحون المَنْحىٰ الباطني في تفسيرهم لشعائر الإسلام ، وبالتَّالي فهُم يحقدون علىٰ أهل السُّنَّة والجماعة حقداً كبيراً ، ويُفْتُون بجواز قتلهم وقتالهم ... ومع هذا نسمعُ بين الفَيْنَة والأُخرىٰ من يتكلَّم عن التَّقريب بين السُّنَّة والشِّيعة ، وهي فكرةٌ تبدو لأوَّل وهلة فكرة منطقيَّة تهدف إلىٰ لمِّ الشَّمل وجبر الكسر الحاصل بين مجموع الأمَّة ، ومع أنَّني أرجِّح حُسن النيَّة عند الكثيرين من الدَّاعين لذلك ، فإنَّني أجزم بأنَّ من يُروِّجون لها يجهلون حجم الخلاف بيننا وبينهم ، وكلُّ ما في الأمر أنَّهم اغترُّوا بزخارف القول التي يُطلقها علماء الرَّافضة الذين تخصَّصوا بالكذب المُستقىٰ من دينهم الذي يجعل الكذب تسعة أعشار الدِّين ، وهو المسمَّىٰ عند القوم بالتَّقيَّة ...

فالخلاف بيننا وبين الرَّافضة خلاف كبير ، والخرق بيننا وبينهم واسع ، فلا أُصول تجمعنا ، ولا فروع توحِّدنا ، فهم يعتبرون أنَّ مُخالفة أهل السُّنَّة في كلِّ شيء من ضروريَّات دين الشِّيعة ، ولذلك رأينا العديد من آياتهم وكبرائهم يسمُّون دينهم بالإسلام الشِّيعي ، وهم في ذلك صادقون ، لأنَّ دينهم لا يربطه بدين الإسلام الحقيقي رابط ، ولا يتَّفقون معنا في شيء ، وقد صرَّح بذلك إمامهم نعمة الله الجزائري فقال في " الأنوار النُّعمانية" (٢/ ٢٧٨) : " إنَّا لا نجتمع معهم – أي مع السُّنَّة – علىٰ إله ولا علىٰ نبي ولا علىٰ إمام ، وذلك أنَّهم يقولون : أنَّ ربَّهم هو الذي كان مُحمَّد نبيّه ، وخليفته من بعده أبو بكر . ونحن لا نقول بهذا الرَّبّ ، ولا بذلك النَّبي ، بل نقول : أنَّ الرَّبَّ الذي خليفة نبيِّه أبو بكر ليس ربُّنا ، ولا ذلك النَّبي نبيُّنا" ...

ونحن نتكلَّم عن عقيدتهم بالملائكة الكرام عليهم السَّلام ... نشير إلىٰ بعض النّقاط فقط ، ومن أبرز تلكم النِّقاط :

أوَّلاً : أكَّد الخُميني في الحكومة الإسلامية (ص٤٧) علىٰ كون الأئمَّة أفضل من جميع الأنبياء والرُّسل ، وأنَّهم كذلك أفضل من الملائكة ، فقال : " إنَّ لأئمَّتنا مقاماً لا يبلغُهُ مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبّيٌّ مُرسَلٌ " ، مع العلم أنَّ أصل كلام الخُميني هذا موجود في : (الكافي (٨/ ١٠) ، شرح أصول الكافي (١١/ ١٧٢) ، بحار الأنوار (٧٥/ ٢١٩ ، الأسرار الفاطمية (ص ٢٦٦) ، الولاية التَّكوينية الحق الطبيعي للمعصوم (ص١٠٣) .

ثانياً : صرَّحوا في رواياتهم بأنَّ الملائكة الأكرمين يدينون بولاية أئمَّة الشِّيعة ، فقد روىٰ صاحب بصائر الدرجات (ص ٨٧) بسنده عن أبي جعفر قال : والله إنَّ في السَّماء لسبعين صنفاً من الملائكة لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلُّهم يحصون عدد كلّ صنف منهم ما أحصوهم ، وأنَّهم ليدينون بولايتنا .

ثَالِثَاً : يعتقدون أنَّ الله تعالىٰ خلق الملائكة من نور علي بن أبي طالب ، فقد روىٰ الشَّيخ أبو جعفر الطُّوسي في " مصباح الأنوار " : عن أنس بن مالك قال : صلَّىٰ بنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله في بعض الأيَّام صلاة الفجر ، ثمَّ أقبل علينا بوجهه الكريم ... وفيه : " فلمَّا أراد الله تعالىٰ أن ينشئ الصَّنعة فتق نوري فخلق منه العرش ، فنور العرش من نوري ، ونوري خير من نور العرش ، ثمَّ فتق نور أخي علي بن أبي طالب عليه السَّلام فخلق منه نور الملائكة ، فنور الملائكة من نور علي ، فنور علي أفضل من الملائكة " انظر : مدينة المعاجز (٣/ ٢٢١-٢٢٣) ، بحار الأنوار (٢٥/ ١٦) .

وجاء في " المحتضر " (ص١٧١) وبحار الأنوار (٢٣/ ٣٢٠) : قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبِّيه إلىٰ يوم القيامة.

رَابِعَاً : أنَّ جبريل عليه السَّلام سيُبايع المهدي ، فعن المفضل بن عمر ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السَّلام يقول : إذا أذن الله تعالىٰ للقائم بالخروج صعد المنبر فدعا النَّاس إِلَىٰ نفسه ، وناشدهم بالله ، ودعاهم إِلَىٰ حقِّه ، عَلَىٰ أن يسير فيهم بسيرة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، ويعمل فيهم بعمله ، فيبعث الله عزَّ وجلَّ جبرئيل عليه السَّلام حتَّىٰ يأتيه فينزل عَلَىٰ الحطيم ثمَّ يقول له : إِلَىٰ أي شيء تدعو ؟ فيخبره القائم فيقول جبرئيل : أنا أَوَّل من يبايعك ، أبسط كفَّك ، فيمسح عَلَىٰ يده ، وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، فيبايعونه ، ويقيم بمكَّة حتَّىٰ يتمّ أصحابه عشرة آلاف نفس ، ثمَّ يسير إِلَىٰ المدينة . (انظر : الإرشاد (٢/ ٣٨٣) ، المستجاد من الإرشاد (ص٢٦٧) ، بحار الأنوار (٥٢/ ٣٣٨) ، الأنوار البهية (ص٣٨٢) ، مستدرك سفينة البحار (١٠/ ٥١٥) ، معجم أحاديث الإمام المهدي (٣/ ٤٩٢) ، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ (٢/ ٢٨٨) ، كشف الغمة (٣/ ٢٦٣) ، إلزام الناصب (٢/ ٢٤٥) .

مع أنَّ رواياتهم صرَّحت بأنَّ المهدي قبل توجُّهه إِلَىٰ المدينة سَيَقْتُلُ أهل السُّنَّة بين الرُّكن والمقام ، وسيقطع أَيدِيْ وَأَرْجُل بَنِيْ شَيْبَة ، خَزَنَة الكَعْبَة ، وبذلك سيخالف عملُهُ قولَه ...

خَامِسَاً : أنَّ ملائكة بدر سيبايعون المهديَّ وسيسيرون معه ، فعن عَلِيّ بن أَبِي حمزة ، قال : قال أبو عبد الله عليه السَّلام : إذا قام القائم صلوات الله عليه نزلت ملائكة بدر ، وهم خمسة آلاف ، ثلث عَلَىٰ خيول شهب ، وثلث عَلَىٰ خيول بلق ، وثلث عَلَىٰ خيول حُوّ . قلت : وما الحوّ ؟ قال: هي الحمر (إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ (٢/ ٢٨٩) ، بحار الأنوار (٥٢/ ٣٥٦) ، معجم أحاديث الإمام المهدي (٤/ ١٩) ، كِتَاب الغيبة للنعماني (ص٢٥١) .

فملائكة بدر سينزلون ليبايعوا إمامهم المهدي ، وسيكونون عوناً وعضداً له ، وسيراهم النَّاسُ ، فلا يستترون عنهم ...

فقد جاء في رواية طويلة عن المفضل ، قال للصَّادق : يا سيِّدي ، وتظهر الملائكة والجن للنَّاس ؟ قال : أي والله يا مفضل ، ويخالطونهم ، كما يكون الرَّجُل مع جماعته وأهله ، قلت : يا سيِّدي ، ويسيرون معه ؟ قال إي والله ... " (الهداية الكبرىٰ (ص٣٩٩) ، بحار الأنوار (٥٣/ ١١) ، (٦٠/ ٧٦) ، إلزام الناصب (٢/ ٢٢٦) .

فهل سيؤيِّد جبريل ومن معه من الملائكة الأكرمين المهدي المزعوم عَلَىٰ جرائمه وبوائقه التي ما سبقه بها أحد من العالمين ؟! وهل ستكون الملائكة عوناً له عَلَىٰ ما سيقوم به من أعمال ؟ وهل سيباركون هدمه لبيت الله الحَرَام ، والمسجد النَّبَوِيّ ، واستخراجه لأبي بكر وعمر – عَلَىٰ ما سنرىٰ – وصلبهما مع أُمِّنا عَائِشَة رضي الله عنها أجمعين ؟ وكيف له أن يصنع هذا الصَّنيع الأليم ببيت الله الحَرَام الذِيْ جعله الله تعالىٰ حرماً آمناً وقبلة للنَّاس ، يتوجَّهون إليها في الصَّلاة ، مع ما له من فضائل جمَّة صُنّفت فيها المصنَّفات ؟!

مع العلم أنَّ كُتب الشِّيْعَة الإماميَّة ذكرت بعض الأحاديث عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وضَّح فيها بأنَّ هَدْم البيت الحَرَام يُعتبر عملاً من أعظم الأعمال جُرماً عند الله تعالىٰ ، وأشدّها عقوبة ، فقد نقل القمي ، والصَّدوق ، والحرّ العاملي ، وغيرُهم من علمائهم قول رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : " لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله عزَّ وجلَّ من رجل قتل نبيَّاً ، أو هَدْم الكَعْبَة التي جعلها الله قبلة لعباده ، أو أفرغ ماءه في امرأة حراماً " . (انظر : الخصال (ص١٢٠) ، من لا يحضره الفقيه (٣/ ٥٥٩) ، (٤/ ٢٠) ، تحرير الأحكام (٥/ ٣٢٦) ، وسائل الشِّيْعَة (آل البيت) (٤/ ٣٠٠) ، وسائل الشِّيْعَة (الإسلامية) (٣/ ٢١٨) ، الفصول المهمة في أصول الأئمَّة (٢/ ٧٤) ، مستدرك الوسائل (٣/ ١٧٩) ، (٩/ ٣٤٤) ، جامع أحاديث الشِّيْعَة (٤/ ٥٨٢) ، (٢٠/ ٣٤٢) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (١٢/ ٢٩) ، بحار الأنوار (٢٧/ ٢٤٠) ، (٧٦/ ٢٠) ، (٩٦/ ٧٥) ، مستدرك سفينة البحار ١/ ٤٢٧) ، ميزان الحكمة (٢/ ١١٦٠) ، روضة الواعظين (ص٤٦١) ، عوالي اللئالي (٣/ ٥٤٦) ، المسائل المستحدثة (ص٩) .

فهدمُ الكَعْبَة بنصِّ الحديث : من أعظم الأعمال جُرْماً عند الله تعالىٰ ، وبالتَّالي فالمهدي مُجرمٌ جُرْماً هو عند الله تعالىٰ من أعظم الجرائم وأخطرها ...

سَادِسَاً : اعتبروا البُقعة التي دفن فيها الحسين : روضة من رِياض الجنَّة ، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زوَّار القبر إلَىٰ السَّماء ، وأنَّ الملائكة تزوره عَلَىٰ مدار السَّاعة ، ففوجٌ نازل وفوجٌ صاعد ...

قال صاحب "منهاج الصَّالحين" : وفي الصَّحيح عن إسحق بن عمَّار ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السَّلام يقول : إنَّ لموضع قبر الحسين بن عَلِيّ عليهما السَّلام حرمة معلومة ، من عرفها واستجار بها أجير ... وموضع قبره يوم دفن روضة من رياض الجنَّة ، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زوَّاره إِلَىٰ السَّماء ، فليس ملك ولا نبي في السَّموات إلَّا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السَّلام ، ففوج ينزل وفوج يخرج . (انظر: منهاج الصالحين (١/ ٣٦٣)، الكافي (٤/ ٥٨٨)، كامل الزيارات (ص٢٢٤) ، ثواب الأعمال (ص٩٦) ، وسائل الشِّيْعَة (الإسلامية) (١٠/ ٤٠١)، مناقب آل أَبِي طَالِب (٣/ ٢٧٢) ، بحار الأنوار (٩٨/ ٦١) ، جامع أحاديث الشِّيْعَة (١٢/ ٤٦١) ، معارج اليقين في أصول الدِّين (ص٨٣) ، الحق المبين في معرفة المعصومين (ص٣٨٤) ، مقدمة في أصول الدِّين (ص٣٦٦) .

وزعموا أنَّ الملائكة زارت كَرْبُلَاء ألف عام قبل الحسين ، وما من ليلة تمضي إلَّا وجبريل وميكائيل يزورانه ... فعن الفضل بن يحيىٰ ، عن أبيه ، عن أَبِي عبد الله عليه السَّلام ، قال : زوروا كَرْبُلَاء ولا تقطعوه ، فإنَّ خير أولاد الأنبياء ضمنته ، ألا وإنَّ الملائكة زارت كَرْبُلَاء ألف عام من قبل أن يسكنه جدِّي الحسين عليه السَّلام ، وما من ليلة تمضي إلَّا وجبريل وميكائيل يزورانه ..." . (انظر: كامل الزيارات (ص٤٥٢) ، بحار الأنوار (٩٨/ ١٠٩) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٩/ ٣٢٤) ، مستدرك الوسائل (١٠/ ٢٦٢) ، جامع أحاديث الشِّيْعَة (١٢/ ٤٤٩) .

سَابِعَاً : أنَّ الله تعالىٰ خصَّص ملائكة للبكاء علىٰ الحسين : فقد روىٰ الحر العاملي في " وسائل الشِّيعة (الإسلاميَّة)" (١٠/٣١٨) وابن شهر آشوب في " مناقب آل أبي طالب " (٣/ ٢٧٢) عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال : وَكَّل الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه إلىٰ يوم القيامة ، فمن زاره عارفاً بحقِّه شيَّعوه حتىٰ يبلغوه مأمنه ، وإن مرض عادوه غدوة وعشيَّة ، وإن مات شهدوا جنازته واستغفروا له إلىٰ يوم القيامة " .

ثَامِنَاً : أنَّ الملائكة خُدَّام الشِّيعة : فقد شيخهم الصَّدوق في " علل الشَّرائع" (١/ ٥) وعيون أخبار الرِّضا (٢/ ٢٣٧) وكمال الدِّين وتمام النِّعمة (ص٢٥٥) عن علي بن أبي طالب أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " ... والفضل بعدي لك يا علي وللأئمَّة من بعدك ، وإنَّ الملائكة لخُدَّامنا وخُدَّام محبِّينا " .

تَاسِعَاً : زعموا أنَّ ولاية عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مكتوبة علىٰ ظهر مَلَك من الملائكة ، قبل أن يخلق اللهُ آدم عليه السَّلام باثنين وعشرين ألف عام . وفي ذلك يروي إمامهم الكليني وغيره عن أبي الحسن – عليه السَّلام – قال : " بينا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ إذ دخل عليه مَلَك له أربعة وعشرون وجهاً . فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حبيبي جبرائيل لم أرك في مثل هذه الصُّورة . قال المَلَك : لست بجبرائيل ،

يا مُحمَّد ، بعثني الله عزَّ وجلَّ أن أزوِّج النُّور من النُّور . قال : من ممَّن ؟ قال : فاطمة من علي ، قال : فلمَّا ولَّى المَلَك ، إذ بين كتفيه : " مُحمَّد رسول الله ، عليٌّ وصيّه " فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : منذ كم كُتب هذا بين كتفيك ؟ فقال : من قبل أن يخلق آدم باثنين وعشرين ألف عام " . (انظر : الكافي ١/ ٤٦٠ ، غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام (٢/ ٢٠٩) ، مسائل علي بن جعفر (ص ٣٢٦) ، الخصال (٦٤٠) ، معاني الأخبار (ص ١٠٤) ، روضة الواعظين (ص١٤٦) ، الأنوار العلوية (٥٢) ، اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (ص٢٤٤) ، دلائل الإمامة (ص٩٣) ، شرح إحقاق الحق (٣/ ٢٧٨) ، نوادر المعجزات (ص ٩٢) ، بحار الأنوار (٤٣/ ١١١) ، الخصائص الفاطمية (١/ ٢٦٦) ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة (١/ ١٠٥) ، (٢/ ١١٦٤) ، (٢/ ٢٥٠) ، مدينة المعاجز (٢/ ٣٣٨) ، مناقب آل أبي طالب (٣/ ١٢٦) ، نوادر المعجزات (ص٩٢) ، الثاقب في المناقب (ص ٢٨٩) .

عَاشِرَاً : زعموا أنَّ ولاية عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عُرضت على الملائكة ، فلم يقبلها بعضهم ، وأنَّ ممَّن لم يقبلها من الملائكة مَلَكاً يُقال له : فطرس ، فكسر الله جناحه . (انظر : بصائر الدَّرجات (ص٨٨) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٣٤١) ، (١٠٨/ ٣٧٦) ، مدينة المعاجز (٣/ ٤٣٧) ، تفسير نور الثقلين (٤/ ٣٤٨) ، فضل زيارة الحسين (ص٣٥) ، مجمع البحرين (٣/ ٣٩٠) ، مع أنَّ الملائكة عليهم السَّلام معصومون وهم بأمر الله يعملون **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** [النحل :٥٠] ، **﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم: ٦] ...

حَادِيْ عَشَر : جعلوا قبره مزاراً يزوره الله !!! والملائكة والأنبياء ، وفي ذلك روى الكليني وغيره عن يونس بن أبي وهب القصري ، قال : دخلتُ المدينة فأتيتُ أبا عبد الله عليه السَّلام ، فقلت : جُعلتُ فِدَاكَ ، أتيتك ولم أَزُرْ أمير المؤمنين عليه السَّلام ، قال : بئس ما صنعت ، لولا أنَّك من شيعتنا ما نظرت إليك ، ألا تزور من يزوره الله !!! مع الملائكة ، ويزوره الأنبياء والمؤمنون ... (انظر : الكافي (٤/ ٥٨٠) ، بحار الأنوار (٢٥/ ٣٦١) ، (٩٧/ ٢٥٨) ، المحتضر (ص١٦١) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١٢/ ٣١٧) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٤/ ٣٨٧) ، الدر النظيم (ص ٤٢٣) ، الأنوار العلوية (ص ٤٣١) ، الشِّيعة في أحاديث الفريقين (ص ٤١٣) ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (٧/ ٣٠٠) ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام (٢٠/ ٩٠) ، كامل الزيارات (ص ٨٩) ، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة (٦/ ٢٠) ، وسائل الشِّيعة (آل البيت) (١٤/ ٣٧٦) ، وسائل الشِّيعة (الإسلامية) (١٠/ ٢٩٤) ، الغارات (٢/ ٨٥٤) ، المزار ، المفيد (ص ٢٠) ، المزار ، مُحمَّد بن المشهدي (ص ٣٦) ، فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي (ص ١٠٢) .

فكيف يزور الله تعالى قبر علي ؟!! ولأي شيء يزوره ؟!! ونحن نعلم أنَّ زيارة الأموات إنَّما تكون للعظة والاعتبار بمن فارق هذه الدَّار !!

ثَانِيْ عَشَر : زعموا أنَّ الملائكة الكرام عليهم السَّلام تستأذن الله عزَّ وجلَّ بين الفينة والأخرىٰ بالنُّزول إلىٰ الأرض للسَّلام علىٰ عليٍّ بن أبي طالب ، وفي ذلك روىٰ شيخهم المفيد عن حذيفة ، قال: قال النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أما رأيت الشَّخص الذي اعترض لي ؟ قلت : بلىٰ يا رسول الله ، قال : ذاك مَلَكٌ لم يهبط قطّ إلىٰ الأرض قبل السَّاعة ، استأذن الله عزَّ وجلَّ في السَّلام علىٰ عليٍّ ، فأذن له فسلَّم عليه . (انظر : الأمالي ، المفيد (ص ٢٣) ، مدينة المعاجز (٤/ ٣٣) ، بحار الأنوار (٣٧/ ٤٨) ، قرة العينين من أحاديث الفريقين (ص ٧٠) .

وزادوا في إفراطهم وغلوِّهم في هذا الباب فزعموا أنَّ الملائكة تشتاق إلىٰ النَّظر إلىٰ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وفي ذلك روىٰ فُرات الكوفي في تفسيره : أنَّ ملائكة السَّماء السَّابعة قالت : شكونا عليَّ بن أبي طالب إلىٰ الله ، فخلق لنا في صورته ملكاً ، وأقعده عن يمين عرشه علىٰ سرير من ذهب مرصَّع بالدُّر والجواهر ، قوائمه من الزَّبرجد الأخضر ، عليه قبَّة من لؤلؤة بيضاء ، يرىٰ باطنها من ظاهرها ، وظاهرها من باطنها ، بلا دعامة من تحتها ، وعلاقة من فوقها ، قال لها صاحب العرش : قومي بقدرتي ، فقامت بأمر الله ، فكلَّما اشتقنا إلىٰ رؤية علي بن أبي طالب – عليه السَّلام – في الأرض نظرنا إلىٰ مثاله في السَّماء . (انظر : تفسير فرات الكوفي (ص ٣٧٤) ، بحار الأنوار (٤٠/ ٥٨) .

وزعموا أنَّ الملائكة الأبرار تضع أجنحتها لعليٍّ بن أبي طالب ، وكذا يخضع له النَّاس ، كلُّهم العدو منهم والصَّديق ، وذلك نظراً لسابقته وخدمته ونشره للإسلام في الدُّنيا كلّها ، وفي ذلك يقول الخُميني : " الملائكة تضع أجنحتها تحت أقدام أمير المؤمنين – عليه السَّلام – لسابقته وخدمته ونشره الإسلام في الدُّنيا كلِّها ، فالملائكة تخضع له ، ويخضع له النَّاس حتىٰ الأعداء منهم (انظر : الحكومة الإسلامية (ص٥٢-٥٣) ...

وأين ذهب بقيَّة الصَّحابة الذين حملوا علىٰ عاتقهم خدمة الإسلام ونشره وبذلوا في سبيله كلَّ شيء ، وما نالهم من الشِّيعة إلَّا التَّكفير واللعن والطَّعن ....

ثَالِثُ عَشَر : زعموا أنَّ الملائكة تنزل علىٰ أئمَّتهم في رحالهم ، وتجلس علىٰ فُرُشهم ، وتحضر موائدهم !!! ... فقد روىٰ قطب الدِّين الرَّاوندي في " الخرائج والجرائح " (٢/ ٨٥٢) والسيِّد هاشم البحراني في " ينابيع المعاجز " (ص٧٨-٧٩) والمجلسي في " بحار الأنوار" (٢٦/ ٣٥٦) عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال : إنَّ الملائكة لتنزل علينا في رحالنا ، وتنقلب علىٰ فرشنا ، وتحضر موائدنا وتأتينا من كلِّ نبات في زمانه ، برطب ويابس ، وتقلب علينا أجنحتها ، وتقلب علىٰ أجنحتها صبياننا ، وتمنع الدَّواب أن تصل إلينا ، وتأتينا في

وقت كلِّ صلاة فتصلِّيها معنا . وما من يوم يأتي علينا ولا ليل إلَّا وأخبار أهل الأرض عندنا ، وما يحدث فيها . وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إلَّا وتأتينا بخبره ، وكيف كانت سيرته في الدُّنيا" .

رَابِعُ عَشَر : زعموا أنَّ الملائكة تلعن الصَّاحبين الجليلين : سيِّدنا أبا بكر وسيِّدنا عمر ، فقد روىٰ الكليني عن أبي جعفر عليه السَّلام قال : " ... أنَّ الشيخين – أبا بكر وعمر – فارقا الدُّنيا ، ولم يتوبا ، ولم يذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السَّلام ، فعليهما لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين " . (انظر : الكافي (٨/ ٢٤٦) ، التفسير الصافي (٣/ ٤٧) ، تفسير نور الثقلين (٢/ ٤٦٦) ، شرح أصول الكافي (١٢/ ٣٤٠) ، بحار الأنوار (٣٠/ ٢٦٦) ، كشف الحقائق (ص ١٧٧) ، الإنتصار (٨/ ٣٢٣) .

فلعنُ الشِّيعة للصَّاحبين الجليلين : أبي بكر وعمر ، مذكور في أقدس الكتب عند الشِّيعة الإماميَّة ، وهو كتاب " الكافي " للكليني ...

خَامِسُ عَشَر : زعموا أنَّ شفاعة الملائكة بأهل السُّنَّة مرفوضة ، ففي المحاسن عن علي الخدمي قال : " قال أبو عبد الله عليه السَّلام : " أنَّ الجار ليشفع لجاره ، والحميم لحميمه ، ولو أنَّ الملائكة المقرَّبين والأنبياء المرسلين شفعوا في ناصب ما شفعوا " . (انظر : بحار الأنوار (٨/ ٤٢) ، مكيال المكارم (١/ ٣١٥) .

والنَّاصب – كما هو معلوم – لا يعنُون به إلَّا أهل السُّنَّة والجماعة ، فالسُّنِّيُّ مهما اجتهد في العبادة ، ولو صار بسببها كالشَّنِّ البالي ، فإنَّ عبادته مرفوضة مردودة عليه ، وهو صائر إلىٰ النَّار لا محالة ... حتىٰ لو شفعت فيه الملائكة المقرَّبون والأنبياء والمرسلون ، والعياذ بالله تعالىٰ ...

سَادِسُ عَشَر : زَعَمُوا أَنَّ الوَحْيَ لَمْ يَنْقَطِعْ بِانْتِقَالِ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الرَّفِيْقِ الأَعْلَىٰ، وأنَّه مستمرٌّ في نزوله علىٰ أئمَّتهم حتىٰ اليوم ، وأنَّ أوَّل نزول له بعد وفاة الرَّسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان علىٰ فاطمة ، حيث نزل عليها تسليه لها لفقدها أبيها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ عليَّ بن أبي طالب كتب إملاءً عن جبريل عليه السَّلام ما سُمِّي بمصحف فاطمة ...

وقد شُحنت كُتب الشِّيعة بما يدلُّ علىٰ نزول المَلَائِكَة علىٰ أئمَّتهم ، وأنَّه يُوحىٰ إليهم عبْرَ طُرقٍ عديدةٍ ، وأنَّ المَلَائِكَة تزُورهم ، ومن القنوات التي يتمُّ اتصال الوحي بأئمَّتهم من خلالها :

[١] الإلهام عن طريق النَّكت في القلوب . (انظر : الكافي (١/ ٢٦٤) ، بصائر الدرجات (ص٣٣٨) ، الإرشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد (٢/ ١٨٥) ، الاحتجاج (٢/ ١٣٤) ، بحار الأنوار (٢٦/ ١٨) .

[٢] أنَّ المَلَك يحدِّثهم عن طريق النَّقر في السَّماع ، فيُسمع الصَّوت ولا يُرىٰ المَلَك . (انظر : الكافي (١/ ٢٦٤) ، بصائر الدرجات (ص ٣٣٨) ، بحار الأنوار (٢٦/ ١٨) ، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ (١/ ٥٣٥) .

[٣] أنَّهم يُخاطبـون ويسمعون الصَّوت ، ويأتيهم صور أعظم من جبريل وميكائيل . (انظر : بصائر الدرجات (ص ٢١٥) ، الخصائص الفاطمية (١/ ٣٦٢) .

[٤] أنَّ مع الأئمَّة روحاً أعظم من جبريل وميكائيل يسدِّدهم . (انظر : الكافي (١/ ٢٧٣) ، بصائر الدرجات (ص٤٧٦) ، بحار الأنوار (١٨/ ٢٦٥) ، (٢٤/ ٧٠) ، (٢٥/ ٤٨) .

[٥] أنَّ من أنواع علومهم : علم يأتيهم بدون واسطة يسمُّونه بالعلم الحادث . (انظر : الكافي (١/ ٢٦٤) ، بصائر الدرجات (ص٣٣٨) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٥٩) ، (٤٨/ ٢٤٣)، (٧٥/ ٣٣١) .

[٦] أنَّ أئمَّتهم يجتمعون مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلّ ليلة جمعة تحت العرش فيزدادون علماً جديداً . (انظر : الكافي (١/ ٢٥٤) ، بصائر الدرجات (ص ١٥٠) ، بحار الأنوار (١٧/ ١٣٥) ، (٢٦/ ٨٨) .

[٧] أنَّ المَلَائِكَة تدخل بيوت الأئمَّة ، وتطأ بُسُطهم ، وتأتيهم بالأخبار . (انظر : الكافي (١/ ٣٩٢-٣٩٣) .

[٨] أنَّ الله تعالىٰ ناجىٰ عليّاً ، رضي الله عنه ، وأنَّ جبريل نزل بينهما ، وكان يُملي عليه . (انظر : بصائر الدرجات (ص ٣١١) ، الاختصاص (ص٢٠٠) ، مناقب آل أبي طالب (٣/ ٤٥) ، بحار الأنوار (٢٢/ ٥١٤) ، (٣٩/ ٦٢) ، (٤٠/ ٢٠٨) ، مدينة المعاجز (١/ ٧٢-٧٣) ....

ولتقرير هذه المسألة ، فقد رووا عن أئمَّتهم في ذلك العديد من الرِّوايات ، من ذلك :

روىٰ الكليني وغيره أنَّ المفضل سأل جعفر الصَّادق ، فقال : جُعلتُ فِداكَ ، يفرض الله طاعة عبد علىٰ العباد ويحجب عنه خبر السَّماء ؟ قال : لا ، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد علىٰ العباد ثمَّ يحجُب عنه خبرَ السَّماء صباحاً ومساء . (انظر : الكافي (١/ ٢٦١) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٧/ ٣١) .

وفي خبر آخر: أنَّ رجلاً سأل جعفر الصَّادق عن كيفيَّة العلم الذي يأتيهم ، فقال : كما كان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمه ، إلَّا أنَّهم لا يرون ما كان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرىٰ ، لأنَّه كان نبيَّاً وهم محدَّثون . (انظر : الكافي (١/ ٢٤٣) ، بحار الأنوار (١٣/ ٣٩٧) ، (٢٥/ ٧٥) ، (٤٦/ ٣٦٣) .

وكتب الحسن بن العبَّاس المعروفي إلىٰ الرِّضا عليه السَّلام : جُعلت فِداكَ ، أخبرني ما الفرق بين الرَّسول والنَّبي والإمام ؟ قال : فكتب أو قال : الفرق بين الرَّسول والنَّبي والإمام : أنَّ الرَّسول الذي ينزل عليه جبريل فيراه ، ويسمع كلامه ، وينزل عليه الوحي ، وربَّما رأىٰ في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السَّلام ،

والنَّبي ربَّما يسمع الكلام ، وربَّما رأىٰ الشَّخص ولم يسمع ، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرىٰ الشَّخص . (انظر : الكافي (١/ ١٧٦) ، بحار الأنوار (١١/ ٤١) ، ينابيع المعاجز وأصول الدلائل (ص٥٤) ، أعيان الشِّيعة (١/ ٦١) ، تفسير نور الثقلين (٣/ ٥١٠) .

وتكلَّمت رواياتهم التي ساقوها عن أئمَّتهم عن ماهيَّة الوحي الذي كان ينزل علىٰ الأئمَّة ، ومن ضمنه الإخبار عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلَّا الله ، وقد ملأ الشِّيعة كتبهم بالرِّوايات التي تدلِّل علىٰ علم الأئمَّة بالغيب ، وسأكتفي بالإشارة إلىٰ كتابين من أشهر كتبهم ، لنرىٰ ما اشتملا عليه من ألوان الغيب التي يعرفها ويعلمها أئمَّتهم :

(١) فهرس الجزء الأوَّل من كتاب " الكافي " للكليني : واشتمل علىٰ الأبواب التَّالية : أنَّ الأئمَّة عليهم السَّلام إذا شاءوا أن يعلموا علموا ، أنَّ الأئمَّة عليهم السَّلام يعلمون متىٰ يموتون ، وأنَّهم لا يموتون إلَّا باختيارهم ، أنَّ الأئمَّة يعلمون علم ما كان وما يكون ، وأنَّه لا يخفىٰ عليهم الشَّيء ، أنَّ الأئمَّة عليهم السَّلام لو سُتر عليهم لأخبروا ...

ومن الرِّوايات التي ذكرها الكليني في باب : " الرُّوح التي يسدِّد الله بها الأئمَّة عليهم السَّلام " عن أسباط بن سالم قال : سأله رجل – يعني أبا عبد الله – من أهل هيت عن قول الله عزَّ وجلَّ : **﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [الشورىٰ: ٥٢] ، فقال : " منذ أن أنزل الله عزَّ وجلَّ ذلك الرُّوح علىٰ محمَّد – صلَّىٰ الله عليه وآله – ما صعد إلىٰ السَّماء، وأنَّه لفينا " . (انظر : الكافي (١/ ٢٧٣) .

وعن أبي بصير ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السَّلام يقول : **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾** [الإسراء: ٨٥] ، قال : خلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل ، لم يكن مع أحد ممَّن مضىٰ غير محمَّد صلَّىٰ الله عليه وآله ، وهو مع الأئمَّة يسدِّدهم ، وليس كل ما طلب وجد . (انظر : الكافي (١/ ٢٧٤) .

(٢) فهرس " بصائر الدَّرجات الكبرىٰ " للصَّفَّار : واشتمل علىٰ الأبواب التَّالية : عرض الأعمال علىٰ الأئمَّة الأحياء والأموات ، أنَّ الإمام يرىٰ ما بين المشرق والمغرب بالنُّور ، الأئمَّة يعرفون علم المنايا والبلايا ، علم الأئمَّة بما في السَّموات والأرض والجنَّة والنَّار وما كان وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة ، الأئمَّة أُعطوا علم ما مضىٰ وما بقىٰ إلىٰ يوم القيامة ....

ومن الرِّوايات التي رواها الصَّفَّار في " بصائر الدَّرجات " :

"عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السَّلام : جُعلتُ فِداكَ ، بلغني أنَّ الله تبارك وتعالىٰ قد ناجىٰ عليَّاً ؟

قال : أجل! قد كان بينهما مناجاة بالطَّائف ونزل بينهما جبرئيل" (انظر : بصائر الدرجات ، الصفار ، (ص٣١١) .

وعن أبي رافع قال :

لما دعا رسول الله – صلَّىٰ الله عليه وآله – عليَّاً عليه السَّلام يوم خيبر ، فتفل في عينيه ، قال له : إذا أنت فتحتها فقف بين النَّاس ، فإنَّ الله أمرني بذلك . قال أبو رافع : فمضىٰ عليٌّ عليه السَّلام وأنا معه ، فلمَّا أصبح افتتح خيبر ووقف بين النَّاس وأطال الوقوف ، فقال النَّاس :

إنَّ عليَّاً عليه السَّلام يناجي ربَّه ، فلمَّا مكث ساعة أمر بانتهاب المدينة التي فتحها ، قال أبو رافع : فأتيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله ، فقلت : إنَّ عليَّاً عليه السَّلام وقف بين النَّاس كما أمرته ، قال قوم منهم :

يقول إنَّ الله ناجاه ، فقال : نعم يا رافع ! إنَّ الله ناجاه يوم الطَّايف ويوم عقبة ويوم حنين . (انظر : بصائر الدرجات ، الصفار ، (ص٤٣١) .

ومن ضمن ما اشتملت عليه رواياتهم عن أئمَّتهم : العديد من المعجزات ، التي جاءتهم عن طريق الوحي ، وذلك إمعاناً منهم في المساواة بين أئمَّتهم والأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام (انظر ذلك موسعا في كتاب : مدينة المعاجز لهاشم البحراني ، وهو كتاب ضخم يقع في ثمانية مجلدات) .

بل أنَّهم غالوا في ذلك كثيراً ، فزعموا أنَّ كلَّ قول للأئمَّة فهو كقول الله تعالىٰ ورسوله ، عندهم ، قال ابن بابويه القمِّي : " قولهم قول الله ، وأمرهم أمر الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، وأنَّهم لم ينطقوا إلَّا عن الله تعالىٰ وعن وحيه" . (انظر : الهداية في الأصول والفروع (ص ٢٠) ، الاعتقادات (ص٩١) ، بحار الأنوار (١١/ ٢٨) ، (١٦/ ٣٧٢) .

واشتطَّ القوم في غلوِّهم حين قالوا : يجوز لمن سمع حديثاً عن أبي عبدالله أن يرويه عن أبيه أو عن أحد أجداده ، بل يجوز أن يقول : قال الله !!! (انظر : شرح أصول الكافي ، محمَّد صالح المازندراني (٢/ ٢٢٥) .

ووصل بهمُ الأمر في هذا الباب إلىٰ أنَّهم جعلوا من ضروريَّات مذهبهم : أنَّ لأئمَّتهم مقاماً لا يبلغه مَلكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مُرسل . (انظر : الكافي (٨/ ١٠) ، بحار الأنوار (٧٥/ ٢١٩) ، صراط النجاة ، أبو القاسم الخوئي (ص ٤١٧) ، طبع سنة ١٩٩٧ ، الحكومة الإسلامية ، الخميني (ص٤٧) ، ومُنكِر الضَّروري عندهم كافر ...

والحقّ أنَّ هذه العقيدة عقيدة فاسدة باطلة ، لأنَّها تصطدم مع عشرات الآيات القرآنيَّـة التي أشارت وصرَّحت بختم رسالة سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرسالات السَّماء وانتهاء وحي السَّماء ، كما قال تعالىٰ : **﴿مَا كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾** [الأحزاب: ٤٠] ، قال الإمام الطَّبري في تفسيرها : " يقول تعالىٰ ذكره : ما كان أيُّها النَّاس محمَّد أبا زيد بن حارثة ، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمَّد ؛ فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إيَّاها ، ولكنَّه رسول الله وخاتم النَّبيِّين ، الذي ختم النُّبوَّة فطبع عليها ، فلا تفتح لأحد بعده إلىٰ قيام السَّاعة " . (انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/ ٢٧٨) .

كما أنَّ الدِّين كامل لا يحتاج إلىٰ ما يكمِّله ، كما قال الله تعالىٰ : **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [المائدة: ٣] ، قال الطَّبري في تفسيرها : " قال بعضهم : يعني جلَّ ثناؤه بقوله : **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ﴾** ، اليوم أكملت لكم، أيُّها المؤمنون ، فرائضي عليكم وحدودي ، وأمري إيَّاكم ونهيي ، وحلالي وحرامي ، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي ، وتبياني ما بيَّنت لكم منه بوحيي علىٰ لسان رسولي ، والأدلَّة التي نصبتُها لكم علىٰ جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم ، فأتممت لكم جميع ذلك ، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم . قالو ا: وكان ذلك في يوم عرفة ، عام حجَّ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجَّة الوَدَاع . وقالوا : لم ينزل علىٰ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هذه الآية شيء من الفرائض ، ولا تحليل شيء ولا تحريمه ، وأنَّ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعش بعد نزول هذه الآية إلَّا إحدىٰ وثمانين ليلة " . (انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٩/ ٥١٧-٥١٨) .

فإن احتجَّ مُحتَجٌّ علىٰ استمرار الوحي بعد انتقال الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ بما رواه البخاري وغيره مرفوعاً : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً ، فَيَكْسِرَ

الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ... " . (أخرجه البخاري ، (٤/ ١٦٨برقم ٣٤٤٨) .

فيُردُّ عليه بأن عيسىٰ عليه السَّلام لن يأت بشرع جديد ولا بأحكام جديدة بل أنَّه سيعمل بشريعة سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل سيعمل بما هو حجَّة ضدَّ النَّصارىٰ ، فيكسر صليبهم المُقدَّس عندهم ، وسيقتل الخنزير ، وسيضع الجزية ... ولن يقبل من أحد إلَّا الإسلام ، فقد نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني أنَّ النَّوَوِيُّ " قَالَ : الصَّوَابُ أَنَّ عِيسَىٰ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ ، قُلْتُ : وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ عِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : وَتَكُونُ الدَّعْوَىٰ وَاحِدَةٌ ، قَالَ النَّوَوِيُّ : وَمَعْنَىٰ وَضْعِ عِيسَىٰ الْجِزْيَةَ مَعَ أَنَّهَا مَشْرُوعَةٌ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ : أَنَّ مَشْرُوعِيَّتَهَا مُقَيَّدَةٌ بِنُزُولِ عِيسَىٰ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ هَذَا الْخَبَرُ ، وَلَيْسَ عِيسَىٰ بِنَاسِخٍ لِحُكْمِ الْجِزْيَةِ بَلْ نَبِيُّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُبين للنسخ بقوله هَذَا ، قَالَ بن بَطَّالٍ : وَإِنَّمَا قَبِلْنَاهَا قَبْلَ نُزُولِ عِيسَىٰ لِلْحَاجَةِ إِلَىٰ الْمَالِ بِخِلَافِ زَمَنِ عِيسَىٰ فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَىٰ الْمَالِ فَإِنَّ الْمَالَ فِي زَمَنِهِ يَكْثُرُ حَتَّىٰ لَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ مَشْرُوعِيَّةَ قَبُولِهَا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ شُبْهَةِ الْكِتَابِ وَتَعَلُّقِهِمْ بِشَرْعٍ قَدِيمٍ بِزَعْمِهِمْ فَإِذَا نَزَلَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَالَتِ الشُّبْهَةُ بِحُصُولِ مُعَايَنَتِهِ فَيَصِيرُونَ كَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ فِي انْقِطَاعِ حُجَّتِهِمْ وَانْكِشَافِ أَمْرِهِمْ ، فَنَاسَبَ أَنْ يُعَامَلُوا مُعَامَلَتَهُمْ فِي عَدَمِ قَبُولِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ " . (انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٤٩٢) .

ثمَّ إنَّ عيسىٰ عليه السَّلام سيقتدي بإمام من أئمَّة أمَّة محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بمعنىٰ أنَّه سيكون تابعاً لا متبوعاً ، أي أنَّه سيصلِّي نفس صلاتنا ، ولن يأتي بشرع جديد ، بل أنَّه سيحكم بكتاب الله تعالىٰ وسُنَّة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام ، كما أنَّ سيرته ستكون وفقاً لما أخبر به النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسيكون نزوله من أعلام النُّبوَّة ...

فوحي التَّشريع ونسخ الأحكام انقطع بانتقال الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ ، فقد وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عُتْبَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ ، يَقُولُ : " إِنَّ أُنَاساً كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْراً ، أَمِنَّاهُ ، وَقَرَّبْنَاهُ ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُّ يُحَاسِبُهُ فِي

سَرِيرَتِهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ ، وَإِنْ قَالَ : إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ " . (أخرجه البخاري ، (٣/ ١٦٩ برقم ٢٦٤١) ، البغوي في شرح السنة (١٠/ ١٢٧) ، البيهقي في السنن الكبرى ، (٨/ ٣٤٩ برقم ١٦٨٥٠) .

وَعَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ : " انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ ، فَقَالَا لَهَا : مَا يُبْكِيكِ ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَتْ : مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ . فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا " . (أخرجه مسلم (٤/ ١٩٠٧ برقم ٢٤٥٤) .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَـــالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهِ بِي فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ " . (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٤٢٣ برقم ٩٦٧٧) ، الدارمي (١/ ٢٢٢ برقم ٨٥) مرسلاً) .

قَالَ الإمام القُرطبي : " قَالَ أَبُو عُمَرَ : وَصَدَقَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّ الْمُصِيبَةَ بِهِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَمَاتَتِ النُّبُوَّةُ . وَكَانَ أَوَّلَ ظُهُورِ الشَّرِّ بِارْتِدَادِ الْعَرَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَانَ أَوَّلَ انْقِطَاعِ الْخَيْرِ وَأَوَّلَ نُقْصَانِهِ " . (انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٧٦) .

فبانتقال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرَّفيق الأعلى انقطع الوحي الذي كان يتنزَّل من يوم أهبط آدم إلى الأرض وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ... ومن أسباب انقطاع الوحي أنَّ الزَّمان يقترب يوميَّاً من نهاية الكون ، وقد ثبت في الصَّحيح قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ " ، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ ، وَالْوُسْطَى ... " . (أخرجه مسلم ، (٢/ ٥٩٢ برقم ٨٦٧) .

والحديث بمنطوقه يشير إلى أنَّ بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريبة من السَّاعة كقرب السَّبَّابة من الوُسْطى ، قال الإمام النَّووي : " قَالَ الْقَاضِي : يَحْتَمِلُ أَنَّه تَمْثِيلٌ لِمُقَارَبَتِهَا وأَنَّه لَيْسَ بَيْنَهُمَا إِصْبَعٌ أُخْرَى كَمَا أَنَّه لَا نَبِيَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّه لِتَقْرِيبِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُدَّةِ وَأَنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَهُمَا كَنِسْبَةِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْإِصْبَعَيْنِ تَقْرِيباً لَا تَحْدِيداً " . (انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(٦/ ١٥٥) .

والآيات القُرآنيَّة التي جاءت تحمل نفس الدَّلالة كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ [القمر: ١] ، وقوله تعالى : ﴿**أَزِفَتِ الْآزِفَةُ**﴾ [النجم:٥٧] ، قال الإمام الرَّازي : " فَقَوْلُهُ : ﴿**أَزِفَتِ**

الْآزِفَةُ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْقَبِيلِ الْأَوَّلِ ، أَيْ : قَرُبَتِ السَّاعَةُ الَّتِي كُلَّ يَوْمٍ يَزْدَادُ قُرْبُهَا فَهِيَ كَائِنَةٌ قَرِيبَةٌ وَازْدَادَتْ فِي الْقُرْبِ " . (انظر : تفسير الرازي(٢٩/ ٢٨٦) .

ثمَّ أنَّه لا داعي للمعجزة التي تتجَّدد مع بعثة كلِّ رسول كشهادة تشهد على صدقه ، لأنَّ معجزة القرآن قائمة حتى قيام السَّاعة ، كما أنَّ البشر وصلوا إلى درجة علميَّة باهرة لم تصطدم مع القرآن بل إنَّ مفردات الكثير منها تشهد بجلال المعجزة الخالدة ، ولذلك فإنَّ البشر ليسوا في حاجة إلى المعجزات ، لأنَّ كلّ ما الوجود شاهدٌ على عظمة الخلق وجلال الخالق ، وفي كلِّ شيء له آية تدلُّ على أنَّه الخالق ...فكلُّ من يعتقد بعكس عقيدة انقطاع وحي السَّماء فهو كذَّاب أشر ...

ويظهر الأمر جليَّاً ببطلان عقيدة الشِّيعة في هذه المسألة إذا عرفنا أنَّها مجرَّد دعوى فارغة ينقصها الدَّليل من الكتاب والسُّنّة ، بل إنَّ أدلَّة الكتاب والسُّنَّة ترفضها بالكليَّة ، مع التَّأكيد على أنَّ الإمام الذي ينتسبون إليه وهو جعفر الصَّادق يردُّ عليهم عقيدتهم تلك ، فيقول كما هو مثبت في مصادرهم ومراجعهم : " إنَّ الله عزَّ وجلَّ ختم بنبيِّكم النَّبيِّين ، فلا نبيَّ بعده ، وختم بكتابكم الكُتب فلا كتاب بعده أبداً ، وأنزل فيه تبيان كلّ شيء ، وخلقكم وخلق السَّموات والأرض ، ونبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم ، وأمر الجنَّة والنَّار، وما أنتم صائرون إليه " . (انظر : الكافي (١/ ٢٦٨) الفصول المهمّة في أصول الأئمَّة (١/ ٤٨٣)، تفسير نور الثقلين (٣/ ٧٦)، ميزان الحكمة (٤/ ٣١٨٧) .

وعليه ، فعقيدة الشِّيعة الإماميَّة بنزول الوحي بعد وفاة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقيدة زائفة باطلة ، لا زمام لها ولا خطام ، ولا أصل ولا فصل ، ولا تملك سنداً لا من الكتاب ولا من السُّنَّة ، وهي عقيدة مضطربة متناقضة ، واقعة في إطار الوعيد الإلهي الذي يقول : **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهَّ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾** [الأنعام: ٩٣] ، ويقول: **﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهَّ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** [الأنعام: ١٤٤] ، ويقول : **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهَّ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [هود: ١٨]

(سُؤالٌ﴾ : هَلْ لَكَ أَنْ تُسَمِّيْ لَنَا بَعْضَ الكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ عِنْدَ الشِّيْعَةِ الإِمَامِيَّة ؟

الجواب : يعتقد الشِّيعة الإماميَّة بقداسة العديد من الكتب الموحى به من عند الله تعالى ، وهي :

أَوَّلاً : القُرْآنُ الكَرِيْم : والعقيدة بالقرآن الكريم الموجود بيننا اليوم عند الشِّيعة الإماميَّة تنتظم في الأمور التَّالية :

(١)أنَّه كتاب محرَّف : والقول بتحريف القرآن عقيدة من عقائد الشِّيعة ، ورواياتهم في ذلك متواترة عندهم . قال ثقتهم وحجَّتهم محمَّد باقر المجلسي : " والأخبار عن طريق الخاصَّة والعامَّة في النَّقص والتَّغيير متواترة " . (انظر : مرآة العقول في شرح أخبار الرَّسول (٣/ ٣١) .

(٢) وقال إمامهم ومحدِّثهم نعمة الله الجزائري وهو يتحدَّث عن القرآن : " إنَّ تسليم تواتره عن الوحي الإلهي وكون الكلّ قد نزل به الرُّوح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالَّة بصريحها على وقوع التَّحريف في القرآن كلاما ومادَّة وإعراباً ، مع أنَّ أصحابنا قد أطبقوا على صحَّتها والتَّصديق بها " . (انظر : الأنوارالنعمانية (٢/ ٣٥٧) .

وعلماؤهم الذين نقلوا تواتر رواياتهم بتحريف القرآن كثيرون ، منهم : عدنان البحراني (مشارق الشُّموس الدريَّة (ص ١٢٦) ، محمَّد صالح المازندراني (شرح جامع ، محمَّد صالح المازندراني (١١/ ٧٦) ، محمَّد النّباطي (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار (ص ٣٦) ، محمَّد بن الحسين الحرّ العاملي (إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات (٢/ ٦ ، ١٦٣) ، وغيرهم كثير ...

فالقول بالتَّحريف من المسلَّمات المعلومة من الدِّين بالضَّرورة في دين الشِّيعة الإماميَّة ، وهو من المسائل المُجمع عليها عندهم ، وقد نصَّ على إجماعهم على ذلك !! جمعٌ من علمائهم ، منهم : شيخهم وحجَّتهم المفيد الذي قال: " واتَّفق علماء الإماميَّة على أنَّ أئمَّة الضَّلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن ، وعدلوا فيه عن موجب التَّنزيل " . انظر : أوائل المقالات (ص ٤٩) .

ومنهم : إمامهم عدنان البحراني ، حيث قال : " الأخبار في تحريف القرآن لا تُحصى وكثيرة ، وقد تجاوزت حدَّ التَّواتر ... وهو إجماع الفرقة المحقَّة ، وكونه من الضَّروريَّات " . انظر : مشارق الشموس الدرية (ص ١٢٦) .

(٣) أنَّ القرآن الموجود بيننا ليس بشيء في مقابل القرآن الموجود مع مهديِّهم ، لأنَّ القرآن الموجود مع المهدي أكبر بكثير من القرآن الموجود بيننا ، فعدد آيات القرآن المحفوظ مع المهدي : سبعة عشر ألف آية ، بمعنى أنَّه يعادل ثلاثة أضعاف القرآن الذي بأيدينا تقريباً . وفي ذلك يروي الكليني وغيره عن جعفر

الصَّادق ، قال : إنَّ القرآن الذي جاء به جبريل عليه السَّلام إلىٰ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعة عشر ألف آيـــة . (انظر : الكافي (٢/ ٦٣٣) ، الاعتقادات في دين الإماميَّة (ص ٨٤) ، تفسير نور الثقلين (١/ ٣١٣) الانتصار (٣/ ٣٠٧) .

(٤) أنَّه كتاب ناقص : حيث زعم الشِّيعة الإماميَّة أنَّ هنالك سور عديدة محذوفة من القرآن الموجود بيننا ، ومن تلك السُّور: سورة النُّورين (انظر : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (٢/ ١٧٢) ، فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب ، النوري الطبرسي (ص ١٨٠) ، تذكرة الأئمَّة (ص ١٨-١٩) .

وقد ذكر الأستاذ إحسان إلهي ظهير : أنَّ المجلسي نقلها عن تحفة الشِّيعة لنوربخش التوكُّلي (٣١٨/١) ، طبعة لاهور، انظر السُّنَّة والشِّيعة (ص ١١٩) .

سُورة الولاية : ذكر سورة الولاية العلَّامة ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي في كتابه : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (٢/ ١٧٢) ، المجلسي في تذكرة الأئمَّة (ص ١٩-٢٠) .

قال الأستاذ محب الدِّين الخطيب : سورة الولاية واردة في كتاب الطَّبرسي "فصل الخطاب (ص ١٨٠) ، وأنَّها واردة في كتابهم الفارسي (دبستان مذاهب) لمؤلِّفه : محسن فاني الكشمري ، وهو مطبوع في إيران طبعات متعدِّدة .

وقد نقل عنه هذه السُّورة العلَّامة نولدكه في كتاب : تاريخ المصاحف (١٠٢/٢) ، والجريدة الأسيويَّة الفرنسيَّة سنة ١٨٤٢م (ص ٤٣٣-٤٣٩) ، وللشِّيعة مصاحف خاصَّة تختلف عن المصاحف المتداولة يثبتون فيها سورة الولاية ، وقد اطَّلع الثِّقة المأمون الاستاذ محمَّد سعودي الذي كان كبير الخبراء بمصر، وهو من مريدي الإمام محمَّد عبده ، علىٰ مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق براين ، وفيه سورة الولاية فنقلها بالطبغراف ، ونشرت بمجلة الفتح العدد (٨٤٢ ص: ٩) . انظر الخطوط العريضة (ص١٣ – ١٤) .

كما زعم الشِّيعة الإماميَّة أنَّ الصَّحابة الكرام ، رضوان الله عليهم حذفوا من القرآن الآيات الدالَّة علىٰ فضائل وأسماء آل البيت ، ومن رواياتهم في ذلك :

– روىٰ الكليني بسنده عن جعفر الصَّادق في قول الله عزَّ وجلَّ : – ومن يطع الله ورسوله (في ولاية عليّ وولاية الأئمَّة من بعده) فقد فاز فوزا عظيما " هكذا نزلت !!! (الكافي (١/ ٤١٤) .

– وروىٰ أيضاً بسنده عن أبي جعفر عليه السَّلام ، قال : نزل جبرائيل عليه السَّلام بهذه الآية علىٰ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله هكذا !!! : فبدَّل الذين ظلموا (آل محمَّد) قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا علىٰ

الذين ظلموا (آل محمَّد حقَّهم) رجزاً من السَّماء بما كانوا يفسقون . (انظر : شرح أصول الكافي للمازندراني (٧/ ٨٩) ، مناقب آل أبي طالب (٢/ ٣٠١) ، تفسير العياشي (١/ ٤٥) ، التفسير الصافي (٤/ ٥٧) ، تفسير نور الثقلين (١/ ٨٣) .

ويلاحظ أنَّ الزِّيادات المُقحمة في الآيتين السَّابقين أضافت الرَّكاكة وعدم التَّناغم والتَّجانس لهما ، وبالتَّالي ضاعت البلاغة وضاع البيان ...

(٥) أنَّ القران الحقيقي عند الشِّيعة الإماميَّة هو الذي جمعه عليّ بن أبي طالب وكتبه بخط يده ، وفي ذلك يروي الكليني وغيره عن جعفر الصَّادق أنَّه قال : ما أدَّعىٰ أحد من النَّاس أنَّه جمع القرآن كلَّه كما أنزل إلَّا كذَّاب ، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالىٰ إلَّا عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام والأئمَّة من بعده عليهم السَّلام " (انظر : الكافي (/٢٢٨)، التفسير الصافي (١/ ٢٠) ، تفسير نور الثقلين (٥/ ٤٦٣) البيان في تفسير القرآن ، السيد الخوئي (ص ٢٢٢) .

وهذا منهم إنكار للقرآن الموجود بيننا اليوم ، لأنَّهم زعموا أنَّ ما أجمعت عليه الأمَّة من قيام جمع من الصَّحابة بجمع القرآن كذب ، وقالوا بأنَّ القرآن لم يجمعه ويحفظه إلَّا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ...

وروىٰ الكليني أيضاً عن سالم بن سلمه ، قال : قرأ رجلٌ علىٰ أبي عبدالله عليه السَّلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس علىٰ ما يقرؤها النَّاس ، فقال أبو عبدالله عليه السَّلام : كفّ عن هذه القراءة ، واقرأ كما يقرأ النَّاس حتىٰ يقوم القائم ، فإذا قام القائم عليه السَّلام قرأ كتاب الله عزَّ وجلَّ علىٰ حده ، وأخرج المصحف الذي كتبه عليٌّ عليه السَّلام ، وقال : أخرجه عليٌّ عليه السَّلام إلىٰ النَّاس حين فرغ منه وكتبه ، فقال لهم : هذا كتاب الله عزَّ وجلَّ كما أنزله الله علىٰ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد جمعته من اللوحين ، فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن ، لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً ، إنَّما كان عليَّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه . انظر : الكافي (٢/ ٦٣٢) ، تفسير نور الثقلين (٣/ ١٧٠) .

والرِّواية اشتملت علىٰ تقيَّة الشِّيعة ، وأنَّ علمائهم أمروهم بقراءة القرآن الموجود بين أيدينا اليوم حتىٰ يظهر مهديهم المُسَرِّدَب بالقرآن الحقيقي الذي يؤمنون به والذي يبلغ حجمه ثلاثة أضعاف القرآن الموجود بيننا ، وهو القرآن الذي جمعه وكتبه عليُّ بن أبي طالب ، وتوارثه الأئمَّة من بعده حتىٰ وصل إلىٰ المهدي المختفي بسرداب سامراء ، فالمهدي هو من سيُخرج القرآن الحقيقي ، وهو وحده فقط الذي سيقرأ القرآن علىٰ حده ، كما أنَّ الرِّواية اتَّهمت سيِّدنا علي بكتم العلم المتمثِّل بكتم القرآن ، وبهذه الرِّواية وغيرها فرَّغوا

القرآن من محتواه وغايته في الوجود ، كونه دستور البشريَّة حتىٰ قيام السَّاعة ، فإذا غُيِّب القرآن كلّ هذه المدَّة ، بل إلىٰ قرب قيام السَّاعة ، فما هي فائدته وما هي الغاية من وجوده في ذلك الزَّمان الذي لا يعلمه إلَّا الله تعالىٰ ، أقول هذا علىٰ فرض صحَّة وجود مهدي للشِّيعة ، لأنني برهنت في بحث خاص بمهدي الشِّيعة ، أنَّ المهدي الخاص بالشِّيعة خرافة ، لا أصل له ولا فصل ، ولا زمام ولا خطام ، حيث ذكرت كتبهم المعتبرة عندهم أنَّ الإمام الحسن العسكري لم يعقِّب ، ولكن الشِّيعة قوم بُهت ، يكابرون ...

(٦) أنَّ الشِّيعة أمروا شيعتهم بقراءة القرآن الموجود بيننا الآن في الصَّلاة وغيرها ، وكذا العمل بأحكامه حتىٰ يظهر إمامهم المهدي ، فيرتفع هذا القرآن من أيدي النَّاس ، ويخرج القرآن الذي أَلَّفه أمير المؤمنين عليٌّ ابن أبي طالب ، فيقرأ ويعمل بأحكامه . (انظر : الأنوار النعمانية(٢/ ٣٦٣) .

وأنا لا أدري لماذا يقرأون القرآن الموجود بيننا إذا كانوا لا يؤمنون به ، بل يؤمنون بأنَّ مهديهم سيأتيهم بالقرآن الحقيقي الذي جمعه وكتبه عليّ بن أبي طالب بيده ، اللهمَّ إلَّا إذا كانت قراءتهم له وعملهم به من باب التَّقيَّة ، وهذا هو الحقُّ في هذه المسألة علىٰ ما دلَّت عليه الرِّواية ، مع العلم أنَّهم يصرِّحون في كتبهم بأنَّ من العبادات التي تقرِّبهم إلىٰ الله بزعمهم : خداع ومخالفة ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة ، فهم يعتقدون أنَّ الحقّ دائماً لا يكون إلَّا بمخالفة ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة ، والعياذ بالله تعالىٰ ، مع أنَّ أهل السُّنَّة لا يعملون إلَّا بأوامر الكتاب والسُّنَّة ، وهم ، أي الشِّيعة ، لا يؤمنون لا بكتاب ولا بسنَّة ، والعياذ بالله تعالىٰ .

كما أنَّ الرِّواية تحمل بين طيَّاتها تشكيكاً بحفظ الله تعالىٰ لكتابه العظيم ، حيث قال سبحانه : **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر: ٩] ، يُضاف لذلك أنَّ القرآن (خاصَّتهم) سيبقىٰ محجوباً عن جميع النَّاس ولن يكتب له الظُّهور إلَّا مع ظهور مهديِّهم المزعوم ، وأنَّه سيعمل عند ظهوره إلىٰ إلغاء !! هذا القرآن ويستبدله بالقرآن الذي معه ...

(٧) عمد الشِّيعة الإماميَّة إلىٰ التَّأويل الفاسد لآيات القرآن الكريم ، وذلك نصرةً منهم لمعتقداتهم الباطلة ، ومن تأويلاتهم تلك :

– في تفسير قوله تعالىٰ: **﴿إِنَّ اللهَّ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَما فَوْقَها فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحُقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾** [البقرة: ٢٦] : رووا عن أبي عبد الله عليه السَّلام أنَّ هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين عليه السَّلام ، فالبعوضة أمير المؤمنين عليه السَّلام ، وما فوقها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والدَّليل

علىٰ ذلك قوله : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦] ، يعني أمير المؤمنين ، كما أخذ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الميثاق عليهم له " (تفسير القمّي (١/ ٣٤) ، وانظر : بحار الأنوار (٢٤/ ٣٩١) ، مستدرك سفينة البحار (١/ ٣٧٦) ، تفسير نور الثقلين (١/ ٤٥) ، تفسير كنز الدقائق (١/ ٢٠٥) .

والحقُّ أنَّ هذا التَّأويل حقَّر عليَّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، بجعله بعوضة ، كما حقَّر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجعله فوق البعوضة ، فهما أجلَّان وأعظمان من تصوُّر الشِّيعة وتأويلاتهم الفاسدة والباطلة لآيات القرآن العظيم ...

– وفي تفسير الجنْب الوارد في قوله تعالىٰ : ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] ، روىٰ الكليني وغيره عن موسىٰ بن جعفر قال : جنْب الله : أمير المؤمنين عليه السَّلام ، وكذلك ما كان بعده من الأوصياء بالمكان الرَّفيع إلىٰ أن ينتهي الأمر إلىٰ آخرهم . (الكافي (١/ ١٤٥) ، التوحيد، ابن بابويه القمّي (ص ١٦٤) ، معاني الأخبار (ص ١٧) ، الإختصاص (ص٢٤٨) ، بحار الأنوار (٤/ ٩) ، (٢٤/ ١٩٠) ، (٢٦/ ٢٥٧) ، (٣٧/ ٢٠٨) ، (٣٩/ ٨٨) .

مع أنَّ جمهور المفسِّرين فسَّروا الجنْب الوارد في الآية بالتَّفريط والتَّقصير في حقِّ الله وطاعته ، وعدم تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، ومن معاني الجنْب في اللغة : القرب ، وقد يكون القرب ماديًّاً كما يكون معنويًّاً ، ومن القرب المادي قوله تعالىٰ : ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ [النساء: ٣٦] ، وسمَّىٰ أداء الطَّاعة جنْباً لله تعالىٰ ، لأنَّ القيام به يؤدِّي إلىٰ القُرب من الله تعالىٰ ، وهل هناك أعظم للقرب من الله تعالىٰ من أداء الطَّاعات واجتناب المنهيَّات....

– وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] ، رَوَوا عن الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : مكتوب علىٰ العرش : أنا الله لا إله إلَّا أنا وحدي لا شريك لي ، ومحمَّد عبدي ورسولي ، أيَّدته بعليّ ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] (انظر : الأمالي (ص ٢٨٤) ، مدينة المعاجز (٢/ ٣٧٨) ، بحار الأنوار (٢٧/ ٢) ، (٣٦/ ٥٣) .

فهذه ثلاثة نماذج من التَّأويلات الشِّيعيَّة الفاسدة لآيات القرآن العظيم ، تلك التَّأويلات التي لا تجري علىٰ ما يقتضيه اللسان العربي ، بل إنَّها تغفل لسان العرب بالكليَّة ، وليس لها ما يعزِّزها من الشَّواهد النَّصِّيَّة ، بل إنَّ الشَّواهد تعارضها وتنقضها ، لأنَّها أقيمت علىٰ شفا جرف هار ، وهدفت لنصرة باطل الشِّيعة ، وفتحت الباب علىٰ مصراعيه للدَّسِّ ووضع مئات الرِّوايات المكذوبة علىٰ آل البيت الأطهار ...

(٨) وأخيراً يقولون : إنَّ القرآن لا يكون حجَّة إلَّا بقيِّم ، وقيِّم القرآن هو علي بن أبي طالب ، فقد روىٰ الكليني وغيره مساجلة كلاميَّة بين منصور بن حازم وأبي عبد الله جعفر الصَّادق ، جاء فيها : قلت للنَّاس أليس تعلمون أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان هو الحجَّة من الله علىٰ خلقه ؟ قالوا بلىٰ ، قلت : فحين مضىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من كان الحجَّة علىٰ خلقه ؟ فقالوا القرآن ، فنظرت في القرآن ، فإذا هو يُخاصم به المرجئ والقدريّ والزّنديق الذي لا يؤمن به ، حتىٰ يغلب الرِّجال بخصومته ، فعرفت أنَّ القرآن لا يكون حجَّة إلَّا بقيِّم ، فما قال فيه من شيء كان حقَّاً ، فقلت لهم : من قيِّم القرآن ؟ قالوا : ابن مسعود قد كان يعلم ، وعمر كان يعلم ، وحذيفة كان يعلم ، قلت : كلّه ؟ قالوا لا . فلم أجد أحداً يُقال أنَّه يعرف ذلك كلّه إلَّا عليَّاً عليه السَّلام ، وإذا كان الشيء بين القوم ، فقال هذا : لا أدري ، وقال هذا : لا أدري ، وقال هذا لا أدري ، وقال هذا : أنا أدري ، فأشهد أنَّ عليَّاً كان قيِّم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة ، وكان الحجَّة علىٰ النَّاس بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ ما قال في القرآن فهو حقّ ... (انظر : الكافي (١/ ١٦٨-١٦٩) ، وسائل الشِّيعة (٢٧/ ١٧٥) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ١٤٥) ، الانتصار (٣/ ٤١٣) ، مجمع البحرين (٢/ ١٤٥) ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة (١٩/ ٣٧٤) ، رجال الخاقاني (ص ١٣٤) .

والرِّواية اشتملت علىٰ العديد من الطَّامات والأوابد والمزاعم الفارغة ، منها : أنَّ القرآن لا يكون حجَّة إلَّا بقيِّم ، وأنَّ عليَّاً كان قيِّم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة ، وهو الحجَّة علىٰ النَّاس بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومعنىٰ الكلام : أنَّ كلام عليّ أفصح من كلام الله تعالىٰ ، وبيانه أفضل من بيان القرآن ، ولذلك سمُّوه بالقرآن النَّاطق في مقابل القرآن الذي سمُّوه بالقرآن الصَّامت ، وفي ذلك رووا عن عليّ بن أبي طالب أنَّه قال : هذا كتاب الله الصَّامت ، وأنا كتاب الله النَّاطق . انظر : الحدائق الناضرة (١/ ٢٩) ، وسائل الشِّيعة (٢٧/ ٣٤) ، الفصول المهمّة في أصول الأئمَّة (١/ ٥٩٤) ، مستدرك سفينة البحار (٩/ ٢١) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ٢٠٠) .

ومنها : أنَّ القرآن ليس حجَّة بنفسه بسبب احتماله لمعان عدَّة ، وهذا كلام لا يقول به من له إلمام بلغة البيان القرآني ، فالقرآن وإن احتمل أَوْجُهاً عدَّة ، فقد جعله الله تبياناً وبياناً ، وبرهاناً ودليلاً ، ويسّر فهمه لمن طلب الفهم ، وهو لا يشهد إلَّا لمن جاء بالحقِّ ، لأنَّه ليس بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال ...

ومنها : أنَّ عليَّ بن أبي طالب هو فقط من كان يعلم جميع معاني القرآن من بين الصَّحابة ، وأنَّه أحاط بكلِّ ما فيه علماً ، وبذلك استحقَّ أن يكون قيِّماً علىٰ القرآن ، وأنَّ ذلك المنصب خصَّه الله تعالىٰ به دون سواه ، وكذا خصَّه الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به من خلال جلسات خاصَّة اختلىٰ فيها مع عليٍّ ، وفي ذلك رووا

عن جعفر الصَّادق تأكيداً على أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصَّه دون سواه بالعلم بالقرآن : ... وما يكفيهم القرآن ؟ قال : بلى إن وجدوا له مفسِّراً ، قال : (السَّائل) وما فسَّره رسول الله ، قال : بلى ، فسَّره لرجل واحد ، وفسَّر للأمَّة شأن ذلك الرَّجل وهو عليّ بن أبي طالب . (انظر : الحدائق الناضرة ١/ ٢٨ ، الكافي ١/ ٢٤٩ ، وسائل الشِّيعة ٢٧ / ٢٧٨ ، بحار الأنوار ٢٥ / ٧٢) .

وهم قد تناسوا عند وضع هذه الرِّواية على جعفر الصَّادق أنَّها تنطوي على نِسبة كتم العلم إلى سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكيف يخصُّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليَّاً بتفسير القرآن وهو الذي جاء بالبلاغ والتَّعليم إلى الجميع وأمر الحاضرين بالبلاغ للغائبين ؟ وزادوا ضغثاً على إبالة حين منعوا من التماس العلم بالقرآن عند غير عليٍّ وأنَّ ذلك مدعاة للهلكة ، فرووا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : إنَّ الله أنزل عليَّ القرآن ، وهو الذي من خالفه ضلّ ، ومن يبتغي علمه عند غير عليٍّ هَلَك . (انظر : وسائل الشِّيعة ١٨ / ١٣٨) .

وهذا برأيي منتهى الإرهاب الفكري ، فقد رهَّبوا من التماس السُؤال عن معاني القرآن عند غير عليٍّ بن أبي طالب !! إنَّنا معاشر أهل السُّنَّة لا نشكُّ ولا ننفي أبداً كون عليٍّ رضي الله عنه من أعلم الصَّحابة بمعاني القرآن ، شأنه شأن بقيَّة الصَّحابة ، رضوان الله عليهم ، لكنَّنا ننفي الخصوصيَّة التي ذكرها الشِّيعة لعليٍّ في هذا الباب ، لأنَّها تتعارض مع أصل البلاغ للنَّاس كافَّة ...

ومنها : أنَّ الصَّحابة رضوان ربِّي عليهم لم يكونوا على علم بجميع معاني القرآن ، وهذا لا شكَّ في صحَّته ، فالصَّحابة كانوا متفاوتين في فهم معاني القرآن العظيم ، فما يعلمه ويفهمه أحدهم قد لا يعرفه ويفهمه الأخر ، ولذلك كانوا يسألون بعضهم بعضاً عمَّا خفي عليهم أو على أحدهم من المعاني ، وقد اشتملت الرِّواية على علم كلٍّ من : ابن مسعود ، وعمر ، وحذيفة بمعاني القرآن ، وذكرت مراجعنا معاشر أهل السُّنَّة والجماعة نبوغ الكثيرين من الصَّحابة رضوان الله عليهم بالعلم بمعاني القرآن كـ : ابن عبَّاس ، وابن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، وعلي بن أبي طالب ، وغيرهم كثير ، ولم يدَّع أحدٌ منهم أنَّه أحاط بكلِّ معاني وأسرار القرآن العظيم ، وكيف لا وهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يَخْلَقُ من كثرة الرَّد ...

ثَانِيَاً : مُصْحَفُ فَاطِمَة :

يزعُم الشِّيعة أنَّ الله تعالىٰ أنزل علىٰ فـــاطمة مُصحفاً ، ومُجمل ما يتعلَّق بهذا المصحف ينتظم في الأمور التَّالية :

(١) أنَّ الله تعالىٰ أنزل عليها هذا المصحف تسلية لها علىٰ فقدها لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي ذلك يروي الكليني وغيره عن جعفر الصَّادق ، قال : " إنَّ الله لما قبض نبيَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دخل علىٰ فاطمة الزَّهراء عليها السَّلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلَّا الله عزَّ وجلَّ ، فأرسل الله إليها ملكاً يسلِّي غمّها ويحدّثها ، فشكت ذلك إلىٰ أمير المؤمنين عليه السَّلام ، فقال : " إذا أحسست بذلك وسمعت الصَّوت قولي لي ، فأعلمته بذلك ، فجعل أمير المؤمنين ، رضي الله عنه ، يكتب كلَّ ما سمع حتىٰ أثبت من ذلك مصحفاً ... أمَّا أنَّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ، ولكـــن فيه علم ما يكون " . (انظر : الكافي (١/ ٢٤٠) ، بصائر الدرجات (ص ١٧٧) ، بحار الأنوار (٢٢/ ٥٤٤) ، (٤٣/ ٨٠) ، (٩٢/ ٩٢) ، ينابيع المعاجز (ص ١٣٠) .

(٢) فالرِّواية تُثبتُ أنَّ الهدف من هذا المُصحف هو تسلية السيِّدة فاطمة علىٰ فقْدِها لرســـول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ عليَّاً هو من كَتَبه إملاء عن جبريل عليه السَّلام ، وأنَّه يشتمل فقط علىٰ علـــم الغيب .

وهناك رواية أُخرىٰ رُويت عن جعفر الصَّادق ، وفيها : " وعندنا مُصحف فاطمة عليها السَّلام ، أمَا والله ما فيه حرف واحد من القرآن !! ولكنَّه إملاء رسول الله وخطّ عليّ " . (انظر : بصائر الدرجات (ص ١٧٧) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٣٨) ، (٤٧/ ٢٧٠) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ١٣٤) ، أعيان الشِّيعة (١/ ٩٧) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٢/ ٣٤٠) .

وصرَّحت رواية أُخرىٰ بأنَّ هذا المصحف كلامٌ من كلام الله تعالىٰ ، ونصُّها : " وخلَّفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن ولكنَّه كلام من كلام الله أنزل عليها إملاء رسول الله وخطّ عليّ عليه السَّلام " . انظر : بصائر الدرجات (ص ١٧٥) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٤١) ، معالم المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية وسبل الوصول إليها (٢/ ٣١٢) ، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٠هـ ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ١٣٣)].

والرِّواية تنصُّ علىٰ أنَّ المُملي علىٰ عليِّ بن أبي طالب هو سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بينما ذهبت الرِّواية الأولىٰ إلىٰ أنَّ المُملي إنَّما هو جبريل عليه السَّلام ، وإذا كان المُملي هو سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّ هذا المُصحف كان في حياته ولم ينزل علىٰ فاطمة بعد مماته تسليـــة لها علىٰ فقدها لأبيها ...

وثمَّة رواية أخرىٰ تتناقض مع الرِّوايات السَّابقة رواها الصَّفَّار وغيره عن جعفر الصَّادق ، قال : مُصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله ، وإنَّما هو شيء أُلقي عليها بعد موت أبيهـــا ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (انظر : بصائر الدرجات (ص ١٧٩) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٤٧) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (١٠ / ٣٠٣) ، معالم المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية وسبل الوصول إليها (٢/ ٣١٦) .

وهذه الرِّواية تنفي الإملاء بالكليَّة ، فلا هو إملاء جبريل ، ولا إملاء الرَّسول ، وكذا ليس هو من خطّ عليّ ، ولم يحضر ملك ليؤنسها ، بل هو شيء أُلقي عليها بعد وفاة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا يصوِّر مدىٰ التَّخابط والتَّناقض في الرِّوايات الشِّيعيَّة ...

(٢) نصَّت الرِّوايات علىٰ أنَّ هذا المصحف اشتمل علىٰ علم الغيب ، وأنَّه نزل تسلية لفاطمة علىٰ فَقْدِهَا لأبيها عليه الصَّلاة والسَّلام ، فكيف يكون الغيبُ تسلية لها ؟ ومعلوم أنَّ من الغيوب التي وقعت لاحقاً : قتل الحسين ، وما لحق بأهل البيت من الإحن والمحن ؟ فهل يُسلَّىٰ الإنسان باطلاعه علىٰ فجائع وفضائع ستطال ولده في قادم الزَّمان ؟ !

(٣) ثمَّ كيف يخصُّ الله تعالىٰ فاطمة بعلم الغيب ، وهو ممَّا استأثر الله تعالىٰ بعلمه ، قال تعالىٰ : **﴿وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ﴾** [الأنعام: ٥٩] ، وقال : **﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً﴾** [الجن: ٢٦] ، وأمر رسوله محمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول : **﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾** [الأعراف: ١٨٨]

(٤) نصَّت الرِّواية الأُولىٰ علىٰ أنَّ هذا المصحف ليس فيه شيء من الحلال والحرام ، ولكن فيه علم ما يكون ، وهذا يتناقض تناقضاً بيِّناً وواضحاً مع ما رواه الصَّفَّار والكليني وغيرهما عن جعفر الصَّادق فإنَّه قال : - ... ومصحف فاطمة ما أزعم أنَّ فيه قرآناً ، وفيه ما يحتاج النَّاس إلينا ولا نحتاج إلىٰ أحد ، حتىٰ أنَّ فيه الجلدة ونصف الجلدة ، وثلث الجلدة ، وربع الجلدة ، وأرش الخدش " . (انظر : بصائر الدرجات(ص١٧٠) ، الكافي (١/ ٢٤٠) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٣٧) ، الفصول المهمّة في أصول الأئمّة (١/ ٤٨٥) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ١٣٨) ، معالم المدرستين (٣/ ٣١٦) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٢/ ٣٥٢) .

والنَّصُّ صريح في أنَّ هذا المصحف مشتمل علىٰ ألوان مختلفة من التَّشريع ، كالحدود ، والديَّات ... بل إنَّ فيه التَّشريع كلّه !!!

فهل أغنىٰ ذلكم المصحف عن كتاب الله تعالىٰ ؟ أم أنَّه جاء كي يُكمل الدِّين ؟ أم ماذا ؟

(٥) أنَّ هذا المصحف يعادل ثلاثة أضعاف القرآن الكريم ، فقد رووا عن جعفر الصَّادق أنَّه قال : وإنَّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السَّلام ، وما يُدريهم ما مصحف فاطمة ؟ قال أبو بصير : (الرَّواي عن جعفر) قلت : وما مصحف فاطمة عليها السَّلام ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ... (انظر : الكافي (١/ ٢٣٨) ، مستدرك سفينة البحار (٦/ ٢٠٤) ، المحتضر ، الحسن الحلي (ص ٢٠٤) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٢/ ٣٣٧) .

فإذا كان هذا المصحف يُعادل ثلاثة أضعاف القرآن ، فكيف تسنَّىٰ لعليّ أن يكتبه ، وهو الذي كان منشغلاً بجمع القرآن ، كما تُجمِعُ علىٰ ذلك رواياتهم ؟

(٦) وإذا كان هذا المُصحف من إملاء رسول الله وخطّ عليّ ، كما تشير أغلب الرِّوايات ، فلماذا كتمه رسول الله عن الأمَّة ؟ وهو المأمور بالتَّبليغ في قوله تعالىٰ : **﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾** [المائدة: ٦٧]

(٧) وحتىٰ يبرهنوا علىٰ اشتمال هذا المصحف علىٰ علم الغيب ، فقد رووا عن أئمَّتهم بعض الرِّوايات التي تدلُّ علىٰ اشتمال مُصحف فاطمة علىٰ الغيب وما سيحدُثُ في المستقبل منها :

– عن الوليد بن صبيح قال لي أبو عبد الله عليه السَّلام : يا وليد إنِّي نظرت في مُصحف فاطمة فاسئل فلم أجد لبني فلان فيها إلَّا كغبار النَّعل . (انظر : بصائر الدرجات (ص ١٨٠) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٤٨) ، مستدرك سفينة البحار(٦/ ٢٠٥) ، معالم المدرستين (٢/ ٣٢٣) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (١٠/ ٣٠٣) .

– عن جعفر الصَّادق قال : تظهر الزَّنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة ، وذلك أنِّي نظرت في مصحف فاطمة ... (انظر: بصائر الدرجات (ص١٧٧) ، الكافي (١/ ٢٣٩) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (١٠/ ٢٩٩) .

مع أنَّ التَّاريخ يثبت أنَّ هذه الدَّعوىٰ فِريَة بلا مِريَة ، فإنَّ العام المذكور في الرِّواية لم يشهد شيئاً ممّا ذكر ...

وأخيراً ، فإنَّ جميع الرِّوايات السَّابقة اشتملت علىٰ معتقدات تتعارض مع عقائد الإسلام الأساسيّة بالوحي ، لأنَّ الوحي انقطع بموت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن قال بغير ذلك فهو كاذب كذَّاب مفتر أشر ...

ثَالِثَاً : لَوْحُ فَاطِمَة :

وهذا اللوح غير مصحف فاطمة ، لأنَّ مُصحف فاطمة نزل كما ذكرت بعض الرِّوايات السَّابقة تسلية لفاطمة عن فقد أبيها ، وأنَّه من إملاء جبريل وخطّ عليّ بن أبي طالب أو أنَّه ألقي إلى فاطمة .... إلى غير ذلك . أمَّا لوح فاطمة فإنَّه – كما يقولون – نزل وحياً على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأهداه الرَّسول إلى السيِّدة فاطمة ، وقد جاء النَّصُّ على هذا اللوح في أصحِّ مصادر الشِّيعة الإماميَّـــة ومراجعهم ....

فقد روى الكليني بسنده عن أبي بصير عن جعفر الصَّادق : قال ، قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري : إنَّ لي إليك حاجة ، فمتى يخف عليك أن أخلو بك ، فأسألك عنها . فقال له جابر: أيّ الأوقات أحببته ، فخلا به في بعض الأيَّام فقال له : يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمِّي فاطمة عليها السَّلام بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أخبرتك به أمِّي أنَّه في ذلك اللوح مكتوب ؟ فقال جابر: أشهد بالله أنِّي دخلت على أمِّك فاطمة عليها السَّلام في حياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهنيتها بولادة الحسين ، ورأيت في يديها لوحاً أخضر ، ظننت أنَّه من زُمرُّد ، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشَّمس فقلت لها : بأبي وأمِّي يا بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما هذا اللوح ؟ فقالت : هذا لوح أهداه الله إلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني ، واسم الأوصياء من ولدي ، وأعطانيه أبي ليبشِّرني بذلك ، قال جابر: فأعطتنيه أمُّك فاطمة عليها السَّلام فقرأته ، واستنسخته ، فقال له أبي : فهل لك يا جابر أن تعرضه عليَّ ؟ قال : نعم ، فمشى معه أبي إلى منزل جابر ، فأخرج صَحِيْفَةُ من ورق ، فقال : يا جابر انظر في كتابك لأقرأ أنا عليك ، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حرف حرفاً ، فقال جابر: فأشهد بالله أنِّي هكذا رأيته في اللوح مكتوباً : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم : هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمَّد نبيّه ونوره وسفيره وحجابه ودليله ، نزل به الرُّوح الأمين من عند ربِّ العالمين ، عظِّم يا محمَّد أسمائي ، وأشكر نعمائي ، ولا تجحد آلائي ، إنِّي أنا الله لا إله إلَّا أنا قاصم الجبَّارين ، ومديل المظلومين ، وديَّان يوم الدِّين ،إنِّي أنا الله لا إله إلَّا أنا ، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي ، عذَّبته عذاباً لا أعذِّبه أحداً من العالمين ....وبعد أن ذكر أموراً عديدة من أهمِّها أسماء أئمَّتهم ، وبعض الأمور الشِّركيَّة ، قال : قال أبو بصير : لو لم تسمع في دهرك إلَّا هذا الحديث لكفاك ، فَصُنْه إلَّا عن أهلك ... (انظر : الكافي (١/ ٥٢٧ – ٥٢٨) ، عيون أخبار الرضا (٢/ ٤٨- ٤٩) ، كمال الدِّين وتمام النعمة (٣٠٨ – ٣٠٩) ، الإمامة والتبصرة من الحيرة (١٠٣) ، الاختصاص (ص٢٠٩) ، كتاب الغيبة ، الطوسي (ص ١٤٢ – ١٤٣) ، بحار الأنوار (٣٦/ ١٩٤) ، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية (ص ٩٨) ، إعلام الورى بأعلام الهدى (٢/ ١٧٤) ، غاية المرام وحجج الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام (١/ ١٤٤) .

فحتَّىٰ هذا الحديث استخدموا فيه التَّقيَّة التي لامست كلَّ مفردة من مفردات دينهم ، والعياذ بالله تعالىٰ ، ولا أدلَّ علىٰ ذلك من قوله : فَصُنْه إلَّا عن أهلك ، والمقصود بالأهل هنا : الشِّيعة عموماً .

رَابِعَاً : الجَفْرُ الأَبْيَضُ وَالجَفْرُ الأَحْمَر :

ومن الكتب المقدَّسة عند الشِّيعة الإماميَّة : كتاب الجفر الأبيض ، وكتاب الجفر الأحمر ، والجفر الأبيض مشتمل علىٰ زبور داود ، وتوراة موسىٰ ، وإنجيل عيسىٰ ، وصُحف إبراهيم ، والحلال والحرام ...بينما الجفر الأحمر يحمل في طيَّاته القتل والدِّماء ، وبه يتوعَّد الشِّيعة أهل السُّنَّة والجماعة سلفاً وخلفاً لأنَّه يحكي ما تناقله الشِّيعة عبر الأزمان من انتقامهم الموعود من أهل السُّنَّة والجماعة....

فعن أبي العلاء قال : سمعت أبا عبد الله عليه الصّلاة والسّلام يقول : إنَّ عندي الجفر الأبيض ، قال : قلت: أيّ شيء فيه ؟ قال : زبور داود ، وتوراة موسىٰ ، وإنجيل عيسىٰ ، وصحف إبراهيم عليهم السَّلام ، والحلال والحرام ... وعندي الجفر الأحمر ، قال : قلت : وأيّ شيء في الجفر الأحمر ؟ قال : السلاح ، وذلك إنَّما يفتح للدَّم ، يفتحه صاحب السَّيف للقتل ، فقال له عبد الله بن أبي يعفور: أصلحك الله ، أيعرف هذا بنو الحسن ؟ فقال : إي والله كما يعرفون الليل أنَّه ليل والنَّهار أنَّه نهار، ولكنَّهم يحملهم الحسد وطلب الدُّنيا علىٰ الجحود والإنكار، ولو طلبوا الحقَّ بالحقِّ لكان خيراً لهم . (انظر: الكافي (١/ ٢٤٠) ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل (١٨/ ٣٨٦) ، الفصول المهمة في أصول الأئمَّة (١/ ٤٨٤ – ٤٨٥) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٣٧) ، جامع أحاديث الشِّيعة (١/ ١٣٨) ، مستدرك سفينة البحار (٦/ ٢٠٤)، موسوعة أحاديث أهل البيت (٢/ ٣٥٢) .

والظَّاهر أنَّ صاحب السَّيف هو المهدي المزعوم ، يفتحه ليعلن الحرب علىٰ العرب وسائر أهل السُّنَّة ، لأنَّ قتل العرب والمسلمين هو إحدىٰ المهامّ المنوطة بمهدي الشِّيعة ، فقد جاء في بحار الأنوار : " .... وأنَّ القائم يسير في العرب بما في الجفر الأحمر ، قال ابن هبيرة : فقلت لأبي عبد الله : جُعلت فِداكَ ، وما الجفر الأحمر ؟ قال : فأمرَّ اصبعه علىٰ حلقه ، فقال: هكـذا يعني الذَّبح . (بحار الأنوار (٥٢/ ٣١٣، ٣١٨) ، وانظر: الغيبة للنعماني (ص ١٥٥) ، الغيبة للطوسي (٢٨٤) .

وقد أكَّد هذا الدُّكتور حسين الموسوي ، فقال : وقد سألت مولانا الإمام الخُميني عن الجفر الأحمر، من الذي يفتحه ؟ ودم من الذي يُراق ؟ فقال : يفتحه صاحب الزَّمان عجَّل الله فرجه ، ويُريق به دماء العامَّة النَّواصب – أهل السُّنَّة – فيمزِّقهم شذر مذر ، ويجعل دماءهم تجري كدجلة والفرات ، ولينتقمنَّ من

صنمي قريش – يقصد أبا بكر وعمر– وابنتيهما – يقصد عائشة وحفصة – ومن نعثل – يقصد عثمان – ومن بني أميَّة والعبَّاس فينبش قبورهم نبشاً .

قال الموسوي معقِّباً علىٰ كلام الخُميني: إنَّ قول الإمام الخُميني فيه إسراف ، إذ أنَّ أهل البيت عليهم السَّلام ، أجلُّ وأعظمُ من أن ينبشوا قبر الميِّت مضىٰ علىٰ موته قرون طويلة .

إنَّ الأئمَّة سلام الله عليهم كانوا يقابلون إساءة المسيء بالإحسان إليه والعفو والصَّفح عنه ، فلا يعقل أن ينبشوا قبور الأموات لينتقموا منهم ، ويقيموا عليهم الحدود ، فالميِّت لا يُقام عليه حدٌّ ، وأهل البيت ، سلام الله عليهم عُرفوا بالوداعة والسَّماحة والطِّيب . (انظر : لله ثمَّ للتاريخ (ص ٨٣) .

خَامِسَاً : صَحِيْفَةُ العَبِيْطَة :

ومن الصُّحف المقدَّسة عند الشِّيعة الإماميَّة : صَحِيْفَةُ العبيطة ، وهي صَحِيْفَةُ شعوبيَّـــة تُمجِّد الفُرُس وتنتقص العرب ، بل تعتبرهم أهل بـــاطل ، ليس لهم في دين الله نصيب ، بمعنىٰ أنَّهم ليسوا إلَّا وقوداً لجهنَّم ...

فقد رووا عن عليٍّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : " وأيم الله إنَّ عندي لصُحُف كثيرة قطايع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته ، وإنَّ فيها لصحيفة قال لها العَبيطة ، وما ورد علىٰ العرب أشدّ عليهم منها ، وإنَّ فيها لستِّين قبيلة من العرب مبهرجة مالها في دين الله نصيب " . (انظر : بصائر الدرجات (ص ١٦٩) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٣٧) ، معالم المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية وسبل الوصول إليها (٢/ ٣٠٦) .

فالصَّحيفة تشتمل علىٰ أسماء ستِّين قبيلة من قبائل العرب ليس لها في دين الله نصيب ، وقد أثارت هذه الرِّواية أحد علمائهم المنصفين الذين عادوا إلىٰ الحقِّ المُبين ، فعلَّق عليها قائلاً : " إنَّ هذه الرِّواية ليست مقبولة ولا معقولة ، فإذا ما كان هذا العدد من القبائل ليس فيها نصيب في دين الله ، فمعنىٰ هذا أنَّه لا يوجد مسلم واحد له في دين الله نصيب ، ثمَّ تخصيص القبائل العربيَّة بهذا الحكم القاسي يشمُّ منه رائحة الشُّعوبيَّـة " (انظر : لله ثمَّ للتاريخ (ص٨١) .

فالصَّحيفة فارسيَّة مجوسيَّة بامتياز لا تنظر للعرب ولا للمسلمين إلَّا نظرة سوداويَّة مليئة بالمكر والحقد والحطِّ من الجنس العربي ، والنَّيل من الدِّين الإسلامي ، ولذلك ركبوا مطيَّة أهل البيت كي يتسنَّىٰ لهم العبث والتَّخريب من داخل الصَّفِّ المُسلم ، وفي ذلك يقول أحمد أمين : " والحقّ أنَّ التَّشيُّع كان مأوىٰ

يلجأ إليه كلُّ من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهوديَّة ونصرانيَّة وزرادشتيَّة وهنديَّة ، ومن يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته ، كلُّ هؤلاء كانوا يتّخذون حبَّ أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كلَّ ما شاءت أهواؤهم " . (انظر : فجر الإسلام (ص٢٩٧) .

سَادِسَاً : صَحِيْفَةُ النَّامُوْس:

ومن الكُتب المقدَّسة عند الشِّيعة الإماميَّة : صَحِيْفَةُ الناموس ، وفي ذلك يروون عن الرِّضا في الحديث الجامع لعلامات الإمام قال : " وتكون عنده صَحِيْفَةُ فيها أسماء شيعتهم إلى يوم القيامة ، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة " . (انظر : عيون أخبار الرضا (٢/ ١٩٢) ، مناقب آل أبي طالب (١/ ٢١٧) ، بحار الأنوار (٢٥/ ١١٦) ، مستدرك سفينة البحار (٧/ ٣٧٢) ، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب (١/ ٢٦) .

واسم هذه الصَّحيفة : النَّاموس ، وقد جاءت تسميتها بالنَّاموس في رواية الصَّفَّار في " بصائر الدَّرجات " عن حبابة الوالبيّة ، قالت : قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام : إنَّ لي ابن أخ وهو يعرف فضلكم ، وإنِّي أحبُّ أن تعلِّمني : أمن شيعتكم ؟ قال : وما اسمه ؟ قالت : قلت : فلان بن فلان ، قالت: فقال: يا فلانة هات النَّاموس ، فجاءت بصحيفة تحملها كبيرة ، فنشرها ثمَّ نظر فيها فقال : نعم هو ذا اسمه واسم أبيه ههنا (انظر : بصائر الدرجات (ص ١٩٠) .

وعن داود الرقِّي : قلت لأبي الحسن الماضي عليه السَّلام : اسْمي عندكم في السَّفط التي فيها أسماء شيعتكم ؟ فقال : أي واللهَّ في النَّامُوْس . (انظر : بصائر الدرجات ، (ص١٩٣) .

والحقُّ أنَّ نصَّ الرِّواية لا يقبله عقلٌ ، فأنَّى لصحيفة تشتمل على أسماء الشِّيعة إلى يوم القيامة ؟ وأنَّى لصحيفة تشتمل على أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة ؟ إنَّ لسان حال هذه الرِّواية يقول : اترك عقلك ثمَّ اتبعني ، وإلَّا فكيف يصدِّق العاقل مثل هذه الرِّواية ونصُّها مشتمل على المُحال ؟ إنَّ الأمر يحتاج إلى آلاف المجلَّدات كي تذكر فيها أسماء هؤلاء ، وسبحان مقسِّم العقول ... ثمَّ إنَّ الإمام في معتقد الشِّيعة : يعلم الغيب ، فالأصل أن لا يحتاج إلى النَّظر في الصَّحيفة ليرى الاسم بل كان عليه أن يُعْلِمْهَا مباشرة بحالِ ابن أَخيها ، ولكن ...

سَابِعَاً : الجَامِعَة :

ومن الصُّحُف المقدَّسة عندهم : صَحِيْفَةُ الجامعة ، وفي ذلك يروون عن أبي بصير ، قال : دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السَّلام ، فقلت له : جُعلتُ فِداكَ ، إنِّي أسألك ..... وفيه : ثمَّ قال : يا أبا محمَّد ، وإنَّ عندنا الجامعة ، وما يدريهم ما الجامعة ؟ قلت: جُعلتُ فِداكَ ، وما الجامعة ؟ قال : صَحِيْفَةٌ طُولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإملائه من فلق فيه ، وخطّ عليٍّ بيمينه ، فيها كلُّ حلال وحرام وكلُّ شيء يحتاج النَّاس ، حتىٰ الأرش في الخدش ... (انظر : الكافي (١/ ٢٣٩) ، بصائر الدرجات (ص ١٧١) ، الإرشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد (٢/ ١٨٥) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٣٩) ، (٤٧/ ٢٦) ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل (١٨/ ٣٨٧) ، مناقب آل أبي طالب (٣/ ٣٩٦) ، ينابيع المعاجز وأصول الدلائل (ص ١٢٨) ، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ (١/ ٥٣٥) .

فإذا كانت الجامعة مشتملة علىٰ كلِّ ما يحتاج الإنسان إلىٰ معرفته من الحلال والحرام فلماذا أُخفيت ؟ ألا يُعتبر إخفاؤها كتماناً للعلم ؟ ثمَّ ألا يكفي القرآن وما ورد عن سيِّدنا رسول الله لتبيين الحلال والحرام ؟ مع أنّ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن ووضَّح أنَّ الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ ...

وجاء في " الهداية الكبرىٰ " عن أبي حمزة ، عن أبيه علي ، عن أبي بصير ، قال : كنت عند أبي عبد الله صلوات الله عليه يوماً جالساً إذ قال : يا محمَّد هَلْ تعرف إمامك ؟ قلت : إي والله الذي لا إله إلَّا هو ، وأنت هو ووضعت يدي علىٰ ركبته وفخذيه ، فقال : يا محمَّد ليس هذا الأمر معرفة ولا إقرار للإمام بما جعله الله له وفيه ، ولكن نطالبه بعلامة ودلالة ، قلت : يا سيِّدي قولك الحقّ ولكي ازداد علماً ويقيناً وليطمئن قلبي ، قال : يا محمَّد ترجع إلىٰ الكوفة ويولد لك ولد تسمِّيه عيسىٰ ، ويولد لك بعد سنتين ولد تسمِّيه محمداً ، ويولد لك بعدهما ابنتان في ثلاث سنين ، واعلم أنَّ أسماء أبنائك عندنا في الصَّحيفة الجامعة والوُسْطىٰ مثبتان مسمَّيان مع أسماء شيعتنا وأسماء آبائهم وأُمَّهاتهم وقبائلهم وعشائرهم مصوران مجليان وأجدادهم وأولادهم وما يلدون إلىٰ يوم القيامة رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ، وهي صحيفة صفراء مدروجة مخطوطة بالنُّور لا بحبر ولا بمِداد ، قال أبو بصير : فرجعت من المدينة ودخلت الكوفة فوُلد لي والله ولدان وابنتان في الأوقات التي قال عنها ، فكان هذا من دلائله عليه السَّلام . (انظر : الهداية الكبرىٰ (ص٢٥٣) .

ثامناً: صَحِيْفَةُ ذُؤابَةُ سَيْفِ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

ومن الكُتب المقدَّسة عندهم : صَحِيْفَةُ : ذؤابة سيف رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومعنىٰ ذؤابة السَّيف : سِنُّه ، موضع الوخْز منه ...

فعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السَّلام ، أنَّه كان في ذوابة سيف رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحِيْفَةُ صغيرة ، فيها الأحرف التي يفتحُ كلُّ حرف منها ألفَ حرف . قال أبو بصير: قال أبو عبدالله : فما خرج منها إلَّا حرفان حتىٰ السَّاعة . (انظر : الخصال (ص ٦٤٨) ، الكافي (١/ ٢٩٦) ، بصائر الدرجات (ص ٣٢٧) ، بحار الأنوار (١/ ١٤٢) ، (٤٠/ ١٣٢) ، (١٠٩/ ٣٦) ، ينابيع المعاجز (ص ١٤٢) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٣/ ١١٤) .

وعن أبان بن تغلب قال : حدَّثني أبو عبدالله عليه السَّلام أنَّه كان في ذؤابة سيف عليٍّ عليه السَّلام صحيفة . أنَّ عليّاً دعا إليه الحسن فرفعها إليه ودفع إليه سكِّيناً ، وقال له : افتحها فلم يستطيع أن يفتحها ففتحها له ، ثمَّ قال له : اقرأ فقرأ الحسن عليه السَّلام الألف والباء والسِّين واللام والحرف بعد الحرف ، ثمَّ طواها فدفعها إلىٰ أخيه الحسين فلم يقدر علىٰ أن يفتحها ففتحها له ، ثمَّ قال له : اقرأ فقرأها كما قرء الحسن ثمَّ طواها فدفعها إلىٰ محمَّد بن الحنفيَّة فلم يقدر علىٰ أن يفتحها ففتحها له عليٌّ عليه السَّلام ، فقال له : اقرأ فلم يستخرج منها شيئاً فأخذها وطواها ، ثمَّ علَّقها من ذؤابة السَّيف فقلت لابي عبدالله عليه السلام : وأيّ شيء كان في تلك الصَّحيفة ؟ فقال : هي الأحرف التي يفتح كلُّ حرف ألف حرف ، قال أبو بصير : قال أبوعبدالله عليه السَّلام : فما خرج منها إلىٰ النَّاس حرفان إلىٰ السَّاعة . (انظر : الاختصاص ، (ص٢٨٤) .

وعن أبي جعفر عليه السَّلام قال : علَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله عليّاً عليه السَّلام ألف حرف يفتح ألف حرف والألف حرف كلُّ حرف منها يفتح ألف حرف . (انظر : الاختصاص ، (ص٢٨٤) .

وممّا اشتملت عليه هذه الصَّحيفة :

– صِلْ من قطعك ، وأعط من حرمك ، وقل الحقَّ ولو كـان علىٰ نفسك (انظر : مشكاة الأنوار في غرر الأخبار (ص ٢٩٨) .

– إنَّ أعتىٰ النَّاس علىٰ الله يوم القيامة من قتل غير قاتله ، ومن ضرب غير ضاربه ، ومن تولَّىٰ غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله تعالىٰ علىٰ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن أحدث حدثاً أو آوىٰ محدثاً لم يقبل الله منه يوم القيامة حرفاً ولا عدلاً . (انظر : الكافي (٧/ ٢٧٤) ، وسائل الشِّيعة (١٩/ ١٦) ، بحار الأنوار (١/ ١٤٢) ، (٢٧/ ٦٥) ، (١٠١/ ٣٧٤) ، من لا يحضره الفقيه (٤/ ٩٤) ، جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام (٤٢/ ٩) ، موسوعة أحاديث أهل البيت (٩/ ٧٢) ، جامع أحاديث الشِّيعة (٢٦/ ٢٤٠) .

قلت : ما اشتملت عليه الصَّحيفة موجود في دواوين السُّنَّة عند أهل السُّنَّة ...

فقد أخرج أحمد في المسند مرفوعاً : " ... قَالَ عُقْبَةُ : ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ . فَقَالَ : " يَا عُقْبَةُ ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ " . أخرجه أحمد في المسند ، (٢٨/ ٥٧٠ برقم ١٧٣٣٤) ، قال الأرنؤوط : " حديث حسن) .

وأخرج عبد الرَّزَّاق في المصنَّف عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ محمَّد يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : وُجِدَ فِي نَعْلِ سَيْفِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَعْدَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ اللهِ ثَلَاثَةٌ مَنْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ ، أَوْ ضَرَبَ غَيْرَ ضَارِبِهِ أَوْ آوَىٰ مُحْدِثاً فَلَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفاً ، وَلَا عَدْلاً وَمَنْ تَوَلَّىٰ غَيْرَ مَوَالِيهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ " . (أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩/ ٤٧ برقم ١٦٣٠٤) .

وعلىٰ كلٍّ فيا ليت الشِّيعة يعملون بما اشتملت عليه هذه الصَّحيفة فيقولون الحقَّ ولا يكتمونه بتقيَّتهم وكذبهم ، ويا ليتهم يحرِّمون استباحتهم لدماء أهل السُّنَّة التي أراقوها في أغلب البلاد التي وقعت تحت سيطرتهم قديماً وحديثاً ...

تَاسِعَاً : الصَّحيفة السَّجَّادِيَّة :

وتشتمل هذه الصَّحيفة علىٰ مجموعة من الأدعية الدِّينيَّة ، يصل عددها إلىٰ أربعة وخمسين دعاء ، وينسبوها إلىٰ الإمام السَّجَّاد : عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وهي – كما قال راويها في المقدِّمة – ناقصة ، قال : " وهي خمسة وسبعون باباً ، سقط عنِّي منها أحد عشر باباً ، وحفظت منها نيفاً وستين باباً " . (انظر : الصَّحيفة السجادية (ص٥) .

ومن الأدعية التي اشتملت عليها الصَّحيفة :

الدُّعاء الأوَّل : إِذَا ابْتَدَأَ بِالدُّعَاءِ بَدَأَ بِالتَّحْمِيدِ للهِ عَزَّ وجَلَّ والثَّنَاءِ عَلَيْهِ :

الْحَمْدُ للهِ الْأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ ، والْآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ ، وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ . ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً ، واخْتَرَعَهُمْ عَلَىٰ مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعاً . ثمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ ، وبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ ، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ ، ولَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إِلَىٰ مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ . وجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ ، لَا يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ ، ولَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ . ثمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجَلًا مَوْقُوتاً ، ونَصَبَ لَهُ أَمَداً مَحْدُوداً ، يَتَخَطَّىٰ إِلَيْهِ بِأَيَّامِ

عُمُرِهِ ، ويَرْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَقْصَىٰ أَثَرِهِ ، واسْتَوْعَبَ حِسَابَ عُمُرِهِ ، قَبَضَهُ إِلَىٰ مَا نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ ، أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ويَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ . عَدْلًا مِنْهُ ، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، وتَظَاهَرَتْ آلاؤُهُ ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُونَ . والْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَىٰ مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ ، وأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ ، لَتَصَرَّفُوا فِي مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ ، وتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ . ولَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَىٰ حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا .» والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِهِ ، وأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ ، وفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ ، ودَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ ، وجَنَّبَنَا مِنَ الْإِلْحَادِ والشَّكِّ فِي أَمْرِهِ . حَمْداً نُعَمَّرُ بِهِ فِيمَنْ حَمِدَهُ مِنْ خَلْقِهِ ، ونَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلَىٰ رِضَاهُ وعَفْوِهِ . حَمْداً يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ ، ويُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمَبْعَثِ ، ويُشَرِّفُ بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ ، يَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ، يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً ولَا هُمْ يُنْصَرُونَ . حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَىٰ أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ . حَمْداً تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا إِذَا بَرِقَتِ الْأَبْصَارُ ، وتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَبْشَارُ . حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ اللهِ إِلَىٰ كَرِيمِ جِوَارِ اللهِ . حَمْداً نُزَاحِمُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ ، ونُضَامُّ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ ، ومَحَلِّ كَرَامَتِهِ الَّتِي لَا تَحُولُ . والْحَمْدُ للهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ ، وأَجْرَىٰ عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ . وجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَكُلُّ خَلِيقَتِهِ مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ ، وصَائِرَةٌ إِلَىٰ طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ . والْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ ، فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ أَمْ مَتَىٰ نُؤَدِّي شُكْرَهُ لَا ، مَتَىٰ . والْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَكَّبَ فِينَا آلَاتِ الْبَسْطِ ، وجَعَلَ لَنَا أَدَوَاتِ الْقَبْضِ ، ومَتَّعَنَا بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ ، وأَثْبَتَ فِينَا جَوَارِحَ الْأَعْمَالِ ، وغَذَّانَا بِطَيِّبَاتِ الرِّزْقِ ، وأَغْنَانَا بِفَضْلِهِ ، وأَقْنَانَا بِمَنِّهِ . ثُمَّ أَمَرَنَا لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَنَا ، ونَهَانَا لِيَبْتَلِيَ شُكْرَنَا ، فَخَالَفْنَا عَنْ طَرِيقِ أَمْرِهِ ، ورَكِبْنَا مُتُونَ زَجْرِهِ ، فَلَمْ يَبْتَدِرْنَا بِعُقُوبَتِهِ ، ولَمْ يُعَاجِلْنَا بِنِقْمَتِهِ ، بَلْ تَأَنَّانَا بِرَحْمَتِهِ تَكَرُّماً ، وانْتَظَرَ مُرَاجَعَتَنَا بِرَأْفَتِهِ حِلْماً . والْحَمْدُ للهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَىٰ التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نُفِدْهَا إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ ، فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِدْ مِنْ فَضْلِهِ إِلَّا بِهَا لَقَدْ حَسُنَ بَلَاؤُهُ عِنْدَنَا ، وجَلَّ إِحْسَانُهُ إِلَيْنَا وجَسُمَ فَضْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا هَكَذَا كَانَتْ سُنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، ولَمْ يُكَلِّفْنَا إِلَّا وُسْعاً ، ولَمْ يُجَشِّمْنَا إِلَّا يُسْراً ، ولَمْ يَدَعْ لِأَحَدٍ مِنَّا حُجَّةً ولَا عُذْراً . فَالْهَالِكُ مِنَّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ ، والسَّعِيدُ مِنَّا مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ والْحَمْدُ للهِ بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ بِهِ أَدْنَىٰ مَلَائِكَتِهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمُ

خَلِيقَتِهِ عَلَيْهِ وَأَرْضَى حَامِدِيهِ لَدَيْهِ حَمْداً يَفْضُلُ سَائِرَ الْحَمْدِ كَفَضْلِ رَبِّنَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ . ثمَّ لَهُ الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنَا وعَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ الْمَاضِينَ والْبَاقِينَ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، ومَكَانَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً أَبَداً سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . حَمْداً لَا مُنْتَهَى لِحَدِّهِ ، ولَا حِسَابَ لِعَدَدِهِ ، ولَا مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ ، ولَا انْقِطَاعَ لِأَمَدِهِ حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً إِلَى طَاعَتِهِ وعَفْوِهِ ، وسَبَباً إِلَى رِضْوَانِهِ ، وذَرِيعَةً إِلَى مَغْفِرَتِهِ ، وطَرِيقاً إِلَى جَنَّتِهِ ، وخَفِيراً مِنْ نَقِمَتِهِ ، وأَمْناً مِنْ غَضَبِهِ ، وظَهِيراً عَلَى طَاعَتِهِ ، وحَاجِزاً عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وعَوْناً عَلَى تَأْدِيَةِ حَقِّهِ ووَظَائِفِهِ . حَمْداً نَسْعَدُ بِهِ فِي السُّعَدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ، ونَصِيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ ، أَنَّه وَلِيٌّ حَمِيدٌ .

الدُّعاء الخمسون: من دعائه عليه السَّلام في الرَّهبة :

اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَنِي سَوِيّاً ، ورَبَّيْتَنِي صَغِيراً ، ورَزَقْتَنِي مَكْفِيّاً اللَّهُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أَنْزَلْتَ مِنْ كِتَابِكَ ، وبَشَّرْتَ بِهِ عِبَادَكَ أَنْ قُلْتَ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، وقَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي مَا قَدْ عَلِمْتَ ومَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَيَا سَوْأَتَا مِمَّا أَحْصَاهُ عَلَيَّ كِتَابُكَ فَلَوْ لَا الْمَوَاقِفُ الَّتِي أُؤَمِّلُ مِنْ عَفْوِكَ الَّذِي شَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ لَأَلْقَيْتُ بِيَدِي ، ولَوْ أَنَّ أَحَداً اسْتَطَاعَ الْهَرَبَ مِنْ رَبِّهِ لَكُنْتُ أَنَا أَحَقَّ بِالْهَرَبِ مِنْكَ ، وأَنْتَ لَا تَخْفَى عَلَيْكَ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ ولَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَتَيْتَ بِهَا ، وكَفَى بِكَ جَازِياً ، وكَفَى بِكَ حَسِيباً . اللَّهُمَّ إِنَّكَ طَالِبِي إِنْ أَنَا هَرَبْتُ ، ومُدْرِكِي إِنْ أَنَا فَرَرْتُ ، فَهَا أَنَا ذَا بَيْنَ يَدَيْكَ خَاضِعٌ ذَلِيلٌ رَاغِمٌ ، إِنْ تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي لِذَلِكَ أَهْلٌ ، وهُوَ يَا رَبِّ مِنْكَ عَدْلٌ ، وإِنْ تَعْفُ عَنِّي فَقَدِيماً شَمَلَنِي عَفْوُكَ ، وأَلْبَسْتَنِي عَافِيَتَكَ . فَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِالْمَخْزُونِ مِنْ أَسْمَائِكَ ، وبِمَا وَارَتْهُ الْحُجُبُ مِنْ بَهَائِكَ ، إِلَّا رَحِمْتَ هَذِهِ النَّفْسَ الْجَزُوعَةَ ، وهَذِهِ الرِّمَّةَ الْهَلُوعَةَ ، الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ حَرَّ شَمْسِكَ ، فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ حَرَّ نَارِكَ ، والَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ صَوْتَ رَعْدِكَ ، فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ صَوْتَ غَضَبِكَ فَارْحَمْنِيَ اللَّهُمَّ فَإِنِّي امْرُؤٌ حَقِيرٌ ، وخَطَرِي يَسِيرٌ ، ولَيْسَ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، ولَوْ أَنَّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ ، وأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَكَ ، ولَكِنْ سُلْطَانُكَ اللَّهُمَّ أَعْظَمُ ، ومُلْكُكَ أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ ، أَوْ تَنْقُصَ مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْمُذْنِبِينَ . فَارْحَمْنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وتَجَاوَزْ عَنِّي يَا ذَا الْجَلَالِ والْإِكْرَامِ ، وتُبْ عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

الدُّعاء الثَّالث والخمسون : من دعائه عليه السَّلام في التَّذلُّل لله عزَّ وجلَّ :

رَبِّ أَفْحَمَتْنِي ذُنُوبِي ، وَانْقَطَعَتْ مَقَالَتِي ، فَلَا حُجَّةَ لِي ، فَأَنَا الْأَسِيرُ بِبَلِيَّتِي ، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي ، الْمُتَرَدِّدُ فِي خَطِيئَتِي ، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدِي ، الْمُنْقَطَعُ بِي . قَدْ أَوْقَفْتُ نَفْسِي مَوْقِفَ الْأَذِلَّاءِ الْمُذْنِبِينَ ، مَوْقِفَ الْأَشْقِيَاءِ الْمُتَجَرِّينَ عَلَيْكَ ، الْمُسْتَخِفِّينَ بِوَعْدِكَ سُبْحَانَكَ أَيَّ جُرْأَةٍ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ ، وَأَيَّ تَغْرِيرٍ غَرَّرْتُ بِنَفْسِي مَوْلَايَ ارْحَمْ كَبْوَتِي لِحُرِّ وَجْهِي وَزَلَّةَ قَدَمِي ، وَعُدْ بِحِلْمِكَ عَلَىٰ جَهْلِي وَبِإِحْسَانِكَ عَلَىٰ إِسَاءَتِي ، فَأَنَا الْمُقِرُّ بِذَنْبِي ، الْمُعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِي ، وَهَذِهِ يَدِي وَنَاصِيَتِي ، أَسْتَكِينُ بِالْقَوَدِ مِنْ نَفْسِي ، ارْحَمْ شَيْبَتِي ، وَنَفَادَ أَيَّامِي ، وَاقْتِرَابَ أَجَلِي وَضَعْفِي وَمَسْكَنَتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي . مَوْلَايَ وَارْحَمْنِي إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا أَثَرِي ، وَامَّحَىٰ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ذِكْرِي ، وَكُنْتُ مِنَ الْمَنْسِيِّينَ كَمَنْ قَدْ نُسِيَ مَوْلَايَ وَارْحَمْنِي عِنْدَ تَغَيُّرِ صُورَتِي وَحَالِي إِذَا بَلِيَ جِسْمِي ، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَائِي ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالِي ، يَا غَفْلَتِي عَمَّا يُرَادُ بِي . مَوْلَايَ وَارْحَمْنِي فِي حَشْرِي وَنَشْرِي ، وَاجْعَلْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَ أَوْلِيَائِكَ مَوْقِفِي ، وَفِي أَحِبَّائِكَ مَصْدَرِي ، وَفِي جِوَارِكَ مَسْكَنِي ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

والشِّيعة يقدِّسون هذه الصَّحيفة ، بل أنَّهم يقدِّسون كلَّ حرف فيها (انظر : التفسير الكاشف (١٠/ ٥١٥) ، ويسمُّونها : أُخت القرآن ، وإنجيل أهل البيت ، وزبور آل محمَّد ، والصَّحيفة الكاملة . (انظر : الذريعة إلى تصانيف الشِّيعة (١٥/ ١٨) .

وقد اهتمَّ بها علماء الشِّيعة فطبعوها طباعة مزخرفة منمَّقة ، تماماً كطباعة القرآن العظيم ، وشرحوها في العديد من شروحات . (انظر : الذريعة (١٣/ ٣٥٥) .

عَاشِرَاً : اثْنَتَا عَشَرَ صَحِيْفَةُ فِيْهَا صِفَاتُ الأئِمَّة :

وفي ذلك روىٰ ابن بابويه القمّي وغيره ، عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله تبارك وتعالىٰ أنزل عليّ اثنیٰ عشر خاتماً ، واثنیٰ عشر صَحِيْفَةُ ، اسم كلّ إمام علىٰ خاتمه وصفته في صحيفته " . (انظر : كمال الدِّين وتمام النعمة (ص٢٦٨) ، الخرائج والجرائح (٢/ ٥٥١) ، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية (ص ٣٧٥) ، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ (٢/ ١٩٠) ، غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام (١/ ٢٠٦) ، (٢/ ١٧٢) ، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب (١/ ١٨٥) ، إحقاق الحق وإزهاق الباطل (١٣/ ٦٦) .

ويُلاحظ من خلال هذه الرِّواية : أنَّ الشِّيعة سلكوا كلَّ السُّبل وكلَّ الوسائل للتَّدليل علىٰ ما هم عليه من الباطل ، ولكن أنَّىٰ لهم ، وجميع رواياتهم هابطه ساقطه في ميزان الشَّرع والعقل ....

حَادِيْ عَشَرْ : نَهْجُ البَلَاغَة :

والكتاب يُنسب إلىٰ الإمام عليّ بن أبي طالب ، وهو بلا سند ، ويُنسب كذلك إلىٰ الشَّريف الرَّضيّ ، والمتَّهم بوضعه هو: علي بن الحسين العلوي الحسيني الشَّريف المرتضىٰ ، المتكلِّم ، الرَّافضي ، المعتزلي ، قال الإمام الذَّهبي في ترجمته في " الميزان " : " وهو المتَّهم بوضع كتاب " نهج البلاغة " ... ومن طالع كتابة " نهج البلاغة " جزم بأنَّه مكذوب علىٰ أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، ففيه السَّبّ الصُّراح والحطّ علىٰ السيِّدين: أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، وفيه من التَّناقض والأشياء الرَّكيكة والعبادات التي من له معرفة بنفس القرشيِّين الصَّحابة وبنفس غيرهم ممَّن بعدهم من المتأخِّرين جزم بأنَّ الكتاب أكثره باطل " .
(انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/ ١٥٢) .

قال الإمام أبو بكر الخطيب البغدادي : في كلامه عن " نهج البلاغة " : " وَنَظِيرُ مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا أَحَادِيثُ الْمَلَاحِمِ وَمَا يَكُونُ مِنَ الْحَوَادِثِ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا مَوْضُوعٌ وَجُلَّهَا مَصْنُوعٌ كَالْكِتَابِ الْمَنْسُوبِ إِلَى دَانْيَالَ وَالْخُطَبِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ " . (انظر : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٦١) .

وقال الإمام ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي الدِّمشقي : " وَأَيْضاً فَأَكْثَرُ الْخُطَبِ الَّتِي يَنْقُلُهَا صَاحِبُ " نَهْجِ الْبَلَاغَةِ " كَذِبٌ عَلَىٰ عَلِيٍّ ، وَعَلِيٌّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَجَلُّ وَأَعْلَىٰ قَدْرًا مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِذَلِكَ الْكَلَامِ ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ وَضَعُوا أَكَاذِيبَ وَظَنُّوا أَنَّهَا مَدْحٌ ، فَلَا هِيَ صِدْقٌ وَلَا هِيَ مَدْحٌ . وَمَنْ قَالَ : إِنَّ كَلَامَ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ فَوْقَ كَلَامِ الْمَخْلُوقِ ، فَقَدْ أَخْطَأَ . وَكَلَامُ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ كَلَامِهِ ، وَكِلَاهُمَا مَخْلُوقٌ . وَلَكِنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ كَلَامِ ابْنِ سَبْعِينَ الَّذِي يَقُولُ: هَذَا كَلَامُ بَشِيرٍ يُشْبِهُ بِوَجْهٍ مَا كَلَامَ الْبَشَرِ ، وَهَذَا يَنْزِعُ إِلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ كَلَامَ اللهِ مَا فِي نُفُوسِ الْبَشَرِ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَيْضاً فَالْمَعَانِي الصَّحِيحَةُ الَّتِي تُوجَدُ فِي كَلَامِ عَلِيٍّ مَوْجُودَةٌ فِي كَلَامِ غَيْرِهِ ، لَكِنَّ صَاحِبَ " نَهْجِ الْبَلَاغَةِ " وَأَمْثَالَهُ أَخَذُوا كَثِيراً مِنْ كَلَامِ النَّاسِ فَجَعَلُوهُ مِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ ، وَمِنْهُ مَا يُحْكَىٰ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّه تَكَلَّمَ بِهِ ، وَمِنْهُ مَا هُوَ كَلَامٌ حَقٌّ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، وَلَكِنْ هُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مِنْ كَلَامِ غَيْرِهِ .

وَلِهَذَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ " الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ " لِلْجَاحِظِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ كَلَامٌ مَنْقُولٌ عَنْ غَيْرِ عَلِيٍّ ، وَصَاحِبُ " نَهْجِ الْبَلَاغَةِ " يَجْعَلُهُ عَنْ عَلِيٍّ .

وَهَذِهِ الْخُطَبُ الْمَنْقُولَةُ فِي كِتَابِ " نَهْجِ الْبَلَاغَةِ " لَوْ كَانَتْ كُلُّهَا عَنْ عَلِيٍّ مِنْ كَلَامِهِ ؛ لَكَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ هَذَا الْمُصَنَّفِ ، مَنْقُولَةً عَنْ عَلِيٍّ بِالْأَسَانِيدِ وَبِغَيْرِهَا . فَإِذَا عَرَفَ مَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِالْمَنْقُولَاتِ أَنَّ كَثِيراً مِنْهَا – بَلْ

أَكْثَرَهَا – لَا يُعْرَفُ قَبْلَ هَذَا ، عُلِمَ أَنَّ هَذَا كَذِبٌ ، وَإِلَّا فَلْيُبَيِّنِ النَّاقِلُ لَهَا فِي أَيِّ كِتَابٍ ذُكِرَ ذَلِكَ ؟ وَمَنِ الَّذِي نَقَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ ؟ وَمَا إِسْنَادُهُ ؟ وَإِلَّا فَالدَّعْوَىٰ الْمُجَرَّدَةُ لَا يَعْجِزُ عَنْهَا أَحَدٌ .

وَمَنْ كَانَ لَهُ خِبْرَةٌ بِمَعْرِفَةِ طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَمَعْرِفَةِ الْآثَارِ وَالْمَنْقُولِ بِالْأَسَانِيدِ ، وَتَبَيُّنِ صِدْقِهَا مِنْ كَذِبِهَا ، عَلِمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْقُلُونَ مِثْلَ هَذَا عَنْ عَلِيٍّ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنِ الْمَنْقُولَاتِ ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ صِدْقِهَا وَكَذِبِهَا " . (انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٨/ ٥٥-٥٦) .

وقال علَّامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدِّهلوي : ومن مكائدهم أنَّهم ينسبون إلىٰ الأمير من الرِّوايات ما هو برئ منه ويحرِّفون ما ورد عنه ، فمن ذلك " نهج البلاغة " الذي ألَّفه الرَّضي ، وقيل أخوه المرتضىٰ ، فقد وقع فيه تحريف كثير وأسقط كثير من العبارات حتىٰ لا يكون به متمسَّك لأهل السُّنَّة ، مع أنَّ ذلك أمر ظاهر ، بل مثل الشَّمس زاهر " . (انظر : مختصر التحفة الاثني عشرية ، شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي ، (ص٣٦) .

وقال الأستاذ محب الدِّين الخطيب في تعليقه علىٰ " المنتقىٰ من منهاج الاعتدال " : " وهذان الأخوان – يقصد محمَّد بن حسين الرّضي (٤٠٦هـ) ، علي بن الحسين المرتضىٰ (٤٢٦ هـ) – هما اللذان تطوَّعا للزِّيادة علىٰ خطب أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه بكلِّ ما هو طارئ عليها وغريب منها ؛ من التَّعريض بإخوانه الصَّحــابة ، وهو بريء عند الله عزَّ وجلَّ من كلِّ ذلك ، وسيبرأ إليه من مقترفي هذا الإثم " .

وقال أيضاً : ومن المقطوع به أنَّ أخاه – يقصد محمَّد بن حسين الرّضي (٤٠٦هـ) – علي بن الحسين المرتضىٰ المتوفَّىٰ سنة (٤٢٦ هـ) شاركه في الزِّيادات التي دُسَّت في النَّهج ، ولا سيَّما الجُمَل التي لها مساس بأحباب عليّ وأولياء النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كقول الأخوين أو أحدهما : لقد تقمَّصها فلان ، وما خرج من هذه الحمأة " . (انظر : المنتقىٰ من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال (ص٢٢ ، ص٥٣٥ بالترتيب) .

وفي المقابل فقد اشتمل كتاب " نهج البلاغة " علىٰ عقائد تخالف ما عليه الرَّافضة ، وسأكتفي ببعض ما تضمَّنه النَّهج من مدح للصَّحابة الأبرار ...

قال رضي الله عنه في مدح المهاجرين والأنصار : " وإنَّما الشُّورىٰ للمهاجرين والأنصار ، إذا اجتمعوا علىٰ رجل فسمُّوه إماماً ، كان ذلك لله رضا ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردُّوه إلىٰ ما خرج

منه ، فإن أبىٰ قاتلوه علىٰ اتِّباع سبيل المؤمنين ، وولَّاه الله ما تولَّىٰ " . (انظر : شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد (٣/ ٧٥) .

وقال رضي الله عنه في مدح المهاجرين : " وفاز المهاجرون الأوَّلون بفضلهم ، ولا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدِّين ، ولا فضائلهم في الإسلام ، أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله وأولىٰ به ، فيجور ويظلم " . (انظر : شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد (٣/ ٢١٠) .

وقال : " ولقد كنَّا مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك إلَّا إيماناً وتسليماً ، ومضياً علىٰ اللقم ، وصبراً علىٰ مضض الألم ، وجداً في جهاد العدو .

ولقد كان الرَّجل منَّا والآخر من عدوِّنا يتصاولان تصاول الفحلين ، يتخالسان أنفسهما ، أيُّهما يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرَّة لنا من عدوِّنا ، ومرَّة لعدوِّنا منَّا ، فلمَّا رأىٰ الله صِدقنا أنزل بعدوِّنا الكبت ، وأنزل علينا النَّصر ، حتىٰ استقرَّ الاسلام ملقياً جرانه ، ومتبوئاً أوطانه .

ولعمري لو كنَّا نأتي ما أتيتم – يقصد أصحابه – ما قام للدِّين عمود ، ولا اخضرَّ للإيمان عود .

وأيم الله لتحتلبنَّها دماً ، ولتتبعنَّها ندماً ! (انظر : شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد ، (٤/ ٣٣) .

وقال : " لقد رأيت أصحاب محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما أرىٰ أحد يشبههم منكم ، لقد كانوا يُصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجَّدا قياماً يراوحون بين جباهم ويقفون علىٰ مثل الجمر من ذكر معادهم ، كان بين أعينهم رُكَب المعزىٰ من طول سجودهم ، إذا ذكر الله هَمَلَت أعينُهم حتىٰ تُبَلَّ جُيوبهم ، ومادوا كما يَميد الشَّجر يوم الرِّيح العاصف خوفاً من العقاب ورجآء للثَّواب . (انظر : شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد (٧/ ٧٧) .

وقال : " أين القوم الذين دعوا إلىٰ الاسلام فقبلوه ، وقرأوا القرآن فأحكموه ، وهيّجوا إلىٰ الجهاد فولهوا ولَهَ اللقاح إلىٰ أولادها ، وسلبوا السُّيوف أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً ، وصفَّاً وصفَّاً ، بعض هلك ، وبعض نجا ، لا يُبشَّرون بالاحياء ، ولا يُعزَّون عن الموتىٰ ، مُرْهُ العيون من البكاء ، خُمْصُ البطون من الصِّيام ، ذُبلُ الشِّفاه من الدُّعاء ، صُفر الألوان من السَّهر ، علىٰ وجوههم غبرةُ الخاشعين ،

أولئك إخواني الذَّاهبون ، فحقَّ لنا أن نظمأ إليهم ، ونعضّ الأيدي على فراقهم . (انظر : شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد (٧/ ٢٩١) .

وقال أيضاً في مدحه للفاروق عمر : " لله بلاء فلان ، فلقد قوَّم الأود وداوىٰ العمد ، وأقام السُّنَّة ، وخلف الفتنة ! ذهب نقيَّ الثَّوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها ، وسبق شرَّها ، أدَّىٰ إلىٰ الله طاعته ، واتَّقاه بحقِّه .

قال ابن أبي الحديد في شرحه للنَّهج : ... أي لله ما صنع ! وفلان المكنَّىٰ عنه عمر بن الخطَّاب ، وقد وجدت النُّسخة التي بخطِّ الرِّضى أبي الحسن جامع (نهج البلاغة) وتحت (فلان) (عمر) " . (انظر : شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد (١٢/ ٣) .

وقال في مدحه للصِّدِّيق والفاروق : " وذكرت أنَّ الله تعالىٰ اجتبىٰ له من المسلمين أعواناً أيَّده الله بهم ، فكانوا في منازلهم عنده علىٰ قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم في الإسلام ، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة ، ولعمري إنَّ مكانهما في الإسلام لعظيم ، وإنَّ المُصاب بهما لجرحٌ في الإسلام شديد ، فرحمهما الله وجزاهما أحسن ما عملا ! (انظر : شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد (١٥/ ٧٦) .

وقال : " وفي المهاجرين خيرٌ كثير يعرف ، جزاهم الله خيراً بأحسن أعمالهم " . (انظر : شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد (١٥/ ٧٧) .

وقال : " ... ووليهم وال فأقام واستقام ، حتىٰ ضرب الدِّين بجرانه .

قال ابن أبي الحديد : وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب " . (انظر : شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد (٢٠/ ٢١٨) .

وبرغم كلِّ ما سبق فإنَّ الشِّيعة يعظِّمون هذا الكتاب ، حتّىٰ أنَّهم قالوا بأنَّ جميع ما فيه من الخُطب ، والكُتب ، والوصايا ، والحكم ، والآداب ، حاله كحال ما يروىٰ عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (انظر : مستدرك نهج البلاغة ، الهادي كاشف الغطا (ص١٩٠- ١٩١) .

وغالوا في ذلك حتىٰ قالوا بأنَّه فوق كلام البشر . (انظر : الذريعة (١٤/ ١١١) ، أي أنَّه فوق كلام رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وبالغوا في الغلو فيه – كذلك – فذكروا بأنّه : أخ القرآن في التَّبليغ والتَّعليم ، وفيه

دواء كلّ عليل وسقيم ، ودستــور للعمل بموجبات سعادة الدُّنيا وسيادة دار النَّعيم . (انظر : الذريعة (١٤/ ١١١) .

وكلامهم في الغلوِّ بنهج البلاغة كثير...

ثَانِيْ عَشَرْ : صَحِيْفَةُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَصَحِيْفَةُ أَهْلِ النَّار :

فقد رووا عن أبي جعفر عليه السَّلام ، قال : انتهىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ السَّماء السَّابعة ، وانتهىٰ إلىٰ سِدرة المنتهىٰ ، قال : فقالت السِّدرة : ما جازني مخلوق ، قال ، ثمَّ دنا فتدلَّىٰ ، فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ، فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ، قال : فرفع إليه كتاب أصحاب اليمين وكتاب أصحاب الشِّمال ، فأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه وفتحه ونظر فيه ، فإذا فيه أسماء أهل الجنَّة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، قال وفتح كتاب أهل الشِّمال ونظر فيه ، فإذا فيه أسماء أهل النَّار وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثمَّ نزل ومعه الصَّحيفتان فدفعهما إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السَّلام . (انظر : بحار الأنوار (٢٦/ ١٢٦) ، (١٨/ ٣٨٦) ، (٨١/ ١٢٠) ، بصائر الدرجات (ص ٢١٠) ، تفسير العياشي (١/ ١٥٨) .

ومن المعلوم أنَّ الشِّيعة يصرِّحون في كتبهم بأنَّهم النَّاجون ، ومن سواهم فالنَّار مصيرهم ، فصحيفة أهل الجنَّة مسطَّر فيها أسماء الشِّيعة وأسماء آبائهم ، وصحيفة أهل النَّار مسطَّر فيها أسماء من سواهم... (انظر : فضايل الشِّيعة ، ابن بابويه القمّي (ص ١٠) .

ثَالِثُ عَشَرْ : وَصِيَّةُ الحُسَيْن :

ومن الكتب المقدَّسة عند الشِّيعة الإماميَّة : وصيَّة الحسين ، فقد رووا عن أبي جعفر عليه السَّلام ، قال : لَمَّا حَضرَ الحسينَ عليه السلام ما حَضره دفعَ وصيَّته إلىٰ ابنته فاطمة ابنته ظاهرة في كتاب مدرج . فلمَّا أن كان من أمر الحسين عليه السَّلام ما كان دفعت ذلك إلىٰ عليِّ بن الحسين ، قلت : فما فيه يرحمك الله ؟ قال : ما يحتاج إليه ولد آدم منذ كانت الدُّنيا إلىٰ أن تفنىٰ . (انظر : الكافي (١/ ٣٠٤) ، بصائر الدرجات (ص ١٨٨) ، بحار الأنوار (٢٦/ ٥٤) .

فالوصيَّة تحوي ما يحتاج إليه البشر من بداية النَّشء إلىٰ يوم القيامة !! ولنا أن نتساءل : إذا كانت الوصيَّة بهذه الصِّفة ، فما الدَّاعي للقرآن وكذا لغيره من الكتب المقدَّسة عند الشِّيعة ؟ ثمَّ أين هي هذه الوصيَّة ؟

ولماذا تم إخفاؤها ؟! وما حكم إخفائها وهي بهذه الأهميَّة لسائر البشريَّة ؟ ألا يُعتبر إخفاؤها خيانة للعلم وأمانة التَّبليغ ؟ سبحانك ربِّي ما أحلمك على من جاهر بعداوتك ...

رَابِعُ عَشَرْ : التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيْلُ وَالزَّبُورُ وَسَائِرُ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ المُنْزَلَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُل :

ومن الكُتب التي يقدِّسها الشِّيعة : التَّوراة ، والإنجيل ، والزَّبور ، وسائر الكُتب المنزلة من عند الله تعالى على الأنبياء والرُّسل ، وأنَّ هذه الكُتب ما زالت محفوظة عند مهديِّهم ، حيث كان يورِّثها السَّابق للّاحق ، وأنَّ الأئمَّة يعرفونها ويقرؤونها على اختلاف ألسنتها .

ففي كتابه " الكافي " ، فتح الكليني باباً سمَّاه : أنَّ الأئمَّة عليهم السَّلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عزَّ وجلَّ ، وأنَّهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها (انظر : الكافي (ص ٢٢٧) ، وانظر: شرح أصول الكافي ، محمَّد صالح المازندراني (٥/ ٣٠٨) ، مستدرك سفينة البحار (٧/ ٢٧٩) ، روى فيه جملة من الأحاديث ، منها :

قال أبو عبد الله ، وقد سئل : أنَّى لكم التَّوراة والإنجيل وكتب الأنبياء ؟ قال : عندنا وراثة من عندهم ، نقرؤها كما قرأؤوها ، ونقولها كما قالوا ، إنَّ الله لا يجعل حجَّة في أرضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري . (انظر : الكافي (١/ ٢٢٧) .

والرِّواية تحمل العديد من المؤآخذات ، منها:

(١) الرِّواية تنصُّ على أنَّ الأئمَّة توارثوا جميع الكتب السَّماويَّة فيما بينهم ، وهذا أمرٌ لم يتسنّ لأنبياء الله ، وهم بهذه الرِّواية يفاضلون بين الأنبياء والأئمَّة ، وأنَّ الأئمَّة أفضل من الأنبياء ، كونهم عرفوا وقرأوا جميع الكتب السَّماويَّة على اختلاف لغاتها .

(٢) الرِّواية تنصُّ على أنَّه لا يليق بالإمام أن يقول عن سُؤال : لا أدري ، مع أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجاب عن العديد من الأسئلة بلا ... كجوابه حين سئل عن : الرُّوح ، والأنفال ، والأهلَّة ، والقتال في الشَّهر الحرام ، وذي القرنين ، والسَّاعة ..... وغيرها كثير ، وانتظر عليه السَّلام الوحي حتى جاءه بالجواب ، وبهذا الحديث وغيره يستدلُّ الشِّيعة على أنَّ أئمَّتهم أفضل من الأنبياء ، والعياذ بالله ...

(٣) ما الهدف من وجود الكُتب السَّماويَّة عند الأئمَّة ؟!! وما حاجة الأئمَّة إلى الكتب السَّماويَّة السَّابقة ؟ ألم يصف الله تعالى القرآن بأنَّه شفاء لما في الصُّدور ، وأنَّه يهدي للتي هي أقوم ، وأنَّه سبيل أمثل لحياة

القلوب والأبدان ؟ ولماذا لم يُقم الأئمَّة الحجَّة على أهل الكتاب بما معهم من كتبهم ؟ ولماذا كتم الأئمَّة علم ما منحهم الله تعالى إيَّاه ؟ ... أسئلة عديدة تحتاج إلى جواب .... ولا جواب .

(٤) ويعظُمُ الخطبُ حين تتَّضح الغايات ، ومن أجلاها : أنَّ الشِّيعة حين يظهر قائم زمانهم لن يحكموا بالقرآن ، بل سيحكموا بالتَّوراة ، وعلى ذلك دلَّت رواياتهم عن أئمَّتهم ، ومن ذلك :

فتح الكليني باباً في كتابه الكافي بعنوان : باب في الأئمَّة أنَّهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ، ولا يسألون البيِّنة ، عليهم السَّلام . (انظر : الكافي (١ / ٣٩٣) .

وروى في ذلك العديد من الرِّوايات منها : عن جعيد الهمداني عن عليِّ بن الحسين عليهما السَّلام ، قال : سألته بأيِّ حُكْمٍ تحكُمُون ؟ قال : حُكم آل داود ، فإن أعيانا شيء تلقَّانا به روح القُدُس !! (انظر : الكافي (١/ ٣٩٧) ، ينابيع المعاجز(ص٧٧) ،أعيان الشِّيعة (٤/ ١٩٥) .

وهذا هو الذي دفع الدُّكتور حسين الموسوي إلى القول : إنِّي أشم رائحة أيدٍ خبيثة ، فهي التي دسَّت هذه الرِّوايات ، وكذبت على الأئمَّة ... (انظر : لله ثمَّ للتاريخ (ص١٧) .

(٥) أنَّ ما سبق بيانه يتناقض مع كون رسالة الإسلام ناسخة لرسالات السَّماء ، وأنَّ عيسى عليه السَّلام حينما ينزل من السَّماء سيحكم بشريعة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ الله تعالى وصف القرآن العظيم بأنَّه : مصدقاً للكتب السَّابقة ومهيمناً عليها ، فلا كتاب أفضل ولا أكمل من القرآن العظيم ، قال تعالى : **﴿إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَراكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيمًا﴾** [المائدة: ٤٨]

وفي نهاية الحديث عن الكُتب المقدَّسة عند الشِّيعة لا بدَّ من التَّعقيب بالآتي :

أوَّلاً : هَلْ تلك الكتب موجودة الآن ؟ فإن كانت موجودة فأين هي ؟

ثَانِياً : أي عقل بل أي دين يقبل بأن تكون تلك الكُتب أو بعضها مخصوصة بفرد أو بمجموعة أفراد ، فما فائدتها ، وما الغاية من كتمانها ، بل ما هي بالنِّسبة للقرآن المحفوظ بحفظ الله ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، المعجز والمُتحدَّى به ، الخاتم لرسالات السَّماء والمهيمن عليها ، المنقول إلينا بالتواتر ، والمتعبَّد بتلاوته ، والذي لا يملُّ الإنسان من تلاوته ...

ثَالِثَاً : ما الفائدة في وجود تلك الكُتب عن مهديِّهم المزعوم الخُرافة ، والأصل في كُتب السَّماء أنَّها جاءت لهداية الناس وإخراجهم من الظُّلمات إلى النُّور ...

رَابِعَاً : هَلِ النَّاس مُكلَّفون بما فيها ؟ فإذا كان الجواب بنعم ، فما حُكم كتمها ؟ ألا يُعتبر ذلك كتماناً للعلم ، فيكون سبباً للوقوع في وعيد قوله تعالىٰ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾** [البقرة: ١٥٩] ، وقوله : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾** [البقرة: ١٧٤] ، وإذا لم يكونوا مكلَّفين بما فيها ، فما فائدتها ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا حُكْمُ الشِّيْعَةِ الإِمَامِيَّةِ عَلَى مَنِ اعْتَقَدَ بِنُزُوْلِ الوَحْيِّ بَعْدَ رَسُوْلِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

الجواب : ذكرنا فيما سبق أنَّ مصادر الشِّيعة الإماميَّة ومراجعهم تصرِّح بوجود كُتب عديدة سوىٰ القرآن الكريم ، أوحىٰ الله بها إلىٰ الأئمَّة بعد انتقال الرَّسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ ، وهذه العقيدة مخالفة لما هو مقطوع به من كونه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر وخاتم الأنبياء والمرسلين ، وكون كتابه خاتمة رسالات السَّماء ، وهو الكتاب الذي تضمَّن قول الله تعالىٰ : **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾** [المائدة: ٣]

والآية نصٌّ صريحٌ علىٰ اكتمال الدِّين وأنَّه لا حاجة للنَّاس إلىٰ وحي جديد ...

إنَّ اعتقاد الشَّيعة بهذه العقيدة ما هو إلَّا لون من ألوان العداء للإسلام والمسلمين وهو حلقة من الحلقات الكثيرة المعقودة والمحبوكة للانتقام من الإسلام والمسلمين بسبب قيامهم بكسر شوكة الفرس وإخضاع فارس لسلطان الإسلام العظيم ، وما تلا ذلك من انتهاء الكسرويَّة الفارسيَّة إلىٰ غير رجعة ...

إنَّ الكثيرين من أبناء فارس ما دخلوا في الإسلام إلَّا من أجل الكيد والنَّيل منه ، ولذلك كانوا يتربَّصون بالإسلام الدَّوائر ، فما من فرصةٍ سنحت للتَّخريب إلَّا واستغلُّوها ... ولم تقف دسائسهم عند حدّ ، فقد بدأوا بالقرآن وزعموا تحريفه وتبديله علىٰ يد الصَّحابة الأبرار ، وأنكروا السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة وكفَّرُوا نَقَلتهَا من الصَّحابة الأبرار ، وعمدوا إلىٰ تجنيد أتباعهم ، وحشد جنودهم ، وتجييش جيوشهم الذين أكَّبوا علىٰ الورق ، فسال لُعاب أقلامهم بالكذب الذي فاقوا فيه أستاذهم إبليس اللعين ، تلك الأكاذيب التي طالت الأُصول والفروع علىٰ حدٍّ سواء ، ولدرجة أنَّهم جاءوا بدين جديد مغاير لدين خير الأنام محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... ولم تقف جرائمهم عند حدود التَّحريف والتَّزييف والتَّأليف بل تعدَّوا ذلك إلىٰ حياكة المؤامرات التي أسفرت عن سقوط دار الخلافة العبَّاسيَّة ...

وحتىٰ يمرِّروا جرائمهم علىٰ الرِّعاع الجهلاء الأغبياء عمدوا إلىٰ الانتساب الظَّاهري لآل بيت الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتباكوا علىٰ الإسلام وقادته من آل البيت الذين قتلوهم بأيديهم وأيدي أعوانهم من السذَّج المخدوعين ، وساهم معهم في هذا السَّبيل : اليهودي ابن سبأ اليهودي ، وعبد الرَّحمن بن مسلم المعروف بأبي مسلم الخراساني أحد أحفاد آخر الأكاسرة يزدجرد الثَّالث ، وغيرهم كثير ...

المهم في هذا الأمر هنا أنَّ الشِّيعة بعد أن زعموا تحريف القر آن ادَّعوا أنَّ القرآن الحقيقي لم يجمعه سوىٰ علي بن أبي طالب ... وأنَّه الآن مع مهديِّهم المزعوم ... ولم يكتفوا بذلك بل زادوا ضغثاً علىٰ إبالة حيث أنكروا ختميَّة رسالة الإسلام لرسالات السَّماء ، وادَّعوا استمرار نزول الوحي ، وأنَّ أئمَّتهم يأتيهم الوحي ، وأنَّه جاء إليهم بالعديد من الكُتب السَّماويَّة ...

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ اعتقاد الشِّيعة بنزول كتب سماويَّة علىٰ أئمَّتهم يتناقض مع ما نقلوه في أصحِّ كتبهم عن إمامهم جعفر الصَّادق ، حيث قال : " إنَّ الله عزَّ وجلَّ ختم بنبيِّكم النَّبيِّين فلا نبيّ بعده أبداً ، وختم بكتابكم الكُتب فلا كتاب بعده أبداً ، وأنزل فيه تبيان كلّ شيء ، وخلقكم وخلق السَّماوات والأرض ونبأ ما قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما بعدكم ، وأمر الجنَّة والنَّار ، وما أنتم صائرون إليه .
(انظر : الكافي (١/ ٢٦٨) ، الفصول المهمة في أصول الأئمَّة (١/ ٤٨٣) ، تفسير نور الثقلين (٣/ ٧٦) ، ميزان الحكمة (٤/ ٣١٨٧) .

والرِّواية نصٌّ صريحٌ دالٌّ علىٰ انقطاع الوحي بعد الرَّسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البتَّة ، إلَّا أنَّ الشِّيعة الإماميَّة أداروا ظهورهم للقرآن الكريم وللرِّوايات المرويَّة عن أئمَّتهم وادَّعوا زوراً وظلماً وعدواناً بأنَّ الوحي ينزل علىٰ أئمَّتهم ، وقد أوقعهم هذا الأمر في مشكلة من أهم المشاكل التي أفقدتهم المصداقيَّة ، إذ كيف يوفِّقون بين الرِّوايات الدالَّة علىٰ إنزال الكتب وتنزُّلها بعد وفاة الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرِّوايات المرويَّة عن أئمَّتهم في أصحِّ كتبهم ، والدالَّة علىٰ امتناع وانقطاع نزول الوحي بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

وقد دعا هذا الأمر بعض علمائهم إلىٰ التَّبرُّؤ من عقيدة نزول الوحي بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحكم بالكفر علىٰ من اعتقد بهذه العقيدة ووجوب قتله ...

فها هو إمامهم محمَّد حسين آل كاشف الغطاء يقول : " ويعتقد الإماميَّة أنَّ كل من اعتقد أو ادَّعىٰ بنبوَّة بعد محمَّد أو نزول وحي أو كتاب فهو كافرٌ يجبُ قتله" . انظر : أصل الشِّيعة وأصولها (ص١٠١) .

وحُكمُه حقٌّ وصدقٌ ، وهو يشمل كلَّ من روىٰ وآمن بالرِّوايات التي تنصُّ علىٰ نزول كُتب سماويَّة نزول بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمثال : علي بن إبراهيم القمِّي ، ونعمة الله الجزائري ، ومحمَّد الفيض الكاشاني ، والنُّوري الطَّبرسي ، والمفيد ، وعدنان البحراني ، ومحمَّد باقر المجلسي ، وسلطان الجنابذي ، وعبد الله شبّر ، ومحمَّد صالح المازندراني ، والحر العاملي ، ويوسف البحراني ، والكليني ، ومحمَّد بن الحسن الصَّفَّار ، وعبَّاس القمِّي ، وحبيب الله الهاشمي الخوئي ، ومحمَّد بن مسعود العيَّاشي ، وعلي الفاني الأصفهاني ، والخُميني ، وغيرهم كثير ، وقد نقلت جملة وافرة منهم في رسالتي : " وَاضِحُ البَيَانِ فِيْ إِثْبَاتِ اعْتِقَادِ الشِّيْعَةِ بِتَحْرِيْفِ القُرْآن " ...

ولكن غالب الظَّنِّ أن يكون هذا الحُكم خرج من آل كاشف الغطاء علىٰ سبيل التَّقيَّة ، وهذا هو دينهم وديدنهم في مثل هذه المسألة لإبعاد كلِّ الجنوح والفساد عنهم وعن عقائدهم ، ولا غرو فإنَّ التَّقيَّة عندهم تمثِّل تسعة أعشار إسلامهم ، كما رووا ذلك عن أئمَّتهم .

﴿ الفَصْلُ الحَادِيْ عَشَر ﴾

✿✿✿ بَعْضٌ مِنْ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الكِتَابِ بِالمَلَائِكَة ✿✿✿

الإيمان بالملائكة منصوص عليه في الكتاب المقدَّس بعهديه : القديم والجديد ، والإيمان بهم واحدة من العقائد الغيبيَّة التي يؤمن بها أهل الكتاب ... ومن أجل الاطِّلاع على بعض ما يعتقده أهل الكتاب في الملائكة ، كانت الأسئلة التَّالية :

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هُوَ عَدَد المَلَائِكة ؟

الجواب : لا يذكر الكتاب المقدَّس رقما محدَّدا، لكنَّه يذكر أنَّ عددهم كبير جدَّاً ، فقد جاء في رؤيا يوحنَّا اللاهوتي (الإصحاح الخامس : ١١-١٢) : " وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ " .

وجاء في (متى الإصحاح السَّادس والعشرون: ٥٣-٥٤) : "أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ" .

وجاء في (سفر دانيال (الإصحاح السابع :١٠-١١) : " نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ" .

وجاء في إنجيل لوقا (الإصحاح الثَّاني :١٣) : " وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمْ رُؤسَاء المَلَائِكة ؟

الجواب : ذكر الكتاب المقدَّس أسماء رؤساء الملائكة ، وهم :

الأَوَّلُ : مِيْخَائِيْلُ : وهو أحد رؤساء الملائكة :جاء في " سفر دانيال (الإصحاح العاشر:١٣-١٤) : " وَرَئِيسُ مَمْلَكَةِ فَارِسَ وَقَفَ مُقَابِلِي وَاحِدًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَهُوَذَا مِيخَائِيلُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ الأَوَّلِينَ جَاءَ لإِعَانَتِي، وَأَنَا أُبْقِيتُ هُنَاكَ عِنْدَ مُلُوكِ فَارِسَ" .

وجاء في سفر دانيال (الإصحاح العاشر:٢١) : " وَلكِنِّي أُخْبِرُكَ بِالْمَرْسُومِ فِي كِتَابِ الْحَقِّ. وَلاَ أَحَدٌ يَتَمَسَّكُ مَعِي عَلَى هؤُلاَءِ إِلاَّ مِيخَائِيلُ رَئِيسُكُمْ" .

وجاء في سفر دانيال (الإصحاح الثَّاني عشر:١) : «وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ، وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيق لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّى شَعْبُكَ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوبًا فِي السِّفْرِ" .

الثَّاني : جِبْرَائِيْلُ : جاء في سفر دانيال (الإصحاح الثَّامن:١٦-١٧) : " جاء وَسَمِعْتُ صَوْتَ إِنْسَانٍ بَيْنَ أُولاَيَ، فَنَادَى وَقَالَ: يَا جِبْرَائِيلُ، فَهِّمْ هذَا الرَّجُلَ الرُّؤْيَا».

وجاء في سفر دانيال (الإصحاح التَّاسع:٢١-٢٢) : " وَأَنَا مُتَكَلِّمٌ بَعْدُ بِالصَّلاَةِ، إِذَا بِالرَّجُلِ جِبْرَائِيلَ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي الرُّؤْيَا فِي الابْتِدَاءِ مُطَارًا وَاغِفًا لَمَسَنِي عِنْدَ وَقْتِ تَقْدِمَةِ الْمَسَاءِ. وَفَهَّمَنِي وَتَكَلَّمَ مَعِي وَقَالَ: يَا دَانِيآلُ، إِنِّي خَرَجْتُ الآنَ لأُعَلِّمَكَ الْفَهْمَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : نَسمَعُ باسْمِ الكُرُوبِيْم وَالسَّرافِيْم عِنْدَ أَهْلِ الكِتَابِ ، فمَا المَقْصُوْدُ بِهَذِهِ الأَسْمَاء ؟

الجواب : ذكر في العهد القديم أسماء الكروبيم والسرافيم ، وهما اسمان لمجموعتين من الملائكة ...

ومن النُّصوص التي ذكرت الكروبيم :

جاء في سفر العدد (الإصحاح السَّابع:٨٩) : " فَلَمَّا دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ، كَانَ يَسْمَعُ الصَّوْتَ يُكَلِّمُهُ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ، فَكَلَّمَهُ" .

وجاء في سفر الخروج (الإصحاح السَّادس والعشرون:١-٢) : «وَأَمَّا الْمَسْكَنُ فَتَصْنَعُهُ مِنْ عَشَرِ شُقَقِ بُوصٍ مَبْرُومٍ وَأَسْمَانْجُونِيٍّ وَأُرْجُوَانٍ وَقِرْمِزٍ. بِكَرُوبِيمَ صَنْعَةَ حَائِكٍ حَاذِق تَصْنَعُهَا " .

ومن النُّصوص التي ذكرت السَّرافيم:

جاء في سفر إشعياء (الإصحاح السَّادس:١-٤) : " فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَال وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبَاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ».

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ أَهَمُّ أَعْمَالِ الكُرُوبِيْم ؟

الجواب : من الوظائف المُناطة بالكروبيم : حراسة الجنَّة لكي لا يعود إليها الإنسان ، فقد جاء في سفر التَّكوين (الإصحاح الثَّالث:٢٤) : " فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ " .

ومن وظائفهم كذلك تنفيذ أوامر الرَّب ، فقد جاء في سفر حزقيال (الإصحاح العاشر:٢-٨) : " وَكَلَّمَ الرَّجُلَ اللاَّبِسَ الْكَتَّانِ وَقَالَ: «ادْخُلْ بَيْنَ الْبَكَرَاتِ تَحْتَ الْكَرُوبِ وَامْلأْ حَفْنَتَيْكَ جَمْرَ نَارٍ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبِيمِ، وَذَرِّهَا عَلَى الْمَدِينَةِ. فَدَخَلَ قُدَّامَ عَيْنَيَّ.وَالْكَرُوبِيمُ وَاقِفُونَ عَنْ يَمِينِ الْبَيْتِ حِينَ دَخَلَ الرَّجُلُ، وَالسَّحَابَةُ مَلأَتِ الدَّارَ الدَّاخِلِيَّةَ. فَارْتَفَعَ مَجْدُ الرَّبِّ عَنِ الْكَرُوبِ إِلَى عَتَبَةِ الْبَيْتِ. فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنَ السَّحَابَةِ، وَامْتَلأَتِ الدَّارُ مِنْ لَمَعَانِ مَجْدِ الرَّبِّ. وَسُمِعَ صَوْتُ أَجْنِحَةِ الْكَرُوبِيمِ إِلَى الدَّارِ الْخَارِجِيَّةِ كَصَوْتِ اللهِ الْقَدِيرِ إِذَا تَكَلَّمَ. وَكَانَ لَمَّا أَمَرَ الرَّجُلَ اللاَّبِسَ الْكَتَّانِ قَائِلًا: خُذْ نَارًا مِنْ بَيْنِ الْبَكَرَاتِ، مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبِيمِ أَنَّهُ دَخَلَ وَوَقَفَ بِجَانِبِ الْبَكَرَةِ. وَمَدَّ كَرُوبٌ يَدَهُ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبِيمِ إِلَى النَّارِ الَّتِي بَيْنَ الْكَرُوبِيمِ، فَرَفَعَ مِنْهَا وَوَضَعَهَا فِي حَفْنَتَيِ اللاَّبِسِ الْكَتَّانِ، فَأَخَذَهَا وَخَرَجَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ أَهَمُّ أَعْمَالُ السَّرَافِيْم ؟

الجواب : جاء في سفر إشعياء أنَّ وظيفة السَّرافيم هي القيام بحراسة عرش الله ، فقد جاء في الإصحاح السَّادس من سفر إشعياء (٤-٧) : " فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ، وَامْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا فَقُلْتُ: وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ. فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: إِنَّ هذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ، فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ، وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ».

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلائِكَةُ يَتَشَكَّلُوْن ؟

الجواب : نعم ، لقد أعطى الله تعالى الملائكة القدرة على الظُّهور في شكل بشر ، فقد جاء في سفر التكوين(الإصحاح التَّاسع عشر:١-٢) : " فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ إِلَى سَدُومَ مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا فِي بَابِ سَدُومَ. فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ" .

وجاء في سفر التَّكوين (الإصحاح التَّاسع عشر:٥-٦) : " فَنَادَوْا لُوطًا وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ دَخَلاَ إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا لِنَعْرِفَهُمَا».

وجاء في سفر التّكوين (الإصحاح التّاسع عشر:١٥-١٧) : " وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلاَكَانِ يُعَجِّلاَنِ لُوطًا قَائِلَيْنِ: قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ. وَلَمَّا تَوَانَى، أَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ المَلَائِكَة يَنْتَقِلُوْنَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَان ؟

الجواب : جاء في سفر التّكوين (الإصحاح الثّامن والعشرون:١٢-١٣) : "

وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا ".

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ لِلْمَلَائِكَةِ أَجْنِحَةٌ وَوُجُوْهٌ وَأَيْدِي وَأَقْدَام ؟

الجواب : جاء في سفر حزقيال (الإصحاح الأوّل:٥-٢٨) : " وَمِنْ وَسْطِهَا شِبْهُ أَرْبَعَةِ حَيَوَانَاتٍ. وَهذَا مَنْظَرُهَا: لَهَا شِبْهُ إِنْسَانٍ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ. وَأَرْجُلُهَا أَرْجُلٌ قَائِمَةٌ، وَأَقْدَامُ أَرْجُلِهَا كَقَدَمِ رِجْلِ الْعِجْلِ، وَبَارِقَةٌ كَمَنْظَرِ النُّحَاسِ الْمَصْقُولِ. وَأَيْدِي إِنْسَانٍ تَحْتَ أَجْنِحَتِهَا عَلَى جَوَانِبِهَا الأَرْبَعَةِ. وَوُجُوهُهَا وَأَجْنِحَتُهَا لِجَوَانِبِهَا الأَرْبَعَةِ. وَأَجْنِحَتُهَا مُتَّصِلَةٌ الْوَاحِدُ بِأَخِيهِ. لَمْ تَدُرْ عِنْدَ سَيْرِهَا. كُلُّ وَاحِدٍ يَسِيرُ إِلَى جِهَةِ وَجْهِهِ. أَمَّا شِبْهُ وُجُوهِهَا فَوَجْهُ إِنْسَانٍ وَوَجْهُ أَسَدٍ لِلْيَمِينِ لأَرْبَعَتِهَا، وَوَجْهُ ثَوْرٍ مِنَ الشِّمَالِ لأَرْبَعَتِهَا، وَوَجْهُ نَسْرٍ لأَرْبَعَتِهَا. فَهذِهِ أَوْجُهُهَا. أَمَّا أَجْنِحَتُهَا فَمَبْسُوطَةٌ مِنْ فَوْقُ. لِكُلِّ وَاحِدٍ اثْنَانِ مُتَّصِلاَنِ أَحَدُهُمَا بِأَخِيهِ، وَاثْنَانِ يُغَطِّيَانِ أَجْسَامَهَا. وَكُلُّ وَاحِدٍ كَانَ يَسِيرُ إِلَى جِهَةِ وَجْهِهِ. إِلَى حَيْثُ تَكُونُ الرُّوحُ لِتَسِيرَ تَسِيرُ. لَمْ تَدُرْ عِنْدَ سَيْرِهَا.أَمَّا شِبْهُ الْحَيَوَانَاتِ فَمَنْظَرُهَا كَجَمْرِ نَارٍ مُتَّقِدَةٍ، كَمَنْظَرِ مَصَابِيحَ هِيَ سَالِكَةٌ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ. وَلِلنَّارِ لَمَعَانٌ، وَمِنَ النَّارِ كَانَ يَخْرُجُ بَرْقٌ. الْحَيَوَانَاتُ رَاكِضَةٌ وَرَاجِعَةٌ كَمَنْظَرِ الْبَرْقِ. فَنَظَرْتُ الْحَيَوَانَاتِ وَإِذَا بَكَرَةٌ وَاحِدَةٌ عَلَى الأَرْضِ بِجَانِبِ الْحَيَوَانَاتِ بِأَوْجُهِهَا الأَرْبَعَةِ. مَنْظَرُ الْبَكَرَاتِ وَصَنْعَتُهَا كَمَنْظَرِ الزَّبَرْجَدِ. وَلِلأَرْبَعِ شَكْلٌ وَاحِدٌ، وَمَنْظَرُهَا وَصَنْعَتُهَا كَأَنَّهَا كَانَتْ بَكَرَةً وَسْطِ بَكَرَةٍ. لَمَّا سَارَتْ، سَارَتْ عَلَى جَوَانِبِهَا الأَرْبَعَةِ. لَمْ تَدُرْ عِنْدَ سَيْرِهَا. أَمَّا أُطُرُهَا فَعَالِيَةٌ وَمُخِيفَةٌ. وَأُطُرُهَا مَلآنَةٌ عُيُونًا حَوَالَيْهَا لِلأَرْبَعِ. فَإِذَا سَارَتِ الْحَيَوَانَاتُ، سَارَتِ الْبَكَرَاتُ بِجَانِبِهَا، وَإِذَا ارْتَفَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَنِ الأَرْضِ ارْتَفَعَتِ الْبَكَرَاتُ. إِلَى حَيْثُ تَكُونُ الرُّوحُ لِتَسِيرَ يَسِيرُونَ، إِلَى حَيْثُ الرُّوحُ لِتَسِيرَ وَالْبَكَرَاتُ تَرْتَفِعُ مَعَهَا، لأَنَّ رُوحَ الْحَيَوَانَاتِ كَانَتْ فِي الْبَكَرَاتِ. وَعَلَى رُؤُوسِ الْحَيَوَانَاتِ شِبْهُ مُقَبَّبٍ كَمَنْظَرِ الْبِلَّوْرِ الْهَائِلِ

مُنْتَشِرًا عَلَى رُؤُوسِهَا مِنْ فَوْقُ. وَتَحْتَ الْمُقَبَّبِ أَجْنِحَتُهَا مُسْتَقِيمَةٌ الْوَاحِدُ نَحْوَ أَخِيهِ. لِكُلِّ وَاحِدٍ اثْنَانِ يُغَطِّيَانِ مِنْ هُنَا، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ اثْنَانِ يُغَطِّيَانِ مِنْ هُنَاكَ أَجْسَامَهَا. فَلَمَّا سَارَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ أَجْنِحَتِهَا كَخَرِيرِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ، كَصَوْتِ الْقَدِيرِ. صَوْتَ ضَجَّةٍ، كَصَوْتِ جَيْشٍ. وَلَمَّا وَقَفَتْ أَرْخَتْ أَجْنِحَتَهَا. فَكَانَ صَوْتٌ مِنْ فَوْقِ الْمُقَبَّبِ الَّذِي عَلَى رُؤُوسِهَا. إِذَا وَقَفَتْ أَرْخَتْ أَجْنِحَتَهَا. وَفَوْقَ الْمُقَبَّبِ الَّذِي عَلَى رُؤُوسِهَا شِبْهُ عَرْشٍ كَمَنْظَرِ حَجَرِ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ، وَعَلَى شِبْهِ الْعَرْشِ شِبْهٌ كَمَنْظَرِ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقُ. وَرَأَيْتُ مِثْلَ مَنْظَرِ النُّحَاسِ اللاَّمِعِ كَمَنْظَرِ نَارٍ دَاخِلَهُ مِنْ حَوْلِهِ، مِنْ مَنْظَرِ حَقْوَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَمِنْ مَنْظَرِ حَقْوَيْهِ إِلَى تَحْتُ، رَأَيْتُ مِثْلَ مَنْظَرِ نَارٍ وَلَهَا لَمَعَانٌ مِنْ حَوْلِهَا. كَمَنْظَرِ الْقَوْسِ الَّتِي فِي السَّحَابِ يَوْمَ مَطَرٍ، هكَذَا مَنْظَرُ اللَّمَعَانِ مِنْ حَوْلِهِ. هذَا مَنْظَرُ شِبْهِ مَجْدِ الرَّبِّ. وَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَرَرْتُ عَلَى وَجْهِي، وَسَمِعْتُ صَوْتَ مُتَكَلِّمٍ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ قُوَّةِ المَلائِكَة ؟

الجواب : جاء في سفر المزامير (الإصحاح المئة والثَّالث:١٩-٢٠) : " بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلَائِكَةُ يَتَكَلَّمُوْن وَيُبَشِّرُوْن الخَلْقَ ؟

الجواب : نعم يتكلَّمون ويُبشِّرون الخلْقَ ، فقد بشَّر الملاكُ إبراهيمَ عليه السَّلام بالولد بعد المشيب ، حيث جاء في سفر التَّكوين (الإصحاح الثَّامن عشر:٩-١٥) : " وَقَالُوا لَهُ: أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟ فَقَالَ: هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ. فَقَالَ: إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ. وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟ فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ ؟هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ. فَأَنْكَرَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: لَمْ أَضْحَكْ .لأَنَّهَا خَافَتْ. فَقَالَ: لاَ! بَلْ ضَحِكْتِ.

وبشَّر الملاكُ مريم العذراء بمولد المسيح ، فقد جاء في إنجيل لوقا (الإصحاح الأوَّل:٢٦-٣٣) : " وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ .

فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ . هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ».

وتكلَّم الملاكُ مع يوسف خطيب مريم العذراء ، فقد جاء في إنجيل متى (الإصحاح الأوَّل:٢٠-٢٥) : " وَلكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ . وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ . هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ" .

وجاء في إنجيل متَّى (الإصحاح الثَّاني:١٣-٢١) : " وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ. فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي. حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدًّا. فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا، مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ، بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ. فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ قَائِلًا: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ. فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ" .

وتكلَّم الملاكُ مع الرُّعاة وبشَّرهم بولادة يالمسيح ، فقد جاء في إنجيل لوقا (الإصحاح الثَّاني:٩-١٦) : " وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا . فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ. أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلًا مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ. وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ. وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ

إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرجال الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ".

وتكلَّم أيضاً مع كرنيليوس ، فقد جاء في سفر أعمال الرُّسل (الإصحاح العاشر:٣-٨) : " فَرَأَى ظَاهِرًا فِي رُؤْيَا نَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ النَّهَارِ، مَلاَكًا مِنَ اللهِ دَاخِلًا إِلَيْهِ وَقَائِلًا لَهُ: يَا كَرْنِيلِيُوسُ. فَلَمَّا شَخَصَ إِلَيْهِ وَدَخَلَهُ الْخَوْفُ، قَالَ: مَاذَا يَا سَيِّدُ فَقَالَ لَهُ: صَلَوَاتُكَ وَصَدَقَاتُكَ صَعِدَتْ تَذْكَارًا أَمَامَ اللهِ. وَالآنَ أَرْسِلْ إِلَى يَافَا رِجَالًا وَاسْتَدْعِ سِمْعَانَ الْمُلَقَّبَ بُطْرُسَ. إِنَّهُ نَازِلٌ عِنْدَ سِمْعَانَ رَجُل دَبَّاغٍ بَيْتُهُ عِنْدَ الْبَحْرِ. هُوَ يَقُولُ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ. فَلَمَّا انْطَلَقَ الْمَلاَكُ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُ كَرْنِيلِيُوسَ، نَادَى اثْنَيْنِ مِنْ خُدَّامِهِ، وَعَسْكَرِيًّا تَقِيًّا مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يُلاَزِمُونَهُ، وَأَخْبَرَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى يَافَا" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ المَلَائِكَةُ يُسَبِّحُوْنَ الله ؟

الجواب : جاء في إشعياء (الإصحاح السَّادس:٢-٤) : "السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبَاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ تَنْفِيْذِ المَلَائِكَةِ لِأَوَامِرِ الرَّب ؟

الجواب : جاء في سفر صموئيل الثَّاني (الإصحاح الرَّابع والعشرون: ١٦-١٧) : " وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ كَفَى. الآنَ رُدَّ يَدَكَ. وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ" .

وجاء في سفر الملوك الثَّاني (الإصحاح التَّاسع عشر :٣٥-٣٦) : "وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ خَرَجَ وَضَرَبَ مِنْ جَيْشِ أَشُّورَ مِئَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا. وَلَمَّا بَكَّرُوا صَبَاحًا إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَثٌ مَيْتَةٌ" .

وجاء في رؤيا يوحنا (الإصحاحُ السَّادس عشر: ١) : " وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ الْهَيْكَلِ قَائِلاً لِلسَّبْعَةِ الْمَلاَئِكَةِ: امْضُوا وَاسْكُبُوا جَامَاتِ غَضَبِ اللهِ عَلَى الأَرْضِ . فَمَضَى الأَوَّلُ وَسَكَبَ جَامَهُ عَلَى الأَرْضِ، فَحَدَثَتْ دَمَامِلُ خَبِيثَةٌ وَرَدِيَّةٌ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ بِهِمْ سِمَةُ الْوَحْشِ وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِصُورَتِهِ".

وجاء في سفر المزامير (الإصحاح المئة والرَّابع:٤) : " الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا، وَخُدَّامَهُ نَارًا مُلْتَهِبَةً" .

وجاء في رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين (الإصحاح الأوَّل:١٤) : " أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ" .

وجاء في سفر التَّكوين (الإصحاح التَّاسع عشر:١٥-٢٥) : " وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلاَكَانِ يُعَجِّلاَنِ لُوطًا قَائِلَيْنِ: قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ. وَلَمَّا تَوَانَى، أَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ: اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ، وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ. فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: لاَ يَا سَيِّدُ. هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِبْقَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. هُوَذَا الْمَدِينَةُ هذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحْيَا نَفْسِي. فَقَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ رَفَعْتُ وَجْهَكَ فِي هذَا الأَمْرِ أَيْضًا، أَنْ لاَ أَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتَ عَنْهَا. أَسْرِعِ اهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ لأَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا حَتَّى تَجِيءَ إِلَى هُنَاكَ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُ الْمَدِينَةِ صُوغَرَ. وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ، فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتِ الأَرْضِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ حِرَاسَةِ المَلاَئِكَةِ لِلرُسُلِ وَإِنْقَاذهُم ؟

الجواب : ورد أنَّ دانيال حين أُلقي في جُبِّ الأُسود قال : " إِلهِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَسَدَّ أَفْوَاهَ الأُسُودِ فَلَمْ تَضُرَّنِي، لأَنِّي وُجِدْتُ بَرِيئًا قُدَّامَهُ، وَقُدَّامَكَ أَيْضًا أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَمْ أَفْعَلْ ذَنْبًا» سفر دانيال (الإصحاح السَّادس:٢١-٢٣) .

وجاء في سفر الملوك الثَّاني (الإصحاح السَّادس:١٥-١٨) : " فَبَكَّرَ خَادِمُ رَجُلِ الله وَقَامَ وَخَرَجَ، وَإِذَا جَيْشٌ مُحِيطٌ بِالْمَدِينَةِ وَخَيْلٌ وَمَرْكَبَاتٌ. فَقَالَ غُلاَمُهُ لَهُ: آهِ يَا سَيِّدِي! كَيْفَ نَعْمَلُ . فَقَالَ لاَ تَخَفْ، لأَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ. وَصَلَّى أَلِيشَعُ وَقَالَ: يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ. فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنَيِ الْغُلاَمِ فَأَبْصَرَ، وَإِذَا الْجَبَلُ مَمْلُوءٌ خَيْلًا وَمَرْكَبَاتِ نَارٍ حَوْلَ أَلِيشَعَ" .

وجـــاء في سفر المزامير (الإصحاح الرَّابع والثَّلاثون: ٦-٨) : " مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ " .

وجاء في سفر المزامير (الإصحاح السَّابع والثَّلاثون:٤٠) : " وَيُعِينُهُمُ الرَّبُّ وَيُنَجِّيهِمْ. يُنْقِذُهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ وَيُخَلِّصُهُمْ، لأَنَّهُمُ احْتَمَوْا بِهِ" .

وجاء في سفر المزامير(الإصحاح الحادي والتّسعون:١١) : " لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ"

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ المَلائِكَةُ مُكَلَّفُوْنَ بِحِمَايَةِ شَعْبِ إِسْرَائِيْل ؟

الجواب : جاء في العهد القديم ما يُشير إلىٰ ذلك ... فقد جاء في سفر الخروج (الإصحاح الثَّالث والعشرون:٢٠-٢٤) : «هَا أَنَا مُرْسِلٌ مَلاَكًا أَمَامَ وَجْهِكَ لِيَحْفَظَكَ فِي الطَّرِيقِ، وَلِيَجِيءَ بِكَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَعْدَدْتُهُ. اِحْتَرِزْ مِنْهُ وَاسْمَعْ لِصَوْتِهِ وَلاَ تَتَمَرَّدْ عَلَيْهِ، لأَنَّهُ لاَ يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، لأَنَّ اسْمِي فِيهِ. وَلكِنْ إِنْ سَمِعْتَ لِصَوْتِهِ وَفَعَلْتَ كُلَّ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، أُعَادِي أَعْدَاءَكَ، وَأُضَايِقُ مُضَايِقِيكَ. فَإِنَّ مَلاَكِي يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلَى الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، فَأُبِيدُهُمْ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَقُوْمُ المَلائِكَةُ بِرَفْعِ صَلَوَاتِ المُؤمِنِيْنَ إِلَى الله ؟

الجواب : جاء في سفر طوبيا (الإصحاح الثَّاني عشر:١٢) : " إِنَّكَ حِينَ كُنْتَ تُصَلِّي بِدُمُوعٍ وَتَدْفِنُ الْمَوْتَى وَتَتْرُكُ طَعَامَكَ وَتَخْبَأُ الْمَوْتَى فِي بَيْتِكَ نَهَارًا وَتَدْفِنُهُمْ لَيْلًا، كُنْتُ أَنَا أَرْفَعُ صَلاتَكَ إِلَى الرَّبِّ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَشْفَعُ المَلائِكَةُ فِي المُؤْمِنِيْن ؟

الجواب : جاء في سفر زكريَّا (الإصحاح الأوَّل:١٢) : " فَأَجَابَ مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَالَ: يَا رَبَّ الْجُنُودِ، إِلَى مَتَى أَنْتَ لاَ تَرْحَمُ أُورُشَلِيمَ وَمُدُنَ يَهُوذَا الَّتِي غَضِبْتَ عَلَيْهَا هذِهِ السَّبْعِينَ سَنَةً»

وجاء في سفر زكريَّا أيضاً (الإصحاح الأوَّل:١٦-١٧) : " لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِالْمَرَاحِمِ فَبَيْتِي يُبْنَى فِيهَا، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، وَيُمَدُّ الْمِطْمَارُ عَلَى أُورُشَلِيمَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَقُوْمُ المَلائكَةُ فِي خِدْمَةِ المُؤْمِنِيْن ؟

الجواب : جاء في متَّى (الإصحاح الثَّاني:١٣-١٤) : " وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ" .

وجاء سفر أعمال الرُّسل (الإصحاح السَّابع والعشرون:٢٤-٢٥) : " لأَنَّهُ وَقَفَ بِي هذِهِ اللَّيْلَةَ مَلاَكُ الإِلهِ الَّذِي أَنَا لَهُ وَالَّذِي أَعْبُدُهُ، قَائِلًا: لاَ تَخَفْ يَا بُولُسُ. يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقِفَ أَمَامَ قَيْصَرَ. وَهُوَذَا قَدْ وَهَبَكَ اللهُ جَمِيعَ الْمُسَافِرِينَ مَعَكَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُطَمْئِنُ المَلائِكَةُ القِدِّيْسِيْنَ وَيُبَشِّرُوْنَهُم بِالخَير ؟

الجواب : جاء في سفر القضاة (الإصحاح الثَّالث عشر:٣-٦) : " فَتَرَاءَىٰ مَلاَكُ الرَّبِّ لِلْمَرْأَةِ وَقَالَ لَهَا: هَا أَنْتِ عَاقِرٌ لَمْ تَلِدِي. وَلكِنَّكِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا. وَالآنَ فَاحْذَرِي وَلاَ تَشْرَبِي خَمْرًا وَلاَ مُسْكِرًا، وَلاَ تَأْكُلِي شَيْئًا نَجِسًا. فَهَا إِنَّكِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا، وَلاَ يَعْلُ مُوسَىٰ رَأْسَهُ، لأَنَّ الصَّبِيَّ يَكُونُ نَذِيرًا للهِ مِنَ الْبَطْنِ، وَهُوَ يَبْدَأُ يُخَلِّصُ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ».

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يُهَيِّئُ المَلائِكَةُ لِلْقِدِّيْسِيْنَ حاجَاتِ الجَسَد ؟

الجواب : جاء في سفر الملوك الأول (الإصحاح التَّاسع عشر:٥-٩) : " وَاضْطَجَعَ وَنَامَ تَحْتَ الرَّتَمَةِ. وَإِذَا بِمَلاَكٍ قَدْ مَسَّهُ وَقَالَ: قُمْ وَكُلْ. فَتَطَلَّعَ وَإِذَا كَعْكَةُ رَضْفٍ وَكُوزُ مَاءٍ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ رَجَعَ فَاضْطَجَعَ. ثُمَّ عَادَ مَلاَكُ الرَّبِّ ثَانِيَةً فَمَسَّهُ وَقَالَ: قُمْ وَكُلْ، لأَنَّ الْمَسَافَةَ كَثِيرَةٌ عَلَيْكَ. فَقَامَ وَأَكَلَ وَشَرِبَ، وَسَارَ بِقُوَّةِ تِلْكَ الأَكْلَةِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً إِلَىٰ جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ، وَدَخَلَ هُنَاكَ الْمُغَارَةَ وَبَاتَ فِيهَا" .

وجاء في تتمَّة سفر دانيال (٣: ٣٢-٣٨) : " وَكَانَ حَبَقُّوقُ النَّبِيُّ فِي أَرْضِ يَهُوذَا وَكَانَ قَدْ طَبَخَ طَبِيخًا وَثَرَدَ خُبْزًا فِي جَفْنَةٍ وَانْطَلَقَ إِلَىٰ الصَّحْرَاءِ لِيَحْمِلَهُ لِلْحَصَّادِينَ. فَقَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لِحَبَقُّوقَ: احْمِلِ الْغَدَاءَ الَّذِي مَعَكَ إِلَىٰ بَابِلَ إِلَىٰ دَانِيآلَ فِي جُبِّ الأُسُودِ . فَقَالَ حَبَقُّوقُ: أَيُّهَا السَّيِّدُ إِنِّي لَمْ أَرَ بَابِلَ قَطُّ وَلاَ أَعْرِفُ الْجُبَّ. فَأَخَذَ مَلاَكُ الرَّبِّ بِجُمَّتِهِ وَحَمَلَهُ بِشَعَرِ رَأْسِهِ وَوَضَعَهُ فِي بَابِلَ عِنْدَ الْجُبِّ بِانْدِفَاعِ رُوحِهِ. فَنَادَىٰ حَبَقُّوقُ قَائِلًا: يَا دَانِيآلُ يَا دَانِيآلُ خُذِ الْغَدَاءَ الَّذِي أَرْسَلَهُ لَكَ اللهُ. فَقَالَ دَانِيآلُ: اللَّهُمَّ لَقَدْ ذَكَرْتَنِي وَلَمْ تَخْذُلِ الَّذِينَ يُحِبُّونَكَ. وَقَامَ دَانِيآلُ وَأَكَلَ. وَرَدَّ مَلاَكُ الرَّبِّ حَبَقُّوقَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَىٰ مَوْضِعِهِ " .

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن